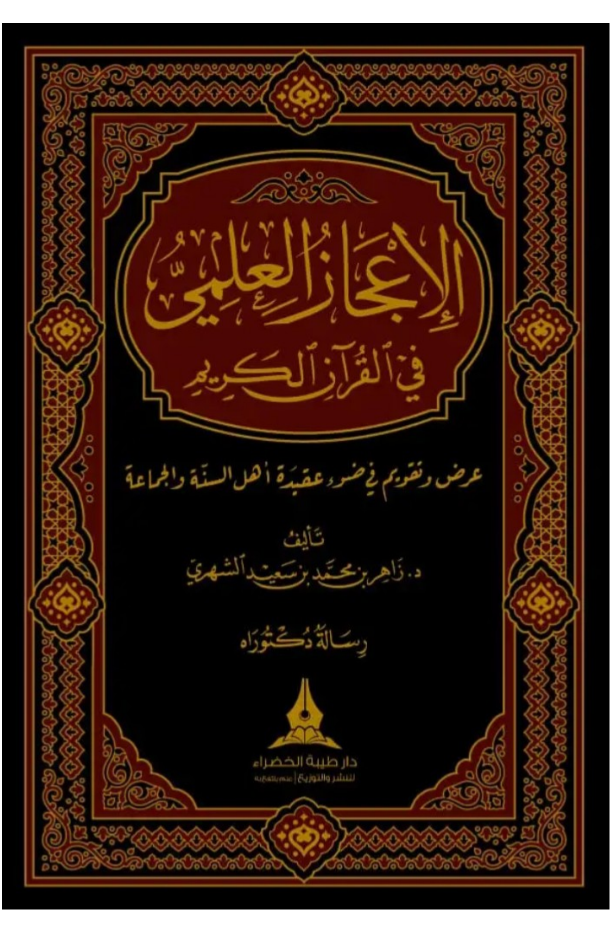
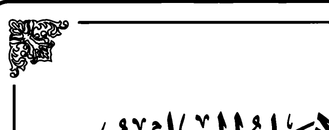

الإعجاز العلمي
في القرآن الكريم
عرض وتقويم في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة
تأليف
د. زاهر بن محمد بن سعيد الشهري
رسالة دكتوراه
دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع

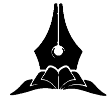





عرض وتقويم في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

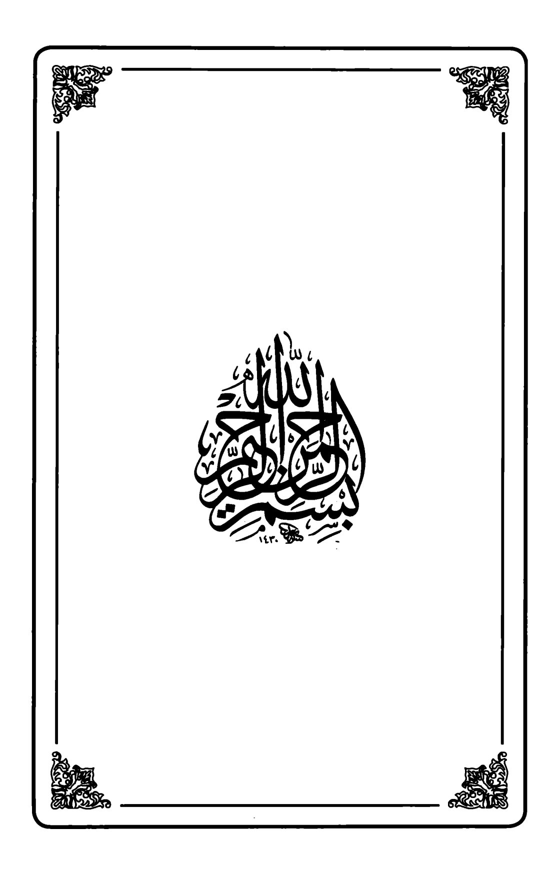
تأليف

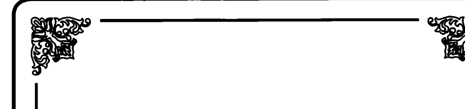
د. زاهر بن محمد بن سعيد الشهري



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به





بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٠





تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

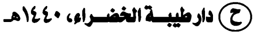



الإعجاز العلمي
في القرآن الكريم









فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشهري، زاهر بن محمد بن سعيد الخشرمي.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: عرض وتقويم في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

زاهر بن محمد بن سعيد الخشرمي الشهري - مكة المكرمة، ١٤٤٠هـ

٦٢٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٨-٢٣-٨٢٥٩-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن - الإعجاز العلمي أ. العنوان

ديوي ٢٢٩,٧ ٢٨٣٤/ ١٤٤٠

رقم الإيداع: ٢٨٣٤/ ١٤٤٠

ردمك: ٨-٢٣-٨٢٥٩-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م






دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

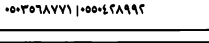
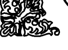
dar.taibagreen123 | dar.taiba

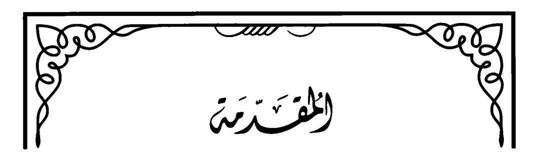
@dar_tg | dar_tg

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

yyy.01@hotmail.com | ٠١٢٥٥٦٢٩٨٦

٠٥٠٣٥٦٨٧٧١ | ٠٥٥٠٤٢٨٩٩٢





الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ونفى عنه الشك والارتياب، وأودعه من العلوم العجب العجاب، وجعله هدى للناس وبينات بأبلغ لسان وأوضح خطاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرباب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم المآب، أما بعد:

فإن الله ﷻ أيد نبيه محمداً ﷺ بالدلائل البينات، والآيات المعجزات، التي يَستدل بها صاحب الفطرة السوي على صدقه وصحة نبوته ﷺ، وكان أعظم هذه الدلائل والمعجزات القرآن الكريم، الذي لم يستطع أفصح الناس أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، أو أن يجدوا فيه تعارضاً أو اختلافاً.

وقد بذل المسلمون جهدهم في خدمة كتاب الله تعالى، في مجالات متعددة، ومسالك متنوعة، تأليفاً وتأصيلاً لعلومه، وتفسيراً وتوضيحاً لآياته، وكل يغرف من بحر علمه ودلائل بيناته، "فهو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، وهو شفاء الصدور، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو الكلام الجزل والفصل...، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وثناؤه، وبحر لا يدرك غوره، بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه"[1].

وقد نال إعجاز القرآن الكريم حظه من البحث والدراسة والكتابة، فظهر الاهتمام به منذ القرن الثالث الهجري، وتنوعت المؤلفات في تقريره، وبيان ما اشتمل عليه القرآن من وجوه الإعجاز، فهو "معجزة مستمرة إلى يوم القيامة، فلا يمر عصر من الأعصار، إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون، يدل على صحة دعواه"[2].

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ١/ ٣-٤.
(٢) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٤/ ٣.

ومع تقدم العلوم المادية، وظهور المكتشفات العلمية، وطغيان موجة الإلحاد في فترة من الفترات، وتعالي الأصوات بدعوىٰ التناقض بين العلم والدين، ظهر الاهتمام بالقرآن الكريم من جانب بيان حثه علىٰ العلم وإعمار الحياة، ومن جانب بيان ما اشتمل عليه من إشارات علمية كونية.

ولم يقتصر إبراز هذه الجوانب علىٰ جهود فردية، بل أنشئت له جمعيات ومؤسسات تعنىٰ به في عدد من الدول الإسلامية والغربية، وكل ذلك تحت مسمىٰ (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم)، ورأوا فيه طريقاً للاستدلال به علىٰ قضايا الاعتقاد، وخاصة إثبات أن القرآن من عند الله تعالىٰ، وأن الرسول ﷺ مرسل من ربه.

ولذا كان تصحيح الاستدلال به علىٰ القضايا العقدية أمراً في غاية الأهمية؛ لبيان المنهج الحق، ولصيانة الآيات القرآنية من التحريف والتعطيل الذي وقع فيه أهل البدع، من أجل ذلك أحببت أن يكون موضوع بحثي للحصول علىٰ درجة الدكتوراه في العقيدة:

(الإعجاز العلمي في القرآن الكريم)

عرض وتقويم في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

## حدود البحث:

سيكون البحث - بإذن الله تعالىٰ - محدوداً بتتبع الآيات القرآنية التي لها صلة بالعقيدة، وذُكر أن فيها إعجازاً علمياً تجريبياً، وذلك من خلال النتاج المكتوب ممن لهم عناية بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم.



## مصطلحات البحث:

**الإعجاز**: حقيقة الإعجاز: إثبات العجز، وأصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر؛ أي: مؤخّره، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة[1].

**العلم التجريبي**: هو العلم الذي يعتمد التجربة أساساً للمعرفة، أو هو القضايا التي يحتاج العقل في جزم الحكم بها إلىٰ واسطة تكرار المشاهدة[2].

---

(١) انظر: إتحاف السادة المتقين، الزبيدي ٢/ ٢٠٣، والتوقيف علىٰ مهمات التعاريف، المناوي ١/ ٢٣٦
(٢) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي ١/ ٣٨١ مادة (التجربة).

**الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**: هو إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتها العلم، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل المتاحة في زمن نزول القرآن، مما يدل على صدق الرسول ﷺ فيما بلغ عن الله تعالى[١].

**الآيات الكونية**: هي المنسوبة إلى الكون نسبة وجود ومكان، وهي الخلق الذي كونه الله تعالى فكان، كالسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من سائر المخلوقات، فكل المخلوقات ذواتها، وصفاتها، وأحوالها من الآيات الكونية[٢].

**أهل السنة والجماعة**: هم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة ﷺ والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه[٣].



**أهمية البحث وأسباب اختياره:**

١) أن له ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم، والذي هو المصدر الأول لتلقي العقيدة.

٢) أن أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تناقش موضوعات هي من أكبر موضوعات العقيدة وأهمها؛ كتوحيد الله تعالى، وإثبات الوحي وصدق الرسالة، والإيمان بالغيب وغيرها.

٣) أن دراسة الآيات التي ذكر فيها الإعجاز العلمي، يكشف عن مدى صحة الاستدلال به على قضايا العقيدة عند الممارسين له والقائلين به.

٤) تصحيح مسار الاستدلال بالإعجاز العلمي على قضايا العقيدة ليكون ذا منهج سليم.



---

(١) انظر: الإعجاز العلمي تأصيلاً ومنهجاً، عبدالمجيد الزنداني، ومجلة الإعجاز العلمي، العدد الأول، صفر ١٤١٦هـ وسيأتي مناقشة هذا التعريف في المبحث الأول من الفصل الأول.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية، إعداد مجموعة من الباحثين ٢/ ٢٨٥، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد عمر ٣/ ١٩٧٤، والإعجاز العلمي للآيات الكونية، د. مشكور العوادي ص٥، وعلاقة الظواهر الكونية بولادة الأنبياء وموتهم، د. محمد أبو رحيم ص٢٣٧.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٤٣٤، ومنهاج السنة، ابن تيمية ٢/ ١٦٣، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية ٣/ ٣٧٥، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، د. عثمان علي حسن ١/ ٢٧-٤٠.

**الدراسات السابقة:**

بعد التتبع والبحث للدراسات والبحوث والمؤلفات والرسائل العلمية التي تناولت موضوع البحث أو جزءاً منه بالدراسة فيمكن حصرها في قسمين:

**القسم الأول: الدراسات التي تناولت الموضوع من جانب عقدي.**

**وهي دراستان:**

١) منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية "دراسة نقدية"، للدكتور سعود بن عبدالعزيز العريفي، وهو بحث محكم نشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العدد (٤٣) ذو الحجة عام ١٤٢٨هـ ويقع البحث في ثمان وعشرون صفحة، وقسمه الدكتور إلى أربعة مباحث:

الأول: قواعد في منهج الاستدلال بالقرآن على النبوة.

الثاني: خلاصة موقف العلماء من التفسير العلمي للقرآن الكريم.

الثالث: منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على الربوبية.

الرابع: منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة.

والبحث مختصر جداً، والموضوع واسع، وقد اجتهد الدكتور في تحديد معالم المنهج الصحيح في الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية، ونقد الطريقة السائدة التي عالجت هذه المسألة، ولهذا أوصى الدكتور سعود بضرورة القيام بدراسات متخصصة في نقد نتاج الإعجاز العلمي، وهذا ما سيكشف عنه هذا البحث إن شاء الله تعالى.

٢) ضوابط الاستشهاد بالعلم التجريبي في تأييد الوحي "دراسة تأصيلية تطبيقية"، للباحثة ماجدة حضيري العنزي، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية التربية قسم الثقافة الإسلامية بجامعة حائل عام ١٤٣٣هـ/ ١٤٣٤هـ.

وتقع الرسالة في (٢١٠) صفحة، عرضت الباحثة في (١٠٨) صفحة لثلاث قضايا:

الأولى: الضوابط في الاستشهاد بالعلم التجريبي، وقسمتها إلى ثلاثة أنواع:

- ◊ ضوابط عامة تشمل نصوص الكتاب وسنة رسول الله ﷺ، وذكرت ثلاثة ضوابط.
- ◊ ضوابط متعلقة بنصوص السنة، وذكرت ضابطين.
- ◊ ضوابط متعلقة بالشواهد التجريبية، وذكرت ضابطاً واحداً.

**الثانية:** نماذج من الشواهد التجريبية في تأييد الوحي، واقتصرت فيه على نموذجين من القرآن، وثلاثة من السنة، وواحد مشترك بينهما، وكل النماذج تدور حول خلق الإنسان.

**الثالثة:** محاذير في الاستشهاد بالعلم التجريبي، وذكرت أربعة محاذير.

ودراسة الباحثة محصورة في بيان الضوابط والمحاذير كما هو عنوان البحث، ولم تُعن بالقضايا العقدية التي أريد تقريرها بالإعجاز العلمي، وبكيفية فهم الآيات العقدية والاستدلال بها.

**القسم الثاني: الدراسات التي تناولت موضوع الإعجاز العلمي من جوانب أخرى متعددة.**

وهذه الدراسات قسَّمتها إلى ثلاثة أنواع:

**النوع الأول:** الدراسات التي تناولت التفسير العلمي ومذاهب الناس فيه، مع ذكر لأشهر التطبيقات عليه، ومنها:

١) التفسير العلمي للقرآن الكريم "دراسة وتقويم"، للباحث عبدالله بن عبدالله الأهدل، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين قسم القرآن وعلومه، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٠هـ.

٢) التفسير العلمي للقرآن الكريم، للباحث صلاح عبد علي، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة بغداد ١٩٨٧م.

٣) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، للدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومي، وهي رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين بقسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عام ١٤١٨هـ.

٤) التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، للدكتوره هند شلبي، الأستاذه المساعده في كلية الزيتونة بالجامعة التونسية، طبع مطبعة تونس قرطاج، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ.

٥) التفسير العلمي للقرآن في الميزان، للدكتور أحمد عمر أبو حجر، طبع دار قتيبة بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ.

وهذه الدراسات تذكر موضوع الإعجاز العلمي تبعاً لبيان العلاقة بينه وبين التفسير العلمي، ويغلب عليها تناول الموضوع من جانب التخصص في تفسير القرآن، مع إشارتها للجانب العقدي في بعض المواضع إشارات يسيرة في كلمات مختصرة.

**النوع الثاني**: الرسائل العلمية التي تناولت موضوع الإعجاز العلمي خصوصاً، ومما وقفت عليه مايلي:

١) الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، للباحث عبد السلام حمدان اللوح، وهى رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية في غزة، ونوقشت عام ١٩٨٦م، وناقشت الدراسة الإعجاز العلمي بين مؤيديه ومعارضيه مع عرض لنماذج من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في عوالم عدة (الكون، والإنسان، والحيوان والنبات، والحشرات والطب)، وبين الباحث هدفه من الدراسة فقال: "أما هدف البحث وغايته فهو تجلية الإعجاز العلمي في القرآن من خلال تجلية آراء العلماء في الإعجاز العلمي، والخروج برأي بعد المناقشة لآراء كل من المؤيدين والمعارضين"(١).

ولم يُبرز الباحث الجانب العقدي للإعجاز العلمي في استدلاله بالآيات على المسائل العقدية.

٢) الإعجاز العلمي في تفسير (في ظلال القرآن لسيد قطب)، للباحث مصطفى عمار عبد الغفار الشنشاوي، وهى رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية العلوم الإسلامية قسم القرآن وعلومه بجامعة المدينة العالمية بماليزيا عام ١٤٣٢هـ والدراسة تهدف لبيان موقف الأستاذ سيد قطب من الإعجاز العلمي ومسائله، مع مناقشة أثر الإعجاز العلمي في توسيع فهم معاني الآيات القرآنية، ولم تشر للجانب العقدي والمسائل التي استدل بالإعجاز العلمي عليها.

**النوع الثالث**: المؤلفات التي وضعت للنظر في الإعجاز العلمي وتقويمه، ومما وقفت عليه:

١) كتاب الإعجاز العلمي إلى أين، مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، للدكتور مساعد ابن سليمان الطيار، طبع دار ابن الجوزي بالدمام عام ١٤٣٣هـ ويقع في (١٩٢)صفحة. والكتاب مجموعة مقالات كتبها الدكتور في أوقات متباعدة كان أولها عام ١٤٢٣هـ وآخرها عام ١٤٢٧هـ وكتبها في تصحيح مسار الإعجاز العلمي في أمرين رئيسين هما:

**الأول**: تقويم المفاهيم في مصطلح الإعجاز العلمي.

**الثاني**: تصحيح طريقة معالجة تفسير السلف في بحوث الإعجاز العلمي.

---

(١) الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ص ج.

والكتاب مختصر جداً، وهو يتناول الموضوع من جانب علاقته بالتفسير، ولم يتناوله من جانب عقدي إلا في إشارات يسيرة متفرقة لا تتجاوز بضع صفحات، وقد قال الدكتور: "إن في الموضوع قضايا كثيرة تحتاج إلىٰ تجلية وإيضاح، ولولا ضيق المقام لأشرت إليها"[1]، وبحثي سيتناول قضية الإعجاز العلمي من جانب عقدي.

٢) ضوابط الاستدلال بالسنة النبوية علىٰ مسائل الإعجاز العلمي، للدكتور عبدالمحسن بن عبدالله التخيفي، وهو بحث محكم نشر في مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية والدراسات الإسلامية، المجلد (٢٣) العدد (٢) عام١٤٣٢هـ ويقع في ثلاث وثلاثين صفحة، والبحث يهدف إلىٰ الكشف عن أهم الضوابط التي ينبغي الأخذ بها عند الاستدلال بالسنة النبوية علىٰ مسائل الإعجاز العلمي، وذكر عشر ضوابط: أربعة منها خاصة بالسنة النبوية، وستة عامة.

وعليه فموضوع البحث في السنة النبوية، بينما بحثي موضوعه القرآن الكريم، وأيضاً لم يتطرق البحث لكثير من المباحث التي سيناقشها بحثي، ومن أهمها الجانب العقدي، والمسائل التي استدل بالإعجاز العلمي عليها.

وبعد فهذه دراسات تناولت الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وسيكون هذا البحث امتداداً واستكمالاً لهذه الجهود.



**أهداف البحث:**

١) التعرف علىٰ المراد بالآيات الكونية في القرآن الكريم، والحِكَم العقدية من ذكرها.

٢) بيان أسباب نشأة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وموقف العلماء منه.

٣) توضيح علاقة تعريف الإعجاز العلمي بمفهوم المعجزة عند علماء السنة والجماعة.

٤) تصحيح مسار الإعجاز العلمي في استدلاله بالآيات القرآنية لتقرير القضايا العقدية، وبيان ضوابط الاستدلال به علىٰ قضاياها.



(١) الإعجاز العلمي إلىٰ أين ص٣٨.

**أسئلة البحث:**

١) ما المراد بالآيات الكونية في القرآن الكريم، وما الحِكَم العقدية من ذكرها؟

٢) ما أسباب نشأة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وما موقف العلماء منه؟

٣) ما علاقة تعريف الإعجاز العلمي بمفهوم المعجزة عند علماء السنة والجماعة؟

٤) ما المسار الصحيح في استدلال الإعجاز العلمي بالآيات القرآنية لتقرير القضايا العقدية؟ وما ضوابط الاستدلال به علىٰ قضاياها؟



**منهج البحث:**

المنهج الاستقرائي الاستنتاجي، والمنهج التحليلي النقدي، وذلك بتتبع الآيات القرآنية التي تناولها بعض النتاج المكتوب للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وتحليل أقوالهم فيها، ونقد ما يحتاج إلىٰ نقد وتصحيح.

**خطة البحث:**

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وسبعة فصول.

**المقدمة:** وفيها أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، وخطة البحث، ومنهجه.

**التمهيد: وفيه:**

- القواعد العلمية العامة في تفسير القرآن الكريم.
- المراد بالآيات الكونية والحِكَم العقدية من ذكرها في القرآن الكريم.

**الفصل الأول: الإعجاز العلمي تعريفه ومذاهب العلماء فيه.**

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: التعريف بالإعجاز العلمي ونشأته.
- المبحث الثاني: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.
- المبحث الثالث: أسباب القول بالإعجاز العلمي.
- المبحث الرابع: مذاهب العلماء في الإعجاز العلمي وأدلتهم.

**الفصل الثاني: الإعجاز العلمي وعلاقته بمفهوم المعجزة.**

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: مفهوم المعجزة عند العلماء.
- المبحث الثاني: علاقة الإعجاز العلمي بشروط المعجزة.

**الفصل الثالث: الإعجاز العلمي وعلاقته بمسائل الغيب.**

**وفيه ثلاثة مباحث:**

- **المبحث الأول:** النبوءات الغيبية في القرآن وعلاقة الإعجاز العلمي بها.
- **المبحث الثاني:** تكييف الأمور الغيبية وعلاقة الإعجاز العلمي به.
- **المبحث الثالث:** الإعجاز العلمي ونشأة الكون ونهايته.

**الفصل الرابع: الإعجاز العلمي والاستدلال به على التوحيد.**

**وفيه مبحثان:**

- **المبحث الأول:** الإعجاز العلمي والاستدلال به علىٰ توحيد الربوبية.
- **المبحث الثاني:** الإعجاز العلمي والاستدلال به علىٰ توحيد الألوهية.

**الفصل الخامس: الإعجاز العلمي والاستدلال به على النبوة وآياتها.**

**وفيه ثلاثة مباحث:**

- **المبحث الأول:** تضمن الكتب السابقة مسائل الإعجاز العلمي.
- **المبحث الثاني:** آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والإعجاز العلمي.
- **المبحث الثالث:** الإعجاز العلمي والاستدلال به علىٰ نبوة الرسول ﷺ ومعرفته بتفاصيل الحقائق العلمية.

**الفصل السادس: الإعجاز العلمي والأمثال القرآنية العقدية.**

**الفصل السابع: الاستدلال بالإعجاز العلمي على قضايا الاعتقاد: ضوابطه وآثاره.**

**وفيه مبحثان:**

- **المبحث الأول:** ضوابط الاستدلال بالإعجاز العلمي علىٰ قضايا الاعتقاد.
- **المبحث الثاني:** آثار الاستدلال بالإعجاز العلمي علىٰ قضايا الاعتقاد.

**الخاتمة:** وفيها نتائج البحث، والتوصيات.

**الفهارس: وهي:**

- فهرس الآيات القرآنية موضع الدراسة.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.



**إجراءات البحث:**

١) قراءة كتب ومجلات ومقالات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؛ لاستخراج الآيات القرآنية التي لها صلة بالعقيدة، وذكر أن فيها إعجازاً علمياً.

٢) يتم البدء في كل فصل ومبحث بتمهيد مجمل للقضية المراد بحثها، ثم تعرض الآيات التي ذكر فيها الإعجاز العلمي، ثم تعرض أقوال واجتهادات القائلين بالإعجاز العلمي.

٣) عند ذكر أقوال المعتنين بالإعجاز العلمي في الآيات، أذكر أبرز القائلين عند اتفاقهم، وأذكر البقية في الحاشية، وعند اختلاف أقوالهم أذكرهم جميعاً.

٤) عند ذكر الآيات التي لها صلة بالعقيدة، والتي يُدَّعىٰ فيها أعجاز علمي، فإني أذكر فهم أصحاب الإعجاز العلمي لها، ثم أنقد ذلك نقداً علمياً في ضوء الكتاب والسنة، ووفق فهم سلف هذه الأمة؛ ببيان معتقد أهل السنة والجماعة في المسألة العقدية التي اشتملت عليها الآيات، وبيان معناها كما فهمها السلف من المفسرين، ثم أوازن بما فهمه أصحاب الإعجاز العلمي من معناها.

٥) العمل بالمنهج المتبع في الأبحاث العلمية، ومن ذلك:

- تقسيم البحث إلىٰ تمهيد وفصول ومباحث وخاتمة.
- عزو الآيات القرآنية، بكتابة اسم السورة ورقم الآية بعد الآية مباشرة.
- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين اكتفيت به، وإلا خرجته من الكتب الستة، مع ذكر أقوال أئمة الحديث في الحكم عليه.
- ذكر بيانات المرجع كاملة في قائمة المراجع، دون ذكرها في الحواشي.
- إيضاح الألفاظ الغامضة بالرجوع إلىٰ القواميس التي تعتني بذلك.
- التعريف بالأعلام غير المشهورين.
- تذييل البحث بالفهارس اللازمة، كما في خطة البحث.



## شكر وعرفان:

هذا وإني أحمد الله ﷻ ظاهراً وباطناً، وأثني عليه بما هو أهله، لا أحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه، وأسأله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه، نافعاً لي يوم العرض عليه، وأن يعفو عما وقع لي فيه من خطأ أو تقصير، وأن يوفقني للسداد، ويهديني سبيل الرشاد.

كما أسأله ﷻ أن يرحم والديّ كما ربياني صغيراً، وأن يغفر لهما، ويعلي درجاتهما في جنات النعيم، وأن يجعل هذا العمل من العلم النافع الذي يُنتفع به فيصل أجره إليهما.

وأشكر بعد شكر الله تعالى كل من أعانني على إتمام هذا البحث، وأخص بالشكر زوجتي وأبنائي الذين صبروا على تفرغي للدراسة والبحث، فاسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء، وأن يكتب لهم الأجر، وأن يصلحهم ويصلح بهم.

كما أشكر لأهل الفضل فضلهم، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور أحمد بن عثمان المزيد حفظه الله، الذي أشرف على هذا البحث، ولم يدخر جهداً في توجيهه وتصويبه، فأعلى الله درجته، ورفع ذكره وقدره، وبارك له في علمه وعمله.

كما أشكر المشرف المساعد، الأستاذ الدكتور مساعد بن سليمان الطيار حفظه الله، الذي لم يدخر جهداً في نصائحه وتوجيهاته، والتي استفدت منها كثيراً أثناء إعداد خطة البحث وكتابته، فأعلى الله منزلته، ورفع ذكره وقدره، وبارك له في علمه وعمله.

كما أشكر الأساتذة الكرام:

- الأستاذ الدكتور: إبراهيم بن عبدالله الحماد.
- الأستاذ الدكتور: سليمان بن قاسم العيد.
- الأستاذ الدكتور: سهل بن رفاع العتيبي.

على مناقشتهم لهذه الرسالة، وبذل النصح والتوجيه، فشكر الله لهم، وأجزل لهم الأجر والمثوبة.

والشكر موصول إلى جميع المسؤولين في جامعة الملك سعود، وإلى كلية التربية، وإلى جميع الأساتذة الذين أخذت عنهم العلم داخل الجامعة وخارجها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.





# التمهيد

وفيه:

- أولاً: القواعد العلمية العامة في تفسير القرآن الكريم.
- ثانياً: المراد بالآيات الكونية والحِكَم العقدية من ذكرها في القرآن الكريم.

## أولاً: القواعد العلمية العامة في تفسير القرآن الكريم.

لقد أنزل الله تعالىٰ القرآن الكريم، وجعله مباركـًا، قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام:٩٢]، وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥]، واتباع القرآن يكون بتدبر آياته، والعمل بما تضمنته من أحكام وتوجيهات، ولذا ورد التحضيض علىٰ تدبره، وتوبيخ من لم يتدبره، قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤].

ومن العلوم الشريفة التي يتحصل بها تدبر الآيات والتأمل فيها، علم التفسير الذي موضوعه كلام الله تعالىٰ، وشرف العلم يكون بشرف موضوعه.

وقد ألف العلماء مؤلفات كثيرة في تفسير القرآن الكريم، وتوضيح معانية، كما ألفوا مؤلفات عدة في قواعد التفسير، التي تضبط الفهم والنظر، عن الميل والشطط، فيلزم من حصلها جادة الصواب[1]، ولقد تنوعت طرائقهم في عدها وجمعها، وفي شرحها

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، والبرهان في علوم القرآن، الزركشي ٢/ ١٩٧، والتيسير في قواعد علم التفسير، محمد بن سليمان الكافيجي، والقواعد الحسان لتفسير القرآن، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، وأصول التفسير وقواعده، خالد بن عبدالرحمن العك، وقواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ، =

وتوضيحها.

وفي هذا التمهيد لا يمكن حصر هذه القواعد، أو الإتيان على أغلبها، ولذا سأشير إلى بعضها مما ينبغي لكل من تصدر لتفسير القرآن الكريم أو آية منه، أن يلتزم بها ويراعيها.

**القاعدة الأولى: العلم بالعلوم الضرورية التي يحتاجها المفسر[١].**

فإن المتصدي للتفسير قد تصدى لمهمة عظيمة؛ لأنه يفسر كلام الله تعالى، ولذلك يحتاج من العلوم ما يبين له معاني الآيات، ويوضح له مقصودها، وحسبه من كل علم ما يحقق المراد، ومن هذه العلوم:

- الدراسات القرآنية. ومن أهمها: تفسير القرآن، وعلم المكي والمدني، وعلم الناسخ والمنسوخ وغيرها.
- أصول التفسير وقواعده. ومن أهمها: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وتفسير القرآن بلغة العرب.
- اللغة العربية، ووجوه البلاغة فيها: فالقرآن أنزل بلسان عربي مبين، ولا يتأتى فهم ألفاظه والتعمق في معانيه، والإلمام بدلالاتها إلا بها.

قال البيضاوي[٢] ﷺ: "فإن أعظم العلوم مقداراً وأرفعها شرفاً ومناراً، علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها، لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها، وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها"[٣].

---

= عبدالرحمن حبنكة الميداني، وقواعد وفوائد لفقه كتاب الله تعالى، عبدالله بن محمد الجوعي، ومناهج المفسرين، د. محمود النقراشي ص٢٢، وتفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي بن سليمان العبيد، وقواعد التفسير جمعاً ودراسة، د. خالد بن عثمان السبت، ومجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد ١٩، عام١٤٢١هـ وتعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د. صلاح الخالدي ص٥١-٦٠.

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٢/ ١٤٨، والموافقات، الشاطبي ٣/ ٢٢١، ٢٢٦، والإتقان، السيوطي ٢/ ١٨٠، والبحر المحيط، أبي حيان ١،٣، ٦، ١٣، ١٤، ومناهل العرفان، الزرقاني ٢/ ٥١، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ١/ ١٨.

(٢) هو: ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد، ولد في مدينة البيضاء قرب شيراز من بلاد فارس، ولم يُذكر تاريخ ولادته، تولى قضاء شيراز، أثنى العلماء عليه وعلى مؤلفاته، توفي في تبريز سنة ٦٩١هـ وقيل: سنة ٦٨٥هـ انظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي ٨/ ١٥٧، والبداية والنهاية، ابن كثير ١٣/ ٣٠٩.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٢٣.

**القاعدة الثانية: العلم بأقوال المفسرين من الصحابة ومن بعدهم.**

فإن الصحابة ﷺ شهدوا تنزل الوحي، وصحبوا الرسول ﷺ، وكانوا أهل فصاحة وبلاغة، وفهم ثاقب، مع ما جعله الله ﷻ فيهم من الخشية والزهد والورع، والمناقب الجليلة، ولذا كانوا أولىٰ الناس بعد النبي ﷺ بفهم معاني القرآن الكريم ومقاصده[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "والمعرفة لمعاني كتاب الله إنما تؤخذ من هذين الطريقين: من أهل التفسير الموثوق بهم من السلف، ومن اللغة التي نزل القرآن بها، وهي لغة العرب"[٢].

**القاعدة الثالثة: أن تحمل ألفاظ القرآن الكريم على ظاهرها إلا لدليل يصرفه عنه[٣].**

فالقرآن أنزله الله ﷻ بلسان عربي مبين، علىٰ نبي عربي من العرب، وخاطب به أول من خاطب أمة عربية، فهو مفهوم لدىٰ المخاطبين به، كي تقوم الحجة، وتنقطع المعذرة.

ولذلك تحمل ألفاظه علىٰ الظاهر، ولا يجوز حملها علىٰ غيره إلا بدليل يوجب التسليم له، قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "فمن ادعىٰ في التنزيل ما ليس في ظاهره، كلف البرهان علىٰ دعواه من الوجه الذي يجب التسليم له"[٤]، وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي[٥] ﷺ: "والقاعدة المقررة في الأصول: أن ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه"[٦].



---

(١) انظر: إجمال الإصابة في أقوال الصحابة، صلاح الدين العلائي ص ٦٤.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٦/ ٥٨٧.

(٣) انظر: قواعد التفسير، د. خالد بن عثمان السبت ٢/ ٦٦٤، ٨٥٨.

(٤) جامع البيان ٨/ ٧٢١.

(٥) هو: محمد الأمين بن محمد المختار، عالم مفسر، ولد في بلاد موريتانيا عام ١٣٢٥هـ طلب العلم مبكراً، ثم رحل إلىٰ الحج، وآثر البقاء في المملكة العربية السعودية، وتتلمذ علىٰ علمائها، وتولىٰ التدريس في المعاهد والكليات الشرعية، توفي بمكة عام ١٣٩٣هـ. انظر: علماء ومفكرون عرفتهم، المجذوب ١/ ١٧١.

(٦) أضواء البيان ٤/ ١٥٩.

**القاعدة الرابعة: مراعاة سياق الآية والآيات قبلها وبعدها[(١)].**

فإن قطع الآية عن سياقها يوقع في الغلط والانحراف، ويحمل آيات القرآن من المعاني مالم تدل عليه، أو ترشد إليه، فإن "السياق مرشد إلىٰ تبين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحاً، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذماً، فما كان مدحاً بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذماً واستهزاءً وتهكماً بعرف الاستعمال، مثاله: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩] أي: الذليل المهان لوقوع ذلك في سياق الذم، وكذلك قول قوم شعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود:٨٧] أي: السفيه الجاهل لوقوعه في سياق الإنكار عليه، وكذلك: ﴿إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ [الأحزاب:٦٧] لوقوعه في سياق ذمهم بإضلال الأتباع.

وأما ما يصلح للأمرين فيدل علىٰ المراد به السياق، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] أراد به عظيماً في حسنه وشرفه لوقوع ذلك في سياق المدح، وقوله: ﴿إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء:٤٠] أراد به عظيماً في قبحه لوقوع ذلك في سياق الذم"[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن، تبين له المراد، وعرف الهدىٰ والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج، وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه، فهذا منشأ الغلط من الغالطين، لاسيما كثير ممن يتكلم فيه بالاحتمالات اللغوية، فإن هؤلاء أكثر غلطاً من المفسرين المشهورين، فإنهم لا يقصدون معرفة معناه كما يقصد ذلك المفسرون"[(٣)].



(١) انظر: السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، د. سعد الشهراني ص٤٠، وتفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي العبيد ص١٠٣، ودلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، د. عبدالحكيم القاسم.
(٢) الإمام في بيان أدلة الأحكام، عز الدين ابن عبدالسلام ص١٥٩-١٦٢.
(٣) مجموع الفتاوىٰ ١٥/ ٩٤.



**القاعدة الخامسة: مراعاة دلالات الألفاظ:**

من العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والأمر والنَّهي، والمنطوق والمفهوم، وملاحظة من يوجه له الخطاب، إن كان خاصًّا أو عامًّا، أو خاصًّا أريد به العام، أو عامًّا أريد به الخاص، وهكذا[١]، فبمراعاة هذه الدلالات "يحصل للعبد خير كثير، وعلم غزير، وبإهمالها وعدم ملاحظتها، يفوته علم كثير، ويقع الغلط والارتباك الخطير"[٢].



**القاعدة السادسة: أن لا تُحمل ألفاظ القرآن الكريم على اصطلاح حادث[٣].**

فيجب حمل ألفاظ القرآن على معهود الأميين في الخطاب، وما كان مستعملاً في عصر نزوله، قال الإمام الشاطبي[٤] ﷺ: "لا بد في فهم الشريعة من إتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف، فلا يصح أن يجرىٰ في فهمها علىٰ ما لا تعرفه"[٥].

وبين الإمام ابن القيم ﷺ أن تفسير الألفاظ بغير معهودها يؤثر علىٰ المعاني، وينقص من رتبتها، حيث قال: "للقرآن عرف خاص، ومعان معهودة، لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه، فإن نسبة معانيه إلىٰ المعاني كنسبة ألفاظه إلىٰ الألفاظ بل أعظم، فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها، ولها من الفصاحة أعلىٰ مراتبها التي يعجز عنها قُدَر العالمين، فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به، بل غيرها أعظم منها وأجل وأفخم، فلا يجوز حمله علىٰ المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي

---

(١) انظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع ص٤٢٥.
(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن، السعدي ص١١، وانظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية ص ١٥-١٧.
(٣) انظر: قواعد التفسير، د. خالد بن عثمان السبت ١/ ٢٣٠.
(٤) هو: إبراهيم بن موسىٰ بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، من أئمة المالكية، لم تذكر سنة ولادته، نشأ في غرناطة، وبها طلب العلم، وفيها أصبح عالماً مفتياً، توفي عام ٧٩٠هـ. انظر: الأعلام، الزركلي ١/ ٧٥، وهدية العارفين، البغدادي ١/ ١٨، ومعجم المؤلفين، كحالة ١/ ١١٨.
(٥) الموافقات ٢/ ١٣١.

الإعرابي، فتدبر هذه القاعدة ولتكن منك على بال، فإنك تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها، وتقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه"[١].



**القاعدة السابعة: فهم حقيقة الخلاف في تفسير القرآن بين السلف.**

فقد نقل عن الصحابة ﷺ والتابعين أقوالاً في تفسير بعض الآيات، وحكي بينهم خلاف في بيان المراد بها، فيفسر أحدهم الآية بنوع، ويفسرها الآخر بنوع آخر، فكل عبر عن معنى في الآية بنوع غير النوع الذي ذكره الآخر، وهذا يسمى عند العلماء بـ (اختلاف التنوع)[٢]، قال سفيان بن عيينة ﷺ: "ليس في تفسير القرآن اختلاف، إنما هو كلام جامع يراد منه هذا وهذا"[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وذلك صنفان:

**أحدهما:** أن يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى...

**الصنف الثاني:** أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه"[٤].

وقال عند بيانه لتفسير القرآن بأقوال التابعين: "فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ، يحسبها من لا علم عنده اختلافاً، فيحكيها أقوالاً وليس كذلك، فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادي"[٥].

(١) بدائع الفوائد ٣/ ٢٧-٢٨.
(٢) انظر: تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي العبيد ص١١٦، وقواعد التفسير، د. خالد السبت١/ ٢٠٨.
(٣) انظر: فتح القدير، الشوكاني ١/ ١٤.
(٤) مقدمة في أصول التفسير ص ١١-١٤.
(٥) المرجع السابق ص٤٥.

**القاعدة الثامنة: معرفة موضوع القرآن الكريم وهدفه.**

فإن ذلك يعصم من الوقوع في الانحراف والزلل، الذي وقع فيه بعض المفسرين الذين انحرفوا في تفاسيرهم عن مقصود القرآن الذي أنزله الله هدىً للناس، وأقوم لهم في عقائدهم، وعباداتهم، وأخلاقهم، وعلاقتهم فيما بينهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٩].

قال د. علي بن سليمان العبيد:" وقد لوحظ أن بعض من تصدىٰ للتفسير أخذ يتلمس بعض العلوم - كالفلك، والكيمياء، وطبقات الأرض، والطب... وغير ذلك - من القرآن الكريم، وأغرق في ذلك... فأبعدوا القرآن عن هدفه"[١].

والقرآن الكريم عند ذكره لآيات الله تعالىٰ في الآفاق وفي الأنفس، لا يذكرها لمجرد الذكر، أو لزيادة المعارف العلمية بالكون وتفاصيله، وإنما يذكرها لحكم عظيمة، ومقاصد عاليه، ومطالب شريفة، أهمها تقرير توحيد الله تعالىٰ، وأنه المستحق للعبادة، كما سيأتي في التمهيد التالي.



(١) تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه ص٩٥-٩٦، وانظر: الموافقات، الشاطبي ٢/ ١٣١، وقواعد التفسير، د. خالد السبت ١/ ٢١٨-٢١٩.

**ثانياً: المراد بالآيات الكونية والحِكَم العقدية من ذكرها في القرآن الكريم.**

**المراد بالآيات الكونية:**

الآيات الكونية كلمة مركبة من لفظتين (الآيات) و(الكونية)، وسأعرف بكل لفظة على حدة، ثم أعرف بها مركبة.

**١- تعريف الآيات في اللغة وإطلاقاتها في القرآن الكريم:**

الآيات مفرد الآية، وأصلها من أيي بياءين، فقلبت عينها ألفاً، فأصبحت آية، وقيل إنها من أوي، من قولها أوىٰ إليه، ويرىٰ الراغب الأصفهاني[١] ﷺ أن الصحيح أنها مشتقة من التأيي الذي هو التثبيت والإقامة علىٰ الشيء[٢].

**وتطلق الآية في اللغة على:** العلامة، والجماعة، والعجب، والدليل، والعبرة، والإمارة[٣].

**وتطلق في القرآن الكريم على معنيين:**

**الأول:** علىٰ الآية الشرعية الدينية، كآيات القرآن العظيم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية:٦].

**الثاني:** علىٰ الآية الكونية القدرية[٤]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فُصِّلَت: ٣٧].

والآية الكونية القدرية هى بمعنىٰ الآية اللغوية التى هي العلامة؛ لأن الآيات الكونية علامات قاطعة علىٰ أن خالقها هو الرب المعبود وحده.

وأما الآية الشرعية الدينية، فقال بعض العلماء: إنها أيضا من الآية التي هي العلامة؛

(١) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني، أديب، من الحكماء العلماء، سكن بغداد، توفي عام ٥٠٢ هـ انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٢١، وبغية الوعاة، السيوطي ٢/ ٢٩٧.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص١١١، وانظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٢/ ٦٣، ولسان العرب، ابن منظور ١/ ١٨٥-١٨٧، والبرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي ١/ ٢٦٦.

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ١٦٨، وتاج العروس، الزبيدي ٣٧/ ١٢٢، ولسان العرب، ابن منظور ١٤/ ٦١ وما بعدها، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي ص١٦٣١.

(٤) انظر: مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية ١١/ ٣٢٢-٣٢٣، وأضواء البيان، الشنقيطي ٧/ ٣٣٩.

لأن آيات هذا القرآن العظيم علامات على صدق من جاء بها، لما تضمنته من برهان الإعجاز، أو لأن فيها علامات يعرف بها مبدأ الآيات ومنتهاها.

وقال بعض العلماء: إنها من الآية بمعنى الجماعة، لتضمنها جملة وجماعة من كلمات القرآن وحروفه(1).

وذكر بعضهم(2) إطلاقاً ثالثاً للآية، وهو على المعجزات التي يؤتيها الله رسله لإثبات صدق بلاغهم عن الله تعالى، مثل انشقاق البحر لموسى ﷺ، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى -بإذن الله- لعيسى ﷺ.

وهذا الإطلاق داخل في الثاني؛ لأن المعجزات لا تخرج عن كونها آيات كونية قدرية.

**٢- تعريف مصطلح الكون واطلاقاته:**

أ- الكون لغة: واحد الأكوان، (والكاف والواو والنون) أصل يدل على الإخبار عن حدوث شيء، إما في زمن ماض، أو زمن راهن، يقولون: كان الشيء يكون كوناً إذا وقع وحضر، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، أي: حضر وجاء، ويقولون: قد كان الشتاء، أي: جاء وحضر.

وأما الماضي فقولنا: كان زيد أميراً، يريد أن ذلك كان في زمان سالف(3).

**ب- إطلاقات لفظ الكون:**

**يطلق لفظ الكون على معان منها:**

- **الحدَث**: يقال: وكوَّنه فتكوَّن: أحدثه فحدث، وكوّن الشيء: أحدثه.
- **إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود**: ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، فالله مكوِّن الأشياء يخرجها من العدم إلى الوجود(4).
- **التركيب بين أجزاء الشيء**: يقال: كوّن الشيء، ركبه بالتأليف بين أجزائه.

---

(١) انظر: التيسير في قواعد علم التفسير، الكافيجي ص ١٦٧-١٦٨، ومناهل العرفان، الزرقاني ١/ ٣٣١-٣٣٢، ودراسات في علوم القرآن الكريم، د. فهد الرومي ص١٢٦، والإعجاز في تناسب الآيات والسور وأثره في تدبر القرآن الكريم، د. أحمد بن عبدالله الفريح ص ١٣-١٤، ومفاتيح التفسير، د. أحمد الخطيب ١/ ٢٥.

(٢) انظر: تفسير محمد متولي الشعراوي ٨/ ٤٧٥٥، ٩/ ٥٧٤٧، والقرآن والكون، د. محمد عبدالله الشرقاوي ص٣٣.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/ ١٤٨.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/ ١٤٨، ولسان العرب، ابن منظور ٥/ ٣٩٥٩ - ٣٩٦٣، وتهذيب اللغة، الأزهري ١٠/ ٣٧٥ - ٣٧٦.

◈ **اسم لما يحدث دفعة**: كحدوث النور عقب الظلام مباشرة، وإن كان الحدث بالتدريج فهو الحركة، والكونان: الدنيا والآخرة(١).

الكون في الفيزياء وفي الفلك: يستعمل ليشير إلىٰ كل شيء موجود، من أصغر الذرات إلىٰ أكثر الأجرام الفلكية بعدًا(٢).

الفضاء الواسع: فيطلق علىٰ الفضاء الواسع وما به من أجرام، كالسماوات والأرض وما فيهن، وما بين ذلك من كل متحرك وساكن، مما علمه الإنسان وما جهله(٣).

**٣- المراد بالآيات الكونية:**

يتبين مما سبق أن المراد بالآيات الكونية: أنها المنسوبة إلىٰ الكون الذي هو الخلق الذي كونه الله تعالىٰ فكان، كالسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من سائر المخلوقات(٤)، فكل المخلوقات ذواتها، وصفاتها، وأحوالها من الآيات الكونية(٥)، قال تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ [فصلت: ٣٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

وهذه الآيات الكونية هي إحدىٰ مناطات الاستدلال العقلي علىٰ وجود الله تعالىٰ، وعلىٰ أن خالقها هو الرب المعبود وحده، وعلىٰ ما له من حكمة ورحمة وقدرة(٦).

والعلم الذي يُعنىٰ بدراسة الآيات الكونية الآن يسمىٰ: علم الكونيات، وهو دراسة تركيب الكون وتطوره وحركته في علم الفلك والفيزياء الفلكية، وشرح كيفية نشوء الكون، وماذا حدث له في الماضي، وماذا يمكن أن يحدث له في المستقبل(٧).

---

(١) انظر: المعجم الوسيط ٢/ ٨١٢، والمعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص٥٤٥.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية ٢/ ٢٨٥، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار ٣/ ١٩٧٤.

(٣) انظر: الأجزاء الكونية بين النقل والعقل، عبد العزيز آل عبد الله ص٧٧. وانظر: الموسوعة الفلكية، فايجرت؛ هـ. تسمرمان ص ٣٢٩، ٤٠٤، والآيات الكونية، دراسة عقدية، عبدالمجيد الوعلان ص ٢٣، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ص١١٣، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار ٣/ ١٩٧٤.

(٤) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري ١/ ١٤١، والإعجاز العلمي للآيات الكونية، د. مشكور العوادي ص٥.

(٥) انظر: تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين ٢/ ٣٦٠، وتفسير الشعراوي ١٠/ ٥٥٩٦، وعلاقة الظواهر الكونية بولادة الأنبياء وموتهم، د. محمد أبو رحيم ص٢٣٧.

(٦) انظر: النبوات، ابن تيمية ٢/ ٦٦١، ٧٧٧، وأضواء البيان، الشنقيطي ٧/ ٣٣٩.

(٧) انظر: الموسوعة العربية العالمية، إعداد مجموعة من الباحثين ٢٠/ ٣١٥-٣١٦.

**الحِكَم العقدية من ذكر الآيات الكونية في القرآن الكريم:**

لقد امتدح الله ﷻ المتفكرين في مخلوقاته، المستدلين بها على عظمته وإلاهيته، فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "وأما قوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فإنه يعني بذلك أنهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك، فيعلمون أنه لا يصنع ذلك إلا من ليس كمثله شيء، ومن هو مالك كل شيء ورازقه، وخالق كل شيء ومدبره، ومن هو على كل شيء قدير، وبيده الإغناء والإفقار، والإعزاز والإذلال، والإحياء والإماتة، والشقاء والسعادة...

وقوله: ﴿مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا﴾ يقول: لم تخلق هذا الخلق عبثًا ولا لعبًا، ولم تخلقه إلا لأمر عظيم، من ثواب وعقاب، ومحاسبة ومجازاة"[(١)].

"وذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته، وشرعه وقدره وآياته، فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦]"[(٢)].

والقرآن الكريم اشتمل على ذكر عدد كبير من الآيات الكونية في المخلوقات العلوية والسفلية، وذكر صفاتها، وأنواعها، وبيان المقاصد الكلية، والحِكَم العقدية العامة من ورودها، والتي يمكن إجمالها في أربعة مقاصد:

- **المقصد الأول:** الاستدلال بها على إثبات وجود الله ﷻ، وربوبيته، واستحقاقه للعبادة.
- **المقصد الثاني:** الاستدلال بها على أسماء الله تعالى وصفاته.
- **المقصد الثالث:** الاستدلال بها على بطلان الشرك وفساده.
- **المقصد الرابع:** الاستدلال بها على إثبات البعث واليوم الآخر.



(١) جامع البيان ٦/ ٣١١.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ١٨، وانظر: الفوائد، ابن القيم ص٤٠.

**المقصد الأول: الاستدلال بالآيات الكونية على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته واستحقاقه للعبادة:**

فالآيات الكونية لابد لها من خالق أوجدها، إذ لا يمكن أن تُوجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن تُوجَد صدفة؛ وذلك لافتقار المخلوق إلى الخالق، واحتياج المحدَث إلى المحدِث[(١)]، ولذلك يرشد الله تعالى إلى الاعتبار بما في الآفاق والأنفس من الآيات المشاهدة كخلق السماوات والأرض وما فيهما، وأن كل ذلك دال على حدوثها، وعلى وجود خالقها وحكمته[(٢)]، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

فالاستدلال على الخالق بمخلوقاته في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها، وهدى الناس إليها وبينها، وأرشد إليها[(٣)].

وقد أمر الله ﷻ بالنظر في آياته الكونية وبالتفكر فيها، والاستدلال بها على استحقاقه تعالى للعبادة، وعدم إشراك أحد من المخلوقين معه فيها، فالذي خلق وأوجد وصور، هو الذي يستحق أن يوحد ويعبد ويطاع، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٥٩-٦١]، وقال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١٦/ ٤٤٥، وشرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ١/ ٧٦، ولوامع الأنوار، السفاريني ١/ ٤٤، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، د. سعود العريفي ص٢٠٩ - ٢٢٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٣/ ٣٣١ - ٣٣٢، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٤١٩، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ١٨/ ٦٤، ٢٠/ ٢٢٣، ٢٣١، وإعجاز القرآن الكريم، د. محمد درويش ص٧٨٧-٧٨٨، والأسئلة القرآنية ودورها في تقرير رؤية الإسلام للوجود، عدد من الباحثين ص١٨-٢٢.

(٣) انظر: النبوات، ابن تيمية ص٤٨، ودرء تعارض العقل والنقل، له أيضاً ٧/ ٢١٩- ٢٢٤.

قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "معنىٰ ذلك: وفي أنفسكم أيها الناس آيات وعبر، تدلكم علىٰ وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه، إذ كان لا شيء يقدر علىٰ أن يخلق مثل خلقه إياكم، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتتفكروا فيه، فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم"[(١)].

وقال أبو الشيخ الأصبهاني[(٢)] ﷺ: "فإذا تفكر العبد في ذلك، استنارت له آيات الربوبية، وسطعت له أنوار اليقين، واضمحلت عنه غمرات الشك وظلمة الريب، وذلك إذا نظر إلىٰ نفسه وجدها مكونة مكنونة، مجموعة مؤلَّفة، مجزأة منضدة، مصورة متركبة، بعضها في بعض، فيعلم أنه لا يوجد مُدبَر إلا بمدبِر، ولا مُكوَّن إلا بمكوِّن، وتجد تدبير المدبر فيه شاهداً دالاً عليه، كما تنظر إلىٰ حيطان البناء وتقديرها، وإلىٰ السقف المسقف فوقه بجذوعه وعوارضه، وتطيين ظهره، ونصب بابه، وإحكام غلقه، ومفتاحه للحاجة إليه، فكل ذلك يدل علىٰ بانيه، ويشهد له، فكذلك هذا الجسم إذا نظرت إليه، وتفكرت فيه وجدت آثار التدبير فيه قائمة، شاهدة للمدبر دالة عليه، فقد أيقن الخلائق كلهم أنهم لم يكونوا من قبل شيئاً، ولا كان لهم في الأرض أثر ولا ذكر، فصاروا وهم لا يشعرون أنفساً معروفة مصورة مجسومة، قد اجتمعت فيها جوارح وأعضاء، بمقدار حاجتهم إليها، لم يزد لهم علىٰ ذلك ولم ينقص منها"[(٣)].

وقال الإمام ابن القيم ﷺ: "ولم يقسم في كتابه بشيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر، وهو سبحانه يقسم بما يقسم به من مخلوقاته؛ لتضمنه الآيات والعجائب الدالة عليه، وكلما كان أعظم آية وأبلغ في الدلالة، كان إقسامه به أكثر من غيره، ولهذا يعظم هذا القسم كقوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦]... والمقصود إنه سبحانه إنما يقسم من مخلوقاته بما هو من آياته الدالة علىٰ ربوبيته ووحدانيته"[(٤)].



(١) جامع البيان ٢١/ ٥٢٠.

(٢) هو: أبو محمد، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، المعروف بأبي الشيخ، ولد عام ٢٧٤ هـ له عدد من المصنفات، توفي عام ٣٦٩ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٦/ ٢٧٦، وشذرات الذهب، ابن العماد ٤/ ٣٧٣.

(٣) كتاب العظمة ١/ ٢٧١-٢٧٢، وانظر: شرح حديث النزول، ابن تيمية ص٢٧-٢٨.

(٤) مفتاح دار السعادة ١/ ١٩٧، وانظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٧/ ١٧٩، وجهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة، د. عبدالله العنقري ص١٧٣-١٨٤، وعناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، حسن أحمد ص٩٢.

**المقصد الثاني: الاستدلال بالآيات الكونية على أسماء الله وصفاته.**

فإن إبداع الخلق وإحكامه، يستلزم الإقرار بالخالق، ويستلزم ذلك الإقرار بعلمه، وبقدرته، وبعظمته، وبرحمته، وسائر أسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦١-٦٢]، وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [لقمان: ٢٩-٣٠]، وقال: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٨-٩]، ففي هذه الآيات وغيرها، ختم الله الكلام عن مظاهر قدرته في خلق الكون وما في الأرحام، بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلى(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "فإن كل ما يعلم ويقال، يدخل في معرفة الله، إذ لا موجود إلا وهو خلقه، وكل ما في المخلوقات من الصفات والأسماء والأقدار والأفعال، فإنها شواهد ودلائل على ما لله سبحانه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، إذ كل كمال في المخلوقات فمن أثر كماله"(٢).

وقال ابن جزي(٣) ﷺ: "فكل ما جاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات، والاعتبار في خلقة الأرض والسموات، والحيوان والنبات، والريح والأمطار، والشمس والقمر، والليل والنهار، وغير ذلك من الموجودات، فهو دليل على خالقه، ومنه إثبات الوحدانية، والرد على المشركين، والتعريف بصفات الله"(٤).



---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ١/ ٥٢، والأسماء الحسنى ومناسبتها للآيات التي ختمت بها في سورة البقرة وآل عمران والنساء، وداد يحيى عبدالجبار، وختم الآيات بأسماء الله الحسنى ودلالتها، د. علي العبيد، والأسماء الحسنى ومناسبتها للآيات التي ختمت بها من سورة النور إلى آخر القرآن، عواطف خياط.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٥٦٩-٥٧٠.

(٣) هو: أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة، ولد عام ٦٩٣هـ وفُقد في إحدى المعارك عام ٧٤١هـ. انظر: هدية العارفين، البغدادي ٢/ ١٦٠، والأعلام، الزركلي ٥/ ٣٢٥.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١٤.

**المقصد الثالث: الاستدلال بالآيات الكونية على بطلان الشرك وفساده.**

الشرك أعظم ذنب عصي الله تعالىٰ به، وقد تنوعت أدلة وبراهين القرآن في بيان بطلانه، ومن ذلك: لفت أنظار المشركين إلىٰ مظاهر عظمة الخالق ﷻ في الكون، وهذا ما جاءت بتقريره عدد من الآيات، منها: قول الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد:١٦].

وقوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج:٦١-٦٢].

وقوله ﷻ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان:٣].

وقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [لقمان:٢٩-٣٠].

وقال تعالىٰ في قصة مناظرة إبراهيم ﷺ مع المشرك الجاحد: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ففي هذه الآية حجة دامغة، وبرهان ساطع، لإقامة التوحيد، وللرد علىٰ أهل الشرك والجاحدين لإلهية الله تعالىٰ وربوبيته "فإن إبراهيم ﷺ لما أجاب المحاج له في الله بأنه الذي يحيي ويميت، أخذ عدو الله معارضته بضرب من المغالطة، وهو أنه يقتل من يريد، ويستبقي من يريد، فقد أحيا هذا وأمات هذا، فألزمه إبراهيم علىٰ طرد هذه المعارضة، أن يتصرف في حركة الشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها منها، إذا كان بزعمه قد ساوىٰ الله في الإحياء والإماتة، فإن كان صادقاً، فليتصرف في الشمس تصرفاً تصح به دعواه"[(١)].

---

(١) الصواعق المرسلة، ابن القيم ٢/ ٤٩٠-٤٩١.

**المقصد الرابع: الاستدلال بالآيات الكونية على إثبات البعث واليوم الآخر.**

فالإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان الستة، وقد دلت على ذلك الآيات القرآنية وأحاديث السنة النبوية، واتفق المسلمون على الإيمان به، ونقل أهل العلم الإجماع على ذلك(١)، وجاء القرآن الكريم مقرراً إثبات البعث واليوم الآخر، وراداً على من أنكره من المشركين والكفار، مستدلاً بالآيات الكونية، وذلك بعدة طرق منها:

**الطريقة الأولى:** الاستدلال بخلق الإنسان أول مرة على إمكان إعادته.

١- قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧-٧٩] فالذي خلق الإنسان وأنشأه من العدم، قادر أن يعيده مرة أخرى، فالإعادة أولى وأيسر وأهون، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧] "فاحتج بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، إذ كل عاقل يعلم علماً ضرورياً أن من قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز.

ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على مخلوقه وعلمه بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٩] فهو عليم بالخلق الأول، وتفاصيله وجزئياته، ومواده وصورته...وكذلك هو عليم بالخلق الثاني، وتفاصيله ومواده، وكيفية إنشائه، فإن كان تام العلم كامل القدرة، كيف يتعذر عليه أن يحي العظام وهي رميم"(٢).

قال د. محمد السيد الجليند: "تأمل معي هذه الآية الكريمة تجدها تنطلق من عالم الشهادة باعتباره واقعا محسوساً لا يمكن إنكاره، وتستدل به على الخلق الثاني، وقد تضمنت الآية عدداً من الأدلة تعتمد كلها على عالم الشهادة كركيزة أساسية للاستدلال على البعث:

---

(١) انظر: السنة، ابن أبي عاصم ٢/ ٤١٦، والإيمان، ابن منده ١/ ١٣٣، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي ٥/ ١٢٣٠، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث، الصابوني ص٢٥٧، والفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم ٤/ ٧٩، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية ٧/ ٣٥٧.

(٢) الصواعق المرسله، ابن القيم ٢/ ٤٧٤، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ١/ ٤٠٦



**الدليل الأول:** ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾... ونزلت الآية لتقول له: كيف تضرب لله الأمثال بهذه القطعة، وتنسى أنك كنت عدماً فأصبحت موجوداً؟ أليس الذي أوجدك من العدم أول مرة، قادراً على إعادتك مرة ثانية؟ ألا تكون الإعادة أهون من الخلق الأول؟.

**الدليل الثاني:** ثم جاءت الآية الثانية بدليل أكثر عموماً، فقال للرسول: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ليفهم المخاطب أن الذي تكفل بالخلق الأول من العدم، قادر على الخلق الثاني من وجود"[1].

٢- قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج: ٥-٧]

قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: "ذلك الله الذي هو الحقّ لا شك فيه، وأن من سواه مما تعبدون من الأوثان والأصنام باطل؛ لأنها لا تقدر على فعل شيء من ذلك"[2].

**الطريقة الثانية:** الاستدلال بخلق ما هو أعظم خلقاً من الإنسان، وهو خلق السموات والأرض، قال الله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٩]، فخلق السموات والأرض أعظم من إعادة الإنسان "وهذا من أبلغ الأدلة على المعاد، أي: أن الذي خلق

---

(١) الوحي والإنسان قراءة معرفية ص ١٧٤-١٧٥.

(٢) جامع البيان ١٦/ ٤٦٨.

السموات والأرض، وخلقها أكبر من خلقكم، كيف يُعجزه خلقكم -بعد ما تموتون- خلقاً جديداً، ونظير هذا في قوله في سورة يس: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس: ٨١]، أي: مِثل هؤلاء المنكرين، فهذا استدلال بشمول القُدَر للنوعين، وأنها صالحة لهما، فلا يجوز أن يثبت تعلقها بأحد المقدورَين دون الآخر، فكذلك قوله:(لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ) أي: من لم تعجز قدرته عن خلق العالم العلوي والسفلي، كيف يعجز عن خلق الناس خلقاً جديداً بعد ما أماتهم"[(١)].

قال الإمام ابن القيم ﷺ: "فأخبر سبحانه أن الذي أبدع السماوات والأرض على جلالتهما، وعظم شأنهما، وكبر أجسامهما وسعتهما، وعجيب خلقهما، أقدَر على أن يحيي عظاماً قد صارت رميماً، فيردها إلى حالتها الأولى"[(٢)].

**الطريقة الثالثة:** الاستدلال بإنزال الله ﷻ الماء من السماء، وإحياء الأرض به بالنبات.

فمن أحيا الأرض بعد موتها، قادر على إحياء الناس بعد موتهم؛ لأنّ الجميع أحياء بعد موت، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠]

"فدل سبحانه عباده بما أراهم من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه، على الإحياء الذي استبعدوه، وذلك قياس إحياء على إحياء، واعتبار الشيء بنظيره"[(٣)].

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ١٩٨، وانظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٣/ ٢٩٩، ودرء تعارض العقل والنقل، له ١/ ٣٢.
(٢) الصواعق المرسلة ٢/ ٤٧٦، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ٢/ ٥٩٥.
(٣) إعلام الموقعين، ابن القيم ١/ ١٠٧.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥]، ففي هذه الآية يقرر الله تعالى وحدانيته، وبطلان مايعبد من دونه من خلال آية من آياته العظيمة في الكون، وهي أنه سبحانه يشق الحب والنوى، فيخرج منها أنواع الزروع على اختلاف ألوانها وأشكالها وطعومها، فكيف ينصرف هؤلاء المشركون عن عبادة الله تعالى، ويصدون عنها، مع مشاهدتهم لهذه الآيات العظيمة الدالة على الوحدانية؟[١].

**الطريقة الرابعة:** الاستدلال بالحكمة من خلق السموات والأرض، فإن الله تعالى لم يخلق الناس عبثاً، ولن يتركهم سدى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦] فهل يظن عاقل أن يترك الإنسان في هذه الدنيا لا يؤمر ولا يُنهى، ويترك في قبره سدى دون أن يبعث؟ إن ذلك لا يليق بحكمة الله تعالى، فكل شيء يصدر عنه سبحانه له حكمة تقتضيه[٢].

ولذلك نبه سبحانه العباد إلى الحكمة من خلق السموات والأرض، وأنه لم يخلقهما باطلاً، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي ﷺ في تفسير الآية: "ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه ما خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق، أي: ليدل بذلك على أنه المستحق لأن يعبد وحده، وأنه يكلف الخلق، ويجازيهم على أعمالهم، فدلت الآية على أنه لم يخلق عبثاً، ولا لعباً، ولا باطلاً"[٣].

---

(١) انظر: جامع البيان، ابن جرير ٩/ ٤٢٠، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ١٦٣، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ٢/ ٤٣٨، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ٧/ ٣٨٧، ومنهج القرآن الكريم في محاربة الشرك، د. إبراهيم الحميضي ص٢٧٩-٢٨٠.

(٢) انظر: زاد المعاد، ابن القيم، ٣/ ٢٣٠، وفتح القدير، الشوكاني ٥/ ٣٤٢، وفي ظلال القرآن، سيد قطب ٦/ ٥٠، ومنهج القرآن في إقامة الدليل والحجة، مجاهد محمد ناصر ص٢٥٦.

(٣) أضواء البيان ٢/ ٣١٢.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري[1] ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ [ص: ٢٧]: "أن الله ﷻ أراد بذلك المشركين الذين قالوا: لا حشر ولا نشور ولا إعادة، فكأنه قال تعالى: ما خلقت ذلك، وأنا لا أثيب من أطاعني، ولا أعاقب من عصاني، كما ظن الكافرون أنه لا حشر ولا نشر، ولا ثواب ولا عقاب، ألا تراه قال: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧]"[2].



(١) هو: علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل الأشعري، ولد عام ٢٦٠هـ سمع الحديث والفقه ببغداد، كان على مذهب المعتزلة، ثم رجع إلى مذهب الكلابية، واستقر على مذهب أهل السنة، توفي عام ٣٢٤ هـ. انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ١١/ ٣٤٦، وطبقات الفقهاء الشافعية، ابن الصلاح ٢/ ٦٠٤.

(٢) الإبانة عن أصول الديانة ص١٩٠.






معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة




معطّلة





# الفصل الأول

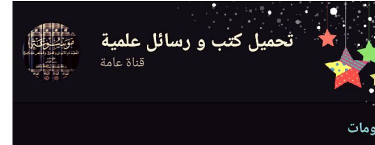
# الإعجـــاز العلمـــي

## تعريفه ومذاهب العلماء فيه



وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: التعريف بالإعجاز العلمي ونشأته.
- المبحث الثاني: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.
- المبحث الثالث: أسباب القول بالإعجاز العلمي.
- المبحث الرابع: مذاهب العلماء في الإعجاز العلمي وأدلتهم.



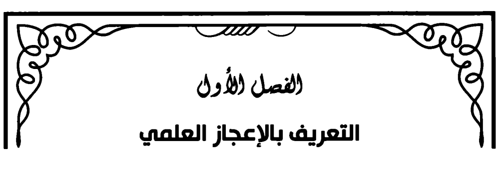

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة




معطّلة





# الفصل الأول

# التعريف بالإعجاز العلمي

# ومذاهب العلماء فيه

## تمهيد

لقد بذل علماء الإسلام جهدهم في بيان آيات القرآن الكريم، تفسيراً وشرحاً وإيضاحاً واستنباطاً، وصنفوا في ذلك المؤلفات الواسعة والمراجع القيمة، وكان مما أولوه بالاهتمام الآيات التي ذكر الله فيها مخلوقاته العلوية والسفلية، ففسروها على مقتضى ما جاءت به الشريعة، ووفق أصول اللغة وغريبها، وعلى قدر ما توافر لديهم من طرق العلم وأساليب البحث في الكائنات والمخلوقات.

وقد تنوعت طرائقهم في التأليف والتصنيف في بيان دلائل هذه الآيات[1]، ما بين مؤلفات وتصانيف مستقلة، وما بين تضمين لها في كتب التفسير، أو الحديث وشروحه، أوكتب العقائد؛ بل حتى في كتب اللغة والتاريخ والبلدان والأماكن وغير ذلك، ثم توسع التأليف في الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم، فألفت كتب تستخرج العلوم الكونية من القرآن الكريم، وتقارن ذلك بما توصل إليه العلم الحديث من مكتشفات، فوجدوا أن القرآن الذي أنزل قبل أربعة عشر قرناً قد سبق في الإشارة إلى قضايا علمية لم تُكتشف وتُعلم إلا في العصور المتأخرة، ولذلك كثرت المؤلفات في تقرير هذا السبق، وأنشئت له مؤسسات وجمعيات، وكل ذلك تحت مسمى (الإعجاز العلمي)[2]،

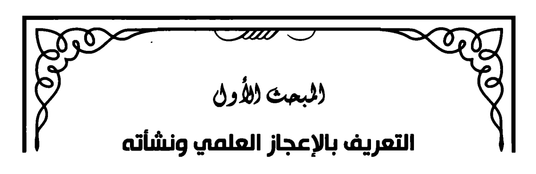
(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٢٠٧، ومعجم الموضوعات المطروقة في التأليف الإسلامي وبيان ما ألف فيها، عبد الله بن محمد الحبشي ١/ ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٧٥، ١٧٥، ٢٠٣، ٣٣٢، ٤٠٩، ٦٣٢، ٢/ ٦٨١، ٧٠٣، ٧٧٦، ٨٠٣، ٩٤٣، ١٠٣٨، ١١٦٧، ١٣١٤.

(٢) انظر: الآيات الكونية دراسة عقدية، عبد المجيد الوعلان ص ٣٠-٣٥.

والذي سيتم الكلام عليه من خلال المباحث التالية:

- المبحث الأول: التعريف بالإعجاز العلمي ونشأته.
- المبحث الثاني: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.
- المبحث الثالث: أسباب القول بالإعجاز العلمي.
- المبحث الرابع: مذاهب العلماء في الإعجاز العلمي وأدلتهم.





# المبحث الأول

# التعريف بالإعجاز العلمي ونشأته

### ❁ أولاً: التعريف بالإعجاز العلمي.

مصطلح الإعجاز العلمي مركب من كلمتين: **الأولى**: الإعجاز، **والثانية**: العلمي، وعليه فسأعرف بكل منهما على حدة ثم أعرف بهذا المصطلح مركباً منهما.

**الإعجاز لغة واصطلاحاً:**

أ) **الإعجاز لغة**: مأخوذ من العجز، و(العين والجيم والزاء) أصلان صحيحان، وكلمة الإعجاز تدور على المعاني التالية:

**الأول**: الضعف، يقال: عجز عن الشيء يعجز عجزاً فهو عاجز أي ضعيف ويقال أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه.

**الثاني**: مؤخر الشيء، وجمعه أعجاز، وأعجاز الأمور أواخرها[١].

**الثالث**: التأخر عن الشيء والقصور عن فعله، وهو أصل وضعها، قال الأصفهاني رحمه الله: والعجز: أصله التأخر عن الشيء وحصوله عن عجز الأمر أي: مؤخره، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة[٢].

**الرابع**: الفوت والسبق، يقال: أعجزني فلان، أي فاتني، قال الليث بن المظفر الكناني رحمه الله: "أعجزني فلان: إذا عجزت عن طلبه وإدراكه"[٣].

**الخامس**: تحقيق نسبة العجز للآخر، تقول: هرب زيد فعاجز الناس، أي هرب فلم يقدر عليه، فجعل الآخرين في ضعف عن إدراكه[٤].

---

(١) انظر مقاييس اللغة، ابن فارس ص٦٤٠.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٣٢٥.

(٣) تهذيب اللغة، الأزهري ٣/ ٢٣٣٦، وانظر: لسان العرب، ابن منظور ١٠/ ٤٣.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور١٠/ ٤٣، والمصباح المنير، الفيومي ٢/ ٥٣٧، وأساس البلاغة، الزمخشري ص٢٩٤.

## ب) الإعجاز اصطلاحاً:

اختلفت عبارات أهل العلم في تعريف مصطلح (الإعجاز) من حيث الدقة في تحديده، والإلمام بجوانبه المتعددة[(١)]، وسأكتفي من التعريفات بما يدل على مصطلح (الإعجاز) مجرداً عن الإضافة، وعن كونه مرادفاً لمصطلح المعجزة:

١) قال الفيروزآبادي[(٢)] ﷺ: "الإعجاز إفعال من العجز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل، أو رأي، أو تدبير"[(٣)].

---

(١) ولعل من أسباب الاختلاف:

١) أن لفظ (الإعجاز) لفظ مركب، ومعاصر، ومستحدث من مركب مولد، لم يرد في القرآن والسنة، ولا في كلام الصحابة، بل ولا حتى في كلام التابعين ومن بعدهم، حتى انقضى القرن الثاني الهجري.

٢) تعدد أوجه الإعجاز المتعلقة بالقرآن الكريم، فالمتقدمون يربطون مفهومه في الغالب بالبلاغة، بينما المتأخرون كان الشمول في تعريفاتهم من جهة الإحاطة بجوانب الإعجاز المتعددة، فمصطلح الإعجاز يمكن أن يتسع عندهم ليطلق على كل شيء متميز رفيع المستوى، لا يمكن ولا يسهل مجاراته.

٣) عدم التفريق بين تعريف (الإعجاز) و(إعجاز القرآن) و(المعجزة) فبعض المعاصرين ممن كتب في إعجاز القرآن عرف المعجزة ولم يعرف الإعجاز، وسبب ذلك أن معنى الإعجاز مندرج في اصطلاح المعجزة، قال د. مرهف السقا في كتابه: (التفسير والإعجاز العلمي في القرآن ١/ ٨١): "فصار كل من يتكلم بالمعجزة أو الإعجاز يذكر هذا التعريف" أي: الأمر الخارق للعادة، المقرون بالتحدي مع عدم المعارضة، وقال أيضاً: "وصار هذا التعريف هو المعول عليه في دراسة الإعجاز في مختلف الأبحاث".

انظر: التعريفات، الجرجاني ص٣١، والكليات، لأبي البقاء العكبري ص١٢٣، ومناهل العرفان، الزرقاني ٢/ ٣٣١، وتاريخ فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي ص٧، ٤٣-٤٤، والفهرست، لابن النديم ١/ ٥٧، ومداخل إعجاز القرآن، محمود شاكر ص ٢٠، ٧٩-٨١، ومباحث في علوم القرآن، د. مناع القطان ص٢٦٥، ودراسات في علوم القرآن الكريم، د. فهد الرومي ص ٢٩١، وبين مفهوم المعجزة وإعجاز القرآن، د. عدنان زرزور، والضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، د. راشد شهوان ص١٢٠، والإعجاز البياني في القرآن الكريم، د. عمار ساسي ١/ ٢١، ٧٣، والمعجزة القرآنية، محمد أبو زهرة ص٤٧، والنبأ العظيم، محمد دراز ص٨٠، ومباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح ص٣١٣، ونظرية الإعجاز القرآني، أحمد عمار ص٢٨، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان، د. عبدالله المصلح ص١٥، والإعجاز العلمي ضوابطه وتاريخه، د. عبدالله المصلح ص٨٤، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي ص٢٣، وإعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. محمد العواجي ص٩٦، والبيان في إعجاز القرآن، د. صلاح الخالدي ص٣٣، والإعجاز في نص الخطاب القرآني، د. عصام العبد زهد ص٤-٦، وختم الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنى بين إعجاز المعنى وروعة البيان، فاروق برحال ص١-٧، وعناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ص٨.

(٢) هو: محمد بن يعقوب بن محمد، أبو طاهر، الشيرازي الفيروزآبادي، ولد بكارزين (بكسر الراء وتفتح) في شيراز بفارس عام ٧٢٩هـ وهو من أئمة اللغة والأدب، له رحلات متعددة، واستقر بزبيد وولي قضاءها وتوفي بها عام ٨١٧ هـ. انظر: طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة ٤/ ٦٣، وكشف الظنون، حاجي خليفة ١/ ٨١.

(٣) بصائر ذوي التمييز ١/ ٦٥.

٢) وقال عبد الرؤوف المناوي[١] ﷺ: "العجز: أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، وقال أهل الأصول: العجز صفة وجودية تقابل القدرة، وتقابل العدم والملكة، قال أبو البقاء: العجز الضعف، وإنما يوصف به الحي فلا يقال للجبل عاجز"[٢].

٣) وقال المرتضىٰ الزبيدي[٣] ﷺ: "وحقيقة الإعجاز: إثبات العجز، فاستعير لإظهاره، ثم أسند مجازاً إلىٰ ما هو سبب للعجز، ثم جعل اسماً له، فقيل: معجزة، والتاء فيه للنقل من الوصفية إلىٰ الاسمية كما في الحقيقة، أو المبالغة كما في العلاَّمة"[٤].

٤) وعرفه مصطفىٰ صادق الرافعي[٥] ﷺ بقوله: "وإنما الإعجاز شيئان:

أ- ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته علىٰ شدة الإنسان واتصال عنايته.

ب- ثم استمرار هذا الضعف علىٰ تراخي الزمن وتقدمه، فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت"[٦].



**علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي:**

والمناسبة بين التعريف الاصطلاحي والتعريف اللغوي ظاهرة، فكلاهما يدور حول الضعف، وعدم القدرة علىٰ النهوض بالأمر، وكذلك القعود عما يجب فعله.

---

(١) هو: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ولد عام ٩٥٢هـ انزوىٰ للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده يستملي منه تآليفه، عاش في القاهرة، وتوفي بها عام ١٠٣١ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي ٦/ ٢٠٤.

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ١/ ٢٣٦.

(٣) هو: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينىٰ الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضىٰ، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، مولده بالهند عام ١١٤٥هـ ومنشأه في زبيد (باليمن) ورحل إلىٰ الحجاز، وأقام بمصر، وتوفىٰ بها عام ١٢٠٥هـ. انظر: الأعلام، الزركلي ٧/ ٧٠، وهدية العارفين، البغدادي ٢/ ٣٤٧.

(٤) إتحاف السادة المتقين ٢/ ٢٠٣.

(٥) هو: مصطفىٰ صادق بن عبد الرزاق بن سعيد الرافعي، عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتّاب، أصله من طرابلس الشام، ولد عام ١٢٩٨هـ أصيب بصمم فكان يُكتب له ما يراد مخاطبته به. انظر: الأعلام، الزركلي ٧/ ٢٣٥، ومعجم المؤلفين، كحالة ١٢/ ٢٥٦، والمنتخب من أدب العرب، مجموعة مؤلفين ١/ ٥٦.

(٦) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٣٩.

**تعريف لفظة (العلمي) لغة واصطلاحاً.**

**أ) تعريف لفظة (العلمي) لغة:**

لفظة (العلمي) مأخوذة من (العلم)، وهو في اللغة مصدر، بمعنى المعرفة، وبمعنى الجزم عندما يُقابل بالظن أو الشك أو الوهم[١]، قال ابن فارس[٢] ﷺ: "العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميَّز بِه عن غيره. . . والعلم: نقيض الجهل"[٣].

**ب) تعريف لفظة (العلمي) اصطلاحاً:**

اختلف في بيان حد العلم اصطلاحاً، فقيل: إنه لا يُحدّ[٤]، وحدَّه بعضهم بأنه: "معرفة المعلوم على ماهو به"[٥]، وقال الجرجاني[٦] ﷺ: "هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"[٧]، وقيل: "إدراك الشيء على ماهو عليه، إدراكاً جازماً كإدراك أن الكل أكبر من الجزء"[٨].

**ج) إطلاقات لفظ (العلم):**

بما أن لفظ العلم أضيف إلى القرآن الكريم في مصطلح (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) والذي أضحى مصطلحاً يتعامل معه على أنه مصطلح شرعي، فكان لابد من بيان إطلاق لفظ العلم في القرآن الكريم، ثم بيان إطلاقه عند المشتغلين بالإعجاز العلمي.

---

(١) انظر: الصحاح، الجوهري ٦/ ٢١٦٠، ٢٢١٩، والمدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبي شهبة ص١٨، ومناهل العرفان، الزرقاني ١/ ١٢.

(٢) هو: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، من أئمة اللغة والأدب، ولد عام ٣٢٩هـ انتقل إلى الري فتوفي فيها عام ٣٩٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٧/ ١٠٤، والبداية والنهاية، ابن كثير ١٥/ ٤٠٠، ٥٠٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٤/ ١٠٩-١١٠، وانظر: لسان العرب، ابن منظور ٢/ ٨٧٠، ١٢/ ٤١٧، والمصباح المنير، الفيومي ٢/ ٤٢٧، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي ١/ ١١٤٠.

(٤) انظر: المستصفى، الغزالي ١/ ٢١، والإحكام في أصول الأحكام، الآمدي ١/ ١١، وبيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، الأصفهاني ١/ ٣٩، والبحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي ١/ ٧٥، والمختصر في أصول الفقه، ابن اللحام ص٣٥، ومختصر التحرير شرح الكوكب المنير، ابن النجار ١/ ٦٠.

(٥) انظر: الإنصاف، الباقلاني ص١٣، وكتاب الحدود، الباجي ص٩٥، والعدة في أصول الفقه، أبو يعلى ١/ ٧٦.

(٦) هو: علي بن محمد بن علي، الشريف الجرجاني، ولد في تاكو (أوتاجو) عام ٧٤٠ هـ ودرس في شيراز، ولما دخلها تيمور فر منها إلى سمرقند، ثم عاد إليها بعد موت تيمور، فأقام بها إلى أن توفي عام ٨١٦ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي ٥/ ٧، وبغية الوعاة، السيوطي ٢/ ١٩٦.

(٧) التعريفات ص ١٥٥.

(٨) انظر: الأصول من علم الأصول، ابن عثيمين ص١٥، وتاريخ علوم القرآن، محمد القرشي ص٢٥-٣٣.

**د) لفظ (العلم) في القرآن الكريم:**

وردت مادة (علم) ومشتقاتها في القرآن الكريم مرات كثيرة، وحظي العلم في القرآن بمكانة عالية، ومنزلة رفيعة، ولذا أقسم الله تعالىٰ بالقلم الذي هو أداة العلم، وسميت به سورة من سور القرآن، وهي سورة القلم فقال تعالىٰ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]

وقد ذكره الله تعالىٰ في أول سورة أنزلت فقال تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ١-٤]

والآيات في مدح العلم والثناء علىٰ أهله كثيرة ليس هذا موضع ذكرها.

أما المراد بالعلم الذي نوّه به القرآن، وحفلت به آياته، فهو يشمل كلَّ معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء، وتزول بها غشاوة الجهل والشك عن عقل الإنسان، سواء أكان موضوعه الإنسان، أم موضوعه العالم، أم موضوعه الوجود والغيب، وسواء أكانت وسيلة معرفته الحسّ والتجربة، أم وسيلته العقل والبُرهان، أم وسيلته الوحي والنبوة[(١)].

فالعلم في القرآن يشمل كل أنواع المعرفة، التي تتصل بكل ما يفيد الناس، في دينهم، ودنياهم، وفي معاشهم ومعادهم، وفي أجسادهم وأرواحهم.

ولم يفرق القرآن بين أنواع العلوم مع كثرتها، لكنه يقسمها إلىٰ ما هو ضار ونافع، فالعبرة ليست بذات العلم فقط، بل بمجال استخدامه وأثره علىٰ الإنسان والمجتمع[(٢)].

**هـ) لفظ العلم في العصر الحديث:**

أصبح العلم حديثاً يطلق علىٰ مجموع المسائل والأصول الكلية التي تجمعها جهة واحدة مثل علم النحو، وعلم الطب، وعلم الكيمياء، ويجمع علىٰ (علوم)، وقد تسمىٰ به المباحث التي تتناول موضوعًا واحدًا مثل: علوم العربية، والعلوم الطبيعية، والعلوم التجريبية[(٣)].

---

(١) انظر: التفسير والإعجاز العلمي، د. مرهف سقا ١/ ٤١، واللباب في علوم الكتاب، سراج الدين النعماني ٥/ ٢٨٣، والتفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة محمد علي المعروفة ببنت الشاطئ ١/ ٢٠٣، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي ص ٤٥١، والتفسير العلمي في الميزان، د. أحمد أبو حجر ص٧١-٨٣، والقرآن والعلم، أحمد محمود سليمان، وأسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية، منتصر محمود مجاهد، والأساس العقائدي لنهضة المسلمين العلمية والحضارية، يحيىٰ بن عبدالفتاح باقاسي ص٩٨.

(٢) التفسير والإعجاز العلمي ١/ ٤١

(٣) دراسات في علوم القرآن الكريم، د. فهد الرومي ص ١٩

"ويُطلق العلم حديثا على العلوم الطبيعية التي تحتاج إلى تجربة ومشاهدة واختبار، سواء أكانت أساسية كالكيمياء والطبيعة والفلك والرياضيات والنبات والحيوان والجيولوجيا، أو تطبيقية كالطب والهندسة والزراعة والبيطرة وما إليها"[(١)]

**و) المقصود بـ(العلم) عند المشتغلين بالإعجاز العلمي:**

اضطربت أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في ضبط حدود لفظة (العلمي) المضاف إلى الإعجاز، فتارة يقصرونه على العلوم التجريبية عامة، والكونية خاصة[(٢)]، وتارة يتوسعون في إطلاقه ليشمل كل العلوم والمعارف: الكونية، والعلوم التجريبية، والأحكام التشريعية، والاجتماعية، والسلوكية، والأخلاقية، والإعلامية، والتاريخية، والغيبية، وغيرها[(٣)]، واستثنى محمد أحمد الغمراوي الناحية البلاغية من شمول لفظ العلم[(٤)].

والذي يظهر أن قصره على العلوم التجريبية والكونية كان في بداية تحديد مصطلح الإعجاز العلمي، ثم لما توسعت أبحاث الإعجاز العلمي، وكثر التأليف فيه، توسعوا في إطلاقه، ويدل لذلك أن اللجنة التأسيسية لهيئة الإعجاز العلمي في اجتماعها المنعقد بالشهر الثامن من عام ١٤٠٦هـ قالت: "والمراد بالعلم في عبارة الإعجاز العلمي: إدراك حقائق الظاهرة الطبيعية والكونية"[(٥)].

---

(١) انظر: المعجم الوسيط ٢/ ٦٢٤

(٢) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان، د. عبدالله المصلح ص ١٩، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان، د. أحمد عمر أبو حجر ص ٦٤، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي ٢/ ٥٤٧، والمعجزة العلمية في القرآن والسنة، عبد المجيد الزنداني، من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص ١٧، والآيات الكونية دراسة عقدية، عبدالمجيد الوعلان ص١٢٦، ومجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد ٩ عام ١٤١٥هـ ص٨٤، وكتاب توحيد الخالق، عبدالمجيد الزنداني ص١٤٧-١٤٩، ولقاء شبكة التفسير والدراسات القرآنية مع الدكتور زغلول النجار: www.tafsir.net

(٣) انظر: مجلة الإعجاز العلمي العدد ٣٨ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ والعدد ٣٢ محرم ١٤٣٤هـ والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ص٢٤-٢٧، ونظرات حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٦، والقرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل ص٢٥-٢٧،
والدعوة إلى الله تعالى بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أحمد الزهراني ص٢٦٠، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبدالعظيم المطعني ص ١٧٢.

(٤) الإسلام في عصر العلم ص٢٢١، وانظر: الإسلام والعلم التجريبي، د. يوسف السويدي ص١٣-١٩، والتجديد في التفسير، د. عثمان عبدالرحيم ص٧٣، والإعجاز العلمي في إثبات الوسطية في المكان، د. المرصفي ص١٠.

(٥) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان، د. عبدالله المصلح ص ١٩.

وهذا لا يدل على شمول لفظة (العلمي) عند أصحاب الإعجاز العلمي؛ لأن بعض من عرفه بذلك يخرج بعض العلوم والمعارف من دائرة الإعجاز العلمي[1].

وهذا الاضطراب من أصحاب الإعجاز العلمي جعل النقد يتجه إلى تعريفهم للفظة (العلمي)، من أوجه ثلاثة:

**الوجه الأول:** أن قصر لفظ (العلم) على بعض العلوم التجريبية أو الكونية أو غيرها دون تقييد، فيه خلل كبير، وله آثار خطيرة[2] من أهمها:

١) أن فيه أثر من آثار التغريب الفكري، فهذه التسمية منطلقة من تقسيم العلوم إلى أدبية وعلمية، كما هو الحال في المدارس الثانوية سابقاً، وفي الجامعات حتى اليوم[3].

ومن قرر هذا التقسيم الشيخ عبد المجيد الزنداني، وهو من أبرز المعتنين بالإعجاز العلمي فقال: "ينقسم العلم البشري في المدارس والجامعات إلى نوعين من الدراسة:

- دراسات حول علوم المادة (القسم العلمي)، وتعتني هذه الدراسات بدراسة المادة ومعرفة أحوالها، ثم استخدام هذه المادة لمصلحة الإنسان.
- دراسات حول العلوم الإنسانية (القسم الأدبي)، وتعتني هذه الدراسة بالإنسان ودراسة أحواله"[4].

ثم عمل مقارنة بين الدراسات المادية (العلمية) والدراسات الإنسانية (الأدبية).

قال د. مساعد الطيار معلقاً: "ويلاحظ أن علوم الشريعة ستدخل في الدراسات الإنسانية الأدبية؛ لأن القسمة ثنائية"[5].

٢) أن في ذلك رفع من شأن العلوم التجريبية على غيرها من العلوم النظرية التي تدخل فيها علوم الشريعة.

---

(١) انظر: قضية الإعجاز العلمي للقرآن، د. زغلول النجار ص٧-١٣، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ص٢٤-٢٧، والعلوم الهندسية والرياضية في القرآن والسنة النبوية، د. خالد العبيدي ص٦٨-٧١، ومباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم ص١١٣، وإعجاز القرآن الكريم، د. فضل عباس ص١٥١، والمدخل الوجيز إلى دراسة الإعجاز في الكتاب العزيز، د. محمود غازي ص٢٦٩-٢٧٠، وتقييدات في إعجاز القرآن، د. محمد الجهني ص٥٣-٥٤، ومباحث في علوم القرآن، د. مناع القطان ص٢٦٨-٢٨٩.

(٢) انظر: ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنة والجماعة، د. سعود بن سعد العتيبي ص٥١٨، والإعجاز العلمي في القرآن إلى أين، د. مساعد الطيار ص٢١.

(٣) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن إلى أين، د. سليمان الطيار ص٢١.

(٤) كتاب توحيد الخالق ص١٤٧-١٤٩.

(٥) الإعجاز العلمي في القرآن إلى أين ص٢٢.

٣) أن فيه إخراج لعلوم الشريعة ولسانها الناطق بها العربية وعلومها عن مسمى العلم، مما يقلل من شأنها ويحط من قدرها لدى الناس(١).

٤) ويتفرع مما سبق عدم وصف ما تحمله من مفاهيم _ وخاصة الشريعة _ بالمفاهيم اليقينية، فنزع وصف اليقين عنها لصالح العلوم الطبيعية التجريبية من رياضيات، وطب، وهندسة فهي اليقينية فقط؛ لأنها في زعمهم عرف صدقها ويقينها من خلال التجربة، والحس والمشاهدة، وبالتالي تصبح العلوم الشرعية عرضة للتشكيك في مفاهيمها عقيدة وشريعة وأخلاقاً وسلوكاً وهذا ما وقع فعلاً بعد ذلك(٢).

٥) أن في هذا الحصر إخراج لأوجه الإعجاز الأخرى كالإخبار عن المغيبات التي أخبر الله تعالى عنها في كتابه، فوقعت كما أخبر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم: ١-٢] أليست هذه المغيبات من الإعجاز العلمي وداخلة في لفظ العلم؟(٣).

وكذلك مايسمَّى بالإعجاز اللغوي، أليس إعجازاً علمياً؟، أليست اللغة علماً؟، وقل مثل ذلك في بقية وجوه الإعجاز، لا شكَّ أنها علوم، لكنها غير العلم الذي يريده الدنيويون الغربيون الذين أثَّروا في حياة الناس اليوم، وصارت السيادة لهم(٤).

وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: "وتسميته الإعجاز العلمي معناه أن وجوه الإعجاز الصحيحة الأخرى ليست علمية"(٥).

**الوجه الثاني:** أنه قد يفهم من إطلاق لفظة (العلمي) دون تقييدها أن المقصود به المعاني والدلالات، وأن طبيعة الإعجاز إنما هي في هذا فحسب، وهذا من الخطأ فإعجاز القرآن العلمي ليس في معانيه فقط، بل في لفظه ومعناه، ولا يخرج نوع من أنواع الإعجاز أياً كان عن أن يكون في أحد هذين الأصلين(٦)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ:

(١) انظر: ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنة والجماعة، د. سعود العتيبي ص٥١٨.
(٢) انظر: المرجع السابق ص ٥١٨.
(٣) انظر: مقدمة سلسلة الإعجاز العلمي والعددي في الميزان، د. خالد بن عثمان السبت ص١٨.
(٤) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن إلى أين، د. سليمان الطيار ص٢١.
(٥) مقدمة كتاب: مهلاً يادعاة الإعجاز العلمي، خالد عوض الحربي ص٥، وانظر: المدخل الوجيز إلى دراسة الإعجاز في الكتاب العزيز ص٢٨٥.
(٦) انظر: التنبيه الجلي للمشتغلين في إعجاز القرآن العلمي، د. محمد بن عبدالرحمن الجهني ص١٢-١٣، وموقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير ص٨٤٧.

"الإعجاز في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء بني آدم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه، أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه"[(١)].

**الوجه الثالث**: الاضطراب وعدم الاستقرار:

فقد اضطربت أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في تحديد المقصود بمصطلح (العلمي):

- فتارة يقصر على ماسبق من إدراك الحقائق الظاهرة الطبيعية والكونية.

- وتارة يتوسعون في الإطلاق ليشمل وجوهاً أخرى من الإعجاز كالإعجاز التشريعي والأخلاقي والتاريخي والغيبي وغيرها كما هو صنيع د. عبدالله المصلح[(٢)]، ومحمد إسماعيل إبراهيم[(٣)]، ود.عبد العظيم إبراهيم المطعنى[(٤)]، مع أن إدخالها في الإعجاز العلمي ليس موضع اتفاق بين الباحثين، بل هي عند كثير من المشتغلين بالإعجاز العلمي أمثال د. زغلول النجار[(٥)]، ود. عبدالله المصلح[(٦)]، ود. خالد العبيدي[(٧)]، وغيرهم وجهاً مستقلاً عن الإعجاز العلمي[(٨)].

ولذا كان تحرير التعريف بتقييد المطلق، وتبيين المجمل في غاية الأهمية، لأمرين:

**الأمر الأول**: أن إطلاق لفظ العلم غير مقيد مع لفظ الإعجاز يحدث اللبس؛ لأن الخطاب بالإعجاز العلمي ليس محصوراً على عصر معين، أو بلد معين، بل هو موجه للناس عموماً وللكفار خصوصاً كما يقول المشتغلون به.

**الأمر الثاني**: أن المصطلحات لابد فيها من الدلالة الواضحة على مرادها، ولذا نلحظ التحديد والتقييد في أوجه الإعجاز الأخرى بأحد العلوم والمعارف، فيقال:

---

(١) الجواب الصحيح ٤/ ٧٨.

(٢) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٢٤-٢٧.

(٣) انظر: القرآن وإعجازه العلمي ص٢٥-٢٧، والدعوة إلى الله تعالى بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٢٦٠.

(٤) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢/ ١٧٢.

(٥) انظر: قضية الإعجاز العلمي للقرآن وضوابط التعامل معها ص٧-١٣.

(٦) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٢٤-٢٧.

(٧) انظر: العلوم الهندسية والرياضية في القرآن والسنة النبوية ص٦٨-٧١.

(٨) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم ص١١٣، وإعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس ص١٥١، والمدخل الوجيز إلى دراسة الإعجاز في الكتاب العزيز ص٢٦٩-٢٧٠، وتقييدات في إعجاز القرآن، د. محمد بن عبدالرحمن الجهني ص٥٣-٥٤، مباحث في علوم القرآن، د. مناع القطان ص٢٦٨-٢٨٩.

الإعجاز البلاغي، والإعجاز البياني، والإعجاز التأثيري، والإعجاز الغيبي، والإعجاز النفسي وغيرها، وكذا ينبغي أن يعبر عن الإعجاز العلمي بالإعجاز في العلوم التجريبية[١].

وهذا ما أوصىٰ به د. مرهف عبدالجبار السقا المشتغلين بالإعجاز حيث قال: "كما نوصي إخواننا طلاب العلم، والمؤسسات التعليمية، والهيئات العلمية الإسلامية والشرعية، بالحرص الشديد علىٰ بيان مفهوم العلم في الإسلام، خاصة عند الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وأن نجتهد في بيان أن المراد بمفردة العلم في قولنا (التفسير العلمي) و(الإعجاز العلمي) مفهوماً خاصاً يدخل في المعنىٰ الكلي الشامل لمفهوم العلم في القرآن...حتىٰ لا يبقىٰ المسلمون ضحية الانفصام الحضاري المفتعل الذي يعيشه الغرب"[٢].

وقال د. فهد بن عبدالرحمن الرومي: "ونحن وإن كنا نقول أنه لا مشاحة في الاصطلاح لكنه ينبغي أن يكون في الاصطلاح ما يميزه عن سواه حتىٰ لا تلتبس الأمور وتتداخل الأسماء"[٣].



(١) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي ٢/ ٥٤٧.
(٢) نشرة الحقيقة العدد ٧ جمادىٰ الأولىٰ والثاني عام ١٤٢٩هـ ص٥.
(٣) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٢/ ٥٤٧.

**تعريف الإعجاز العلمي.**

تعددت التعاريف في تحديد مفهوم مصطلح (الإعجاز العلمي)، ومن أسباب التعدد:

- اضطراب المشتغلين به في تحديد المقصود بالعلم كما سبق.
- اشتماله على لفظ (الإعجاز) والذي يشترط فيه التحدي، فإن التحدي في الجانب البلاغي ظاهر ومتفق عليه، وهو الأصل، لكن في العلوم التي يحويها لم يتفق العلماء على ذلك؟[1]، وهذا كان له أثر في التعريف.
- اقتران ظهور مصطلح (الإعجاز العلمي) مع عصر المبارزة العلمية مع الغرب، ومحاولة تقرير احتواء القرآن على مبادىء العلوم وسبقه إليها، وعدم التعارض بين العلم والدين، واختلاف المناهج المعبرة عن ذلك[2].

وقد وقفت على عدد من التعاريف، سأذكرها، ثم أتبعها بالدراسة، وبالتعريف المختار.

١) عرفه د. نور الدين عتر بقوله: "الإعجاز العلمي: هو موافقة القرآن الكريم أو السنة النبوية لحقائق العلم التجريبي الحديث"[3].

وذكر د. مرهف السقا رجوع د. نور الدين عتر عن قيد (التجريبي الحديث)، ليشمل حقائق العلوم كلها التطبيقية والتجريبية وغيرها[4].

٢) وذهب ثلة من العلماء والباحثين إلى أن الإعجاز العلمي هو: "إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول، وهذا مما يظهر صدق الرسول ﷺ فيما أخبر به عن ربه سبحانه"[5].

٣) وعرفه الشيخ عبد المجيد الزنداني بما سبق، وبقوله: "هو السبق العلمي للقرآن الكريم الذي ذكر حقائق في الكون لم تكن البشرية تعلم عنها شيئاً"[6].

---

(١) وسيأتي مناقشة هذا الأمر في الفصل الثاني.

(٢) انظر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن، د. مرهف السقا ١/ ٨٧.

(٣) فكر المسلم وتحديات الألفية الثالثة ص١٦٦.

(٤) التفسير والإعجاز العلمي ص٨٩.

(٥) انظر: تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبدالمجيد الزنداني ص١٧، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ص١٨، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. راتب النابلسي ص١٩، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، محمد أرناؤوط ص٦٢، وإعجاز القرآن الكريم، د. محمد درويش ص٧٦٣.

(٦) كتاب توحيد الخالق ص١١٢.

وعرفه أيضاً بقوله: "إظهار صدق الرسول محمد ﷺ بما حمله الوحي إليه من علم إلهي ثبت تحققه ويعجز عن نسبته إلىٰ محمد ﷺ أو إلىٰ أي مصدر بشري في عصره"(١).

٤) وعرفته الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بقولها: "والإعجاز العلمي يعني تأكيد الكشوف العلمية الحديثة الثابتة والمستقرة، للحقائق الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بأدلة تفيد القطع واليقين، باتفاق المتخصصين"(٢).

٥) وعرفه د. عبدالله المصلح بقوله: "يمكننا أن نعرف الإعجاز العلمي بأنه هو: الأمر الخارق للعادة، المقرون بالتحدي، السالم من المعارضة، المتعلق بقضية علمية وصل العلم فيها إلىٰ سقف المعرفة، ولم يكن في مقدور البشر ولا في علمه في شتىٰ بقاع الأرض، علم بها وقت تنزل الوحي بها، أو قول رسول الله ﷺ لها"(٣).

٦) وعرفه د. زغلول النجار بقوله: "يقصد به سبق هذا الكتاب العزيز بالإشارة إلىٰ عدد من حقائق الكون وظواهره التي لم تتمكن العلوم المكتسبة من الوصول إلىٰ فهم شئ منها إلا بعد قرون متطاولة من تنزل القران الكريم"(٤).

وقال في موضع آخر: "فالإعجاز العلمي يقصد به هنا: إثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلىٰ حقيقة من حقائق الكون، أو تفسير ظاهرة من ظواهره قبل وصول العلم المكتسب إليها بعدد متطاول من القرون"(٥).

٧) وعرفه كريم الأغر بقوله: "وفي مصطلحنا: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة هو مطابقة معان كثيرة ومتوافرة صريحة في دلالتها من الكتاب والسنة لحقائق علمية، غير معلومة زمن التنزيل، ولا تدرك إلا بالتجربة أو وسائل مادية، لتثبت صدق الرسالة التي جاء بها النبي محمد ﷺ من عند الله ﷻ"(٦).

---

(١) مجلة المسلمون، العدد ٤٠ بتاريخ ٢٦/ ٢/ ١٤٠٦هـ.
(٢) تأصيل الإعجاز العلمي ص١١٠.
(٣) المنح الإلهية في إقامة الحجة علىٰ البشرية ص٣٥، وانظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الجغرافية، د. حسن أبو العينين ١/ ١٩، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عادلة بنت أحمد ص١٣.
(٤) قضية الإعجاز العلمي للقران وضوابط التعامل معها ص ٨٦، والسماء في القرآن الكريم ص ٧٢.
(٥) آيات النبات في القرآن الكريم ص١٠٣.
(٦) إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام ص١٧، ٥٧٢.

٨) وعرفه د. محمود غازي بأنه: "الكشف عما جاء في الآيات المباركة من القرآن الكريم، التي تحتوي عند القائمين بهذه المهمة على حقائق علمية ثابتة، لم تكن معلومة عند البشر قبل أن يتم اكتشافها في القرن العشرين"(١).

٩) وعرفه أحمد أبو الوفاء بقوله: "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية: هو الإخبار بحقائق دائمة في شتى العلوم، دون الاستعانة بالوسائل البشرية: كالتعليم، والمعرفة المكتسبة بوسائلها المختلفة، مما يؤكد أن القائل بالحقائق في شتى أمور الحياة، موحى إليه من الله سبحانه وتعالى بما تحدث به؛ ليكون ذلك شاهداً على ألوهية رسالته، وصدق دعوته، وقد تحقق ذلك الإعجاز العلمي لخاتم الرسل والأنبياء، سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه"(٢).

١٠) وعرفه د. يحي بن محمد أبو الخير بأنه: "ربط آية، أو ما يصح من أحاديث النبي ﷺ بحقيقة علمية"(٣).

١١) وعرفه محمد كامل عبد الصمد بقوله: "المقصود بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم: توسع مدلول الآيات القرآنية، وتعميق معانيها في الوجدان والفكر الإنساني، بالانتفاع بالكشوف العلمية المعاصرة في توسيع هذا المدلول، وتعميق هذه المعاني عن طريق الاستئناس بالموافقات الدقيقة، والمقارنات العميقة الملحوظة للعلماء المتخصصين، والخبراء الباحثين في مجالات الكون والحياة، في شتى علومها ومعارفها"(٤).

١٢) وعرفه د. محمد العاصي بقوله: "هو توافق الإشارة العلمية الواردة في صريح لفظ القرآن مع نظرية علمية نهائية ومستقرة، اكتشفها العلم الحديث في الوقت المعاصر"(٥).

١٣) وعرفه د. مرهف السقا بقوله: "سبق القرآن الكريم بزمن بعيد، في الدلالة إلى حقائق في شتى مناحي العلوم قبل اكتشاف العلم لها، واستقراره على اعتمادها"(٦).

---

(١) المدخل الوجيز إلى دراسة الإعجاز في الكتاب العزيز ص٢٧٧.
(٢) تقويم الأعمال التي تناولت الإعجاز العلمي والطبي في السنة النبوية ص٢.
(٣) أضواء على بعض الأحداث الكونية بين القرآن والعلم ص١١.
(٤) الإعجاز العلمي في الإسلام ص٢٤.
(٥) صور من إعجاز القرآن الكريم ص٧٩.
(٦) التفسير والإعجاز العلمي ص٩٣.

**ج) تحليل هذه التعريفات:**

بعد دراسة هذه التعاريف وتحليها تبين ما يلي:

**أولاً: أن بعضها جعل السبق الزمني لذكر القرآن الكريم للحقائق العلمية قبل اكتشافها** من البشر هو مناط الإعجاز ومتعلقه[١]، والأسبقية عند بعضهم لا تقتصر على زمن نزول القرآن الكريم، بل تشمل كل الأزمان بعده حتى اكتشاف الحقيقة العلمية[٢]، وبعضهم يجعل السبق متعدياً إلى العلوم القديمة قبل نزول القرآن الكريم[٣].

وتحقق مثل هذا السبق يحتاج إلى مجهود بشري كبير، ولذلك جاء في أحد تعريفات الإعجاز العلمي للدكتور زغلول النجار قوله: "إثبات سبق القرآن الكريم..." والإثبات لا يكون إلا في قضايا تاريخية، والجانب التاريخي من الصعب الجزم بالأسبقية فيه مطلقاً، فكيف إذا كان الأمر متعلقاً بقضايا علمية، لها علاقة بعقول البشر وقدراتهم[٤].

وقد أبان د.عبد الحافظ حلمي في دراسة له بعنوان: (العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن الكريم)[٥] عن خطر المبالغة في القول بأن القرآن قد سبق في قضية من القضايا العلمية، وعد ذلك منزلقاً خطيراً له محاذيره فقال:

"فإنه غالباً ما يكون قولاً جزافاً غير مستند على أساس علمي أو تاريخي، فالأمر الذي يكون موضع التأويل لا يعدو في الغالب أن يكون إشارة لطيفة في القرآن الكريم لظاهرة كونية طبيعية – هذا إذا صح تخريج المؤول لمعناها- وليس من الصواب في شيء، الزج بتلك الإشارة الكريمة إلى تحميلها فوق كل ما تحتمله، ووضعها موضع التسابق مع أي مبحث علمي مفصل، هذا فضلاً عن أن المؤول يستحضر بعض فصول

---

(١) انظر: معجزة الماء إشارات قرآنية ودلالات علمية، د. دسوقي أحمد عبدالحليم ص١٠، وآيات النبات في القرآن الكريم، د. زغلول النجار ص٩٠.

(٢) انظر: آيات النبات في القرآن الكريم، د. زغلول النجار ص٩٧، وفي مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن، محمود بن عبدالرؤوف القاسم ص٢٢٢-٢٢٣.

(٣) انظر: الإعجاز العلمي الجغرافي في القرآن بين الحضارات القديمة والعلم الحديثة، رائد راكان الجواري ص٢٦٥، وفي مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن، محمود بن عبدالرؤوف القاسم ص٣٣.

(٤) انظر: البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عبد الحميد ص٣٤١.

(٥) نشرتها مجلة عالم الفكر في الكويت: العدد الرابع، المجلد الثاني عشر سنة ١٩٨٢م ص٦١-١٥٢.

التاريخ العلمي الحديثة، منذ ما سمي عصر النهضة وما بعده، غير ملتفت إلى أن المعارف البشرية كانت في عهد القرآن متضمنة ما اهتدت إليه الأمم الأولى في الحضارات السابقة، والكلام في السبق التاريخي يفتح باباً للجدل ليس من اليسير في كثير من الأحيان الانتهاء فيه برأي".

ثم ذكر أمثلة مما قيل فيها بالسبق: كالجاذبية، وتصنيف الكائنات، وانشطار الذرة، وغيرها، ثم قال: "إن القرآن الكريم كتاب منزل من خالق الكون العليم بأسراره ونواميسه، بل إنه سبحانه وتعالى هو مبدع هذه الأسرار، وفاطر تلك النواميس، فمن العبث أن نعقد سباقاً لا محل ولا معنى له، بين كتاب الله العزيز – تنزهت كلماته – وبين علوم البشر، فهي حتى وإن بلغت في هذا الزمان شأناً عظيماً، ليست إلا لمَّات من علم الله الشامل الكامل".

"ولذلك فإن ادعاء السبق يصحُّ في حالتين:

**الأولى:** أن تكون الآية ظاهرة واضحة بلا نزاع في أن المراد منها ما اكتشفه العلم المعاصر، وفي هذه الحالة، فإن فهم السلف لها يُخرجها عن كونها لم تُكتشف إلا بالعلوم المعاصرة المكتسبة، ويبدو أنه إذا وُجد أمثلة من هذا النوع فإنها خارجةٌ عن كلام أهل الإعجاز العلمي.

**الثانية:** إذا قام الباحث المسلم باكتشاف القضية المعاصرة، ثم اكتشفها الكافر بعده، فتلك حقيقة السبق.

أما أن يُعلَّق السبق – وكذا دعوى الإخبار – على قضية ظنية، وهي الزعم بأن الآية تدل على هذا الاكتشاف المعاصر، فتلك مشكلة علمية تحتاج إلى نظر وتأمُّل"(١).

قال د. مساعد الطيار: "إنَّ جعل مردِّ الإعجاز إلى السبق بالإخبار عن هذه الأمور التي لم يظهر أمرها إلا في هذا العصر فيه نظر من وجوه:

**الأول:** أنه تخصيص متحكِّم لمعنى الإعجاز، وهو مخالف لما عرَّفه العلماء السابقون، فأين وجه خرق العادة؟ وأين وجه التحدِّي الذي ذكره هؤلاء في تعريف المعجزة ذكر مقرٌّ بتعريف العلماء السابقين؟.

---

(١) الإعجاز العلمي، إلى أين، د. مساعد الطيار ص١٦٨-١٦٩.

**الثاني:** أنَّ هـذه الخصِّيصـة - وهـي الإخبـار عـن الآيـات الكونيـة - ليسـت مـن خصوصيات القرآن، بل هي في كل كتب الله التي تحدَّثت عن كونه لا محالة في ذلك[١]، فالمتكلِّم بهذا الوحي للأنبياء هو خالق الكون، والحقيقة الكونية لا يمكن أن تختلف في هذا الوحي، سواءً أكان نازلاً على موسى ﷺ، أم كان نازلاً على محمد ﷺ.

ولا شكَّ - أيضـاً - أن الفرق بين القرآن وغيره من الكتب هو حفظه سليماً من التحريف والتبديل الذي طال ما بقي من كتب الله سبحانه إلى أنبيائه.

كما يلاحظ أيضاً أن بعض ما وجد من تراث السابقين من تلك العلوم كان صحيحاً، ولا زالت لا تُعرفُ طريقة وصولهم إليه - مع صحة نتائجهم - فهل يُعدُّ سبقهم إلى هذا من الإعجاز؟

وكذا تجدُ في التراث الشعري لأميَّة بن أبي الصلت الثقفي[٢](ت:٨ هـ) إخباراً بقضايا كونية، وهي صحيحة أيضاً، فهل يُعدُّ هذا السبق والإخبار إعجازاً؟!"[٣]

ونبه د. عدنان محمد زرزور إلى ملحظ مهم في القول بالسبق فقال:

"لا أدري بهذه المناسبة ما هو مصير الإعجاز في الآيات التي أدركنا مدلولها العلمي، أو انكشف لنا تفسيرها أو حقيقة معناها؟ هل نقول: إن الله تعالى تحدانا بمعرفة هذه العلوم فعرفناها؟ وفي هذه الحال لا يكون القرآن الكريم قد حقق أكثر من السبق الزماني، وهو سبق زماني عظيم حقاً، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الحال هو: هل الإعجاز يكمن في السبق أم في التفرد؟ ونعني بالطبع التفرد الذي لا يستطيعه أو يقدر عليه أي أحد! لأن هذا هو معنى الإعجاز، ولو جاز أن يكون في السبق إعجاز لكان ذلك في أول شاعر وأول خطيب"[٤].

---

(١) انظر: الكون والرؤية العلمية في القرآن الكريم والأديان السماوية الأخرى، أشرف أحمد عماشة. وسيأتي تفصيل هذه القضية في الفصل الخامس من هذا البحث.

(٢) هو: أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي حكيم، أدرك زمن الإسلام، وأقام بالطائف وتوفي بها. انظر: طبقات فحول الشعراء، ابن سلاّم ١/ ٢٥٩، ٢٦٢، والبداية والنهاية، ابن كثير ٣/ ٢٧٤.

(٣) المرجع السابق ص٤٥.

(٤) علوم القرآن وإعجازه ص٣٩٥.

وقال د.كارم السيد غنيم: "مما لاشك فيه أن المزالق والسقطات التي يقع فيها رجال العلوم الكونية من المسلمين الغيورين مرجعها هو عقد سباق بين القرآن وبين العلوم الحديثة من حيث مجالات البحوث العلمية، ليؤكدوا سبق القرآن في طرق أبوابها قبل توصل العلوم الحديثة إلىٰ معرفتها، وكأنهم بذلك يريدون جعل القرآن موسوعة فلك، أو كتاباً في الهندسة، أو الحساب، أو دراسة الحيوان، والنبات، والفيزياء، والكيمياء".

ثم ذكر أمثلة مما ادعي فيه السبق، وليس بكذلك، فقال:"حينما توصل العلم الحديث إلىٰ أنه توجد جسيمات أصغر من الذرة في الوجود، قالوا بسبق القرآن لهذه العلوم حيث قرروا في النص القرآني: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ:٣] بأنه توجد جسيمات أصغر من الذرة.

وهم إذ يعقدون هذا السباق بين القرآن والعلوم الحديثة، لم يفطنوا إلىٰ شيءٍ هام جداً وهو: أن كلمة (ذرة) تلك التي ذكرت هي في اللغة هباءة، وتعني هنا التقليل والتصغير والتهوين، بمعنىٰ الخردلة والنقير، وغيره مما ذكر في مواضع أخرىٰ من القرآن، وأما الذين ترجموا المصطلح الأجنبي (Atom) بكلمة (ذرة) أخطأوا رغم تقبلنا لهذه الترجمة وشيوعها في الكتب والمؤلفات؛ ذلك لأن حرف (A) دخل (Tom) فنفاها فأصبحت (Atom)تطلق علىٰ الشيء عديم الانقسام إلىٰ أجزاء، فأتىٰ من قام بنقلها إلىٰ العربية ليترجمها بلفظة ذرة، ثم ترتب علىٰ هذه الترجمة الخاطئة أقوالنا، حتىٰ ولو مست آيات القرآن"[1].



(١) الآيات الكونية في القرآن الكريم ص١١٥-١١٩، وانظر: المنهج القرآني في الإعجاز العلمي، د. رعد شمس الدين الكيلاني، مجلة ديالي عام ٢٠٠٨، العدد الثامن والعشرون.



**نقد الأسبقية من واقع الإعجاز العلمي:**

إذا نظرنا إلى الواقع العملي لأبحاث الإعجاز العلمي، وخاصة ممن عرفه بالسبق فسنلحظ أمرين:

**الأمر الأول:** عدم الدقة في القول بالأسبقية، فبعضهم ينقضها بذكره قضايا عرفت قبل نزول القرآن[1]، أو عرفها الناس في زمن الوحي وبعده[2]، أو بحمل ألفاظ القرآن على معاني لم تدل عليها حتى إشارة، أو بالتكلف في إثبات الأسبقية بتحميل معاني الآيات مالا تحتمل[3]، وأكتفي من ذلك بأربعة أمثلة[4]:

**المثال الأول:** ذكر د. زغلول النجار عن بعض الحشرات أنها تتغذى على الخشب فقال: "وربما لاحظ الناس منذ القدم نخر بعض الحشرات للخشب -خاصة في البلاد ذات الكساء الخضري الكثيف-، أما حقيقة أن تلك الحشرات بالفعل تأكل الخشب، وتحيى على مادته السيليلوزية[5] واللجنينية الجافة[6]، بإفراز بعض الإنزيمات والخمائر الخاصة عليه، فلم تُدرك إلا بعد تطور علم الحشرات عبر القرون القليلة الماضية، حين بدأ الإنسان يعير هذه المخلوقات الدقيقة اهتمامه، حتى وصل عدد الأنواع المعروفة منها

(١) كالقول بكروية الأرض، فقد جعله د. زغلول النجار من الإعجاز العلمي، مع أنه ذَكَر أن أول من قال به الفلاسفة في حدود سنة ٢٠٠٠ ق. م. انظر: بحث: (يكور الليل على النهار)، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي www.eajaz.org

(٢) كالقول بالزوجية في النبات، وضوء الشمس وأن القمر يستمد نوره منها، ومعرفة السحب الركامية، وتقليب أهل الكهف لحمايتهم من التقرحات الجلدية وآثارها بسبب طول المكث، وغيرها مما قيل أنه من الإعجاز العلمي. انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١٧/ ٢٦٢، ٢٤/ ٢٥٥، ومفتاح دار السعادة، ابن القيم ١/ ٢٠٧، ٢٣٠، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ١٣٠، وتفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٢/ ٢٩٥، ٣٠٥، والفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبد الكريم الحميد ص٢٢٨-٢٢٩، ٢٤٥-٢٤٩.

(٣) انظر: بحث: التحلل في علم الميكروبيولوجي حقيقة علمية دونت في القرآن والسنة، د. أحلام بنت أحمد العوضي، من أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٢٩٠-٣٠٤.

(٤) لمزيد من الأمثلة انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبد الله المصلح ود. عبد الجواد الصاوي ص٢٢٨، وأبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي ص١١، وتفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٣/ ٣٦٩، ٤/ ١٠٨، ٤٥٥، ٤٧٢، ٥٢٥-٥٢٦.

(٥) السليولوز هو: سكر عديد ويُكوِّن المركب الأساسي في الخلايا النباتية، وهو موجود في جميع أنسجة النباتات. انظر: موقع المعرفة www.marefa.org

(٦) اللجنين هو: مكون كيميائي أساسي في الخشب، معقد التركيب ذو وزن جزيئي عالي ويتكون من وحدات، ويوجد اللجنين بين الخلايا، وداخل طبقات الجدار الخلوي وهو المادة التي تربط بين الخلايا وبعضها البعض. انظر: التركيب الكيميائي للأخشاب، د. رمضان ناصر ص٨٠، وموسوعة ويكيبيديا: www.ar.wikipedia.org

اليوم إلىٰ قرابة المليون نوع"، ثم ذكر قول الله تعالىٰ في كيفية وفاة سليمان ﷺ: ﴿إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سبأ:١٤]، وقال: "هي أول إشارة في تاريخ البشرية إلىٰ حقيقة أن من الحشرات ما يعيش علىٰ أكل الأخشاب، وهو سبق علمي يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية"[١].

**وما ذكره الدكتور يَرِد عليه** بأن القرآن يخبر عن قضية وقعت قبل نزول القرآن الكريم، فما هو الدليل علىٰ أن الناس قبل نزوله لم يعرفوا هذه الحقيقة؟

**المثال الثاني:** قال د. زغلول النجار عند تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ [الشورىٰ:٥٠]: "معنىٰ هذا النص القرآني الكريم أن الله تعالىٰ يجعل من يشاء بلا ولد، ذكراً كان أو أنثي، يقال: رجل عقيم، وجمعه عقماء وعقام، وامرأة عقيم وجمعها عقائم وعقم، ويقول ربنا ﷻ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف:٤٦]، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا جعل الله تعالىٰ بعض خلقه عقماء وعقم؟

وللإجابة علىٰ ذلك أقول: لعل من مبررات ذلك أن يستبين فضل نعمة الذرية علىٰ من لا ذرية له، فيحمد صاحب الذرية ذلك لله، ويصبر من لا ذرية له فينال بذلك أجري الدنيا والآخرة، ويحمد صاحب الذرية المعافاة الصحيحة السليمة الصالحة، إذا رأىٰ عند غيره ذرية مخالفة، كما يحمد من لا ذرية له، أنه لم يرزق ذرية معاقة.

فمن المعروف أن تفاعل الشيفرتين الوراثيتين[٢] لكل من الأب والأم، قد ينتج عنه العديد من الطفرات الوراثية المسببة للعديد من الأمراض الخلقية، الناتجة عن التلف في مادة الحمض النووي الريبي المنزوع الأكسجين، الذي تكتب به الشفرة الوراثية، أو في حيود عدد الصبغيات بالزيادة أو بالنقصان، مما يؤدي إلىٰ أمراض مستعصية مثل الأورام السرطانية، والتخلف العقلي والخرف والعته، والشيخوخة المبكرة، والتشوهات الخلقية والعصبية العديدة، ولذلك أكدت الآيتان الكريمتان اللتان نحن بصددهما حقيقة عدل الله

---

(١) تفسير الآيات الكونية ٣/ ٩٧.

(٢) الشفرة الوراثية هي: مجموعة القواعد النيتروجينية، التي من خلالها تترجم الخلايا الحية المعلومات المشفرة في المادة الوراثية المتمثلة في تسلسلات الحمض النووي DNA والحمض الريبي النووي mRNA لبناء البروتينات. انظر: موسوعة ويكيبيديا: www.ar.wikipedia.org

تعالىٰ بتمييز عباده إلىٰ أربعة أقسام:

منهم من يعطيه الإناث، ومنهم من يهبه البنين، ومنهم من يعطيه الذكور والإناث، أو يزوج كلاً منهم بما يناسبه، ومنهم من يجعله عقيماً؛ لأنه تعالىٰ عليم بما يناسب كل فرد من عباده، قدير علىٰ تحقيق هذا التفاوت بين بني آدم بعلمه، وحكمته وإرادته.

والذين يؤمنون بالله تعالىٰ يدركون أن قدر الله هو الخير كله، وهو العدل كله،ولو اطلع الواحد منهم علىٰ الغيب ما اختار غير ما قدر له الله العليم القدير.

هذه الحقائق لم تكن معروفة لأحد من الناس في زمن الوحي، ولا لقرون عديدة من بعده، ولم يكن ممكناً لأحد من الخلق أن يصل إلىٰ ذلك العلم بوسائط العلوم المكتسبة أبداً، ولذلك فإن سبق القرآن الكريم بذكرها بهذا الوضوح والجلاء، لمما يقطع لكل ذي بصيرة، بأن هذا الكتاب المجيد لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه علي خاتم أنبيائه ورسله"[١].

**وهذا القول من الدكتور يُرَدُّ عليه:** بأن العلم المكتسب هو الذي توصل إلىٰ موضوع الشفرات الوراثية، وتحليل الحمض النووي، ولم يرد تفصيل لذلك في الآية، وعليه فيكون قوله بعد ذلك بأن القرآن سبق بذكرها بهذا الوضوح والجلاء، مما يفتقر إلىٰ إثبات من القرآن، وإن كان يقصد بالسبق أن من الناس من يولد له، ومنهم من يكون عقيماً، فهذا أمر يعرفه الناس قبل نزول القرآن، فأين السبق؟!

**المثال الثالث:** إثبات الإعجاز العلمي في قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر:٢٧] فالآية تثبت أن الجبال مختلفة الألوان وهو ما أيدته الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة[٢] بقولها: "في قوله تعالىٰ... إشارة إلىٰ حقيقة جيولوجية[٣] تتمثل في اختلاف وتنوع صخور الجبال وألوانها، والتي يعود اختلاف ألوانها إلىٰ اختلاف تركيبها وتكوينها، كما تشير الآية إلىٰ إمكانية تغير ألوان الصخور مع الزمن، مؤكدة علىٰ علاقة الماء ودوره في هذا الاختلاف والتنوع، ولبيان الإعجاز والسبق

(١) تفسير الآيات الكونية ٣/ ٢٩١-٢٩٢.

(٢) وقد عَدَّ ذلك د. زغلول النجار سبقاً علمياً. انظر: تفسير الآيات الكونية ٣/ ١٢٣.

(٣) الجيولوجيا هي: علم الأرض، وهو علم يبحث في كل خصائص الأرض من حيث تركيبها وكيفية تكوينها، والحوادث التي وقعت في نشأتها الأولىٰ. انظر: موسوعة ويكيبيديا: www.ar.wikipedia.org

والدقة العلمية فيما أشارت إليه الآية نذكر مايلي..."[(١)].

ثم ذكرتْ الهيئة قول الإمام ابن كثيرﷺ وسيد قطبﷺ، وسأذكر نص كلامهما كما ذكرت الهيئة العالمية؛ ليقارن بينه وبين ما توصلوا له من نتيجة.

قالوا: "قال ابن كثير:(يقول تعالىٰ منبها علىٰ كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي ينزله من السماء، يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها، من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض، إلىٰ غير ذلك من ألوان الثمار، كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها...وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان، كما هو المشاهد أيضاً من بيض وحمر، وفي بعضها طرائق - وهي: الجدد، جمع جدة - مختلفة الألوان أيضاً)[(٢)].

وقال سيد قطب:(وينتقل من ألوان الثمار إلىٰ ألوان الجبال نقلة عجيبة في ظاهرها ولكنها من ناحية دراسة الألوان تبدو طبيعية، ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددها... وهنا لفتة في النص صادقة، فالجدد البيض مختلف ألوانها فيما بينها، والجدد الحمر مختلف ألوانها فيما بينها، مختلف في درجة اللون والتظليل، والألوان الأخرىٰ المتداخلة فيه، وهناك جدد غرابيب سود، حالكة شديدة السواد، ولفتة إلىٰ ألوان الصخور وتعددها وتنوعها داخل اللون الواحد، بعد ذكرها إلىٰ جانب ألوان الثمار، تهز القلب هزاً، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي)[(٣)].

ثم قالت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة: "ومن ثم فإن القرآن قد سبق المعارف الحديثة، وأشار إلىٰ ألوان الجدد باللون الأبيض والأحمر وجبال كالغرابيب السود، وذلك بعد حديثه عن عامل حاسم في تلوين الجبال وهو الماء؛ حيث إن الماء له علاقة بأكسدة[(٤)] المعادن الموجودة داخل بنية صخور الجبال، والتي تتلون بقدر أكسدتها، وكل أكسيد لمعدن، يختلف لونه عن الأكسيد الآخر.

---

(١) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٧٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٥٥٣.

(٣) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٤٢.

(٤) الأكسدة هي: عملية فقدان للإلكترونات من قبل الذرات أو الجزيئات أو الأيونات، ينتج عنها زيادة في الشحنة الموجبة، أو نقصان في الشحنة السالبة. انظر: موسوعة ويكيبيديا www.ar.wikipedia.org

لقد وضع القرآن الكريم بإعجازه سراً من أسرار علوم الجيولوجيا، وأطلعنا على أنواع الجبال، ومهد لنا مجال البحث في هذا العلم"(١).

**وهنا نتساءل عن موضع السبق والإعجاز العلمي:** هل هو في ألوان الجبال؟، فهذا أمر ظاهر ومشاهد، كما ذكر الإمام ابن كثيرﷺ وسيد قطبﷺ وغيرهما من المفسرين، وعليه فلا يوجد سبق؛ لأن هذا أمر معروف قبل وجود المعارف الحديثة بدليل ذكر مفسري السلف له ومنهم الإمام ابن كثيرﷺ.

قال محمد إسماعيل: "ليس الإعجاز العلمي في هذه الآية هو التنويه فقط بما للجبال من ألوان مختلفة، ترجع إلى اختلاف المواد التي تُكون صخورها من حديد يجعل لونها السائد أحمر أو منجنيز وفحم يجعله أسود، أو نحاس يجعله أصفر وغير ذلك، ولكن الإعجاز هو الربط بين إخراج ثمرات مختلفات الألوان، يروي شجرها ماء واحد، وخلق جبال حمر وبيض وسود، يرجع أصلها إلى مادة واحدة متجانسة التركيب، أصلها من باطن الأرض، ويسميها علماء الجيولوجيا بالصهارة"(٢).

وقال محمد سميح عافية: "واختلاف ألوان الجبال مظهر واضح يراه عامة المسلمين، ويعرفون أنه يدل على اختلاف في تركيب صخور تلك الجبال، يعرفون هذا الاختلاف حتى لو كان هؤلاء العامة لا تخصص لهم في علم الصخور"(٣).

**وإن قيل: أن السبق** هو في تركيب صخور الجبال، حيث قسمها علماء الجيولوجيا إلى أقسام ثلاثة رئيسة وهي: رسوبية طبقية، وقاعدية متبلورة، وبركانية نارية، **فيقال:** كل هذا لم يرد له ذكر في الآية، ولم ينص عليه الإمام ابن كثيرﷺ أو سيد قطبﷺ في كلامهما.

**المثال الرابع:** قال د. حنفي محمود مدبولي: "لقد وصف القرآن الكريم لحم الحيتان والحيوانات البحرية بأنه طري، حيث لم يستطع علماء البيولوجي بيان هذا الوصف من منظور علمي إلا في القرن العشرين، وهذه صورة من صور الإعجاز العلمي، إذ بينها النبي محمد ﷺ من قبل ذلك بأكثر من ألف وأربعمائة سنة"(٤).

---

(١) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٧٧.
(٢) القرآن وإعجازه العلمي ص١٥٤، وانظر: القرآن وعلوم الأرض، محمد سميح عافية ص٦٦.
(٣) القرآن وعلوم الأرض ص ٦٦.
(٤) مجلة الإعجاز العلمي، العدد ٣٧ رمضان ١٤٣١ ص١٤.

وهذا الكلام من د. حنفي يخالفه الواقع المشاهد، والنقل التاريخي، فإن كون لحم الحيتان والحيوانات البحرية طري أمر مستقر عند من ركب البحر، وأكل مما فيه من مخلوقات، والناس يركبون البحار ويأكلون السمك والحيتان قبل أن ينزل القرآن الكريم، قال الله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٣]، وعليه فليس في ذلك إعجاز؛ لا من جهة السبق ولا من جهة الإخبار، وأمَّا اكتشاف علماء البيولوجي[1] تفاصيل لحم السمك، وتركيبه الكيميائي، فهذا مما توصلوا إليه بالعلوم التي أمكنهم الله ﷻ منها، وقد يُكشف في المستقبل مع تقدم العلم ما هو أكثر مما ذكر.



**الأمر الثاني:** أن بعض ما يذكرون فيه السبق العلمي، هو في حقيقته تعليل لظاهرة ذكرها القرآن، أو هو تلمس لحِكمة، وهذا ما نجده في عناوين وموضوعات بعض أبحاث (الهيئة العالمية للإعجاز العلمي)، ومن تلك الأبحاث:

١) (العنب إعجاز بين غذاء وشفاء) للدكتورة ميساء محمد الراوي[2]، والبحث يقوم على بيان فوائد العنب والتي لم يرد لها ذكر في القرآن الكريم.

٢) (الإعجاز العلمي في تميز الإبل في خلقها عن باقي الحيوانات) للدكتور حامد عطيه محمد[3]، والبحث تفصيل لخصائص الإبل والتي كان يعرفها العرب قبل نزول القرآن الكريم.

٣) (فذروه في سنبله) للدكتور عبد المجيد بلعابد[4]، والبحث هو تلمس للأسباب التي من أجلها أمر يوسف ﷺ أن يبقى الحب في سنبله.

---

(١) البيولوجيا هو: علم من العلوم الطبيعية يهتم بدراسة الحياة وأشكالها المختلفة، ووظيفته كيف تتفاعل الكائنات الحية هذه مع بعضها، ومع البيئة المحيطة بها. انظر: موسوعة ويكيبيديا ww.ar.wikipedia.org

(٢) من أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز في القرآن والسنة ١/ ٣٥٩.

(٣) من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز في القرآن والسنة ص١٤.

(٤) من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز في القرآن والسنة ص ١٠١.

٤) (إعجاز القرآن الكريم في مدة الرضاعة ونوعيتها) للدكتور فهمي مصطفىٰ محمود[1]، والبحث يبين أهمية الرضاعة الطبيعية، ونوعية الحليب الصالح للمولود، وأفضل مدة للإرضاع، وكل هذه المسائل عرفتها البشرية قبل نزول القرآن الكريم، والأمهات في الجاهلية يرضعن أولادهن، ويتخيرن المرضعات لهم؛ لمعرفتهن بفوائد الرضاعة، وأثرها علىٰ الطفل، وأما ما ذكره القرآن الكريم فهو بيان أحكام الرضاعة، وحقوق الراضع، والواجب علىٰ المرضع، والمرضَع له[2].

قال د. محمد حسن هيتو: "فالمعجزة شيء، وإدراك الحكمة والإحاطة بها شيء آخر"[3]، وقالت د. أرویٰ عبد الرحمن أحمد: "أما العلماء المعاصرون فلم يخرجوا عما نقله لنا الأقدمون، لكنهم استفاضوا في الحكمة من ذلك"[4].

**ثانياً:** اشتملت بعض التعاريف علىٰ إطلاق لفظ (الحقائق العلمية)، وهذا الإطلاق لم يطرد في التطبيق العملي للمشتغلين بالإعجاز العلمي، وذلك أن بعضهم يصرح باعتماده علىٰ النظريات العلمية في إثبات الإعجاز[5]، ولذلك فإن الحقائق العلمية وصف غير دقيق، ويفتقر إلىٰ مبدأ الثبات الذي هو الهدف من استخدام الحقيقة العلمية ضمن الإعجاز العلمي.

وعليه فلا بد من تحرير القول في الحقائق العلمية، وهل ذلك في تقرير أصل المسألة العلمية أم في تفاصيلها؟، وهل هو قائم علىٰ دليل قطعي، أم علىٰ دليل تجريبي ظني؟ فإذا تحقق مثل هذا وغيره، عند ذلك تبحث مسألة المطابقة والمعالجة[6].

قال د. حسن الأسمري: "ولذا أصبح مفهوم الحقيقة داخل الفكر الحديث في غاية التعقيد، وستبقىٰ الحقيقة بهذه الحال ملتبسة عند أي مجتمع لا يملك مصدراً موثوقاً، وميزاناً مطلقاً يحكم به، ويحتكم إليه، والذي هو في النهاية الوحي من رب العالمين،

---

(١) من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز في القرآن والسنة ص١٨١.

(٢) انظر: الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أحمد الزهراني ص٢٦٠-٢٦٣.

(٣) المعجزة القرآنية ص٧٨.

(٤) بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ١/ ١٨٢.

(٥) انظر: آيات النبات في القرآن، د. زغلول النجار ص١١٨، وتفسير الآيات الكونية، له ١/ ٣٧-٤١، وإشارات التباين البشري في القرآن، د. مبارك المجذوب، من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي ص١٢٥.

(٦) انظر: الحصون الحميدية للمحافظة علىٰ العقائد الإسلامية، حسين محمد الجسر ص١٥١-١٥٣، والفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر شيخ إدريس ص ٣٤، والنظريات العلمية الحديثة، د. حسن الأسمري ١/ ٧١١.

وهو القرآن الكريم، فهو المحكم والحاكم، وأما غير ذلك فستبقى الحقيقة ملتبسة فيه حتى داخل العلم، ولاسيما بعد التحول من المنهج الاستقرائي إلى المنهج الفرضي المعاصر[١].

وعلى هذا فكل من تحدث عن الحقيقة العلمية، فلا بد أن يكون مستوعباً لمثل هذه المستجدات حول مفهوم الحقيقة أولاً، ثم حول مفهوم الحقيقة العلمية ثانياً"[٢].

**ثالثاً: عدم مراعاة الأصل اللغوي للإعجاز:** فعُرِّفَ لفظ الإعجاز بمعان لا تتصل والدلالات اللغوية للكلمة، كمن عرفه بـ"تأكيد الكشوف العلمية الحديثة الثابتة والمستقرة للحقائق الواردة في القرآن الكريم" أو "إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي" أو "موافقة القرآن الكريم أو السنة النبوية لحقائق العلم التجريبي الحديث".

فألفاظ (التأكيد، والموافقة، والإخبار) لا تدل عليها معاني الإعجاز في اللغة إلا من باب التوسع في الدلالة أو من قبيل المجاز.

**رابعاً: الخلط بين تعريف الإعجاز العلمي وبين تعريف المعجزة:**

فقد عرف د. عبدالله المصلح الإعجاز العلمي بأنه: "الأمر الخارق للعادة، المقرون بالتحدي، السالم من المعارضة، المتعلق بقضية علمية وصل العلم فيها إلى سقف المعرفة" وسيأتي بيان علاقة الإعجاز العلمي بالمعجزة في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

**خامساً: الخلط بين تعريف الإعجاز العلمي والتفسير العلمي:** كما في تعريف محمد كامل عبد الصمد، وأحد تعاريف د. زغلول النجار، والتي نصت على أن الإعجاز العلمي هو: استخراج معان من بعض الآيات، أو توسيع مدلولاتها وتعميق معانيها.

---

(١) ونبه د. جعفر شيخ إدريس في كتابه (الفيزياء ووجود الخالق ص٣٤-٣٥) إلى: أن العلمانيين نجحوا في إيهام كثير من الناس، بأن الحقائق العلمية تبطل الدعاوى الدينية، وتؤيد النظريات الإلحادية، بل نجحوا في إيهامهم، بأن النظرة الإلحادية إلى الوجود، هي وحدها النظرة العلمية...وقد ظفروا بهذا الذي أرادوه بوسائل عدة أهمها: تفسير الحقائق العلمية بنظريات إلحادية، ثم تصوير هذه النظريات على أنها هي وحدها القادرة على تفسير تلك الحقائق، واستبعاد كل نظرية يتمكن أن يشم منها رائحة تأييد الدين.

(٢) النظريات العلمية الحديثة ١/ ٤٥-٤٦، وانظر: نظريات الإعجاز القرآني، د. أحمد رحماني ص١٢٩، وتصنيف المعرفة والعلوم في ضوء خصائص الأمة الإسلامية، أحمد الصفدي ص٦٤، ونقد الحديث النبوي بالعلم التجريبي، د. ثامر حتاملة ص١٦٦-١٦٧، ومقال: نسبية الحقيقة في العلم التجريبي، د. خالد الدريس، جريدة المدينة، ملحق الرسالة تاريخ ٢١/ ١٢/ ٢٠١٢م، والطفرات العلمية الزائفة، تشارلز إم وين وآرثر دابليو ويجنز، وأساليب الدعوة في سورة الأنعام، عبد الباقي الصغير ص١٩٤-١٩٥، وإعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح الخالدي ص٣٨٨-٣٩٩، والقرآن الكريم كتاب أحكمت آياته، د. أحمد جمال ١/ ٤٤٣.

وهذا الذي ذكروه هو من قبيل التفسير العلمي لا من قبيل الإعجاز العلمي[١]، مع أن التفسير العلمي كان ممهداً لظهور الإعجاز العلمي كما سيتضح من تتبع كيفية نشأة الإعجاز العلمي.

**التعريف المختار:**

سيأتي في نهاية المبحث الرابع من هذا الفصل بيان التعريف المختار[٢]؛ لأن التعريف له علاقة بما يترجح من قولٍ في حكم مصطلح الإعجاز العلمي، وما تضمنه من معاني.



(١) انظر: الإعجاز البياني في القرآن الكريم، د. عمار ساسي ١/ ٦١.
(٢) انظر: ص ١٣٢.

### ❁ ثانياً: نشأة الإعجاز العلمي.

**تمهيد:**

لقد أنزل الله القرآن الكريم على نبيه محمد ﷺ، فبلَّغه إلى الناس، وسمعه المشركون فعجبوا من بلاغته، وجزالة معانيه، وبديع نظمه، فأخذ بألبابهم، ولم يستطيعوا صرف الناس وأنفسهم عن سماعه إلا بوصف النبي ﷺ بالساحر والشاعر، وغيرها من الألفاظ التي هم في قرارة أنفسهم يعلمون براءته ﷺ منها، قال الله تعالى عن الوليد بن المغيرة: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:١٨-٢٥] فالأمر فيه تفكر، وتقدير، وتدبر، ولم يكن ذلك هيناً، فما أصعب أن ينتقل الوليد من إعجابه بالقرآن الكريم إلى اتهام لمحمد ﷺ بأنه شاعر، وما يتبع ذلك من إقناع لقومه بما يريد أن يصف به النبي ﷺ[1].

وقد كان المشركون أصحاب ذائقة عالية لأساليب القرآن الكريم، فهم أهل البلاغة والبيان، ولذا أمرهم الله بالإتيان بمثله فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور:٣٣-٣٤] فلم يستطيعوا، وأمرهم أن يأتوا بعشر سور فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود:١٣]فلم يستطيعوا، وأمرهم أن يأتوا بسورة فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:٢٣]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس:٣٨] فلم يستطيعوا ولن يستطيعوا معارضته ومجاراته في مخاطباته: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨]، فحينها عمدوا إلى صرف الناس عن الاستماع إليه، والانتفاع به: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦]، وخاضوا الحروب الطويلة ضد النبي ﷺ، ومن آمن معه بهذا القرآن العظيم،

---

(١) انظر: مستدرك الحاكم ٢/ ٥٥٠.

وضحوا في سبيل ذلك بالغالي والنفيس[١].

ولما ضعف اللسان العربي، وقلت الذائقة البلاغية للنص القرآني، اتجه الناس إلى طرق أخرى تبرز تفرد القرآن في لفظه ومعناه عن سائر كلام البشر، فظهر الحديث عن إعجاز القرآن ووجوهه، والتي منها الإعجاز العلمي، والذي كانت نشأته امتداداً لنشأة القول بالإعجاز[٢]، وسأتناول نشأة الإعجاز العلمي من خلال المراحل التالية:

- المرحلة الأولى: ظهور مصطلح الإعجاز.
- المرحلة الثانية: الأسس النظرية للتفسير العلمي والإعجاز العلمي.
- المرحلة الثالثة: التطبيق العملي لفكرة التفسير العلمي والإعجاز العلمي.
- المرحلة الرابعة: النهضة الأوربية والتحول في التفسير العلمي.
- المرحلة الخامسة: التفسير العلمي في القرن الرابع عشر الهجري وبداية القرن الخامس عشر الهجري.
- المرحلة السادسة: ظهور مصطلح الإعجاز العلمي.

### المرحلة الأولى: ظهور مصطلح الإعجاز.

كان الصحابة ﷺ ومن بعدهم يستعملون الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة، كلفظ الآية والحجة والبرهان والسلطان والبينة وغيرها، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:٣٨]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥]، وقال تعالى: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [القصص:٣٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من

---

(١) انظر: إعجاز القرآن، أبو بكر محمد الباقلاني ص٦ ومابعدها، والنبأ العظيم، د. محمد عبدالله دراز ص٨٦.
(٢) انظر: الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د. محمد أبو موسى، والإعجاز في نظم القرآن، د. محمود السيد، ونظرات في الإعجاز القرآني والتحدي، د. عيسى الدريبي، والآيات الكونية في القرآن الكريم، د. كارم السيد ص٣١-٣٧، ٤٦-٤٧، ونقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن الكريم، د. إبراهيم الحميضي ص١٦.

لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجوداً في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ (الآية) و(البينة) و(البرهان)"(١).

وقد وُجِدت إشارات وتلميحات للفظ الإعجاز في كتب معاني القرآن- وهي من أقدم ما ألف عن القرآن: "ومن أوائلها كتابان اثنان:

**أحدهما**: مجاز القرآن لأبي عبيدة(٢).

**والثاني**: معاني القرآن: للفراء(٣)...[وفيهما] نجد البذور الأولى التي تحدثت عن أسلوب القرآن ونظمه وبخاصة...مجاز القرآن، فهناك حديث عن التشبيه والكناية، والإشارة، والتأكيد، إلى غير ذلك مما كان الأساس الذي بنى عليه العلماء اللاحقون كثيراً من قضايا الإعجاز"(٤).

وبهذا يتبين أن قول د. زغلول النجار: "أن التعبير عن إعجاز القرآن بالإعجاز والمعجزة، قد استخدم منذ القرون الهجرية الأولى، ولم يجد علماء المسلمين من الصحابة والتابعين غضاضة في استخدام هذا التعبير، على الرغم من عدم وروده بهذا المعنى في كتاب الله"(٥)، قول غير صحيح، ولا دليل عليه، فلم ينقل عن أحد من الصحابة أو التابعين من أهل القرن الأول، استخدام هذا اللفظ، وإنما كانوا يلتزمون ألفاظ القرآن والسنة كما سبق.

قال د. عمار ساسي: "الناظر في تاريخ المصطلح يلحظ أن كلمة إعجاز بهذه الصيغة والحروف، لم تظهر في عهد النبوة، ولم يتداولها الصحابة على ألسنتهم"(٦).

---

(١) الجواب الصحيح ٥/ ٤١٢، وانظر: النبوات ١/ ٢١٥، ٢/ ٨٢٨.

(٢) هو: أبو عُبيدة معمر بن المثنَّى التيمي البصري، النحوي اللغوي، وهو أول من صنّف في غريب الحديث، كان عالماً بالشعر وأيام العرب وأخبارها، وبالأنساب، توفي عام ٢٠٨هـ أو ٢٠٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ٤/ ٤٤٥، وبغية الوعاة، السيوطي ٢/ ٢٩٤.

(٣) هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكريا، المعروف بالفراء، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، ولد بالكوفة عام ١٤٤هـ وانتقل إلى بغداد، وكان أكثر مقامه بها، توفي في طريقه لمكة عام ٢٠٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي١٠/ ١١٨، وطبقات النحويين، الإشبيلي ص١٣١.

(٤) إعجاز القرآن الكريم، د. فضل عباس ص ٣٧-٣٨.

(٥) آيات النبات في القرآن الكريم ص٥١-٥٢.

(٦) الإعجاز البياني في القرآن الكريم ١/ ٢٢-٢٣، ٣٠، وانظر: الإعجاز العددي في الدراسات القرآنية المعاصرة، إيمان محمد حبيب ص٤٠، والبيان في إعجاز القرآن، د. صلاح الخالدي ص٣١-٣٢.



ولفظ الإعجاز والمعجزة كمصطلح لم يظهر إلا في كلام أهل القرن الثالث الهجري، وفيه بدأ الحديث عن إعجاز القرآن مباشرة، وأصبح الكلام فيه مبحثاً قائماً بذاته، يقصد إليه قصداً[(١)]، وأقبل علماء اللغة والأدب والبلاغة، والتفسير وعلماء الكلام، على البحث في إعجاز القرآن، و"ظهرت أكثر النظريات الرئيسة في الإعجاز...وكثر الكلام في الدين والنبوة، وبحث في الإعجاز على أنه فرع لهما"[(٢)]، بل صار جزءاً من الدراسة الأصلية لعلوم القرآن الكريم، وقسم النبوات من العقيدة.

وقد تعددت أقوال العلماء في عد أوجه إعجاز القرآن الكريم[(٣)]، وكان سبب ذلك تحقيق مناط الإعجاز، هل هو اللفظ فقط، أم المعنى فقط، أم جزء من أحدهما، أومجموع ذلك، وكذلك ظهر الرد على بعض الآراء في إعجاز القرآن[(٤)]، والتي أبرزت وجهاً على آخر[(٥)]، ومن رجح وجهاً على وجه لا يمكن القول بأنه ينكر الوجوه الأخرى، أو يبطلها "بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له" كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ[(٦)].

ثم تتابع التأليف في بيان أوجه الإعجاز مفرداً أو مقروناً بغيره من سائر العلوم، وكان من هذه الأوجه ما اشتمل عليه القرآن الكريم من إشارات علمية في الكون والطبيعة والحياة، وفي الإنسان، والتي عرفت بعد ذلك بالتفسير العلمي والإعجاز العلمي.

**المرحلة الثانية: الأُسس النظرية للتفسير العلمي والإعجاز العلمي.**

لما نشطت الحركة العلمية والثقافية في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وترجمت الكتب الفارسية والهندية واليونانية، في العهد العباسي الأول، دخلت بعض الأفكار المنحرفة والآراء الفلسفية إلى العالم الإسلامي، ووجد فيها ما يتعارض مع الدين

(١) انظر: مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي ص٢٧١-٢٧٢، وإعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح الخالدي ص٨١-٨٥، ودراسات في الإعجاز العددي، مصطفى عمر الكندي ص٩٣-١٠٠، وموقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير، د. محمود علي البعداني ٢/ ٩٤٦.

(٢) فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي ص٥٠.

(٣) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي ١/ ٥، ومباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم ص١١٣

(٤) كالقول بالصَّرفة الذي تبناه بعض المعتزلة.

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٢/ ٩٤، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٢/ ١١٨.

(٦) الجواب الصحيح ٤/ ٧٥.

ولا يتفق معه، فعمل العلماء على ردها، وإرشاد الناس إلى ما فيها، وبيان أن القرآن الكريم قد اشتمل على ما فيه مصالح العباد من العلوم الدينية والدنيوية، وكان أول من أشار إلى هذا في القرن الخامس الهجري ابن سراقة[(١)] ﷺ، والماوردي[(٢)] ﷺ.

ثم في نهاية القرن الخامس الهجري توسع في ذلك أبو حامد الغزالي ﷺ في كتابه: (إحياء علوم الدين) و(تهافت الفلاسفة) وخصه بكتاب سماه: (جواهر القرآن) قال فيه: "ثم هذه العلوم [كعلم الطب والنجوم، وهيئة العالم، وهيئة بَدَنِ الحيوان، وتشريح أعضائه، وغير ذلك] ما عددناها وما لم نعدها، ليست أوائلها خارجة عن القرآن، فإن جميعها مُغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى، وهو بحر الأفعال، وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له، وأن البحر لو كان مداداً لكلماته، لنفد البحر قبل أن تنفد، "فتفكَّر في القرآن والتمس غرائبه، لتصادف فيه مجامع علم الأوَّلين والآخرين، وجملة أوائله، وإنما التفكر فيه للتوصل من جملته إلى تفصيله وهو البحر الذي لا شاطئ له"[(٣)].

وعدَّ د. فهد بن عبدالرحمن الرومي هذا التوسع من الغزالي ﷺ هو وضع منه للأسس النظرية للتفسير العلمي، بل إن الغزالي روَّج للتفسير العلمي، ومهد السبيل لمن أراد سلوكه، وإن كان هو لم يسلكه[(٤)]، واعتبر نعيم الحمصي أن الغزالي ﷺ كان ممهداً لفكرة الإعجاز العلمي[(٥)]، وقال د. عبدالله المصلح: "أما الإعجاز العلمي فإن محاولات الكتابة فيه بدأت – حسب ما اطلعنا عليه – أيام أبي حامد الغزالي في نهاية القرن الخامس الهجري"[(٦)].

---

(١) هو: أبو الحسن محمد بن يحيى بن سراقة العامري، البصري الشافعي، ارتحل في الحديث إلى فارس وأصبهان والدينور، وكان من أئمة الشافعية، توفي عام ٤١٠هـ. انظر: طبقات الفقهاء الشافعية، ابن الصلاح ١/ ٢٨٥، والوافي بالوفيات، ابن أيبك الصفدي ٥/ ١٢٩.

(٢) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، إمام في الفقه والأصول والتفسير، وبصير بالعربية، وكان من رجال السياسة، توفي عام ٤٥٠هـ. انظر: سير اعلام النبلاء، الذهبي ١٨/ ٦٤، وطبقات الشافعية، السبكي ٥/ ٢٦٧.

(٣) جواهر القرآن ص٤٤-٤٧، وانظر: إحياء علوم الدين ١/ ٢٥٨.

(٤) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد بن عبدالرحمن الرومي ٢/ ٥٥٥، والتفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي ٢/ ٣٥٥.

(٥) انظر: تاريخ فكرة إعجاز القرآن ص١٣١.

(٦) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان ص٨٤، وانظر: الإعجاز البياني في القرآن الكريم، د. عمار ساسي ١/ ٦١، وموقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير، د. محمود البعداني ص٩٧٦، وضوابط الاستشهاد بالعلم التجريبي في تأييد الوحي، د. ماجدة العنزي ص٤٤-٤٦.

وأبو حامد الغزالي ﷺ كما سبق لم يصرح بلفظ التفسير العلمي أو الإعجاز العلمي، وإنما غاية مقصده من مقولته، التعرف على الله تعالى من خلال القرآن الكريم، بما اشتمل عليه من أصول العلوم ومفاتيحها.



**المرحلة الثالثة: التطبيق العملي لفكرة التفسير العلمي والإعجاز العلمي.**

في القرن السابع الهجري بدأت فكرة التفسير العلمي أو الإعجاز العلمي تنتقل من التنظير إلى التطبيق العملي، وذلك على يد فخر الدين الرازي ﷺ الذي سلك في تفسيره (مفاتيح الغيب) طريقة الطبيعيين في الكونيات، فتكلم في الأفلاك والأبراج والحيوانات والنبات وغيرها، وكان مراده من ذلك، أن يبين تفوق الحكمة القرآنية على سائر الطرق الفلسفية(١)، قال د. محمد حسين الذهبي(٢) ﷺ: "ووجدنا أيضاً أن هذه الفكرة قد طُبِّقت عملياً، وظهرت فى مثل محاولات الفخر الرازى، ضمن تفسيره للقرآن"(٣).

ثم في عصر المماليك نشط التفسير العلمي، وصار له دعاة يدعون إليه ويكتبون فيه، ويعملون على ترويجه، فألف ابن سراقة ﷺ كتابه: (إعجاز القرآن)، وبحث فيه قضية العلوم في القرآن، ونقل عنه السيوطي(٤) ﷺ في كتابه (الإتقان في علوم القرآن)(٥)، ونقل عن ابن أبي الفضل المرسي(٦) ﷺ قوله عن القرآن: "قد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل، مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة

---

(١) انظر: التفسير والإعجاز العلمي، د. مرهف السقا ص، والتفسير العلمي في الميزان، د. أحمد عمر أبو حجر ص١٥٦، ودراسات في التفسير وأصوله، د. محمد البلتاجي ص١٠٨.

(٢) هو: محمد حسين الذهبي، باحث مفسر من كبار علماء الأزهر، ولد عام ١٣٣٣هـ شغل منصب أستاذ بالمعهد الديني بالقاهرة، ثم بكلية أصول الدين بالأزهر، فوزيراً للأوقاف، اختطف وقتل عام ١٣٩٧هـ انظر: إتمام الأعلام، نزار أباظة ومحمد رياض المالح ص٢٣١.

(٣) التفسير والمفسرون ٢/ ٣٥٥.

(٤) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، نسبة إلى أسيوط في صعيد مصر، نشأ فيها يتيماً، ورحل إلى عدد من البلدان ثم استقر بمصر، تولى مناصب عدة، ولما بلغ الأربعين اعتزل في منزله، وعكف على التصنيف، توفي بالقاهرة عام ٩١١هـ انظر: شذرات الذهب، ابن العماد ١٠/ ٧٤، والبدر الطالع، الشوكاني ١/ ٣٢٨

(٥) انظر: ٢/ ١٢٨.

(٦) هو: محمد بن عبد الله بن محمد السلمي شرف الدين ابن أبي الفضل المرسي، سمع الحديث بمرسية، وببغداد وخراسان ونيسابور وهراة ومرو وغيرها، وكان فقيهاً محدثاً أصولياً نحوياً أديباً زاهداً متعبداً، توفي عام ٦٥٥هـ انظر: طبقات الشافعية، السبكي ٨/ ٦٩، والأعلام، الزركلي ٦/ ٢٣٣.

وغير ذلك"[١].

وزعم أن علم الهندسة موجود في قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات:٣٠]، قال: "إن فيه قاعدة هندسية وهي أن الشكل المثلث لاظل له، وأن الجبر والمقابلة مأخوذان من أوائل السور فإن فيها ذكر عدد وأعوام وأيام التواريخ لأمم سالفة..."[٢].

وضمَّن بعض المفسرين تفاسيرهم القضايا الكونية، متأثرين بطريقة فخر الدين الرازي، ملخصين ومختصرين لأقواله في الكونيات، كأمثال البيضاوي رحمه الله في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ونظام الدين القمي النيسابوري[٣] رحمه الله في تفسيره (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، وكذلك كتب علوم القرآن لم تخل من حديث عن العلوم التي اشتمل عليها القرآن ككتاب: (اللباب من علوم الكتاب)، لابن عادل[٤] رحمه الله، وكتاب: (البرهان في علوم القرآن) لبدر الدين الزركشي[٥] رحمه الله، وكتب السيوطي رحمه الله: (الإتقان في علوم القرآن) و(الإكليل في استنباط التنزيل) و(معترك الأقران في إعجاز القرآن)، وغيرهم.[٦]

## المرحلة الرابعة: النهضة الأوربية والتحول في التفسير العلمي:

في بدايات الدولة العثمانية، لم تستمر الحركة العلمية على ما كانت عليه أيام المماليك، والسبب هو انشغال الدولة العثمانية بالفتوحات، وغلب عليها الطابع

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٢/ ١٢٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢/ ١٢٧، ومعالم الهدى، مروان القيسي ص٦٦-٦٧.

(٣) هو: نظام الدين حسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري المعروف بنظام الأعرج، أصله من مدينة قُم بإيران، ونشأ بديار نيسابور، توفي عام ٧٢٨هـ وقيل: عام٨٥٠هـ وقيل: بعدها. انظر: الأعلام، الزركلي ٢/ ٢١٦، ومعجم المؤلفين، كحالة ٣/ ٢٨١.

(٤) هو: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، لم يذكر من ترجم له عام ولادته ووفاته، ويتبين من مولد ووفاة شيوخه أنه ولد في أواخر القرن السابع، وعلى وجه أقرب بعد سنة ٦٧٥ هـ. انظر: كشف الظنون، حاجي خليفة ٢/ ١٥٤٣، والأعلام، الزركلي ٥/ ٥٨.

(٥) هو: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، بدر الدين، عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، سمع الحديث، ورحل إلى دمشق وحلب، توفي عام ٧٩٤هـ بمصر. انظر: طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة ٣/ ١٦٧، والدرر الكامنة، ابن حجر ٥/ ١٣٣.

(٦) انظر: التفسير والإعجاز العلمي، د. مرهف السقا ص١٢١-١٢٤.

العسكري، فكان أن ضعف التأليف وجمد، وأصابه الركود، وفي الوقت ذاته، استفادت أوروبا من أبحاث علماء المسلمين في مختلف ميادين العلوم، فنقلت علومهم من الأندلس وصقلية وغيرها إلىٰ بلادها، فكان لذلك أثر في نشاط حركة العلم في أوربا، وقويت في العلوم المادية، وقابله ضعف وتأخر في العالم الإسلامي، مما أوجد اتجاهين في العالم الإسلامي أمام هذا التقدم المادي:

**الاتجاه الأول**: متابعة أوروبا في منهجها وطريقتها، ولو كان ذلك بتنحية الدين وفصله عن العلوم.

**الاتجاه الثاني**: نقد الحال التي وصل إليها المسلمون من تخلف وجهل، ومحاولة إعادة المسلمين إلىٰ الصواب من خلال:

١. بيان أن الإسلام يحث علىٰ العلم ويدعو للتفكر والتدبر في الكون وعلومه.
٢. بيان أن العلم في الإسلام لا ينفك عن أصول الدين.

وأمام هذا الواقع، ومحاولة دفعه وتغييره، "تحول التفسير من استنباط للعلوم من القرآن كما كان عليه السلف الصالح ﷺ، ومن استخدام العلوم في فهم القرآن وشرح دلالته...إلىٰ إخضاع القرآن ودلالاته للمصطلحات (العلمية) الغربية، والنظريات المطروحة في الساحات الثقافية، بمنهج ردة فعل عاطفي حماسي مندفع غير منضبط، نلمس آثاره إلىٰ الآن"(١).

وظهرت مؤلفات في هذه المرحلة اهتمت بهذا الجانب، من أشهرها: (كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية) للطبيب محمد أحمد الإسكندراني(٢)(٣)، وهنا نلحظ أن المؤلفين في هذه المرحلة هم من غير أهل الاختصاص الشرعي، وإنما هم من أهل الاختصاصات الكونية والطبية وغيرها.



(١) التفسير والإعجاز العلمي، د. مرهف السقا ص ١٣٤.
(٢) هو: محمد بن أحمد الإسكندراني، طبيب، وباحث، من أهل الإسكندرية، عمل في العسكرية البحرية بمصر إلىٰ سنة ١٢٥٦هـ ورحل إلىٰ دمشق فتولىٰ رئاسة أطباء الجيش، وتوفي بها عام ١٣٠٦هـ. انظر: معجم المطبوعات العربية، يوسف بن إليان ٢/ ٤٣٨، والأعلام، الزركلي٦/ ٢١، وهدية العارفين، البغدادي ٢/ ٣٨٨.
(٣) انظر: تفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٢/ ٢.

**المرحلة الخامسة: التفسير العلمي في القرن الرابع عشر الهجري وبداية القرن الخامس عشر الهجري.**

في القرن الرابع عشر الهجري ظهرت الدعوات الصريحة إلىٰ فصل الدين عن الحياة علىٰ يد العلمانيين، وتغليب المنهج العقلي الموروث عن المعتزلة[1]، وظهرت الدعوة إلىٰ القومية، وبدأ الصراع بين فئات وطوائف العالم الإسلامي، واتجه المسار العلمي في التفسير إلىٰ طابع الجمود علىٰ تحليل الألفاظ، والنقل والنسخ، والاعتماد علىٰ ماسبق.

ولم تنعدم الساحة العلمية من محاولات للنهوض بالمسلمين، وإيقاظ لهم من رقدة الخمول والركود، والتأثر بالوافد من أوروبا، لكن كان لاختلاف معارف القائمين بهذه المهمة الكبيرة، ومنهجهم في الإصلاح، أثر في تنوع فهمهم لآيات القرآن الكريم[2].

قال د. محمد حسين الذهبي ﷺ: "قد استمرت هذه النزعة العلمية العقلية وراجت في بعض العصور رواجاً عظيماً، كما راجت في عصرنا الحاضر تفسيرات، يريد أهلها من ورائها أن يُحَمِّلوا آيات القرآن كل العلوم، ما ظهر منها وما لم يظهر، كأن هذا - فيما يبدو- وجه من وجوه إعجاز القرآن وصلاحيته لأن يتمشىٰ مع الزمن"[3].

ولم يقف الأمر عند التفسير العلمي، بل ظهر مصطلح جديد أطلق عليه (الإعجاز العلمي)، قال د. عبدالحفيظ الحداد: "فإن المتتبع لتأريخ استعمال هذا المصطلح، سوف يتوصل إلىٰ قناعة مختصرها، أن علماء الأمة الإسلامية قد استعملوا تسميات متعددة في هذا المضمار، تتناسب مع حجم ومستوىٰ التقدم العلمي الذي كان يحصل عندهم في مجالات العلوم الكونية، بحيث إن البعض قد أورد شواهد لهذا الميدان، ولكن دون أن ينص علىٰ أنه إعجاز علمي، والبعض قد أورد نماذج ووصفها بما يقارب هذا المصطلح أو يماثله، ولكن لا يطابقه، وهكذا وهكذا، إلىٰ أن برزت هذه التسمية في بعض الكتب

(١) المعتزلة هم: فرقة نشأت علىٰ يد واصل بن عطاء عام ١٠٥هـ وقد قدمت العقل علىٰ النص الشرعي في فهم العقيدة، مما أدىٰ إلىٰ انحرافها عند عقيدة السلف، وسبب تسميتهم بالمعتزلة نسبة لاعتزال واصل بن عطاء لحلقة الحسن البصري، ومن عقائدهم: إنكار جميع الصفات، والقول بأن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، والقول بخلق القرآن، وغيرها. انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي ص ١١٤، والملل والنحل، الشهرستاني ١/ ٤٣.

(٢) انظر: الاتجاهات المنحرفة في التفسير، د. محمد حسين الذهبي ص١٦-١٧، والتفسير والمفسرون، له أيضاً ٢/ ٥١٨، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد الرومي ص٢٧٠، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، له أيضاً ٢/ ٥٥٠-٦٠٤.

(٣) الاتجاهات المنحرفة في التفسير ص١٦-١٧.

قبل عدة عقود"[١].

وقال د. كارم السيد غنيم ود. عبد العظيم الجمال: "أما في القرن الرابع عشر الهجري فقد ظهرت النزعة العلمية بقوة واضحة، وازداد نشاط العلماء المسلمين وغير المسلمين أحياناً في بيان أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، نظراً لأن لغة الزمن الحديث والمعاصر، هي لغة العلوم والمخترعات والمكتشفات، حيث أضحىٰ الإلحاد هو الإلحاد العلمي الذي يبحث عن نظريات علمية، كبدائل لفكرة الخلق، وقدرة خالق حكيم يهيمن علىٰ الكون"[٢]، ووصف د. عبدالله المصلح القرن الرابع عشر بالعصر الذهبي للإعجاز العلمي.[٣]



**المرحلة السادسة: ظهور مصطلح الإعجاز العلمي.**

في بداية القرن الخامس عشر الهجري ازداد ظهور مصطلح (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) وأصبح قرين التفسير العلمي، واحتل مكانة في البحوث والدراسات، وانتشرت المؤلفات التي تحمل لفظ (الإعجاز العلمي) من المختصين بالعلوم المادية ومن غيرهم[٤].

قال د. دسوقي أحمد عبدالحليم: "وهناك لون آخر من ألوان إعجاز القرآن اتجهت إليه أنظار علماء المسلمين في الفترات الأخيرة، وهو الحديث عن بعض المسائل العلمية التي لا عهد لمحمد ﷺ بالذات بعلمها، ولا عهد للعرب الذين ووجهوا بالقرآن بها، ثم ثبت بعد ذلك صدق هذه المسائل"[٥]، وقال د. محيي الدين عبدالله حسن: "مصطلح الإعجاز العلمي والتفسير العلمي من المصطلحات التي استحدثت ثم شاعت في العصر الحديث"[٦]، ومن الأهداف الرئيسة لظهور هذا المصطلح:

---

(١) نشرة الحقيقة العدد ٨ شهر ذو القعدة وذو الحجة عام ١٤٢٩هـ والعدد ١١ شعبان عام ١٤٣٠هـ.

(٢) الجراد في القرآن الكريم والعلم الحديث ص١٨.

(٣) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان ص٨٤، وانظر: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في مجال الطقس والمناخ، د. نعمان شحادة ص٢٥، ومجالات الإعجاز في القرآن الكريم، د. محمد السيد أرناؤوط ص٢٧.

(٤) انظر: التفسير العلمي للقرآن الكريم، د. محيي الدين عبدالله ص٥، والمعجزة الخالدة، د. علي الصلابي ص٩، ٢٠.

(٥) معجزة الماء إشارات قرآنية ودلالات علمية ص١٠.

(٦) التفسير العلمي للقرآن الكريم ص٥، وانظر: المعجزة الخالدة، د. علي محمد الصلابي ص٩، ٢٠.

١) إيجاد خطاب جديد يعتمد على الحجة والبرهان العلمي.

٢) الرد على الشبهات التي يطرحها الملحدون وأعداء الدين.

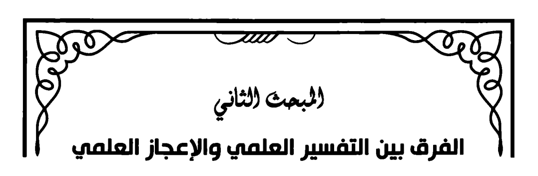
٣) إثبات أن القرآن وحي من الله وليس من عند محمد ﷺ.

وكانت جهود البحث في الإعجاز العلمي فردية، ثم أصبحت مؤسسية، فأنشئت هيئات متخصصة في الإعجاز العلمي، على رأسها الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في مكة المكرمة، والتي أنشئت عام ١٤٠٠هـ تحت مسمى (مؤسسة الإعجاز العلمي)، ثم في عام ١٤٢٣هـ قرر المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في دورته السابعة والثلاثين تطوير الهيئة، وأصبح مسماها (الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة) وهي إحدى هيئات رابطة العالم الإسلامي ذات الشخصية المستقلة، ثم تتابع إنشاء عدد من الهيئات والجمعيات التي تعنى بالإعجاز العلمي في عدد من البلاد الإسلامية وغيرها ومنها: مركز دراسات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ولجنة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة في مصر، وجمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة في مصر، والهيئة الأردنية للإعجاز العلمي للقرآن والسنة، والهيئة المغربية للإعجاز العلمي للقرآن والسنة، وجمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بولاية كاليفورنيا، والجمعية الكندية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وغيرها.

وأصبح للإعجاز العلمي رواجه، فألف فيه المؤلفات، وعقد له المؤتمرات، ونظمت فيه الندوات، وانتشر في وسائل الإعلام المختلفة، وأنشئت له المواقع المتعددة على الشبكة العالمية، واعتمد كمنهج دراسي في بعض الجامعات، وبرزت تفاسير تعنى بالآيات الكونية كتفسير (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) الصادر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف في مصر، وغيره من التفاسير.

ومع بروز وظهور مصطلح الإعجاز العلمي، بقي مصطلح التفسير العلمي حاضراً في كتب الإعجاز العلمي.





## المبحث الثاني

## الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي

تبين من تاريخ نشأة الإعجاز العلمي أنه امتداد للتفسير العلمي، ولذا أصبح مصطلح التفسير العلمي حاضراً في كتب المشتغلين بالإعجاز العلمي، مما جعل الأقوال تتباين في الفرق بينهما، ومدارها على قولين:

**القول الأول:** من يرى أنه لا فرق بينهما، فهما "مجردا اصطلاحان استوجبهما العصر، بسبب كثرة الجدل حول مشروعية تفسير القرآن الكريم باستخدام العلوم الحديثة، فجاءت بعض الشروحات لبعض الآيات بمسمى (التفسير العلمي)، وجاء بعضها الآخر بمسمى (الإعجاز العلمي)"[1]، و"لا ينبغي للعالم المقتدر الذي يرى أن قوله يبين شرحاً متمماً لآية قرآنية أن لا يتحرج من أن يعتبر شرحه هذا تفسيراً، فليس من المحمود أن نسمي الأشياء بغير أسمائها، فنقول: إنه إعجاز علمي قرآني، وذلك معنى ثان، وما إلى ذلك، فالقرآن الكريم كله إعجاز، إعجاز في أسلوبه، وأمثاله، وأحكامه، وعبره وقصصه، ومعانيه وعلومه، ولا بأس في أن يكون هذا التفسير العلمي متمماً، أو مكملاً، أو محسناً للتفسير بالمأثور، إذا توافرت فيه الشروط السابقة الذكر"[2].

وقال د. عدنان محمد زرزور: "بل يمكن القول: إن التفسير العلمي والإعجاز العلمي صارا قرينين، أو شيئاً واحداً، في عرف كثير من الدارسين والباحثين.

والواقع أن المسلمين وجدوا في هذا اللون من ألوان التفسير، أو في هذا الوجه من وجوه الإعجاز - كما دعوه - ميداناً ملائماً للدعوة إلى الإسلام"[3].

وذكر د. حسن مسعود الطوير أن التفسير العلمي الذي انتقده الإمام الشاطبي هو

---

(١) انظر: العنكبوت وخيوطها في القرآن الكريم، د. عبدالله الشاوي ص٢٨.

(٢) المرجع السابق ص٤٠.

(٣) علوم القرآن وإعجازه ص٣٩٢، والمنار في علوم القرآن ص٣٩.

نفسه الإعجاز العلمي حيث قال: "كما أن للشاطبي رأياً يتصل بالإعجاز اتصالاً سلبياً، فهو ينكر الإعجاز العلمي الذي يرى أن القرآن يحوي كل العلوم"[١].

ثم أورد كلام الأستاذ أمين الخولي في كتابه (التفسير منهجه ومعالمه): "المخالفة القديمة فيه - أي في التفسير العلمي - مايبديه الأصولي الأندلسي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي في كتابه الموافقات، وهو ينتقد الرأي العلمي"[٢].

ومما يؤكد عدم الفرق بينهما أن بعض الباحثين يعرف الإعجاز العلمي بما يجعله مماثلاً للتفسير العلمي، كما فعل د. أحمد عمر أبو حجر[٣]، ود. محمد صادق درويش[٤]، ود. غانم قدوري الحمد[٥].

ويجعل بعضهم عنوان كتابه أو مبحثًا منه عن الإعجاز العلمي، ثم يتحدث عن التفسير العلمي، وضوابطه، وآراء العلماء فيه، كما فعل د. فضل حسن عباس[٦]، ود. السيد الجميلي[٧]، ود. مروان وحيد شعبان[٨]، وإبراهيم بن محمد الدومري[٩]، ود. رعد شمس الدين الكيلاني[١٠].

**القول الثاني:** من يرى أن بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي فرقاً.

وممن قال بهذا القول: الشيخ عبدالمجيد الزنداني[١١]، ود. زغلول النجار[١٢]، ود. عبدالله المصلح[١٣]، ود. يوسف القرضاوي[١٤]، ود. توفيق علوان[١٥]،

---

(١) وسيأتي في المبحث الثالث تحرير موقف الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى.
(٢) جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني، ص١٠٧.
(٣) انظر: التفسير العلمي في الميزان ص٦٦.
(٤) انظر: إعجاز القرآن الكريم ص٧٧٣.
(٥) انظر: محاضرات في علوم القرآن ص٢٤٩.
(٦) انظر: إعجاز القرآن الكريم ص٢٣٧.
(٧) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن ص١٠-١٣.
(٨) انظر: الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث ص١١٨-١٤٩، ١٦١-١٦٥.
(٩) انظر: علوم القرآن عند الحافظ ابن حجر من خلال كتابه فتح الباري جمعاً ودراسة ص٢٣٣.
(١٠) انظر: بحث المنهج القرآني في الإعجاز العلمي، مجلة ديالي، العدد الثامن والعشرون عام ٢٠٠٨م.
(١١) انظر: تأصيل الإعجاز ص٢٥.
(١٢) انظر: قضية الإعجاز العلمي للقرآن وضوابط التعامل معه ص٩٦، وتفسير الآيات الكونية ١/ ٤٧-٥٥.
(١٣) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٣٧-٣٨، ٥٦.
(١٤) انظر: نظرات في التفسير العلمي للقرآن ص٣٤.
(١٥) انظر: بهجة الناظرين في مناهج المفسرين ص١٩١.

ود. مرهف السقا[١]، ود. محمود أحمد غازي[٢]، ود. عادل الشدي[٣]، ود. إسماعيل القريشي[٤]، ود. عبدالرحمن الزنيدي[٥]، ود. طاهر محمود يعقوب[٦]، ود. راشد شهوان[٧]، ود. خليل أبو ذياب[٨]، ود. محمد إبراهيم شريف[٩]، ود. محيي الدين عبد الله حسن[١٠]، ود. أحمد قوشتي[١١]، ود. السائح علي حسين[١٢]، وغيرهم.

والقول بالفرق بينهما لا يعني التباين المطلق، واستقلال كل واحد منهما عن الآخر، بل ثمة علاقة بينهما وارتباط.

وقد ذكر أصحاب هذا القول من الفروق ما يلي:

١) أن تعريف الإعجاز العلمي يختلف عن تعريف التفسير العلمي، فالإعجاز العلمي: إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ.

وأما التفسير العلمي: فهو الكشف عن معنى الآية في ضوء معطيات العلم التجريبي، أو في ضوء ما ثبتت صحته من نظريات العلوم الكونية التجريبية[١٣]، فالإعجاز العلمي كشف للمغطى، والتفسير العلمي تفسير للمجمل[١٤].

قال د. مروان وحيد شعبان: "التفريق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي هذه القضية جداً دقيقة، وغالباً مايقع الباحثون في الخلط بين الإعجاز والتفسير العلمي

---

(١) انظر: التفسير والإعجاز العلمي ص٩٧-٩٨.
(٢) انظر: المدخل الوجيز إلى دراسة الإعجاز في الكتاب العزيز ص٢٨٢.
(٣) انظر: التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم ص١٧-٢٠.
(٤) انظر: نشرة الحقيقة، العدد الخامس، محرم عام ١٤٢٩هـ.
(٥) انظر: مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر ص١٥٨.
(٦) انظر: أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية ص٨٦٨-٨٦٩.
(٧) انظر: الضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة، المجلة الأردنية، العدد الثاني، مجلد ٣ عام ١٤٢٨هـ.
(٨) انظر: ظاهرة التفسير العلمي ص١٩.
(٩) انظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم ص٤٩٢.
(١٠) انظر: التفسير العلمي للقرآن الكريم مؤشرات وملامح ص ٦-٨.
(١١) انظر: مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية في العصر الحديث ص٤٣٧-٤٣٩.
(١٢) انظر: مدخل الدراسات القرآنية ص٣٢٩.
(١٣) انظر: أضواء على بعض الأحداث الكونية بين القرآن والعلم، د. يحي بن محمد أبو الخير ص١١.
(١٤) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في سنة النبي الأمي، حمدي الصعيدي ص٦١، ومناهج المفسرين في العصر الأول إلى العصر الحديث، د. محمود النقراشي ص٤٥، والنص القرآني بين التفسير والتأويل، د. أحمد عبدالغفار ص٤٦٥.

للقرآن، فإعجاز القرآن العلمي أن يسجل القرآن الكريم قضية علمية، يعجز البشر كلهم يوم نزل القرآن عن معرفتها، ثم يأتي العلم المعاصر ليكشف حقيقة هذه المعجزة العلمية التي يسجلها القرآن الكريم، مثال: أمواج البحر الداخلية، واختناق الإنسان كلما ارتقى طبقات الجو وهكذا، فهذه حقائق علمية سجلها القرآن في آياته، وجاء العلم الحديث ليكتشفها.

أما التفسير العلمي: فهو توضيح وبيان علمي لآية قرآنية، قد عرفها البشر وقت نزول القرآن وقبله، مثال: القرآن يتحدث عن الزنجبيل والرمان، وفوائد ركوب البحر وغير ذلك، فهذه أشياء معروفة، ولا إعجاز فيها، وإنما نفسرها على ضوء العلم تفسيراً لا تحدي فيه كالإعجاز"[١].

٢) أن الإعجاز العلمي جزء من التفسير العلمي، وغاية منتظرة منه، ونتيجة له، وبه يدرك وجه جديد للإعجاز في القرآن الكريم[٢]، ولذلك فإن ما يشترط للتفسير العلمي هو من شروط الإعجاز العلمي[٣].

قال د. عبدالحفيظ الحداد: "ترتكز مسيرة بحوث الإعجاز العلمي إلى قاعدة راسخة، تتمثل بالتفسير العلمي لنصوص القرآن والسنة"[٤].

وقال د. عبدالله المصلح: " التفسير العلمي للآيات الكونية الذي يعتبر القاعدة والمنطلق لاستنباط شواهد الإعجاز العلمي "[٥].

٣) أن التفسير العلمي هو نوع من أنواع التفاسير للقرآن الكريم، فهو من قبيل التفسير بالرأي، وعليه فبينه وبين الإعجاز العلمي عموم وخصوص من وجه، فكل إعجاز علمي فهو في الأصل تفسير علمي، وليس كل تفسير علمي هو إعجاز علمي[٦]، فالتفسير

---

(١) الظواهر الجيولوجية، د. مروان وحيد شعبان ص٣١-٣٢.

(٢) انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، د. فهد الرومي ص٢٩٣، والتفسير العلمي في الميزان، د. أحمد عمر أبو حجر ص٦٥-٦٦، ١٠٧، وعلوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر ص١١٤، وأسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر محمود يعقوب ص٨٥٢، والتفسير والإعجاز العلمي، د. مرهف السقا ص٩٧-٩٨.

(٣) انظر: التفسير والإعجاز العلمي، د. مرهف السقا ص٩٧-٩٨.

(٤) من فقه الإعجاز، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي www.eajaz.org

(٥) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٥٦.

(٦) انظر: نشرة الحقيقة، العدد (٥) محرم عام ١٤٢٩هـ ص٥، والضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، المجلة الأردنية، العدد (٢) مجلد ٣ عام ١٤٢٨هـ والتفسير والإعجاز العلمي، د. مرهف السقا ص٩٧، وضوابط الاستشهاد بالعلم التجريبي في تأييد الوحي، د. ماجدة العنزي ص٤٦-٤٩.

العلمي أعم من الإعجاز العلمي، قال د. عادل الشدي: "فكل إعجاز علمي فهو يعرف من خلال التفسير العلمي، وليس كل تفسير علمي قابلاً لأن يكون إعجازاً علمياً، تقوم به الحجة على غير المسلمين"(١)، وقال د. يوسف القرضاوي: "وأود أن أشير هنا إلى قضية لها أهميتها ودلالتها، وهي قضية ما سمي (الإعجاز العلمي) للقرآن، وعلاقته بـ (التفسير العلمي)، فإن هناك خلطاً بينهما، حتى كاد بعض الناس يجعل كل تفسير علمي إعجازاً علمياً، وهذا ليس بصحيح، إن مجال التفسير العلمي ما ذكرناه في الصحائف السابقة، وهو مجال فسيح، أما مجال الإعجاز العلمي، فهو أخص وأضيق من ذلك بكثير.

وكثير من القضايا التي يذكرها إخواننا المفسرون في الحماسة للإعجاز العلمي، نراها قابلة للجدل، ولا تقبل عند الخصم"(٢)

٤) أن التفسير العلمي أسبق في الظهور على الإعجاز العلمي كما سبق في النشأة.

٥) أن التفسير العلمي مختلف فيه، بل إن من العلماء من لا يجيزه(٣)، وأما الإعجاز العلمي فهو متفق عليه بين أهل التفسير على قول بعضهم(٤).

٦) أن الإعجاز العلمي قطعي الدلالة، فهو يعتمد على النظريات والفروض التي ثبت صحتها بصورة قطعية لا يمكن الرجوع عنها، والخطأ فيه قليل، وغالباً مايكون في عدم الربط بين الحقيقة القرآنية والحقيقة العلمية.

وأما التفسير العلمي فهو ظني الدلالة؛ لأنه جهد بشري، يعتمد على ما ترجح أو صح من نظريات العلوم الكونية، ولذلك فهو يحتمل الخطأ والصواب(٥)، وهو داخل في مفهوم التدبر المأمور به في القرآن الكريم كما قال د. حمزه الفعر(٦).

---

(١) التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم ص١٨.

(٢) نظرات في التفسير العلمي للقرآن ص٣٤.

(٣) انظر: التفسير والمفسرون ٢/ ٥١٨، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد الرومي ص٢٧٠، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي ٢/ ٥٥٠-٦٠٤

(٤) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي ص٣٢، وسيأتي في المبحث التالي مناقشة القول بالإجماع على الإعجاز العلمي.

(٥) انظر: التفسير والإعجاز العلمي، د. مرهف السقا ص٩٧-٩٨، وتفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ١/ ٣٧-٤١، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح، ود. عبدالجواد الصاوي ص٣٢، وموسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ١/ ٢٥٨-٢٥٩، والضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة، د. رشدان شهوان، المجلة الأردنية، العدد (٢)، مجلد ٣ عام ١٤٢٨هـ ومدخل الدراسات القرآنية ص٣٢٩.

(٦) انظر: نشرة الحقيقة العدد الخامس محرم عام ١٤٢٩هـ.

**الترجيح:**

قبل بيان ما يترجح من هذين القولين، ينبغي أن نستصحب أموراً خمسة لها أثر في تحقيق الفرق بينهما:

**الأمر الأول:** أن الإعجاز العلمي والتفسير العلمي من جهة تطبيقهما على الآيات القرآنية لا ينفك بعضهما عن بعض، وإن اختلف في إطلاق المصطلح؛ لأن الإعجاز العلمي لا يتوصل إليه إلا بعد التفسير العلمي، فالإعجاز العلمي فصلٌ من التفسير العلمي، بل هو أهم فصوله[1].

قال د. محمد صادق درويش: "الحكم بأن هذه الآية القرآنية العلمية معجزة، يتوقف على صحة تفسيرها علمياً، ولذلك فإن حديثنا عن التفسير العلمي حديث في صلب الموضوع وهو الإعجاز العلمي"[2].

ولذا فإن أمثلة الإعجاز العلمي والتفسير العلمي تكاد تكون واحدة عند المحدَثين[3]، مما جعل د.مصطفى مسلم، ود. سليمان البيره يتخوفان من التوسع في التفسير العلمي لإثبات الإعجاز العلمي، فقال د. سليمان البيرة: "وكثير من المسلمين اليوم يفرحون بمكتشفات العلم الحديث مما وردت بعض الإشارات إليها في القرآن الكريم، وأسباب هذا الفرح كثيرة ليس هنا مجال رصد تلك الأسباب، وأنا أخشى من اليوم الذي يجترئ الناس فيه على كتاب الله تعالى من خلال ما يسمى بالتفسير العلمي جرياً وراء الوصول على ما يسمى بالإعجاز العلمي"[4]

**الأمر الثاني:** أن كلاً من الإعجاز العلمي والتفسير العلمي لهما هدف عام مشترك وهو إثبات صحة الرسالة، وصدق القرآن الكريم، وأنه وحي من عند الله تعالى[5].

---

(١) انظر: مقال: الإعجاز العلمي ضوابط وحدود، فهد عبدالرحمن اليحيى، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي www.eajaz.org

(٢) إعجاز القرآن الكريم ص٧٧٣.

(٣) انظر: إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن ص١٢٤، وموسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ٢/ ٦٦، وانظر: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في مجال الطقس والمناخ، د. نعمان شحادة ص ٢٧-٢٨.

(٤) نشرة الحقيقة، العدد الأول، جمادى الأولى ١٤٢٨هـ والإعجاز العددي في الدراسات القرآنية المعاصرة، إيمان محمد حبيب ص٥٩.

(٥) انظر: مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية في العصر الحديث، د. أحمد قوشتي ص٤٣٨.

**الأمر الثالث:** أن التفريق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي بوصف الحقيقة العلمية والنظرية العلمية ليس موضع اتفاق بين الباحثين.

فبعضهم يجعل من ضوابط التفسير العلمي أن يكون بحقيقة علمية، كما قال د.عثمان فوزي علي: "وإذا أردنا أن نضيق الدائرة، ونعرف التفسير العلمي بما يفترض أن يكون عليه، وليس بمجرد واقعه السائد، فإننا نضيف كلمة (حقائق) قبل كلمة (العلم التجريبي)؛ لنحصر التفسير العلمي في دائرة الحقائق العلمية لا النظريات والفرضيات، التي يجيز المعاصرين توظيفها في فهم دلالة الآية القرآنية"[١].

وبعضهم يجيز استخدام النظريات التي لم تثبت في مجال الإعجاز العلمي[٢].

**الأمر الرابع:** أن الضوابط التي يذكرها بعضهم في الإعجاز العلمي هي نفسها التي تُذكر في ضوابط التفسير العلمي.

**الأمر الخامس:** أن الكتب التي يجعلها أصحاب الإعجاز العلمي من أوائل المؤلفات في الإعجاز العلمي، لم تفرق بين مصطلح (التفسير العلمي) و(الإعجاز العلمي)، بل بعضها لم يذكر أياً منهما، ومن أمثلة ذلك: أن د. عبد الله المصلح ذكر تحت: (تاريخ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة)[٣] عدداً من العلماء، منهم: أبو حامد الغزالي، وفخر الدين الرازي، وهما باتفاق أصحاب الإعجاز العلمي من القائلين بالتفسير العلمي، وليس الإعجاز العلمي؛ لأن مصطلح الإعجاز العلمي لم يكن قد ظهر في زمانهما.

ووضع أيضاً عنواناً آخر فقال: (قائمة بأسماء بعض علماء التفسير العلمي والإعجاز العلمي رحمهم الله تعالى) ثم ذكر تحته ثمانية وثلاثين اسماً، بدأهم بالصحابي عبدالله بن عباس ﷺ، وختمهم بالشيخ محمد بن صالح العثيمين[٤] ﷺ.

---

(١) مباحث في الإعجاز القرآني ص١١٨.

(٢) انظر: ص٥٨ من هذا البحث.

(٣) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان ص٨٢-٨٣.

(٤) هو: محمد بن صالح بن محمد عثيمين المقبلي الوهيبي التميمي، عالم وفقيه سعودي، طلب العلم على أيدي علماء من أبرزهم: الشيخ عبدالرحمن ناصر السعدي الذي لازمه، وخلفه في إمامة وخطابة الجامع الكبير بعنيزة، كان عضواً في هيئة كبار العلماء، توفي ١٤٢١هـ انظر: مجلة الحكمة، العدد (٢) ص١٩، والعدد (٤٤) ص٢٨٧.

ولا شك أن لفظة (التفسير العلمي) أو (الإعجاز العلمي) لم تذكرا في كلام الصحابي عبدالله بن عباس ﷺ، بل لم تذكر في كلام كثير ممن ذكرهم د. عبدالله المصلح، وإنما نُزِّل هذان المصطلحان على كلامهم؛ لأنهم فسروا الآيات الكونية في القرآن، أو ذكروا مسألة علمية كونية.

وإذا اعتبرنا هذه الأمور وغيرها نصل إلى نتيجة وهي: أن التفسير العلمي والإعجاز العلمي هما مصطلحان، يُحدد معناهما استعمال المشتغل بهما أو بأحدهما، ولذلك لا بد عند المناقشة من التحاكم إلى ما ترجح عند كل فريق من تعريف للمصطلحين، ومن فروق بينهما.

وأما بالنظر إلى حقيقة تعريف التفسير العلمي والإعجاز العلمي من جهة اللغة فبينهما فرق، والفرق اللغوي له أثر في التعريف الاصطلاحي.





# المبحث الثالث

## أسبـاب القول بالإعجـاز العلمي

إن إشارات القرآن الكريم إلىٰ حقائق علمية تجريبية لم تكن معلومة للبشر قبل اكتشافها، كانت موضع اهتمام من بعض المسلمين، وخاصة المتخصص في العلوم المادية التجريبية، مما حدا بفئات منهم إلىٰ محاولة إبرازها وإظهارها، والبحث في تفاصيلها، والتأليف والكتابة في موضوعاتها، قاصدين من ذلك تحقيق غايات كبرىٰ، وأهداف عظمىٰ، منها[1]:

**١- إثبات صدق القرآن الكريم، وصحة نبوة النبي ﷺ.**

وهذا من أهم الأهداف التي يريد الإعجاز العلمي إثباتها، فإن الكفار استعملوا سلاح العلم الكوني لهدم الدين، فكان واجباً علىٰ المسلمين استعمال هذا السلاح لتخضع أعناق الكفار للقرآن الكريم، ويصدقوا بأن محمداً ﷺ مرسل من ربه[2].

قال د. أحمد شوقي إبراهيم: "إن بيان الإعجاز العلمي أمر ضروري في عصرنا هذا الذي يهاجم فيه الإسلام من كل حدب وصوب؛ لأنه يثبت أن كل ما يكتشفه العلماء من علم صحيح في عصر العلم الحالي، قد سبق القرآن الكريم بذكره، مما يقوم دليلاً لا شك فيه، ولا يقبل جدلاً علىٰ أن الذي خلق الحقائق العلمية الكونية وهو الله ﷻ، هو الذي أوحىٰ لعبده ورسوله محمد ﷺ بهذا القرآن، وأن هذا القرآن لا يمكن أبداً أن يكون من تأليف بشر؛ لأنه لو كان من تأليف بشر لذكر في بيانه للإشارات العلمية تلكم النظريات

---

(١) انظر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان، د. عبدالله المصلح ص٢٠-٢٥، ، والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد بن إبراهيم الزهراني، والإعجاز الكيميائي الحيوي في القرآن الكريم، محمد عبدالرزاق أبو صليح ص٣٣، والموضوعات الطبية في القرآن الكريم، د. محمد جميل الحبال ص٩٩-١٠٥، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم الكون والماء، د. سليمان الطراونة ص٧.

(٢) انظر: آيات النبات في القرآن الكريم، د. زغلول النجار ص٢٥، والإعجاز العلمي للقرآن في مجال علوم الأرض، د. محمود إبراهيم الشريني ص٨، ونظريات الإعجاز القرآني، د. أحمد رحماني ص٦، والمعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو ص٦٦، ١٥٦، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان، د. أحمد عمر أبو حجر ص١٢٩.

العلمية المخطئة تماماً، والتى كانت سائدة في عصر نزول القرآن، أما أن يدعها، ويذكر حقائق علميةلم تكتشف إلا في عصر العلم الحالي، فإن هذا يقوم دليلاً على أن هذا القرآن من عند خالق الخلق وهو الله تعالى، ومحال أن يكون من تأليف البشر"[1].

**٢- الدعوة إلى الله تعالى.**

فإن الدعوة إلى الله تعالى منزلتها عظيمة، وقد حث الله عليها ورغب فيها، بل وأوجبها على المسلمين فقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وكل قوم يُدْعون بلسان قومهم، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم:٤]، ودعوة الناس في زمن التقدم العلمي، يكون من خلال التسلح بالعلوم والبراهين، التي تناسب عقول الناس وتفكيرهم.

وإذا أُحسن التعامل مع هذه العلوم، وتم توظيفها التوظيف السليم، فقد تصبح أقوى وسيلة للدعوة الإسلامية[2].

ولهذا جعلت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي من أهدافها، الدعوة إلى الله تعالى، وتوجيه برامج الإعجاز العلمي لتصبح وسيلة من وسائل الدعوة[3]، وخاصة دعوة العلماء القادرين على فهم المراد من القرآن الكريم، والمدركين لأهميته وقيمته

---

(١) فتح العليم في تفسير القرآن الكريم وبيان أوجه الإعجاز العلمي فيه ص٧.

(٢) انظر: مقال د. رفعت السيد العوضي في مجلة الإعجاز العلمي، العدد ٣٤ رمضان ١٤٣٠هـ ومقال د. عبدالله المصلح في العدد ٤٣ ربيع الثاني ١٤٣٤هـ ونشرة الحقيقة، العدد ٨ ذو القعدة ١٤٢٩هـ ص٤، وعلوم القرآن الكريم، د. يوسف مرعشلي ص٣٦٣، ومجلة الحكمة العدد ١٩ جمادى ثاني عام ١٤٢٠هـ ص ٢١١، والإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث، د. مروان وحيد شعبان ص١٥٨-١٦١، والمدخل الوجيز إلى دراسة الإعجاز في الكتاب العزيز، د. محمود أحمد غازي ص٢٩٤، والإسلام في عصر العلم ص٢٦٧، ومجالات الإعجاز في القرآن الكريم، د. محمد السيد أرناؤوط ص٦.

(٣) ومن وسائل الدعوة عندهم أيضاً: المؤتمرات، والندوات، والمحاضرات، والترجمة، والرسائل، والبحث العلمي والتأليف، وإصدار المجلات، وشبكة المعلومات العالمية (الانترنت)، واللقاءات الودية.

العلمية[1]، ويكون ذلك سبباً في تصحيح فهم الآخرين لحقيقة الدين، مما سيقضي على الكراهية التى يحملها بعضهم للإسلام والمسلمين.

والذي جعل الإعجاز العلمي من وسائل الدعوة المهمة عند بعض المشتغلين به عدة أمور، منها:

**الأمر الأول:** فقد الثقة في الخطاب الإسلامي الدعوي التقليدي:

فهو خطاب عجز عن اجتذاب الناس، وعجز العلماء عن إقناع شريحة من الناس بقضايا الإسلام، وأما الإعجاز العلمي فهو القادر على كل ذلك، وهو أهم وأول وسيلة يدعى عن طريقها غير المسلمين في عصرنا، خصوصاً أهل العلوم الكونية[2]، بل هو الوحيد في هذا العصر؛ لإقناع الآخرين بأن القرآن ليس من تأليف محمد ﷺ، بل هو من لدن خالق الحقائق العلمية[3].

وعليه فلم يبق أمام أهل عصرنا من وسيلة مقنعة بالدين إلا الإعجاز العلمي في كتاب الله، وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين[4].

**الأمر الثاني:** حاجة الخطاب الدعوي إلى تجديد وترشيد:

بحيث يراعي فيه تحقيق المناسبة مع روح العصر، وتطورات المظاهر الحياتية، ومزج الحقيقة والموضوعية، مع الأسلوب الإسلامي الجذاب؛ لتتجلى الفكرة متناسقة مع العقل، بحيث تؤثر في النفس، كما تؤثر في التفكير في صورة متوازنة[5].

---

(١) انظر: المنح الإلهية في إقامة الحجة على البشرية د. عبدالله المصلح ص٣٤، وقواعد تناول الإعجاز العلمي والطبي في السنة وضوابطه ص٤، وبحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة عام ١٤٣٢هـ/١/ ١١.

(٢) انظر بحث: النسيج الكوني رؤية علمية قرآنية، عبدالدائم الكحيل، من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي ص٩٧، والمدخل الوجيز إلى دراسة الإعجاز في الكتاب العزيز، د. محمود أحمد غازي ص٢٩٤.

(٣) انظر: الحقيقة الكبرى، د. محمد رمضان البوطي ص ٥٠٤، وانظر مجالات الإعجاز في القرآن الكريم، د. محمد السيد أرناؤوط ص ٢٧١، وعلم التفسير، د. عبدالمنعم النمر ص١٥٢.

(٤) انظر: آيات النبات في القرآن الكريم، د. زغلول النجار ص١٠٤-١٠٥، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير بجامعة المدينة العالمية بماليزيا ١/ ٩٤، وجهود أهل السنة والجماعة في الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن الكريم -ابن القيم نموذجاً، العيد حذيق ص٩٦ وبحث: المادة السوداء في منظور القرآن الكريم، أنيس الراوي ورعد الخزرجي، المؤتمر العالمي السابع علوم الأرض ص؟.

(٥) انظر نشرة الحقيقة العدد ١٧ محرم ١٤٣٢هـ ص ٤-٥، وبحث مراحل خلق الكون بين العلم والقرآن، مروان وحيد شعبان، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي ص؟، وأسرار حركة الجبال بين إخبار الوحي وكشوف العلم الحديث، عبد الإله مصباح، من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي ص؟، ومن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في عالم الأنعام، عبدالكريم العثمان، المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي ص١٥.

قال د. محمد جميل الحبال: "وفي هذا العصر الذي غيّر فيه العلم الكثير من أساليب حياة الإنسان، وطرق تفكيره، والذي أصبح ينظر فيه (وبوساطة العلم كذلك) إلىٰ الطرق الاستدلالية القديمة التي كان السابقون يستخدمونها في الماضي - رغم صحة دلالاتها، أو دلالة معظمها، كالمنهج العقلي مثلاً - علىٰ أنها طرق باطلة.

وأصبح الإنسان الحديث يؤمن بأن الطريقة الصحيحة والمعتمدة للاستدلال المقبول هي التي أنتجها التفكير العلمي، فقد استغل أعداء الدين والملحدون بعض هذه الحقائق العلمية لمحاربة الحقائق الإيمانية، مدعين لأنفسهم بالعلمية والتفكير العلمي، ولم يدروا أن هذه العلوم ومهما تقدمت، فهي غيض من فيض، بالنسبة إلىٰ الحقائق العلمية الثابتة المطلقة في علم الله التي موجودة في الكون، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فنحن المسلمين أمام هذه التحديات، يجب أن نواجه الأعداء بنفس المصطلحات والوسائل والأساليب التي يستخدمونها، وذلك باتباع الأسلوب العلمي، وإيجاد فكر إسلامي عصري متكامل، وبذلك نقيم الحجة عليهم بالأدلة والبراهين العلمية، وقد يهديهم الله تعالىٰ إلىٰ الإيمان إن كانوا صادقين لمعرفة الحقيقة "[١]

**الأمر الثالث:** أن الإعجاز العلمي وسيلة لإقامة الحجة علىٰ غير العرب:

فخطاب الإعجاز العلمي هو خطاب منطقي عالمي، يقدم الإسلام للأمم في إطار يقوم علىٰ العلم في أرقىٰ معانيه، وفي مقدمتها البحث والتدقيق، وطلب الدليل، وبه يكون إقامة الحجة علىٰ غير العرب[٢].

ويبين د. أحمد الكرداني أن إعجاز القرآن لابد أن يتضح لكل إنسان في جميع بقاع الأرض، بقطع النظر عن جنسيته ولغته، وتحقيق هذا الأمر يكون بأمرين:

الأول: شرح وبيان خصائص القرآن الذاتية، التي تجعله يدل بنفسه علىٰ أنه كتاب الله، وذكر مثال ذلك، الأساليب الخطابية في القرآن الموجهة للرسول ﷺ.

الثاني: هو إبراز ما في القرآن من إعجاز علمي، يُلزم كل ذي عقل[٣].

---

(١) القرآن شريعة كونية وكنز للعلوم يهدي ص؟.

(٢) انظر: الإعجاز العلمي للقرآن في مجال علوم الأرض، د. محمود الشربيني ص٧، وانظر القرآن والكون، أسامة الخضر ص١٢٩، وبحث: مختلف ألوانه، د. السيد المليجي، من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي ص١٨٦.

(٣) انظر: نماذج من الإعجاز العلمي ص٧-٨.

**الأمر الرابع:** أن الإعجاز العلمي هو الوسيلة الوحيدة لجذب غير المسلمين للإسلام:

قال الشيخ عبدالكريم حسن العثمان: "وليس عندنا أيضـاً من شيء يجذبهم إلينا سوى هذا الإعجاز الرائع، الذي يعظم أثره، ويشع ضياؤه يوماً بعد يوم، ويشتد عوده بحثاً بعد بحث، ولعل هذه الحقيقة التي صارت اليوم من بدهيات العمل الدعوي الإسلامي، هي ما يجعلنا نتمسك أكثر فأكثر بهذه الوسيلة المهمة في الدعوة إلى الله"[1]

وذكر محمد داوود الجزائري، أن اكتشاف بعض قوانين الكون والخلائق التي أشار لها القرآن الكريم، وكانت مجهولة من قبل، كانت سبباً في إسلام الكثير من علماء الغرب، وقربت الناس من الله تعالى[2]، ومن أولئك الذين أسلموا[3]:

- البروفيسور (تاجات تاجا سون) عميد كلية الطب بجامعة (شاينج ماي بتايلند)، وقد عرضت عليه آيات وأحاديث في مجال تخصصه علم التشريح، وكانت سبباً في إعلان إسلامه في ختام المؤتمر الطبي السعودي الثامن بالرياض عام ١٤٠٤هـ.
- الطبيب الفرنسي (موريس بوكاي): والذي أسلم بسبب قراءته لقوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢].
- في المؤتمر العالمي عن الإعجاز العلمي المنعقد في موسكو في الفترة من ١٧-٢٠ ربيع الأول عام ١٤١٤هـ أسلم سبعة وعشرون عالماً.
- عالمة الفضاء الروسية: وقد حضرت المؤتمر السابق، فلما استمعت إلى محاضرة د. عبدالله المصلح، وضمَّنها آيات تتحدث عن حقائق في الغلاف الجوي، أجهشت بالبكاء ثم أعلنت إسلامها.

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في عالم الأنعام، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي ص٣، وانظر: البعد الثالث للإعجاز في آية الفرث، د. عفيفي محمود، من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي ص٢، ونشرة الحقيقة، العدد ١٩ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ.

(٢) انظر: الإعجاز الطبي في القرآن والسنة ص ٩.

(٣) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في سنة النبي الأمي، حمدي الصعيدي ص٧٩-٨٧، ونشرة الحقيقة، العدد (٢) جمادى الثاني ١٤٢٨هـ ص٢، والعدد (١٣) محرم ١٤٣١هـ ص١، والعدد (٢٤) محرم ١٤٣٤هـ ص٦، وإنه الحق، عبدالمجيد الزنداني ص ٢٤-٢٩، ومجلة الإعجاز العلمي العدد (٢) ص٧٠-٧١، ومسلموا أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية، د. محمد السحيم ١/ ٣٨٥، والدعوة إلى الله تعالى بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد الزهراني ص١٢٨، ولماذا أسلمنا، مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر في مختلف الأقطار، تعليق عبدالحميد السحيباني ص١٧-٧٣، والاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، سليمان قوش ص١٠٧، ١٧٥.

- الطبيب الفرنسي ( على سليمان بنوا): حيث كان نصرانياً، وبعد قراءته لأحد كتب الإعجاز العلمي، اقتنع بما ورد في القرآن من حقائق علمية سبق إليها، فأعلن إسلامه.
- بعد مؤتمر في القاهرة عن الإعجاز العلمي أسلم كلاً من البروفيسور: (آرثر أليسون، وآرثر جيمس، ورولاند أميل)، و(جاك كوستو) أشهر علماء فرنسا في البحار، وكذا الدكتور الكندي (قاري ملير).

**تعقيب:**

لاشك أن للإعجاز العلمى أثراً في الدعوة إلىٰ الله ﷻ، ونجاحه واضح في مخاطبة العقليات المفتونة بالعلم ومنهجه التجريبي، والشواهد الدالة علىٰ ذلك كثيرة، وأما القول بأنه هو الطريق الوحيد، أو هو من أقوىٰ وسائل الدعوة، **فغير مُسلّم به**، ففي هذا العصر يدخل في الاسلام المفكرون والمثقفون، والأشخاص العاديون، فكم نسبة من اهتدىٰ من هؤلاء للإسلام عن طريق الاقتناع ببحوث الإعجاز العلمى للقرآن؟ لا شك أنها نسبة قليلة، أما الكثيرون فقد اهتدوا للإسلام عن طريق اقتناعهم بسمو قيمه، وبحكمة تشريعه.

قال د. سليمان البيرة: "ولماذا حصر الإعجاز القرآني في الجانب العلمي، ومن ثم الافتتان به، إن هناك أنواعاً كثيرة للإعجاز في القرآن منها: الإعجاز التشريعي، الإعجاز التربوي، الإعجاز الاقتصادي، الإعجاز الاجتماعي، الإعجاز الدعوي، الإعجاز القصصي، الإعجاز السنني، الإعجاز الكوني، وهلم جرا، وكلها مجال لدعوة الآخر والوصول إليه"[1].

وقال د. أحمد أبو الوفاء: "وعلينا نحن المسلمين أن نتجنب الوقوف عند الإعجاز العلمي، وننشغل به عن جوانب الإعجاز في تشريعات الإسلام، وتوجيهاته الأخلاقية، وعن سيرة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلينا ألا نجعل خطاب الدعوة الإسلامية مركزاً علىٰ الإعجاز العلمي، بدعوىٰ أن العلوم الكونية والتقنيات الحديثة، هي لغة العصر، وأسلوب التخاطب والإقناع، بل علىٰ الدعاة وكل من يدعو إلىٰ دين الإسلام، أن يهتموا بجوانب الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، في العقيدة، والأخلاق، والتشريع، والمعاملات، والعبادات، علىٰ أن يظل الإعجاز العلمي في مقدمة خطاب

(١) نشرة الحقيقة، العدد ١ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٢٨هـ

الدعوة بجانب تعاليم الإسلام، شاهدين على أن مصدر هذا الدين هو الله ﷻ، وصدق رسالة محمد ﷺ"[1].

## ٣- دفع التعارض بين الكشوف العلمية وبين الدين[2].

فقد ألقت النهضة العلمية الأوروبية بظلالها على العالم الإسلامي، فظن بعض المسلمين أن سبب تلك النهضة، هو تحجيم دور الدين المتمثل في الكنيسة عند النصارى، وفك الارتباط بينها وبين العلوم المادية[3]، ولذلك قامت دعوات في العالم الإسلامي إلى فصل الدين الإسلامي عن العلم، وزعمت أنه سبب تأخر المسلمين حضارياً وعلمياً.

وقامت في مقابل هذه الدعوات دعوات أخرى، تدعو للتوفيق بين العلم والدين الإسلامي[4]، وحملت عناوين عدد من الدراسات والمؤلفات في ذلك الوقت، الاقتران بين لفظي الإسلام والعلم؛ لدفع التعارض المتوهم بينهما[5]، وتطورت تلك الدراسات وظهر فيما بعد الإعجاز العلمي[6]، الذي كان من أهدافه "دفع تهمة مصادمة الدين

---

(١) تقويم الأعمال التي تناولت الإعجاز العلمي والطبي في السنة النبوية ص٢، وانظر: موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ٣/ ١٤، و رد مزاعم المبطلين عن أصول الدين، د. عبد اللطيف العبد ص٩٩-١٢٨.

(٢) انظر منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية، د. سعود العريفي ص١٢، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان، د. أحمد أبو حجر ص ٣٤١-٣٤٨، وأحاديث إلى الشباب في ضوء الإسلام، أنور الجندي، والشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، له أيضاً ص٢٤٩-٢٥٠، والإعجاز العلمي والدعوة إلى الله، عبدالكريم الفهدي ص٢٤-٥٣، وأزمة العصر، محمد حسين ص٧٧، والتفسير العلمي للآيات الكونية، د. بكر زكي ص٤٨٥، الإعجاز العلمي في إثبات الوسطية في المكان، د. سعد المرصفي ص٩، وقضايا معاصرة في ضوء الإسلام، د. حلمي صابر ص١٦٠-١٦٤، والتيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم، منى الشافعي ص٨-١١، ومقال: الإعجاز العلمي وعلاقته بالمنهج التجريبي المعاصر، د. قتيبة الراوي، والنظريات العلمية الحديثة، د. حسن الأسمري ١/ ٥٩٣ وما بعدها، وسابغات، أحمد بن يوسف السيد ص٢١٨-٢٢٣.

(٣) انظر: موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي، د. سعد العتيبي ص١٥٤.

(٤) انظر: اتجاهات التفسير في العصر الراهن، د. عبدالمجيد المحتسب ص ٧ -٣٩، والفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، د. يحي هاشم فرغل ص ٣٩-٥٣.

(٥) أمثال: (الإسلام والطب الحديث) للدكتور عبدالعزيز إسماعيل، و(القرآن والعلم)، و(الإسلام والعلم الحديث)، و(بين الدين والعلم) ثلاثتها لعبدالرزاق نوفل، و(الإسلام يتحدى) لوحيد الدين خان، و(الإسلام في عصر العلم) للدكتور محمد أحمد الغمراوي، وغيرها.

(٦) انظر: الآيات الكونية في القرآن الكريم، د. كارم السيد غنيم ص٣٦-٣٧، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، د.أحمد عمر أبو حجر ص ٩٨، ٣٤٨، والقرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم ص٤٢.

الصحيح للمكتشفات العلمية التجريبية الحديثة، التي وُلدت بعيداً عن الدين عند غير المسلمين؛ بل بيان أن كثيراً من هذه المكتشفات، سبق الإيماء إليه في النصوص الدينية الموثقة، على وجه يثبت أنها إلهية المصدر، لكنه وجه خَفي على السابقين، وتجلى بعد ظهور هذه المكتشفات واشتهارها مطابقة لتلك النصوص"(١).

**تعقيب:**

لقد حث الإسلام على تعلم العلم وعلى التفكر في ملكوت السموات والأرض، وهذا كاف في بيان أن الإسلام يختلف عن جميع الدعوات والمذاهب التي حاربت العلم وضيقت على المعرفة، "ولاشك أن الإعجاز العلمي والتفسير العلمي يظلان من أهم المؤثرات التي أسهمت في...إثبات خطأ فصل الدين عن العلم في أخص ماتوصل إليه العلم من مكتشفات تجريبية، مما أُسقط في أيدي أعداء الإسلام، ورفع من شأن المسلمين وأعاد لهم الاعتبار والثقة بدينهم وأمتهم، وأدركوا جهود علمائهم في كافة مجالات المعرفة مما شهد به الغربيون أنفسهم وظلوا يعتمدون عليه إلى وقت قريب"(٢).

ومع ذلك فالعالم اليوم ليس بحاجة إلى أن نسابقه في إثبات من هو صاحب الحقيقة العلمية بقدر ماهو محتاج إلى أن نصحح نظرته للكون وللعلوم المادية، وجعلها نافعة لصالح البشرية، وذلك بدعوتهم إلى توحيد الله تعالى، قال محمد إسماعيل إبراهيم: "ويجب على المسلم ألا تخدعه مظاهر التقدم العلمي المادي الذي برع فيه أهل أوروبا وأمريكا، وبخاصة في علوم الذرة والتكنولوجية وغزو الفضاء، فهذه كلها ليست كل شئ لإسعاد البشرية وشفاء عللها، وإنما العلوم الدينية المستمدة من القرآن والسنة واتباع هديها إلى جانب العلوم الدنيوية، هي البلسم الواقي من العلل، والشافي من أمراض النفوس"(٣).

---

(١) منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية ص١٢، وانظر: مقال: أهمية الإعجاز العلمي في مخاطبة الناس، إسماعيل القرشي الشريف، نشرة الحقيقة، العدد الأول، جمادى الأولى ١٤٢٨هـ وآيات النبات في القرآن الكريم، د. زغلول النجار ص٧١، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مجدي فتحي السيد ص٦٣٢.

(٢) مقال: أهمية الإعجاز العلمي في مخاطبة الناس، إسماعيل القرشي الشريف، نشرة الحقيقة، العدد الأول، جمادى الأولى ١٤٢٨هـ.

(٣) القرآن وإعجازه العلمي ص٤٢

**٤- إقامة الحجة على الملاحدة والزنادقة والطاعنين في القرآن الكريم.**

فإن الله تعالىٰ أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنزل عليهم الكتب، وأيدهم بالآيات البينات؛ لإقامة الحجة علىٰ الناس جميعاً فقال الله تعالىٰ: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [التوبة:٧٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [يونس:١٣].

وإقامة الحجة علىٰ الناس قائمة في كل زمان ومكان، وخاصة بالقرآن الكريم الذي هو مهيمن علىٰ ما قبله من الكتب، وهو المعجزة الكبرىٰ، والآية العظمىٰ التي أوتيها النبي ﷺ، وختم الله به الرسالات.

وذكر بعض أصحاب الإعجاز العلمي أنه في العصور المتأخرة، ومع الثورة العلمية المادية، انتشر الإلحاد[١]، والذي كان له أثر علىٰ العالم الإسلامي[٢]، فقد بنىٰ فلاسفة الإلحاد إلحادهم علىٰ المكتشفات، من خلال ادعائهم أنهم عرفوا السبب والمُسبب، والعلة والمعلول عن طريق العلم، فلا وجود لإله يعزىٰ له ما في هذا الكون "وهنا ظهرت المعجزة القرآنية كالمارد الجبار الذي لا يقف في وجهه شيء إلا حطمه؛ لتهتز الأبراج الوهمية التي بناها فلاسفة الإلحاد بالتمويه والتدليس، علىٰ غفلة من دعاة الدين الحق وبُعدٍ عنهم، ولتقول للناس جميعاً من مؤمن وملحد، مهلاً أيها الناس، فإن الذي وصلتم إليه لن يكون سبباً للجحود والإلحاد، وإنما هو من أعظم دعائم الإيمان والإذعان، فتنبه كثير من علماء المسلمين إلىٰ آيات الإعجاز العلمي في القرآن"[٣].

---

(١) الإلحاد في اللغة: الميل والانحراف، وفي المفهوم المعاصر: يطلق علىٰ إنكار وجود الله تعالىٰ. انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ٤/ ٢٤٤، ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/ ٢٣٦، ولسان العرب، ابن منظور ٣/ ٣٨٩، والإلحاد المعاصر، د. أحمد محمد جلي، وصراع مع الملاحدة حتىٰ العظم، عبدالرحمن حبنكة الميداني، وجهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي المعاصر، محمود عبدالحكيم عثمان.

(٢) انظر: قضية الإعجاز العلمي للقرآن، د. زغلول النجار ص، والفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر شيخ إدريس ص٢١ ومابعدها، والمعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو ص٨-١١، ٢٨٩، ٣٣٤-٣٣٥، والإسلام يتصدىٰ للغرب، د.محمد نبيل النشواتي ص٢٥٤ وما بعدها.

(٣) المعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو ص١٠٧، وانظر: العلوم الهندسية والرياضية في القرآن والسنة النبوية، د. خالد العبيدي ص٦٧.

**تعقيب:**

لقد بذل أصحاب الإعجاز العلمي جهدهم في ذلك، وأجادوا وأحسنوا، وسلكوا في ذلك طرائق شتىٰ، إلا أنه ينبغي التنبه لأمور منها:

**أولاً:** أن منهج الأنبياء والمرسلين هو الدعوة إلىٰ توحيد الله تعالىٰ، ثم إذا دعت حاجة من وجود معارضة وإنكار ونحوه، فيستدل بالمعجزة، فالمعجزة للحاجة وعلىٰ قدرها وليست أصلاً مطلوبة لذاتها[١].

**ثانياً:** أن معرفة كون القرآن الكريم معجزاً، والإقرار بذلك غير كاف في حصول الإسلام، فكذا بيان إعجاز القرآن وإيقاف الخلق علىٰ مواضعه ووجوهه غير كاف في الدعوة إلىٰ الإسلام[٢]، خاصة أن بعض المخاطبين بالإعجاز العلمي هم من الملاحدة الذين لا يؤمنون بوجود إله، فضلاً عن إيمانهم بالرسالة والوحي.

ومن هنا نعلم خطأ المبالغة في تمجيد خطاب الإعجاز العلمي الموجه لهؤلاء كما قال د. عبدالله المصلح:"إن الإعجاز العلمي يعجز الإلحاد ويتحدىٰ الملحدين أن يجدوا موضعاً للتشكيك بما جاء به كتاب الله العظيم"[٣]، فمشكلة الملحدين ليست في تشكيكهم في القرآن العظيم، بل مشكلتهم في إنكار وجود الله تعالىٰ، وعدم اعترافهم بالرسالات.

**ثالثاً:** لقد غلب مقصد إقامة الحجة علىٰ المعاندين علىٰ أبحاث الإعجاز العلمي، وامتلأت به بحوثهم وكتاباتهم، وذلك بحشد كل ما يقفون عليه من أقوالٍ لعلماء الغرب لإثبات أن القرآن سبق إلىٰ ما توصل إليه العلم الحديث، متناسين أو معرضين عن المقاصد الكبرىٰ من وحدانية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته، والتي من أجلها ذكر الله تعالىٰ الآيات الكونية في القرآن الكريم.

قال د. مرهف عبد الجبار سقا:" وهكذا أستطيع القول بأنه لا ينبغي لأن يذهب عنا وجوب دراسة هذه الآيات في سياقها المقاصدي كإقامة الحجة علىٰ غير الملحدين والمشركين والمشككين، وإثبات وحدانية الله تعالىٰ، وتقرير صفاته كالقدرة والعلم والإرادة، والدلالة علىٰ البعث والنشور، وربانية القرآن ونبوة سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ، بل يجب

---

(١) انظر: التنبيه الجلي للمشتغل في إعجاز القرآن العلمي، د. محمد بن عبدالرحمن الجهني ص١١

(٢) انظر: المرجع السابق ص١١

(٣) مجلة الإعجاز العلمي، العدد ٤٣ ربيع الثاني ١٤٣٤هـ ص٤

علينا أن نركز على هذا الجانب المهم في أبحاث التفسير العلمي والإعجاز العلمي وأن يكون وجوده شرطاً من شروط هذه الأبحاث تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١]"(١).

رابعاً: أن دعوى السبق العلمي في بعض القضايا العلمية لا يمكن أن يكون حجة على الكفار؛ لأنها تفتقر إلى إثبات أنه لم يسبق القول بها قبل نزول القرآن، وخاصة أن بعض المسائل التي ادعى فيها أصحاب الإعجاز العلمي السبق العلمي هم يعترفون أن هناك من أشار لها قبل نزول القرآن.

ثم إن الله تعالى عند ذكره للآيات الكونية في القرآن لم ينف علم البشر بها قبل نزول القرآن، فكيف إذا علمنا أن الآيات الكونية مما تشترك في الإخبار به الكتب السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله، ولو كانت محرفة، قال د. يوسف القرضاوي: "إن الأقوال الواهية عن (السبق العلمي) للقرآن الكريم لن تقنع غير المؤمنين بأن القرآن الكريم كتاب منزل من عند الله، وليس من قول محمد النبي الأمي، صلوات الله وسلامه عليه، فإننا إذا أردنا أن نقنع غير المؤمنين بهذا وجب علينا أن نلجأ إلى أسلوب أكثر إحكاماً"(٢).

خامساً: أن من أمثلة الإعجاز العلمي ما يكون واضحاً ومطابقاً لما توصل إليه العلم، ومثل هذا يصلح أن يكون دليلاً لإقامة الحجة على الكفار، وأما بعض الأمثلة فإنها لا تصلح أن تكون حجة لعدم تحقق التطابق، أو لأن ما يدعى أنه حقيقة علمية هو نظرية عند أهل الاختصاص، أو أن وجه الإعجاز هو في حقيقته تفسير للآية ووجهاً من أوجه تأويلها، ولا ينهض أن يكون إعجازاً.

ومن سبر أمثلة أصحاب الإعجاز العلمي وجدها من باب الاحتمال أو غلبة الظن، فكيف يحتج على الكفار بما يعتبرونه هم (نظرية) أو (احتمال) لم يصل إلى استحقاقه وصف (الحقيقة العلمية)، مما سيعود على الاحتجاج بالبطلان إذا تغيرت العلوم وتقدمت.

قال د. محمد الصادق عرجون: "إن الجانب الكوني في آيات القرآن الحكيم – وهو

---

(١) مقال: لماذا لم يستوعب التفسير المأثور كل الآيات الكونية، نشرة الحقيقة، العدد السادس عشر، شعبان ١٤٣١هـ ص٢

(٢) نظرات في التفسير العلمي للقرآن ص٣٧

جانب مهم جداً؛ لأنه عماد الدلائل الإلهية على وجود الله تعالى، وتوحيده، وباهر قدرته، وواسع علمه، ولطيف حكمته، وسائر ما يجب له تعالى من الكمال – في حاجة ماسة إلى إعادة النظر فيه للتفسير والبيان بأسلوب علمي يبرز عن طريق ملاحظة الظاهر الكونية حجة الله على خلقه، ويكشف عما في الآيات من أسرار وحقائق ناط الله بها كثيراً من منافعنا ومصالحنا في الدين والدنيا، وقد أشار إليها القرآن في آياته ودلائله وبدأ العلم يكشف عنها الحجب، ولكن على شرط أن نحذر، فلا نخضع القرآن لنظريات لا تزال في مهب التجارب، وقد تعصف بها فتصبح من قبيل الأساطير فنقول إنها تفسير لآيات القرآن كما صنع ذلك بعض المتحمسين وبعض المخدوعين ببريق العلم التجريبي"[1].

**سادساً**: أن القضايا العقدية الكبرى لا يحتج عليها بوجوه هزيلة أو محتملة أو غامضة أو معقدة أو مشكوك فيها، فقد وصف الله تعالى دلائل النبوة على الخصوص بأنها آيات بينات؛ أي: علامات واضحات ظاهرات كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد:٢٥]، ووصف كتابه بأنه آيات بينات فقال: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٩]، قال د.عثمان علي حسن: "إن بقاء حجة القرآن ودوامها في صدقها وقوتها وحجيتها وشمولها، فحجته باقية ما بقيت السموات والأرض، وعامة لكل الناس على مختلف أزمانهم، ومواقفهم، ومراتبهم في الفهم والإدراك، وهذا البقاء والشمول مستمدان من بقاء الرسالة وشمولها...فلا يتصور أن أحداً – في أي وقت أو أي موقع – يجرؤ على معارضة حجة القرآن بما يقطعها، أو يشكك في مصداقيتها، على ما يكون من حجج بعض الناس التي قد تكون قاطعة لبعضهم، وفي وقت من الأوقات، ثم لا تلبث أن يعرف بعض الناس بطلانها أو ضعفها...أما حجة القرآن الكريم فتبقى قاطعة لكل حجة، لا يغير من ذلك زمان ولا مكان ولا إنسان"[2].

**سابعاً**: أن الطريقة السليمة والصحيحة لإقامة الحجة على الكفار هي ببيان أن القرآن الكريم لا يتعارض مع العلم المادي، بل هو يدعو إلى النظر والتفكر والتأمل، والأخذ بالأسباب المادية، وبذل الجهد في تعلم العلوم النافعة.

---

(١) القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين ص٢٨٤
(٢) منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد ١/ ٣٧٧-٣٧٨

**٥- تقوية إيمان المسلمين، وترسيخ الجوانب العقدية والعبادية والسلوكية لديهم.**

قال بعض أصحاب الإعجاز العلمي: فكما أن الإعجاز العلمي حجة على المعاندين، فهو كذلك سبب لتقوية إيمان المسلمين بما يبعثه في نفوسهم من اليقين بكتاب ربهم؛ لاشتماله على حقائق سبق إلى القول بها قبل الكشوفات العلمية، وهو بهذا ينقل المسلمين بالوراثة، من دائرة الإيمان التقليدي إلى دائرة الإيمان اليقيني[١]، للحصول على المعتقد الصحيح، انطلاقاً من الثوابت العلمية الأولية وعدم التقليد للآباء، فنحن في عصر الثورة العلمية[٢].

**تعقيب:**

لا شك أن تطابق حقائق العلم المادي مع القرآن الكريم يقوي الإيمان ويرسخ العقيدة، لكن بشرط أن يكون وجه التطابق سالماً من الخطأ في الاستدلال، والتكلف في ادعاء التطابق، قالت د. روعة حسن سلطان: "فالتقدم العلمي يجب أن يزيد من تعميق إيماننا، حتى نقدم للناس لمحات علمية بمثابة مصابيح علم ومعرفة علها تكون مصابيح هداية، وتمدهم بمزيد من شحنة الإيمان"[٣].

**٦- تجديد بينة الرسالة في عصر الكشوف العلمية[٤].**

فإن إعجاز القرآن الكريم دائم ومستمر إلى آخر الزمان، وهو متوجه إلى سائر الأمم، ومن المعلوم بالمشاهدة والاستقراء، أن المدنية في العصور الحديثة، قد ترقت وتطورت إلى مراتب متقدمة جداً، فمن اللازم إذن تجدد نوع من الإعجاز، يوافقها ويناسب عقلية أبنائها[٥]، إذ هم لا يذعنون لشيء مثل إذعانهم للعلم وبيناته ودلائله، على

---

(١) المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص؟.

(٢) انظر: البراهين العلمية على صحة العقيدة الإسلامية، عبدالمجيد العرجاوي ص٧-٨، والكون والإعجاز العلمي للقرآن، د. منصور محمد حسب النبي ص٨، وبحث: من لطائف الإعجاز العلمي في قصة السيدة مريم، د. روعة حسن سلطان، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص١٢.

(٣) المؤتمر السابع للإعجاز، بحث: من لطائف افعجاز العلمي في قصة السيدة مريم ص١٢

(٤) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان، د. عبدالله المصلح ص٢٤، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، د. عبدالله المصلح ص١٦.

(٥) انظر: جواهر العلوم، طنطاوي جوهري ص ٢٠٦، والتفسير والمفسرون، د. عبد الغفور جعفر ص٨٧١، ومجالات الإعجاز في القرآن الكريم، د. محمد السيد أرناؤوط ص٩٣.

اختلاف أجناسهم وأوطانهم وأديانهم[1]، قال د. عبدالله المصلح: "والإعجاز العلمي هو أحد حجج الله البالغة علىٰ عباده في هذا العصر"[2]، وقال د. أحمد رحماني: "للإعجاز العلمي إذن أهمية كبرىٰ؛ لأنه أشمل وأكثر إقناعاً للبشرية كلها، فهو بحكم كونه يخاطب العقل البشري في المجالات التي لم يسبر أغوارها إلا بعد أن تمكن من اكتشاف الوسائل العلمية الدقيقة، التي كانت وحدها القادرة علىٰ إمداد الإنسان بقدرات جديدة، تعين الحواس علىٰ الإدراك العميق لنفسه، وللكون من حوله"[3].

**تعقيب:**

البينات الدالة علىٰ صدق الوحي كثيرة وهي قائمة في كل زمن، ولا يصح ربطها بوجود المكتشفات العلمية؛ لأنه علىٰ فرض أنه لم تتم هذه المكتشفات فإن إعجاز القرآن مستمر، ولا يتوقف علىٰ وجودها.

**٧- ضعف المعرفة باللغة العربية.**

فإن القرآن أنزل بلسان عربي مبين، وكان الناس يفهمونه لسلامة لسانهم، ويدركون بلاغته وقوة حجته، ثم ظهر الضعف يدب في اللسان العربي لأسباب كثيرة، ومنها دخول غير العرب في الإسلام ومخالطتهم للمسلمين، مما أدىٰ لضعف الاهتمام باللغة العربية من العرب أنفسهم، فضلاً عن غيرهم الذين لا يتحدثون اللغة العربية[4]، وهذا الضعف انعكس علىٰ فهم معاني القرآن الكريم، ولذلك احتاج الأمر إلىٰ عامل قد يكون مشتركاً بين جميع البشر في العصور المتأخرة تقوم به الحجة عليهم.

وهنا وجد أصحاب الإعجاز العلمي أن معطيات العلم المادي وقوانينه وقواعده، تتفق عليها جميع البشرية أو أغلبها، فما يدرس في مكان هو نفسه الذي يدرس في أنحاء العالم، ولذا كان دعوة البشرية بأمر متفق عليه، أولىٰ من أمر مختلف عليه[5].

---

(١) انظر: المعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو ص١٤٨، وحقائق القرآن والعلم الحديث، عامر تحسين ص١٠.

(٢) مجلة الإعجاز العدد ٣٨ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ.

(٣) نظريات الإعجاز القرآني ص١٣٠.

(٤) انظر: الإعجاز العلمي للقرآن في مجال علوم الأرض، د. محمود إبراهيم الشربيني ص٧.

(٥) انظر: كتاب توحيد الخالق، الزنداني ص ١٤٧، ومجالات الإعجاز في القرآن الكريم، د. محمد أرناؤوط ص٢٧١، وآيات ربانية، د. مختار المهدي ص٥١، ٥٦، ٦٥-٦٦، والقرآن والكون، أسامة الخضر ص٤٣-٤٤، والموسوعة الكبرىٰ للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، محمد حسني ص٨، والمعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو ص٦، ٦٤-٦٦.

قال د. عبدالله المصلح: "إن إدراك مجالات الإعجاز في كتاب الله الكريم، لـم يعد موقوفـاً علىٰ فصحاء العرب؛ لأن القرآن الكريم هـو منهج الله إلىٰ الإنسـانية كلهـا، فهي مخاطبة به، ومطالبة بالتسليم بأنه كلام الله وليس لآدمي فيه كلمة ولا حرف.

وبما أن هذا الكتاب هو خطـاب الله سبحانه وتعـالىٰ للبشـرية كافـة، فقـد جـاء فيـه مـا يناسب كل عصر، وما يمكن أن يدركه كل البشر، وأن يتأثر بإعجازه كـل منصـف يريـد أن يصل إلىٰ الحقيقة...ذلك أن الحجة القرآنية لغير أهل الفصـاحة والمعرفـة باللغـة العربيـة وأسرارها، تظل متمثلة عبر الأزمنة والأمكنة بالحجج والأسرار العلمية"[1].

وقال د. مصطفىٰ مسلم: "وإذا أدركنا هـدف القـرآن ومنهجـه في الخطـاب، أدركنـا أن ورود الآيات الكونية سواء ما يتعلق منها بالآفاق، وما يتعلق منها بـالأنفس البشـرية شيء بدهي أيضـاً؛ لأن من فئات الناس المكلفين المخاطبين بالقرآن الكريم، مـن ينصـبّ جلّ اهتمامه علىٰ هذه الجوانب من مخلوقات الله، ولا بد من إقامة الحجة عليهم، وإظهـار أن القرآن كلام الله المنزل علىٰ محمد ﷺ؛ ليبشر به المؤمنين، وينذر به قومـاً لدّاً.

ومن العسير أن تتذوق هذه الطوائف الجمال البياني، وتدرك فصاحته وبلاغته؛ لتعترف بالتالي أنه كلام الله المعجز، ولكنهم يدركون أن هذه المعارف الإنسانية، وهذه الحقائق الكونية، لا يتصوّر أن يدركها بشر من ذاته؛ لأن كثيراً منها لم تكتشف إلا في عصور متأخرة جداً، بعد التقدم العلمي في العلوم الكونية، وبعد اختراع آلات دقيقة، لم يكن للسابقين عهد بها، فإن ورود هذه الحقائق الضخمة والدقيقة في نفس الوقت، علىٰ لسان رجل لم يكن له إلمام بمثل هذه العلوم، دليل علىٰ أنه تلقّاها ممن يعلم السرّ في السماوات والأرض: ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الفرقان: ٦]"[2].

وقـال د. أحمـد عمـر أبـو حجـر: "القـرآن الكـريم هـو حجـة الله البالغـة علىٰ عبـادة، وموضع الحجة فيه إعجاز الخلق، وينبغي ألا يكون إدراك إعجازه موقوفـاً علىٰ فصـحاء العرب ومن شاكلهم، فالإنسانية كلها مخاطبة به، والإنسانية العجم فيها أكثر من العـرب، ولابد أن يتضح إعجاز القرآن لكل إنسان ولو كان أعجمي اللسان؛ لتلزمه الحجـة إن هـو امتنع عن الإسلام.

---

(١) مجلة الإعجاز العلمي العدد ٤٣ ربيع الثاني ١٤٣٤هـ ص٤.

(٢) مباحث في إعجاز القرآن ص١٥٧.

وعليه فلابد أن تكون لإعجاز القرآن جوانب أخرىٰ غير الإعجاز البلاغي، وغير التنبؤات التي كانت في ضمير الغيب حين نزول القرآن، تلك الناحية هي: الناحية العلمية التي لا يتوقف تقديرها والتسليم بها علىٰ معرفة لغة، لا تتيسر معرفتها لكل أحد"(١).

**٨- مواجهة التيارات الوافدة.**

ذكر بعض أصحاب الإعجاز العلمي أن التيارات الوافدة تحمل التغريب بأشكال مختلفة، علىٰ أيدي العديد من الذين سُخروا لمهاجمة الإسلام والمسلمين، وكذلك الحملات التنصيرية التي قادتها عدد من المؤسسات والجامعات في العالم العربي والإسلامي، وما تلا ذلك من حروب واحتلال لبعض بلاد المسلمين، والذي تزامن مع حرب إعلامية منظمة، وكتابات تحت عناوين مستفزة، تملأ قلوب الغربيين بكراهة الإسلام وأهله، ولذا كان "المخرج الوحيد من هذا المأزق التاريخي هو حسن التعريف بهذا الدين من مصادره الصحيحة، باللغة التي يفهمها أهل عصرنا وهي لغة العلم، وذلك بعرض جوانب من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وللسنة النبوية المطهرة"(٢)، وهو من أهم الأسلحة المعاصرة، التي يملكها المسلمون في مواجهة شبهات التنصير(٣).

قال عبدالكريم علي الفهدي: "ومع كثرة الشبهات من العلمانيين والكفار، تصبح المعجزات العلمية رداً واضحاً، ومعجزة بينة في زمننا"(٤).



---

(١) التفسير العلمي للقرآن في الميزان ص١٠٧، وانظر: إعجاز القرآن الكريم عند ابن القيم، حسن بن عواد العوفي ص١٩٤-١٩٥، ومن الإعجاز العلمي في القرآن، د. حسن أبو العينين ١/ ٥١، والآيات الكونية في القرآن الكريم، د. كارم السيد غنيم ص٣٣.

(٢) انظر: آيات النبات في القرآن الكريم، د. زغلول النجار ص٣١-٣٨، والضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، د. رشدان شهوان ص١١٩، ومن الإعجاز العلمي في القرآن، د. حسن أبو العينين ١/ ٥١، والآيات الكونية في القرآن الكريم، د. كارم السيد غنيم ص٣٣، وعدة المطلقة، الحكمة الإلهية والمعجزة العلمية، د. فوزي رمضان، من أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٤٠٦، وانظر: التجديد في التفسير، د. عثمان أحمد عبدالرحيم ص٥٧.

(٣) انظر: مقال: دور الإعجاز العلمي في مواجهة التنصير، نشرة الحقيقة العدد ٦ ربيع الأول ١٤٢٩هـ ص٧، وأزمة العصر، محمد محمد حسن ص١٠٤.

(٤) الإعجاز العلمي والدعوة إلىٰ الله ص٥٤، وانظر: التعقيب علىٰ السبب الرابع ص٩٥.



# المبحث الرابع

## مذاهب العلماء في الإعجاز العلمي وأدلتهم

لم تكن الأسباب السابقة كافية لجعل العلماء والباحثين يتفقون على رأي واحد في الإعجاز العلمي، مع اتفاقهم أن القرآن الكريم معجزة لمحمد ﷺ، وهو حجة على المتقدمين والمتأخرين، وهو معجز في زمنه ﷺ وفي كل زمن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولذلك اختلفوا في الأوجه الذي كان بها القرآن معجزاً[1]؟ فقيل: إنه لا حد لها[2]، وقيل: إنها ثمانون وجهاً، وقيل غير ذلك[3].

ومن الأوجه التي ذكرها العلماء، كون القرآن الكريم جامعاً لعلوم لم تكن في العرب آلاتها، ولا تتعاطى العرب الكلام فيها، ولا يحيط بها من علماء الأمم أحد، ولا يشتمل

---

(١) ومن دواعي بيان أوجه إعجاز القرآن: أولاً: القول بالصَّرْفَة، والذي تبناه أبو إسحاق إبراهيم النظام، وطائفة من المعتزلة، ثانياً: نفي بعضهم للإعجاز عن القرآن كابن الراوندي أبي الحسين أحمد بن يحيي (ت ٢٩٣؟ وقيل: ٣٠١ وقيل: ٣٥٠) الذي بسط لسانه في مناقضة الشريعة، وإنكاره إعجاز القرآن في كتابه (الفريد)، وقيل: إنه عارض القرآن في كتاب سماه (التاج). انظر: تاريخ آداب العرب ص١٨٢، وعناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، حسن عبد الفتاح أحمد ص ٢٥.

(٢) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي ص٣٤٥-٣٤٧، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي ١/ ٥، وروح المعاني، الألوسي ١/ ٣١.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٢/ ٩٠-١٢٤، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي ١/ ١٠٠-١٢٤، والزيادة والإحسان، ابن عقيلة ١/ ٢٢٧-٢٨٠، وتفسير الماوردي ١/ ٣٠، والتسهيل، ابن جزي ١/ ٢٣، وتفسير الكشاف، الزمخشري ٢/ ٣٣١، والمحرر الوجيز، ابن عطية ١/ ٥٢، وإعجاز القرآن، الباقلاني ص٣٣، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١/ ٧٣، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي ص٣٤٥-٣٤٧، وروح المعاني، الألوسي ١/ ٣١، وأثر الاكتشافات العلمية في تفسير القرآن، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد ٥ جمادى الآخرة عام ١٤٢٩هـ ص٢٢، ونقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن الكريم، د. إبراهيم الحميضي ص٨٨، والواضح في علوم القرآن، د. مصطفى البغا ومحي الدين مستو ص١٥٦.

عليها كتاب، وفي هذا الوجه أدخلوا علوماً ومعارف كثيرة، مابين مقل ومستكثر[١].

وبعض العلماء يذكر اشتمال القرآن على بعض العلوم إجمالاً أو تفصيلاً، لكن لا يَعد ذلك من الإعجاز، بل يعتبره من خصائص القرآن كما فعل القاضي عياض[٢] رحمه الله[٣].

ولذلك فإن المقصود في هذا المبحث هو حصر أقوال العلماء والباحثين ممن صرح بمصطلح (الإعجاز العلمي) بمفهومه الذي استقر عليه، ويعود سبب هذا الحصر لأمرين:

**الأمر الأول:** أن بعض من كَتَب في الإعجاز العلمي، جعل قول عالم في التفسير العلمي[٤]، أو تأييده لبعض أوجه إعجاز القرآن، أو ذكره للفظ الإعجاز العلمي، أو ذكره

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١/ ٧٤، والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، وتفسير الماوردي ١/ ٣٢، ونسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض، أحمد الخفاجي ٢/ ٤٧٣، ومناهل العرفان، الزرقاني ٢/ ٣٤٢، وأضواء على إعجاز القرآن الكريم، صبري عكرمة ص٩١، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي ١/ ١٠٠-١٢٤، والتفسير العلمي، حنفي أحمد ص١٧، وتصحيح المفاهيم، أنور الجندي ص٧١-٧٣، والمعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة ص٩٩، ٥٤٨-٥٥٢، وعلم التفسير، محمد حسين الذهبي ص١١، واتجاهات التفسير في العصر الراهن، د. عبدالمجيد المحتسب ص١٢٩، تاريخ فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي ص١٣١، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان، د. عبدالله المصلح ص٨٤، والإعجاز البياني في القرآن الكريم، د. عمار ساسي ١/ ٦١، وعلوم القرآن بين البرهان والإتقان، حازم سعيد حيدر ص٤٣٨.

(٢) هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، ولي القضاء، وكان عالماً بكلام العرب وأنسابهم، توفي بمراكش مسموماً عام ٥٤٤ هـ. انظر: شذرات الذهب، ابن العماد ٦/ ٢٢٦، والبداية والنهاية، ابن كثير ١٦/ ٣٥٢، وسير أعلام النبلاء، الذهبي ٢٠/ ٢١٢.

(٣) ينسب كثير من المشتغلين بالإعجاز العلمي القول به إلى القاضي عياض رحمه الله، والصحيح أن هذه النسبة غير صحيحة، وينقصها الدقة والتحرير، فحقيقة إعجاز القرآن عنده في أوجه أربعة هي:

١) حسن تأليفه، والتئام كلمه وفصاحته، ووجوه إيجازه وبلاغته، لخارقة عادة العرب.

٢) صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب، المخالف لأساليب كلام العرب، ومناهج نظمها ونثرها.

٣) ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات، وما لم يكن ولم يقع فوجد.

٤) ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الداثرة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ. وماعدا هذه الأوجه فهو من خواص القرآن الكريم وعجائبه.

وقد عدد رحمه الله كثيراً من الأوجه التي ذكر العلماء أنها من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ثم عقَّب كل ذلك بقوله: "وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها، إذ أكثرها داخل في باب بلاغته، فلا يجب أن يعد فناً منفرداً في إعجازه، إلا في باب تفصيل فنون البلاغة، وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم، يعد في خواصه وفضائله لا في إعجازه، وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي" انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ١/ ٢١٣، والقاضي عياض ومفهومه للإعجاز القرآني، د. أحمد جمال العمري، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (٢) رمضان ١٣٩٧هـ ص١٥-٢٨.

(٤) وقد اختلف العلماء في جواز التفسير العلمي، فمنهم من عارضه وعده من التفسير المذموم، ومنهم من أيده وبالغ في الاهتمام به، على تفاوت مقدار قبولهم له، وإنكارهم على من لم يقل به. انظر: إحياء علوم الدين، =

لقضية كونية، جعل كل ذلك دليلاً على تأييده للإعجاز العلمي بمفهومه الذي استقر عليه، كمن نسب القول بالإعجاز العلمي إلى أبي حامد الغزالي[1] ﷺ، أو فخر الدين الرازي[2] ﷺ، أو الإمام الشاطبي[3] ﷺ، أو الزركشي[4] ﷺ، أو شيخ الإسلام ابن تيمية[5] ﷺ، أو ابن القيم[6] ﷺ أو السيوطي[7] ﷺ، أو محمد الطاهر بن

---

= الغزالي ١/ ٣٩، والموافقات، الشاطبي ٢/ ١١٢، والبرهان في علوم القرآن، الزركشي ٢/ ١٥٤-١٥٥، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٢/ ١٢٥-١٢٩، والإكليل في استنباط التأويل، السيوطي ص٢، ومناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني ٢/ ١٠٥-١١٢، والتفسير والمفسرون، د. محمد الذهبي ٢/ ٥١٩-٥٧٠، والتفسير العلمي في الميزان د. أحمد أبو حجر ص٧١-٣٣٦، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي ٢/ ٥٤٥-٧٠٢، وأسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص٨٥٦-٨٦٣، والإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث، د. مروان شعبان ص١٠٧-١٤٩، وإعجاز القرآن الكريم، د. محمد درويش ص٧٧٣-٧٨٥، ومناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية في العصر الحديث، د. أحمد قوشتي ص٤٣٩.

(١) انظر: تاريخ فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي ص١٣١، وإعجاز القرآن الكريم، د. فضل عباس ص٢٤٦، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان، د. عبدالله المصلح ص٨٢.

(٢) انظر: إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، د. حفني محمد شرف ص١١٠.

(٣) فهم بعضهم من رد الشاطبي على التفسيرات العلمية التي تخرج بالدلالة المستفادة من النص عن سنن الكلام العربي، وما تقضيه دلالة النصوص العربية، أنه يرفض الإعجاز العلمي، مع أنه لم يذكر هذا المصطلح. انظر: التفسير العلمي في الميزان، د. أحمد أبو حجر ص٢٧٣-٢٩٣، والإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث، د. مروان شعبان ص١٣٠-١٣٢، ومدخل الدراسات القرآنية، د. السائح علي ص١٩٢، وعلوم القرآن عند الإمام الشاطبي، د. مساعد الطيار ص٣٠٤، وتاريخ فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي ص١١٢.

(٤) كما قال نعيم الحمصي في:(تاريخ فكرة إعجاز القرآن ص١١٣): "فليس للزركشي رأي خاص إذن في الإعجاز، ولكن المهم أن يعتقد بإمكان وجود وجوه للإعجاز لم تقل حتى عهده فكأنه يؤمن بنظرية الإعجاز العلمي".

(٥) ذكر د. صبري المتولي في كتابه ( منهج ابن تيمية في تفسير القرآن ص٢٥٧) أن ابن تيمية سبق كل الباحثين في التنويه بالإعجاز العلمي للقرآن، وتابعه د. محمد العواجي في كتابه ( إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٩٤) حيث قال: " لقد كان شيخ الإسلام من العلماء السابقين الذين نوهوا بالإعجاز العلمي والكوني". وشيخ الإسلام لم يذكر مصطلح الإعجاز العلمي، ولم يسم دلالة الآيات الكونية في القرآن إعجازاً.

(٦) ذكر حسن بن عواد العوفي في كتابه: (إعجاز القرآن الكريم عند ابن القيم ص١٩٤-٢٢٣) أن ابن القيم يقول بالإعجاز العلمي، مع أن ابن القيم لم يصرح بلفظ الإعجاز العلمي ولا التفسير العلمي، ولم يجعل ذلك وجهاً من أوجه إعجاز القرآن الكريم، وإنما يذكر ﷺ الحكم والأسرار للآيات الكونية، والمنافع التي اشتملت عليها؛ لبيان قدرة الله تعالى، وهو من باب التوسع في دلالات النص القرآني.

(٧) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان، د. عبدالله المصلح ص٨٠-٨٤، وتاريخ فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي ص١٢٠، وربما تميز موقف السيوطي عن غيره بجعله اشتمال القرآن على تلك العلوم وجهاً من أوجه إعجازه، وهو الأمر الذي يرى بعضهم أنه تطور لاحقاً مشكلاً ما يعرف بالإعجاز العلمي. انظر: مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية في العصر الحديث، د. أحمد قوشتي ص٤١٦.

عاشور[١] ﷺ[٢]، وغيرهم من العلماء السابقين أو المتأخرين.

**الأمر الثاني:** أن بعضهم نسب إنكار الإعجاز العلمي إلىٰ بعض العلماء، من أمثال: د. محمد حسين الذهبي ﷺ، ومحمد أبو زهرة ﷺ، ومحمد شلتوت ﷺ، والشيخ محمود محمد شاكر ﷺ وغيرهم، ونسبته إلىٰ هؤلاء ينقصها التحرير والتدقيق؛ لأنهم يذكرون في مناسبات مختلفة أن القرآن الكريم يشير إلىٰ أصول بعض العلوم وحقائقها دون تفاصيلها، ولكنهم ينكرون ربط الآيات القرآنية بكل ما كشفه العلم من نظريات وآراء، ووينكرون المغالاة في ذلك لدرجة تشويه مقاصد القرآن وأهدافه، وهذا يتورع عنه كل صاحب دين وتقوىٰ كما يقولون[٣].

وأما من صرح بلفظ (الإعجاز العلمي) فهم ينقسمون في موقفهم من الإعجاز العلمي إلىٰ ثلاث طوائف:

**الطائفة الأولى:** المعارضون للإعجاز العلمي.

**الطائفة الثانية:** المؤيدون للإعجاز العلمي مطلقاً أو بضوابط.

**الطائفة الثالثة:** من لهم تفصيل في لفظ الإعجاز العلمي، أو في معناه، أو فيهما معاً.



---

(١) هو: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، رئيس المفتين المالكين، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، توفي بتونس عام ١٣٩٣ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، ٦/ ١٧٤، وترجمة ابن عاشور، لمصطفىٰ عاشور، وترجمة ابن عاشور، للمهدي بن حميدة.

(٢) صرح الطاهر بن عاشور بلفظ (الإعجاز العلمي) لكنه يشمل عنده أنواعاً وأوجهاً من الإعجاز التي يذكرها العلماء المشتغلون بهذا العلم، كالإعجاز التاريخي والتشريعي، إضافة إلىٰ الإعجاز العلمي، ومرد ذلك إلىٰ أن مدلول العلم عنده أوسع من مدلول المعتنين بالإعجاز العلمي الذي جعلوه في (العلوم التجريبية)، ويتبين أثر توسع المدلول عنده في التطبيقات التي يذكرها، وقد استخرجها د. مساعد الطيار فقاربت العشرين موضعاً. انظر: الإعجاز العلمي إلىٰ أين، د. مساعد الطيار ص١٧٥-١٨٤، وإعجاز القرآن الكريم عند الإمام الطاهر ابن عاشور، د. محمود البعداني ص٣٢٢ وما بعدها، واتجاهات التفسير بالغرب الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري، د. عبدالله عوينه ص٢١٤ وما بعدها، ومدخل لتفسير التحرير والتنوير، د. محمد الحمد ص١٣٩.

(٣) انظر: علم التفسير، د. محمد الذهبي ص١١، والمعجزة الكبرىٰ القرآن، محمد أبو زهرة ص٤٦٦-٤٧٠، وأسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص٨٥٧، واتجاهات التفسير في العصر الراهن، د. عبدالمجيد المحتسب ص٢٩٥، والتفسير العلمي للقرآن، عبدالله الأهدل ص١٧٦.

**الطائفة الأولى: المعارضون للإعجاز العلمي.**

والمعارضون للإعجاز العلمي لـم يكونـوا علىٰ درجة واحـدة، بـل هـم متفـاوتون في ذلك، وينقسمون إلىٰ أربعة أقسام:

**القسم الأول**: بعض من حصر أوجه إعجاز القرآن الكريم في الإعجـاز البلاغـي، فهـذا القسم لا يسلم بما عداه من الأوجه؛ لأن القرآن معجز بكل سورة منه، فكل سورة معجزة بنفسـها، وماعـدا الوجـه البلاغـي لا يوجـد في كـل سـورة[1]، وقـد ادعىٰ يوسـف إليـاس الحداد[2] أن علماء السلف مجمعون علىٰ إنكار ماعدا الإعجاز البلاغـي حيـث قـال: "إن المسلمين يلتمسون اليوم للقرآن الشمول من كل وجه، ويحاولون أن يجدوا فيـه إعجـازاً إلهيـاً في العقيدة، وإعجازاً إلهيـاً في الشريعة، وإعجازاً إلهيـاً في الفلسفة، وإعجازاً إلهيـاً في العلـم الحـديث، وفـاتهم جميعـاً أن تـاريخ الإسـلام يجهـل مثـل هـذا التفكيـر ومثـل هـذه المحاولات، وأن القدماء إنما أجمعوا علىٰ أن إعجاز القرآن هو في نظمه"[3].

**القسم الثاني**: من صرح أن الإعجاز العلمي بدعة، وأنه محدث، ونسـب ابتداعـه إلىٰ أبي حامد الغزالي، واشتد نكير هذا القسم علىٰ المهتمين بالإعجاز العلمي.

وقال بهذا: الشيخ سعد الحصين[4] ﷺ، وكتب في ذلك ثلاث مقالات، وهي: (بدعـة الإعجاز العلمي في القرآن: تأويل لليقين بالظن) و(بدعة الانشـغال بالإعجـاز الظنـي عـن التدبر اليقيني) و(رأي آخر في الإعجـاز العلمـي للقـرآن)، وقـال ببدعيـة الإعجـاز العلمـي كذلك عبدالرحمن يحيىٰ الحجوري[5].

**وعللوا موقفهم بما يلي:**

١) أنه ليس من العلوم ما يسمىٰ بالإعجاز العلمي في عهد السلف الصالح.

---

(١) انظر: الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة، محمد حسني يوسف ص١٧١.

(٢) هو: يوسف إلياس الحداد، لبناني، داعية إلىٰ النصـرانية،، ألـف كتبـاً في الهجوم علىٰ القـرآن والإسـلام، وقـد تصدىٰ له ورد عليه الأستاذ محمد دروزة في كتابه (القرآن والمبشرون). انظر ترجمة الحداد في مقدمة الكتـاب السابق ص٦.

(٣) القرآن والمبشرون، محمد عزة دروزه ص٣٢٨.

(٤) هو: سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصيّن، النّاصري التّميميّ، عمل في عدد من المناصب، له عـدد من المؤلفات والمقالات، توفي عام ١٤٣٦هـ انظر: ترجمته لنفسه في موقعه: www.saadalhusayen.com

(٥) انظر: الصبح الشارق علىٰ ضلالات عبد المجيد الزنـداني في كتابه توحيـد الخـالق ص١٦٦، والنسـيج الكـوني رؤية علمية قرآنية، من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص ٩٧.

٢) أن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم استدراك على الله ورسوله ﷺ، ويتضمن اتهام الرسول بعدم التبيان، والدين بعدم الكمال، وقد أنزل الله تعالى في آخر حياة النبي ﷺ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

٣) أن "إعجاز القرآن عرفه المسلمون الأوائل القدوة: في فصاحته وبلاغته، وحججه البالغة، وإخباره عن غيب لا يعلمه إلا من أنزله، وبدعة الإعجاز العلمي للقرآن لا تعدو أن تكون إهانة للقرآن، وإعلاء لنظريّات الملحدين"[١].

٤) أن الإعجاز العلمي قفز فوق المعنى اللغوي للآية الكريمة، وإتيان بتفسيرات لا توافق أقوال المفسرين.

٥) أن الإعجاز العلمي هو استدلال بالظني على القطعي، فالإعجاز العلمي من الأدلة الظنية، والقرآن قطعي الورود، فكيف يستدل بالظني على القطعي؟

**القسم الثالث:** من يرى أن الإعجاز العلمي هو مجرد تلفيق، وتوفيق، وتجميع، وتلميع بين العلوم الدنيوية التجريبية، وإسقاطها على القرآن الكريم، فهو مجاراة للكفار الملاحدة فيما يزعمون أنهم اكتشفوه وعرفوه.

وقال بهذا د. طه جابر العلواني[٢]، وذياب بن سعد الغامدي[٣]، والشيخ عبدالكريم الحميد، الذي وصف الإعجاز العلمي بـ(الطوفان الغامر)[٤]،

**وعللوا قولهم بما يلي:**

١) أن أصحاب الإعجاز العلمي لم يأخذوا حظهم من العلم الشرعي، والتأصيل العلمي، مما انعكس على محاولاتهم في الجمع بين العلوم الدنيوية، والعلوم الشرعية الإسلامية.

٢) أنهم سلكوا في فهم القرآن مسالك محدثة مبتدعة تخالف طريقة السلف ونهجهم في الكلام في القرآن، وبيان معانيه.

٣) أنهم أقحموا آيات القرآن قسراً وقهراً، رغم عدم طواعيتها، والبون البعيد الفارق بينها وبين هذه العلوم الدخيلة، أقحموها بها لتساير الركب الضال، وهذا يستحيل تحقيقاً وإن وجد تلفيقاً.

---

(١) مقال: رأي آخر في الإعجاز العلمي للقرآن.
(٢) انظر: الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون ص٥٤-٦١.
(٣) انظر: كسوف الشمس بين التخويف والتزييف ص٤٠-٤٣.
(٤) انظر: الفرقان في بيان إعجاز القرآن ص٤، ١٧، ٢١.

٤) أنهـم حـاولوا الإجابـة عـن أسـئلة كثيـرة حيـرىٰ في المعـارف الإنسـانية والاجتماعيـة الحديثـة، بـل وفي العلـوم الطبيعيـة المعاصـرة، فجعلـوا القـرآن مسـاوياً لثقافـة العصـر القلقة المترددة، وعلومها المتذبذبة بين اليقينية، والنسبيَّة، والاحتمالية.

٥) أن أصحاب الإعجاز العلمي غاية جهدهم، هـو البحث والتنقيب عما يقذفه أهل العلوم الدنيوية التجريبية في مختبراتهم واكتشافاتهم، ومعاملهم وتجاربهم، من حقائق علمية ونتائج استكشافية، كي يبرهنوا للعالم أجمع، وللغرب علىٰ وجه الخصوص: أن ما جادت به أفكارهم، وفاضت به مختبراتهم هو في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ منذ أمد بعيد، ووقت قديم، ولو علىٰ تكلف.

**القسم الرابع**: مـن وقـف مـن الإعجـاز العلمـي خصوصـاً والقـرآن الكـريم عمومـاً موقف العداء، وهم علىٰ نوعين:

**النوع الأول**: بعض المستشرقين الذين عمدوا عند ترجمتهم[1] للقرآن الكريم إلىٰ التعمية علىٰ الإشارات العلمية في آياته، بأن عبروا ببدائل لغوية، لا تكشف من قريب أو بعيد عن المعنىٰ الإعجازي في الآية، وذلك فراراً من مسألة إثبات الوحي، ولتضليل غير المسلمين عن تلك الإشارات العلمية؛ لأن من يقرأ هذه الآيات، فلابد من أن يدفعه ذلك إلىٰ التساؤل: هل كان بإمكان إنسان معرفة هذه الحقائق، وتأكيدها منذ خمسة عشر قرناً مضت؟.

وقد حدد الواعظ التنصيري (جون تاكلي) الباعث وراء دراسة الغرب القرآن الكريم قائلاً: "يجب أن نستخدم كتابهم [أي: القرآن] – وهو أمضىٰ سلاح في الإسلام – ضد الإسلام نفسه، لنقضي عليه تماماً، يجب أن ترىٰ الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً"[2]

وبين د. أحمد أعراب خطر هذه الترجمات فقال: "نقدم في هذه المقالة مشروع سلسة من الأفلام الوثائقية حول الحقائق الكونية المذكورة في القرآن الكريم، وخطورة الخطأ في ترجمتها إلىٰ اللغات الأخرىٰ، ذلك أنها تقلب الحقائق الكونية، وتعرضها بصورة مشوهة

(١) ومنها: ترجمة (هينتج)، و(جورج سال)، و(رودت بارت). انظر: ماذا يريد الغرب من القرآن، د. عبدالراضي محمد عبدالمحسن ص٨٧-٩٣، ونبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، د. لخضر شايب ص٥٦٢-٥٦٦.

(٢) التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، مصطفىٰ خالدي وعمر فروخ ص٤٠.

تناقض الواقع، وتعطي للقارئ فكرة مغايرة لما جاء به القرآن، فتقدم الترجمة باعتبارها قرآناً منزلاً من عند الله.

وقد تفسح هذه الأخطاء المجال لأصحاب الأغراض السيئة إلى استعمالها؛ لإثارة البلبلة في فهم القرآن، واستبعاد ربانية مصدره، فتنتشر أفكاراً مشوهة ومعادية للدين الإسلامي"[(١)].

**النوع الثاني**: من يتنقص الإعجاز العلمي، ويقلل من قيمته، ويسخر ويستهزيء من رموزه، وقد ذهب إلى هذا عدد من العلمانيين[(٢)] والعصرانيين[(٣)]، ومن هؤلاء[(٤)]:

١) محمد أركون: الذي اعتبر الإعجاز العلمي من الأدبيات الإسلامية التبريرية التبجيلية، وقال: إن هذا خطأ يجب أن يدان فوراً[(٥)].

٢) عادل الجندي حيث قال: "بل إن هناك من أدعياء الدين، ممن يقومون بدور المشعوذ والساحر بصورة بارعة، راجع ما يقوم به خبراء الإعجاز العلمي في القرآن"[(٦)]

٣) أشرف عبد القادر حيث قال: "وأتعجب من جريدة الأهرام المصرية، كيف تسمح للمشعوذ زغلول النجار، أن ينشر أكاذيبه وهذياناته عن الإعجاز العلمي في القرآن، الذي هو كذب وقح على القرآن والعلم معاً"[(٧)].

---

(١) مقال: الحقائق الكونية في القرآن الكريم وخطورة الخطأ في ترجمتها، ضمن سلسة القرآن الكريم وعلومه في الفيلم الوثائقي ص١٤٩، وانظر: الإعجاز البياني في القرآن الكريم ص٩٢، ورد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم، د. محمد جمعة ص٢٦٣-٢٦٧.

(٢) العَلمانية: بفتح العين، كلمة أعجمية، ظهرت في أوروبا منذ القرن ١٩م، وترجمتها الصحيحة: (اللادينية)، وهي تطلق على الدعوة إلى محاربة شرع الله تعالى ودينه، وفصل الدين عن الدولة والحياة. انظر: العلمانيه، د. سفر الحوالي ص ٢١ - ٢٤، والموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. ناصر القفاري ود. ناصر العقل ص ١٠٣.

(٣) العصرانية: هي أي وجهة نظر في الدين، مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي، والثقافة المعاصرة يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية، على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة. انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص٥-٦، و المدرسة العصرانية في نزعتها المادية ص١٥، كلاهما لمحمد حامد الناصر.

(٤) انظر: مقال: موضة الإعجاز العلمي وضلال مفهوم أسلمة المعرفة، د. خالص جلبي، جريدة البلاد، الجمعة ١٧ يناير ٢٠١٤م، والنص والسلطة، نصر حامد أبو زيد ص٩٢، ١٤٥.

(٥) انظر: تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص ١٩٩.

(٦) انظر: العلمانية مفاهيم ملتبسة، لحسن وريغ وأشرف عبدالقادر ص٣٢٠، وقدر العلمانية في العالم العربي، لهما أيضاً ص١٣٣.

(٧) انظر: العلمانية مفاهيم ملتبسة ص١٠.

٤) وأما خليل عبد الكريم فأزعجه كثيراً وجود هذا العِلم[١]، ولهذا لم ير بأساً هو وسيد القمني[٢] في اختراع المغالطات حوله. فزعما أن علماءه يدَّعون أن في النصوص المقدسة سائر النظريات العلمية التجريبية والإنسانية، التي ظهرت وتظهر، وسوف تظهر إلىٰ يوم القيامة[٣].

وسخر القمني في معظم كتبه من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، بحجة: إن القرآن كتاب إيمان، وليس كتاب تكنولوجيا ورياضيات وبيولوجيا، وأن المسلمين لم يكتشفوا أياً من هذه النظريات اعتماداً علىٰ القرآن والسنة[٤].

**المناقشة:**

يلحظ علىٰ أقوال المعارضين للإعجاز العلمي التعميم في الحكم، ولعل السبب هو عدم تصور المراد بالإعجاز العلمي كما أراده القائلون به، أو بسبب النظر إلىٰ بعض أمثلته التي جانب فيها بعضهم الصواب، أو بسبب عداء للإسلام عموماً، وللقرآن خصوصاً كما هو حال القسم الرابع، ويتبين ذلك في أمور عدة:

**الأمر الأول:** أن دعوىٰ الإجماع علىٰ الإعجاز البلاغي ونفي ما عداه كما زعم يوسف إلياس الحداد غير صحيحة، بدليل أن هناك آثاراً وأقوالاً كثيرة عن العلماء، ينطوي فيها تقرير كون إعجاز القرآن هو في نظمه وفي محتواه علىٰ السواء[٥].

---

(١) انظر: الأعمال الكاملة ص١٩٥.

(٢) انظر: انتكاسة المسلمين إلىٰ الوثنية ص٢٦ – ٣٥.

(٣) انظر: الأعمال الكاملة ص٢١٨، والإسلام بين الدولة الدينية، خليل عبدالكريم ص٨ -١٠.

(٤) انظر: انتكاسة المسلمين إلىٰ الوثنية، سيد القمني ص٢٥-٢٦، والعلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب، مصطفىٰ باحُو المغربي ص٢٦، والعلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، مصطفىٰ باحُو المغربي ص١٠٥، والعلمانيون والقرآن الكريم، د. أحمد إدريس الطعان، وموقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير، د. محمود البعداني ص ٥١٩-٥٢١، ٨٤٧-٨٥٠، والتيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم، منىٰ محمد الشافعي ص٣٨٢-٣٨٣، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفىٰ صادق الرافعي ص١٦٤.

(٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٢/ ٢٥٢ وما بعدها، والقرآن والمبشرون، محمد عزة دروزه ص٣٣١، ومدخل الدراسات القرآنية من علوم القرآن، د. السائح علي حسين ص١٨٣-١٩٠، والضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، د. راشد سعيد شهوان ص١٣٦، وتاريخ فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي ص٤٦٩-٤٨٠، وإعجاز القرآن في دراسات السابقين، عبدالكريم الخطيب ص١٥٥.

**الأمر الثاني**: أن القول ببدعية مصطلح (الإعجاز العلمي) لا يعني رفض ما اشتمل عليه من معانٍ صحيحة، وافق فيها القرآن الكريم ما توصلت إليه العلوم التجريبية، وسبق إلىٰ ذكر بعضها قبل أن يعلمها البشر بوسائل العلم المختلفة.

**الأمر الثالث**: أن بعض أصحاب هذه الأقوال يعترفون بفوائد الإعجاز العلمي، ويدعون إلىٰ تصحيح مساره، ووزنه بميزان الشرع؛ لتستبين سبيل الحق من الباطل[1].

قال ذياب بن سعد الغامدي: "فهؤلاء مع حسن ظنهم، وصدق مناصرتهم للإسلام والمسلمين؛ إلا أنهم (للأسف)، لم يأخذوا حظاً وافراً من العلم الشرعي والتأصيل العلمي"[2].



(١) انظر: الفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبدالكريم الحميد ص٣، والجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، د. طه جابر العلواني ص٥٤-٦١.
(٢) كسوف الشمس بين التخويف والتزييف ص٤٠.

**الطائفة الثانية: المؤيدون للإعجاز العلمي.**

وهؤلاء هم الأكثرية[(١)] ممن كتب في الإعجاز العلمي، أو أيده، أو أيد القائلين به، أو ذكره على أنه وسيلة للدعوة إلى الله تعالى، أو ذكره في مباحث علوم القرآن، وهم ليسوا على درجة واحدة، فمنهم من بالغ في إثبات الإعجاز العلمي، حتى خرج بالنص الشرعي عن مدلوله اللغوي الواضح، ومنهم من توسط في الأمر متمسكاً بما وُضع من ضوابط

---

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن، سيد الجميلي، والقرآن والمبشرون، محمد دروزه ص٣٣٠، ٣٣٨، ومدخل الدراسات القرآنية، السائح علي ص١٩٨، والمعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة ص٩٩، وأضواء البيان في علوم القرآن، عامر الخفاجي ص٧٩، وعلوم القرآن، د. عبدالله شحاته ص١٢٣، ١٢٧، والإسلام يتحدى الغرب الملحد، محمد النشواتي ص٢٤١، والربوبية وصفات الرسل من منظور الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، عبدالحليم السواس، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد السقا ص٥ ومابعدها، وإعجاز القرآن العلمي، محمود الاستانبولي ص٦، ونماذج من الإعجاز العلمي، أحمد الكرداني ص٣-٩، وكشف حقائق فلكية في القرآن الكريم، حمد الدسوقي ص٨٤-٨٥، والإعجاز العلمي في إثبات الوسطية في المكان، سعد المرصفي ص١٢-١٥، وبحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، موسى الإبراهيم ص١٤٥، وفتح العليم في تفسير القرآن الكريم، أحمد إبراهيم ص٦-٨، ومجلة الحكمة العدد (١٩) ص٢٠٧-٢٠٩، والتجديد في الفكر الإسلامي، عدنان أمامة ص٢١٨، والتفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، هند شلبي ص٥١-٥٤، والإعجاز العلمي في القرآن، عايد ناصف ص١٥٤، والإعجاز التشريعي والعلمي في آيات الطعام والشراب، كريمة أبوشام ص٩، وإسلام آخر الزمن، منذر الأسعد ص٦٦٠-٦٧٠، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية، مجموعة باحثين ص٢٤٠، والقرآن معجزة المعجزات، أحمد ديدات ص٣٧، ٥٣، ٥٨- ٦٥، ٦٧، ومعجزة القرآن الكريم تتحدى البشر إلى الأبد، محمد الخطيب ص٢٦٠، ٢٧٨، ومفاتيح التفسير، د. أحمد الخطيب ص١٤٧، ومقدمة د. أحمد نوفل لكتاب: المنهج القرآني والظاهرة العلمية، حاتم البشتاوي ص٢٤، ومقدمته لكتاب: الإعجاز العلمي في مجال الطقس والمناخ، د. نعمان شحادة ص٢١-٢٣، وتفسير المراغي دراسة منهجية، د. أحمد شحروري ص٢٢٩-٢٣٩، ودراسات في الإعجاز العددي، مصطفى الكندي ص١٠٤-١٠٦، وإعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، كريم الأغر ص٥٧٠-٥٧١، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة الأسس والضوابط، د. عبدالله العوضي، والإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية، محمد حسني ص١٦٢-١٧٧، ١٩٣-١٩٧، والتيار العلماني الحديث موقفه من تفسير القرآن الكريم، منى االشافعي ص٣٨٣، والكون والإعجاز العلمي للقرآن، د. منصور حسب النبي ص٦، والتفسير العلمي للقرآن الكريم، عبدالله الأهدل ص٣٤٦، ٣٤٨، والرد على منكري الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. نظمي أبو العطا، والفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر شيخ إدريس ص١٧٠- ١٨٣، وقواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي، د. مصطفى حلمي ص٢١٦-٢١٧، والإسلام في عصر العلم، د. محمد الغمراوي ص٢٢١، والإسلام والطب الحديث والتفسير العلمي فيه، د. عبدالعزيز إسماعيل، والتفسير العلمي، حنفي أحمد ص١٧، وطبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبدالرحمن الكواكبي ص٣٢-٣٣، والقرآن والعلم الحديث، وعبدالرزاق نوفل ص٢٣، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى الرافعي ص١٣١، والقرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل ص٨، ٢٤-٢٥، وكتاب توحيد الخالق، عبدالمجيد الزنداني، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان، ود. عبدالله المصلح، وغيرها.

للقول بالإعجاز العلمي[١]، ومنهم من أيده مع رفض المبالغة فيه[٢].

واعتبر بعضهم الإعجاز العلمي أمراً مستقراً[٣]، ومسلمة إيمانية، وواقعاً فكرياً[٤]، وحقيقة لم تعد تقبل الجدل[٥]، وقد نضج لكنه لم ولن يحترق[٦].

وشنع د. عبدالله المصلح على المعارض للإعجاز العلمي بقوله: "كما أصبحت قضية الإعجاز العلمي ركيزة قوية لجمع القلوب، وتوحيد الصفوف بين مختلف الأطياف في المجتمعات المسلمة، ولا يعارضها ويحاربها إلا مأجور، أو حاقد، أو جاهل، أو طالب علم تلبسته بعض الشبهات، أو أساء فهماً لبعض المصطلحات"[٧].

وقال مبيناً وقوف أصحاب الإعجاز العلمي بالمرصاد لكل معارض له: "لقد بدأنا نسمع صيحات نشاز كنت أتوقع أن تكون هذه الصيحات النشاز عن طريق أصحاب الشبهات، لكن أن تصدر من بعض من ينتسب إلى العلم الشرعي فهي مؤسفة، لكن إن شاء الله تعالى سنكون لها بالمرصاد، وسنجلي الحق، وسنقول للأمة إنكم إذا أردتم أن تسدوا باباً من الأبواب الطاهرة التي استطعنا أن نقدم بها ديننا بهذا الشكل الحضاري، وبهذه الصيغة العلمية، نحن إن شاء الله سنقف لكم، ونكشف شبهكم، وسنستمر بإذن الله نحمي هذا الجانب مادامت الروح في البدن"[٨].

**أدلتهم ومناقشتها:**

وقد استدل المؤيدون للإعجاز العلمي بأدلة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، واحتجوا بإجماع المسلمين.

---

(١) انظر: نشرة الحقيقة العدد ١٥ جمادى الأولى ١٤٣١هـ.

(٢) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن تيمية، الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص٩٨-٩٩، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٢٦/ ٢٨، وشرح العقيدة الطحاوية، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ١/ ٢٣٢-٢٣٣.

(٣) انظر: الإعجاز العددي في الدراسات القرآنية المعاصرة، إيمان محمد حبيب ص٢٠، ومجلة الإعجاز العلمي العدد الثاني محرم ١٤٣٤هـ.

(٤) انظر: الفيزياء والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. أحمد بركة ص٨، والمعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو ص١٠، ٧١.

(٥) انظر: النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب ص ٢٣١.

(٦) انظر: الإعجاز العددي في الدراسات القرآنية المعاصرة، إيمان محمد حبيب ص٢٠.

(٧) مجلة الإعجاز العلمي العدد (٣٩) رمضان ١٤٣٢هـ ص١.

(٨) نشرة الحقيقة، العدد ١٤ ربيع الأول ١٤٣١هـ.

**أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:**

استدلوا بأدلة كثيرة من أهمها وأشهرها ما يلي:

**الدليل الأول:** الآيات التي ذكر الله ﷻ فيها أنه سيري عباده آياته في الآفاق والأنفس، كقوله تعالىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فُصِّلَت:٥٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٣].

**وجه الدلالة من الآيات:** أن حرف السين في قوله تعالىٰ: (سنريهم) و(سيريكم) و(سأوريكم) يفيد الاستقبال، أي أن الله سيري الناس دلائل واضحات في هذا الكون، وفي النفس الإنسانية، علىٰ أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالىٰ، وأن ما جاء به حقائق علمية لاريب فيها[1].

وأيدوا استدلالهم بآية سورة فصلت، وبما ذكره الإمام ابن كثير ﷺ في تفسيره لها، حيث قال: "﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [فُصِّلَت: ٥٣]، أي: سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا علىٰ كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله ﷻ علىٰ رسوله ﷺ، بدلائل خارجية ﴿فِى ٱلْءَافَاقِ ﴾ من الفتوحات، وظهور الإسلام علىٰ الأقاليم وسائر الأديان.

قال مجاهد، والحسن، والسدي: ودلائل في أنفسهم، قالوا: وقعة بدر، وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم، نصر الله فيها محمداً وصحبه، وخذل فيها الباطل وحزبه.

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك، ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه، من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم التشريح الدال علىٰ حكمة الصانع ﷻ"[2]

---

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ص١٩، وعلوم القرآن، إبراهيم النعمة ص٧٢، ومعجزة الماء، دسوقي عبدالحليم ص١١، والإعجاز العلمي في إثبات الوسطية في المكان، سعد المرصفي ص١٢، ١٥، وسنريهم آياتنا، عدنان السيعي، وإعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، كريم الأغر ص٥٣، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد السقا ص٨، وارتياد الفضاء بين العلم والقرآن، د. منصور حسب النبي ص٨، وكشف حقائق فلكية في القرآن الكريم، أحمد الدسوقي ص٨٥، ومقدمة في إعجاز القرآن الكريم، د. مروان شعبان ص١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١١٣.

**الدليل الثاني:** قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

**وجه الدلالة من الآيتين:** أن في القرآن الكريم "توجد إشارات كثيرة إلىٰ كشوفات علمية سيرفع عنها اللثام في المستقبل، وسوف تبقىٰ ظاهرة متجددة إلىٰ قيام الساعة، وهذه الأنباء موجودة في القرآن، ولكن حقائقها وكيفياتها لا تتجلىٰ إلا بعد حين. . .

وشاء الله أن يجعل لكل نبأ زمناً خاصاً يتحقق فيه هذا النبأ، فإذا تجلىٰ الحدث ماثلاً للعيان أشرقت تلك المعاني التي تدل عليها الحروف والألفاظ في القرآن"[1]

**الدليل الثالث:** الآيات التي فيها الأمر بالنظر والتفكر في السموات والأرض، وفيها الأمر بالسير في الأرض للنظر كيف كان بدء الخلق، كقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

**وجه الدلالة من الآيات:** أن هذه الآيات تحض علىٰ تطلب آيات الله في الكون، وتعرف أسرار الخلق، وتوجه العقل إلىٰ مجالات العلم الطبيعي، وفق لغة العصر، وهذا الأمر الإلهي في الآيات ليس مجرد دعوة، "ولكنه أمر من الله تعالىٰ يجب أن يطلب؛ لأن الآيات الكونية من أسرار الفطرة التي هي مطمع العلم ومرماه"[2].

**الدليل الرابع:** قول الله تعالىٰ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

**وجه الدلالة من الآية:** قال د. عبدالله المصلح: "أي أنزله وفيه علمه، ففي هذه الآية بيان لطبيعة المعجزة العلمية، التي نزلت رداً علىٰ إنكار الكافرين لنبوة محمد ﷺ التي

---

(١) المرجع السابق ص٥٢.

(٢) انظر: الإعجاز العلمي في إثبات الوسطية في المكان، سعد المرصفي ص١٢-١٣، ومعجزة الماء، د. دسوقي عبدالحليم ص١١-١٢، والمعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو ص١٤٩، ١٥٥، وصور من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد حسن الجهني ص ٥٢.

تبقىٰ بين يدي الناس، وتتجدد مع كل فتح بشري في آفاق العلوم والمعارف ذات الصلة بمعاني الوحي الإلهي...والقرآن مليء بالآيات التي تتحدث عن مظاهر الكون، وحديثه عن الكون هو حديث من يعلم أسراره ودقائقه، مع أن البشرية كلها في وقت النبي ﷺ، لم تكن تعلم معظم تلك الأسرار، وكان يغلب علىٰ تفكيرها الأسطورة والخرافة"(١).

وقال حمزة سالم صيرفي: "وهذه الشهادة من الله ﷻ تدل علىٰ أن القرآن نزل بعلم الله سبحانه، وهذا يقتضي أن كل ما جاء في القرآن معجز حتىٰ العلوم التجريبية، فإن مطابقة القرآن لآخر ما توصل إليه العلم في العلوم النظرية، يعتبر إعجازاً في هذه العلوم، وذلك بالإضافة إلىٰ العلوم التجريبية"(٢).

**الدليل الخامس:** قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٢].

**وجه الدلالة من الآية:** أن الجهاد في الآية هو جهاد الحجة العلمية، والدليل المادي في علوم الطبيعة والمخلوقات، وليس جهاد السيف لأمرين:

**الأول:** أن الجهاد في الآية وصف بـ(كبيراً)، وجهاد السيف في جميع مواضعه في القرآن لم يوصف بهذا، فتعين أن الجهاد الكبير هو بإظهار آيات وكنوز القرآن ومعجزاته، ومنها الإعجاز العلمي(٣).

**الثاني:** أن الآية جاءت وسط حشد من آيات القُدرة والخلق، في الظل، وتعاقب الليل والنهار، والآيات الفلكية، وأثرها في النشاط البشري وهرمونات النوم، وميكانيكية حركات الرياح، وفيزياء السحب، ونزول المطر، ومزج البحرين المالح والزُلال، وخلق البشر والأحياء(٤).

**الدليل السادس:** قول الله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣-٣٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص ٢٠، وانظر: إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، كريم الأغر ص ٥١-٥٢.

(٢) نظرات حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٨، وانظر: موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في مواجهة الشبهات ١/ ٢٥٨، ومحاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي ص٢٥٢.

(٣) مقال: القرآن شريعة كونية وكنز للعلوم يهدي إلىٰ بحوث جديدة، د. محمد جميل الحبال ص١٢، والموضوعات الطبية في القرآن الكريم، د. محمد جميل الحبال ص١١٠.

(٤) انظر: العلوم الهندسية والرياضية في القرآن والسنة النبوية، د. خالد فائق العبيدي ص٦٥-٦٦.

بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

**وجه الدلالة من الآيتين:** قال د. محمد صادق درويش "فإن المثلية تشمل جوانب عدة النظم البياني والتشريع والعلم...ولا يضيرنا أن كان العرب في عصر نزول القرآن لا يدركون إعجاز هذا الوجه؛ لأن تلك الحقائق العلمية لم تكن مكتشفة في عصرهم، فإن التحدي ليس مخصوصاً بالعرب زمن نزول القرآن، بل هو مستمر إلى قيام الساعة، فلا بد أن تقوم الحجة على الناس بإعجازه في كل زمان ومكان، ويكفي لدخوله في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾ ظهور إعجازه عند تطور العلم"[١].

**الدليل السابع:** الاستدلال بالآيات التي فيها أن الرسول ﷺ أرسل للناس كافة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٩]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وغيرها.

**وجه الدلالة من الآيات:** "بما أن محمداً ﷺ هو رسول الله إلى أهل هذا العصر أيضاً وما بعده، وبما أن معجزته الحية الخالدة هي القرآن الكريم، إذن فيجب أن يوجد في القرآن الكريم أدلة من اهتمامات أهل هذا العصر وما بعده، على أن القرآن هو وحي من عند الله سبحانه، وأنه لا يمكن أن يكون غير ذلك.

وهذه الأدلة المناسبة لأهل هذا العصر هي الإعجازات العلمية في القرآن الكريم، وهي إعجازات علمية لأهل هذا العصر وما بعده؛ لأنهم الآن صاروا يعرفون أنها حقائق كونية، وقد عرفوا هذه الحقائق بالوسائل العلمية المختلفة المعروفة للدارسين"[٢].

---

(١) إعجاز القرآن الكريم ص٢١٧-٢١٨، وانظر: آيات النبات في القرآن الكريم، د. زغلول النجار ص٢٤، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. محمد السقا عيد ص١٢.

(٢) انظر: في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن، محمود عبد الرؤوف القاسم ص١٨-١٩، وعلوم القرآن، د. إبراهيم النعمة ص٧٣، والقرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم، محمد هشام طاهري ص٤٢٤، ونظريات الإعجاز القرآني، د. أحمد رحماني ص١٢٩، ومدخل الدراسات القرآنية، د. السائح علي حسين ص٢٠٠-٢٠٢، ومعجزة القرآن الكريم، محمد درويش الخطيب ص٢٧٧، ٢٨٠.

**المناقشة:**

ما استدل به المؤيدون للإعجاز العلمي من آيات لا حجة لهم فيها، لعدم تصريحها بلفظ الإعجاز العلمي، ولعدم دلالتها على المراد، ويتبين ذلك بالكلام على الأدلة:

**فأما استدلالهم** بقوله تعالى: : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فُصِّلَت: ٥٣]، وغيرها من الآيات فالجواب عنه من الأوجه التالية:

**الوجه الأول**: أن "الآية في مقام التهديد والوعيد، وليست في مقام الوعد بحصول شيء مما يتكلم عنه أصحاب الإعجاز العلمي، والسياق شاهد بذلك، فكيف يمكن إخراج آية الوعيد إلى الوعد بإظهار هذه الاكتشافات على يد الكفار؟! "[١]

**الوجه الثاني**: إذا قيل: أنها في مقام الوعد، فالآية ليس فيها تحد، أو بيان عجز وضعف المشركين، أو بيان سبق كما يذكرون في تعريفهم للإعجاز العلمي، وإنما الآية فيها خبر أن الله سيري الناس آياته في الآفاق والأنفس.

ولذلك جعلها الطاهر بن عاشور ﷺ من الإعجاز بالإخبار عن الغيب فقال: "وفي هذه الآية طرف من الإعجاز بالإخبار عن الغيب، إذ أخبرت بالوعد بحصول النصر له ولدينه وذلك بما يسر الله لرسوله ﷺ ولخلفائه من بعده - في آفاق الدنيا والمشرق والمغرب عامة وفي باحة العرب خاصة - من الفتوح وثباتها وانطباع الأمم بها، ما لم تتيسر أمثالها لأحد من ملوك الأرض والقياصرة والأكاسرة، على قلة المسلمين إن نسب عددهم إلى عدد الأمم التي فتحوا آفاقها بنشر دعوة الإسلام في أقطار الأرض"[٢].

**الوجه الثالث**: أن "المراد بالآية كفار مكة، والآية وإن كانت عامة في التلاوة إلا أنها خاصة في التفسير، فهي من قسم العموم الذي أريد به الخصوص، فلا يصلح الاعتبار بعموم اللفظ هنا.

أما كونها في أهل مكة، فهذا لا نزاع فيه ألبتة، ويكون المعنى كما رجح الإمام ابن جرير الطبري حيث قال: (وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الأول، وهو ما قاله

---

(١) الإعجاز العلمي إلى أين، د. مساعد الطيار ص٤٧.

(٢) التحرير والتنوير ٢٥/ ١٨.

السدي، وذلك أن الله ﷻ وعد نبيه ﷺ أن يري هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذبين آيات في الآفاق، وغير معقول أن يكون تهددهم بأن يريهم ما هم رأوه. بل الواجب أن يكون ذلك وعداً منه لهم أن يريهم ما لم يكونوا رأوه من قبل ظهور نبي الله ﷺ على أطراف بلدهم وعلى بلدهم، فأما النجوم والشمس والقمر، فقد كانوا يرونها كثيراً قبل وبعد، ولا وجه لتهددهم بأنه يريهم ذلك)[١]"[٢].

**الوجه الرابع**: "أن قوله تعالى: (حتى يتبين لهم أنه الحق) قد وقع عياناً لكفار مكة لما فتح الله مكة لنبيه ﷺ، وظهر لازم هذا الخبر، وهو إيمان من كان كافراً من أهل مكة"[٣].

**الوجه الخامس**: ما نقلوه عن الإمام ابن كثير رحمه الله لا حجة لهم فيه؛ لأنه لم يجعل رؤية آيات الله في الآفاق والأنفس من الإعجاز، وإنما جعلها من الدلائل الدالة على أن القرآن منزل من عند الله.

**وأما استدلالهم** بقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

**فالجواب**: أن ظهور صدق خبر القرآن هو من الدلائل الدالة على أنه من عند الله تعالى، ولذلك لم يقل أحد من المفسرين أن الآية فيها إعجاز، بل فسروها بظهور خبر وصدق القرآن بعد حين، واختلفوا في مدة الحين، فقيل: بعد الموت، وقيل: يوم القيامة، وقيل: يوم بدر[٤].

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أعلم المشركين المكذبين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين، من غير حد منه لذلك الحين بحد، وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا إلى ظهور حقيقته، ووضوح صحته

---

(١) جامع البيان ٢٠/ ٤٦٢.
(٢) الإعجاز العلمي إلى أين، د. مساعد الطيار ص٤٧.
(٣) المرجع السابق ص ٤٧، وانظر: والتحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٥/ ١٨.
(٤) انظر: جامع البيان، ابن جرير ٢٠/ ١٥١، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٥١٦، ومعالم التنزيل، البغوي ٤/ ٧٨، وزاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٥٨١، ومعالم التنزيل، البغوي ٤/ ٧٨.

في الدنيا، ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه ببدر، وقبل ذلك، ولا حد عند العرب للحين لا يجاوز ولا يقصر عنه.

فإذ كان ذلك كذلك، فلا قول فيه أصح من أن يُطلق كما أطلقه الله، من غير حصر ذلك على وقت دون وقت"[١]

**وأما استدلالهم** بالآيات التي فيها الأمر بالنظر والتفكر في السموات والأرض، والسير فيها للنظر كيف بدء الخلق.

**فالجواب**: أن هذه الآيات وغيرها ليس فيها إشارة إلى إعجاز، أو تحد للمشركين[٢]، بل فيها دعوة للناس جميعاً للتأمل في خلق السموات والأرض، وما فيهما من الآيات الدالة على قدرة الله تعالى، وتفرده بالوحدانية والربوبية والألوهية.

وهي دعوة كذلك للجاحدين والكفار المنكرين للبعث والثواب والعقاب، أن يسيروا في الأرض وينظروا إلى المخلوقات التي في الأرض، ويبحثوا عنها، هل يجدون لها خالقاً غير الله ﷻ، فإذا علموا أنه لا خالق لها سواه، لزمتهم الحجة في الإعادة، ولهذا قال: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت:٢٠][٣].

قال الإمام ابن كثير ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]: "يرشد تعالى عباده إلى التفكر في آلائه، وما خلق في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، مما في السموات من كواكب نيرات، ثوابت وسيارات، والشمس والقمر، والليل والنهار، واختلافهما، وإيلاج أحدهما في الآخر، حتى يطول هذا ويقصر هذا، ثم يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السماء واتساعها، وحسنها وزينتها، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير، وصنوف النبات، وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول وقفار، وعمران وخراب، وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا مسخر مذلل للسالكين، يحمل سفنهم، ويجري بها برفق بتسخير القدير له، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

---

(١) جامع البيان ٢٠/ ١٥٢.

(٢) انظر: التجديد في التفسير، د. عثمان أحمد عبدالرحيم ص٧٤.

(٣) انظر: جامع البيان، ابن جرير ١٢/ ٣٠٠، ١٨/ ٣٧٧، ٤٧٨، وزاد المسير، ابن الجوزي ٢/ ٣٥٣، ٣/ ٤٠٤، ٤٢٠

وقوله: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ أي: وأي شيء تجدي الآيات السماوية والأرضية، والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها، عن قوم لا يؤمنون، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦ - ٩٧]"[(١)].

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

**فالجواب:** أن القول بأن القرآن الكريم اشتمل على علوم ينكشف للبشر منها حسب ارتقائهم في أسباب العلوم، ما يثبت لهم أن القرآن من عند الله تعالى، هو قول صحيح، ولكن لا يسمى هذا إعجازاً، وإنما هو دلائل براهين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، فشهد أنه أنزله بعلمه بالآيات والبراهين التي تدل على أنه كلامه وأن الرسول صادق"[(٢)].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، فاستشهد على رسالته بشهادة الله له، ولابد أن تعلم هذه الشهادة، وتقوم بها الحجة على المكذبين له. . . وكذلك قوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦]...فهذا كله شهادة منه لرسوله، قد أظهرها وبينها، وبين صحتها غاية البيان، بحيث قطع العذر بينه وبين عباده، وأقام الحجة عليهم، فكونه سبحانه شاهداً لرسوله: معلوم بسائر أنواع الأدلة: عقليها، ونقليها، وفطريها، وضروريها، ونظريها.

ومن نظر في ذلك وتأمله؛ علم أن الله سبحانه شهد لرسوله أصدق الشهادة، وأعدلها وأظهرها، وصدقه بسائر أنواع التصديق: بقوله الذي أقام البراهين على صدقه فيه، وبفعله وإقراره، وبما فطر عليه عباده: من الإقرار بكماله، وتنزيهه عن القبائح، وعما لا يليق به.

وفي كل وقت يحدث من الآيات الدالة على صدق رسوله ما يقيم به الحجة، ويزيل به

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٤٩.
(٢) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٩٧.

العذر، ويحكم له ولأتباعه بما وعدهم به من العز والنجاة والظفر والتأييد، ويحكم على أعدائه ومكذبيه بما توعدهم به، من الخزي والنكال والعقوبات المعجلة، الدالة على تحقيق العقوبات المؤجلة. . .

وقوله ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦] فما فيه من الخبر عن علم الله الذي لا يعمله غيره: من أعظم الشهادة بأنه هو الذي أنزله، كما قال في الآية الأخرى ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣-١٤]"[١].

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

فالجواب: أن المراد بالجهاد في الآية هو تلاوة القرآن على الكفار وتبليغهم إياه، وهو ما قرره المفسرون، قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهتهم، فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهاداً كبيراً، حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله، ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعاً وكرهاً"[٢]، وقال الإمام ابن القيم ﷺ: "وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه، وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥١-٥٢]، فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار بالحجة والبيان، وتبليغ القرآن، وكذلك جهاد المنافقين إنما هو بتبليغ الحجة، وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام"[٣].

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣-٣٤]، وقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٣٥.

(٢) جامع البيان ١٨/ ٤٧٨، وانظر: زاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٣٢٣، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٠٦، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ١٩/ ٥٣.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/ ٥، وانظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٦/ ٦٤.

**فالجواب**: أن آية الطور هي في سياق الرد على دعوى الكفار، أن النبي ﷺ تقوَّل القرآن الكريم، أي اختلقه وافتراه من عند نفسه، ولذلك فالمثلية فيها هي في النظم وحسن البيان، وهو ما ذهب إليه أكثر المفسرين[١]، وذهب بعضهم إلى أنه شامل لكل ما اشتمل عليه القرآن من أخبار بقصص الأمم السابقة والمغيبات[٢].

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾: "أي فليأتوا بكلام مثله، أي في غرض من الأغراض التي يشتمل عليها القرآن لا خصوص الأخبار. ويجوز أن يكون الحديث هنا أطلق على الأخبار، أي فليأتوا بأخبار مثل قصص القرآن، فيكون استنزالاً لهم، فإن التكلم بالأخبار أسهل على المتكلم من ابتكار الأغراض التي يتكلم فيها، فإنهم كانوا يقولون إن القرآن (أساطير الأولين)، أي أخبار عن الأمم الماضين فقيل لهم: فليأتوا بأخبار مثل أخباره؛ لأن الإتيان بمثل ما في القرآن من المعارف والشرائع والدلائل لا قبل لعقولهم به، وقصاراهم أن يفهموا ذلك إذا سمعوه.

ومعنى المثلية في قوله: (مثله) المثلية في فصاحته وبلاغته، وهي خصوصيات يدركونها إذا سمعوها، ولا تحيط قرائحهم بإبداعها في كلامهم"[٣].

وأما آية سورة الإسراء ففيها خبر عن امتناع أن يكون القرآن صادراً عن غير الله تعالى، وليس فيها تحدي؛ لأن التحدي طلب وإنشاء، بأن يحدوهم الرسول، أي يدعوهم ويحثهم إلى أن يعارضوه، كما يقال: حادي العيس، لمن يبعثها على السير[٤].

**وأما استدلالهم** بالآيات التي فيها أن الرسول ﷺ أُرسل للناس كافة.

**فالجواب**: أن وظيفة الرسول ﷺ أن يبلغ الرسالة إلى الناس، ويبين لهم ما نُزل إليه، فيما يتصل بعلاقتهم بالخالق، وبالمخلوقات من حولهم، حسب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

---

(١) انظر: جامع البيان، ابن جرير ٢١/ ٥٩٦، ومعالم التنزيل، البغوي ٧/ ٣٩٢، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٥/ ١٩٢، وزاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ١٧٩، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٤٠٥، وفتح القدير، الشوكاني ٥/ ١٢٠، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧/ ١٢٠، وسيأتي في الفصل الثاني ذكر الأقوال.

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي ٩/ ٥٧٤.

(٣) التحرير والتنوير ٢٧/ ٦٦.

(٤) انظر: الجواب الصحيح، ابن تيمية ٥/ ٤٢٢-٤٢٣، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، د. سعود العريفي ص٥٢٣.

ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤][(١)].

والأدلة التي يذكرها القرآن لتقرير أنه وحي من الله تعالىٰ، هي دلائل صدق، ولا يقال لها إعجاز؛ لأن الله تعالىٰ لم يسمها بذلك.

**ثانياً: الأدلة من السنة النبوية:**

استدل بعضهم بحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"[(٢)].

**وجه الدلالة من الحديث:** أن القرآن الكريم هو معجزة الرسول ﷺ العظمىٰ، والإسلام هو خاتم الرسالات، "والرسالة تحتاج في كل عصر إلىٰ معجزة لإظهار صدقها، وحمل الناس إلىٰ الإقناع، وإقامة الحجة عليهم، فكانت وجوه إعجاز القرآن المتجددة في كل عصر الكفيلة بإقامة الحجة والإقناع، فما دامت القناعات متجددة ومستمرة، فمن البدهي أن يكون رسول الله ﷺ أكثر الأنبياء تابعاً بفضل المعجزة الخالدة"[(٣)].

**المناقشة:**

القول بأن كل عصر يحتاج إلىٰ معجزة لإظهار صدق الرسالة، وحمل الناس إلىٰ الإقناع وإقامة الحجة عليهم، هو حصر لدلائل صدق الوحي في المعجزات، بينما دلائل صدق الوحي كثيرة، وسبل إقناع الناس، وإقامة الحجة عليهم متعددة. ولم يكن إيمان كثير من البشر من عهد الصحابة ﷺ ومن بعدهم، وحتىٰ في زماننا متوقفاً علىٰ معجزة، أو إدراك إعجاز القرآن، وإنما الذي كان يطلب الآيات (المعجزات) هم المعاندون من المشركين، ومع ذلك شاهدوا الآيات ولم يؤمنوا، وغيرهم آمن ولم يشاهد آية، أومعجزة.

---

(١) انظر: التواؤم بين آيات الله القرآنية وآياته الكونية، د. علي الطاهر شرف الدين ص٩-١٠.

(٢) رواه البخاري ٦/ ١٨٢ (٤٩٨١)، ومسلم ١/ ١٣٤ (١٥٢).

(٣) انظر: مقدمة في إعجاز القرآن الكريم، د. مروان وحيد شعبان ص١٥.

**ثالثاً: الاستدلال بإجماع المسلمين:**

فقد ذكر د. فهد بن عبدالرحمن الرومي، ود. عبدالله المصلح، ود. عبدالجواد الصاوي[1]، وأحمد عبدالوهاب[2]، وغيرهم: أن الإعجاز العلمي من القضايا التي أجمع المسلمون عليها، ولم تعد تقبل الجدل، "فقد أقر بها شيوخ التفسير منذ قرون، وحسمها شيوخ الأزهر في العصر الحديث، وشهد بها رجال العلم الحديث مسلمين وغير مسلمين"[3]، وما يثار من خلاف إنما هو حول التفسير العلمي.

قال د. فهد بن عبدالرحمن الرومي: "قبل أن أذكر الرأي الذي أميل إليه يجب أن أذكر حقيقة قد كنت أظنها لا تخفىٰ إلىٰ أن رأيت أحد الباحثين يقع في خلافها، تلكم هي التفريق بين (التفسير العلمي) و(الإعجاز العلمي)، أما أولهما فهو مثار البحث والمناقشة، وأما ثانيهما فأحسبه أمرًا مسلمًا لا جدال فيه ولا إشكال، ذلكم أن كتابًا أُنزل قبل أربعة عشر قرنًا من الزمن، وعرض لكثير من مظاهر هذا الوجود الكونية؛ كخلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، وسوق السحب وتراكمه، ونزول المطر، وجريان الشمس والقمر، وتحدث عن الكواكب والنجوم والشهب وأطوار الجنين والنبات والبحار، وغير ذلك كثير، ومع ذلك كله لم يُسقط العلم كلمة من كلماته، ولم يُصادم جزئية من جزئياته، فإذا كان الأمر كذلك فإن هذا بحد ذاته يعتبر إعجازًا علميًّا للقرآن.

هذه النتيجة المتولدة عن أن القرآن لم ولن يصادم حقيقة علمية، لم أرَ بين علماء المسلمين من أنكرها، لا في القديم ولا في الحديث، وكل ما يثار من ضجة، وما يسطر في الصحف، ما هو إلا عن التفسير العلمي لا عن الإعجاز العلمي.

فالإعجاز العلمي قاعدة صُلْبة يقف عليها المسلمون جميعًا بكل ثقة وكل أمن؛ لكن طائفة منهم قالت: ما دام الإعجاز العلمي متحققًا في القرآن وثابتًا، فما علينا أن نطبقه بين آياته واحدة واحدة، وبين الحقائق العلمية واحدة واحدة.

وامتنعت طائفة أخرىٰ عن تطبيقه لا خوفًا عليه من النقض، وليس خشية علىٰ حقائقه؛ ولكن لعدم الثقة في مداركنا نحن البشر؛ فقد نحسب نظرية علمية حقيقة علمية، فما تلبث قليلاً إلا وتتقوض بعد رسوخ، وتتزعزع بعد ثبوت، ولات حين مناص، فنقع في الحرج الشديد؛ فيُكذَّب القرآن وهو الصادق، فتكون البلية، فالعيب والنقص في مداركنا، وليس في حقائق القرآن.

---

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٣٢.

(٢) انظر: النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبدالوهاب ص٢٣١.

(٣) المرجع السابق ص٢٣١.

**إذًا فالمسلمون جميعًا يقولون بالإعجاز العلمي للقرآن**؛ ولكنهم يختلفون في التفسير العلمي.

هذا ما أحببت الإشارة إليه وبيانه، وكنت أظن هذا من الوضوح بما لا يخفىٰ حتىٰ رأيت أحد الباحثين يعقد مبحثًا في رسالته، ويقسم العلماء إلىٰ قسمين:

الأول: القائلين بالإعجاز العلمي للقرآن.

والثاني: المانعين من القول بالإعجاز العلمي، وساق نصوصًا لهؤلاء يرفضون بها التفسير العلمي، وحَسِبَهم ينكرون بها الإعجاز العلمي"[١].

**المناقشة:**

القول بتوافق بعض الآيات القرآنية، وتطابقها مع ما توصل إليه العلم التجريبي، أمر ظاهر بين، وهو من دلائل صدق القرآن الكريم، وأنه كلام الله تعالىٰ، ولعل هذه المسألة هي مراد من ذكر إجماع المسلمين علىٰ القول بالإعجاز العلمي، ويدل لذلك قول د. فهد الرومي: "هذه النتيجة المتولدة عن أن القرآن لم ولن يصادم حقيقة علمية، لم أرَ بين علماء المسلمين من أنكرها، لا في القديم ولا في الحديث، وكل ما يثار من ضجة وما يسطر في الصحف ما هو إلا عن التفسير العلمي لا عن الإعجاز العلمي... إذًا فالمسلمون جميعًا يقولون بالإعجاز العلمي للقرآن؛ ولكنهم يختلفون في التفسير العلمي"[٢].

ونتفق مع د. فهد في شطر كلامه الأول كما سبق، ولكن لا نتفق معه علىٰ جعل هذا التطابق والتوافق أو عدم المصادمة إعجازاً؛ لأن العلماء لم تتفق كلمتهم في القديم ولا في الحديث علىٰ تسميته إعجازاً، ولم يرد في كلامهم تسمية هذا التطابق إعجازاً، بدليل أن أصحاب الإعجاز العلمي أنفسهم يعترفون أن مصطلح (الإعجاز العلمي) حادث، وأنه لم يعرف إلا في نهاية القرن الرابع عشر الهجري، وبداية القرن الخامس عشر الهجري[٣].

ثم إن التفسير العلمي متقدم زمناً ومصطلحاً، ومختلف فيه بين العلماء[٤]، والإعجاز العلمي متأخر زمناً ومصطلحاً، ولم تتفق علىٰ القول به كلمة العلماء والباحثين، بدليل ما سنذكره عن الطائفة الثالثة.

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٢/ ٦٠٠-٦٠١، وضوابط التفسير العلمي، د. فهد الرومي ص٢٠.

(٢) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٢/ ٦٠٠-٦٠١، وضوابط التفسير العلمي، د. فهد الرومي ص٢٠.

(٣) كما سبق في مبحث: نشأة الإعجاز العلمي.

(٤) انظر: التفسير والمفسرون، د. محمد الذهبي ٢/ ٣٥٠، ونظرات في التفسير العلمي للقرآن، د. يوسف القرضاوي، ص١٧، وموقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير، د. محمود البعداني ص٩٧٦.

**الطائفة الثالثة: من لهم تفصيل في لفظ الإعجاز العلمي، أو في معناه، أو فيهما معاً.**

وما يذكره أصحاب هذا الرأي من تفصيل في لفظ الإعجاز العلمي، أو استدراك على المعاني التي دل عليها، لا يعني إنكارهم له بالكلية ورفضه، لكنهم لا يرون استعمال لفظ الإعجاز العلمي؛ لاعتبارات متعددة كما سيأتي.

**وهم ينقسمون إلى أربعة أقسام:**

**القسم الأول:** من يرى أن حقيقة الإعجاز العلمي تكمن في حث القرآن الكريم على التفكر، وتسريح النظر في آفاق الكون، وأسرار الإنسان[1]، وهذا أعظم وسيلة من وسائل الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات:٢٠]، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

وقد قسم د. محمد حبش البحوث التي تتناول الإعجاز العلمي في القرآن والسنة إلى نوعين اثنين:

**النوع الأول:** بحوث تهتم بالإعجاز العلمي في النص القرآني نفسه.

**النوع الثاني:** بحوث تنطلق من النص الديني لتقرأ الإعجاز في صفحة الحياة.

ثم قال: "ولا أخفيك أنني أميل للاهتمام بالبحوث الإعجازية وفق المنهج الثاني، حيث يكون القرآن والسنة هادياً للبحث في العلم الطبيعي، دون أن يكون بالضرورة حاملاً للإعجاز في ثنايا حروفه، وأعتقد أن هذا هو المنطق الذي قامت عليه الحضارة الإسلامية، حيث كان القرآن الكريم هادياً ودليلاً للبحث العلمي، وعلى هديه ووفق أمره، جَرَّد العلماء أقلامهم وبحوثهم لقراءة كتاب الكون، واستنطاق آياته ودلالاته، وفق ماعبر عنه العلماء بأنه: الوحي المنشور"[2].

**القسم الثاني:** من يرى أن الإعجاز العلمي يرجع في حقيقته إلى الإعجاز البياني.

وقد قال بهذا د. فضل حسن عباس[3]، ود. صلاح عبدالفتاح الخالدي[4]، وحمودة

---

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن، د. مناع القطان ص٢٧٨-٢٨٣، وفي ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ١٨٠-١٨٤، ٤/ ٢٣٧٥-٢٣٧٦، والوجيز في علوم القرآن العزيز، د. علي بن سليمان العبيد ص٣٧٢، والقرآن العظيم هدايته وإعجازه، د. محمد الصادق عرجون ص٣٣٣-٣٣٤، والواضح في علوم القرآن، د. مصطفى البغا ومحي الدين مستو ص١٦٢، ونشرة الحقيقة، العدد السابع، جمادى الأول والثاني ١٤٢٩هـ ص٤.

(٢) تقديم كتاب أسرار عالم النبات، د. محمد غسان سلوم ص١٧.

(٣) انظر: إعجاز القرآن الكريم ص٢٦٩.

(٤) انظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ص٦-٧.



محمد داود[1]، ود. يوسف القرضاوي حيث قال: "إن الذي يتبين لي في هذه القضية المهمة، هو أن ما يسمىٰ الآن (الإعجاز العلمي) هو عند التأمل والتحليل لون من (الإعجاز البياني) للقرآن، فالإعجاز يكمن في الصياغة القرآنية العجيبة للآيات، أو أجزاء الآيات التي تتناول هذه الشؤون التي لها صلة بالعلم، أو بالآفاق والأنفس، كما أشار إلىٰ ذلك القرآن حين قال: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فُصِّلَت: ٥٣]، ذلك أن العبارة القرآنية، أو الجملة القرآنية، قد جعل الله فيها من المرونة والسعة، بحيث يفهمها العقل العربي العادي في عصر نزول القرآن، ويجد فيها المسلم ما يشبع فكره ووجدانه معاً، بالفهم الفطري الميسر لكل قارئ للقرآن.

ومع هذا أودع الله الجملة القرآنية من السعة والخصوبة، ما يتسع لما يكشف عنه الزمن من حقائق، وما يبلغه العلم من تطور وتقدم، كما نشاهد في عصرنا، ولو كان القرآن كتاباً من تصنيف البشر، وتأليف عقولهم، ما كان يمكن لعباراته أن تتسع لمختلف الأزمان، وتطورات الإنسان، بل كان مرور الزمن يكشف عن كثير من القضايا التي ذكرت في الكتاب علىٰ أنها حقائق مسلمة، فإذا هي أوهام مرفوضة"[2].

وبين د. عمار ساسي أن الإعجاز البياني أسبق ظهوراً من الإعجاز العلمي، ولذا رأىٰ أن يُجمع بين الإعجازَين في لفظ واحد وهو: (الإعجاز البياني العلمي) فقال: "الإعجاز البياني برأينا كان أسبق ظهوراً من الإعجاز العلمي، وقد كانوا يعنون بالإعجاز العلمي الإعجاز الخاص بالقضايا العلمية، فكلما كشف لهم العلم شيئاً جديداً، ورأوا موافقته التامة للقرآن الكريم، قالوا هذا من الإعجاز العلمي، والإعجاز البياني – في رؤيتنا – هو الذي قاد إلىٰ ظهور الإعجاز العلمي ومنه بدأ، فالبيان هو مفتاح العلوم.

وبناء علىٰ خطوط ما تقدم نقترح مصطلحاً متجدداً للإعجاز القرآني، نحسبه شاملاً وواسعاً ودقيقاً هو: الإعجاز البياني العلمي"[3].

ويرىٰ الشيخ محمد متولي الشعراوي تسميته بـ (الإعجاز البياني المنهجي)، ويدخل تحته الإعجاز العلمي[4].

---

(١) تفسير القرآن الكريم والعلوم الحديثة ص١٥٦.

(٢) نظرات في التفسير العلمي للقرآن ص٣٥-٣٦، القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل ص٦.

(٣) الإعجاز البياني في القرآن الكريم ١/ ٨٠-٨٤.

(٤) المرجع السابق ١/ ٥٨.

وقال د. مرهف سقا: "ومن المقرر لدى علماء التفسير، أن الأصل في إعجاز القرآن هو الإعجاز البياني والبلاغي، ومنه يتفرع أنواع الإعجاز، من إعجاز تشريعي، وإعجاز غيبي، وإعجاز علمي، وغير ذلك مما عده العلماء في مصنفات علوم القرآن؛ لأنها لو دققنا النظر من دلالات الإعجاز البياني للقرآن الكريم"[١].

**القسم الثالث:** من يتحفظ على استعمال مصطلح الإعجاز العلمي لفظاً ومعنى، أو لفظاً فقط، ومن هؤلاء:

**أولاً:** د. عدنان محمد زرزور: والذي يرى أن المعجزة هو القرآن وليس العلم، فينبغي أن نقول: (الإعجاز القرآني) وليس (الإعجاز العلمي)، قال: "كأننا فيما نسميه إعجازاً علمياً، ننسب الإعجاز إلى أنفسنا وليس للقرآن"[٢].

**ثانياً:** د. حسن منديل العكيلي: والذي ذهب إلى تسميته بـ(إعجاز المضمون)، فإذا كان الإعجاز اللغوي خاصاً موجهاً للعرب، فإن الإعجاز بالمضمون عام للعرب وغيرهم من الأمم[٣].

**ثالثاً:** د. مساعد بن سليمان الطيار: حيث يرى أن الإعجاز العلمي لا يتوافق مصطلحاً ومفهوماً مع معنى ومفهوم لفظ (المعجزة)، الذي عرَّفها به العلماء السابقون، ويقترح أن يسمى (دلائل صدق القرآن والسنة)[٤] فقال: "إن مما يلاحظ على من كتب في الإعجاز العلمي، أنه لم يبين علاقته بمفهوم المعجزة كما استقر عند العلماء السابقين الذين كتبوا فيها، بل راح بعضهم يتلمس مفهوماً جديداً، يتناسب مع مفهوم الإعجاز العلمي عنده، فراح يورد معاني مادة عجز في اللغة، حتى إذا ما ظفر بمعنى (السبق) عض عليه، واتكأ عليه، وجعله هو المعنى المراد في مفهوم الإعجاز العلمي، فأغفل ما قرره من مفهوم المعجزة عند السابقين[٥].

---

(١) مقال: كلمة للمشتغلين في أبحاث الإعجاز العلمي والتفسير العلمي للقرآن الكريم، موقع معهد الفتح الإسلامي.
(٢) علوم القرآن وإعجازه ص٣٩٤، وانظر: مقدمة في إعجاز القرآن الكريم، د. مروان وحيد شعبان ص٣١، ١٨٩
(٣) نظرات في إعجاز القرآن، بحث نشر في مجلة كلية التربية للبنات ببغداد، مجلد ١٥ العدد ١ عام ٢٠٠٣ ص٤-٥.
(٤) وممن أيد هذه التسمية د. عبدالرحمن بن معاضة الشهري في كتابه: (القول بالصَّرفة في إعجاز القرآن ص٤٩)، وانظر: نشرة الحقيقة، العدد (١٣) محرم ١٤٣١هـ ص٤، وإعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح الخالدي ص٦-٧، ١٠٥-١١٥.
(٥) انظر على سبيل المثال: تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الصادر عن هيئة الإعجاز العلمي برابطة العالم الإسلامي ص ١٤.



وهذا الأسلوب في تقرير المصطلحات الجديدة تجده عند بعض من يريد أن يضيف - على مصطلح قد استقر وشاع - جديداً، أو يحدد مفهوما جديداً بسبب ما استجد في هذا العصر؛ تجده لا يحرص على ربط مفهومه الجديد بالمفهوم السابق؛ إما لغفلته عن ذلك، وإما لعدم الارتباط بينهما، مما يبين أن مصطلحه الجديد خاص كل الخصوصية، وليس منطلقا مما استقر وثبت عند السابقين.

وهذا تجده عند بعض من قرر مفهوم الإعجاز العلمي، حيث يمر مرور الكرام مقرراً مصطلح السابقين، دون أن يعتني ببيان علاقة ما هو فيه من موضوع (الإعجاز العلمي) بما تقرر عند السابقين، وهذا يشعر بانفصال بين موضوع الإعجاز العلمي في نظر المُحدَثين، وبين مفهوم الإعجاز عند السابقين...

وهذا الأسلوب الذي انتهجه هؤلاء - وفقهم الله - راجع إلى أنهم قد قرروا مفهوماً خاصاً للإعجاز عندهم، فأرادوه ولم يريدوا ما ذكره العلماء السابقين، لكنهم لم يكلفوا أنفسهم في تحرير هذا المفهوم الجديد، ولا في علاقته بتعريف المعجزة عند العلماء السابقين، فأعرضوا صفحاً عن ذلك، ودخلوا إلى قضايا الإعجاز العلمي على أن ما قرروه من مفهومه لا مشكل فيه حتى يحتاج إلى تحرير".

ثم فصَّل د. مساعد في المشكلات التي تترتب على عدم تحرير القول في علاقة الإعجاز العلمي بالمعجزة واقترح عليهم استعمال لفظ (دلائل صدق القرآن والسنة) فقال: "ولو تخلص هؤلاء من سلطان مصطلح (المعجزة والإعجاز) لوجدوا بديلاً ينطبق على بحوثهم بدون تكلف - كما هو ظاهر في تعريفاتهم - فلو جعلوا حديثهم منصباً على (دلائل صدق أخبار القرآن والسنة) لكان هذا أولى وأنفع من الارتباط بمفهوم الإعجاز الذي يصعب تطبيقه على مباحثهم.

ولعلك تلاحظ أن (دلائل صدق القرآن والسنة) هي نتيجة أبحاثهم هذه، وهو ما عبروا عنه في نهاية تعريفهم للإعجاز.

وهذا المصطلح (دلائل صدق القرآن والسنة) أدل على مقصودهم، وألصق ببحوثهم من مصطلح الإعجاز الذي لم يبينوه بياناً شافياً"[1].

وقد يقول قائل أن هذا اصطلاح، ولا مشاحة في الاصطلاح فأجاب د. مساعد بقوله:

---

(١) الإعجاز العلمي إلى أين ص٤١-٤٦، ١٦٠.

" إن أزمة المصطلحات لا تكاد تنفك عن علم من العلوم، ونحن بحاجة إلى النظر فيها لتحرير محل النزاع، أو لما قد يترتب عليها من معلومات فيها خلل، لذا فإن ما يقال: إنه لا مشاحة في الاصطلاح، فإنه ليس على إطلاقه، نعم، لا مشاحة في الاصطلاح إذا كان لا يغير حقائق الأمور، ولا يترتب عليه معلومات علمية خاطئة"[١].

**رابعاً:** مصطفى محمد ياسين: حيث يرى أن يستبدل مصطلح الإعجاز العلمي بـ(مصدّقات القرآن الكريم العلمية)؛ لأنه أكثر صدقاً في التعبير عن الوقائع، وانسجاماً مع النص القرآني الواعد، وبه تخرج حقائق القرآن من تبعيتها لحقائق العلم، إلى أن تكون حقائق العلم تبعاً لحقائق القرآن[٢].

**خامساً:** د. محمد محمود كالو: حيث يرى تسميته بـ (التأويل العلمي)، فهو أفضل من القول بالإعجاز العلمي؛ لأن الحقائق العلمية يمكن لها أن تعطينا بعض الإشارات، التي تجعل الآية أكثر إدراكاً وفهماً من خلال قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فُصِّلَت: ٥٣]، أما الإعجاز فإنه يعني استمرارية المعجزة وخلودها، وأظن أن ذلك يحمل كثيراً من المجازفة، وإن كان معجزاً في وقته[٣].

**سادساً:** د. عبدالله بن محمد الشاوي: ويرى أن يسمى الإعجاز العلمي بالاسم الحقيقي له وهو: (التفسير العلمي)، وبين أن سبب منع استعمال أصحاب الإعجاز العلمي للفظ التفسير هو كثرة الجدل حوله، حيث قال: "ومن الملاحظ أن العديد من هذه التفاسير تجنب أصحابها وصف شروحهم بالتفاسير، تحاشياً للوقوع في الجدل حول مشروعية تفسير القرآن الكريم باستخدام العلوم الحديثة، ولذلك نجد أن هذه التفاسير جاءت تحت مسميات بديلة، حيث جاء بعضها تحت مسمى الإعجاز"[٤].

وقال أيضاً: "كما وضع العديد من علماء الطبيعة العديد من الكتب التي شرحوا فيها بعض آيات القرآن الكريم، مستعينين على ذلك بمسلمات علمية حديثة، وقد ساهمت هذه الكتابات في إعطاء بعد إضافي، أو بعد مختلف لمعاني بعض الآيات القرآنية، وجاءت

---

(١) المرجع السابق ص٥٣، ١٥٩.

(٢) انظر: مقال: إعجاز علمي أم مصدّقات القرآن العلمية، شبكة الألوكة www. alukah. net

(٣) انظر: القراءات المعاصرة للقرآن الكريم ص١١٥.

(٤) العنكبوت وخيوطها في القرآن الكريم ص٢٨.

هذه المساهمات تحت تعريف الإعجاز العلمي في القرآن الكريم"(١).

وقال: "لا ينبغي للعالم المقتدر الذي يرىٰ أن قوله يبين شرحاً متمماً لآية قرآنية، أن لا يتحرج من أن يعتبر شرحه هذا تفسيراً، فليس من المحمود أن نسمي الأشياء بغير أسمائها فنقول: إنه إعجاز علمي قرآني، وذلك معنىٰ ثان وما إلىٰ ذلك، فالقرآن الكريم كله إعجاز، إعجاز في أسلوبه، وأمثاله، وأحكامه، وعبره وقصصه، ومعانيه وعلومه.

ولا بأس في أن يكون هذا التفسير العلمي متمماً، أو مكملاً، أو محسناً للتفسير بالمأثور، إذا توافرت فيه الشروط السابقة الذكر"(٢).

**القسم الرابع**: من يرىٰ أن الإعجاز العلمي أصبح واقعاً تقوم علىٰ شؤونه مؤسسات وهيئات، وتعقد من أجله الندوات والمؤتمرات، وكتبت فيه الأبحاث والمؤلفات.

ولذلك يتجه هدف هذا القسم إلىٰ المساهمة في توجيه مسار الكتابة في هذا العلم، والتنبيه علىٰ بعض التجاوزات التي وقع فيها بعض من كتب في هذا المجال؛ وذلك أن غالب المخاطبين به هم من غير المسلمين، فكان لابد من مزيد من الحذر والتوقي؛ لئلا ينعكس المقصود، وتقع الفتنة(٣).

وهم في هذا الرأي يتفقون مع من سبق؛ لأن نقدهم لمصطلح الإعجاز العلمي هو في مسار التقويم، وتصحيح التجاوزات، وعدم حصر الإعجاز في العلمي فقط، بل هو جزء من إعجازات متعددة، كلها تجتمع فتدل علىٰ صدق الوحي(٤).

**الترجيح:**

تلك آراء العلماء والباحثين في الإعجاز العلمي، وقبل بيان ما يترجح، لا بد من تقرير عدد من الأمور؛ لأن الحكم علىٰ الشيء فرع عن تصوره تصوراً صحيحاً:

**الأمر الأول**: أن القرآن الكريم قد اشتمل علىٰ إشارات لقضايا علمية وكونية، كان الغاية منها تقرير وحدانية الله تعالىٰ، وأنه المستحق للعبادة، وهذا أمر مجمع عليه بين أهل العلم، ولم أقف علىٰ من خالف في هذا.

---

(١) المرجع السابق ص٣٣.

(٢) السابق ص٤٠.

(٣) انظر: ضوابط الاستدلال بالسنة النبوية علىٰ مسائل الإعجاز العلمي، د. عبدالمحسن بن عبدالله التخيفي ص٤٥٢.

(٤) انظر: معجزات القرآن العلمية في الإنسان مقابلة مع التوراة والإنجيل، عبدالوهاب الراوي ص٧-٨.

وهذا هو الذي قصده أبو حامد الغزالي رحمه الله وغيره من مقولة: أن القرآن مشتمل على أصول العلوم ومفاتيحها للتعرف على الله ﷻ من خلالها، وجاء بعده فخر الدين الرازي رحمه الله، مطبقاً مقولة الغزالي وموظفاً لها في بيان أسرار القرآن الكريم، ولم يسم أحد منهم ذلك تفسيراً علمياً، ولا إعجازاً علمياً[١]، وإنما كان الكلام جارياً على نسق علماء كل عصر في الاستفادة من معارف زمنهم وتوظيفها في اختصاصاتهم[٢].

وقد كان العلماء المسلمون الأوائل يستفيدون من علوم الآخرين كل نافع ومفيد، ويأخذون تلك العلوم من أهلها حتى من غير المسلمين، وقد كان أهل الذمة فيهم الأطباء والصيادلة والصناع، ويؤخذ عنهم من تلك العلوم النافعة؛ لأنها مما يبرع فيها كل البشر[٣].

**الأمر الثاني:** أن الله لم يذكر تفاصيل هذه القضايا الكونية والعلمية، وإنما ترك ذلك لاجتهادات الناس، حسب ما توصل إليه علمهم، وأدوات البحث في عصرهم، دون أن يخرجوا في ذلك عن الحقيقة الكبرى التي أشار إليها القرآن الكريم، قال د. عيادة أيوب الكبيسي: "ومع كثرة الآيات التي تحدثت عن العلم والعلماء، وما تضمنت من إشارات إلى كثير من المكتشفات التي ما كانت لتخطر ببال أحد من قبل، فإنه لا يمكن القول: إن ذلك شامل لكل جزئيات الحوادث والمستجدات، ذلك لأن القرآن ليس كتاباً علمياً، يبحث في الطب والفلك والكيمياء والرياضيات ونحوها من كتب الطبيعة، إنما هو كتاب هداية وإرشاد، وأيضاً فإنه ليس من السهل الوقوف على ذلك، إنما يحتاج إلى معرفة شاملة، وسبر للعلوم الجامعة بين الناحيتين، ولكنا نقول: إنه لا يمكن أن نجد في القرآن الكريم ما يصادم حقيقة من حقائق العلم مهما كان نوعها أو حقيقتها"[٤]

وليس من مقاصد القرآن والشريعة، بيان عالم المخلوقات على طرائق العلوم "فالشريعة المحمدية، بل وسائر الشرائع، إنما يقصد منها بيان ما يرشد الخلق إلى معرفة الله تعالى، بأسمائه وصفاته وربوبيته، وإلى كيفية عبادته وأداء شكره، وإلى الأحكام التي

---

(١) انظر: مبحث نشأة الإعجاز العلمي من هذا البحث.

(٢) انظر: مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية، د. أحمد قوشتي ص٤١٢، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي ٢/ ٥٥٥، وأسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص٨٧١-٨٧٥، وعلوم القرآن بين البرهان والإتقان، د. حازم سعيد ص٤٣٥-٤٣٨، والقرآن والعلم، د. محمد القرشي ص٣٠٢.

(٣) انظر: النظريات العلمية الحديثة، د. حسن الأسمري ١/ ٦٨٤.

(٤) مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، العدد ١٩ عام ١٤٢١هـ ص٣٧.

توصلهم إلى انتظام المعاش، وحسن المعاد، أما تعريف الخلق بمباحث العلوم الكونية، من كيفية خلق العالم، وما هي النواميس القائمة في السموات أو في الأرض، وأمثال ذلك، فليس شيء من نحو هذا من مقاصد الشرائع، بل هذه المباحث هي معارف تتوصل الناس إليها بعقولهم، فربما ينتفعون بها في دنياهم، وربما يكون حظهم فيها مجرد الاطلاع...نعم قد تذكر الشريعة شيئاً منها مجملاً على قدر ما يكون له دخل في مقاصدها الأصلية"(١)

وقد سئل الرسول ﷺ كما ذكر الله في القرآن، أسئلة عن تفاصيل بعض القضايا الكونية والعلوم الطبيعية، فكان القرآن يصرف الرسول عن الإجابة على هذه الأسئلة التي يقصد بها شرح ظاهرة طبيعية إلى ما يهم السائلين في حياتهم وعبادتهم، كقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وأما الإجابة على الأسئلة التي فيها شرح لمظاهر الطبيعة، فهي متروكة ليتوصل إليها الإنسان كلما ترقى في إعمال عقله، متدبراً آيات الله في خلقه، ومتفكراً في ملكوته، فيكتشف القوانين التي تحكم وتصف ما ينجم في الكون من ظواهر(٢).

**الأمر الثالث:** أن الله ﷻ في القرآن الكريم قد حث على السير في الأرض، والتفكر والنظر في مخلوقاته سبحانه، وذلك يوجب للعبد الإقرار بوجود الخالق ووحدانيته، وأنه المستحق للعبادة، ويوجب كذلك الاعتبار بحال من أهلكهم الله من مكذبي الرسل عليهم الصلاة والسلام، والحذر مما وقع فيه هؤلاء المكذبون، وهذا ما دلت عليه الآيات التي استدل بها المؤيدون للإعجاز العلمي، كقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

---

(١) الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية، الشيخ حسين محمد الجسر ص١٥٣، وانظر: الإعجاز العلمي في الإسلام، محمد كامل عبدالصمد ص٢٧، وتفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٣/ ٣٦٩، ٤٣٨.

(٢) انظر: التواؤم بين آيات الله القرآنية وآياته الكونية، د، علي الطاهر ص٩، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان، د. أحمد أبو حجر ص١١٩.

[العنكبوت: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، والخطاب في الآيات عام لجميع الناس، العالم والجاهل، المسلم والكافر، والتفكر هو بالحواس المجردة كالنظر في السماء والأرض، أو الاعتبار بالقلب، وليس في الآيات أو في كلام المفسرين، تسمية هذا التفكر والاعتبار إعجازاً.

قال الإمام ابن جرير الطبريﷺ في تفسير آية سورة يونس: "يقول تعالى ذكره: قل يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك، السائلين الآياتِ على صحّة ما تدعوهم إليه من توحيد الله، وخلع الأنداد والأوثان: انظروا، أيها القوم، ماذا في السمواتِ من الآيات الدّالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله، من شمسها وقمرها، واختلافِ ليلها ونهارِها، ونزول الغيث بأرزاق العبادِ من سحابها، وفي الأرض من جبالها، وتصدُّعها بنباتها، وأقوات أهلها، وسائر صنوف عجائبها، فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبَّرتم موعظة ومعتبرًا، ودلالةً على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك، ولا له على تدبيره وحفظه ظهير يُغْنيكم عما سواه من الآيات"[1].

وكثير من موضوعات الإعجاز العلمي قضايا كونية، والتفكر في الكون بالحواس المجردة دليل عقلي على الخالق ﷻ، ولكن لا يدرج ضمن الإعجاز العلمي؛ لعدم وجود حقائق علمية أخبر عنها القرآن، وثبتت عن طريق العلم التجريبي[2]، وعليه فالإعجاز العلمي هو جزء من التفكر في الكون لا العكس، ولذلك لا يصح الاستدلال بالأدلة العامة على التفكر في المخلوقات على قضية خاصة وهي الإعجاز العلمي.

**الأمر الرابع:** عند الكلام في الإعجاز العلمي حصل خلط بين عدد من المسائل، ولم يتميز بعضها عن بعض، ومنها:

**المسألة الأولى:** عدم التفريق بين انسجام القرآن مع العلم، وبين ما يصح أن يطلق عليه إعجاز: فالقرآن الكريم جاء بمنهج علمي، يهتدي به الإنسان في البحث والتدقيق

(١) جامع البيان ١٢/ ٣٠٠، وانظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٢/ ١٦٣.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله تعالى بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد بن إبراهيم الزهراني ص٤٢، وإنه الحق، عبدالمجيد الزنداني ص١٤٨، وتفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٤/ ٤٥٥.

والملاحظة والتجريب، وهيأ المناخ العقلي والعلمي والنفسي والاجتماعي لمثل ذلك.

وما جاء في القرآن الكريم من إشارات للسنن والحقائق العلمية في شتىٰ مجالات المعرفة إنما جاءت كنماذج تطبيقية، وأمثلة تحققها التجربة والعمل والبحث الإنساني، علىٰ ضوء ذلك المنهج العلمي القرآني، وليست هذه النماذج والأمثلة التي جاء بها القرآن بديلاً عن منهجه العلمي[1]، ولذلك فليست المسألة إعجاز، وإنما هي دلالة علىٰ المنهج في البحث والإنجاز.

**المسألة الثانية**: الخلط بين دلائل مصدر القرآن الرباني، وبين إعجاز القرآن الكريم: فالأمر الأول أعم من الثاني، والثاني جزء من الأول، ولذلك لم يحصر أهل السنة والجماعة دلائل صدق الوحي في دليل واحد وهو المعجزة، كما فعل جمهور أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة[2] وغيرهم[3]، وإنما دلائل الوحي كثيرة.

ولذلك يخطئ من يجعل دلائل مصدر القرآن الرباني جزءاً من الإعجاز، ووجهاً معاصراً من وجوهه، وكم يسيئون بهذا إلىٰ حقيقة العلم، وفكرة إعجاز القرآن، عندما يقال: بأنه إعجاز علمي، ومنذ متىٰ صار الأصل الأعم الأشمل، جزءاً من الفرع المتفرع عنه[4].

قال د. صلاح عبدالفتاح الخالدي: "عند هؤلاء الدارسين -الذين كثروا في العصر الحاضر- كل دليل يدل علىٰ أن القرآن كلام الله، هو وجه من وجوه إعجاز القرآن"[5]

وقال د. محمد علي الحسن: "ونحن لا ننكر أن القرآن الكريم يتسع للكثير مما هدي إليه البشر، في بعض المجالات، كالطب، وعلم الفلك وغيرها، وقد توسعت فيه مدارك

---

(١) انظر: القرآن الكريم والجهود المبذولة في خدمته ص٥٣٩.

(٢) الأشاعرة: هي طائفة من طوائف أهل الكلام، ينتسبون إلىٰ أبي الحسن الأشعري بعد رجوعه عن الاعتزال وأخذه بمذهب الكلابية، وهم مرجئة في باب الإيمان، معطلة لبعض الصفات، جبرية في باب القدر، ولهم بدع أخرىٰ. انظر: الملل والنحل، الشهرستاني ١/ ٩٤، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبدالرحمن المحمود ١/ ٣٢٩.

(٣) انظر: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات، الباقلاني ص٣٤-٣٥، والتبصير في الدين، الإسفراييني ص١٦٩-١٧٠، والمطالب العالية، الرازي ٨/ ٦١، والإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة، الجويني ص٢٧٨، وشرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار ص٥٦٨، وأصول الدين، أبو اليسر البزدوي ص١٠١-١٠٢، وشرح المقاصد، التفتازاني ٥/ ١٩.

(٤) انظر: إعجاز القرآن البياني، د. صلاح عبدالفتاح الخالدي ص١١٠، والإسلام والقومية العلمانية، عبدالسلام ياسين ص١٧-٢١، ودراسات في الإعجاز العددي، د. مصطفىٰ عمر الكندي ص١٢٣-١٢٥.

(٥) المرجع السابق ص١٠٩.

علماء التفسير فأبرزوا لنا هذه المعاني، ومدىٰ مطابقتها للواقع، ومدىٰ احتمال الآيات القرآنية لمعانيها العلمية، فهذه العلوم تصدق القرآن، ولكنها ليست وجوهاً في الإعجاز"[1].

**المسألة الثالثة:** الخلط بين إعجاز الله في القرآن، وبين إعجاز الله في الكون والمخلوقات، والخلط بين السنن والخوارق، والخلط بين الدنيا والآخرة.

قال د. رفيق المصري: "الباحثون في الإعجاز العلمي كثيراً ما يخلطون بين إعجاز الله في قرآنه وإعجاز الله في كونه ومخلوقاته، والنجار[2] واحد منهم، فهو يتوسع في الشرح بأكثر مما تحتمله الآية القرآنية، ويخرج من الإعجاز القرآني إلىٰ الإعجاز الكوني... ولعل هذا ما قصده الذين انتقدوه قائلين: (نفضل استعمال تعبير: إعجاز الخلق، بدلاً من: الإعجاز العلمي، ورد عليهم بقوله: (لست أدري ما الفرق بين هذين التعبيرين)[3]، لعل الفرق بينهما صار واضحاً بعد ما تقدم ذكره"[4].

وقال أيضاً: "إن كثيراً مما يقال في الإعجاز العلمي للقرآن يحتاج إلىٰ شطب، إما لأنه يتعلق بالكون ولا يتعلق بالقرآن، وإما لأن فيه توسعاً لا يصمد أمام النقاش العلمي والمنهجي"[5]، ثم بين خلطهم بين السنن والخوارق فقال: "كثيراً ما يتم الخلط بين السنن والخوارق، فما يعتد به في الإعجاز العلمي هو السنن لا الخوارق"[6].

ثم اقترح د. رفيق أن يضاف إلىٰ ضوابط البحث في الإعجاز العلمي: ضرورة التمييز بين إعجاز الله في القرآن، وإعجاز الله في الكائنات، والتمييز بين السنن والخوارق، والتمييز بين الدنيا والآخرة، ثم يلفت النظر إلىٰ أن القول بإعجاز القرآن شيء، والقدرة علىٰ كشفه والوصول إليه، وتحديد مداه، شيء آخر مختلف تماماً[7].

**المسألة الرابعة:** الخلط بين علم التفسير وعلم إعجاز القرآن: قال د. عبدالمجيد عبدالسلام المحتسب: "إن جعل الارتباط بين القرآن وبين الحقائق العلمية المختلفة،

(١) المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره ص٣٦.
(٢) أي: د. زغلول النجار.
(٣) انظر: قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها ص١٣٥.
(٤) مقال: زغلول النجار والإعجاز العلمي، مدونة د. رفيق المصري ص٢.
(٥) المرجع السابق ص٣.
(٦) السابق ص٣.
(٧) السابق ص٣.

ناحية من نواحي بيان صدقه، أو إعجازه، أو صلاحيته للبقاء، هو خلط بين علم التفسير وعلم إعجاز القرآن"[1].

**وقد علل قوله بما يلي:**

**أولاً:** أنه لم يحصل التحدي للعرب بغير لفظ القرآن ونظمه وبيانه، وجعل القرآن معجزاً لأن آياته تشير إلىٰ أصول العلوم، له خطر شديد علىٰ إعجاز القرآن، وإن شئت فقل إنه إتيان عليه من قواعده؛ فالعرب أميون، والرسول ﷺ كذلك وهو منهم، والعلوم التي يعرفها العرب ليست بشيء، وأكثرها يعتمد علىٰ الملاحظة البسيطة الساذجة الفطرية، فجعل القرآن معجزاً بما يحوي بين تضاعيفه من أصول العلوم المختلفة، مصادم لواقع العرب الغير العلمي، وبالتالي هو مصادرة لإعجاز القرآن ونسف له من الجذور.

**ثانياً:** أن إعجاز القرآن أمر قد استقر وصار فكرة مفروغاً منها لا تحتاج إلىٰ إثبات[2].

**ثالثاً:** أن كتب السنة ذكرت كثيراً من التفسير المأثور عن رسول الله ﷺ، ولم تنقل عنه تفسيراً لهذه الحقائق العلمية التي اشتمل عليها القرآن، فهل يجوز – عقلاً أو سمعاً – أن يخفي الله عن نبيه أصول هذه العلوم المختلفة، كالهندسة والطب والفلك والكيمياء وغيرها،لو كان القرآن يحتوي عليها ويتضمنها؟!

**رابعاً:** أن العلم يعتمد علىٰ الملاحظة والتجربة والاستنتاج، والعرب وسائر البشر قبل البعثة النبوية، لم يكونوا بحاجة إلىٰ العلوم لتنقذهم من الظلم والاستعباد، بقدر ما كانوا بحاجة إلىٰ ما يجمعهم ويوحدهم، وإلىٰ نظام ينظم علاقاتهم، وهذا ما جاء به القرآن الكريم.

**خامساً:** أن القرآن عندما يذكر أشياء في الكون فمقصده من ذلك حث الإنسان علىٰ التدبر فيها؛ لتهيئة النفس إلىٰ الإيمان عن طريق العقل، وليربط الإيمان بالله عن طريق الفطرة بالإيمان بالله عن طريق العقل، ولكن الله سبحانه لم يطلق للعقل البشري العنان في بحث كل ماورد في القرآن الكريم[3].

---

(١) اتجاهات التفسير في العصر الراهن ص٣١٤.
(٢) انظر: كتاب الظاهرة القرآنية، محمود شاكر ص١٦-١٩.
(٣) اتجاهات التفسير في العصر الراهن ص٣١٤-٣٢٣ بتصرف.

**الأمر السابع:** "أن كون القرآن الكريم كتاباً معجزاً أمر لا جدال فيها، يُدرك هذا العالم والجاهل، ولا يلزم أن يظهر إعجازه في كل علم من العلوم الحديثة النظرية والتجريبية، بل إن ذلك قد يغض من عظمة القرآن، حينما يعجز الكاتب أو المحاضر عن إقناع الناس بإثبات الوجه الإعجازي فيما أدعاه"[١].

**الأمر الثامن:** اتفقت كلمة العلماء أن القرآن معجز من جهة بيانه، بينما غير الوجه البياني مختلف فيه بينهم قديماً وحديثاً[٢]، والقائلون بالإعجاز العلمي لم يستطيعوا الانفكاك من التصريح بهذا الأمر، ولذلك يُرجعون الإعجاز العلمي في بعض الآيات إلىٰ الجانب البياني، من دقة الألفاظ، وسعة دلالاتها، قال د. عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي في سياق بيان الإعجاز العلمي في علوم الأجنة والتشريح: "تكمن أهمية هذا الفصل في التعرف علىٰ إعجاز القرآن ودقته البيانية في الحديث عن كثير من القضايا العلمية التي تتصل بالجسم البشري"[٣]، وقال د. زغلول النجار: "وبطبيعة كل الآيات الكونية في كتاب الله صاغت هذه الآيات الأربع[٤] إحدىٰ حقائق الكون المعجزة المبهرة بصياغة معجزة، يفهم منها أهل كل عصر معنىٰ من المعاني، يتناسب مع مستوىٰ المعارف العلمية في زمانهم، ويبقىٰ نص الآيات الكريمة يتسع مع كل عصر مع اتساع المعرفة العلمية لأهله، في تكامل لا يعرف التضاد، ليبقىٰ القرآن مهيمناً علىٰ المعرفة الإنسانية مهما اتسعت دوائرها، وليس لغير كلام الله الخالق البارئ المصور، وهذا عندي من أعظم جوانب الإعجاز في كتاب الله الذي أنزله بعلمه علىٰ خاتم أنبيائه ورسله ﷺ"[٥]، وقال أيضاً: "وآيات الكتاب الحكيم في كل ما عرضت له من أمور الكون تتميز بمنتهىٰ الدقة في التعبير والشمول في المعنىٰ والدلالة"[٦].

وقال مصرحاً بالإعجاز اللغوي مع العلمي: "والإعجاز هنا ليس إعجازاً علمياً فحسب، بل هو إعجاز لغوي أيضاً، فالتعبيرات: نطفة (نطفة أمشاج)، علقة، مضغة (مخلقة وغير مخلقة) وتتابع تلك الأطوار بخلق العظام وكسوتها لحماً، ثم إنشاء الجنين

---

(١) نقد دعوىٰ الإعجاز العددي في القرآن الكريم، د. إبراهيم الحميضي ص٢٥.
(٢) انظر: دراسات في الإعجاز العددي، د. مصطفىٰ عمر الكندي ص٩٣، ١٢٣-١٢٤، ٢٩٤.
(٣) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٤٧.
(٤) من سورة الواقعة ٧١-٧٤.
(٥) تفسير الآيات الكونية ٤/ ١١٩-١٢٠.
(٦) تفسير الآيات الكونية ٢/ ٤٤.

خلقاً آخر، هي تعبيرات تبلغ من الدقة والشمول والكمال، مالم يبلغه العلم المكتسب في قمة من قممه اليوم"[(١)]، وقال عبد الدائم الكحيل بعد أن ذكر أوجه الإعجاز العلمي في كلمة (الحبك): "وهذا وجه من وجوه الإعجاز العلمي، يمكن أن أسميه: إعجاز فهم النص القرآني على مر العصور والأجيال"[(٢)]، وقال بعد أن ذكر معاني كلمة الحبك: "وهذا من عظمة الكلمة القرآنية أنها جمعت كل هذه المعاني"[(٣)].

وقال د. منير مصطفى البشعان: "ألا تقتنع معي، أن ذلك الإعجاز القرآني البلاغي سيبقى مثيراً في مفهومه ومعناه ومبناه للإنسان السوي، مثلما يثير أي عالم بيولوجي أو متخصص في علم الأحياء، حتى ولو فسر تلك المظاهر الخَلقية والسلوكية للطيور من منظور مادي بحت، لا من منظور علمي، أو من المنظورين معاً على حد سواء؟! "[(٤)].

وبهذا يتقرر أن الأصل في إعجاز القرآن هو الإعجاز البياني والبلاغي، ومنه تتفرع أنواع الإعجاز الأخرى على القول بتسميتها إعجازاً؛ لأنها من دلالات الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ومردها إليه[(٥)].

وبهذا يتبين أن تسمية التوافق بين الحقائق العلمية، وبين ما جاء في القرآن الكريم، لا ينطبق عليه لفظ (الإعجاز العلمي) انطباقاً صحيحاً، خالياً من معارض، ويدل على ذلك:

---

(١) تفسير الآيات الكونية ٢/ ٢٠٨، وانظر: موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ١/ ١٧، ٣/ ١٢٠، وبحث (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً)، د. فواز المزيني ص٢٧، وبحث (ظهر الفساد في بما كسبت أيدي الناس) ص١١، كلاهما من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وبحث: معجزة إنزال الحديد وبأسه الشديد، د. عبدالله البلتاجي ص١٣٨، وبحث: الحطام والهشيم إعجاز علمي في عالم النبات، د. محمد طاهر ص١٦٥، والإعجاز العلمي في قوله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها)، د. ظافر القرني ص٣٢٧-٣٣٠، كلها من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

(٢) بحث: النسيج الكوني رؤية علمية قرآنية، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٩٥.

(٣) المرجع السابق ص٩٨.

(٤) بحث (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات)، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٥٠.

(٥) انظر: مناهل العرفان، الزرقاني ٢/ ٣٠٨، وإعجاز القرآن، الباقلاني ص٦٦، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ١/ ٤٣، وخصائص الأسلوب القرآني، د. أبو بكر البخيت ص٣٢، ٣٧٠-٣٧٣، ٣٧٧، ٣٨٢-٣٨٣، والتفسير العلمي في الميزان، د. أحمد أبو حجر ص١٣٨-١٣٩، ومجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد ١٩ عام ١٤٢١هـ ص٣٣، والإعجاز العلمي في الإسلام، محمد عبدالصمد ص٣٠-٣١، وموقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن، د. محمود البعداني ص٣٣٢، ٨٤٧، والمعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو ص٢٢٢.

١) أن أصحاب الإعجاز العلمي اضطربوا في ضبط هذا المصطلح، ولا أدل على ذلك من كثرة تعريفاته المتباينة كما سبق.

٢) أن لفظ (الإعجاز العلمي) لا يصدق على المقصود من إطلاقه؛ لأن الإعجاز مرتبط بالتحدي - كما يقول العلماء ومنهم أصحاب الإعجاز العلمي - وما في القرآن من حقائق علمية،لم تكن مطلوبة في التحدي باعتراف الكفار السابقين.

والقول بأن طبيعة إعجاز القرآن تتغير باختلاف المخاطبين غير صحيح، إذ إعجاز القرآن أمر واحد، وإنما المتغير الغرض المراد حصوله من المخاطبين بالإعجاز.

٣) أن حقيقة الإعجاز القرآني مرده إلى النص القرآني نفسه، وبنيته البيانية والأسلوبية، وليس إلى أمر خارج عنه كما هي المعجزات السابقة عليه.

والذي يترجح أن القرآن الكريم مشتمل على قضايا علمية أخبر عنها قبل اكتشافها من قبل العلم الحديث، وهذه القضايا ذكرها الله للعبرة والموعظة، والتأمل والتفكر، وقد ذكرها الله بألفاظ عربية وأسلوب محكم دقيق، يطابق مقتضى حال المخاطبين من العلماء والعامة على حد سواء كما قال الراغب الأصفهاني ﷺ: "فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجل صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جليها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الحكماء...ومن هذا الوجه كله من كان حظه في العلوم أوفر، كان نصيبه من علم القرآن أكثر، ولذلك، إذا ذكر تعالى حجة على ربوبيته ووحدانيته، أتبعها مرة بإضافتها إلى أولي العقل، ومرة إلى أولي العلم، ومرة إلى السامعين، ومرة إلى المفكرين، ومرة إلى المتذكرين، تنبيهاً على أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:٤]"(١)

وقال حموده داود سند عن الإعجاز العلمي: "وهو عندي لا يخرج عن الإعجاز البياني؛ لأن المكتشفات العلمية ما هي إلا سنن كونية خلق الله الكون عليها، فهي موجودة من قبل نزول القرآن، وإن لم يعرفها الناس أيام نزوله، فإذا تحدث القرآن عنها بما يفهمه العالمون، ولا يصدم معتقد غير العالمين وأفهامهم، فذلك ضرب من البيان يعجز عن

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ص٢٧.



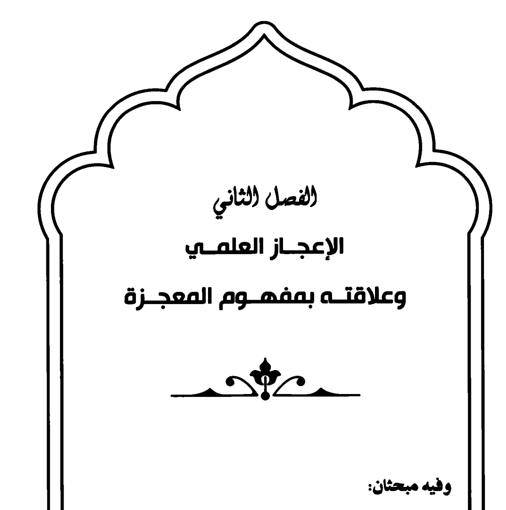

مثله الثقلان، وفي اعتقادي أن ذلك هو مناط التحدي في هذا النوع"[١].

والذي يصدق على مضمون الإعجاز العلمي هو لفظ (دلائل صدق القرآن)، وهو معنى الألفاظ القرآنية التي ذكرها الله تعالى في مقام محاجة المشركين، وهي: (الآية، والبرهان، والبينة)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية‎ﷺ: "وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجوداً في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ (الآية) و(البينة) و(البرهان)"[٢].

وقال د. مساعد بن سليمان الطيار: "ولو تخلص هؤلاء من سلطان مصطلح (المعجزة والإعجاز)؛ لوجدوا بديلاً ينطبق على بحوثهم بدون تكلف ـ كما هو ظاهر في تعريفاتهم ـ فلو جعلوا حديثهم منصباً على (دلائل صدق أخبار القرآن والسنة)؛ لكان هذا أولى وأنفع من الارتباط بمفهوم الإعجاز، الذي يصعب تطبيقه على مباحثهم، ولعلك تلاحظ أن (دلائل صدق القرآن والسنة) هي نتيجة أبحاثهم هذه، وهو ما عبروا عنه في نهاية تعريفهم للإعجاز، وهذا المصطلح (دلائل صدق القرآن والسنة) أدل على مقصودهم، وألصق ببحوثهم من مصطلح الإعجاز الذي لم يبينوه بياناً شافياً"[٣].



(١) تفسير القرآن الكريم والعلوم الحديثة ص١٥٦.
(٢) الجواب الصحيح ٥/ ٤١٢، وانظر: النبوات ١/ ٢١٥، ٢/ ٨٢٨.
(٣) الإعجاز العلمي إلى أين ص٤١- ٤٦، ١٦٠.



# الفصل الثاني

## الإعجـاز العلمـي وعلاقتـه بمفهـوم المعجـزة

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: مفهوم المعجزة عند العلماء.
- المبحث الثاني: علاقة الإعجاز العلمي بشروط المعجزة.



# الفصل الثاني

# الإعجاز العلمي

# وعلاقته بمفهوم المعجزة

## تمهيد

لقد أيد الله تعالى أنبياءه ورسله بالآيات الدالة على صدقهم، وسماها الله ﷻ في القرآن الكريم آية، وبرهاناً، وحجة، وبينة، وغيرها من الألفاظ[1]، واصطلح بعض العلماء على تسميتها بـ(المعجزة)[2].

وقد راج هذا المصطلح رواجاً كبيراً، وبات عَلَماً على قضية النبوة، وألفت مؤلفات كثيرة حملت في عناوينها، وبين طيات صفحاتها لفظ (المعجزة)، ومن تلك المؤلفات كتب الإعجاز العلمي، والتي يتكرر فيها كثيراً، مع توسع من بعضهم في إطلاقه[3].

ولعل من أسباب ذلك، أنه لفظ تميز بكونه لفظاً جذاباً براقاً، كما قال د. إبراهيم بن صالح الحميضي: "ويبدو أن العدول عن الألفاظ القرآنية: الآية والبرهان وغيرها، إلى لفظ المعجزة كان سبباً في التوسع في هذا المصطلح، لاسيما في هذا العصر الذي أصبح فيه لفظ (معجزة وإعجاز) جذاباً براقاً، ولذلك يفضل بعض الباحثين في هذا المجال

(١) انظر: الجواب الصحيح، ابن تيمية ٥/ ٤١٢، والنبوات، له أيضاً ١/ ٢١٥، ٢/ ٨٢٨، وشرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ٢/ ٧٤٦، ولوامع الأنوار البهية، السفاريني ٢/ ٢٩٠، وإعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح الخالدي ص٢١-٢٣، وتاريخ فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي ص٣.

(٢) انظر تاريخ فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي ص٧، والتفسير والإعجاز العلمي في القرآن، د. مرهف السقا ١/ ٨١، والفهرست، ابن النديم ١/ ٥٧، ومقدمة تحقيق الشيخ محمود شاكر لإعجاز القرآن للباقلاني ص ١٠، ودراسات في علوم القرآن الكريم، د. فهد الرومي ص ٢٩١.

(٣) انظر: الإعجاز الإلهي في أجهزة المناعة والمقاومة في جسم الإنسان، د. محمد السيد أرناؤوط ص٢٣٨، ومجلة الإعجاز العلمي، العدد ٣٤ رمضان ١٤٣٠هـ ص٥٧.

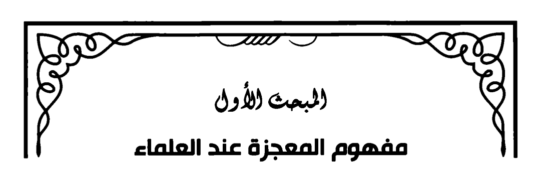
التعبير به"[(١)].

وهذا الأمر أوجد خلطاً عند المشتغلين بالإعجاز العلمي في العلاقة بين المعجزة وبين ما ينادون به من إعجاز علمي، ولذلك كان تحرير مصطلح المعجزة وعلاقته بالإعجاز العلمي في غاية الأهمية، لما يترتب عليه من مسائل ونتائج، وسيكون ذلك في مبحثين:

- المبحث الأول: مفهوم المعجزة عند العلماء.
- المبحث الثاني: علاقة الإعجاز العلمي بشروط المعجزة.



(١) نقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن الكريم ص٧٣.



# المبحث الأول

# مفهوم المعجزة عند العلماء

## تعريف المعجزة لغة واصطلاحاً:

**المعجزة لغة:** مأخوذة من العجز، قال ابن فارس ﷺ: "العين والجيم والزاي، أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء، فالأول: عَجَزَ عن الشيء يعجز عجزاً، فهو عاجز، أي ضعيف...وأما الأصل الآخر: فالعجز: مؤخر الشيء، والجمع أعجاز"[1].

**المعجزة اصطلاحاً:** كان لموقف الفرق المبتدعة من القرآن الكريم ومسألة النبوة، أثر عقدي في تعريفها، ولذلك عرفت المعجزة بتعريفات عدة، من أشهرها، أن المعجزة: (أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي ودعوى النبوة، سالم من المعارضة).

وبهذا التعريف عرفها جمهور المتكلمين[2] من المعتزلة، والأشاعرة[3]، وغيرهم[4].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٢٣٢-٢٣٣، وانظر: لسان العرب، ابن منظور ٥/ ٣٦٩، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي ١/ ٥١٥، ومختار الصحاح، الرازي ص٢٠٠، والفصل الأول من هذا البحث.

(٢) المتكلمون: هم أصحاب علم الكلام الذي ظهر في بلاد المسلمين حين انتشرت كتب الفلسفة والمنطق اليوناني في عهد الخليفه المأمون، ويقوم منهجهم على أساس تقديم العقل على النقل في إثبات العقيدة، وهم فرق شتى كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم. انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٢/ ٧، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة، د.عبدالرحمن المحمود ٢/ ٧٧٣، والملل والنحل، الشهرستاني ١/ ٤٠.

(٣) انظر: المغني، القاضي عبد الجبار ١٥/ ٢١٨، وشرح الأصول الخمسة، له أيضاً ص ٥٦٩-٥٧١ والاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي ص١٢٢، والإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، الباقلاني ص٦١، وأصول الدين، البغدادي ص١٧٠، والإرشاد، الجويني ص٢٦٠، وشرح المقاصد ص٥١١، وشرح العقائد النسفية ص١٣٦ كلاهما للتفتازاني، والمواقف، الإيجي ص ٣٣٩، وشرح المواقف، الجرجاني ٨/ ٢٢٥-٢٢٦، وجوهرة التوحيد، الباجوري ص١٣٨، والتمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفي ص٢٣٦، والنبوات، ابن تيمية ١/ ٦٠٠، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١/ ٦٩-٧١، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٤/ ٥، ومناهل العرفان، الزرقاني ١/ ٧٢، وجدليات شيخ الإسلام ابن تيمية حول النبوات والغيبيات، د. محمد رشاد سالم ص٣٧-٦٥

(٤) انظر: المعجزة القرآنية، د. محمد هيتو ص١٦، ومعجزات الرسول، د. مصطفى مراد ص١٢، العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة، د. أحمد محمد أبو الغيط ود. محمد قلعجي ص١٨٣، والمعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، أحمد عمر أبو شوفة ص٢١، وإعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح الخالدي ص١٨، ودراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي ص٢٥٧.

وهذا التعريف يذكره كثير من المشتغلين بالإعجاز العلمي في مؤلفاتهم، مقررين له ومؤيدين، وقد اشتمل التعريف على شروط ثلاثة للمعجزة: الأمر الخارق للعادة، والاقتران بالتحدي ودعوى النبوة، والسلامة من المعارضة.

وسأبين موقف أهل السنة من هذه الشروط الثلاثة، ثم أتبع ذلك بالتعريف المختار.



### وقفات مع شروط المعجزة:

#### الشرط الأول: أمر خارق للعادة.

**العادة في اللغة:** هي الديدن، اسم لما يعود ويتكرر، وهي الدربة، والتمادي في شيء حتى يصير له سجية[1].

**واصطلاحاً:** عرفت العادة بعدة تعريفات منها: ما استمر الناس عليه على حكم المعقول، وعادوا إليه مرة بعد أخرى[2].

وهذا الوصف متفق عليه بين المعتزلة والأشاعرة في الجملة، والفرق بينهما: أن المعتزلة اعتبروا خرق العادة حداً للمعجزة، فلا يوجد خرق العادة إلا في المعجزة، واعتبروا جميع ما يحصل للأنبياء مما ظهر على أيديهم من الخوارق اعتبروها جميعاً معجزات، ولذلك أنكروا خوارق السحرة والكهان وكرامات الصالحين؛ لأن العادة لا تخرق عندهم إلا لنبي.

وأما الأشاعرة فجعلوا ما يظهر على أيدي الأنبياء وأيدي السحرة والكهان وغيرهم من جنس واحد وهو خرق العادة، وميزوا بينها ببقية الشروط من دعوى النبوة، وأن تكون سالمة من المعارضة عند تحدي الرسول بالمثل كما سيأتي، ولذلك حصروا دلائل النبوة في المعجزات، وأخرجوا كثيراً من دلائل النبوة عن دلالتها.

**تعقيب:**

لم يحقق المتكلمون من المعتزلة والأشاعرة معنى خرق العادة، ولم يحرروا الفرق بين ما يَخرق العادة وما لا يخرقها، فوقع في كلامهم اضطراب وخلط، والصحيح أن

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ٤/ ١٨١، ولسان العرب، ابن منظور ٣/ ٣١٥، والمعجم الوسيط ٢/ ٦٣٥.

(٢) انظر: التعريفات، الجرجاني ص ١٤٦.

اشتراط خرق العادة في المعجزة لا يصح لوجهين[1]:

**الأول:** أن العادة أمر نسبي لا ينضبط، فقد يكون الأمر عادة عند قوم دون غيرهم.

**الثاني:** أن هذا لا يختص بالأنبياء، فقد شاركهم فيه غيرهم، فهو وصف يشمل آيات الأنبياء، وخوارق السحرة، وكرامات الصالحين وغيرهم، فقد يأتي الساحر مثلاً بما هو خارق لعادة من شاهده، ولا يستطيع الحاضرون معارضته، مع أن ما أتى به ليس خارقاً لعادة السحرة أمثاله[2]، وما يعرفه أهل الطب والنجوم والفقه والنحو هو معتاد لنظرائهم خارق بالنسبة إلى غيرهم[3].

ولذلك فإن خرق العادة هو وصف من أوصاف المعجزة؛ ولا يصح أن يجعل حداً مطابقاً لها طرداً وعكساً، لأن كون الشيء خارق للعادة أعم من أن يكون معجزة[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "فإنه إن أريد به، أنه لم يوجد له نظير في العالم، فهذا باطل فإن آيات الأنبياء بعضها نظير بعض، بل النوع منه، كإحياء الموتى، هو آية لغير واحد من الأنبياء، وإن قيل: إن بعض الأنبياء كانت آيته لا نظير لها، كالقرآن والعصا والناقة، لم يلزم ذلك في سائر الآيات.

ثم هب أنه لا نظير لها في نوعها، لكن وجد خوارق العادات للأنبياء غير هذا، فنفس خوارق العادات معتاد جميعه للأنبياء، بل هو من لوازم نبوتهم مع كون الأنبياء كثيرين؟

وإن عني بكون المعجزة هي الخارق للعادة، أنها خارقة لعادة أولئك المخاطبين بالنبوة، بحيث ليس فيهم من يقدر على ذلك، فهذا ليس بحجة، فإن أكثر الناس لا يقدرون على الكهانة والسحر ونحو ذلك.

وأيضا فكون الشيء معتاداً، هو مأخوذ من العود، وهذا يختلف بحسب الأمور، فالحائض المعتادة من الفقهاء من يقول تثبت عادتها بمرة، ومنهم من يقول بمرتين، ومنهم من يقول لا تثبت إلا بثلاث، وأهل كل بلد لهم عادات في طعامهم، ولباسهم، وأبنيتهم،لم يعتدها غيرهم، فما خرج عن ذلك فهو خارق لعادتهم، لا لعادة من اعتاده

---

(١) انظر: آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية، د. محمد الشايع ص٤٤٠.

(٢) انظر: النبوات، ابن تيمية ١/ ١٧٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٠.

(٣) انظر: المرجع السابق ١/ ١٢٤، وبحث: عقيدة العادة عند الأشاعرة مالها وما عليها، جابر بن زايد السميري، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع العدد الأول عام ٢٠٠١م ص١٨٨-١٨٩.

(٤) انظر: النبوات، ابن تيمية ص٥٩، ومجموع الفتاوى، له أيضاً ١١/ ٣١١، ومناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم، د. خالد السبت ص٢٩٥-٢٩٦.

غيرهم، فلهذا لم يكن في كلام الله ورسوله، وسلف الأمة وأئمتها، وصف آيات الأنبياء بمجرد كونها خارقة للعادة، ولا يجوز أن يجعل مجرد خرق العادة هو الدليل، فإن هذا لا ضابط له، وهو مشترك بين الأنبياء وغيرهم.

ولكن إذا قيل من شرطها أن تكون خارقة للعادة، بمعنى أنها لا تكون معتادة للناس فهذا ظاهر، يعرفه كل أحد، ويعرفون أن الأمر المعتاد مثل الأكل والشرب، ليس دليلاً ولا يدعي أحد أن مثل هذا دليل له، فإن فساد هذا ظاهر لكل أحد، ولكن ليس مجرد كونه خارقاً للعادة كافياً"[١].

**الشرط الثاني: مقرون بالتحدي ودعوى النبوة.**

اشتمل هذا الشرط على أمرين: التحدي، ودعوى النبوة.

**أولاً: التحدي:** لفظ (التحدي) من الألفاظ المحدثة المولَّدة، التي لم تُعرف إلا في القرن الثالث الهجري، وكان أول ظهوره في كلام المعتزلة وأهل الكلام، فإنهم وجدوا أن الله طالب العرب المكذبين لنبيه في آيات من القرآن بالإتيان بسورة من مثل القرآن، ثم لم يجدوا أحداً من مشركي العرب قد فعل ذلك، فسموا مطالبة العرب بالإتيان بمثله أو بعضه (طلب المعارضة)، وسموا امتناع العرب عن ذلك (ترك المعارضة)، ثم بعد ذلك سموا طلب المعارضة (تحدياً)، وسموا طلب ترك المعارضة (عجزاً)، ثم انتشر هذان المصطلحان واستفاضا في القرن الرابع إلى يومنا هذا[٢].

وقد جعل أهل الكلام التحدي ودعوى النبوة جزءاً من (المعجزة)، والذي ألجأهم لذلك هو عدم ضبطهم لمدلول خرق العادة كما سبق، فلمَّا لم يكن لديهم ضابط لخرق العادة، فما يجري من العادات يجوز أن يكون للنبي والولي والساحر والكاهن، لذا اشترطوا التحدي ودعوى النبوة للتفريق بين العادات، فالمعجز ليس بمعجز لجنسه ونفسه، ولا لحدوثه، وإنما يصير معجزاً باقترانه بدعوى النبوة والتحدي والاحتجاج وعدم المعارضة[٣].

---

(١) النبوات ص ٢٠.

(٢) انظر: مدخل إعجاز القرآن، محمود شاكر ص٤١.

(٣) انظر: كتاب البيان، الباقلاني ص٤٧-٤٨، والإرشاد، الجويني ص٣١٩، وأصول الدين، البغدادي ص١٣٨، والملل والنحل، الشهرستاني ١/ ٩٧، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبدالسلام اللوح ص٦، والإعجاز في نص الخطاب القرآني، د. عصام العبد زهد ص٤.

قال د. سفر الحوالي: "فلما حصروا[1] دليل صدق النبي في المعجزة، وحصروا المعجزة في الأمر الخارق للعادة، طالبهم منكرو النبوات بإثبات الفرق بين الخارق الذي يأتي على يد النبي، وبين الخارق الذي يأتي به الساحر والكاهن ونحوهما، فلم يكن للأشاعرة من فرق إلا القول بأن خارق النبي مقرون بالتحدي ودعوى النبوة، أما غيره فلا يدعيها ولا يتحدى بخارقة، قالوا لهم: فماذا لو أنه ادعى وتحدى؟، قالت الأشاعرة: ولو فعل ذلك لسلبه الله القدرة على الإثبات بالخارق حالاً، أي أن الساحر لو ادعى النبوة محتجّاً بخارقة سحرية، لسلب الله منه المعرفة بالسحر حالاً، أو خلق في غيره القدرة على معارضته، والإتيان بمثله ليبطل دعواه، ولو لم يفعل الله ذلك لكان هذا تصديقاً للكاذب، وإضلالاً لعباده، والله منزهٌ عنه"[2].

وعليه فالصحيح أن التحدي ليس شرطاً في المعجزة؛ لكون التحدي لم يقع في كثير من آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل آيات الأنبياء دليل نبوتهم، وقد تخلوا من شرط التحدي، وعدم المعارضة، فتكثير الطعام والشراب للنبي ﷺ مرات، ونبع الماء بين يدي أصابعه ﷺ غير مرة، كل هذا من دلائل النبوة، ولم يكن يظهرها النبي للاستدلال بها، ولا يتحدى بمثلها، بل لحاجة المسلمين إليها[3]، وكذا إحياء الطير لإبراهيم ﷺ، وإحياء القتيل لموسى ﷺ، وإبراء الأكمه والأبرص لعيسى ﷺ، كل هذه الآيات لم يقع بها التحدي، وهي مع ذلك من معجزات الأنبياء، وهذا أمر في غاية الوضوح.

### ثانياً: دعوى النبوة:

واشتراط دعوى النبوة في المعجزة غير صحيح لوجهين:

**الوجه الأول:** ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "إن آيات الأنبياء مما يعلم العقلاء أنها مختصة بهم، ليست مما تكون لغيرهم، فيعلمون أن الله لم يخلق مثلها لغير الأنبياء، وسواء في آياتهم التي كانت في حياة قومهم، وآياتهم التي فرق الله بها بين أتباعهم وبين مكذبيهم، بنجاة هؤلاء وهلاك هؤلاء، ليست من جنس ما يوجد في العادات المختلفة

---

(١) أي: الأشاعرة.

(٢) منهج الأشاعرة في العقيدة ص ١٨٧-١٨٨.

(٣) المرجع السابق ص ١٥٦، وانظر: الفصل في الملل والنحل، ابن حزم ٥/ ٥-٦، وعلاقة العلم التجريبي بمعجزات الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم، د. عبد السلام بن صالح الجار الله ص١٤٣-١٤٤.

لغيرهم... فآيات الأنبياء هي أدلة وبراهين على صدقهم، والدليل يجب أن يكون مختصاً بالمدلول عليه، لا يوجد مع عدمه، ولا يتحقق الدليل إلا مع تحقق المدلول، كما أن الحادث لابد له من مُحدِث، فيمتنع وجود حادث بلا مُحدِث...فكذلك ما دل على صدق النبي، يمتنع وجوده إلا مع كون النبي صادقاً...المقصود أن جنس الأنبياء متميزون عن غيرهم بالآيات، والدلائل الدالة على صدقهم، التي يعلم العقلاء أنها لم توجد لغيرهم، فيعلمون أنها ليست لغيرهم لا عادةً ولا خرق عادة"(١).

**الوجه الثاني**: أن النبوة قد يدعيها بعض المنحرفين الذين قد تظهر بعض الخوارق على أيديهم، كما هو الشأن في الأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب وأضرابهم، وكانوا يستدلون بذلك على باطلهم ويحتجون به(٢)، ولذلك فـ"ليس من شرط دلائل النبوة لا اقترانه بدعوى النبوة، ولا الاحتجاج به، ولا التحدي بالمثل، ولا تقريع من يخالفه، بل كلّ هذه الأمور قد تقع في بعض الآيات، لكن لا يجب أنّ ما لا يقع معه لا يكون آية، بل هذا إبطالٌ لأكثر آيات الأنبياء؛ لخلوها عن هذا الشرط"(٣).

**الشرط الثالث: سالم من المعارضة.**

وهذا الشرط هو من صفات المعجزة وليس من حدودها، فالسلامة من المعارضة هو دليل على صحة النبوة، بل لا تكون المعجزة معجزة إلا بذلك، إذ لابد أن يتميز الأنبياء عن غيرهم فيما يتعلق بأمر المعجزة، باستحالة حصولها لغيرهم(٤)، وأما جعل السلامة من المعارضة شرطاً للمعجزة كما قال الأشاعرة، فليس بصحيح، ولا دليل عليه، بل هو مخالف للواقع وما حصل من معارضات كثيرة للنبي ﷺ، وقد علم الناس بطلان معارضتهم بالنظر إلى دلائل كثيرة.

والذي اضطر الأشاعرة إليه هو تسويتهم بين المعجزة والسحر، وما لو ادعى أحدهم النبوة وتحدى، ويترتب على هذا أن تكون آية النبي هي صرف الناس عن المعارضة سواء كان فعله خارقاً أو غير خارق(٥)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "وأما قولهم: خاصّة

(١) انظر: النبوات، ابن تيمية ص ١٥٩، ١٦٠_ ١٦٥.
(٢) انظر: مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم، د. خالد السبت ص٣٠٢.
(٣) النبوات، ابن تيمية ١/ ٦٠٤.
(٤) انظر: دلالة المعجزة على صدق النبوة عند الأشاعرة، د. عبدالله القرني ص٥٣.
(٥) انظر: المرجع السابق ١/ ٢٤٢.

المعجز عدم المعارضة: فهذا باطلٌ، وإن كان عدم المعارضة لازماً له، فإنّ هذا العدم لا يعلم، إذ يمكن أن يعارضه من ليس هناك إذا كان مما يعلم أنّه معتاد؛ مثل خوارق السحرة، والكهان؛ فإنّه وإن لم يمكن أن يُعارض في هذا الموضع، ففي السحرة والكهان من يفعل مثلها، مع أنه ليس بنبي"[1].

**التعريف المختار للمعجزة:**

تبين مما سبق أن تعريف المعجزة بكونها: أمراً خارقاً للعادة، مقروناً بالتحدي ودعوىٰ النبوة، سالم من المعارضة، لا يسلم من مناقشة وانتقاد.

ويمكن تعريف المعجزة بأنها: ما يظهره الله تعالىٰ من الآيات والبراهين الدالة علىٰ نبوة الأنبياء، مما يستلزم صدقهم، بشرط خرق عادة الثقلين غير الأنبياء، والخروج عن مقدورهم، مع عجزهم عن معارضتها[2].

**شرح التعريف:**

"ما يظهره الله تعالىٰ من الآيات والبراهين الدالة علىٰ نبوة الأنبياء" هذه الجملة سمت المعجزة باللفظ الشرعي المطابق لمسماها وهو لفظ مطرد لا ينتقض، فلفظ الآيات يستلزم ثبوت النبوة في نفسها، بخلاف لفظ المعجزة فهي لا تستلزم ثبوت النبوة إلا بشروطها.

كما انه يدخل تحت لفظ (الآيات) مايلي:

١) جميع آيات الأنبياء سواء ما كان منها من جنس العلم، أو من جنس الآيات المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير.

٢) الآيات التي يظهرها الله قبل مبعث النبي، والآيات التي توجد في حياة النبي وبعد بعثته، كما تشمل الآيات التي تكون بعد زمانه مما يؤيد صدقه.

٣) الآيات التي يظهرها الله علىٰ يد الأنبياء، والآيات التي تظهر علىٰ يد بعض أتباعهم،

---

(١) النبوات ٢/ ٧٩٥.

(٢) انظر: النبوات، ابن تيمية١/ ٥٠٢، ٢/ ٧٧٨، ٨٦٣، ٩٠٢، ٩٠٢، ٩٨٤، ١٠٦٥، ومناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم، د. خالد السبت ص٢٩٢، وآراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية، د. محمد الشايع ص٤٨٣، ووجوه دلالة القرآن الكريم علىٰ نبوة النبي محمد ﷺ، د. سامية البدري ص٤٢.

وهذا بناء على إطلاقها في عرف المتقدمين، حيث إنهم يطلقون ذلك على الجميع، خلافاً للمتأخرين الذين فرقوا، فأطلقوا على مايظهر على أيدي الأنبياء: (معجزات)، وأطلقوا على ما يظهر على أيدي أتباع الأنبياء: (كرامات)[1].

"مما يستلزم صدقهم" أي: يدل على صدقهم ولابد؛ لأن "الدليل – وهو الآية والعلامة – لايدل إلا إذا كان مختصاً بالمدلول عليه، مستلزماً له، إما مساواً له، وإما أخص منه، ولا يجوز أن يكون أعم منه غير مستلزم له"[2].

وهذا القيد يخرج خوارق السحرة وأمثالهم؛ لأن ذلك كله لا يستلزم صدقهم.

"بشرط خرق عادة الثقلين غير الأنبياء، والخروج عن مقدورهم" هذا من شروطها وصفاتها ولوازمها، إذ يمتنع أن تكون معتادة لغيرهم، لكن لا يمتنع أن يأتي نبي آخر بمثلها، ولا أن يأتي من يصدقهم بمثلها، فإن تصديقه لهم يتضمن صدقهم، فلم يأت إلا مع صدقهم[3].

فالمراد بخرق العادة هنا: أي عادة غير الأنبياء، أي لا يكون ذلك لغير جنسهم وجنس من صدقهم، وهذا يخرج الملائكة.

"مع عجزهم عن معارضتها" وهذا أيضاً من شروطها وصفاتها ولوازمها، إذ يمتنع أن يأتي من يعارضهم بمثلها.

والمقصود بعدم المعارضة: أي لا يقدر أن يأتي بها من ليس بنبي أو متبع لنبي[4]، وهذا يخرج خوارق السحرة وأمثالهم، إذ إن معارضتهم بمثلها أمر ممكن.

وبهذا يتضح أن "التعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن، أولى من التعبير عنها بغيرها؛ فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي تنزيل من حكيم حميد، والأمة متفقة عليها، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم، وفيها من الحكم والمعاني ما لا تنقضي عجائبه، والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع"[5].

---

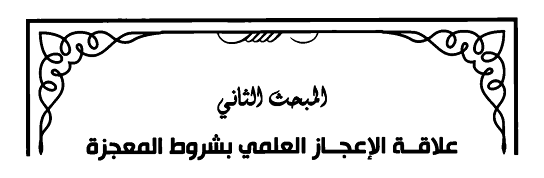
(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١١/ ٣١١-٣١٢، والجواب الصحيح، له أيضاً ٥/ ٤١٩، وشرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ٢/ ٧٤٦.

(٢) النبوات، ابن تيمية ٢/ ٧٧٨.

(٣) انظر: المرجع السابق ٢/ ٧٧٨.

(٤) السابق ٢/ ٧٧٨.

(٥) السابق ٢/ ٨٧٦.



## المبحث الثاني
## علاقة الإعجاز العلمي بشروط المعجزة

اختار عدد من المشتغلين بالإعجاز العلمي تعريف جمهور المتكلمين للمعجزة[1]، بل جعله بعضهم تعريفاً للإعجاز العلمي نفسه، قال د. عبدالله المصلح: "يمكننا أن نعرف الإعجاز العلمي بأنه هو: الأمر الخارق للعادة، المقرون بالتحدي، السالم من المعارضة، المتعلق بقضية علمية وصل العلم فيها إلى سقف المعرفة، ولم يكن في مقدور البشر ولا في علمه في شتى بقاع الأرض، علم بها وقت تنزل الوحي بها، أو قول رسول الله ﷺ لها"[2]

وقال أيضاً: "المعجزة هي: الشيء الخارق للعادة، المقرون بالتحدي، السالم عن المعارضة...وعلى هذا فالإعجاز هو التحدي، وعجز الإنسان عن القيام بما يطلب منه"[3].

وقالت عادلة بنت أحمد: "الإعجاز العلمي: هو أمر خارق لما يتوصل إليه العلم الوضعي من المفاهيم والنتائج...وعلى ذلك فإن المعجزة: هي أمر قد يتفهمه الإنسان ويدركه أو يبصره، ولكنه يعجز عن الإتيان بمثله، كما يعجز عن معرفة أصوله ونشأته"[4].

وبعضهم يستعمل لفظ المعجزة في وصف الإعجاز العلمي بأنه (المعجزة العلمية)، كما قالت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن: "ولكل رسول معجزة تناسب قومه

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن، د. مصطفى مسلم ص١٨، وتاريخ فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي ص٥، والتفسير والإعجاز العلمي، د. مرهف السقا ١/ ٨١، وإعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي والعلماء، د. محمد الشريف ص٣٧، ودراسات في علوم القرآن الكريم، د. فهد الرومي ص٢٨١، وتأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الشيخ عبدالمجيد الزنداني ص١٤، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، د. عبدالله المصلح ص٢٢.

(٢) المنح الإلهية في إقامة الحجة على البشرية ص٣٥.

(٣) المرجع السابق ص٥١-٥٢

(٤) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص١٣.

ومـدة رسـالته، والمعجـزة العلميـة تناسـب الرسـالة الخاتمـة والمسـتويات البشـرية المختلفة"(١).

وقال د. عبدالله المصلح: "إن المعجزة العلمية في القرآن الكريم والسنة المطهرة تعد أسلوباً جديداً وفريداً"(٢)، وقال الشيخ عبدالمجيد الزنداني: "إن معجزات وبينات رسالة محمد ﷺ كثيرة ومتنوعة ودائمة؛ لأنه خاتم الرسل والأنبياء، ومن بينات رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ما ظهر من إعجاز جديد للكتاب الذي جاء به ﷺ من عند الله، وذلك الإعجاز هو السبق العلمي للقرآن الكريم، الذي ذكر حقائق في الكون، لم تكن البشرية تعلم عنها شيئاً، وبعد مرور عدة من القرون، وبعد تقدم أجهزة الكشف العلمي وقف العلماء على طرف من هذه الحقائق"(٣).

وقال أيضاً: "هذه مناكب دعاة الإسلام على اختلاف تخصصاتهم العلمية، تتزاحم لبيان هذه المعجزات العلمية، وبدأ عدد من كبار علماء الكون من غير المسلمين يتجهون إلى الميدان نفسه، فمنهم من أسلم، ومن شهد بحقيقة المعجزة العلمية"(٤).

وقـال أسـامة علي الخضر: "ومـع تقـدم الـزمن واكتسـاح الرؤيـة العلميـة للإنسـان المعاصر يقف القرآن شامخاً متحدياً يعلن عن معجزته العلمية"(٥).

وهذا الفعل منهم يجعل الإعجاز العلمي مطابقاً للمعجزة، وما يشترط فيها يشترط فيه، ولذا سأبين علاقة الإعجاز العلمي بشروط المعجزة الثلاثة السابقة، ومدى انطباقها عليه، وذلك على النحو التالي.



---

(١) موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.eajaz.org
(٢) الإعجاز التشريعي لنظام الميراث، د. أحمد يوسف شاهين ص٧.
(٣) كتاب توحيد الخالق ص١١٢، وانظر: القرآن يتحدى، محمود القاسم ص٢٦-٢٧، والإعجاز العلمي للقرآن الكريم في قصة أهل الكهف والرقيم، د. مجدي إبراهيم، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وجهود أهل السنة والجماعة في الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن، العيد حذيق ص١٨-٢٠.
(٤) أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٢٤١، وانظر: أضواء على بعض الأحداث الكونية بين القرآن والعلم، د. يحيى أبو الخير ص١١.
(٥) القرآن والكون ص٣٧٧.

**أولاً: الإعجاز العلمي وشرط خرق العادة:**

**خرق العادة غير متحقق في كثير من أمثلة الإعجاز العلمي، وبيان ذلك:**

١) أن معنىٰ خرق العادة أن يكون الشيء خارجاً عما ألفه الناس وتعودوه في حياتهم[١]، غير خاضع للسنن الكونية، والأسباب المادية والمقاييس البشرية، " وكل ما توصل إليه الإنسان بأي سبب من الأسباب العادية لا يعتبر من خرق العادة في شيء"[٢]، وما يُذكر في الإعجاز العلمي ليس هو كذلك إلا في بعض الأمثلة.

٢) أن الناس قد عرفوا واعتادوا أموراً علمية قبل نزول القرآن الكريم، والقول بالسبق فيها - بناءاً علىٰ تعريف الإعجاز العلمي - يحتاج إلىٰ دليل وإثبات، فإن الله تعالىٰ يذكر الآيات الكونية في سياق إثبات ربوبيته وألوهيته، دون أن ينفي سبق علم الناس بها.

وقد علم اضطراراً أن هذه القضايا الكونية مشتركة بين سائر البشر، ويتفاوت علمهم بها من زمن إلىٰ زمن، فدعوىٰ القول بأنها لم تكن معلومة نفي للعلم بها، ونفي العلم بالشيء لا يدل علىٰ عدم وجوده، خاصة من البشر الذين علمهم قاصر وناقص.

٣) أن خرق العادة في الإعجاز العلمي يعتمد عند بعضهم علىٰ إثبات وتقرير أن القرآن هو من عند الله تعالىٰ، بدليل ذكره للحقائق العلمية التي يعجز أن يأتي بها محمد ﷺ، أو يكون سبق علمه أو علم أحد بها قبل نزول القرآن، فكيف يكون ما يقرره البشر - بالتفصيلات العلمية الدقيقة التي لم ترد في القرآن - معجزاً، وينسب إعجازه إلىٰ القرآن؟![٣]

٤) أن جعل الإعجاز العلمي خارقاً للعادة - كما سبق في التعاريف - يخالفه الواقع، فإن العلوم المادية هي في مقدور البشر، ولا يزال الناس يترقون في تعلمها، واكتشاف أسرارها، جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، وما يتوقعه العلماء في مجالات العلوم أكثر مما جاء ذكره في القرآن الكريم، بل إن بعضها أعظم مما أشارت إليه الآيات القرآنية، فهل يصلح علىٰ هذا أن ينسب الإعجاز إلىٰ العلم بها، وفي مقدور البشر التوصل إلىٰ بعضه؟!

٥) أن جعل بعضهم الإعجاز العلمي خارقاً للعادة فيه خلط بين مصطلح المعجزة

---

(١) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفىٰ مسلم ص١٨-١٩، وخوارق العادات في القرآن الكريم، عبدالرحمن بن إبراهيم الحميضي ص٣٦، ودراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي ص٢٦٠-٢٦١.

(٢) خوارق العادات، عبدالرحمن الحميضي ص ١٨.

(٣) انظر: نظرات في الإعجاز القرآني والتحدي، د. عيسىٰ ناصر الدريبي ص٦٩.

ومصطلح الاختراع العلمي، وذلك أن ما يُكشف عنه من قضايا علمية يسمىٰ (اختراعـًا) أو (اكتشـافـًا)، ولا يطلـق عليـه المعجـزة؛ لأن المعجـزة خارقـة للعـادة، ولا تعتمـد علىٰ السنن الاعتيادية، بل تخرقهـا، وأمـا الاختراع العلمي فليس بخـارق للعـادة، وإنمـا هـو اكتشاف لناموس إلهي طبيعي، ذلك أن الاختراعات العلمية هي أمور مكتسبة يتوصل إليها، وتكتشف وتخترع بالتعلم والتجربة والممارسة، وهي مبنية علىٰ قواعد علمية، وسنن طبيعية لا تتبدل ولا تتغير، كمعرفة خصائص المادة[1].

وعليه فالقرآن الكريم جاء مخبراً بما أجراه الله علىٰ أيدي أنبيائه ورسله، لا موجداً له، حتىٰ يقال أن هذا إعجاز علمي.



**ثانياً: الإعجاز العلمي وشرط التحدي:**

صرح بعض أصحاب الإعجاز العلمي بأن التحدي حاصل به، ويتحقق عندهم من خلال الأوجه التالية:

**الوجه الأول:** عدم مصادمة حقائق الكون مع ما جاء في القرآن الكريم من حقائق، فهي مطابقة لها وموافقة، وهذا يعتبر تحدي، قال د. محمد صادق درويش: "وأما مطابقة الآيات الكونية للحقائق العلمية: فهي من وجوه الإعجاز أيضـًا، ويدل علىٰ هذا ما يأتي: وقع التحدي به في قوله تعالىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٣-٣٤]، وقوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]

فإن المثلية تشمل جوانب عدة: النظم البياني، والتشريع، والعلم كما قدمنا، ولا يضيرنا أن كان العرب في عصر نزول القرآن لا يدركون إعجاز هذا الوجه؛ لأن تلك الحقائق العلمية لم تكن مكتشفة في عصرهم، فإن التحدي ليس مخصوصـًا بالعرب زمن نزول القرآن، بل هو مستمر إلىٰ قيام الساعة، فلا بد أن تقوم الحجة علىٰ الناس بإعجازه في كل زمان ومكان، ويكفي لدخوله في قوله تعالىٰ: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾ ظهور إعجازه

(١) انظر: علاقة العلم التجريبي بمعجزات الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم، د. عبدالسلام بن صالح الجار الله ص١٤٩، ومقدمة في إعجاز القرآن العظيم، د. جمال محمود محمد الهوبي ص١٠-١١، وخوارق العادات في القرآن الكريم، عبدالرحمن إبراهيم الحميضي ص٧٣-٧٩.

عند تطور العلم، ولكن الله لم يتحد به في قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]؛ لأن الحديث عن أسرار الكون حقائق علمية وصدق، ولذلك كان معجزاً، ولم يطلب منهم أن يأتوا بما هو حقائق علمية وصدق.

وإذا كانوا قد عجزوا عن مثل نظمه وبيانه، فهم أشد عجزاً عن مثل معانيه ومضمونه.

ولم يتحد به في قوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]؛ لأن هذا التحدي شامل لجميع سور القرآن، فهو تحد بوجه مطرد في جميع سور القرآن، وليس كذلك الآيات الكونية فإنها في بعض السور دون بعض"[١].

**الوجه الثاني**: عدم وصول العلم إلى حقيقة أمر أخفى الله علمه عن البشر، مثل الروح، فقد ذكر محمد كامل عبدالصمد أن الدراسات التجريبية العميقة لم تتوصل إلى اكتشاف الروح ومعرفة أسرارها، وحل لغزها، حاموا حولها، وأكثروا من التأمل والتفكير في أمرها، لكنهم لم يصلوا إلى شيء يكشف عن جوهرها، ثم قال: "ولم يجدوا خيراً مما قاله في القرآن الكريم: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] وهنا تتجلى لنا عظمة الإعجاز العلمي، وتحديه لجميع البحوث والدراسات العلمية"[٢].

**الوجه الثالث**: عدم الإتيان بمثل القرآن في أسلوبه ومضمونه وغيوبه.

قال د. محمد حسن هيتو: "إن التحدي بالقرآن، لم يكن أبداً بالموضوع اللغوي فقط، بل كان بكل ما في القرآن، من إعجاز لغوي، وغيبي، وعلمي، وغير ذلك.

وعلى افتراض أن بعض العرب كان قادراً على الإتيان بما يشبه القرآن في أسلوبه، فأنى له بل لكل من في الأرض من إنس وجن، أن يأتوا بمثل القرآن في غيوبه وعلومه"[٣].

**الوجه الرابع**: إخبار القرآن عن قضايا علمية وكونية، لم يكن للبشر علم بها منذ وجود البشر على الأرض حتى قبيل اكتشافها[٤]، فـ" مناط التحدي هنا هو الإخبار بهذا

---

(١) إعجاز القرآن الكريم ص٢١٧-٢١٨، وانظر: ص٧٦٦-٧٦٧، والمعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو ص٨٦، ومناهج المفسرين من النشأة إلى ما قبل العصر الحديث، د. رمضان يخلف ص٩٨-١٠٠، وموسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ٦٦.

(٢) الإعجاز العلمي في الإسلام ص٣٤٧-٣٤٨.

(٣) المعجزة القرآنية ص٨٧.

(٤) انظر: القرآن يتحدى، محمود القاسم ص٢٦-٢٧، وإعجاز القرآن الكريم، د. محمد صادق درويش ص٧٦٣، والمعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو ص١٥٦-١٦٠، ومقال: ما هو المقصود بالإعجاز العلمي، نشرة الحقيقة، =

المغيب الذي يستحيل إدراكه أيام تنزل الوحي، أو ما قبل ذلك"، فالأسبقية الزمنية هي سر الإعجاز العلمي[1]، قال الشيخ عبدالمجيد الزنداني: "إن معجزات وبينات رسالة محمد ﷺ كثيرة ومتنوعة ودائمة؛ لأنه خاتم الرسل والأنبياء، ومن بينات رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ما ظهر من إعجاز جديد للكتاب الذي جاء به ﷺ من عند الله، وذلك الإعجاز هو السبق العلمي للقرآن الكريم الذي ذكر حقائق في الكون لم تكن البشرية تعلم عنها شيئاً، وبعد مرور عدة من القرون، وبعد تقدم أجهزة الكشف العلمي وقف العلماء على طرف من هذه الحقائق"[2].

وقال د. محمد صادق درويش: "في الآيات التي تضمنت الحديث عن أسرار الكون ما يشير إلى التحدي مثل قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]

بين الله أنه سخر ما في الكون للإنسان، وهذا بخلاف ما كانوا يعتقدونه من ألوهية هذه المخلوقات وعبودية الإنسان لها ولذلك عبدوها، وجاء العلم فكشف دقة الآية، خصوصاً كلمة (سخر)، التي تصف غاية خضوع ما في الكون لنفع الإنسان، وبهذا ظهر إعجازها، وقد نبه الله على أنها من دلائل قدرته، ويتضمن هذا التنبيه أيضاً إشارة إلى أنه من إعجاز القرآن، إذ ختم بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾، وخص العقلاء من بين الناس بأنهم هم الذين يدركون ذلك.

فلما كان التحدي بهذا الوجه واقعاً في القرآن، وكان القرآن قد وصف بعض الحقائق العلمية وصفاً دقيقاً في زمن لم يكن الناس على علم بها، بل لم يكن العلم بها ممكناً؛ لأنه يتوقف على ثقافة عالية، وتجارب دقيقة، ثم أكدت الاكتشافات العلمية الحديثة دقته،

---

= العدد ١٨ ربيع أول ١٤٣٢هـ ومن لطائف الإعجاز العلمي في قصة السيدة مريم، د. روعة حسن سلطان، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص١٠، ودقائق مبهرة في قصة الخلق، د. مصطفى عبدالمنعم، من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٢٤٨، ٢٦٧، والبصمات إعجاز وتحدي، عقيد عبدالله محمد اليوسف، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٥، وإشارات التباين البشري في القرآن الكريم، د. مبارك محمد المجذوب، من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص١٢٥، والمنهج القرآني في الإعجاز العلمي، د. رعد شمس الدين الكيلاني، مجلة ديالي، العدد ٢٨.

(١) نشرة الحقيقة، العدد ٢١، ذو القعدة ١٤٣٢هـ ص٦.

(٢) كتاب توحيد الخالق ص١١٢.

دل ذلك على أن هذا القرآن وحي يوحى، وأن محمداً ﷺ رسول الله حقاً، ولذا عده العلماء في وجوه الإعجاز، ووجدنا عملهم صواباً فتابعناهم عليه"(١)، وقال في موضع آخر: "وبناء على هذا سندرجه في وجوه الإعجاز بالمضمون"(٢).

وقال د. دسوقي أحمد عبدالحليم: "ومفهوم الإعجاز هنا لا يتجلى فقط في الحقيقة أو المسألة العلمية في حد ذاتها، بل يتجلى بالأسبقية الزمنية في تصوير حقائق الأشياء، فالأسبقية الزمنية هي سر الإعجاز العلمي، والذي يتمثل بملاحظة ما احتوى عليه هذا النص من معان يتعذر صدورها عن بشر زمن نزول القرآن؛ لأنها تكشف عن واقع لم تكن العقول البشرية قد نضجت لتقف عليه، وعدم وقوف معاصري القرآن على ذلك هو يدل على جانب الإعجاز فيه.

وبهذا يفهم سر التحدي للإنس والجن بأن يأتوا بمثله، إذ إنهم ما تقدموا خطوة إلا وكان القرآن متضمناً لها، داعياً إلى تجاوزها إلى غيرها"(٣).

وقال د. محمد السقا عيد: "إثبات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عصر التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه، هو من مواقف التحدي للناس كافة – مسلمين وغير مسلمين – بأن كتاباً أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبي أمي، وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا الكتاب يحوي من حقائق الكون وسننه مالم يتوصل إليه الإنسان إلا بعد مجاهدات طويلة، قام بها عشرات الآلاف من العلماء عبر تاريخ البشرية الطويل، وتركز في القرون القليلة المتأخرة بصفة خاصة"(٤).

وقال د. زغلول النجار: "وهذا الموقف المتحدي، لا يجوز أن يوظف فيه إلا الحقائق العلمية القاطعة، التي حسمها العلم ولم تعد مجالاً للخلاف؛ لأنه إذا وظفت فيه الفروض والنظريات، وهي عرضة للتغير والتبديل، انهارت القضية وبطل التحدي، بل انقلب على صاحبه، وعلى القضية التي استخدمه من أجل الانتصار لها"(٥).

---

(١) إعجاز القرآن الكريم ص٧٦٨-٧٦٩.
(٢) المرجع السابق ص٢٢٠.
(٣) معجزة الماء إشارات قرآنية ودلالات علمية ص١٠.
(٤) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ص٩، وانظر: مقال: الإعجاز العلمي لغة الدعوة في عصر العلم، د. زغلول النجار، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي www.eajaz.org
(٥) مقال: الإعجاز العلمي لغة الدعوة في عصر العلم، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي www.eajaz.org

**تعقيب:**

ما ذكره أصحاب الإعجاز العلمي من أوجه التحدي في الإعجاز العلمي لا يوافقون عليه، ويتبين ذلك بعد تحرير القول في مقدمتين:

**المقدمة الأولى:** هل التحدي بالإتيان بمثل القرآن في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣] كان شاملاً لجميع أوجه الإعجاز التي يذكرها العلماء، أم هو خاص بالوجه البياني فقط؟ اختلف في هذه المسألة على قولين:

**القـول الأول:** أن المـراد بالتحـدي مماثلـة القـرآن في فصـاحته وبلاغتـه، وفي معانيـه وعلومه كذلك، وقال بهذا جمهور العلماء[1].

**القول الثاني:** أن المراد بالتحدي مماثلة القرآن في فصاحته وبلاغته ونظمه، وليس في معانيه وعلومه، وقال بهذا جمع من العلماء والباحثين[2].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٣٠٣، والبداية والنهاية، ابن كثير ٨/ ٥٤٧، وبيان إعجاز القرآن، الخطابي ص٢٧، وزاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ٧٣، ومعالم التنزيل، البغوي ٤/ ١٦٥، ومدارج السالكين، ابن القيم ٤/ ٤٣٥، والبرهان في علوم القرآن، الزركشي ٢/ ٩٧، والتحرير والتنوير، ابن عاشور١١/ ٣٤١-٣٥١، وإعجاز القرآن عند ابن عاشور، د. محمود البعداني ص١٢٦، والتحدي في آيات الإعجاز، د. قحطان الدوري ص٣٤، والقول في بيان إعجاز القرآن ص٢٧، والمعجزة القرآنية، د. محمد هيتو ص٥٢-٥٣، والقرآن والكون، أسامة الخضر ص٧٩٦، وإعجاز القرآن عند ابن القيم، حسن العوفي ص١٤٠- ١٤٩، والقرآن والمبشرون، محمد دروزه ص٣٣١-٣٣٢، ومحمد عزة دروزه وتفسير القرآن الكريم، د. فريد سليمان ص٤٠٤-٤٠٩، والضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، د. راشد شهوان ص١٢١-١٢٢

(٢) انظر: حجج النبوة، الجاحظ ٣/ ٢٧٧، والرسالة الشافية، الجرجاني ص١٥٠، وجامع البيان، الطبري ١/ ٣٩٧، ومعالم التنزيل، البغوي ٤/ ١٦٥، وإعجاز القرآن، الباقلاني ص٣١، ودلائل الإعجاز، الجرجاني ص٢٥٧، ومفاتيح الغيب، الرازي ١٧/ ١٩٥، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٧/ ٢٥٠-٢٥١، والكشاف، الزمخشري ٣/ ١٨٧، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ١٢/ ٢٠، وروح المعاني، الألوسي ١٢/ ٢٠ ومباحث في علوم القرآن، د. مناع القطان ص٢٦٩، وإعجاز القرآن عند ابن القيم، حسن العوفي ص١٤٠- ١٤٩، وإعجاز القرآن البياني ص١٠٦، =

والذي يترجح هو القول الثاني، ومما يدل على ذلك ما يلي:

١) أنه جاء في سورة هود تقييد طلب السور المماثلة بقوله (مفتريات)، ولم يرد نظير هذا القيد الإضافي في سورة يونس، على الرغم من التشابه في السياق، والافتراء هو الكذب، وهل الكذب إلا مخالفة الخبر للواقع، إذ المطلوب منهم عشر سور لا تحتوي على معان وأخبار وعلوم تطابق الواقع، فهل خلاف الحق والواقع في ذلك يعقل أن يعد مماثلاً لما في القرآن؟[1].

٢) أن الفصاحة والبيان واقع في كل آية وسورة من القرآن، أما المعاني فلم تكن في كل آية منه[2].

٣) أن المعاني أمر مشترك، يستوي فيه الخاصة والعامة، فلا يصلح أن تكون محلاً للتحدي[3].

٤) أن التحدي وقع بما يملك العرب أداته وهو الفصاحة والبيان، ولذلك طالبهم الله تعالى أن يأتوا بمثله، أما ما لا يملكون أداته فكيف يتحدى به الإنسان؟

فلم يطلب الله من الكفار أن يأتوا بعلم كالعلم الذي في القرآن، ولا بغيب كالغيب الذي في القرآن، ولا بتشريع كالذي في القرآن[4].

٥) أن آيات التحدي نفسها توضح مقصود وجه الإعجاز، وأنه من قبل صنعة اللغة وفنونها، حيث يعبر عن ذلك بلفظي (سورة) و (حديث) المفيدين للكلام، والسورة:

---

= والبيان في إعجاز القرآن ص٦٥-٦٧، كلاهما للدكتور صلاح الخالدي، وإعجاز القرآن، الرافعي ص١٧٠، ومناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني ١/ ٣٣٧، ٣٥٠، والنبأ العظيم، د. عبدالله دراز ص٧٩، ومباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح ص٣٢٠-٣٢١، ودراسات في الإعجاز العددي، مصطفى الكندي ص١١٢-١١٨، ومقدمة محمود شاكر لكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ص١٦-٢٠، ومباحث الإعجاز البلاغي للقرآن في كتب دلائل النبوة، منصور السحيباني ص٧٩-٨١، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، د. سعود العريفي ص٥٣٠، والتفسير العلمي في الميزان، د. أحمد أبو حجر ص١٣١، وعلوم القرآن عند الإمام الشاطبي، د. مساعد الطيار ص٢٦٧، وآيات التحدي في القرآن الكريم، د. عبدالعزيز العمار.

(١) انظر: المعجزة الخالدة، د. علي الصلابي ص١١٨، ومباحث الإعجاز البلاغي للقرآن في كتب دلائل النبوة، منصور عمر السحيباني ص٨٠-٨١.

(٢) انظر: إعجاز القرآن عند ابن القيم، حسن العوفي ص١٤٤، وختم الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنى بين إعجاز المعنى وروعة البيان، فاروق برحال ص٢٧.

(٣) انظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني ص٢٥٥، وإعجاز القرآن عند ابن عاشور، د. محمود البعداني ص١٢٧.

(٤) انظر: علوم القرآن عند الإمام الشاطبي، د. مساعد الطيار ص٢٦٧، وإعجاز القرآن البياني، د. صلاح الخالدي ص١١٠، وختم الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنى، فاروق برحال ص٢٧، وبين مفهوم المعجزة وإعجاز القرآن، د. عدنان زرزور ص١٨-٢٢، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان، د. أحمد أبو حجر ص١١٢.

طائفة مستقلة من الآيات ذات مطلع ومقطع، مؤلفة من جملة كلمات وحروف، وهي مأخوذة من سور المدينة، لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة، وآية بجانب آية، كالسور توضع كل لبنة فيه بجانب لبنة، ويقام كل صف منه على صف[(١)].

فثبت أن المطلوب من التحدي بالسورة هو الإتيان بجملة من الكلام، على صفة هذا القرآن في الفصاحة وحسن النظم والبلاغة.

**المقدمة الثانية**: ينبغي التفريق بين أمرين: وجه الإعجاز الذي تحدى الله به المشركين المكذبين وهو الوجه البياني، ووجوه الإعجاز الأخرى، التي هي دلالات على كون القرآن من عند الله تعالى.

**فالوجه الأول**: وقع به التحدي، ولم يستطع أحد من العرب -وهم أهل الفصاحة- أن يأتوا بمثل القرآن، فلما انقضى عصرهم، فغيرهم في كل جيل من باب أولى أن لا يقدر على الإتيان بمثل القرآن؛ لأنه لم يأت أحد بعد العرب يكون أفصح منهم لغة، وهذا هو الذي يؤدي إليه العقل لا محالة[(٢)].

قال الطاهر بن عاشور ﷺ: "فإن قلت: ثبت بهذا أن القرآن معجز للعرب، وبذلك ثبت لديهم أنه معجزة، وثبت لديهم به صدق الرسول، ولكن لم يثبت ذلك لمن ليس مثلهم فما هي المعجزة لغيرهم؟، قلت: إن ثبوت الإعجاز لا يستلزم مساواة الناس في طريق الثبوت، فإنه إذا أعجز العرب ثبت أنه خارق للعادة...فيكون الإعجاز للعرب بالبداهة، ولمن جاء بعدهم بالاستدلال والبرهان، وهما طريقان لحصول العلم"[(٣)].

**وأما وجوه الإعجاز الأخرى**: فلم يتحد الله بها العرب، بل غاية ما تدل عليه أن هذا القرآن، وحي من عند الله تعالى، وليس لبشر مثل محمد ﷺ أن يأتي بمثله[(٤)].

"والخلط بين هاتين الحقيقتين، وإهمال الفصل بينهما في التطبيق والنظر وفي دراسة إعجاز القرآن قد أفضى إلى تخليط شديد في الدراسة قديماً وحديثاً"[(٥)].

---

(١) انظر: مناهل العرفان، الزرقاني ١/ ٣٣٧، ٣٥٠.

(٢) انظر: علوم القرآن عند الإمام الشاطبي، د. مساعد الطيار ص٢٦٧، واتجاهات التفسير في العصر الراهن، د. عبدالمجيد المحتسب ص٣١٦.

(٣) التحرير والتنوير ١/ ٣٤٩.

(٤) انظر: نظرات في الإعجاز القرآني والتحدي، د. عيسى بن ناصر الدريبي ص١٠٢، ومباحث الإعجاز البلاغي للقرآن في كتب دلائل النبوة، منصور عمر السحيباني ص٦٤-٦٦.

(٥) من مقدمة الشيخ محمود شاكر لكتاب (الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي) ص٢٦.

وقد قرر ذلك الإمام السخاوي(١) ﷺ فقال في كلام يبين فيه حقيقة الفرق بين القول أن هناك أوجه إعجاز للقرآن، وبين دلالات تدل على أن القرآن هو من عند الله تعالى: "لاريب في عجز البلغاء، وقصور الفصحاء عن معارضة القرآن العظيم، وعن الإتيان بسورة من مثله في حديث الزمان والقديم، وذلك ظاهر مكشوف ومتيقن معروف، لا سيما القوم الذين تحداهم رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا ذوي حرص على تكذيبه، والرد عليه، وحالهم معه معروفة في معاداته ومعاندته، وإظهار بغضه وأذاه، وقذفه بالجنون والشعر والسحر، فكيف يترك من هذه حاله معارضته وهو قادر عليها، ومماثلته وهو واصل إليها، هذا وهو ينادي عليهم بقوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وأما ما تضمنه القرآن العزيز من الإخبار عن المغيب، فليس ذلك مما تحداهم به، ولكنه دليل على صدق الرسول ﷺ، وأنه كلام علام الغيوب، وكذلك أيضا دلالة حال الرسول ﷺ في كونه أمياً لا معرفة له، ولا يحسن أن يقرأ، ولا وقف على شيء من أخبار الأمم السابقة، حتى إنه لا يقول الشعر ولا ينظر في الكتب، ثم إنه قد أتى بأخبار القرون الماضية، والأمم الخالية، وبما كان من أول خلق الأرض والسماء إلى انقضاء الدنيا، وهم يعلمون ذلك من حاله، ولا يشكون فيه، فهذه الحال دليل قاطع بصدقه ﷺ.

ولكن إعجاز القرآن من قِبل أنه خارج في بديع نظمه، وغرابة أساليبه عن معهود كلام البشر، مختص بنمط غريب لا يشبه شيئاً من القول في الرصف والترتيب، لا هو من قبيل الشعر، ولا من ضروب الخطب والسجع، يعلم من قائله أنه خارج عن المألوف، مباين للمعروف، فتناسب في البلاغة، متشابه في البراعة، بريء من التكلف، منزه عن التصنع والتعسف"(٢).

وقال أيضاً مؤكداً هذا المعنى: "فإن قيل: فهل في إقامته البراهين، وإيراد الدلائل على الوحدانية بذكر السموات والأرض، وتصريف الرياح والسحاب، وبأنه لو كان فيهما إله آخر لفسدتا، وعلى البعث بإنزال الماء، وإحياء الأرض بعد موتها، وبالنشأة الأولى إلى غير ذلك إعجاز؟

---

(١) هو: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري السخاوي الشافعي، أبو الحسن، عالم بالقراءات والأصول واللغة والتفسير، أصله من صخا (بمصر)، ولد عام ٥٥٨ هـ سكن دمشق، وتوفي فيها عام ٦٤٣ هـ ودفن بقاسيون. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ٢٣/ ١٢٣، والبداية والنهاية، ابن كثير ١٧/ ٢٨٥.

(٢) جمال القراء وكمال الإقراء ص ١٠١-١٠٢.

**قلت:** الإعجاز من جهة إيراد هـذه الحجج في الأسـاليب العجيبـة، والبلاغـة الفائقـة، فهو راجع إلىٰ ما قدمناه من نظم القرآن وإعجازه، وأما كونها براهين قاطعة فهو دليل علىٰ صدق النبي ﷺ؛ لأنه لم يكن من أهل هذا، ولا قومه، ولا يعرف شيئًا منه"(١)

وقد أشار محمد أبو زهرة(٢) إلىٰ هـذا وهـو يعلـق علىٰ الوجـوه الكثيـرة التـي يـذكرها الدارسون في بيان إعجاز القرآن: "إنَّ بعض هذه الوجـوه تحـدَّىٰ بهـا القـرآن الكـريم، فقـد تحداهم الله تعالىٰ أن يأتوا بمثله ولو عشر سور مفتريات، والوجوه الأخرىٰ لـم يتحـدَّ بهـا القرآن الكريم، وإن كانت من عند الله تعالىٰ العليم الحكيم، مثل: إخباره عـن أمـور مغيبـة في المستقبل، ثم وقوعها كما أخبر الله ﷻ في كتابه، وإخباره عن الأمـم السـابقة، وإخبـاره عن شأن عبد الله الصالح مع موسىٰ نبي الله تعالىٰ - عليه وعلىٰ نبينـا أفضـل الصـلاة وأتـمّ التسليم- ومثل قصة أهل الكهف، وذي القرنين، فذكر هذا في القرآن الذي نزل علىٰ أميٍّ لا يقرأ ولا يكتب، ولـم يجلس إلىٰ معلم، دليل علىٰ أنَّه من عند الله ﷻ.

ومن هذه الأحكام الشرعية التي اشتمل عليها القرآن، فإنَّها لا يمكن أن تكون من عند محمد ﷺ، بل هي من عند الله...ولكن نـرىٰ أنَّ الله تعـالىٰ تحـدَّىٰ العـرب أن يـأتوا بمثلـه ولو مفترىٰ، فكان التحدي للعرب ابتداءً بالمنهج البياني للقرآن"(٣)

وتجلي د. عائشة بنت الشاطيء هذه المسألة، وتزيدها إيضاحـًا بقولهـا: "وتلقانـا هنـا أيضـًا، في قضية التحدي والمعاجزة، مسألة بالغة الدقة، لما داخلها من التباس، وهي:

**هل كان التحدي موجهاً إلى العرب في عصر المبعث، أو إنـه قـائم أبـداً علـى امتـداد الزمان؟**

ذهـب فريـق ممـن كتبـوا في الإعجـاز إلىٰ (اختصـاص أهـل العصـر الأول بالتحـدي) وذهب آخرون إلىٰ أنه (تحد لسائر الناس علىٰ مر العصور والأجيـال)(٤)، وتـردد بعضـهم

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) هو: محمد بن أحمد بن مصطفىٰ بن أحمد المعروف بـأبي زهرة، ولد بمصر عام ١٣١٥هـ وتربىٰ بالجامع الأحمدي، وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي، وتولىٰ تدريس العلوم الشرعية والعربية، وتوفي بالقاهرة عام ١٣٩٤هـ. انظر: الأعلام، الزركلي ٦/ ٢٦، ومقدمة زهرة التفاسير، أبو زهرة ١/ ٣-١١.

(٣) المعجزة الكبرىٰ القرآن ص٩٤-٩٥.

(٤) انظر: التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم، منىٰ الشافعي ص٢٣٩، ومباحث الإعجاز البلاغي للقرآن في كتب دلائل النبوة، منصور عمر السحياني ص٦١-٦٢، والقرآن يتحدىٰ، محمود القاسم ص١٢٠، والمدخل الوجيز، د. محمد أحمد غازي ص١٩، والمدخل إلىٰ علوم القرآن الكريم، محمد النبهان ص٢٢١.

بين بين، ذهبوا مرة إلىٰ القول الأول، ثم انساقوا إلىٰ القول الثاني من حيث يدرون أو لا يدرون، وقد أرىٰ أن الخلاف في هذه المسألة الدقيقة يحسمه أن نفرق بين الإعجاز والتحدي:

الإعجاز قائم في كل عصر، لا يختص به أهل زمان دون زمان، وهذا هو ما نفهمه من كلام الإمام الطبري عما أيد الله به المصطفىٰ من معجزة: (علىٰ الأيام باقية، وعلىٰ الدهور والأزمان ثابتة، وعلىٰ مر الشهور والسنين دائمة)[1].

فالحديث هنا عن المعجزة، لا عن التحدي... فإن لم يكن للعرب في عصر المبعث وجه اختصاصٍ بالتحدي، فلأنهم أصحاب هذا اللسان العربي يدركون أسرار بيانه.

فمناط التحدي إذن، هو عجز بلغاء العرب في عصر المبعث عن معارضة هذا القرآن دون أن يُفهم من هذا أن حجة إعجازه خاصة بعصر دون عصر، أو علىٰ العرب دون العجم.

وكان الخلط بين ما في ثبوت عجز المشركين من العرب عن الإتيان بسورة من مثله، من حسم لموقف التحدي، وبين خلود المعجزة وبقاء الحجة بها ثابتة علىٰ مر الدهور، هو مدعاة الالتباس في القضية وطول الجدل فيها...

وما من شك في أن عجز البلغاء من العصر الأول عن معارضة القرآن، وفيهم أصل الفصاحة برهان قاطع في قضية التحدي، فحين نقول إنها حسمت في عصر المبعث، فلا يمكن بحال ما أن يحمل القول علىٰ مظنة اختصاص إعجازه بعصر المبعث دون سائر الأعصار، وإنما معناه أن من هم أصل العربية لغة القرآن، هم الذين يُفترض أن يواجَهوا بالتحدي، لما يملكون من أسرار لغتهم التي نزل بها الكتاب العربي المبين. فاختصاصهم بالتحدي جاء من كونهم أهل الاختصاص بالعربية لغة القرآن، وقد حسمها عجزهم عن أن يأتوا بسورة من مثله، والمعجزة (علىٰ الأيام باقية وعلىٰ الدهور والأزمان ثابتة) كما قال الإمام الطبري في مقدمة تفسيره"[2].

---

(١) جامع البيان ١/ ٥.

(٢) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ص٧٤-٧٨، وانظر: الجواب الصحيح، ابن تيمية ٥/ ٤٢٢-٤٢٨، ٤٣٣-٤٣٥، وبدائع الفوائد، ابن القيم ٤/ ١٣٦، وإعجاز القرآن عند ابن القيم، حسن العوفي ص١٤٠- ١٤٩، وإعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. محمد العواجي ص١٤٦-١٥١، وعلوم القرآن بين البرهان والإتقان، حازم حيدر ص٢٧٧-٢٨٨، ودراسات في الإعجاز العددي، مصطفىٰ الكندي ص١١٧، ودراسات الإعجاز البياني بين القدماء والمحدثين، د. هناء الربيعي ص١٢٧٣، وإعجاز القرآن البياني، =

والذي أوجب الخلط بين الأمرين هو "أن مصطلح (إعجاز القرآن) الذي وقع فيه إجمال، فقد يطلق على التحدي الذي وجهه الله تعالىٰ في القرآن إلىٰ المكذبين من قريش والعرب، وهذه دون شك محصور في الناحية اللفظية البيانية، إذ هي القدر المشترك بين سائر آيات القرآن وسوره...كما يطلق (إعجاز القرآن) علىٰ وجوه دلالته علىٰ النبوة المحمدية، من حيث أنه حوىٰ معاني يعجز عنها محمد وغيره من الإنس والجن، وفي بيان هذه المعاني توسع العلماء وأطنبوا، وذكروها علىٰ أنها أنواع لإعجاز القرآن، وجعلوها شرحاً وبياناً لآيات التحدي، مع أنها... لا تلازم بينها وبين إثبات أن القرآن الكريم كلام الله حتىٰ تجعل دليلاً عليه، إذ يمكن أن يوحي الله تعالىٰ هذه المعاني إلىٰ نبيه فيبينها للناس بكلامه هو، وبلفظه هو، أو أنها يكون من كلام الله تعالىٰ لكن دونما إعجاز بياني، كما هو شأن الأحاديث القدسية، وكما هو شأن التوراة والإنجيل، وحينئذ تكون دلالتها علىٰ النبوة من جهة الهداية...فلا اختصاص للقرآن حينئذ بهذا النوع من الإعجاز من بين الكتب الإلهية"[1].

ولذلك صرح بعض المشتغلين بالإعجاز العلمي بالفرق بين لفظ (الإعجاز) ولفظ (المعجزة)، فقالوا: **المعجزة هي**: الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي السالم عن المعارضة، يظهره الله علىٰ يد حامل النبوة عند تحدي المنكرين، علىٰ وجه يعجز المنكرون عن الإتيان بمثله، **وأما الإعجاز فهو**: إثبات عجز الخلق عن معارضة القرآن وإظهار قدرة المعجز (وهو الله تعالىٰ)[2]، ورأىٰ بعض الباحثين أن وصف (الإعجاز) مختص بالوجه البياني، وأما بقية الأوجه فهي دلائل، أو خصائص، أو فضائل، أو أنواع، ولا يطلقون عليها لفظ (الإعجاز)[3].

---

= د. صلاح الخالدي ص٦٨-٨٠، ١٠٩-١١٨، والمعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو ص٧٥، والتفسير العلمي في الميزان، د. أحمد أبو حجر ص١٣١-١٣٢، وعطاء الإسلام الحضاري، أنور الجندي ص٤٥-٤٨.

(١) الأدلة العقلية النقلية علىٰ أصول الاعتقاد، د. سعود العريفي ص٥٣١-٥٣٢، وانظر: إعجاز القرآن البياني، د. صلاح الخالدي ص١٠٩-١١٨، ونظرات في الإعجاز القرآني والتحدي، د. عيسىٰ الدربي ص٦٩، ومدخل الدراسات القرآنية، د. السائح علي ص١٨٠، وجهود أهل السنة في الإعجاز اللغوي البياني للقرآن الكريم، العيد حذيق ص٢٠-٢١.

(٢) انظر: مجالات الإعجاز في القرآن الكريم، د. محمد أرناؤوط ص٦٢، وإعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، كريم الأغر ص٥٧٢.

(٣) انظر: نظرات في الإعجاز القرآني والتحدي، د. عيسىٰ الدريبي ص ٦٩، وإعجاز القرآن البياني، د. صلاح الخالدي ص١٠٩، والإعجاز العلمي إلىٰ أين، د. مساعد الطيار ص١٣.

**وبعد تقرير ما سبق يتبين مايلي:**

١- أن الإعجاز العلمي "لم يكن من وجوه الإعجاز الظاهرة التي أعجزت العرب في عصر النبوة، وذلك لأن وقوف الناس علىٰ ما في هذه المعاني من الحكمة الباهرة التي يعجز عنها البشر، كان متراخياً عن زمن التحدي...ولكن ذلك يعطي الدليل المستمر علىٰ صدق النبي ﷺ، وأن هذا القرآن من عند الله تعالىٰ"[(١)].

قال د. سعود بن عبدالعزيز العريفي: "الإعجاز مقرون بالتحدي وذلك أن المتحدي يحدو خصمه لمعارضته والإتيان بمثل ما أتىٰ به، فيعجز الخصم عن ذلك، فيسمىٰ هذا الظفر إعجازاً، وذلك ما لا أراه مطابقاً لدلالة ما في القرآن من أنباء الغيب المستقبلية، ومنها ما يدعىٰ من الإشارات إلىٰ المكتشفات العلمية المسماة الإعجاز العلمي؛ وذلك أن التحدي غير وارد فيها بل غير سائغ؛ فإن التحدي إنما يكون علىٰ دلالة ناجزة لا موعودة، وإذا كانت موعودة فلا بد أن تكون قريبة الأمد، لا أن تكون بعد هلاك أطراف التحدي بعهود، ومثال الناجزة: التحدي البياني، ومثال الموعودة قريبة الأمد: تحدي أبي بكر الصديق ﷺ المشركين[(٢)] بقوله تعالىٰ: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الروم: ٢-٤]

ومثال بعيدة الأمد حديث: "لا تقوم الساعة حتىٰ تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرىٰ"[(٣)]، وحديث الذباب[(٤)]. فمثل هذه لا يجري التحدي بها؛ إذ هي حين التحدث بها نبوة، لا من دلائل النبوة، وإنما تنضم إلىٰ الدلائل بعد وقوعها مطابقة للخبر السابق، فكيف يتحدىٰ بها؟.

وما يُذكر من دلالة المكتشفات العلمية علىٰ النبوة هو من هذا الباب، فكيف يسمىٰ إعجازاً وليس ثمة تحد؟!.

---

(١) مناهج العلماء في دراسة إعجاز القرآن، د. غانم قدوري، مجلة الحكمة، العدد ١٨ صفر ١٤٢٠هـ ص٤٥٥، وانظر: الإعجاز في دراسات السابقين، د. عبدالكريم الخطيب ١/ ٣٣٥، وخوارق العادات في القرآن الكريم، عبدالرحمن الحميضي ص٣٦.

(٢) انظر: سنن الترمذي ٥/ ٣٤٣ (٣١٩٣).

(٣) رواه البخاري ٩/ ٥٨ (٦٧٠١)، ومسلم ٤/ ٢٢٢٧ (٢٩٠٢).

(٤) رواه البخاري ٤/ ١٣٠ (٣٣٢٠)، ٧/ ١٤٠ (٥٧٨٢).



أما إن كان التحدي والإعجاز جارياً في مجرد الوصول إلىٰ هذه الحقائق العلمية ومعارضة القرآن بها علىٰ طريقة التحدي البياني لفصحاء العرب قديماً، فلن يعجز المكتشفون عن أن يقولوا عند ذاك: ها نحن قد وصلنا إليها من غير طريق النبوة، بل بجهد سواعدنا وذكاء عقولنا، ولم نعجز عن ذلك، وحسبنا أن النبوة تأيدت بموافقتها لنا، فنحن أولىٰ بالفَلج والظفر عند التحدي، فما هو الجواب حينئذ؟

لذا ينبغي التنبه إلىٰ أن مفهوم الدلالة أوسع وأعم من مفهوم التحدي، فما كل دليل متحدىٰ به، ولا يلزم من دلالة شيء علىٰ النبوة أن يكون معجزاً، بل يكفي أن يكون ملازماً لمدلوله، سواء كان معجزاً أو غير معجز"[١].

٢- أن الله تعالىٰ لم يتحد العرب أو جيل التنزيل - بوصفهم أول من اتجه إليهم التحدي - أو غيرهم بما في القرآن من علوم كونية أو طبيعية، في باب النبات، أو الطب، أو الفلك، أو الكيمياء، أو الفيزياء، أو غيرها، وإنما جاءت في سياق الاستدلال علىٰ وحدانية الله تعالىٰ وإثبات استحقاقه للعبادة، لا في سياق التحدي[٢]

قال د. عدنان محمد زرزور: "لم نجد تحدياً بآيات تحدثت عن الجنين، أو عن الفلك، أو عن النبات..أو بآيات تناولت أي موضوع من هذه الموضوعات، الأمر الذي يدل علىٰ خروج المعارف العلمية التي دارت حولها هذه الموضوعات وسائر موضوعات القرآن من نطاق الإعجاز، والله تعالىٰ أعلم"[٣].

وقال د. كارم السيد غنيم: "إن العلم التفصيلي بها [أي الآيات الكونية] ليس من مقاصد الوحي الذاتية، وإنما هو من العلوم التي يصل إليها البشر بكسبهم وبحوثهم، وإنما الوحي مرشد لهم إلىٰ كل ذلك"[٤]

٣- أن الإعجاز العلمي لا يتحقق في كل سورة من سور القرآن، "إذ ليست كل آية من آياته، ولا كل سورة من سوره، بمشتملة علىٰ هذا النوع من الإعجاز، ولذلك فهو إعجاز حاصل من القرآن، وغير حاصل به التحدي إلا إشارة"[٥].

---

(١) منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية علىٰ النبوة والربوبية ص٤٥-٤٧.

(٢) انظر: الإعجاز التشريعي والعلمي في آيات الطعام والشراب في سورتي المائدة والأنعام، كريمة أبو شام ص٣٩.

(٣) علوم القرآن وإعجازه، د. عدنان محمد زرزور ص٣٩٥.

(٤) الآيات الكونية في القرآن الكريم ص٤٥.

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١/ ١٢٧-١٢٩، وانظر: الإعجاز العلمي إلىٰ أين؟ ، د. مساعد الطيار ص ١٨٤.

وقال د. عبدالعظيم إبراهيم المطعني: "وصلة هذه الإشارة العلمية بالإعجاز القرآني ظاهرة، ولكنها ليست الإعجاز الذي تحدىٰ الله به العرب"[١].

وقال د. أحمد أبو حجر: "إن الإعجاز باعتباره مقروناً بالتحدي لا يتحقق علىٰ وجهه الأكمل إلا في الإعجاز البياني؛ لأنه هو الذي يتأتىٰ وجوده في كل سورة من سور القرآن.

أما الإعجاز العلمي وغيره من الأوجه الأخرىٰ التي ذهب إليها العلماء، فليست بالأمر العام الموجود في كل سورة، وقد جعل الله سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها، لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها فقال: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨] من غير تعيين سورة بذاتها، فدل ذلك علىٰ ما ذكرنا"[٢].

٤- أن كثيراً من المسلمين، بل والمشركين جاهلون بكثير من القضايا الكونية التفصيلية، ولا يعلمها منهم إلا قلة من المتخصصين، والذين أسلموا بسبب الإعجاز العلمي هم من العلماء المتخصصين في علوم دقيقة، فكيف يقع التحدي بما لا يعرفه أكثر الناس؟!.

٥- أن القول بالتحدي في الإعجاز العلمي هو فيما انكشف لنا من علوم في هذا العصر، وعرفنا دلالة القرآن عليها، وحصول السبق القرآني لها، فما هو مدلول الإعجاز العلمي في هذه الآيات لمن سيأتي بعد زماننا وقد انكشف لنا مدلولها العلمي؟!.

وعليه فلا يكون القرآن معجزاً في كل زمن إلا بمجرد السبق الزمني فقط، والسبق هنا يكون لزمننا ولنا، وليس لمن بعدنا، وبهذا يتعطل الإعجاز في كثير من الآيات؛ لأن الله تحدىٰ بمعرفة هذه العلوم وقد عرفت، ولو جاز أن يكون في السبق إعجاز وتحدي، لكان ذلك في أول شاعر وأول خطيب![٣].

٦- أن بعض أبحاث الإعجاز العلمي لا يظهر فيها التحدي، بل هي مجرد بيان لحِكَمٍ وقواعد دعىٰ إليها الشرع في قضايا متعددة، ومن ذلك:

---

(١) خصائص التعبير القرآني ١/ ١٣٤.

(٢) التفسير العلمي للقرآن في الميزان ص١٣٨، وانظر: نظرات في الإعجاز القرآني والتحدي، د. عيسىٰ بن ناصر الدريبي ص٦٩، والظاهر الجيولوجية، د. مروان وحيد شعبان ص٣١، والإعجاز البياني في القرآن الكريم، د. عمار ساسي ص ٧٦-٧٩.

(٣) انظر: علوم القرآن وإعجازه، د. عدنان محمد زرزور ص٣٩٤-٣٩٥.

- كتـاب: (القيـم الأخلاقيـة في السياسـة الماليـة الإسـلامية، نمـوذج للإعجـاز القـرآني والنبوي في المجالين الاقتصادي والمالي)، تأليف د. السيد عطية عبدالواحد.
- كتاب: (إعجاز تشـريع الزكـاة في قواعـد قيـاس الطاقـة الماليـة وفي النصـاب النقـدي) تأليف د. كوثر عبدالفتاح الأبجي.
- كتـاب: (الإعجـاز التشـريعي لنظـام الميـراث في القـرآن الكـريم وأثـره الاقتصـادي والاجتماعي) تأليف د. أحمد يوسف شاهين.

وهذه الكتب الثلاثة وغيرها هي من إصدار الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القـرآن والسنة، وقد أدرجوا هذه الكتب تحت مسمىٰ (الإعجاز العلمي في القرآن والسـنة، حكـم تشريعية)، وذكر د. عبدالله المصلح في تقديمه لها بأنها أحد محاور الإعجاز العلمي فقال: "وإن هذا البحث الذي بين أيدينا. . . يقع ضمن بحوث محور (الحكـم التشـريعية) وهـو أحد محاور الإعجاز العلمي في القرآن والسنة"[١].

٧- أن تفريق بعضهم بين لفظ (الإعجاز) ولفظ (المعجزة) هو تفريق بين مصطلحات حادثة ليست موضع اتفاق بين الباحثين، وقد كانت تستعمل بمعنىً واحد عند المتقدمين، فقولهم تخصيص متحكم لمعنىٰ الإعجاز، وهو مخالف لما عرفه العلماء السابقون[٢].

قال د. مرهف عبدالجبار سقا في بيان المآخذ علىٰ بعض المشتغلين للإعجاز العلمي، ومنها: "تمييع مصطلح الإعجاز ونقله من سدة التحدي والسبق المضبـوط، إلىٰ فوضـىٰ العبث العلمي والترهل الفضفاض، إذ صارت كل لائحة في الخيال إعجازاً، وصار كل مـا يخطر ببال هؤلاء الكتاب إعجازاً علميـاً، حتىٰ تحكـم هـؤلاء في صياغة هـذا المصـطلح الشرعي[٣] بعيداً عن ضوابط صياغة المصطلحات وقواعدها، ثم يريدون مـن العلمـاء أن يسلموا لهم هذه الفوضىٰ العلمية"[٤].

---

(١) إعجاز تشريع الزكاة في قواعد قياس الطاقة المالية وفي النصاب النقدي ص٨.

(٢) انظر: الإعجاز العلمي إلىٰ أين، د. مساعد الطيار ص ٤٥، وتاريخ فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي ص٤-٥، والمبحث الأول من الفصل الأول من هذا البحث.

(٣) ليس مصطلحاً شرعياً، ولم يرد له ذكر بهذا اللفظ في القرآن والسنة، وقد صرح بهـذا الـدكتور نفسـه في كتابه (التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم) ص٧٨.

(٤) مقال: كلمة للمشتغلين في أبحاث الإعجاز العلمي، موقع ملتقىٰ أهل التفسير vb. tafsir. net

٨- أن مصطلح الإعجاز منذ ظهر وهو مرتبط بأمرين: بالقرآن الكريم، وبالأمور الخارقة لعادة الخلق جميعاً، تلك العادة التي يجريها الله على يد نبي من أنبيائه؛ لتكون دليل صدق على نبوتهم، أو تأييداً لهم.

والملاحظ أن من أحدث هذا المصطلح راح يعرفه بتعريف خاص جداً، ينطبق على ما يريد هو، دون الالتفات إلى تقرير العلماء السابقين في تعريف المعجزة، فصار نشازاً بعيداً عن مفهوم المعجزة كما عرفته القرون من قبلنا(١).

وإطلاق مصطلح معين على أمر ما، لا بد أن يكون وفق منهجية صحيحة، مبنية على ضوابط محددة، تجعل دلالة اللفظ أو المصطلح صادقة على معناه، وأن يتولى ذلك أهل الاختصاص أفراداً أو هيئات(٢).

**اعتراض وجوابه:**

أدرك بعض أصحاب الإعجاز العلمي أن القول بالتحدي في الوجه العلمي لا يستقيم، فأجابوا عن ذلك: بأن الإعجاز العلمي راجع إلى الإخبار بالغيب، والذي هو وجه من وجوه إعجاز القرآن، والإعجاز بالغيب وقع به التحدي، وكذا الإعجاز العلمي لأنه داخل فيه، قال د. أحمد بن سعد الخطيب: "قول بعضهم: إن الآيات الكونية التي هي محل الإعجاز العلمي لم تقم على التحدي، والشرط في الإعجاز هو قيام التحدي؟

والجواب: أن هذه دعوى منقوصة منقوضة، أما كونها منقوصة فلأن التحدي لا يقوم بوجه دون وجه، وإنما هي جملة وجوه تؤلف معاً إعجاز السورة القرآنية، وأما كونها منقوضة فلأن العلماء قد درجوا على أن الإخبار بالغيب وجه من وجوه إعجاز القرآن، والوجه العلمي في الإعجاز على أقل تقدير هو راجع إلى ذلك الوجه.

وأيضاً لم يصرح أحد بأن سورة ما كلها من أولها إلى آخرها معجزة علمياً، وإنما العادة أن يلجأ فقط إلى الآيات الكونية في داخل السورة القرآنية، ولم يدع أحد أن بعض السورة معجز بذاته، بل هو معجز باعتباره جزءاً من السورة، وباعتبار تعانقه مع غيره من وجوه الإعجاز.

(١) انظر: الإعجاز العلمي إلى أين، د. مساعد الطيار ص ١٦٠، وبين مفهوم المعجزة وإعجاز القرآن، د. عدنان محمد زرزور ص١٣.
(٢) انظر: ندوة الدراسات المصطلحية والعلوم الإسلامية ص٤٦.

أما تفتيت وجوه الإعجاز؛ ليناقش كل واحد بحسبه على أنه مناط الإعجاز، فهذا عدم وعي بمفهوم الإعجاز وحقيقته، وعلى هذا فالتحدي قائم بالسورة القرآنية كلها بما تحويه من آيات كونية فيها إشارات علمية، وربما ارتقت لأن تكون إعجازاً علمياً"(١).

**والجواب عن هذا الاعتراض من الأوجه التالية:**

**الوجه الأول:** أن كثيراً من أصحاب الإعجاز العلمي يفرقون بين الإعجاز بالغيب وبين الإعجاز العلمي، ولا يجعلونهما من باب واحد، بل هما قسمان مختلفان(٢).

وبعضهم يصرح أن الإعجاز الغيبي لم يقع به التحدي في الآيات التي طلب الله فيها من المشركين أن يأتوا بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، قال د. محمد صادق درويش في بيان وجوه إعجاز القرآن: "**وأما الإخبار بالغيب فهو من وجوه الإعجاز**:...ولكن لم يتحد بالغيب في قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨]، وكذا في قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣]، فقد طلب منهم أن يأتوا بسورة مثله، وهذا يدل أن الوجه المعجز المتحدى به هنا يجب أن يكون في كل سورة من سور القرآن الكريم، والإخبار عن الغيب ليس في كل سورة، وإنما هو في بعضها دون بعض.

وكذلك لم يتحد به أيضاً في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣]؛ لأنه طلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، ولم يطلب منهم هنا أن يأتوا بما هو حقائق علمية، والإخبار عن الغيب في القرآن حق وصدق(٣).

**وأما التشريع**: فهو من وجوه الإعجاز أيضاً...

---

(١) السجل العلمي، لقاء الإعجاز العلمي ص١٢.

(٢) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان، د. عبدالله المصلح ص٣٩-٥٦، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي ص٢٤-٢٧.

(٣) ويرى الدكتور أن التحدي وقع بالغيب في الإتيان بمثل القرآن الكريم المذكور في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وفي قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٣-٣٤].

**وأما مطابقة الآيات الكونية للحقائق العلمية: فهي من وجوه الإعجاز أيضاً...**"[١].

**الوجه الثاني:** قوله: "ولم يدع أحد أن بعض السورة معجز بذاته، بل هو معجز باعتباره جزءاً من السورة، وباعتبار تعانقه مع غيره من وجوه الإعجاز" يرده صنيع كثير من المشتغلين بالإعجاز العلمي، الذين يجعلون الإعجاز العلمي هو مقصود بعض الآيات، دون تعانقه مع غيره من أوجه الإعجاز الأخرى.

**الوجه الثالث:** قوله: "فلأن التحدي لا يقوم بوجه دون وجه، وإنما هي جملة وجوه تؤلف معاً إعجاز السورة القرآنية" فيرده ما سبق تقريره في المقدمة الأولى.

**ثالثاً: الإعجاز العلمي وشرط السلامة من المعارضة:**

وهذا الشرط لا يتحقق في الإعجاز العلمي، وذلك أن الجانب العلمي جعله الله تعالى لعقول البشر واجتهادهم فمقل ومستكثر.

ومما يزيد ذلك إيضاحاً أن بعض الأمثلة التي ادعي فيها الإعجاز العلمي هي مما كان الناس يعرفونه قبل نزول القرآن الكريم، وقد سبق ذكر أمثلة على ذلك عند نقد الأسبقية في تعريف الإعجاز العلمي، أو هي مما لا مجال للعقول في إدراك حقيقته وكيفيته، وعليه فلا سبيل لهم إلى معارضته كما سيأتي في الفصل القادم وما بعده.

**وبهذا يتبين** أن الإعجاز العلمي لا تتحقق فيه شروط تعريف المعجزة، وأن استعمال الألفاظ الشرعية كآية وبرهان ودليل، أكثر دلالة على صدق الرسول ﷺ، بخلاف كلمة معجزة؛ وذلك لأن علامة صدق الرسول ﷺ في دعوى رسالته هو ما يقدمه من آيات تشهد بصحة دعواه، وما يحتج به من براهين تؤيد قوله، وتسميتها بالآيات والبراهين، تكون مطابقة لمسماها أو مطردة في ذلك لا تتخلف عنه، بخلاف كلمة معجزة[٢].

قال د. عبدالمجيد عبدالسلام المحتسب: "ولا جدال في أن جعل القرآن معجزاً لأن آياته تشير إلى أصول العلوم، له خطر شديد على إعجاز القرآن، وإن شئت فقل إنه إتيان عليه من قواعده، فالعرب أميّون، والقرآن الكريم تحدى العرب بأن يأتوا بسورة من مثله فلم يستطيعوا، وقد سجل القرآن عجزهم.

---

(١) إعجاز القرآن الكريم ص٢١٤-٢١٥، وانظر: جهود العلماء في بيان إعجاز القرآن، د. محمد الشريف ص١٢٤.
(٢) انظر: النبوات، ابن تيمية ص٢٠٦-٢٣٥، والجواب الصحيح، له أيضاً ٢/ ٥٠٠.

وإذا قلنا إن بعض الآيات القرآنية تحوي أصول العلوم الحديثة، فمعنى ذلك أن القرآن الكريم تحدى أناساً عاجزين ليس لهم حظ في العلوم بالمعنى الدقيق، ومن ثم فالتحدي باطل من أساسه، وبالتالي فإن صحة نبوة محمد ﷺ باطلة، وهذه النتيجة المغايرة لواقع العرب، وواقع مراد الله تعالى في القرآن، إنما جاءت بسبب إقحام القرآن في ميدان لا يمت إليه بصلة...وحسبنا أن القرآن لم يصادم -ولن يصادم- حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول، وحسبنا أن القرآن هو الذي فتح النوافذ لعقول المؤمنين، وحبب إليهم التدبر والتفكر، والتأمل والبحث، والنظر والدقة العلمية"[1].



(١) اتجاهات التفسير في العصر الراهن ص٣٢٢-٣٢٣.



# الفصل الثالث

# الإعجاز العلمي وعلاقتـه بمسـائل الغيب

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: النبوءات الغيبية في القرآن وعلاقة الإعجاز العلمي بها.
- المبحث الثاني: تكييف الأمور الغيبية وعلاقة الإعجاز العلمي به.
- المبحث الثالث: الإعجاز العلمي ونشأة الكون ونهايته.



# الفصل الثالث

# الإعجاز العلمي

# وعلاقتـــه بمســـائل الغيب

## تمهيد

الإيمان بالغيب هو أصل الإيمان، وعليه بنيت سائر أركانه الاعتقادية والعملية، ولذا كان أول صفة وصف الله بها المتقين، قال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١-٣].

والإيمان بالغيب سبيل للخروج بالنفس من التصور المحدود الذي تفرضه المذاهب المادية إلىٰ تصور واسع، فإن في الدنيا كثيراً من الأشياء لا يعلمها الإنسان هي من الغيب(١).

قال الإمام ابن القيم ﷺ: "إن المعلومات الغائبة التي لا تدرك إلا بالخبر، أضعاف أضعاف المعلومات التي تدرك بالحس والعقل، بل لا نسبة بينهما بوجه من الوجوه، ولهذا كان إدراك السمع أعم وأشمل من إدراك البصر، فإنه يدرك الأمور المعدومة والموجودة، والحاضرة والغائبة، والعلوم التي لا تدرك بالحس...

والمقصود أن الأمور الغائبة عن الحس، نسبة المحسوس إليها كقطر في بحر، ولا سبيل إلىٰ العلم بها إلا بخبر الصادق، وقد اصطفىٰ الله من خلقه أنبياء، نبأهم من هذا الغيب بما يشاء، وأطلعهم منه علىٰ ما لم يطلع عليه غيرهم "(٢).

---

(١) انظر: أصول الإيمان بالغيب وآثاره، د. فوز الكردي ص٢٩، والإيمان بالغيب، د. بسام العموش ص٤٣-٤٤

(٢) الصواعق المرسلة ٣/ ٨٧٣- ٨٧٤.



والغيب هو: كل ما أخبر به الله ﷻ، وأخبر به رسوله ﷺ، من الأمور الغيبية المجملة والمفصلة كما جاء ذكرها في الكتاب والسنة[1]، ومنه ما هو مطلق، ومنه ما هو نسبي، ومنه ما مضى، ومنه ما لم يقع بعد، ولكنه سيقع في الدنيا، ومنه ما هو من أمر الآخرة[2]، ومنه النبوءات التي أخبر عنها القرآن الكريم، وهي دلائل على صدق الوحي، وصحة الرسالة.

وسأتناول في هذا الفصل بعض القضايا المتصلة بالغيب، والتي خاض فيها بعض المشتغلين بالإعجاز العلمي، وذلك من خلال المباحث التالية:

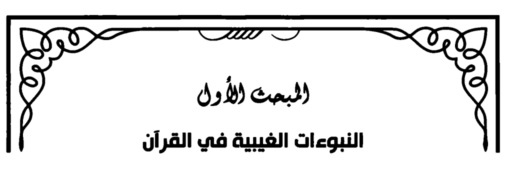
- المبحث الأول: النبوءات الغيبية في القرآن وعلاقة الإعجاز العلمي بها.
- المبحث الثاني: تكييف الأمور الغيبية وعلاقة الإعجاز العلمي به.
- المبحث الثالث: الإعجاز العلمي ونشأة الكون ونهايته.



---

(١) انظر: أسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص٥٦٤، والمعرفة في الإسلام، د. عبدالله القرني ص ١٥٤، ٤٧٥-٤٩٤، وحقيقة الغيب عند المذاهب المادية المعاصرة، د. عفاف الونيس ص٢٤-٢٦، والتنبؤ بالغيب قديماً وحديثاً، أحمد الشنتناوي ص٥.

(٢) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ١/ ١٦، ومفاتيح الغيب، الرازي ٢/ ٣١، ودرء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية ٥/ ٧٣، والمعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل، عبدالفتاح سلامة ص١٦٣، والإيمان بالغيب، د. بسام العموش ص٤٠-٤٣، ١٦٢، وأصول الإيمان بالغيب وآثاره، د. فوز الكردي ص٣٧-٤٥، وعلم الغيب في الشريعة الإسلامية، د.أحمد الغنيمان ص٣٥-٣٧، ١٥٤-١٥٠.



# المبحث الأول

## النبوءات الغيبية في القرآن

## وعلاقـة الإعجـاز العلمـي بها

إثبات أن القرآن الكريم وحي من الله تعالىٰ من القضايا الكبرىٰ التي جادل المشركون فيها، وشككوا في القرآن الكريم، ونسبوه إلىٰ محمد ﷺ، وأنه افتراه من عند نفسه، وزعموا أن القرآن سحر وأساطير الأولين، وأن النبي ﷺ تعلمه من غيره، وأنه ساحر، وشاعر، ومجنون، وكاهن وغيرها من المزاعم التي يريدون بها القدح في صدق النبوة، وفي كون القرآن من عند الله تعالىٰ، وقد سطر الله ﷻ مقولاتهم في القرآن الكريم، وأبطلها بأوضح دليل، وأبين حجة، وأقوىٰ برهان[1].

ومن أظهر هذه الأدلة النبوءات[2] التي أخبر الله بها في كتابه الكريم، كقوله تعالىٰ: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥] فالسين للاستقبال، والسورة مكية، وهزموا يوم بدر

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥] وقد حصل ما وعد الله به من الاستخلاف، وسيحصل لكل من حقق شرطه في الآية.

---

(١) انظر: المقولات التي أبطلها القرآن ومنهجه في إبطالها، د.وليد العمري ص٢٤٥- ٢٥٦، ٢٧٥-٢٩٩.

(٢) انظر: الجواب الصحيح، ابن تيمية ١/ ٤٠٧، ودلائل النبوة، البيهقي ٣/ ٥٠، وتمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، الباقلاني ص١٨٦، ومنحة القريب المجيب في الرد علىٰ عباد الصليب، عبدالعزيز آل معمر ٢/ ٤٦١، ومختصر التحفة الاثني عشرية، محمود الألوسي ص٨٢، وغاية المرام في علم الكلام، الآمدي ص٣٤٥، وإرشاد الثقات إلىٰ اتفاق الشرائع علىٰ التوحيد والمعاد والنبوات، الشوكاني ص٥٠، والنبأ العظيم، د. محمد عبدالله دراز ص٤٢.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦] وكان كما أخبر الله فلم يتمنوا الموت ولن يتمنوه.

وقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧] وتحقق ما وعد الله به.

وقوله تعالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] وقد نزلت هذه السورة وأبو لهب حي يرزق، ولم يستطع إبطال هذه الآية بأن يدخل في الإسلام؛ لأن الله أخبر أنه من أهل النار، وهكذا مات على الكفر.

وقوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ١-٦] وقد وقع ما أخبر الله به في هذه الآيات من هزيمة الفرس وغلبة الروم في بضع سنين.

وهذه الآيات من سورة الروم تكلم فيها أصحاب الإعجاز العلمي طويلاً؛ لأنها مع كونها تتحدث عن نبوءة غيبية، فهي كذلك تتحدث عن حقيقة علمية تم اكتشافها في العصر الحديث، قال د. زغلول النجار: "فبالإضافة إلىٰ ما جاء بتلك الآيات من إعجاز تنبؤي شمل الإخبار بالغيب، وحدد لوقوعه بضع سنين، فوقع كما وصفته وكما حددت له زمنه تلك الآيات، فكانت من دلائل النبوة، فإن وصف أرض المعركة بالتعبير القرآني (أدنىٰ الأرض) يضيف إعجازاً علمياً جديداً، يؤكد أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأن النبي الخاتم الذي تلقاه كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السماوات والأرض،

وكما كانت هذه الآيات الكريمة من دلائل النبوة في زمن الوحي لإخبارها بالغيب فيتحقق، فهي لا تزال من دلائل النبوة في زماننا بالتأكيد علىٰ أن المعركة الفاصلة قد تمت في أخفض أجزاء اليابسة علىٰ الإطلاق، وهي أغوار البحر الميت وما حولها من أغوار، ويأتي العلم التجريبي ليؤكد تلك الحقيقة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين"[1].

---

(١) تفسير الآيات الكونية ٢/ ٤٢٩.

ولذلك سأورد كلام أصحاب الإعجاز العلمي عنها، وأدلتهم في إثبات الحقيقة العلمية من الآيات، مع مناقشتها، ثم أتبع ذلك بموازنة بين القول بالإعجاز الغيبي في الآيات، والقول بالإعجاز العلمي فيها، وأيهما أقوىٰ، وأصلح في الحجة.



**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآيات:**

استدل أصحاب الإعجاز العلمي بالآيات علىٰ إثبات الإعجاز العلمي في حقيقة جغرافية لم تكن معروفة لأحد في ذلك الوقت، إذ أخبرت الآيات أن الروم خسروا المعركة مع الفرس في أدنىٰ منطقة من الأرض، و(أدنىٰ) بمعنىٰ أخفض.

قال د. عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي: "هناك وجهان للإعجاز في هذه الآيات الكريمة:

**أولها:** إخبار القرآن الكريم بانتصار الروم علىٰ الفرس بعد هزيمتهم الساحقة بعد بضع سنوات...وقد تحقق ما وعد به القرآن الكريم بعد سبع سنوات، حيث وقعت معركة أخرىٰ بين الفرس والروم سنة ٦٢٧م، وانتصر فيها الروم...

**الوجه الثاني للإعجاز في هذه الآيات الكريمة:** أنها قررت حقيقة جغرافية لم تكن معروفة عند أحد في ذلك الوقت، حيث أخبرت أن الروم خسروا المعركة مع الفرس في أدنىٰ منطقة من الأرض.

وكلمة أدنىٰ عند العرب، تأتي بمعنيين: أقرب، وأخفض، فهي من جهة أقرب منطقة لشبه الجزيرة العربية، ومن جهة أخرىٰ هي أخفض منطقة علىٰ سطح الأرض، إذ إنها تنخفض عن مستوىٰ سطح البحر بـ (١٣١٢) قدم (حوالي ٤٠٠ متر) وهي أخفض نقطة سجلتها الأقمار الاصطناعية علىٰ اليابسة، كما ذكرت ذلك الموسوعة البريطانية.

والحقيقة التاريخية تشهد أن المعركة وقعت في أكثر مناطق العالم انخفاضـًا في حوض البحر الميت، والتي لم تكن لتقاس في غياب تقنيات القياس الحديثة، لذلك كان من المستحيل أن يعرف أي شخص في ذلك الوقت أن هذه المنطقة هي أكثر المناطق انخفاضـًا في العالم، أليس هذا دليلاً علىٰ أن القرآن هو وحي من عند الله، قال تعالىٰ:

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣]"(١).

وقد استدلوا لإثبات الإعجاز العلمي من الآية بعدد من الأدلة، سأذكرها مع مناقشتها.

**الدليل الأول:** قالوا إن كلمة (أدنى) الواردة في الآية، تأتي عند العرب بمعان متعددة منها: أقرب، وأخفض، وأصغر، وأقل، فهي من جهة أقرب منطقة لشبه الجزيرة العربية، ومن جهة أخرى هي أخفض منطقة على سطح الأرض.

**المناقشة:**

قولهم بأن كلمة (أدنى) ترد في اللغة بعدة معان، قول صحيح، ولكن لا نسلم بأن كل ما ذكروه من المعاني قد ورد في لغة العرب أو في القرآن الكريم، وتفصيل ذلك:

أن (أدنى) بمعنى (**أقرب، وأقل**) نصت عليهما معاجم اللغة العربية، وذكرهما المفسرون في تفاسيرهم، فـ(**أقرب**) ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى ﷺ: "(ذلك أدنى ألا تعولوا) أي: أقرب ألا تجوروا"(٢)، وقال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "فهو (أدنى) يعني: أقرب"(٣).

وأما (**أقل**) فورد في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "(ولا أدنى من ذلك) يقول: ولا أقل من ثلاثة"(٤).

وأما (**أدنى**) **بمعنى** (**أصغر**) فاستدل له أصحاب الإعجاز العلمي بقول الله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص١٩٧-١٩٨، وانظر: تفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٢/ ٤٢٧-٤٣٠، وموسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١-١٨، والمنح الإلهية في إقامة الحجة على البشرية، د. عبدالله المصلح ص١٤١-١٤٣.

(٢) مجاز القرآن ص١١٧.

(٣) جامع البيان ٦/ ٣٧٥.

(٤) المرجع السابق ٢٢/ ٤٦٨.

ولم أجد أحداً من أصحاب المعاجم العربية، أو من المفسرين نص على أن (أدنى) في الآية بمعنى (أصغر)، بل يذكرون أن معناها (أقرب) إما تصريحاً، أو بما يذكرونه من أمثلة[(١)].

قال فخر الدين الرازي ﷺ: "قوله تعالى: (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) في مقابلته العذاب الأقصى، والعذاب الأكبر في مقابلته العذاب الأصغر، فما الحكمة في مقابلة الأدنى بالأكبر؟ فنقول حصل في عذاب الدنيا أمران:

أحدهما: أنه قريب، والآخر أنه قليل صغير، وحصل في عذاب الآخرة أيضا أمران أحدهما: أنه بعيد، والآخر أنه عظيم كثير، لكن القرب في عذاب الدنيا هو الذي يصلح للتخويف به، فإن العذاب العاجل وإن كان قليلاً، قد يحترز منه بعض الناس أكثر مما يحترز من العذاب الشديد إذا كان آجلاً، وكذا الثواب العاجل قد يرغب فيه بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم الآجل، وأما في عذاب الآخرة فالذي يصلح للتخويف به هو العظيم والكبير لا البعيد لما بينا، فقال في عذاب الدنيا: العذاب الأدنى ليحترز العاقل عنه، ولو قال: (لنذيقنهم من العذاب الأصغر) ما كان يحترز عنه لصغره، وعدم فهم كونه عاجلاً، وقال في عذاب الآخرة: الأكبر لذلك المعنى، ولو قال دون العذاب الأبعد الأقصى لما حصل التخويف به مثل ما يحصل بوصفه بالكبر، وبالجملة فقد اختار الله تعالى في العذابين الوصف الذي هو أصلح للتخويف من الوصفين الآخرين فيهما؛ لحكمة بالغة"[(٢)].

**الدليل الثاني**: استدلوا بأن معاجم اللغة أشارت إلى أن معنى (أدنى) هو أخفض، فقد جاء في معجم مقاييس اللغة: " الدال والنون أصلٌ واحد يدل على تطامُنٍ وانخفاض، فالأَدَنُّ: الرجل المنحني الظَّهر، يقال: منه قد دَنِنْتَ دَنَناً، ويقال: بيتٌ أدنٌّ، أي متطامِنٌ، وفرسٌ أَدَنّ، أي قصير اليدين، وإذا كان كذلك كان مَنْسِجُهُ مُنْخفضاً.

ومن ذلك الدَّنْدَنَة، وهو أن تُسمع من الرجل نَغْيَةٌ لا تُفهم؛ وذلك لأنه يخفض صوته بما يقوله ويخفيه"[(٣)].

---

(١) انظر: جامع البيان، ابن جرير ١٨/ ٦٢٦، ومعالم التنزيل، البغوي ٣/ ٦٠٢، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٣٣٠، وزاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٤٤٢، والبحر المحيط، ابن حيان ٨/ ٤٣٨، وفتح القدير، الشوكاني ٤/ ٢٩٣.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٥/ ١٤٨-١٤٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٦١.

**المناقشة:**

ما نقلوه عن معجم مقاييس اللغة من قوله: "الدال والنون، أصلٌ واحد يدلّ على تطامُنٍ وانخفاض"، هذا أورده ابن فارس رحمه الله في مادة (دن)، وهي لا علاقة لها بكلمة (أدنى)، والدليل على ذلك أن ابن فارس رحمه الله أورد معنى كلمة أدنى في مادة (دنا) فقال: "(دنى) الدال والنون والحرف المعتل، أصل واحد يقاس بعضه على بعض، وهو المقاربة، ومن ذلك الدني، وهو القريب، من دنا يدنو، وسميت الدنيا لدنوها، والنسبة إليها دنياوي، والدني من الرجال: الضعيف الدون، وهو من ذاك لأنه قريب المأخذ والمنزلة، ودانيت بين الأمرين: قاربت بينهما، وهو ابن عمه دنيا ودنية.

والدنيء: الدون، مهموز، يقال: رجل دنيء، وقد دنؤ يدنؤ دناءة، وهو من الباب أيضا؛ لأنه قريب المنزلة.

والأدنأ من الرجال: الذي فيه انكباب على صدره، وهو من الباب؛ لأن أعلاه دان من وسطه، وأدنت الفرس وغيرها، إذا دنا نتاجها، والدنية: النقيصة"[(١)].

**الدليل الثالث:** استدلوا بكلام ابن منظور[(٢)] رحمه الله قال: "الدنيء من الرجال الخسيس الدون.. وقد دنأ يدنأ دناءة .. صار دنيئاً.. وسفل يقال: لقد دنأت تدنأ أي سفلت... والأدنى: السَّفِلُ"[(٣)].

**المناقشة:**

ما قاله ابن منظور رحمه الله وغيره من أصحاب معاجم اللغة، يدل على أن معنى (أدنى) هو من السَّفِل: وهي الخسة[(٤)] والدناءة، وليس الانخفاض في المكان والسُّفْل، فـ"أصل الدنو القرب في المكان، ثم استعير للخسة، كما استعير البعد للشرف والرفعة"[(٥)]، ويوضح هذا قول ابن منظور رحمه الله: "يقال: لقد دنأت تدنأ أي سفلت في فعلك ومَجُنْت"[(٦)] فهي تبين أن

---

(١) المرجع السابق ٢/ ٣٠٣.

(٢) هو: ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الإمام اللغوي الحجة، ولد بمصر، وقيل: في طرابلس الغرب عام ٦٣٠ هـ ولي القضاء، وعمي في آخر عمره، توفي بمصر عام ٧١١هـ. انظر: الدرر الكامنة، ابن حجر ٦/ ١٥، وبغية الوعاة، السيوطي ١/ ٢٤٨، وشذرات الذهب، ابن العماد ٨/ ٤٩.

(٣) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي ص١٩٣.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ١/ ١٤٣-١٤٤.

(٥) فيض القدير، المناوي ١/ ٢٣٢.

(٦) وقد حذف د. عبدالله المصلح ود. الصاوي جملة "في فعلك ومَجُنْت"، واقتصروا على كلمة: "سفلت".

المراد الدناءة والخسة، ولذلك قال ابن منظور: "الدَّنِيء، من الرجال: الخسيس، الدُّون، الخَبِيثُ البطن والفرج، الماجن.

وقيل: الدَّقِيق، الحقير، والجمع: أَدْنِياء ودُنَآء. وقد دَنَأَ يَدْنَأُ دَناءةً فهو دَانِئٌ: خَبُثَ، ودَنُؤَ دَنَاءةً ودُنُوءةً: صار دَنِيئاً لا خير فيه، وسَفُلَ فِي فعْله ومَجُنَ، وإنّه لَدَانِئٌ: خَبِيثٌ، ورجلٌ أَدْنَأُ: أَجْنَأُ الظَّهر، وقد دَنِئَ دَنَأً، والدَّنِيئة: النَّقِيصةُ، ويقال: مَا كنتَ يَا فلانُ دَنِيئاً، ولقد دَنُؤْتَ تَدْنُؤُ دَناءةً، مصدره مهموز، ويُقال: ما يزْدادُ مِنَّا إلا قُرباً ودَناوةً، فُرِق بين مصدر دَنأَ وَمَصْدَرِ دَنَا، بجعل مصدر دَنا دَناوةً، ومصدر دَنأَ دَنَاءَةً كما ترىٰ".

ثم ذكر قول ابن السكيت، ونقل عن الفراء قوله: "قال الفرَّاء: هو من الدَّناءَةِ، والعرب تقول: إِنَّه لَدَنِيٌّ في الأمور، غير مهموزٍ، يَتَّبِعُ خِساسَها وأَصاغِرها، وَكَانَ زهير الفروِيُّ يهمز (أَتَستبدلون الَّذِي هو أَدْنأُ بالَّذي هو خير).

قال الفرَّاء: ولم نرَ العرب تهمز أدنأ إذا كان من الخِسَّة، وَهم في ذلك يقولون: إنَّه لدانِئٌ خبيثٌ، فيهمزون"[١].

وقال الأزهري[٢] ﷺ: "الحراني عن ابن السّكيت يقال: دَنَوتُ من فلان أدْنو دُنُوّاً، ويقال: ما كنت يَا فلانُ دَنِيّاً، وَلَقَد دَنُؤْتَ تَدْنُؤُ دَنَاءَةً مصدره مهموز.

ويقال: ما تزدادُ منا إلا قُرباً ودَنَاءة، فُرِقَ بَين مصدر دَنَا وَبَين مصدر دَنُؤ، فجُعل مصدر دَنأَ دَنَاوَةً، ومصدر دَنُؤ دَنَاءةً كما ترىٰ، قال ابن السّكيت: ويقال: لقد دَنَأْتَ تَدْنأُ، مهموز، أي: سَفَلْت فِي فِعْلِك ومَجُنْت"[٣].

وقال أحمد بن محمد بن علي الفيومي[٤] ﷺ: "دنا منه، ودنا إليه، يدنو دنوا: قرب فهو دان، وأدنيت الستر أرخيته، ودانيت بين الأمرين: قاربت بينهما، ودنأ بالهمز يدنأ بفتحتين، ودنؤ يدنؤ مثل: قرب يقرب، دناءة فهو دنيء علىٰ فعيل كله مهموز، وفي لغة:

---

(١) لسان العرب ١/ ٧٨، وانظر: تهذيب اللغة، الأزهري ١٤/ ١٣٢.

(٢) هو: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، أحد الأئمة في اللغة والأدب، ولد عام ٢٨٢هـ في هراة بخراسان، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها وقصد القبائل وتوسع في أخبارهم، توفي في هراة بخرسان عام ٣٧٠ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي ٥/ ٣١١.

(٣) تهذيب اللغة ١٤/ ١٣٢.

(٤) هو: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس: لغوي، ولد ونشأ بالفيوم (بمصر) ورحل إلىٰ حماة (بسورية) فقطنها، ولما بنىٰ الملك المؤيد إسماعيل جامع الدهشة قرره في خطابته، قال ابن حجر: كأنه عاش إلىٰ بعد ٧٧٠ هـ وقيل: توفي عام ٧٦٠هـ. انظر: الأعلام، الزركلي ٥/ ٣١١.

يخفف من غير همز فيقال: دنا يدنو دناوة فهو دني، قال السرقسطي: دنا إذا لؤم فعله وخبث، ومنهم من يفرق بينهما، بجعل المهموز للئيم، والمخفف للخسيس"[١].

**الدليل الرابع:** استدل بعضهم بقراءة شاذة لكلمة (أدنى)، فقد قرأ أُبي بن كعب ﷺ، والضحاك، وأبو رجاء، وابن السميفع: (فى أدانى الأرض)[٢]، وأداني الشيء هي أخافضه، والقراءة الشاذة يعتبرها بعض العلماء مفسرة للقرآن الكريم كما يقولون[٣].

**المناقشة:**

والجواب عن هذا الدليل من وجهين:

**الوجه الأول:** أن المفسرين الذين نقلوا هذه القراءة الشاذة لم يفسروا (أداني) فيها بـ(أخفض)، ولم يذكروا جملة: "وأداني الشيء هي أخافضه"، بل فسروا (أدنى) و(أداني) بمعنى (أقرب)، ومن أقوالهم ما يلي:

قال ابن الجوزي ﷺ: "قوله تعالى: (في أدنى الأرض) وقرأ أُبيّ بن كعب، والضحاك، وأبو رجاء، وابن السميفع[٤]: (في أداني الأرض) بألف مفتوحة الدال أي: أقرب الأرض أرض الروم إلى فارس"[٥].

وقال الزمخشري ﷺ: "والمعنى: غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام، أو أراد أرضهم، على إنابة اللام مناب المضاف إليه، أي: في أدنى أرضهم إلى عدوّهم، قال مجاهد: هي أرض الجزيرة، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الأردن وفلسطين، وقرئ: في أداني الأرض"[٦].

وقال ابن عطية[٧] ﷺ: "وأدنى الأرض معناه: أقرب الأرض، فإن كانت الوقعة في

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/ ٢٠١.

(٢) وأحالوا لتفسير: الكشاف للزمخشري ٥/ ٢٣٣، وزاد المسير لابن الجوزي ٥/ ٨٩، وتفسير أبي السعود ٥/ ٢٧٠، وروح المعاني للآلوسي ٢١/ ١٧، والمحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ٢٤٠، وهيمان الزاد لمحمد أطفيش ١٠/ ٣٥٣.

(٣) انظر: مقال: أدنى الأرض، عادل الصعيدي، موقع جامعة الإيمان باليمن: www.jameataleman.org

(٤) هو: محمد بن عبدالرحمن بن السميفع أبو عبدالله اليماني له اختيار في القراءة يُنسب إليه شَذَّ فيه، قرأ على أبي حيوة شريح بن يزيد، وقيل: إنه قرأ على نافع. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ١٦١.

(٥) زاد المسير ٣/ ٤١٦.

(٦) الكشاف ٣/ ٤٦٦، وانظر: تفسير أبي السعود ٧/ ٤٩.

(٧) هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي، أبو محمد الأندلسي، من أهل غرناطة، كان إماماً في الفقه والتفسير والعربية، ولي القضاء، وكان يكثر الغزوات، وتوفي عام ٥٤٢هـ وقيل: ٥٤٦هـ انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٩/ ٥٨٧، وطبقات المفسرين، السيوطي ص٦٠.

أذرعات فهي من أدنى الأرض بالقياس إلى مكة، وهي التي ذكر امرؤ القيس في قوله:

تنورتها من أذرعات وأهلها    بيثرب أدنى دارها نظر عال

وإن كانت الوقعة بالجزيرة، فهي أدنى بالقياس إلى أرض كسرى، وإن كانت بالأردن، فهي أدنى إلى أرض الروم، قال أبو حاتم: وقرئ (أداني الأرض)"(١)

وقال ابن أطفيش(٢): "(في أدنى) أي: أقرب، (الأرض) أي: في أقرب أرض العرب إلى الروم، والأرض أرض العرب، و(ال) للعهد الذهني؛ لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم، أو للحضور، أو عوض عن المضاف إليه، والأرض أرض الروم، أي: في أقرب أرضهم إلى العرب وذلك أطراف الشام، وقال مجاهد: هي أرض الجزيرة، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس، وعن ابن عباس: الأردن وفلسطين وقرئ (في أداني الأرض)، وقال عكرمة: أدنى الأرض إلى مكة أذرعات"(٣).

**الوجه الثاني:** قولهم: "والقراءة الشاذة يعتبرها بعض العلماء مفسرة للقرآن الكريم"، يجاب عنه بأن العلماء قد نصوا على فوائد وثمرات تعدد القراءات(٤)، قال أبو عبيد القاسم بن سلام(٥) ﷺ: "المقصد من القراءات الشاذة، تفسير القراءة المشهورة، وتبين معانيها، كقراءة عائشة وحفصة: (والوسطى صلاة العصر) [البقرة: ٨٣]، وقراءة ابن مسعود: (فاقطعوا أيمانهما) [المائدة: ٣٨]، وقراءة جابر: (فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم) [النور: ٣٣]، فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن"(٦).

وبالنظر لكلمة (أداني) فهي جمع لكلمة (أدنى)، فكيف تكون مفسرة لها بأن معناها أخفض، والقراءة الشاذة لم تنص على الانخفاض أو تشير إليه.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٧.

(٢) هو: محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش الوهبي الجزائري الإباضي، عالم بالتفسير والفقه والأدب، عرف بالزهد والورع، توفي عام ١٣٣٢هـ. انظر: التفسير والمفسرون، د. محمد الذهبي ٢/ ٣١٩، والأعلام، الزركلي ٨/ ٣٢، ومعجم أعلام الجزائر، عادل نويهض ص٢١، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة ٣/ ٧٨٦.

(٣) هميان الزاد إلى دار المعاد ١٠/ ٣٥٣.

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/ ٢٨-٢٩، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١/ ٤٧، والبحر المحيط، أبي حيان ٥/ ١١٨، والاختلاف في القراءات، أحمد بن محمد البيلي ص ١٠٠.

(٥) هو: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، فقيه محدّث ونحويّ، ومن علماء القراءات، ولي قضاء طرسوس، وكان ذا فضل ودين ووقار ومذهب حسن، توفي بمكة عام ٢٢٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٠/ ٤٩٠، وطبقات الشافعية، السبكي ٢/ ١٥٣.

(٦) فضائل القرآن ص١٩٥ بتصرف يسير.

**الدليل الخامس**: استدلوا بقول تعالىٰ: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، قال د. عبدالله المصلح ود. عبدالله الصاوي: "قال ابن منظور: الدنيء من الرجال الخسيس الدون.. وقد دنأ يدنأ دناءة.. صار دنيئاً.. وسفل، يقال: لقد دنأت تدنأ أي سفلت.. قال الله تعالىٰ: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، قال الفراء: هو من الدناءة. . وقال الزجاج: أقل قيمة، والأدنىٰ: السفل (و) الدنيء بمعنىٰ الدون.

وقال البيضاوي: أدون قدراً.

وقال القرطبي: هو مأخوذ من الدون أي الحط فأصله أدون.

إذن: أدنىٰ مشترك لفظي مأخوذ من الدنو بمعنىٰ القرب، أو من الدناءة بمعنىٰ القلة، أو التسفل والخسة والانخفاض، وكل سياق بحسبه"(١).

**المناقشة:**

بعد الرجوع إلىٰ المصادر التي نقل منها د. عبدالله المصلح ود. عبدالله الصاوي تبين أن نقلهم من كلام العلماء قائم علىٰ الانتقائية، فهم ينقلون ما يؤيد فكرتهم ويقررها، ويتركون أو يحذفون منه ما يعارض ذلك، ويتبين ذلك من خلال ما يلي:

١- نقلوا عن الزجاج(٢) ﷺ قوله في معنىٰ (أدنىٰ): "أقل قيمة".

وبالرجوع لكلام الزجاج نجده يقول: " أما أدنىٰ غير مهموز، فمعناه الذي هو أقرب، وأقل قيمة، كما تقول: هذا ثوب مقارب"(٣)

فحذفوا من كلامه جملة: "فمعناه الذي هو أقرب" التي تبين المراد بكلمة (أدنىٰ)، والقرب والأقل لا صلة لها بالانخفاض.

٢- نقلوا عن الإمام القرطبي ﷺ قوله: "هو مأخوذ من الدون أي الحط فأصله أدون".

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص١٩٣.

(٢) هو: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، عالم بالنحو واللغة، ولد عام ٢٤١هـ كان في فتوته يخرط الزجاج، ومال إلىٰ النحو، وكانت له مناقشات مع علماء النحو، توفي ببغداد عام ٣١١ هـ. انظر: طبقات النحويين واللغويين، الإشبيلي ص١١١، وسير أعلام النبلاء، الذهبي ١٤/ ٣٦٠.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٤٣-١٤٤.

وبالرجوع إلى نص كلامه ﷺ نجده يقول: "وقيل: هو مأخوذ من الدون، أي: الأحط، فأصله أدون أفعل، قلب فجاء أفلع، وحولت الواو ألفاً لتطرفها"[(١)]، فتبين من هذا:

**أولاً**: أن الإمام القرطبي ﷺ حكاه قولاً لغيره بصيغة: (وقيل)، فهو ليس قولاً له، وعليه فلا يصح نسبته إليه.

**ثانياً**: أنه ذكر هذا الكلام عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، وكلام أصحاب الإعجاز العلمي هو في آية سورة الروم، وليس آية سورة البقرة.

وقد يعترض على هذا فيقال: إن المراد هو معنى كلمة (أدنى) وليس الآية.

**فالجواب**: لماذا لم يأخذ أصحاب الإعجاز العلمي كلام الإمام القرطبي ﷺ في معنى كلمة (أدنى)، من المواضع التي فسرت فيها بمعنى (أقرب)، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء: ٣] قال: " أي ذلك أقرب إلى ألا تميلوا عن الحق وتجوروا"[(٢)]، وكقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١] قال: "وقد قيل في قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾...أي ذلك أقرب ألا يحزن إذا لم يجمع إحداهن مع الأخرى، ويعاين الأثرة والميل"[(٣)].

**ثالثاً**: أن الإمام القرطبي ﷺ قد نص في آية سورة الروم – وهي موضوع البحث – أن (أدنى) بمعنى (أقرب)، فكيف تركوا قوله الصريح في معناها، وذهبوا إلى نقل نقله عن غيره في تفسيره لآية أخرى، قال ﷺ: "﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ١-٣] يعني أرض الشام، عكرمة: بأذرعات، وهي ما بين بلاد العرب والشام، وقيل: إن قيصر كان بعث رجلاً يدعى يحنس، وبعث كسرى شهر بزان، فالتقيا بأذرعات وبصرى، وهي أدنى بلاد الشام إلى أرض العرب والعجم، مجاهد: بالجزيرة، وهو موضع بين العراق والشام، مقاتل: بالأردن وفلسطين، و(أدنى) معناه أقرب"[(٤)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٢٨.
(٢) المرجع السابق ٥/ ٢٠.
(٣) السابق ١٤/ ٢١٨.
(٤) السابق ١٤/ ٤.

**رابعاً:** أن كلمة (الحط) التي ذكرها القرطبيﷺ ليس من معانيها في لغة العرب الانخفاض، وإنما هي بمعنى: إنزال الشيء من علو، يقال: حططت الشيء، أي: أحطه حطاً، كما قال ابن فارس [١]ﷺ، وقال الخليل بن أحمد[٢]ﷺ: "والحط: وضع الأحمال عن الدواب، والحط: الحدر من العلو"[٣].

**الدليل السادس:** استدلوا بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]، قالوا: "فهذا المعنى موجود ومفهوم لكل من يفهم العربية ويتحدثها، ومن يتدبر آيات القرآن بتمعن يجد هذا المعنى؛ فقد عبر بالأدنى عن معنى الخفض...ونلاحظ دقة الوصف هنا، فقد قال جل وعلا: (يدنين) ولم يقل: (يسدلن) مثلاً، ذلك لأن يسدلن لا تفيد التغطية من أعلى إلى أسفل فقط، ولكن تفيد التغطية عامة"[٤].

**المناقشة:**

القول بأن (يدنين) بمعنى (يخفضن) هو استنتاج من أصحاب الإعجاز العلمي بناءاً على ماقرروه من أن معنى (أدنى) هو (أخفض)، ولذلك لم أقف على قول لأحد من المفسرين قديماً أو حديثاً ذكر أن معنى (يدنين) في الآية بمعنى الخفض.

بل الآية فيها حجة عليهم، وهي أن قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩] فسرها المفسرون بأن معنى (أدنى) هو أقرب، قال الإمام ابن جرير الطبريﷺ: "وقوله: (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) يقول تعالى ذكره: إدناؤهن جلابيبهن إذا أدنينها عليهن **أقرب** وأحرى أن يعرفن ممن مررن به"[٥]، فلماذا ترك أصحاب الإعجاز العلمي الاستدلال بكلمة (أدنى) الصريحة في أن معناها: أقرب، وذهبوا إلى كلمة (يدنين) التي

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٢/ ١٣.

(٢) هو: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، نشأ بالبصرة وتربى فيها، وقد وهبه الله ذكاءً خارقًا وفطنة، وجمع إلى ذلك تقوى وزهداً وورعًا وهمّة عالية، فُتحت له مغاليق أبواب العلوم. انظر: طبقات النحويين واللغويين، الإشبيلي ص٤٧، وسير أعلام النبلاء، الذهبي ٧/ ٤٢٩.

(٣) كتاب العين ٣/ ١٩، وانظر: لسان العرب، ابن منظور ٧/ ٢٧٣، وتاج العروس، الزبيدي ١٩/ ١٩٧، وتهذيب اللغة، الأزهري ٣/ ٢٦٧، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي ١/ ٦٦٢.

(٤) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٠.

(٥) جامع البيان ١٩/ ١٨٣، وانظر: زاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٤٨٤، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي ٢/ ١٥٩، وفتح القدير، الشوكاني ٤/ ٣٥٠، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٢/ ١٠٧، وأضواء البيان، الشنقيطي ٦/ ٢٤٥

لم ينص أحد على أن معناها أخفض؟!.

**الدليل السابع:** قالوا: "في اللغة: كثيراً ماورد في الشعر العربي الطباق بين كلمتي: الأدنى والأعلى"، وذكروا لذلك شاهدين:

**الشاهد الأول:** قول أبو عدى النمري(١)، وهوشاعر جاهلي:

تهامية الأدنى حجازية الذرا ... كأن عليها من عمان شقيقها

فعلى الرغم من أن الشاعر في معرض الحديث عن النسب، القريب منه والبعيد، إلا أنه يختار للتعبير عن ذلك كلمتين متضادتين معنوياً من جهة نظره، وهما: الأدنى والذرا، وإذا كان الذرا أكثر الأماكن علواً، فإن الأدنى أكثر الأماكن انخفاضاً"(٢).

**الشاهد الثاني:** قول ابن قيم الجوزية ﷺ في نونيته المشهورة:

لا تؤثر الأدنى على الأعلى فإن ... تفعل رجعت بذلة وهوان

لا تؤثر الأدنى على الأعلى فتحـ ... ـرم ذا وذا يا ذلة الحرمانِ

قالوا: فنحن نلاحظ في البيتين السابقين الطباق بين كلمتي: الأدنى والأعلى؛ فقد وردا على أنهما متضادتين من حيث المعنى(٣).

**المناقشة:**

**والجواب عن هذا الدليل من وجهين:**

**الوجه الأول:** قولهم: "وفي اللغة: كثيراً ماورد في الشعر العربي الطباق بين كلمتي: الأدنى والأعلى" قول ينقصه التحرير والشواهد، فإننا إذا بحثنا في دواوين أشعار العرب(٤)، والكتب التي نقلت أشعارهم، لا نجد من استعمل أدنى بمعنى أخفض، أو في مقابل أعلى، بل يستعملون (أدنى) بمعنى (أقرب) أو (أقل)(٥).

---

(١) هو: عامر بن سعد بن النمر بن عثمان بن عبد الله بن نصر بن زهران بن كعب، وهو أزدي، من الشعراء المجهولين والأعراب المغمورين، له شعر في قصائد نادرة. انظر: معجم الشعراء العرب ص ٣٩٨.

(٢) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١١.

(٣) المرجع السابق ٢/ ١١.

(٤) وسيأتي ذكر بعضها في الوجه الثاني.

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة ١/ ٢٨٦، ٢/ ٣٤٥.

**الوجه الثاني**: أنهم لم يذكروا من أشعار العرب التي وصفوها بالكثرة، إلا هذين الشاهدين، والجواب عنهما كما يلي:

١- قول أبو عدي النمري:

تهامية الأدنى حجازية الذرا ... كأن عليها من عمان شقيقها

فأبو عدي النمري، هو شاعر جاهلي مغمور، لا يعرف له إلا هذه القصيدة التي منها هذا البيت، فكيف يُستدل ببيت لشاعر مغمور، ويُترك شعر العرب، الذين يكثر فيه إطلاق (أدنى) بمعنى (أقرب) أو (أقل)، ومن ذلك قول طرفة ابن العبد:

وكيفَ تَضِلُّ القَصْدَ والحَقُّ واضحٌ ... وللحَقِّ بينَ الصَّالحينَ سَبيلُ

وفَرّقَ عن بَيْتَيْكَ سعدَ بنَ مالكٍ ... وعَوفاً وعَمراً ما تَشي وتقولُ

فأنتَ على الأدنى شَمالٌ عَرِيّةٌ ... شَآميّةٌ تَزْوي الوُجوهَ بَلِيلُ

وأنتَ على الأقصى صباً غيرُ قَرَّةٍ ... تَذاءَبَ منها مُرْزغٌ ومُسيلُ[1]

وقال النابغة الذبياني:

قالت له النفس إني لا أرى طمعا ... وإن مولاك لم يسلم ولم يصد

فتلك تبلغني النعمان أن له ... فضلا على الناس في الأدنى وفي البعد[2]

٢- أبيات الإمام ابن القيم ﷺ هي في سياق أبيات له لا تدل على أنه قصد (أدنى) بمعنى (أخفض)، وإنما أراد بالأدنى: الخسيس الوضيع، وذلك أن الإمام ابن القيم ﷺ ذكر البيت الأول بعد وصفه لعرائس الجنة وحسنهن وجمالهن، ومقارنة ذلك بنساء الدنيا فقال:

ما ههنا والله ما يسوى قلا ... مة ظفر واحدة ترى بجنان

ما ههنا إلا النقار وسيّء الـ ... أخلاق مع عيب ومع نقصان

هم وغم دائم لا ينتهي ... حتى الطلاق أو الفراق الثاني

والله قد جعل النساء عوانيا ... شرعا فأضحى البعل وهو العاني

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٦٧،

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص١٢.

لا تــؤثر الأدنــى علــى الأعلــى فــإن ... تفعـــل رجعـــت بذلـــة وهـــوان[١]

قال د. محمد خليل هراس[٢] ﷺ في شرحه للبيت الأخير: "فلا تفضل أيها العاقل الناصح لنفسه هذا الأدنى الخسيس على الأعلى النفيس فتبوء بكل خيبة وخسران"[٣].

**وأما البيت الثاني** فهو يتحدث عن المقارنة بين سماع الدنيا من ألحان الغناء، وبين سماع أهل الجنة، ويدعو من أراد أن يحظى بالسماع الثاني الذي وصفه بالأعلى، أن ينزه سمعه عن السماع الأول الذي وصفه بالأدنى فقال:

نـــزه ســـماعك إن أردت ســـماع ذيـــ ... ـــاك الغنـــاء عـــن هـــذه الألحـــان

لا تـــؤثر الأدنـــى علـــى الأعلـــى فتحـــ ... ـــرم ذا وذا يـــا ذلـــة الحرمـــان[٤]

قال د. محمد خليل هراس ﷺ في شرحه للبيتين: "فإن أردت أن تحظى بسماع ذلك الغناء العلوي العبقري النشيد، فنزه سمعك عن هذه الألحان الدنسة، المنطلقة بسعار الشهوة، ولا تؤثر هذا الأدنى الخسيس، على الأعلى الشريف النفيس، فيكون مآلك أن تحرمهما جميعاً، وما أقسى الحرمان وما أصعبه.

وإن إيثارك هذا السماع الدنيء المنحط، على السماع العلوي الكريم، من أمارات نقصانك في عقلك وإيمانك، فكيف يؤثر عاقل لذة حقيرة تفوت، على لذة عالية تبقى وتخلد؟"[٥].

فتبين من هذا أن قول أصحاب الإعجاز العلمي: " فالأدنى هنا بمعنى الأخفض؛ لأنها تقابل الأعلى" غير صحيح، بل مراد ابن القيم ﷺ بالأدنى: النازل رتبة ومنزلة عن السماع الشريف الأعلى، يدل لذلك قوله بعد البيتين السابقين:

إن اختيـــارك للســـماع النـــازل الـــ ... أدنـــى علـــى الأعلـــى مـــن النقصـــان[٦]

---

(١) الكافية الشافية (نونية ابن القيم) ص٣٣٨.

(٢) هو: محمد بن خليل حسن هرّاس، ولد عام ١٣٣٤هـ بمصر، تعلم في الأزهر، ثم تخرج منه في كلية أصول الدين، ونال الشهادة العالمية العالية، درّس بجامعة الأزهر، وبعض جامعات المملكة، أمضى حياته في التعليم والتأليف، ونشر السنة، وعقيدة أهل السنة، توفي عام ١٣٩٥هـ. انظر: الشيخ خليل هراس و جهوده في تقرير عقيدة السلف، موسى واصل السلمي (رسالة ماجستير في كلية الدعوة و أصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة).

(٣) شرح القصيدة النونية ٢/ ٤٠٢.

(٤) الكافية الشافية (نونية ابن القيم) ص ٣٢٥-٣٢٦.

(٥) شرح القصيدة النونية ٢/ ٣٧٣.

(٦) الكافية الشافية (نونية ابن القيم) ص ٣٢٦.

**الدليل الثامن:** قالوا: أن أصحاب المعاجم لم ينقلوا لمعنىٰ (أدنىٰ) إلا معنىٰ واحد وهو (أقرب) فقط، وعدم إشارتها إلىٰ معنىٰ كلمة، لا ينفي وجود هذا المعنىٰ[1]؛ لأن المعاجم "بنيت علىٰ أساس تراكمي، إذ أخذ كل معجم مادته ممن سبقه في هذا المضمار، وقلما زاد الأخير علىٰ سابقيه شيئاً، إلىٰ درجة يصعب معها اكتشاف الفروق بين معجم وآخر في تناول معاني الكلمة الواحدة.

وهذا ما نلحظه عند الرجوع إلىٰ مادة (دنا) أو (دنو) في المعاجم اللغوية، إذ نجد أنفسنا أمام معان معينة، وكلام معاد، وشواهد مكررة، تناقلها أصحاب المعاجم الواحد عن الآخر.

فقد أجمعت المعاجم اللغوية علىٰ أن كلمة (دنا) بمعنىٰ اقترب، أما إن جاءت بالهمز (دنأ) فهي من الدناءة: أي الخسة والوضاعة.

وإذا كان معنىٰ كلمة (دنا) مقتصراً – من الناحية اللغوية – علىٰ ما ذكرناه، فماذا نقول إذن في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [المزمل: ٢٠]

نلاحظ أن كلمة أدنىٰ في الآيتين السابقتين، جاءت بمعنىٰ (أقل)، ولا يستقيم المعنىٰ إذا نحن أوّلناها علىٰ أنها (أقرب) نزولاً عند معطيات المعاجم اللغوية.

إذا وجدنا في لغة العرب، وفي القرآن الكريم، ما يفيد بمعان أخرىٰ لكلمة (أدنىٰ) مثل: أقل أو أصغر وأخفض، فما أهمية المعاجم في البحث أصلاً، هل نترك الأصول ونبحث في القواميس والترجمات؟! هل نحن ملزمون بأن نقتصر في فهم القرآن علىٰ ضوء المعاجم؟ ولو كان هذا الأمر صحيحاً، إذن لأمكن تفسير القرآن كاملاً، ولم تعد هناك حاجة إلىٰ مفسرين ومجتهدين"[2].

---

(١) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٢.
(٢) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٢-١٣.

**المناقشة:**

هذا النقل عن أصحاب الإعجاز العلمي يشتمل علىٰ عدد من القضايا منها:

**أولاً:** عدم دقة أصحاب الإعجاز العلمي في فهم كلام أصحاب المعاجم، ومن ثم عدم تفريقهم بين كلامهم، واتهامهم لهم بأنهم مجرد نقلة، يكرر بعضهم كلام بعض، فلا فرق إذن بين معاجمهم، ولا شك أن الحكم علىٰ المعاجم بهذه الطريقة غير سديد، ويخالف المنهج العلمي لعدة أمور منها:

١- أنه حكم علىٰ المعاجم من خلال لفظة واحدة، بينما المعاجم تشتمل علىٰ الآلاف من الألفاظ.

٢- أن مقتضىٰ المنهج العلمي في الحكم علىٰ الشيء، أن يكون بعد دراسته دراسة كاملة، وتصوره تصوراً واضحاً، فهل درس أصحاب الإعجاز العلمي كل المعاجم ليصفوها بقولهم: "وقلما زاد الأخير علىٰ سابقيه شيئاً، إلىٰ درجة يصعب معها اكتشاف الفروق بين معجم وآخر، في تناول معاني الكلمة الواحدة".

٣- أن من المقرر عند العلماء، أن العلم رحم بين أهله، ينقل بعضهم عن بعض في جميع العلوم والفنون، وعليه فليس أصحاب المعاجم بدعاً في الرواية عن السابقين، وفي تكرار ما ذكروه، وإن لم يضيفوا عليه شيئاً.

٤- أن معاجم اللغة مبنية في معرفة كثير من المعاني علىٰ السماع، فمن أتيحت له فرصة السماع من العرب، دون ما سمع في كتابه، ومن لم يتح له ذلك، نقل عمن سبقه، واستدرك عليه إن كان له استدراك.

**ثانياً:** قولهم: أن أصحاب المعاجم لم ينقلوا لمعنىٰ (أدنىٰ) إلا معنىٰ واحد وهو (أقرب) فقط، هو مجرد دعوىٰ مردود عليها بصنيع أصحاب الإعجاز العلمي أنفسهم، فهم قد نقلوا عن المعاجم معاني لـ (أدنىٰ) غير أقرب، كنقلهم عن ابن منظور قوله: الدنيء من الرجال **الخسيس** الدون..وقد دنأ يدنأ دناءة..صار **دنيئاً**..**وسفل**، يقال: لقد دنأت تدنأ أي سفلت، وقال الفراء: هو من الدناءة.. وقال الزجاج: **أقل** قيمة، والأدنىٰ: السفل

(و) الدنيء بمعنى الدون[1].

ومجد الدين الفيروزآبادي وهو صاحب (القاموس المحيط) أحد قواميس اللغة المشهورة، قد أورد في كتابه (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) معاني لكلمة (أدنى) في القرآن الكريم فقال: "**بصيرة في الأدنى**: وقد ورد على أربعة أحوال:

**الأول**: بمعنى الأجدر الأحرى: ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

**الثاني**: بمعنى القرب: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [السجدة: ٢١] أي: الأقرب.

**الثالث**: بمعنى القلة: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] أي: ولا أقل.

**الرابع**: بمعنى الأدون الأخس: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١] والدنو: القرب بالذات، أو بالحكم، ويستعمل في الزمان والمكان والمنزلة ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وأما ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨] فهو بالحكم، قال:

دنوت تواضعاً وعلوت قدراً ... فشأناك انحدار وارتفاع
كذاك الشمس تبعد أن تسامى ... ويدنو الضوء منها والشعاع[2]"[3].

**ثالثاً**: قولهم: "فما أهمية المعاجم في البحث أصلاً، هل نترك الأصول ونبحث في القواميس والترجمات؟!".

فالجواب: أنه لم يقل أحد بترك الأصول، بل المنهج العلمي يقتضي أن نعتمد على الأصول، ومنها معاجم اللغة والقواميس التي نقلت كثيراً من أصول معاني الألفاظ العربية، بل لا يمكن معرفة معاني كثير من الألفاظ إلا عن طريقها.

ثم أيهما أحق أن يُتَّبع، هل معاجم اللغة التي نقلت أصول كلام العرب، أم القواميس والترجمات الأجنبية كالموسوعة البريطانية وغيرها؟! إنهم بهذا الاعتراض، يريدون من المفسر أن ينطلق في تفسير للقرآن الكريم، وفهم ألفاظه من أمرين:

---

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي ص١٩٣.
(٢) البيتان لأبي عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي المعروف بالبحتري. انظر: ديوان البحتري، بتحقيق: حسن كامل الصيرفي ٢/ ١٢٤٧.
(٣) ٢/ ١٧٩.

**الأمر الأول:** الواقع المشاهد، ولغة العلم التجريبي المتغير، يدل لذلك قولهم: "فهؤلاء المفسرون من أين لهم أن يعرفوا أن سواحل البحر الميت هي أخفض منطقة علىٰ وجه الأرض، حتىٰ يفسروا أدنىٰ بمعنىٰ أخفض، وليس أقرب"[1]، وعلىٰ قولهم هذا فقد بقي معنىٰ الآية مجهولاً لا يعرفه أحد، حتىٰ تمَّ اكتشاف أن سواحل البحر الميت هي أخفض منطقة علىٰ وجه الأرض.

**الأمر الثاني:** مما اصطلح عليه الناس من معاني للألفاظ، يدل لذلك قولهم: "فهذا الذي يمضي إقراراً، ويكتب إمضاءه تحت كلمة الموقع أدناه[2]، مُشترك في هذا التلفيق، وهذا المذيع الذي يطالعنا كل مساء في الفقرة الاقتصادية قائلاً: انخفض سعر صرف الين الياباني إلىٰ أدنىٰ مستوىٰ له أمام الدولار في بداية التعاملات الآسيوية – مثلاً – مُشترك في التلفيق، وهذا الصحفي في وكالة أنباء البحرين، والذي كتب مقالاً بعنوان: عمير ينتقد نتائج استطلاع حول تدني شعبية حزب العمل، مُشترك في التلفيق، فليحاكموا هؤلاء كلهم فقد اشتركوا في الخداع والتلفيق"[3].

وكلاً من الأمرين ليس مرجعاً في فهم معاني ألفاظ القرآن، وإنما المرجع اللغة التي نزل بها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "ومن لم يعرف لغة الصحابة التي كانوا يتخاطبون بها، ويخاطبهم بها النبي ﷺ، وعادتهم في الكلام، وإلا حرف الكلم عن مواضعه، فإن كثيراً من الناس ينشأ علىٰ اصطلاح قومه وعادتهم في الألفاظ، ثم يجد تلك الألفاظ في كلام الله أو رسوله أو الصحابة، فيظن أن مراد الله أو رسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه، ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك"[4].

---

(١) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٤-١٥.

(٢) قال د. أحمد مختار عبدالحميد في معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٧٧٥: "أدنىٰ... ودنىٰ: اسم تفضيل من دنا...أكثر قرباً، أو أقل قدراً، أقرب: (غلبت الروم. في أداني الأرض)، (وأدنىٰ ألا ترتابوا)، (ذلك أدنىٰ أن يعرفن فلا يؤذين)" الجد الأدنىٰ: أبو الأب، الموقعون أدناه: الذين تأتي توقيعاتهم عقب كلام مكتوب، وقع أدنىٰ الورقة، وقع في أدنىٰ الورقة".

(٣) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٦.

(٤) مجموع الفتاوىٰ ١/ ٢٤٣.

**رابعاً:** قولهم: "هل نحن ملزمون بأن نقتصر في فهم القرآن على ضوء المعاجم؟ ولو كان هذا الأمر صحيحاً إذن لأمكن تفسير القرآن كاملاً، ولم تعد هناك حاجة إلى مفسرين ومجتهدين".

هذا القول منهم يدل على عدم فهم للعلاقة بين التفسير وبين معاجم اللغة، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، وفهم ألفاظه - بعد تغير اللسان العربي وانتشار العجمة - يحتاج إلى معاجم اللغة وقواميسها، ومعرفة أشعار العرب ولغاتها، وليس إلى اللغة التي تعارف عليها أهل كل عصر وزمان، وتواطؤوا عليها، "واللغة التي ينبغي أن تعد مرجعاً في تفسير القرآن الكريم وفهم نصوصه، هي اللغة التي كانت متداولة في عصر التنزيل، دون الالتفات إلى اللغة الحادثة، وما طرأ عليها في العصور التالية من دلالات الألفاظ، مما لا ينبغي تحكيمه في فهم القرآن الكريم"[١].

**الدليل التاسع:** قالوا: إن التفاسير القديمة ليست حجة على القرآن الكريم، بل إننا لا نتصور أن يفسر المفسرون أدنى في ذلك الوقت إلا بمعنى أقرب" وذكروا لذلك سببين:

**السبب الأول:** لم يكن في زمن المفسرين وكالة ناسا الفضائية.

**السبب الثاني:** لم يكن هناك تقدم علمي مذهل كما هو الآن"[٢].

قال الشيخ عبدالمجيد الزنداني: "فالمفسرون السابقون أخذوا المعنى الأول من أدنى: فقالوا: أقرب منطقة إلى بلاد العرب، منطقة الأغوار في البحر الميت، فهي أدنى الأرض بالنسبة لجزيرة العرب، فقالوا: أقرب، لكن الآية تشتمل على المعنى الثاني بمعنى الأخفض"[٣].

**المناقشة:**

**هذا الدليل يشتمل على عدة أمور منها:**

١) اتهام للمفسرين بالانتقائية، وتجهيل لهم بقلة العلم بمعاني مفردات اللغة العربية التي نزل القرآن الكريم بألفاظها ومعانيها.

---

(١) انظر: فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية، د.عبدالله بن عمر الدميجي ص٥٧.
(٢) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٤.
(٣) مقال: أخفض منطقة في العالم، موقع جامعة الإيمان باليمن www.jameataleman.org

٢) أن قولهم يلزم منه أن يقول في القرآن من شاء بما شاء، غير معتمد على تفاسير السلف من الصحابة والتابعين، أو مراعياً للغة العرب التي نزل بها، ونقلها أصحاب اللغة والمعاجم.

٣) قولهم بأن التفاسير القديمة ليست حجة على القرآن الكريم، يمكن أن يطرد على كل كتب التفسير في أي وقت، ومنها التفاسير المتأخرة، بل ومنها تفاسير أصحاب الإعجاز العلمي، فيقال أنها كذلك ليست بحجة.

وبناءاً عليه فما الذي يحتكم إليه عند تعارض الآراء؟! ، وبأي لغة يرجح بين الأقوال؟! هل بلسان المتقدمين الذين هم أقرب لعصر تنزل القرآن، وأعلم بلغة العرب؟ أم بلسان المتأخرين أصحاب الإعجاز العلمي الذين جعلوا العلم التجريبي حكماً على اللغة، فضلاً عن القرآن الكريم؟

**الدليل العاشر**: قالوا: أتت كلمة (أدنى) بمعنى الوادي، ففي القاموس المحيط: "الأدنيان وهما واديان"[(١)].

**المناقشة:**

والجواب: أنه لا تلازم بين (أدنى) بمعنى (أخفض) – كما يقولون – وبين الوادي، فليس في كلام صاحب القاموس أن هذا الوادي هو أخفض، فقد يكون سمي بذلك لأنه أقرب، وهذا ما نص عليه ياقوت الحموي ﷺ حيث قال: "الأَدْنَيَانِ: بالفتح، ثم السكون، وفتح النون، وياء، وألف، ونون، **كأنه تثنية الأدنى أي الأقرب**، من دنا يدنو: اسم واد في بلادهم"[(٢)].

**الدليل الحادي عشر**: قالوا: "لو أن الله تعالى يقصد كلمة (أقرب) فلماذا لم يستعمل هذه الكلمة؟ ومن ثم فإن كلمة (أدنى) هي المقصودة، وهي الكلمة التي تعطي المعنى الدقيق والمطلوب"[(٣)].

**المناقشة:**

الاستدلال بهذه الطريقة ليس منهجاً علمياً صحيحاً، ولذلك يمكن قلب الدليل عليهم فيقال: لو أن الله تعالى يقصد كلمة (أخفض) فلماذا لم يستعمل هذه الكلمة؟!

---

(١) ٣/ ٤٢٠.

(٢) معجم البلدان ١/ ١٢٧، وانظر: تاج العروس، الزبيدي ٥/ ٢٥٥.

(٣) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٥-١٦.

**الدليل الثاني عشر**: قالوا: الحقائق التاريخية تشهد أن المعركة وقعت في أكثر مناطق العالم انخفاضاً في حوض البحر الميت، وقد سجلت الأقمار الصناعية أنها تنخفض عن مستوىٰ سطح البحر بحوالي ٤٠٠م كما ذكرت ذلك الموسوعة البريطانية(١).

وقد ذكر المطران يوسف الدبس(٢) في كتابه (تاريخ سورية الدنيوي والديني) أن القائد الفارسي (سربار) هاجم الروم وأوقع بهم علىٰ ضفتي نهر الأردن حتىٰ بحيرة لوط، وهي البحر الميت عام ٦١٥م، وهذا الموضع هو أخفض بقعة علىٰ وجه الأرض كما هو معلوم جغرافياً(٣).

"والإيمان بالدِّين تدعمه الاكتشافات العلمية، وقد أيدت العلوم فعلاً كثيراً من النبوءات التي جاءت بها الكتب المقدسة، ولاشك أن العلوم سوف تكشف في المستقبل عن صحة كثير من الأمور الأخرىٰ التي وردت في تلك الكتب، والتي لم يصل إليها علمنا بعد"(٤).

**المناقشة:**

والجواب عن هذا الدليل من ثلاثة أوجه:

**الوجه الأول**: أن حقائق التاريخ تفتقر إلىٰ إثبات وتوثيق، وإلا فهي مجرد ادعاءات، وأصحاب الإعجاز العلمي لم يذكروا مرجعاً تاريخياً واحداً، يدل علىٰ أن المعركة وقعت في منطقة البحر الميت(٥)، وإنما ينقل أهل الإعجاز العلمي بعضهم من بعض.

---

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي ص١٩٧-١٩٨.

(٢) هو: يوسف بن إلياس بن يوحنا الدبس، مؤرخ باحث، من المشتغلين بالتربية والتعليم، كان رئيس أساقفة بيروت، يلقب بالمطران دبس، مولده عام ١٢٤٩هـ بلبنان، ووفاته بها عام ١٣٢٥هـ أنشأ مدرسة الحكمة ببيروت. انظر: الأعلام، الزركلي ٨/ ٢١٩، ومعجم المؤلفين، كحالة ١٣/ ٢٧٧.

(٣) انظر: البراهين العلمية علىٰ صحة العقيدة الإسلامية، عبدالمجيد العرجاوي ص١٠٧.

(٤) الله يتجلىٰ في عصر العلم، نخبة من العلماء ص٥٩.

(٥) وقد اختلفت كتب التفسير والتاريخ في تحديد موضع المعركة، فقيل: في أذرعات (قرب درعا جنوب الشام)، وقيل: في بصرىٰ، وقيل: في كشكر أو كسكر، وقيل: في أرض الجزيرة (موضع بين العراق والشام، ويطلق علىٰ البلاد العليا التي بين النهرين دجلة والفرات: الجزيرة)، وقيل: الأردن، وقيل: فلسطين. انظر: جامع البيان، ابن جرير ١٨/ ٤٥٨، ومعالم التنزيل، البغوي ٣/ ٥٦٩، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٤/ ٤، وتفسير القرآن، السمعاني ٤/ ١٩٥، وغرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني ٢/ ٨٩٠، وتفسير يحيىٰ بن سلام ٢/ ٦٤٣، وباهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، النيسابوري ٢/ ١١٠٣، والهداية إلىٰ بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٩/ ٥٦٥٢، ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد الأندلسي ٢/ ٣٨١، ومعجم البلدان، ياقوت الحموي ٢/ ١٣٤، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق الحربي ص٢٢، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد شُرَّاب ص٢٥، وقصة الحضارة، وِل ديورَانت ١٢/ ٢٩٦.

**الوجه الثاني:** أن عباراتهم تدل على عدم التحقق من موضع المعركة، وإنما هو مجرد توقع كما قال د. زغلول النجار في معرض حديثه عن منطقة البحر الميت: "وأن هذه المنطقة كانت من مناطق الصراع بين إمبراطورتي الفرس والروم، وأن المعركة الحاسمة التي أظهرت جيوش الفرس على جيوش إمبراطورية روما الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية)، لا بد أنها وقعت في حوض البحر الميت، وأن الوصف بـ (أدنى الأرض) هنا كما يعني أقربها للجزيرة العربية، يعني – أيضاً – أنها أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً"(١)

وقال أيضاً: "وكان الصراع بين هاتين الإمبراطوريتين الكبيرتين في هذا الزمن على أشده، ولا بد أن كثيراً من معاركهما الحاسمة قد وقعت في أرض الأغوار، وهي أخفض أجزاء اليابسة على الإطلاق"(٢)

ومن منهج العلماء في الدراسات التاريخية والآثار المكتشفة، أنهم لا يبنون عليها حكماً يقينياً، بل هي باب مفتوح للبحث والاستنباط(٣).

**الوجه الثالث:** أن كون منطقة البحر الميت هي أخفض منطقة على اليابسة، لا يلزم منه أن المعركة وقعت فيها.

**والخلاصة:**

أن القول بأن (أدنى) بمعنى (أخفض) هو قول معاصر لا تؤيده معاجم اللغة العربية، ولا كتب التفسر، ولا دواوين أشعار العرب.

و"لو أجزنا تفسير (أدنى) بأنه (أخفض)، وليس هو كذلك عندي، فإن هذا التفسير رأي واجتهاد واحتمال وظن، وليس تفسيراً يقينياً بأن هذا المعنى مراد من هذا اللفظ.

وإذا أدركت هذا بان لك وظهر سقوط شطر من مصطلح الإعجاز العلمي الذي يقوم في تفسيراته على الظن والاحتمال"(٤).



---

(١) الأرض في القرآن الكريم ص٢٨٤.
(٢) تفسير الآيات الكونية ٢/ ٤٢٩.
(٣) انظر: الإيمان بالغيب، د. بسام العموش ص١٦٨.
(٤) انظر: الإعجاز العلمي إلى أين، د. مساعد الطيار ص١٩٠.

**الموازنة بين الإعجاز الغيبي (الإخبار بالغيب) والإعجاز العلمي**[(١)]:

إن الاستدلال بالآية من حيث كونها إخبار عن نبوءة قرآنية غيبية – وبعضهم يطلق عليه الإعجاز الغيبي – أقوىٰ من القول بأن فيها إعجازاً علمياً؛ لأن دلالة الإخبار الغيبي أقوىٰ، وأدل علىٰ المقصود في إثبات أن القرآن الكريم وحي من الله تعالىٰ، ويتبين ذلك من خلال الأمور التالية:

١- أن إثبات كون القرآن وحي من الله تعالىٰ، من القضايا العقدية الكبرىٰ، فلا يجوز: "الاستدلال عليها بوجوه هزيلة، أو محتملة، أو غامضة، أو معقدة، أو مشكوك فيها؛ وذلك أنها مطالب يقينية، لا تحتمل دخول الظنون والريب، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحُجُرات: ١٥]، فاشترط لصدق الإيمان انتفاء الارتياب، وما كان هذا شأنه لم يجز أن يتطرق إليه بأدلة مظنونة محتملة، إلا علىٰ سبيل الوعظ والاعتبار، لا علىٰ سبيل تأسيس اليقين، ومزاحمة الأدلة القطعية، أو خلافتها في وظيفة إثبات العقائد، وإلا صار الحال كحال من قال: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢]"[(٢)].

وقد تبين من خلال عرض أدلة أصحاب الإعجاز العلمي، أن الاستدلال بآيات سورة الروم علىٰ الإعجاز العلمي هو من باب الظن والاحتمال، وخاضع للرأي والاجتهاد الذي يصيب ويخطيء، وعليه فلا يقوىٰ أن يكون دليلاً لإثبات صدق الوحي.

بينما كون الآيات إخبار عن الغيب أقوىٰ دلالة؛ لأن الإعجاز الغيبي دلالته يقينية، فهو من باب الخبر الذي يحتمل الصدق والكذب، ووقوعه دليل صدقه، ولذلك استدل الإمام ابن خزيمة[(٣)] ﵀ بالآية علىٰ أن القرآن الكريم كلام الله تعالىٰ، قال: "باب: من الأدلة التي

---

(١) بعض الباحثين لا يفرق بينهما، فيجعل الإعجاز الغيبي نوع من أنواع الإعجاز العلمي، وبعضهم يفرق بينهما. انظر: خصائص التعبير القرآني، عبد العظيم المطعني ١/ ١٠٧، ١٢٧، وقضية الإعجاز العلمي للقرآن وضوابط التعامل معها، د. زغلول النجار ص٧-١٣، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ص٢٤-٢٧، والعلوم الهندسية والرياضية في القرآن والسنة النبوية، د.خالد فائق العبيدي ص٦٨-٧١، وتقييدات في إعجاز القرآن، د. محمد الجهني ص٥٠.

(٢) منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية علىٰ النبوة والربوبية، د.سعود العريفي ص١٩، وانظر: في ظلال القرآن، سيد قطب٦/ ١٨٣، والشبهات التي أثيرت حول الإخبار بالغيب في أول سورة الروم والرد عليها، د. عبدالرحيم الشريف، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية بغزة، المجلد ٢٣، العدد الثاني ص١١١-١٣٩.

(٣) هو: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح ابن بكر، النيسابوري الشافعي، إمام الأئمة، والحافظ الحجّة، رحل إلىٰ عدد من البلدان، وألف عدداً من الكتب، توفي عام ٣١١هـ انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٥، طبقات الشافعية الكبرىٰ، السبكي ٣/ ١٠٩، وطبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة ١/ ٩٩.

تدل على أن القرآن كلام الله الخالق، وقوله غير مخلوق لا كما زعمت الكفرة من الجهمية المعطلة"، ثم قال: "حدثنا محمد بن يحيى، قال: ثنا سريح بن النعمان صاحب اللؤلؤ، عن ابن أبي الزناد، عن أبي الزناد، عن عروة بن الزبير، عن نيار بن مكرم الأسلمي، صاحب رسول الله ﷺ قال: لما نزلت: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ١-٣]، إلى آخر الآيتين، خرج رسول الله ﷺ فجعل يقرأ: "بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم: ١-٤] فقال رؤساء مشركي مكة: يا ابن أبي قحافة، هذا مما أتى به صاحبك قال: لا والله، ولكنه كلام الله وقوله، فقالوا: فهذا بيننا وبينك، إن ظهرت الروم على فارس في بضع سنين، فتعال نناحبك، - يريدون: نراهنك، وذلك قبل أن ينزل في الرهان ما نزل - قال: فراهنوا أبا بكر، ووضعوا رهائنهم على يدي فلان، قال: ثم بكروا، فقالوا: يا أبا بكر: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فاقطع بيننا وبينك شيئاً ننتهي إليه"[1].

٢- أن آيات سورة الروم يستدل بها كثير من العلماء والباحثين على الإعجاز الغيبي[2]، ومنهم بعض أصحاب الإعجاز العلمي[3]، بينما الإعجاز العلمي انفرد به بعض المتأخرين من أصحاب الإعجاز العلمي ولم يسبقهم إليه أحد.

---

(١) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ١/ ٤٠٤.

(٢) اختلف في عد الإخبار بالغيب وجهاً من أوجه إعجاز القرآن الكريم على قولين:

القول الأول: أنه يعد وجهاً من أوجه إعجازه، وذهب إليه كثير من العلماء والباحثين. انظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص٤٨، والاعتقاد، البيهقي ص٢٥٩، وكتاب الشفا، القاضي عياض ١/ ٢٠٣، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي ص٣٩٧، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي ص٣٣٧، والبداية والنهاية، ابن كثير ١/ ١١٤-١٢١، ومدارج السالكين، ابن القيم ٣/ ٤٣٦، وتفسير أبي السعود ٧/ ٤٩، وفتح القدير، الشوكاني ٤/ ٢٤٧، وتفسير المنار، محمد رشيد رضا١/ ١٦٩، ومناهل العرفان، الزرقاني ٢/ ٣٦٧، والنبأ العظيم، د. محمد دراز ص٥٣-٥٤، والمعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة ص٣٦٣-٣٦٦، وموسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ٢/ ١٦، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ص ١٩٨، ونظريات الإعجاز القرآني، د. أحمد رحماني ص١١٣-١٢١.

القول الثاني: أن الإعجاز بالغيب هو نوع من أنواع إعجاز القرآن الكريم، ولكنه ليس بالأمر العام في كل سورة من سور القرآن؛ لأنه لم يحصل به التحدي. انظر: بيان إعجاز القرآن، الخطابي ص٢٤، والإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة بنت الشاطيء ص: ٩٢، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان ص٢٦٩، وخصائص التعبير القرآني، عبد العظيم المطعني ص١٠٧، ١٢٧-١٢٩، وإعجاز القرآن، د. عبدالقهار العاني ص١٣٦-١٣٧، واللآليء الحسان في علوم القرآن، د. موسى شاهين ص٢٠٩، والإسلام يتحدى، وحيد الدين خان ص١٦٧-١٨٢، والأدلة الجلية على صدق خير البرية ﷺ، د. عبدالمحسن المطيري ص١٠٥.

(٣) انظر: ص١٨٢.



قال الزجاج ﷺ:"والإخبار بما سيكون كقوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٢-٤] فوجد من ذلك ما أنبأ به"(١)

وقال الإمام إسماعيل بن محمد، الملقب بقوام السنة(٢) ﷺ: "ومن أعجاز القرآن الإخبار بالمغيبات، ومما ورد في القرآن من الأخبار الصادقة عن الغيوب، قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] إلىٰ قوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] فقطع بهذا الخبر علىٰ غيبهم، وأخبر عن عاقبة أمرهم، وعما يكون من انقطاعهم عن معارضته والإتيان بمثله، فكان كما قال، ومن قوله ﷺ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ١-٣] إلىٰ قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦]، وهذا القول في غاية ما يكون من تأكيد الوعد، والتكفل بالوفاء به، ومن كان في محل الصدق، وأمره مبني علىٰ تجنب الكذب والخلف، لم يأت بمثل هذا القول إلا عن ثقة وبصيرة.

والقصة في غلبة الروم لفارس علىٰ ما بشر الله به في هذه الآية معروفة، واستبشار المؤمنين وفرحهم بذلك معلوم، وسببه ظاهر غير مكتوم، وهو أن الروم كانوا أهل كتاب وملكهم قيصر، أكرم كتاب النبي ﷺ، وكانت فارس بخلاف هذه الصورة، وملكهم كسرىٰ مزق كتاب النبي ﷺ، فدعا عليه بتمزيق ملكه، فمزقه الله ولم تقم له قائمة"(٣)

وقال ابن عطية ﷺ عن الآية: "وهذا أيضا غيب أخبر به وأخرجه الوجود"(٤)

وقال الإمام القرطبي ﷺ بعد ذكره لآية سورة الروم وغيرها: "فهذه كلها أخبار عن الغيوب التي لا يقف عليها إلا رب العالمين، أو من أوقفه عليها رب العالمين، فدل علىٰ أن الله تعالىٰ قد أوقف عليها رسوله؛ لتكون دلالة علىٰ صدقه"(٥).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٥٠.

(٢) هو: إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بـ (قوام السنة) من أعلام الحفاظ، كان إماماً في التفسير والحديث واللغة، توفي عام ٥٣٥ هـ. انظر: شذرات الذهب، ابن العماد ٦/ ١٧٥، وسير أعلام النبلاء، ابن حجر ٢٠/ ٨٠.

(٣) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ١/ ٣٨١.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٢٨ ولكن ابن عطية ﷺ لا يعد ذلك من وجوه الإعجاز، كما بينه في مقدمة تفسيره ١/ ٣٨

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٧٥.

وقال الإمام البيهقي[(١)] رحمه الله: "وأما من ذهب إلى أن إعجازه لما فيه من الأخبار الصادقة عن الأمور الكائنة، فوجهه بين، وشواهده كثيرة، كقوله سبحانه ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ١-٣] فكان الأمر كما نطق به القرآن، فظهرت فارس على الروم، فاغتم به المسلمون، وسر به المشركون، فوعد الله المسلمين بظهور الروم على فارس في بضع سنين، فظهروا عليها لتسع سنين، وقيل: لسبع، وفرح المؤمنون بنصر الله أهل الكتاب"[(٢)]

وقال الشوكاني[(٣)] رحمه الله: "ولو لم يكن من دلائل نبوته ﷺ إلا ما وقع من الإخبار بالأمور الغيبية التي وقعت كما أخبر به، ولـم يتخلف شيء منها، وهي كثيرة جداً، وقد اشتمل القرآن الكريم على شيء من ذلك...

وكذا قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ١-٤] فوقع ما أخبر به القرآن بعد المدة التي ذكرها، وذلك معلوم لا يختلف فيه الناس"[(٤)].

وقال محمد رشيد رضا[(٥)] رحمه الله: "إعجاز القرآن بما فيه من علم الغيب:...اشتماله على الإخبار بالغيب من ماض، كقصص الرسل مع أقوامهم، وقد تقدم بعض الكلام فيه، ومن حاضر في عصر تنزيله، كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١-٥] الآية،

---

(١) هو: أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، من أئمة الحديث، ولد في خسروجردي (من قرى بيهق، بنيسابور) ونشأ بها، ورحل إلى بغداد والكوفة ومكة وغيرها، توفي بنيسابور عام ٤٥٨ هـ انظر: شذرات الذهب، ابن العماد ٥/ ٢٤٨، وسير أعلام النبلاء، الذهبي ١٨/ ١٦٣.

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ص ٢٥٦.

(٣) هو: محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني، فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن، ولد في (شوكان) باليمن عام ١١٧٣هـ ونشأ في صنعاء، وتلقى العلم على شيوخها، واشتغل بالقضاء والإفتاء، توفي بصنعاء عام ١٢٥٠هـ. انظر: الأعلام، الزركلي ٦/ ٢٩٨، وهدية العارفين، البغدادي ٢/ ٣٦٥.

(٤) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات ص ٥٠.

(٥) هو: محمد رشيد بن علي رضا شمس الدين القلموني، بغدادي الأصل، حسيني النسب، ولد في القلمون بالشام عام ١٢٨٢هـ ونشأ وتعلم فيها وفي طرابلس، ثم رحل إلى مصر والهند والحجاز وأوربا، ثم عاد فاستقر بمصر وتوفي بها عام ١٣٥٤ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي ٦/ ١٢٦، ومعجم المؤلفين، كحاله ٩/ ٣١٠.

وفيها خبران عن الغيب، ظهر صدقهما بعد بضع سنين من نزول الآية"[١].

٣- أن الإعجاز الغيبي يتوافق مع سياق آيات الروم؛ لأن سياق الخبر لم تكن العناية فيه متجهة إلى موقع المعركة، وإنما كان منصباً على الغلبة لأي الفريقين، ولذا أهمل ذكر الموقع في غلبة الروم على الفرس، ولم يذكر عنه شيئاً[٢].

٤- أن دلالة الإخبار بالأمور الغيبية ليس خاصاً بالنبي ﷺ، بل هو دليل مشترك بين سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ودلالة الأمر المشترك أقوى من دلالة الأمر الخاص لكل من عرف وأقر بصدق الأنبياء[٣].

بل إن الإخبار بالغيب موجود في الديانات المصرية، وعند بعض العرب، إذ رُبط بالكاهن الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، كما أنه رُبط في أديان الشرق وعند الإغريق بالعراف الذي يخبر عن الأمور الغيبية[٤]، مع التفريق بين إخبار هؤلاء بالغيب وبين إخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وأهل الكتاب من اليهود والنصارى – الذين يريد أصحاب الإعجاز العلمي أن يثبتوا لهم أن القرآن الكريم من عند الله – يؤمنون بأخبار الغيب، بغض النظر عن الاختلاف بيننا وبينهم في مضمون هذا الغيب[٥]، وهم لا يكاد ينظرون للنبوة إلا أنها إخبار عن الغيب.

ووقوع المعركة بين الروم والفرس، وغلبة الروم عليهم، مما ذكره المؤرخون من المسلمين والكفار، كما نقل أصحاب الإعجاز العلمي عن المطران يوسف الدبس في كتابه (تاريخ سورية الدنيوي والديني).

---

(١) تفسير المنار ١/ ١٦٩.

(٢) أفادني بهذا الأستاذ الدكتور إبراهيم بن عبدالله الحماد حفظه الله، أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

(٣) انظر: إثبات نبوة محمد ﷺ، القرطبي ص٣٢، والنبوات١/ ٤٩١، ٢/ ٨٠٧، وشرح العقيدة الأصفهانية كلاهما لابن تيمية، ووجوه دلالة القرآن على النبوة، د. سامية البدري ص٢١٦-٢١٩، ٢٢٨، ٢٦٥.

(٤) انظر: النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، علي مبروك ص٦٠، ٦٢، ووجوه دلالة القرآن على النبوة، د. سامية البدري ص١٧.

(٥) انظر: وجوه دلالة القرآن على النبوة، د. سامية البدري ص١٧.

وقال المؤرخ (إدوارد جيبون)[١] بعد ذكره لتفاصيل المعركة: "في ذلك الوقت حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة، لم تكن أية نبوءة أبعد منها وقوعاً؛ لأن السنين الاثنتي عشر الأولى من حكومة هرقل، كانت تؤذن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية"[٢].

٥- أن من أظهر الأدلة وأقواها على صدق الوحي ما يمكن استنتاجه من الوحي نفسه، بحيث لا تكون الدلالة على صدقه هي مقتضى التلازم بين الوحي وبين دليل خارج منه، وإنما تكون داخلة في مضمونه وحقيقته.

قال ابن خلدون[٣] ﷺ في بيان هذه الحقيقة: "فاعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها، دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد ﷺ، فإن الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي، ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقة، والقرآن هو بنفسه الوحي المدعي، وهو الخارق المعجز، فشاهده في عينه ولا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي، فهو أوضح دلالة؛ لاتحاد الدليل والمدلول فيه، وهذا معنى قوله ﷺ: (ما من نبي من الأنبياء إلا وأتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحي إلي، فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)[٤] يشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة، وهو كونها نفس الوحي، كان الصدق لها أكثر لوضوحها، فكثر المصدق المؤمن وهو التابع والأمة"[٥].

قال فخر الدين الرازي ﷺ: "والقرآن أدل دليل وأقوى مثبت له، وإمكانه لا يشك فيه، وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه"[٦].

---

(١) هو: مؤرخ إنجليزي، ولد بلندن عام ١٧٣٧م، وعاش بها، وعمل عشر سنوات عضواً في البرلمان، وكان ذكياً، اهتم بالتأريخ وتفاصيله، توفي عام ١٧٩٤م بلندن. انظر: سقوط الامبراطورية الرومانية لجيبون بقلم الأستاذ علي أدهم ص ٨٦، موسوعة ويكيبيديا wwwar.wikipedia.org/wiki

(٢) سقوط وانحدار الامبراطورية الرومانية ٥/ ٧٤.

(٣) هو: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، مؤرخ، وعالم اجتماعي، نشأه بتونس، ورحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالاً، توفي فجأة في القاهرة عام ٨٠٨ هـ. انظر: شذرات الذهب، ابن العماد ١/ ٧١، و الأعلام، الزركلي ٢/ ٣٣٠.

(٤) رواه البخاري ٦/ ١٨٢ (٤٩٨١)، ومسلم ١/ ١٣٤ (١٥٢).

(٥) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ص١١٩.

(٦) مفاتيح الغيب ٢٩/ ٢٨٨.

٦- ومما يزيد الوجه السابق وضوحاً أن الإخبار بالغيب هو صفة للقرآن الكريم ومن خصائصه، فدلالته على صدق الوحي من باب التضمن، ودلالة الإعجاز العلمي هي من باب الاستلزام، فإذا أمكن القدح في دلالة الاستلزام، من جهة الشك في نسبة التلازم بين أمرين متلازمين لحصول المغايرة بينهما، إلا إنه لا يمكن الشك في دلالة التضمن؛ لأن الدليل حينئذ يكون هو المدلول، وإذا انتفت المغايرة بين الدليل والمدلول، استحال الشك في الدليل.

فإثبات أن القرآن الكريم وحي من الله تعالى، لا يحتاج إلى أدلة خارجة منه، كإثبات أن أخفض منطقة على سطح اليابسة هي منطقة حوض البحر الميت. وإنما يتضمن القرآن الكريم الدلالة على ثبوته من جهة إخباره، فهو بهذا الدليل والمدلول معاً.

ويترتب على هذا الفرق، أن الدلالة المتضمنة في الوحي باقية مستمرة ببقائه، بينما تتوقف الدلالات الخارجة منه إلى ثبوتها وتحققها، وإلى صحة نقلها في حق من لم يعاينها[1].

٧- أن المبالغة والتكلف في جعل الشواهد الحسية مؤكدة للإيمان بالغيب، ودليلاً على القضايا الغيبية الخبرية، هو في الحقيقة يضعف الإيمان بالغيب، ويجعل تحقق ذلك محصوراً فيمن حصل له العلم بالشواهد الحسية.

وهذا المنهج طرده بعض أصحاب الإعجاز العلمي في الأمور الغيبية المتعلقة باليوم الآخر، فجعلوها من عالم الشهادة، وهذا ما سيتم مناقشته في المبحث التالي.



---

(١) من كتاب: المعرفة في الإسلام، د. عبدالله القرني ص١٢٩ بتصرف يسير.



# المبحث الثاني

## تكييف الأمور الغيبية

## وعلاقــة الإعجــاز العلمــي به

لقد كان لانتشار الإلحاد – الذي ينكر المغيبات – في بعض بلاد الإسلام، وانبهار بعض المسلمين بالحضارة الغربية، والتقدم العلمي، أثر في اتجاه بعض الباحثين إلىٰ محاولة إثبات حقائق الدين، وخاصة الغيبية منها، وتقريبها من العقول، التي لا تُسلّم إلا بالأدلة العلمية التجريبية[1]، واتجه آخرون إلىٰ التوفيق بين ما ذكره القرآن الكريم من إشارات إلىٰ حقائق علمية، وبين ما توصلت إليه المكتشفات العلمية الحديثة، وعدوا ذلك سبقاً سبق فيه القرآن تلك العلوم، وإعجازاً علمياً.

قال د. سليمان الطراونة: "لمشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم المكي خاصة حضور كبير، وقد استحضرها القرآن بأسلوب فني معجز مؤثر؛ لتحريك النفوس ولإزالة ما علق بها من أوطار الشرك والإعراض عن ذكر الله...وعلىٰ أهمية هذ الجانب من الإعجاز في تلك المشاهد كما جسدها القرآن الكريم إلا أن هذه الدراسة تقارب قدر المستطاع ما في بعض تلك المشاهد المؤثرة من إعجاز علمي مبين وليس الإعجاز البياني، كنموذج لغيرها"[2].

ومحاولة أصحاب الإعجاز العلمي إدراك حقيقة المغيبات، هو ينتظم في حلْقة من حاول ذلك اعتماداً علىٰ الإسرائيليات، أو مجرد العقل، والتي بين العلماء خطأهم فيهما.

وسوف أورد الآيات القرآنية التي تتحدث عن أمور غيبية، وأقوال أصحاب الإعجاز العلمي في تكييف ما تضمنته، وتحريفهم لمعانيها، وأناقش أقوالهم نقاشاً علمياً،

---

(١) انظر: مناهج الاستدلال علىٰ مسائل العقيدة الإسلامية في العصر الحديث، د. أحمد قوشتي ص٤٦٧-٤٧٣، والاتجاهات العقلانية الحديثة، د. ناصر العقل ص٣١٣-٣٢٨.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٥٣.

وذلك في أربع مسائل:

- المسألة الأولى: تكييف كرسي الرحمن ﷻ وعرشه.
- المسألة الثانية: تأول علو الله تعالى ونزوله إلى السماء الدنيا.
- المسألة الثالثة: تكييف مدة اليوم في سورة الحج والسجدة والمعارج.
- المسألة الرابعة: تكييف عروج الملائكة.
- المسألة الخامسة: تكييف ما يتعلق باليوم الآخر.



**المسألة الأولى: تكييف كرسي الرحمن ﷻ وعرشه.**

**الآية الأولى:** قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

ذكر د. داود سلمان السعدي أن العلماء كانوا يعتقدون أن مجرتنا بما تشتمل عليه من أرض وشمس وقمر ونجوم هي الكون كله، وقد جاء كتاب الله تعالى، ومنذ أكثر من أربعة عشر قرناً بحقيقة أن الكون هو أوسع من ذلك بكثير، بل إن المنظومة الشمسية كلها، بل مجرتها كلها، لا تكاد أن تكون شيئاً بجانب سعة الكون"(١).

**واستدل لذلك بآيتين من القرآن:**

**الأولى:** قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ...﴾ [الملك: ٥]، قال في بيان وجه الدلالة من الآية: "السماء الدنيا هي مجرة درب التبانة. . . فانظر كيف أن وصفه تعالى لهذه السماء بـ (الدنيا) قد دل دلالة واضحة لا لبس فيها على أن هناك ما هو أبعد منها بكثير، سماوات غيرها كثيرات"(٢).

**الثانية:** قوله سبحانه: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ...﴾ [البقرة: ٢٥٥]

حيث قرر الدكتور أن الكرسي ليس هو الكرسي المعروف، وإنما هو رمز للملك والقدرة والسلطة(٣)، وهو مجرة أو نجم، وأيد قوله بأحاديث نقلها عن كتاب (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي، وكتاب (مجمع البيان في تفسير القرآن) للطبرسي، وكتاب (زاد المسير في علم التفسير) لابن الجوزي، وكتاب (تفسير سورة البقرة) للدكتور أمير عبد العزيز، في بيان صفة الكرسي.

---

(١) أسرار الكون في القرآن ص١٧٣-١٧٤.
(٢) المرجع السابق ص ١٧٤.
(٣) السابق ص١٧٦.

ثم قال د. داود السعدي: "ولقد نقل القرطبي عن ابن عساكر في تاريخه حديثاً للإمام علي قال: قال رسول الله ﷺ: (الكرسي لؤلؤة..وطول الكرسي لا يعلمه إلا الله تعالىٰ)...إذن فالكرسي حسب هذا الحديث، هو جسم عظيم يشبه اللؤلؤة في شكله، ويصل طوله إلىٰ ما لا يعلم، أو هو (جسم نوراني).

وأقول: إن المجرة، أية مجرة، تبدو من بعيد في المراقب كلؤلؤة ضخمة تتلألأ فيها الأضواء، أضواء النجوم وتزدحم فيها.

وما الذي يميز اللؤلؤة أية لؤلؤة عما سواها من الأجسام؟ إنه الضوء الباهر واللمعان الذي يخطف الأبصار، وتقول عن الشيء بأنه يتلألأ، وتعني بذلك أنه يشع الضوء الباهر. . .

ووصف النبي ﷺ لـ(الكرسي) بأنه (لؤلؤة) لا ينطبق في المستوىٰ الكوني الواسع الذي نعرفه إلا علىٰ النجم، أو المجرة، ولكن اللؤلؤة تنبعث منها في العادة متكسرة عنها إشعاعات عديدة متلألئة لا شعاع واحد.

وقوله: (طول الكرسي لا يعلمه إلا الله) يدل علىٰ أبعاد سحيقة أين منها قياساتنا الأرضية الضئيلة والمتواضعة، إذ ما هو وسع أرضنا أو منظومتنا الشمسية بالنسبة إلىٰ مجرة (درب التبانة)...

ولا أرىٰ في وصف رسول الله ﷺ هذا الكرسي بأنه شيء يتلألأ مما لا يعلم طوله إلا الله تعالىٰ، لا أرىٰ ما يشبهه فيما قد عرفه العلم الحديث إلا المجرة في صفاتها وأبعادها...

وهكذا يتبين لنا كيف أن معطيات العلم الحديث في اكتشافات القرن العشرين قد ألقت من جانب ضوءاً جديداً علىٰ فهمنا لـ (الكرسي) و(العرش)(١) مما قد جاء في كتاب الله تعالىٰ، وأنها تؤيد من جانب آخر ما قد جاء في أحاديث رسول الله ﷺ في توضيح معناها قبل أربعة عشر قرناً"(٢).

**المناقشة:**

ما ذكره الدكتور مخالف لما دلت عليه نصوص القرآن والسنة، وأجمع عليه علماء الأمة من أهل السنة والجماعة، ويتبين ذلك من خلال ما يلي:

---

(١) وسيأتي كلامه عن العرش عند الآيات الدالة علىٰ ذلك.
(٢) السابق ص١٧٨-١٨١، وانظر: ص١٨٢.

١- ما ذهب إليه الدكتور من أن الكرسي هو نجم أو مجرة، أو هو رمز للملك والقدرة والسلطة، هو إنكار لحقيقة الكرسي، وموافقة منه لمقولة الفلاسفة[(١)] المنتسبين للمسلمين، الذين يزعمون أن الكرسي هو عبارة عن الفلك الثامن، ويسمونه (فلك الثوابت)[(٢)]، أو موافقة للمتكلمين وغيرهم، ممن زعم أنه المُلك، وسعة السلطان[(٣)].

٢- أنه ليس من معاني الكرسي في اللغة: الفلك، أو النجم، أو المجرة، ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن نزل بلغة العرب، وقد ذكر الدكتور أقوال بعض علماء اللغة في معنى الكرسي، ولم يذكر منها أنه نجم أو مجرة[(٤)].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله مبيناً آثار استعمال ما لم يؤلف استعماله في لغة المخاطبين، وإن ألف في الاصطلاح الحادث: "وهذا موضع زلت فيه أقدام كثير من الناس، حيث تأولوا كثيراً من ألفاظ النصوص بما لم يؤلف استعمال اللفظ له في لغة العرب البتة، وإن كان معهوداً في اصطلاح المتأخرين، وهذا مما ينبغي التنبه له، فإنه حصل بسببه من الكذب على الله ورسوله ما حصل"[(٥)].

٣- أن الدكتور تجاهل المعنى الذي تفهمه العرب من لغتها للكرسي، والذي هو: عبارة عن الشيء الذي يعتمد عليه، وقد ثبت ولزم بعضه بعضاً[(٦)]، قال الزجاج رحمه الله: "الذي نعرفه من الكرسي في اللغة: الشيء الذي يعتمد عليه، ويجلس عليه"[(٧)].

وقد ذكر الدكتور هذا المعنى في كتابه وتجاهله، فإنه لما عدد آراء علماء اللغة في

---

(١) الفلاسفة: جمع فيلسوف، والفلسفة كلمة يونانية مركبة من كلمتين (فيلا) أي: محب، و(سوفيا) أي: الحكمة، ومن آرائهم: القول بقدم العالم، وإنكار النبوات، وبعث الأجساد بعد الموت، وغيرها، وقد تبعهم فلاسفة العالم الإسلامي على تفاوت بينهم في الضلال والانحراف عن الحق. انظر: الملل والنحل، الشهرستاني ٢/ ١١٦، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي ص٩١، والمعجم الفلسفي، جميل صليبا ٢/ ١٦٠.

(٢) انظر: المواقف في علم الكلام، الإيجي ص٢٠٠، والكليات، أيوب الكفوي ص ٧٧٠، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣/ ٢٧٦، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري ٣/ ١٨، والكشاف، الزمخشري١/ ١٥٣-١٥٤، والبداية والنهاية، ابن كثير ١/ ٢٥، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٣١٠، وتفسير أبي السعود ١/ ٢٩٦، وتفسير المنار، محمد رضا ٣/ ٢٨.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٦/ ١٩٤، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي٣/ ٢٧٧، وفتح القدير، الشوكاني١/ ٢٧٢، والكشاف، الزمخشري١/ ٣٨٥-٣٨٦، ومفاتيح الغيب، الرازي ٧/ ١١.

(٤) انظر: أسرار الكون في القرآن، د. داود السعدي ص١٧٦-١٧٧.

(٥) الصواعق المرسلة ١/ ١٨٧.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ١/ ٣٣٧-٣٣٨، ومعاني القرآن الكريم، النحاس ١/ ٢٦٤.

(٧) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ١/ ٣٣٧-٣٣٨.

الكرسي نقلاً عن كتاب (لسان العرب) لابن منظور قال: "والكرسي: معروف، وربما قالوا كِرسي بكسر الكاف"[1].

ثم أجمل الأقوال في الكرسي، ولم يذكر منها أنه الكرسي المعروف، بل قال: "تدل كلمة (الكرسي) على: المضموم إلى بعضه البعض، أو بعضه فوق بعض، من أي شيء كان، المنظم كاللؤلؤ والخرز في الخيوط، المتراكب المتماسك، الصلب الشديد، المزدحم بالعلم، أو هو العلم نفسه، والقدرة، والسلطان، والملك"[2].

ويضاف لتجاهله كذلك اختصاره لكلام ابن منظورﷺ، وحذفه منه آية: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ونص كلام ابن منظورﷺ هو: "والكرسي: معروف واحد الكراسي، وربما قالوا كرسي؛ بكسر الكاف، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾ [البقرة: ٢٥٥]"[3]، ثم أورد ابن منظور أقوالاً في معنى الكرسي في الآية.

وقد نبه الإمام ابن قتيبة[4] ﷺ إلى خطأ تفسير القرآن الكريم بغير اللغة التي نزل بها، وضرب مثالاً على ذلك بالكرسي فقال: "وفسروا القرآن بأعجب تفسير، يريدون أن يردوه إلى مذاهبهم، ويحملوا التأويل على نحلهم.

فقال فريق منهم في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي: علمه، وجاءوا على ذلك بشاهد لا يعرف، وهو قول الشاعر.

.......................................... ولا يكرسـئ علـم الله مخلـوق[5]

كأنه عندهم: ولا يعلم علم الله مخلوق.

والكرسي غير مهموز، و(يكرسئ) مهموز، يستوحشون أن يجعلوا لله تعالى كرسياً،

---

(١) أسرار الكون في القرآن ص١٧٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٧٧.

(٣) لسان العرب ٦/ ١٩٤.

(٤) هو: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوري، عالم وفقيه، وأديب، ولغوي، ولد بالكوفة عام ٢١٣هـ ثم انتقل إلى بغداد، وأخذ عن علماء البصرة والكوفة، وسخر قلمه لإعلاء السنة، وتفنيد حجج خصومها، توفي عام ٢٧٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٣/ ٢٩٦، وشذرات الذهب، ابن العماد ١/ ٢٥.

(٥) وصدره: (ما لي بعلمك كرسي أكاتمه) كما في كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي ٢/ ١٥١.

أو سريرا"[١].

٤- وأما الحديث الذي نقله الإمام القرطبي﵀ عن ابن عساكر﵀ في تاريخه عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "الكرسي لؤلؤة[٢]... وطول الكرسي لا يعلمه إلا الله تعالى"، فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية[٣] عن أبي عمرو بن حمدان، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا عبد الواحد بن عتاب[٤]، ثنا عنبسة بن عبد الرحمن، حدثنا علاق، عن محمد بن علي ابن الحنفية، عن علي ﷺ مرفوعاً، ثم قال: "هذا حديث غريب من حديث محمد بن علي، تفرد به عنبسة عن علاق، ويعرف بأبي مسلم[٥]"[٦].

وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني، عن عبد الله بن محمد بن يعقوب، حدثنا إبراهيم بن الوليد الجشاش، حدثنا غسان بن مالك، حدثنا عنبسة، وذكر بقية سند أبي نعيم عن علي ﷺ مرفوعاً[٧].

وأورده المتقي الهندي[٨]، وعزاه إلى الحسن بن سفيان وأبي نعيم في الحلية، عن محمد بن الحنفية مرسلاً[٩].

وأورده السيوطي وعزاه إلى أبي الشيخ وأبي نعيم، وقال في سنده: واهٍ[١٠].

وأخرجه الديلمي عن علي ﷺ بدون سند[١١].

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص١١٩، وانظر: الاختلاف في اللفظ، ابن قتيبة ص٤٧-٤٨.

(٢) جاء بلفظ: "لؤلؤ" عند جميع من خرجوه.

(٣) ٣/ ١٧٩.

(٤) كذا في الحلية، والصواب: عبد الواحد بن غياث. انظر: تهذيب الكمال، المزي ٢٢/ ٤١٧، وسير أعلام النبلاء، الذهبي ١٤/ ١٥٧.

(٥) قال الألباني: "كذا الأصل، ولعل الصواب: ابن أبي مسلم؛ فإنه كذلك في "التهذيب" وغيره، وقال: "ويقال: ابن مسلم" انظر: السلسة الضعيفة ٩/ ١٧٧ (٤١٥٥).

(٦) حلية الأولياء ٣/ ١٧٩.

(٧) كتاب العظمة ٢/ ٦٤٦.

(٨) هو: علي بن عبد الملك حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي، الشهير بالمتقي، فقيه، من علماء الحديث، سكن المدينة، ثم أقام بمكة مدة طويلة، وتوفي بها عام ٩٧٥هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٤/ ٣٠٩.

(٩) انظر: كنز العمال ٦/ ١٥١.

(١٠) انظر: الدر المنثور ٢/ ١٧، والهيئة السَّنية في الهيئة السُّنِّية ص٢١.

(١١) انظر: الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٣١١ (٤٩٣٨).

وقال المناوي ﷺ: "ثم إن فيه عندهما[1] عنبسة بن عبد الرحمن، وقد مر قول الذهبي وغيره: أنه متروك متهم"[2]، وحكم الشيخ محمد ناصرالدين الألباني[3] ﷺ على سند الحديث بالوضع[4].

والخلاصة أن سند الحديث قد اجتمع في سنده ثلاثة رواة، لو تفرد أحدهم بالرواية لم تقبل، فكيف بهم جميعاً في سند واحد وهم:

**الأول:** غسان بن مالك، قال فيه أبو حاتم: ليس بقوي[5].

**الثاني:** عنبسة بن عبدالرحمن، متروك كما قال البخاري، والذهبي، والنسائي في موضع، بل رماه أبو حاتم بالوضع[6].

**الثالث:** علاق بن أبي مسلم، قال فيه المزي: "وهو شيخ مجهول، لا يروي عنه غير عنبسة بن عبد الرحمن، وهو من الضعفاء المتروكين"[7].

وعليه فإن الحديث لا يصلح أصلاً للاحتجاج، فضلاً عن أن يحتج به على مسألة عقدية غيبية.

٥- أن ما ذكره مخالف لما دلت عليه الأحاديث النبوية، والآثار المروية عن السلف من الصحابة ﷺ والتابعين، ومن سار على هديهم، من أن الكرسي: مخلوق عظيم بين يدي العرش، وهو موضع القدمين للبارئ ﷻ[8].

---

(١) أي: عند أبي نعيم وأبي الشيخ.

(٢) فيض القدير ٨/ ٣٦٣.

(٣) هو: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح بن نجاتي، الأشقودري الألباني الأرنؤوطي، ولد بألبانيا عام ١٣٣٢هـ وتلقى تعليمه في دمشق، وحبب إليه علم الحديث، حاز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية، توفي عام ١٤٢٠هـ. انظر: حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، محمد الشيباني.

(٤) انظر: السلسلة الضعيفة ٩/ ١٧٧ (٤١٥٥)، وضعيف الجامع الصغير وزيادته (٤٢٩٨).

(٥) لسان الميزان، ابن حجر ٦/ ٣٠٧، وميزان الاعتدال، الذهبي ٣/ ٣٣٥، وديوان الضعفاء والمتروكين، الذهبي ص ٣١٥.

(٦) تهذيب الكمال، المزي ٢٢/ ٤١٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر ٨/ ١٦١.

(٧) تهذيب الكمال، المزي ٢٢/ ٥٥٠، وانظر: ميزان الاعتدال، الذهبي ٣/ ١٠٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر ٨/ ١٩٥، وتقريب التهذيب، ابن حجر ص٦٢٩.

(٨) انظر: أصول السنة، ابن أبي زَمَنِين ص ٩٦، والأسماء والصفات، البيهقي ٢/ ٢٧٢، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٥/ ٥٤، وشرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ٢/ ٣٦٩، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٣١٧-٣١٨.

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: "الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدره إلا الله عز وجل"[(١)].

وقد نُقل مثل هذا القول عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين منهم: ابن مسعود، وأبو موسى الأشعري - رضي الله عنهم، ومجاهد رحمه الله، وغيرهم[(٢)]، وذكر كثير من العلماء إجماع السلف عليه[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الكرسي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف"[(٤)]، وقال الإمام ابن أبي العز[(٥)] رحمه الله: "وإنما هو -الكرسي- كما قال غير واحد من السلف بين يدي العرش كالمرقاة إليه"[(٦)].

وقال الإمام محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين[(٧)] رحمه الله: "ومن قول أهل السنة أن الكرسي بين يدي العرش وأنه موضع القدمين"[(٨)].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: "والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي

---

(١) أخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي ١/ ٣٩٩ -٤٠١، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ١/ ٢٤٨-٢٤٩، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٨٢ وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، وذكره الذهبي في العلو ص٦١ وقال: "رواته ثقات"، وقال ابن حجر في فتح الباري ٨/ ١٩٩: "وقد روى ابن أبي حاتم من وجه آخر، عن ابن عباس أن الكرسي موضع القدمين، وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن أبي موسى مثله"، وأخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان ٤/ ٥٣٧، وأخرجه الدارقطني في كتاب الصفات ص٣٠، وأخرجه ابن منده في الرد على الجهمية ص٤٤-٤٦ موقوفاً على ابن عباس، وأخرجه مرفوعاً من طريق شجاع بن مخلد، وذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ٣٠٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٣٢٣، عن ابن عباس وقال: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح".

(٢) انظر: كتاب العرش، ابن أبي شيبة ص ٤٣٥-٤٣٧، والسنة، عبدالله بن أحمد ص٧٠، ١٤٣، وجامع البيان، ابن جرير ٤/ ٥٣٧، والرد على الجهمية، ابن منده ص٤٦، والأسماء والصفات، البيهقي ٢/ ٢٧٩، والعلو، الذهبي ص٨٤.

(٣) انظر: طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى ١/ ٢٨، واجتماع الجيوش الإسلامية، ابن القيم ٢/ ٢٧٨، وكتاب العرش، الذهبي ١/ ٣٠٣-٣١٠، وبغية المتأسي في إثبات الكرسي، علي الشهراني.

(٤) مجموع الفتاوى ٦/ ٥٨٤.

(٥) هو: علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقي، ولد عام ٧٣١هـ في الصالحية من مدينة دمشق، ونشأ في أسرة ذات علم ومكانة، وكان فقيهاً وقاضياً، توفي بها عام ٧٩٢هـ ودفن بسفح قاسيون. انظر: الدرر الكامنة، ابن حجر ٤/ ١٠٣، وشذرات الذهب، ابن العماد ٨/ ٥٥٧.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٨٠.

(٧) هو: محمد بن عبد الله بن عيسى المري، أبو عبد الله، المعروف بابن أبي زَمَنِين، فقيه مالكي، سكن قرطبة، ثم عاد إلى إلبيرة، وتوفي بها عام ٣٩٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٧/ ١٨٨، وطبقات المفسرين، السيوطي ص١٠٤.

(٨) أصول السنة ص٩٦.

العرش، والعرش أعظم منه"[١].

وقـال أيضـاً: "وأربـاب الإلحـاد يحملونهـا علىٰ عظـم الملـك وجلالـة السـلطان، وينكرون وجود العرش والكرسي وليس بشيء، وأهل الحق يجيزونهما، إذ في قدرة الله متسع فيجب الإيمان بذلك"[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في بيان فساد قول الفلاسفة في الكرسي وغيره من المغيبات: "فإن الفلاسفة كلامهم في الإلهيات والكليات العقلية كلام قاصر جداً، وفيه تخليط كثير، وإنما يتكلمون جيداً في الأمور الحسية الطبيعية وفي كلياتها، فكلامهم فيها في الغالب جيد.

وأما الغيب الذي تخبر به الأنبياء، والكليات العقلية التي تعم الموجودات كلها، وتقسيم الموجودات كلها قسمة صحيحة، فلا يعرفونها ألبتة، فإن هذا لا يكون إلا ممن أحاط بأنواع الموجودات، وهم لا يعرفون إلا الحسيات وبعض لوازمها، وهذا معرفة بقليل من الموجودات جداً، فإن ما لا يشهده الآدميون من الموجودات أعظم قدراً وصفة مما يشهدونه بكثير.

ولهذا كان هؤلاء الذين عرفوا ما عرفته الفلاسفة، إذا سمعوا إخبار الأنبياء بالملائكة، والعرش، والكرسي، والجنة، والنار، وهم يظنون أن لا موجود إلا ما علموه هم والفلاسفة، يصيرون حائرين متأولين لكلام الأنبياء علىٰ ما عرفوه، وإن كان هذا لا دليل عليه، وليس لهم بهذا النفي علم؛ فإن عدم العلم ليس علمًا بالعدم. . .

فصار هؤلاء الذين ظنوا الموجودات ما عرفه هؤلاء المتفلسفة، إذا سمعوا ما أخبرت به الأنبياء من العرش والكرسي قالوا: العرش هو الفلك التاسع، والكرسي هو الثامن"[٣].

**الآية الثانية:** قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢٧٦.
(٢) المرجع السابق ٣/ ٢٧٧.
(٣) مجموع الفتاوىٰ ١٧/ ٣٣٥-٣٣٦.

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٧][1]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الحديد:٤]، وقال: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة:١٧]

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآيات:**

حمل بعض أصحاب الإعجاز العلمي (العرش) الوارد في الآيات على أنه رمز للسلطة الإلهية في الدنيا والآخرة، فهو مُلك الله تعالى، أو مملكته وسلطانه، وقدرته وعلمه.

وذهب إلى هذا د. داود سلمان السعدي[2]، ود. سليمان الطراونة[3]، ود. منصور محمد حسب النبي[4]، ود. عبدالحكم الصعيدي[5].

قال د. داود سلمان السعدي: "وهكذا فإن قوله سبحانه: (استوى على العرش) يبين ملكه تعالى، وسيطرته التامة والمطلقة، وقدرته، وولايته، وقيامه بأمر ملكه، وتمكنه منه، وعلمه، وإذا كان العرش هو مُلك الله تعالى، فإن الكون هو الشيء عينه"[6].

وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧] قال: "إن هذه الكواكب المتناثرة وهي ملك الله الواسع العظيم، قد يقوم على أمرها، أو يحملها ثمانية من الملائكة، التي تأتمر بأمر الله تعالى، أو غيرها من مخلوقات الله"[7].

---

(١) في بحث: (وجعلنا من الماء كل شيء حي) الماء القلوي، للدكتورة هند أحمدوه ص٦١ – وهو من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة – قالت: "الماء سر الحياة، الماء معجزة الله ﷻ، وضع كرسيه سبحانه على الماء، أول مخلوقين: الكرسي والماء".
قلت: اشتمل هذا الكلام على خطأين: الأول: قولها: "وضع كرسيه سبحانه على الماء" والصواب كما في الآية: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود:٧]، فالكرسي غير العرش، والأدلة من القرآن والسنة تدل على ذلك.
الثاني: قولها: "أول مخلوقين: الكرسي والماء" والصواب: أن الذي جاءت به النصوص، أن أول المخلوقات: العرش والقلم، على خلاف بين العلماء أيهما قبل الآخر.
انظر: نونية ابن القيم مع شرحها لابن عيسى ١/ ٣٧٤-٣٧٧، وشرحها أيضاً للهراس ١/ ١٨٦ -١٨٧، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢/ ٣٤٥-٣٤٦، والبداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٣.
(٢) انظر: أسرار الكون في القرآن ص ١٨٤، ١٨٩.
(٣) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٤٨.
(٤) انظر: الكون كتاب الله المنظور ص١٩.
(٥) انظر: الإنسان في ضوء العلم والقرآن ص٢٧-٣٢.
(٦) أسرار الكون في القرآن ص١٨٤.
(٧) المرجع السابق ص١٩٠.

وقال د. سليمان الطراونة: "وكذلك يكون الأمر بالنسبة للعرش الذي يرمز للسلطة، أو الهيمنة الإلهية في الكون، وينطبق أمر الأرجاء الثمانية على الكون كله، بكل مفاصله الصغيرة منها والكبيرة"[(١)].

وكل هذه التفسيرات لـ (العرش) يوردونها في سياق الإعجاز العلمي، ويعتبرونها فهماً لآيات كريمة، حيرت الألباب كما يقول د. داود سلمان السعدي[(٢)].

**المناقشة:**

ما ذكروه من معاني للعرش مخالف لما دلت عليه نصوص القرآن والسنة، ولما أجمع عليه علماء الأمة من أهل السنة والجماعة، ويتبين ذلك من خلال ما يلي:

١- أن تأويل العرش بأنه ملك الله وسلطانه وعلمه، هو قول لا دليل عليه من القرآن والسنة، بل يلزم منه إنكار العرش، وأن الله تعالى استوى عليه.

٢- أن هذا القول موافق لأقوال المتكلمين، الجهمية[(٣)]، والمعتزلة، والماتريدية[(٤)]، وعامة الأشاعرة[(٥)]، ومن سار على طريقتهم من أصحاب المدرسة العقلية[(٦)] المعاصرة[(٧)]، الذين زعموا أن معنى العرش هو: المُلك.

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٤٨.

(٢) أسرار الكون في القرآن ص١٨٩.

(٣) الجهمية: هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان السمرقندي، الذي أظهر نفي الصفات وقال بالتعطيل، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط، وغيرها من أقواله الفاسدة. انظر: الملل والنحل، الشهرستاني ١/ ٨٦، والفرق بين الفرق، البغدادي ص١٩٩.

(٤) الماتريدية: هم أتباع محمد بن محمد بن منصور الماتريدي الحنفي المتوفى عام ٣٣٣هـ وعامتهم يثبتون ثمان صفات لله تعالى، ويقولون بالكلام النفسي، وأن القرآن حكاية عن كلام الله، ويوافقون الأشاعرة في كثير من أصولهم. انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ٢/ ٤٦٠، والماتريدية دراسة وتقويماً، د. أحمد الحربي.

(٥) انظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار ص٢٢٦، وأصول الدين، البغدادي ص١١٢، والفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي ص٢١٥-٢١٦، وشرح جوهرة التوحيد، البيجوري ص١٨١، وتأويلات أهل السنة، أبي منصور الماتريدي١/ ٨٥، والتبصير في الدين، الإسفرائيني ص١٥٨، ونقض التأسيس، ابن تيمية ١/ ٣٩٦، ٢/ ١٤-١٥.

(٦) وهي التي تقوم على تقديم العقل – في الجملة – على نصوص الشرع عند توهم التعارض، وتدعو إلى التجديد والنظر في الأحكام الشرعية حسب مقتضيات العصر الحديث. انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة، د. ناصر العقل ص١٩، وموقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي، د. سعد العتيبي ص٩.

(٧) انظر: برهان الفرقان على صلاة القرآن، عبدالله جكرالوي ص٢٩٢، وتبويب القرآن، حشمت علي ٣/ ١٠٣٢، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد الرومي ٢/ ٥٣٢، ومقالات السيد أحمد خان ٢/ ٢٣٩، والعصرانيون، محمد الناصر، ص٥٤.

وهو موافق كذلك لطائفة من الفلاسفة، الذين زعموا أن العرش فلك مستدير من جميع الجوانب، محيط بالعالم من كل جهة، وهو محدود الجهات، وربما سموه الفلك الأطلس، أو الفلك التاسع (الفلك الأثير)(١).

٣- أن الآيات التي ذكر الله فيها العرش، ترد هذه الأقوال كلها وتبطلها، وذلك أن الله تعالىٰ قرن بين العرش وبين كونه سبحانه المَلِك الحق، قال تعالىٰ: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ [طه: ٥-٦]، وهذا يدل علىٰ المغايرة بينهما.

قال الإمام عبيدالله بن سعيد بن حاتم السجزيّ(٢) ﵀: "وقد ذكر الله سبحانه في القرآن ما يشفي الغليل، وهو قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ [طه: ٥-٦]، فخص العرش بالاستواء، وذكر ملكه لسائر الأشياء، فعلم أنّ المراد به غير الاستيلاء"(٣)، وقرن سبحانه بين السماوات والأرض وبين العرش فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٧].

وهذه الآية تدل علىٰ أن العرش كان موجوداً علىٰ الماء، قبل خلق السموات والأرض، ويؤيد تفسير الآية بهذا المعنىٰ، حديث عمران بن حصين ﵁، أن النبي ﷺ قال: "كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه علىٰ الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء "(٤)، فهل يقال: كان ملكه علىٰ الماء، أو كانت السموات والأرض علىٰ الماء؟!

(١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير١/ ١٩، والرسالة العرشية، ابن تيمية ص٢، والمفردات في غريب القرآن، الأصفهاني ص٥٥٨-٥٥٩، وروح المعاني، الألوسي ٨/ ٤٦٩-٤٧٠.

(٢) هو: عبيدالله بن سعيد بن حاتم السجزيّ الوائلي البكري، من حفاظ الحديث، وشيخ السنة، أصله من سجستان، سكن مكة وتوفي بها عام ٤٤٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٧/ ٦٥٤، والبداية والنهاية، ابن كثير ١٦/ ٦٤.

(٣) رسالة السجزي إلىٰ أهل زبيد في الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت ص١٩٧.

(٤) رواه البخاري ٩/ ١٢٤ (٧٤١٨).

قال الإمام ابن القيم ﷺ: "فكان العرش موجوداً قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فكيف يقال: إنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم أقبل على خلق العرش، والتأويل إذا تضمن تكذيب الرسول ﷺ فحسبه ذلك بطلاناً"

٤- أخبر الله ﷻ في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ، أن الله يقبض السموات والأرض يوم القيامة، ويطويها ويبدلها، وأن السماء تنشق وتنفطر، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١-٢]، وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول ﷺ: "يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض"[1]، وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون، أين المتكبرون، ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ "[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "وأما العرش فلم يكن داخلاً فيما خلقه في الأيام الستة، ولا فيما يشقه ويفطره، بل الأحاديث المشهورة دلت على ما دل عليه القرآن، من بقاء العرش، فقد ثبت في الصحيح أن جنة عدن سقفها عرش الرحمن، قال ﷺ: (إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، وفوقه عرش الرحمن)[3]"[4].

---

(١) رواه البخاري ٩/ ١١٦ (٧٣٨٢)، ومسلم ٤/ ٢١٤٨ (٢٧٨٧).
(٢) رواه مسلم ٤/ ٢١٤٨ (٢٧٨٨).
(٣) رواه البخاري ٤/ ١٦ (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٤) نقض التأسيس ١/ ١٥١.

وقال د. محمد بن خليفة التميمي: "فالآيات والأحاديث السابقة تدل علىٰ أن السموات والأرض وما فيهما تقبض، وتطوىٰ، وتبدل، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة علىٰ أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنىٰ، كالجنة، والنار، والعرش[(١)].

فعلىٰ هذا يكون العرش ليس داخلاً فيما يقبض، ويطوىٰ، ويبدل، والأدلة علىٰ بقاء العرش كثيرة في الكتاب والسنة، فالله ﷻ يقول مخبراً عن بقاء عرشه يوم القيامة: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٤-١٧].

وكذلك ما جاء في سورة الزمر من إخباره تعالىٰ بقبضه للأرض، وطيه للسموات بيمينه، وذكر نفخ الصور، وصعق من في السموات والأرض إلا من شاء الله، ثم ذكر النفخة الثانية التي يقومون بها، وأن الأرض تشرق بنور ربها، وأن الكتاب يوضع، ويجاء بالنبيين والشهداء، وأنه توفىٰ كل نفس بما عملت، وذكر سوق الكفار إلىٰ النار، وسوق المؤمنين إلىٰ الجنة، إلىٰ أن قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٤-٧٥]، فالآيات فيها إخبار عن الموقف يوم القيامة، والشاهد أن العرش باق حتىٰ بعد انتهاء الحساب"[(٢)].

٥- أن الأدلة من القرآن والسنة ذكرت صفات العرش وخصائصه، فقد وصف الله ﷻ العرش بأنه مربوب وعظيم، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، قال الحافظ ابن حجر ﵀: "قوله ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ إشارة إلىٰ أن العرش مربوب، وكل مربوب مخلوق[(٣)]، فهل ملك الله وسلطانه مربوب مخلوق؟!.

---

(١) انظر: الرد علىٰ الجهمية والزنادقة، الإمام أحمد بن حنبل ص١٧٠، والحجة في بيان المحجة، الأصبهاني ٢/ ٢٦٣، ومجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية ١٨/ ٣٠٧، وأصول السنة، ابن أبي زَمَنِين ص٨٨.

(٢) مقدمة كتاب: العرش وما روي فيه، ابن أبي شيبة ص ٩٢-٩٣.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٣/ ٤٠٥.

ووصف الله ﷻ عرشه بأنه تحمله الملائكة فقال: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

وعن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: "الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسىٰ آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور"[(١)]، فهل الملائكة تحمل ملك الله وسلطانه؟!

٦- أن سلف الأمة من الصحابة ﷺ والتابعين، أجمعوا علىٰ ما دلت عليه نصوص القرآن والسنة، من أن العرش سرير مخلوق، ذو قوائم، تحمله الملائكة، وأن الله استوىٰ عليه استواءً يليق بجلاله وعظمته، وأنه ليس هو المُلك، أوالسلطان، أو السموات والأرض، ومن أقوالهم في هذا:

- قال الإمامان أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان -رحمهما الله: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً، وعراقاً، ومصراً، وشاماً، ويمناً، فكان مذهبهم: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص...وأن الله ﷻ علىٰ عرشه بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً"[(٢)].

وقال الإمام أبو سعيد الدارمي[(٣)] ﷺ: "(باب الإيمان بالعرش وهو أحد ما أنكرته المعطلة)...وما ظننا أنا نضطر إلىٰ الاحتجاج علىٰ أحد ممن يدعي الإسلام في إثبات العرش والإيمان به، حتىٰ ابتلينا بهذه العصابة الملحدة في آيات الله، فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الأمم قبلنا، وإلىٰ الله نشكو ما أوهت هذه العصابة من عرىٰ الإسلام، وإليه نلجأ، وبه نستعين.

---

(١) رواه البخاري ٤/ ١٥٣ (٣٣٩٨).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي١/ ١٧٧، والعلو، الذهبي ٢/ ١١٥٥-١١٥٨، والعلو، ابن قدامة ص١٢٥، واجتماع الجيوش، ابن القيم ص٢٣٣، والمسائل العقدية التي حكىٰ فيها ابن تيمية الإجماع، عدد من الباحثين ص ٣٧٦-٣٨٥، وعقيدة الإمام الأزهري، د. علي العلياني ص١٧٧-١٧٨.

(٣) هو: عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، أبو سعيد، محدث هراة، طوف الأقاليم في طلب الحديث وعلله، وفاق أهل زمانه، توفي في هراة عام ٢٨٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٣/ ٣١٩، وطبقات الشافعية، السبكي ٢/ ٣٠٢.

وقد حقق الله العرش في آي كثيرة من القرآن [ثم ذكر عدداً من الآيات ثم قال] فادعت هذه العصابة أنهم يؤمنون بالعرش ويقرون به، فقلت لبعضهم: ما إيمانكم به إلا كإيمان ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾ [المائدة: ٤١]، وكالذين ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، أتقرون أن لله عرشاً معلوماً، موصوفاً فوق السماء السابعة، تحمله الملائكة، والله فوقه كما وصف نفسه، بائن من خلقه؟ فأبىٰ أن يقر به كذلك، وتردد في الجواب، وخلط ولم يصرح.

قال أبو سعيد: فقال لي زعيم منهم كبير: لا، ولكن لما خلق الله الخلق يعني السموات والأرض وما فيهن، سمىٰ ذلك كله عرشاً له، واستوىٰ علىٰ جميع ذلك كله.

قلت: لم تدعوا من إنكار العرش والتكذيب به غاية، وقد أحاطت بكم الحجج من حيث لا تدرون، وهو تصديق ما قلنا، إن إيمانكم به كإيمان ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾ [المائدة: ٤١]، فقد كذبكم الله تعالىٰ به في كتابه، وكذبكم به الرسول ﷺ.

أرأيتم قولكم: إن عرشه سمواته وأرضه وجميع خلقه، فما تفسير قوله عندكم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [غافر: ٧] أحملة عرش الله، أم حملة خلقه؟. وقوله: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧] أيحملون السموات والأرض ومن فيهن، أم عرش الرحمن؟.

فإنكم إن قلتم قولكم هذا، يلزمكم أن تقولوا: عرش ربك: خلق ربك أجمع، وتبطلون العرش الذي هو العرش، وهذا تفسير لا يشك أحد في بطوله واستحالته، وتكذيب بعرش الرحمن ﷻ. فقال الله ﷻ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾، وقال رسول الله ﷺ: (كان الله ولم يكن شيء، وكان عرشه علىٰ الماء).

ففي قول الله تعالىٰ، وحديث رسول الله ﷺ، دلالة ظاهرة أن العرش كان مخلوقاً علىٰ الماء، إذ لا أرض ولا سماء، فلم تغالطون الناس بما أنتم له منكرون؟ ولكنكم تقرون بالعرش بألسنتكم تحرزاً من إكفار الناس إياكم بنص التنزيل، فتضرب عليه رقابكم، وعند أنفسكم أنتم به جاحدون، ولعمري لئن كان أهل الجهل في شك من أمركم، إن أهل العلم من أمركم لعلىٰ يقين"[1].

---

(١) الرد علىٰ الجهمية ص١٢-١٣، ونقض عثمان بن سعيد علىٰ المريسي الجهمي العنيد ص٢٠٥ وما بعدها.

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في سياق كلامه على حملة العرش: "ثم إن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [غافر: ٧]، وقوله: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧]، يوجب أن لله عرشاً يُحمل، يوجب أن ذلك العرش ليس هو المُلك، كما تقوله طائفة من الجهمية، فإن المُلك هو مجموع الخلق"(١).

- وقال الإمام ابن أبي العز ﷺ: "وذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه، محيط بالعالم من كل جهة، وربما سموه: الفلك الأطلس، والفلك التاسع، وهذا ليس بصحيح؛ لأنه قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة...

والعرش في اللغة: عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى عن بلقيس: ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ [النمل: ٢٣] وليس هو فلكاً، ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو: سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات...وأما من حرف كلام الله، وجعل العرش عبارة عن المُلك، كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧]، وقوله: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: ٧]، أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟! وكان ملكه على الماء! ويكون موسى ﷺ آخذاً من قوائم المُلك؟! هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟! "(٢).

- وقال الإمام ابن كثير ﷺ في رده على قول الفلاسفة: "وهذا ليس بجيد؛ لأنه قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة، والفلك لا يكون له قوائم، ولا يُحمل.

وأيضا فإنه فوق الجنة، والجنة فوق السماوات، وفيها مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فالبعد الذي بينه وبين الكرسي، ليس هو نسبة فلك إلى فلك"(٣).



(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ٣/ ٢٧٨.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٣٦٦-٣٦٨.
(٣) البداية والنهاية ١/ ١٩-٢٠.

❁ **المسألة الثانية: تأول علو الله تعالى وقربه ونزوله إلى السماء الدنيا.**

لقد دلت النصوص الصريحة من آيات القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة المتواترة على علو الله تعالى، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا نزولاً حقيقياً يليق بكماله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد وقع بعض المشتغلين بالإعجاز العلمي في مخالفة هذه النصوص فتأوَّل نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا[1]، ومنهم دكتور أحمد شوقي إبراهيم، حيث زعم أن نزول الله تعالى وقربه من عباده ليس على حقيقته، وإنما هو استعارة عن نزول رحمته على عباده، ونزول ملائكته، وإقباله على الداعين بالإجابة واللطف.

والذي حمل الدكتور على هذا التحريف هو إقحام العلم التجريبي في تفسير ما يتعلق بالله ﷻ، حيث قال: "وإننا إذا وضعنا التقدم العلمي في عصر العلم الحالي في خدمة التفسير والتأويل، لاستطعنا أن نفهم قضية علو الله تعالى وقربه فهماً علمياً صحيحاً.

إن كوكب الأرض الذي نعيش عليه كوكب كروي الشكل، ويدور حول نفسه أمام الشمس، وبذلك يتتابع الليل والنهار على سطح الأرض، ويولج الله الليل في النهار، ويولج النهار في الليل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١]، والثلث الأخير من الليل يحل في كل مكان على سطح الأرض، وينتهي في مكان ليحل في مكان آخر، وهكذا بدون انقطاع، ولا توجد ساعة في الأربع والعشرين ساعة من كل يوم، إلا والثلث الأخير من الليل يكون في مكان ما على سطح الأرض.

فإذا قيل: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث من الليل؛ فمعنى هذا أن الله ينزل إلى السماء الدنيا دائماً، وأنه موجود فيها باستمرار، وينتقل نزوله من مكان إلى مكان حيثما يكون الثلث الأخير من الليل، ولا ينتهي نزوله عن الأرض.

وأي عالم من العلماء في عصر العلم، يجد أن هذا التأويل في حق الله تعالى محال؛ لأن المكان والزمان والكون كله من خلق الله، ومحال أن تجري قوانين المخلوق على صفات الخالق وإرادته وأمره، ومحال أيضاً أن يحيز المخلوق خالقه.

---

(١) الوارد في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ينزل ربنا ﷻ كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: (من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له)" رواه البخاري ٢/ ٥٣ (١١٤٥)، ومسلم ١/ ٥٢١ (٧٥٨).

من هذا الفهم يتضح لنا أن الله تعالىٰ لا يحيزه زمان، ولا يحيط به مكان، فالله ﷻ فوق كل زمان وفوق كل مكان، وبالتالي لا ينبغي أن يقال: إن الله تعالىٰ في السماء...

والمعنىٰ الصحيح أن الله ﷻ تتجلىٰ رحمته علىٰ عباده في الثلث الأخير من الليل، أو أن تنزل عليهم ملائكته، والله تعالىٰ يستجيب لدعاء عباده واستغفارهم وتوبتهم في الثلث الأخير من الليل، حيثما كانوا علىٰ سطح الأرض..."[1].

**المناقشة:**

١- أجاب الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله علىٰ هذه الشبهة التي ذكرها الدكتور فقال: "استشكل كثيرٌ من الناس في عصرنا: كيف ينزل الله إلىٰ السماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر، ونحن نعلم أن ثلث الليل الآخر لا يزال سارياً جارياً علىٰ الأرض وتحت السماء، فيلزم من ذلك أن يكون النزول إلىٰ السماء الدنيا دائماً؟

**والجواب على هذا أن نقول:** ليس هناك إشكال في نزول الله تعالىٰ في الثلث الأخير رغم استمرار تتابعه علىٰ الأرض، ونحن نؤمن بقول الرسول ﷺ...فالواجب علينا ألا نتجاوزه، فما دام ثلث الليل الآخر باقياً في منطقة من المناطق الأرضية فالنزول حاصل باقٍ، ومتىٰ طلع الفجر في هذه المنطقة فلا نزول، وإن كان في الجهة الأخرىٰ يوجد نزول، والله علىٰ كل شيء قدير، ولا يقاس سبحانه بالخلق؛ فينزل إلىٰ السماء في ثلث الليل الآخر في جهة من الأرض، ولا ينزل بالنسبة لجهة أخرىٰ ليس فيها ثلث الليل.

والحقيقة أن الإنسان إذا لزم الأدب مع الله ورسوله اطمأن قلبه، واستراح من التقديرات، أما إذا كان يورد علىٰ نفسه هذه المسائل فإنه ينتقل من مشكلةٍ إلىٰ أخرىٰ فيخشىٰ عليه من الشك، نسأل الله العافية وأن يرزقنا اليقين، ولهذا يقول بعض السلف: أكثر الناس شَكّاً عند الموت أهل الكلام، لأنهم فتحوا هذه المشاكل علىٰ أنفسهم وعجزوا عن حلها، لكن لو لزموا الأدب وقالوا ما قال الله ورسوله، وسكتوا عما سكت عنه الله ورسوله، لسلموا من هذا كله.

فمثلاً لو كان أحدنا في المنطقة الشرقية وقد أذن الفجر، والآخر في المنطقة الغربية وهو في آخر الليل، فإننا نقول: هذا وقت نزول ربنا ﷻ بالنسبة للذي في المنطقة الغربية، ونقول للآخر: انتهىٰ وقت النزول، وليس في هذا إشكال؛ فالذين هم في ثلث الليل

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي ٢/ ١٣-١٤.



يجتهدون في الدعاء لأنه وقت إجابة، والآخرون انتهى عندهم وقت النزول، ونسلم من هذه الإشكالات، ونتشوف كل ليلة إلى ثلث الليل متى يأتي حتى ندعو الله فيه.

أما هذه الإشكالات التي تورد فهي في الحقيقة من سفه الإنسان، وقلة رشده، ومن قلة أدبه مع الله ورسوله"(١).

٢- كان يجب على الدكتور أن يلتزم بما قرره في قوله: "محال أن تجري قوانين المخلوق على صفات الخالق"؛ لأن الله ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣- أن حديث النزول قطعي الدلالة على معناه، ولا يحتمل التأويل والمجاز؛ لأن قول النبي ﷺ: "ينزل ربنا ﷻ إلى السماء الدنيا" صريح في معناه الحقيقي لا يحتمل التأويل إلا بالتحريف؛ لاشتماله على ما يؤكد الحقيقة وينفي المجاز.

وكما أنه قطعي الدلالة فإنه حديث متواتر تلقته الأمة بالقبول لفظه ومعناه، قال الإمام ابن القيم: "إن نزول الرب ﷻ إلى السماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله ﷺ، رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفساً من الصحابة، وهذا يدل على أنه كان يُبلّغه في كل موطن ومجمع، فكيف تكون حقيقته محالاً وباطلاً؟! وهو ﷺ يتكلم بها دائماً ويعيدها ويبديها مرة بعد مرة، ولا يقرن باللفظ ما يدل على مجازه بوجه ما، بل يأتي بما يدل على إرادة الحقيقة"(٢).

٤- "أن علو الله تعالى ثابت له بالفعل، وأدلة الكتاب، وما بلغه الرسول ﷺ أمته، وثابت بالضرورة الفطرية، والأدلة عليه لا تحصى، ومنكره منكر للمعلوم بالضرورة من الدين، والمعلوم بالضرورة العقلية الفطرية، وليس بين علو الله واستوائه على عرشه، وبين معيته لخلقه، ولأوليائه وأنبيائه، وقربه منهم تعارض"(٣).



(١) شرح العقيدة السفارينية ص٢٧٨، وانظر: تيسير لمعة الاعتقاد، د. عبدالرحمن المحمود ص١١٥-١٢٠، وأهمية الإعجاز العلمي في التدريس وضوابطه، د. صالح ايشان صوفي ص١١٥ وما بعدها، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبدالله بن محمد الغنيمان ١/ ٣٤٠ وما بعدها.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص٤٤٤.

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبدالله بن محمد الغنيمان ١/ ٣٦٢.

## المسألة الثالثة: تكييف مدة اليوم في سورة الحج والسجدة والمعارج

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ١-٤].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي:**

تكلم أصحاب الإعجاز العلمي كلاماً طويلاً، عن المدة الزمنية (ألف سنة) و(خمسين ألف سنة) المذكورة في الآيات، وكتبوا فيها أبحاثاً متعددة، وأوردوا من أجلها عمليات حسابية مطولة، وكل ذلك لإثبات التطابق والتوافق بين ما ذكر في الآيات من مقدار الزمن، وبين ما أثبته العلم الحديث.

**وخلاصة قولهم:** أن الآيات تعطي تقديراً ثابتاً للحركة في الكون المنظور، أو أعلى حدٍ للسرعة، والذي يقابله في الفيزياء، سرعة الضوء في الفراغ، وهو الذي اكتشفه العلم الحديث[1].

وقد انعقد الإجماع من الهيئات العالمية، أن مقدار سرعة الضوء ثابتة ولا تتغير، وقدروها بـ (٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم/ ثانية)، وهو ما أشارت إليه الآيات بذكرها المدة الزمنية (ألف سنة) و (خمسين ألف سنة).

وقد اعتبروا هذا التطابق من السبق العلمي للقرآن الكريم، قال د. عبدالله المصلح: "فالناظر في آيات الكتاب وهي تتحدث عن يوم كألف سنة، ويوم كخمسين ألف سنة، ما كان ليغفل الإشارة، وهو يدرك أن هذا القرآن وحي إلهي ممن أحاط بدقائق الكون من الذرة إلى المجرة، ثم الربط بين هذه الأزمان المتباينة، وبين ما يمكن أن يقطع خلالها من مسافات باختلاف وسيلة الحركة وسرعتها، هو التفات لدقة الإشارات.

لذا نجد في الكتاب[2] ربطاً علمياً متيناً، ومتأنياً بين دلالات الآيات القرآنية،

---

(١) انظر: سرعة الضوء، د. محمد دودح ص٢٦-٢٧.

(٢) يقصد كتاب (سرعة الضوء) للدكتور محمد دودح.

وحقائق علوم الفلك والفيزياء والرياضيات، بل والإشارات المؤيدة في أسفار أهل الكتاب؛ لنجد أنفسنا بعد هذا الجهد الدؤوب، أمام معجزة ربانية، تتمثل في السبق القرآني إلى الإشارة إلى سرعة الضوء[١]، التي لم يتوصل الغرب إليها إلا في القرن السابع عشر الميلادي، أي بعد ألف سنة من نزول كتاب ربنا على نبينا ﷺ"[٢].

وممن ذهب إلى هذا الهيئة العالمية للإعجاز العلمي[٣]، ود. منصور محمد حسب النبي[٤]، ود. زغلول النجار[٥]، ود. محمد دودح[٦]، الذي ألف فيها كتاباً سماه (سرعة الضوء في القرآن الكريم)، وهو الذي سيتم مناقشته هنا؛ لأنه من أكثرهم استدلالاً وانتشاراً، وهو المعتمد عند كثير من أصحاب الإعجاز العلمي.

وقد ذكر د. محمد دودح أن معرفة ما ورد في الآيات من مدد زمنية، يصعب فهمها بدون المعلومات الفلكية والفيزيائية، حتى على أكابر المفسرين حيث قال: "وبدون المعلومات الفلكية والفيزيائية التي توفرت حديثاً بعد جهود مضنية، يصعب فهم تلك القياسات المبنية على معرفة بالخفايا، حتى على أكابر المفسرين، فمنهم من تورع ومنهم من اجتهد[٧]، وقد بلغت الصعوبة إلى أن قال الألوسي[٨] في تفسير إحداها: (هذا ما قالوه في الآية الكريمة في بيان المراد منها، ولا يخفى على ذي لب، تكلف أكثر هذه الأقوال، ومخالفته للظاهر جداً، وهي بين يديك، فاختر لنفسك ما يحلو... وأقول: إن الآية من المتشابه)"[٩].

---

(١) كيف يكون هذا سبقاً علمياً للقرآن، وقد ذكر د. عبدالله المصلح هنا، وذكر د. محمد دودح في كتابه (سرعة الضوء ص ١٤-١٧) : أن أسفار أهل الكتاب جاء فيها ما يؤيد أن اليوم عند الله كألف سنة؟!.

(٢) مقدمة كتاب: سرعة الضوء ص٦.

(٣) انظر: موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ١/ ١-١٦.

(٤) انظر: الكون والإعجاز العلمي للقرآن ص١١٠-١١٤.

(٥) انظر: تفسير الآيات الكونية ١/ ٢٨٠-٢٨١.

(٦) انظر: سرعة الضوء ص٢٦-٢٧.

(٧) وسيأتي بيان فهم المفسرين للآيات، وأن فهمهم لها لا يرتبط بالمعلومات الفلكية والفيزيائية.

(٨) هو: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، فقيه ومفسر ومحدث، ولد في بغداد عام ١٢١٧هـ وتلقى العلوم على شيوخ عصره، حتى صار إمام عصره بلا منازع، تولى منصب الإفتاء، وتوفي في بغداد عام ١٢٧٠هـ ودفن فيها. انظر: معجم المطبوعات العربية، يوسف بن إليان ١/ ٣، والأعلام، الزركلي ٧/ ١٧٦.

(٩) سرعة الضوء ص٥٠-٥١، وسيأتي بيان تصرف الدكتور في كلام الألوسي ﷺ.



**أدلتهم ومناقشتها:**

وحتى يستقيم الاستدلال بالآيات على السبق العلمي، وتتطابق مع ما توصل إليه العلم في سرعة الضوء، فقد بذل د. محمد دودح في كتابه (سرعة الضوء) جهده في تأييد القول بإعجاز الآية العلمي، واستخراج أوجه الدلالة عليه منها، وأيد قوله بما نقله عن العلماء والمفسرين.

وسأذكر من كلامه ما له صلة بالعقيدة، دون تعرض للقياسات التي ذكرها، ومدى صحة طريقته في حسابها ودقتها، وسيكون الرد عليه من جانبين:

**الجانب الأول:** بيان حال ما نقله عن المفسرين والعلماء، ومدى مطابقته لما يريد تقريره.

**الجانب الثاني:** بيان موقف العلماء والمفسرين من الآيات، وعلى أي شيء يستدلون بها.



**الجانب الأول: بيان حال ما نقله عن المفسرين والعلماء، ومدى مطابقته لما يريد تقريره.**

لقد أراد د. محمد دودح أن يثبت أن سرعة الضوء قد سبق إليها القرآن الكريم في الآيات السابقة، فحمله ذلك على تحريف الآيات عن معانيها الصحيحة، وسلك في فهم الآيات مسالك أهل البدع والضلال، وذلك بنفي ما دلت عليه من صفات لله تعالى.

ونقل من أقوال المفسرين الموافقين لأهل السنة والجماعة، أو المخالفين لهم – مع تحريفٍ لأقوالهم، وتصرفٍ فيها، وحذفٍ منها – ما يؤيد به قوله، ويتضح ذلك من خلال أمرين:

**الأمر الأول:** لقد انتقى د. محمد دودح من أقوال المفسرين المخالفة لقول أهل السنة والجماعة ما يؤيد الاستدلال بالآية على سرعة الضوء؛ لأن إثبات عروج الأمر والملائكة إلى الله تعالى – الذي هو مستو على عرشه – يجعل قياس المسافة خارج الكون الفيزيائي المنظور، الذي قيست فيه سرعة الضوء، ولذلك فقد فسر الكلمات الواردة في الآيات، والدالة على إثبات علو الذات لله تعالى، بما يقرر المعنى الذي يريده، وذلك على النحو التالي:

**أولاً:** فسر كلمة (إليه) الواردة في آية السجدة والمعارج بأن المراد بها: **انتهاء الأمور إلى مراد الله، وليس المراد بها المكان**[1]، واستشهد بأقوال بعض المفسرين كما يلي[2]:

(١) سرعة الضوء ص٥٦.

(٢) هذه الأقوال هي كما ذكرها الدكتور في كتابه: (سرعة الضوء)، وسيأتي في المناقشة بيان صحة نقله عنهم.

- قال الرازي ﷺ: "ليس المراد منه المكان، بل المراد انتهاء الأمور إلىٰ مراده كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣]".
- وقال الشوكاني ﷺ: "كقول إبراهيم ﷺ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩]، أي إلىٰ حيث أمرني ربي"... "وذلك حين ينقطع أمر الدنيا".
- وقال البيضاوي ﷺ: "يدبر الأمر إلىٰ قيام الساعة".
- وقال ابن عطية ﷺ: "وفي القرآن منه كثير نحو قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٦]، وهذا كله بريء من التحيز".
- قال الألوسي ﷺ: "هذا ما قالوه في الآية الكريمة في بيان المراد منها، ولا يخفىٰ علىٰ ذي لب، تكلف أكثر هذه الأقوال، ومخالفته للظاهر جداً، وهي بين يديك، فاختر لنفسك ما يحلو... وأقول: إن الآية من المتشابه"[1] وقال أيضاً: "(وهذا الوجه) معنىٰ لائق به تعالىٰ، مجامع للتنزيه مباين للتشبيه حسبما يقوله السلف في أمثاله".

**المناقشة:**

ما نقله الدكتور من أقوال عن المفسرين قد تصرف فيها، وبعضها يقرر عقيدة باطلة، ويتبين ذلك من خلال ما يلي:

أ- ما نقله عن الرازي وابن عطية[2] هو في سياق نفيهم لعلو الله تعالىٰ علىٰ عرشه، وهو جار علىٰ مذهب الأشاعرة في نفي الجهة، فقد ذكر الرازي كلامه هذا في سياق الرد علىٰ من أثبت العلو الذاتي لله تعالىٰ، وهم أهل السنة والجماعة فقال: "احتج القائلون بأن الله في مكان، إما في العرش أو فوقه بهذه الآية من وجهين: **الأول:** أن الآية دلت علىٰ أن الله تعالىٰ موصوف بأنه ذو المعارج، وهو إنما يكون كذلك لو كان في جهة فوق.

**والثاني:** قوله: تعرج الملائكة والروح إليه، فبين أن عروج الملائكة وصعودهم إليه، وذلك يقتضي كونه تعالىٰ في جهة فوق.

---

(١) المرجع السابق ص٥٠-٥١.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ١/ ٣٤٢.



والجواب: لما دلت الدلائل على امتناع كونه في المكان والجهة، ثبت أنه لا بد من التأويل، فأما وصف الله بأنه ذو المعارج فقد ذكرنا الوجوه فيه، وأما حرف (إلى) في قوله: (تعرج الملائكة والروح إليه) فليس المراد منه المكان، بل المراد انتهاء الأمور إلى مراده، كقوله: (وإليه يرجع الأمر كله) [هود: ١٢٣]، المراد الانتهاء إلى موضع العز والكرامة كقوله: (إني ذاهب إلى ربي) [الصافات: ٩٩] ويكون هذا إشارة إلى أن دار الثواب أعلى الأمكنة وأرفعها"[١].

والآيات التي ذكرها الدكتور في النقل عن ابن عطية ﷺلم يذكرها ابن عطية ﷺ مجموعة في مكان واحد، ولم يستدل بها على تقرير قوله: "وهذا كله بريء من التحيز"، وإنما أقحمها الدكتور في سياق كلامه ليقوي القول بنفي علو المكان عن الله تعالى.

وبالرجوع لتفسير ابن عطية ﷺ تبين أنه فسر كل آية في موضعها، وتفسيره لها لا صلة له بآية السجدة أو المعارج[٢].

ب- ما نقله عن الشوكاني ﷺ من القولين ليس قولاً له، وإنما حكاه من ضمن الأقوال في معنى الآية، فقد ذكر الشوكاني في معناها عدة أقوال صدرها بقوله: "وقيل"، وانتقى منها الدكتور واحداً، ونسبه للشوكاني، وترك الأقوال الآخر فلم يذكرها البته[٣].

ج- وأما كلام البيضاوي ﷺ فقد اجتزأ منه الدكتور طرفاً يؤيد ما يريد التوصل إليه، وحذف بقيته؛ لأنه يخالف ما يريد تقريره، ثم إن البيضاوي ذكره قولاً في معنى الآية ولم يرجحه، وهذا نص كلام البيضاوي: "(يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها إلى الأرض، (ثم يعرج إليه) ثم يصعد إليه ويثبت في علمه موجوداً، في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة، يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع.

وقيل: (يدبر الأمر) بإظهاره في اللوح، فينزل به الملك، ثم يعرج إليه في زمان هو كألف سنة؛ لأن مسافة نزوله وعروجه مسيرة ألف سنة، فإن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، وقيل: يقضي قضاء ألف سنة فينزل به الملك، ثم يعرج بعد الألف

(١) مفاتيح الغيب ٣٠/ ٦٣٩، وانظر لمناقشة هذا القول: المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، لعدد من الباحثين ص ٣٦٨-٣٧٥.
(٢) انظر: المحرر الوجيز ٢/ ١٣٤، ٤/ ٤٣١، ٥/ ١٨١.
(٣) انظر: فتح القدير ٥/ ٣٤٥، ٤/ ٢٨٦.

لألف آخر، وقيل: (يدبر الأمر) إلىٰ قيام الساعة (ثم يعرج إليه) الأمر كله يوم القيامة.

وقيل: يدبر المأمور به من الطاعات منزلاً من السماء إلىٰ الأرض بالوحي، ثم لا يعرج إليه خالصاً كما يرتضيه إلا في مدة متطاولة، لقلة المخلصين والأعمال الخلص"[1].

د - وأما كلام الألوسي ﷺ فقد حرفه وبتره عن سياقه الذي قرر فيه الألوسي أن الله مستو علىٰ عرشه، ونص كلام الألوسي: "هذا ما قالوه في الآية الكريمة في بيان المراد منها، ولا يخفىٰ علىٰ ذي لب تكلف أكثر هذه الأقوال، ومخالفته للظاهر جداً، وهي بين يديك فاختر لنفسك ما يحلو، ويظهر لي أن المراد بالسماء جهة العلو مثلها في قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، وبعروج الأمر إليه تعالىٰ، صعود خبره كما سمعت عن الجماعة، و (في يوم) متعلق بالعروج بلا تنازع، وأقول: إن الآية من المتشابه، وأعتقد أن الله تعالىٰ يدبر أمور الدنيا وشؤونها ويريدها متقنة وهو سبحانه مستو علىٰ عرشه، وذلك هو التدبير من جهة العلو، ثم يصعد خبر ذلك مع الملك إليه ﷻ إظهاراً لمزيد عظمته، جلت عظمته، وعظيم سلطنته، عظمت سلطنته، إلىٰ حكم هو جل وعلا أعلم بها، وكل ذلك بمعنىٰ لائق به تعالىٰ، مجامع للتنزيه مباين للتشبيه، حسبما يقوله السلف في أمثاله"[2].

وقد حذف الدكتور قول الألوسي: "ويظهر لي أن المراد بالسماء جهة العلو مثلها في قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، وبعروج الأمر إليه تعالىٰ، صعود خبره كما سمعت عن الجماعة، و (في يوم) متعلق بالعروج بلا تنازع"

وحذف قوله: "وأعتقد أن الله تعالىٰ يدبر أمور الدنيا وشؤونها ويريدها متقنة وهو سبحانه مستو علىٰ عرشه، وذلك هو التدبير من جهة العلو، ثم يصعد خبر ذلك مع الملك إليه ﷻ إظهاراً لمزيد عظمته، جلت عظمته، وعظيم سلطنته، عظمت سلطنته، إلىٰ حكم هو جل وعلا أعلم بها".

**ثانياً:** جعل عروج الملائكة والروح إلىٰ الله ﷻ كما في سورة المعارج، عودة كل شيء إليه لا إلىٰ سواه، فقال: "والملائكة والروح رسل هداية لا تنقطع عن الإبلاغ إلىٰ أن يعود كل شيء إلىٰ الله لا سواه بياناً لوحدانيته تعالىٰ وتفرده، وهم حضور في قياس مسافة لا يقطعها

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ٢٢٠.

(٢) روح المعاني ١١/ ١١٩-١٢٠، وانظر: ٢/ ٨٥.



جسم مادي محدود السرعة في كون متغير الأبعاد مما يعني أنه عامر بالساجدين"[١].

وبين أن معنىٰ المعارج والعروج هو: السير بانحناء في خطوط غير مستقيمة كمشية الأعرج[٢].

"وفي اللغة: تعارج حاكىٰ مشية الأعرج، وعرَّجه ميَّله، وتعرَّج مال، والتعاريج المنحنيات، والعرجون العذق المعوج "[٣].

وجعل المعارج جمع لاسم المكان (مَعْرَج)، وهو الذي تسري فيه القوىٰ بانحناء كمشية الأعرج، وهو أدق وصف للآفاق الممتدة، وهذا الاكتشاف بأن مسارات القوىٰ منحنية، دفع الفيزيائيين لإطلاق تعبير الكون المنحني Curved Universe[٤].

وبين أن هذه المعارج هي في غاية البعد والارتفاع، ومداها منتهىٰ أمر الله تعالىٰ.

وأيد قوله بما نقله عن بعض المفسرين كما يلي:

أ- قال طنطاوي جوهري[٥] ﷺ: "أخذ يستأنف مبيناً ارتفاع تلك الدرجات. . فليس المراد المدة بل بعد المدىٰ..وقدم الملائكة لأنهم في عالم الأرواح..العالم المبرأ عن المادة (لأنه)..لا يُرتقىٰ إلىٰ تلك المعارج إلا بالكشف العلمي أو الخروج عن عالم المادة".

ب- وقال البيضاوي ﷺ: "استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها".

ج- وقال البغوي ﷺ: "المسافة من الأرض إلىٰ (منتهىٰ) السماء"..(يعني) "إلىٰ منتهىٰ أمر الله تعالىٰ".

د- وقال الألوسي ﷺ: "الكلام بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها..والمراد أنها في غاية البعد والارتفاع"..و"العروج في الدنيا..روي (هذا) عن ابن إسحاق ومنذر بن سعيد ومجاهد وجماعة، وهو رواية عن ابن عباس أيضا".

---

(١) سرعة الضوء ص٢٤-٢٥.

(٢) المرجع السابق ص٢٤، وانظر: تفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٤/ ١٢٨-١٢٩.

(٣) سرعة الضوء ص٢٤.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ٢٤.

(٥) هو: طنطاوي بن جوهري المصري، له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة، ولد بمصر عام ١٢٨٧هـ وتعلم في الأزهر مدة، ثم في المدرسة الحكومية، ومارس التعليم في المدارس، وألقىٰ محاضرات في الجامعة المصرية، توفي عام ١٣٥٨ هـ. انظر: معجم المطبوعات العربية، يوسف بن إليان ٢/ ١٢٤٣، والأعلام، الزركلي ٣/ ٢٣٠.

**المناقشة:**

**أولاً**: تخير الدكتور من معاني العروج في اللغة ما يؤيد كلامه، وهو الميل، ولم يشر إلىٰ بقية المعاني ومنها: العلو والارتفاع والارتقاء، والتي ذكرها ابن فارس ﷺ بقوله: "العين والراء والجيم، ثلاثة أصول: الأول: يدل علىٰ ميل وميل، والآخر: علىٰ عدد، والآخر: علىٰ سمو وارتقاء.

**فالأول**: العرج مصدر الأعرج، ويقال منه: عرج يعرج عرجاً، إذا صار أعرج، وقالوا: عرج يعرج خِلقة، وعرج يعرج إذا مشىٰ مشية العرجان...

**والأصل الآخر**: من الإبل، قال قوم: ثمانون إلىٰ تسعين، فإذا بلغت المائة فهي هنيدة، والجمع عروج وأعراج...ويقال: العرج مائة وخمسون، وهذا الأصل قد يمكن ضمه إلىٰ الأول؛ لأن صاحب ذلك يعرج عليه ويكتفي به.

**والأصل الثالث**: العروج: الارتقاء، يقال: عرج يعرج عروجاً ومعرجاً، والمعرج: المصعد، قال الله تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]"[1].

وقد جاء في (المعجم الوسيط) - الذي تصرف الدكتور في النقل عنه - ذكر هذه المعاني: "(عرج) الشيء عروجاً ارتفع وعلا، فهو عريج، وفلان أصابه شيء في رجله فغمز كأنه أعرج وليس بخلقه، وفي السُلم وعليه ارتقىٰ وصعد، وبالشيء صحبه في عروجه، ومنه عرج بالروح والعمل، صعد بهما، وفي التنزيل العزيز: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]...

(عرج) عليه مال، وبالمكان نزل به، والشيء ميله، يقال: عرج البناء والنهر والخط، والثوب خططه خطوطاً ملتوية.

(انعرج) الشيء انعطف ومال يمنة ويسرة، يقال: انعرج النهر، وانعرج الطريق، وانعرجت الشمس مالت للغروب، وانعرج القوم عن الطريق حادوا عنه... (تعرج) انعطف ومال، يقال: تعرج البناء، وتعرج النهر"[2].

**ثانياً**: أما ما نقله من أقوال المفسرين فقد تصرف فيه الدكتور، فحذف منها لفظ

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٣٠٢.

(٢) المعجم الوسيط ٢/ ٥٩١-٥٩٢.

(الملائكة وجبريل)، والحامل له على هذا، حتى يستقيم له القول بسرعة الضوء التي هي واقعة في الكون المنظور، ويتبين ذلك من خلال ما يلي:

١- تصرف الدكتور في كلام طنطاوي جوهري ﷺ، وحذف منه ما يثبت العروج إلى العرش والدرجات العلى، وأن الذي يعرج هو الملائكة وأرواح المؤمنين، وكان تصرفه على النحو التالي:

أ- بالتقديم والتأخير، فقدم وأخر في كلام جوهري ليستقيم المعنى الذي يريد التوصل إليه، ومن ذلك قول الدكتور نقلاً عن جوهري: "أخذ يستأنف مبيناً ارتفاع تلك الدرجات..فليس المراد المدة بل بعد المدى".

بينما كلام جوهري هو كالتالي: "وهو قد نظم العوالم كلها، فجعل منها مصاعد، ومنها دركات، فليكن هؤلاء[1] في الدركات، وليكن المؤمنون والملائكة في الدرجات طبقاً عن طبق بنظام تام، أخذ يستأنف مبيناً ارتفاع تلك الدرجات فقال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]...وليس ذكر الخمسين ألف سنة، ولا ذكر ألف سنة للتحديد بالمدة، بل المقصود أن مقام القدس الإلهي بعيد المدى عن مقام العباد"[2].

ب- بقطع الكلام عن سياقه الذي يوضحه، فقال د. محمد دودح ناقلاً عن جوهري: "وقدم الملائكة لأنهم في عالم الأرواح.. العالم المبرأ عن المادة".

بينما كلام جوهري هو كالتالي: "قدم الملائكة لأنهم في عالم الأرواح، أي: العالم المبرأ من المادة، وأتبعهم بالروح أي: أرواح المؤمنين، فإنها تذهب صاعدة عند الموت إلى مصاعد صعدها الملائكة، يقتفون آثارهم على مقدار مراتبهم، فيصعد هذان الصنفان إلى عرش الله ومهبط أمره في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سني الدنيا"[3].

ج- بفهم الكلام على غير ما أراد جوهري، وبإضافة كلمات لم يذكرها، ومن ذلك ما نقله الدكتور بقوله: "(لأنه)..لا يُرتقى إلى تلك المعارج إلا بالكشف العلمي، أو الخروج عن عالم المادة".

---

(١) الذين طلبوا العذاب وسألوه.

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم ٢٤/ ٢٨١-٢٨٢.

(٣) المرجع السابق ٢٤/ ٢٨١.

فقوله: "لا يُرتقىٰ إلىٰ تلك المعارج" ليس هو نص كلام جوهري، ونص كلامه: "فالأرواح لا تزال ترتقي إليَّ طبقاً عن طبق في الحياة، وبعد الموت في البرزخ، وبعد دخول الجنة هم يتسابقون في الاستعلاء طبقاً عن طبق، فارتقاء دائم إلىٰ أبد الآبدين، ودهر الداهرين"[(١)]، فحذف الدكتور كلمة (الأرواح) وكلمة (إليَّ) وأضاف مكانها لفظة (المعارج)؛ ليكون العروج إلىٰ المعارج لا إلىٰ الله تعالىٰ.

وأما قوله: "أو الخروج عن عالم المادة" فهو كذلك ليس من كلام جوهري، ولم يذكره بهذا اللفظ، وقد أضاف الدكتور هذا الكلام ليوهم القارىء أن مراد جوهري بجملة (الكشف العلمي) هو العلم المادي الذي يتوصل إليه البشر، بينما هذا ليس مراداً من كلام جوهري ويوضح هذا نص كلامه حيث قال: " فالأرواح لا تزال ترتقي إليَّ طبقاً عن طبق في الحياة، وبعد الموت في البرزخ، وبعد دخول الجنة هم يتسابقون في الاستعلاء طبقاً عن طبق، فارتقاء دائم إلىٰ أبد الآبدين، ودهر الداهرين، ولا ارتقاء إلا بالكشف العلمي، وعلمي لا نهاية له، وحكمتي لا غاية لها، فعبادي المخلصون لا يزالون يزدادون مني اقتراباً بالعلم في الدنيا، وفي البرزخ وفي الجنة، بل أعلىٰ درجات الجنة أن يكون الناس في عالم روحي خالص من المادة للاستغراق في العلم، ولا معنىٰ للقرب مني إلا بالعلم، وشبهه العلماء بقرب الأستاذ من التلميذ، فكلما ازداد علماً ازداد من أستاذه قرباً، فهذا هو العروج الذي تعرجه الأرواح، وهذا العروج لا نهاية له، فليعد بخمسين ألف سنة، أو فليعد بأضعافها، فالمقصد المراتب العظيمة"[(٢)].

فبهذا يتضح أن مراد جوهري بالعلم هو العلم بالله تعالىٰ وعبادته، بدليل أنه به ترتقي الأرواح في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الجنة.

٢- وأما كلام البيضاوي رحمه الله فقد اجتزأ منه ما يريد، وحذف منه ما ينقض قوله، ونص كلام البيضاوي: "(تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج، وبعد مداها علىٰ التمثيل والتخيل[(٣)]، والمعنىٰ:

---

(١) السابق ٢٤/ ٢٨٢.

(٢) السابق ٢٤/ ٢٨٢.

(٣) قول البيضاوي: "علىٰ سبيل التمثيل والتخيل" غير صحيح، وهو جار علىٰ القول بالمجاز في القرآن، وأن مقدار يوم القيامة المذكور في الآيات مجاز عما يلزمه من كثرة ما يقع فيه من الحالات والمحاسبات، وما فيه من الشدائد والأهوال، والصحيح: أن العدد علىٰ ظاهره وحقيقته، كما أن هذا من الأمور العقدية السمعية التي لا تقاس بمقاييس عقولنا القاصرة. انظر: آيات العقيدة التي قد يوهم ظاهرها التعارض، إعداد: عدد من الباحثين ٢/ ٩٩٣.

أنها بحيث لو قدر قطعها في زمان، لكان في زمان يقدر بخمسين ألف سنة من سني الدنيا.

وقيل: معناه (تعرج الملائكة والروح) **إلى عرشه** في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، من حيث إنهم يقطعون فيه ما يقطع الإنسان فيها لو فرض، لا أن ما بين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة؛ لأن ما بين مركز الأرض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام، وثخن كل واحدة من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك، وحيث قال: (في يوم كان مقداره ألف سنة) يريد زمان عروجهم من الأرض إلى محدب السماء الدنيا.

وقيل: في يوم متعلق بـ(واقع) أو (سأل) إذا جعل من السيلان، والمراد به يوم القيامة واستطالته، إما لشدته على الكفار، أو لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات، أو لأنه على الحقيقة كذلك، والروح جبريل ﷺ، وإفراده لفضله، أو خلق أعظم من الملائكة"[1].

٣- وأما كلام الإمام البغوي ﷺ ففعل فيه كما فعل في كلام البيضاوي من التصرف والحذف، ونص كلام البغوي: "وأما قوله: (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)، أراد مدة المسافة من الأرض إلى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل، يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه، مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا، هذا كله معنى قول مجاهد والضحاك.

وقوله: (إليه) أي: إلى الله، وقيل على هذا التأويل: أي: إلى مكان الملك الذي أمره الله ﷻ أن يعرج إليه"[2].

وقال أيضاً: " تعرج الملائكة...والروح، يعني جبريل ﷺ، (إليه) أي إلى الله ﷻ، (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)، من سني الدنيا لو صعد غير الملك من بني آدم، من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الأرض السابعة، إلى منتهى أمر الله تعالى من فوق السماء السابعة، لما صعد في أقل من خمسين ألف سنة، والملك يقطع ذلك كله في ساعة واحدة، وروى ليث عن مجاهد أن مقدار هذا خمسين ألف سنة"[3].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ٢٤٤.

(٢) معالم التنزيل ٣/ ٥٩٤.

(٣) المرجع السابق ٥/ ١٥١.

فدل كلام البغوي في الموضعين أن عروج الملائكة هو إلىٰ السماء التي فيها سدرة المنتهىٰ، وفيها مستقر الملائكة، وليست السماء الفيزيائية التي يقصدها الدكتور، ومن أجل ذلك حذف كلمة (سدرة المنتهىٰ) و(السماء السابعة) و(جبريل والملائكة) من كلام البغوي.

٤- لم يسلم كذلك كلام الألوسي رحمه الله من البتر والتقديم والتأخير، ونص كلامه: "وتعرج الملائكة والروح إليه مستطرد عند وصفه ﷻ بذي المعارج. وقيل: **هو متعلق بتعرج كما هو الظاهر، إلا أن العروج في الدنيا، والمعنىٰ تعرج الملائكة والروح إلىٰ عرشه تعالىٰ، ويقطعون في يوم من أيامكم ما يقطعه الإنسان في خمسين ألف سنة لو فرض سيره فيه، وروي عن ابن إسحاق ومنذر بن سعيد ومجاهد وجماعة وهو رواية عن ابن عباس أيضا.**

واختلف في تحديد المسافة، فقيل: هي من وجه الأرض إلىٰ منتهىٰ العرش، وقيل: من قعر الأرض السابعة السفلىٰ إلىٰ العرش، وفصل بأن ثخن كل أرض خمسمائة عام، وبين كل أرضين خمسمائة عام، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا خمسمائة عام، وثخن كل سماء كذلك، وما بين كل سماءين كذلك، وما بين السماء العليا ومقعر الكرسي كذلك، ومجموع ذلك أربعة عشر ألف عام، ومن مقعر الكرسي إلىٰ العرش مسيرة ست وثلاثين ألف عام فالمجموع خمسون ألف سنة...

ومن الناس من اعتبر هذه المدة من الأرض إلىٰ العرش عروجاً وهبوطاً، واعتبرها كذلك من الأرض إلىٰ مقعر السماء الدنيا في قوله سبحانه: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥]، ومن يعتبر أحد الأمرين، يعتبر هنا محدب السماء الدنيا والأرض... وقيل: الكلام بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها علىٰ سبيل التمثيل والتخييل[1]، والمراد أنها في غاية البعد والارتفاع المعنوي علىٰ بعض الأوجه في المعارج، أو الحسي كما في بعض آخر"[2].

وبمقارنة هذا النقل عن الألوسي رحمه الله مع ما نقله الدكتور عنه، يتبين أنه تصرف فيه علىٰ النحو التالي:

---

(١) تقدم ص ٢٤١ التعليق علىٰ لفظة (التمثيل والتخييل).

(٢) روح المعاني ١٥/ ٦٥.



◈ حذف ذكر العرش والملائكة من كلام الألوسي، ومن كل الأقوال التي ذكرها.

◈ جعل المروي عن ابن إسحاق، ومنذر بن سعيد، ومجاهد، وجماعة، وهو رواية عن ابن عباس أيضا، هو جملة (العروج في الدنيا) فقط، وحتى يؤكد هذا المعنى، قدم قبلها جملة (الكلام بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها...والمراد أنها في غاية البعد والارتفاع) التي ذكرها الألوسي في آخر كلامه وصدرها بـ (قيل).

بينما الصواب أن المروي عن ابن إسحاق، ومنذر بن سعيد، ومجاهد، وجماعة، وهو رواية عن ابن عباس أيضا، هو جملة: (وقيل: هو متعلق بتعرج كما هو الظاهر، إلا أن العروج في الدنيا، والمعنى تعرج الملائكة والروح إلى عرشه تعالى، ويقطعون في يوم من أيامكم ما يقطعه الإنسان في خمسين ألف سنة لو فرض سيره فيه، وروي عن ابن إسحاق، ومنذر بن سعيد، ومجاهد، وجماعة، وهو رواية عن ابن عباس أيضاً).

**الأمر الثاني:** اجتهد الدكتور في صرف الأمر المذكور في آية سورة السجدة عن أن يكون أمراً شرعياً دينياً، وانتقى من كلام العلماء ما يؤيد أنه أمر كوني، وأن (الأمر) في الآية بمعنى (المأمور)؛ لأن إثبات كونه أمراً شرعياً يثبت أن الله يتكلم بالأمر من فوق عرشه، وهذا سيخرج الآية عن موضوع السبق العلمي في تقرير سرعة الضوء، وعندها لا يمكن قياس الأمر، وأما كون الأمر كونياً فيجعله قابلاً للقياس، قال د. محمد دودح: "ولفظ (الأمر) في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يعني كل شيء؛ لأن الكل مأمور بكلمة (كن) تجسيداً للمشيئة"[1]، وقال أيضاً: "و (الأمر) المدبر يستقيم أن يعني (المأمور)، فيوحد كل شيء في أصل واحد، ويجعل الكل منظماً مقدراً، والانتقال إلى هيئة مواد الأرض، ثم العودة إلى الانتقال الحر في انحناء كالأعرج، يوحد القوى والمواد في البنية، ويوجز قصة الكون فيزيائياً منذ بدايته"[2].

وقد تَابَع الدكتورَ في قوله الهيئة العالمية للإعجاز العلمي، حيث فسروا الأمر في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ بأنه الأمر الكوني، وهو كل شيء مأمور، أي قائم وفق تدبير لا تصنعه مصادفة، ونظام واحد يشهد بوحدانية الخالق"[3].

---

(١) سرعة الضوء ص٥٤.

(٢) المرجع السابق ص٣٦.

(٣) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ١/ ١٤.

وبين د. محمد دودح المكان الذي يملأه هذا الأمر الكوني ويتردد فيه فقال: "قال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥]، وصف لحركة أمر ما، يملأ ساحة الكون الفيزيائي كله بين الأجرام، من السماء إلى الأرض، وإن سميناه فضاء، وبيان أن حركته بانحناء كحركة الأعرج في مشيته، وهو وصف يتفق مع المعلوم فيزيائياً اليوم بحركة القوى الفيزيائية في الفضاء بين الأجرام بانحناء نتيجة لتأثير الأجرام"(١)، وقد أيد د. محمد دودح قوله هذا بما نقله عن ابن عباس وبعض المفسرين والعلماء كالتالي:

أ- قال: "وتورع ابن عباس ﷺ في موطن، عن الخوض في قياس لم تتضح كيفيته بعد، ومع ذلك أصاب عين النبع بضربة معول موفقة، فلم يبق إلا القليل ويفيض النهر، عندما فسر سير الأمر بقوله: (لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة في يوم).

قال القرطبي: (ذكره الزمخشري والمهدوي عن جماعة من المفسرين، وهو اختيار الطبري)"(٢)

ب- وقال الألوسي: "الأمر راجع إلى المراد لا إلى الإرادة. . (أي) الأشياء المرادة المكونة".

ج- وقال ابن تيمية: "وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر فيسمى المخلوق خلقًا لقوله: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ . . ولهذا يسمى المأمور به أمرًا".

وقال أيضاً: "ولفظ الأمر يراد به..المفعول..كما قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾..فهنا المراد به المأمور به، وليس المراد به أمره الذي هو كلامه"(٣).

وقال أيضاً: "(و) ألفاظ المصادر يعبر بها عن المفعول فيسمى المأمور به أمراً..والمخلوق بالكلمة كلمة، فإذا قيل في المسيح أنه كلمة الله فالمراد به أنه خُلِقَ بكلمة..كن.. وإلا فعيسى ﷺ بشر. . وكذلك إذا قيل عن المخلوق أنه أمر الله فالمراد أن الله كونه بأمره"(٤).

---

(١) سرعة الضوء ص٩، ٢٠-٢١، وانظر: موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ١/ ١٤، والقرآن والكون، أسامة علي الخضر ص٣٢٣، ونظرات حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، حمزه صيرفي ص٣٨-٣٩.

(٢) سرعة الضوء ص٥١.

(٣) المرجع السابق ص٥٤.

(٤) السابق ص٥٥.

ونقل د. محمد دودح كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على حديث عمران بن حصين رضي الله عنه فقال: "وعن عمران بن حصين أن أهل اليمن سألوا النبي ﷺ عن أول هذا الأمر..فقال (كان الله ولم يكن شيء غيره) "، وقولهم: (جئنا لنسألك عن أول هذا الأمر) كان مرادهم خلق هذا العالم. . فهذا الأمر إشارة إلى حاضر موجود..وهو المأمور الذي كونه الله بأمره وهذا مرادهم"(١).

وختم ما نقله عن شيخ الإسلام بقوله رحمه الله: "وهذا قول سلف الأمة وأئمتها وجمهورها".

د- قال ابن القيم: "والأمر الكوني كقوله..: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾..فهذا أمر تقدير كوني لا أمر ديني شرعي"، وقال أيضاً: "وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر".

هـ- قال د. محمد دودح: "وفي معنى قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة: ٥]، قال الألوسي: (فيه إشارة إلى أن الأمر وإن ظهر بالأشكال المختلفة والصور المتعددة أوله وآخره سواء)"(٢).

**المناقشة:**

اشتمل كلام الدكتور على عدد من الأخطاء العلمية في تقريره معنى الأمر، وأخطاء في نقله عن العلماء، ويتبين ذلك من خلال ما يلي:

١- أن الأمر في الآية يشمل الأمر الكوني الذي يقضيه الله في خلقه، ويشمل الأمر الشرعي الذي ينزل الله ﷻ بواسطة جبريل عليه السلام إلى رسله وأنبيائه، فقصر الآية على أحد الأمرين تحكم، ويخالف ما فهمه أهل التفسير من الآية، ومن أقوالهم:

- قال الإمام البغوي رحمه الله: "﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ أي: يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾، وقيل: ينزل الوحي مع جبريل من السماء إلى الأرض"(٣).
- وقال الزمخشري رحمه الله: "﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ... ﴾ [السجدة:٥]، الأمر المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحة، ينزله مدبراً من السماء إلى الأرض"(٤).

(١) السابق ص٥٥.
(٢) السابق ص٥٩.
(٣) معالم التنزيل ٦/ ٣٠٠.
(٤) الكشاف ٣/ ٥٠٧.

◈ وقال ابن عطية ﷺ: "﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ... ﴾ [السجدة:٥] الأمر اسم جنس لجميع الأمور، والمعنىٰ ينفذ الله تعالىٰ قضاءه بجميع ما يشاؤه"[(١)].

◈ وقال ابن الجوزي ﷺ: "قوله تعالىٰ: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ في معنىٰ الآية قولان:

أحدهما: يقضي القضاء من السماء فينزله مع الملائكة إلىٰ الأرض، ثم يعرج الملك إليه في يوم من أيام الدنيا، فيكون الملك قد قطع في يوم واحد من أيام الدنيا في نزوله وصعوده مسافة ألف سنة من مسيرة الآدمي.

والثاني: يدبر أمر الدنيا مدة أيام الدنيا، فينزل القضاء والقدر من السماء إلىٰ الأرض"[(٢)].

وقال الإمام القرطبي ﷺ: "قوله تعالىٰ: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ قال ابن عباس: ينزل القضاء والقدر. وقيل: ينزل الوحي مع جبريل"[(٣)].

◈ وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي ﷺ: "﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ القدري والأمر الشرعي، الجميع هو المتفرد بتدبيره، نازلة تلك التدابير من عند المليك القدير ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾"[(٤)].

٢- أن ما نقله عن بعض المفسرين والعلماء قد تصرف فيه الدكتور كعادته بالحذف، وبسوء الفهم، وتفصيل ذلك كما يلي:

أ- قول ابن عباس ﷺ: "لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة في يوم" ليس هو في بيان سرعة الأمر، بل هو في بيان سرعة جبريل ﷺ، الذي يعرج إلىٰ ربه ﷺ.

وقد حذف الدكتور كلمة (جبريل) من سياق كلام ابن عباس ﷺ، حتىٰ يستقيم له الاستدلال به علىٰ سرعة الضوء، ونص كلام القرطبي كما يلي: "وقال ابن عباس: المعنىٰ كان مقداره لو ساره غير الملك ألف سنة، لأن النزول خمسمائة والصعود خمسمائة، وروي ذلك عن جماعة من المفسرين، وهو اختيار الطبري، ذكره المهدوي، وهو معنىٰ

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٨.
(٢) زاد المسير ٣/ ٤٣٧.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٨٦.
(٤) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٥٣

القول الأول، أي: أن جبريل لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة في يوم من أيامكم، ذكره الزمخشري، وذكر الماوردي على ابن عباس والضحاك أن الملك يصعد في يوم مسيرة ألف سنة"(١).

ب- ما نقله عن الألوسي ﷺ ليس حجة في هذا الموضع لأمرين:

**الأول:** أن هذا الكلام هو في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وليس في تفسير آية السجدة.

**الثاني:** أن الألوسي تكلم به عن ألفاظ الاستقبال في آية النحل وهي (إذا) و (نقول) وليس عن (الأمر) في آية السجدة، ونص كلامه: "وما ذكر من دلالة (إذا) و (نقول) على الاستقبال هو ما ذكره غير واحد، لكن نقل أبو حيان عن ابن عطية أنه قال: ما في ألفاظ هذه الآية من معنى الاستقبال والاستئناف، إنما هو راجع إلى المراد لا إلى الإرادة، وذلك أن الأشياء المرادة المكونة في وجودها استئناف واستقبال، لا في إرادة ذلك، ولا في الأمر به؛ لأن ذينك قديمان، فمن أجل المراد عبر بـ (إذا) و (نقول)"(٢).

ج- أورد الدكتور كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ مستدلاً به على أن الأمر هو المأمور المفعول المخلوق، وليس هو الأمر الصادر عن الله تعالى، الذي هو كلامه.

وقد جانب الدكتور الأمانة العلمية في نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية، فتصرف في كلامه، وأخرجه عن سياقه إلى السياق الذي يريد الدكتور أن يستدل به عليه، وبيان ذلك كما يلي:

أولاً: قوله: "(ولفظ الأمر يراد به..المفعول..كما قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾..فهنا المراد به المأمور به، وليس المراد به أمره الذي هو كلامه) "

هذا الكلام قطعه الدكتور عن سياقه الذي يثبت به شيخ الإسلام الكلام لله تعالى، وأن أمر الله الذي تكون به الأعمال مشروعة هو غير مخلوق، بل هو كلام الله تعالى، وحذف الدكتور من كلام شيخ الإسلام ما يدل على هذا، فحذف أن الأمر يراد به المصدر، وأبقى أن الأمر يراد به المفعول.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٨٧.
(٢) روح المعاني ٧/ ٣٨٣.

ثم إن كلام شيخ الإسلام هو في تفسير آية النحل، وليس آية السجدة، ونص كلامه رحمه الله: "وأما قولهم؛ إن الأعمال هي الشرائع، والشرائع غير مخلوقة، فيقال لهم أيضا:

لفظ الشرع يراد به كلام الله الذي شرع به الدين، ويراد به الأعمال المشروعة، فإن هذه الألفاظ يراد بها المصدر، ويراد بها المفعول كلفظ (الخلق) ونحوه.

فإن قلتم: إن أعمال العباد هي الشرع الذي هو كلام الله، فهذا باطل ظاهر البطلان، وإن أردتم: أن الأعمال هي المشروعة بأمر الله بها، فهذا حق؛ لكن أمر الله غير مخلوق، وأما المأمور به المكون بأمر الله، أو الممتثل بأمر الله، فإنه مخلوق، كما أن العبد المأمور مخلوق.

ولفظ (الأمر) يراد به المصدر والمفعول، فالمفعول مخلوق كما قال: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١]، وقال: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] فهنا المراد به المأمور به، ليس المراد به أمره الذي هو كلامه.

وهذه الآية التي احتج بها هؤلاء، تضمنت الشرع وهو الأمر، والقدر، وقد ضل في هذا الموضع فريقان: (الجهمية) الذين يقولون: كلام الله مخلوق، ويحتجون بقوله: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] ويقولون: ما كان مقدوراً فهو مخلوق، وهؤلاء (الحلولية) الضالون، الذين يجعلون فعل العباد قديماً، بأنه أمر الله وقدره وأمره، وقدره غير مخلوق.

ومثار الشبهة أن اسم (القدر)، و(الأمر)، و(الشرع)، يراد به المصدر، ويراد به المفعول، ففي قوله: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] المراد به المأمور به المقدور، وهذا مخلوق، وأما في قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡ﴾ [الطلاق: ٥] فأمره كلامه، إذ لم ينزل إلينا الأفعال التي أمرنا بها، وإنما أنزل القرآن، وهذا كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] فهذا الأمر هو كلامه.

فإذا احتج الجهمي الذي يؤول أمره إلى أن يجعله حالاً في المخلوقات بقوله: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] قيل له: المراد به المأمور به، كما في قوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وكما يقال عن الحوادث التي يحدثها الله هذا أمر عظيم.

وإذا احتج الحلولي الذي يجعل صفات الرب تقارن ذاته، وتحل في المخلوقات بقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقال الأفعال قدره وأمره، وأمره غير مخلوق، وقدره غير مخلوق، قيل له: أمره وقدره الذي هو صفته كمشيئته وكلامه غير مخلوق، فأما أمره الذي هو قدر مقدور فمخلوق، فالمقدور مخلوق، والمأمور به مخلوق، وإن سميا أمراً وقدراً.

ثم يقال لهؤلاء الضالين: هب أن المأمور به يسمىٰ أمراً وشرعاً، فالمنهي عنه ليس هو مأموراً به ولا مشروعاً، وإنما هو مخالفة للأمر والشرع، وهو منهي عنه، فكيف سميتم الكفر والفسوق والعصيان شرائع، وليست من الشرائع، ولكن هي مما نهت عنه الشريعة، ولما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية: ١٨] هل دخل في هذه الشريعة الكفر والفسوق والعصيان، وهل أمر الرسول باتباع ذلك، وباجتنابه واتقائه"[(١)].

فتبين من هذا النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية البون الشاسع بينه وبين ما نقله الدكتور وتصرف فيه.

ثانياً: قوله: "(وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمىٰ المفعول باسم المصدر فيسمىٰ المخلوق خلقاً لقوله: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾. . ولهذا يسمىٰ المأمور به أمراً).

هذا الكلام الذي نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية، هو في سياق رده علىٰ دعوىٰ النصارىٰ في عيسىٰ ﷺ، ولا صلة له بآية سورة السجدة[(٢)].

ثالثاً: قوله: "(و) ألفاظ المصادر يعبر بها عن المفعول فيسمىٰ المأمور به أمراً .. والمخلوق بالكلمة كلمة، فإذا قيل في المسيح أنه كلمة الله، فالمراد به أنه خُلِقَ بكلمة .. كن .. وإلا فعيسىٰ ﷺ بشر .. وكذلك إذا قيل عن المخلوق أنه أمر الله، فالمراد أن الله كونه بأمره".

هذا الكلام هو كذلك في سياق رد شيخ الإسلام علىٰ دعوىٰ النصارىٰ في عيسىٰ ﷺ، عند كلامه علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ

(١) مجموع الفتاوىٰ ٨/ ٤١١-٤١٣، وانظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية ص١٤٥.
(٢) انظر: دقائق التفسير، ابن تيمية ١/ ٣٢٥.

مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١]، وقد تصرف فيه الدكتور، وحذف منه ما يثبت أن الأمر يكون أيضاً صفة لله تعالى، ونص كلامه رحمه الله: "وقوله تعالى: (وَرُوحٌ مِّنْهُ) ليس فيه أن بعض الله صار في عيسى، بل (من) لابتداء الغاية، كما قال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقال: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

وما أضيف إلى الله، أو قيل هو منه، فعلى وجهين: إن كان عيناً قائمة بنفسها، فهو مملوك له، و (من) لابتداء الغاية، كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧]، وقال في المسيح: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١].

وما كان صفة لا يقوم بنفسه كالعلم والكلام، فهو صفة له، كما يقال: كلام الله، وعلم الله، وكما قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

والألفاظ المصادر يعبر بها عن المفعول فيسمى المأمور به أمراً، والمقدور قدرة، والمرحوم به رحمة، والمخلوق بالكلمة كلمة، فإذا قيل في المسيح: إنه كلمة الله، فالمراد به أنه خلق بكلمة قوله (كن)، ولم يخلق على الوجه المعتاد من البشر، وإلا فعيسى بشر قائم بنفسه، ليس هو كلاماً صفة للمتكلم يقوم به.

وكذلك إذا قيل عن المخلوق: إنه أمر الله، فالمراد أن الله كونه بأمره كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢]، فالرب تعالى أحد صمد، لا يجوز أن يتبعض ويتجزأ، فيصير بعضه في غيره، سواء سمي ذلك روحاً أو غيره، فبطل ما يتوهمه النصارى من كونه ابناً له، وتبين أنه عبد من عباد الله"(١).

رابعاً: وأما استدلال الدكتور بحديث عمران بن حصين ﷺ، وتعليق شيخ الإسلام ﷺ عليه، مريداً بذلك تقرير أن (الأمر) في آية سورة السجدة هو نفسه (الأمر) في الحديث، والذي فسره بأنه (المأمور) فيرد عليه بأن قوله: "جئنا لنسألك عن أول هذا الأمر" قد ذكر فيه شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ احتمالين:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧/ ٢٨٣.



"إما أن يكون الأمر المشار إليه هذا العالم، أو جنس المخلوقات، فإن كان المراد هو الأول، كان النبي ﷺ قد أجابهم؛ لأنه أخبرهم عن أول خلقه هذا العالم، وإن كان المراد الثاني لم يكن قد أجابهم؛ لأنه لم يذكر أول الخلق مطلقاً، بل قال: (كان الله ولا شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض) فلم يذكر إلا خلق السموات والأرض، فعلم أنه أخبر بأول خلق هذا العالم، لا بأول الخلق مطلقاً... وإنما سألوه عن أول هذا الأمر، فعلم أنهم سألوه عن مبدأ خلق هذا العالم فأخبرهم بذلك، كما نطق في أولها في أول الأمر (خلق الله السموات والأرض) "[١].

وبهذا يعلم أن (الأمر) في الحديث، هو سؤال عن شيء موجود حاضر، بينما آية سورة السجدة أضافت تدبير الأمر إلى الله تعالى، ويوضح هذا أن الدكتور حذف من كلام شيخ الإسلام جملة توضح أن (الأمر) يراد به المصدر الذي هو كلام الله، ويراد به المفعول الذي هو المخلوق، وهذا نص كلامه رحمه الله:

"قولهم: (هذا الأمر) إشارة إلى حاضر موجود، والأمر يراد به المصدر، ويراد به المفعول به، وهو المأمور الذي كونه الله بأمره، وهذا مرادهم، فإن الذي هو قوله: (كن) ليس مشهوداً مشاراً إليه، بل المشهود المشار إليه هذا المأمور به، قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١] ونظائره متعددة"[٢].

فكلام شيخ الإسلام ابن تيمية صريح في التفريق بين (الأمر) الذي (يراد به المصدر) وهو كلام الله تعالى، وهو قوله: (كن)، وبين (الأمر) الذي (يراد به المفعول به وهو المأمور).

خامساً: نقل الدكتور عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قوله: "وهذا قول سلف الأمة وأئمتها وجمهورها".

وهذا النقل من الدكتور قد أوهم أن ابن تيمية رحمه الله يقول فقط بالأمر الكوني، وأنه هو قول السلف وأئمتها وجمهورها.

وبعد الرجوع لسياق الكلام الذي وردت فيه هذه الجملة، تبين اجتزاء الدكتور لها من سياقها، وبتره لها عن سباقها، الذي يقرر فيه شيخ الإسلام أن (الأمر) يراد به المصدر

(١) المرجع السابق ١٨/ ٢١٣-٢١٤.
(٢) السابق ١٨/ ٢١٥.

وهو كلام الله تعالىٰ، ونص كلامه رحمه الله: "وأما قوله تعالىٰ ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] فقد قيل: إن الروح هنا ليس هو روح الآدمي، وإنما هو ملك في قوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨]، وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ [القدر: ٤]، وقيل: بل هو روح الآدمي، والقولان مشهوران.

وسواء كانت الآية تعمهما أو تتناول أحدهما، فليس فيها ما يدل علىٰ أن الروح غير مخلوقة لوجهين: أحدهما: أن الأمر في القرآن يراد به المصدر تارة، ويراد به المفعول تارة أخرىٰ، وهو المأمور به، كقوله تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وهذا في لفظ غير الأمر؛ كلفظ الخلق والقدرة والرحمة والكلمة وغير ذلك.

ولو قيل إن الروح بعض أمر الله، أو جزء من أمر الله، ونحو ذلك مما هو صريح في أنها بعض أمر الله؛ لم يكن المراد بلفظ الأمر إلا المأمور به لا المصدر؛ لأن الروح عين قائمة بنفسها؛ تذهب وتجيء وتنعم وتعذب، وهذا لا يتصور أن يكون مسمىٰ مصدر أمر يأمر أمراً، وهذا قول سلف الأمة وأئمتها وجمهورها، ومن قال من المتكلمين إن الروح عرض قائم بالجسم؛ فليس عنده مصدر أمر يأمر أمراً.

والقرآن إذا سمي أمر الله فالقرآن كلام الله، والكلام اسم مصدر كلم يكلم تكليماً وكلاماً، وتكلم تكلماً وكلاماً، فإذا سمي أمراً بمعنىٰ المصدر، كان ذلك مطابقاً لا سيما والكلام نوعان: أمر وخبر.

أما الأعيان القائمة بأنفسها فلا تسمىٰ أمراً، لا بمعنىٰ المفعول به وهو المأمور به، كما سمي المسيح كلمة؛ لأنه مفعول بالكلمة، وكما يسمىٰ المقدور قدرة، والجنة رحمة، والمطر رحمة، في مثل قوله: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم: ٥٠]، وفي قول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال للجنة: (أنت رحمتي أرحم بك من شئت)، وقوله: (إن الله خلق الرحمة - يوم خلقها - مائة رحمة) ونظائر ذلك كثيرة، وهذا جواب أبي سعيد الخراز...

والوجه الثاني: أن لفظة (من) في اللغة قد تكون لبيان الجنس كقولهم: باب من حديد، وقد تكون لابتداء الغاية كقولهم: خرجت من مكة، فقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾

[الإسراء: ٨٥]، ليس نصاً في أن الروح بعض الأمر ومن جنسه، بل قد تكون لابتداء الغاية، إذ كونت بالأمر وصدرت عنه، وهذا معنىٰ جواب الإمام أحمد في قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١] حيث قال: (وَرُوحٌ مِّنْهُ ) يقول: من أمره كان الروح منه، كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، ونظير هذا أيضا قوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] فإذا كانت المسخرات والنعم من الله، ولم تكن بعض ذاته، بل منه صدرت، لم يجب أن يكون معنىٰ قوله في المسيح: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] أنها بعض ذات الله، ومعلوم أن قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أبلغ من قوله: ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ فإذا كان قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ لا يمنع أن يكون مخلوقاً، ولا يوجب أن يكون بعضاً له، فقوله: ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أولىٰ بأن لا يمنع أن يكون مخلوقاً، ولا يوجب أن يكون ذلك بعضاً له، بل ولا بعضاً من أمره.

وهذا الوجه يتوجه إذا كان الأمر هو الأمر الذي هو صفة من صفات الله، فهذان الجوابان كل منهما مستقل، ويمكن أن يجعل منهما جواب مركب فيقال: قوله: ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ إما أن يراد بالأمر المأمور به، أو صفة لله تعالىٰ، وإن أريد به الأول، أمكن أن تكون الروح بعض ذلك، فتكون مخلوقة، وإن أريد بالأمر صفة الله، كان قوله: ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾كقوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، وقوله: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ ونحو ذلك"[1].

د- وأما ما نقله الدكتور عن الإمام ابن القيمرحمه الله، فلم يسلم هو كذلك من التصرف، ومن تحميل كلامه رحمه الله ما لا يحتمل، وإخراجه عن سياقه الذي به يتضح مقصده.

فإن الكلام الذي نقله الدكتور هنا لا صلة له بلفظ (الأمر) في آية سورة السجدة، بل لا صلة له بالسورة أصلاً، وإنما كلام ابن القيم رحمه الله في بيان انقسام القضاء والحكم والأمر وغيرها من الألفاظ الشرعية إلىٰ كوني وديني، وهذا نص كلامه رحمه الله قال: "الباب التاسع والعشرون: في انقسام القضاء، والحكم، والإرادة، والكتابة، والأمر، والإذن، والجعل، والكلمات، والبعث، والإرسال، والتحريم، والانتباه، إلىٰ كوني متعلق بخلقه، وإلىٰ ديني متعلق بأمره، وما يحقق ذلك من إزالة اللبس والإشكال".

(١) السابق ٤/ ٢٢٦-٢٣٠.

ثم قال: "فصل: والأمر الكوني كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]، وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧]، وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١]، وقوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]، فهذا أمر تقدير كوني لا أمر ديني شرعي، فإن الله لا يأمر بالفحشاء، والمعنى: قضينا ذلك وقدرناه، وقالت طائفة: بل هو أمر ديني، والمعنى: أمرناهم بالطاعة فخالفونا وفسقوا، والقول الأول أرجح لوجوه" ثم ذكرها وقال ﷺ: "والمقصود ذكر الأمر الكوني والديني، ومن الديني قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وهو كثير"(١).

فكلام ابن القيم صريح في انقسام الأمر إلى كوني وديني، فلماذا اقتصر الدكتور على الكوني، ولم يذكر الديني الذي نص عليه ابن القيم صراحة.

وأما نقله عن ابن القيم قوله: "وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر" فقد أراد د. محمد بهذا النقل، أن يؤكد أن الأمر في آية السجدة، هو ما ذهب إليه من كونه أمراً كونياً.

وقد رجعت إلى موضع هذه الجملة من كلام ابن القيم، فتبين أنه ذكرها في سياق كلامه عن الإرادة والأمر، هل هما متلازمان أو لا؟ وهذا نص كلامه ﷺ الذي به يتبين مجانبة الدكتور للأمانة العلمية في النقل، والمنهج العلمي في الاستدلال، قال ﷺ: "الباب التاسع والعشرون: في انقسام القضاء، والحكم، والإرادة، والكتابة، والأمر، والإذن، والجعل، والكلمات، والبعث، والإرسال، والتحريم، والانتباه، إلى كوني متعلق بخلقه، وإلى ديني متعلق بأمره، وما يحقق ذلك من إزالة اللبس والإشكال.

هذا الباب متصل بالباب الذي قبله، وكل منهما يقرر لصاحبه، فما كان من كوني فهو متعلق بربوبيته وخلقه، وما كان من الديني فهو متعلق بإلهيته وشرعه، وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والأمر، فالخلق قضاؤه وقدره وفعله، والأمر شرعه ودينه.

---

(١) شفاء العليل ص٢٨٠-٢٨١.

فهو الذي خلق وشرع وأمر، وأحكامه جارية على خلقه قدراً وشرعاً، ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري، وأما حكمه الديني الشرعي فيعصيه الفجار والفساق.

والأمران غير متلازمين فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره، ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عبادة وإيمانهم، وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر، وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي في ما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور، وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي إذا عرف ذلك... والإرادة أيضا نوعان فالكونية كقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، وقوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ [الإسراء: ١٦]، وقوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، وقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥]، والدينية كقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٧]، فلو كانت هذه الإرادة كونية لما حصل العسر لأحد منا، ولو وقعت التوبة من جميع المكلفين.

وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر والإرادة هل هما متلازمان أم لا؟ فقالت القدرية الأمر يستلزم الإرادة، واحتجوا بحجج لا تندفع، وقالت المثبتة الأمر لا يستلزم الإرادة، واحتجوا بحجج لا تندفع.

والصواب: أن الأمر يستلزم الإرادة الدينية، ولا يستلزم الإرادة الكونية، فإنه لا يأمر إلا بما يريده شرعاً وديناً، وقد يأمر بما لا يريده كوناً وقدراً"[١].

هـ- وأما ما نقله عن الألوسي: "فيه إشارة إلى أن الأمر وإن ظهر بالأشكال المختلفة، والصور المتعددة، أوله وآخره سواء" فجوابه من وجهين:

**الأول:** أنه لا صلة له بلفظ (الأمر) في آية السجدة.

**الثاني:** أنه ليس من كلام الألوسي، وإنما نقله عن ابن عربي الصوفي الذي يسميه بالشيخ الأكبر، عندما تحدث عن الحروف المقطعة في أول سورة الأعراف، فقال الألوسي: "هذا ومن باب الإشارة في الآيات: (المص) الألف إشارة إلى الذات الأحدية، واللام إلى الذات مع صفة العلم، والميم إلى معنى محمد وهي حقيقته، والصاد إلى صورته ﷺ.

---

(١) المرجع السابق ص٢٨٠.

وقد يقال: الألف إشارة إلى التوحيد، والميم إلى الملك، واللام بينهما واسطة لتكون بينهما رابطة، والصاد لكونه حرفاً كري الشكل قابلاً لجميع الأشكال، كما قال الشيخ الأكبر قدس سره: فيه إشارة إلى أن الأمر وإن ظهر بالأشكال المختلفة والصورة المتعددة أوله وآخره سواء[1]"[2].

الأمر الثالث: ذكر د. محمد دودح أن آية سورة الحج هي في سياق الإنذار باقتراب نهاية الكون، ودمار الأرض، وهلاك أهلها بعذاب قادم بسرعة قصوى، لا تحتاج مزيد استعجال، بسبب مماثلة (يوم) بمسافة (ألف سنة)[3]،

قال: "ويستقيم من الناحية الفيزيائية، أن يحمل ذلك الأمر القادم بأقصى سرعة... على القوى الفيزيائية، والمعبر عن سرعتها بسرعة الضوء"[4].

وقال أيضاً: "ويمكن حمل الإنذار على تقارب أطراف الكون، تُحمل الألف سنة على مسافة السير في اليوم، بياناً لحد سرعة القوى، المعبر عنها بسرعة الضوء"[5].

وقال أيضاً: "وفي نفس سياق الإنذار بدمار الأرض وهلاك أهلها، مع تقارب أطراف الكون، وإن بدا حده بعيداً، وردت نفس القيم في قياس أكبر، يُمكن حمله على أقصى بعد، يقول تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا﴾ [المعارج: ١-١٠]"[6]

وجعل الدكتور القياس في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ هو مقدار سير الأمر، واستدل بالأقوال التالية:

- قال ابن عباس: "مقدار سير الأمر".

---

(١) وهذا الكلام باطل، وهو من كلام أهل وحدة الوجود. انظر: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، د. أحمد بن عبدالعزيز القصير، ط. مكتبة الرشد، الرياض، الأولى ١٤٢٤هـ.

(٢) روح المعاني ٤/ ٣٣٧.

(٣) سرعة الضوء ٢٣-٢٤.

(٤) المرجع السابق ص ١١.

(٥) السابق ص٢٣.

(٦) السابق ص ٢٤.

- وقال قتاده: "يقول مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة".
- وقال القرطبي: "في يوم كان مقداره في المسافة ألف سنة".
- وقال الألوسي: "في يوم مقدار مسافة السير فيه ألف سنة".
- وقال الطبري: "لأن المسافة مسيرة ألف سنة".
- وقال الرازي: "واليوم هنا زمان".
- وقال الزمخشري: "(وهو) يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد".
- ثم قال الدكتور: "وليس ما قالوه على فضلهم إلا صدى معول موفق، أصاب عين النبع بقوله: (لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة في يوم).
- قال الألوسي مفسراً العلاقة: (وإن لم تبعد هذه السرعة .. عند من وقف على سرعة حركة الأضواء وعلم أن الله ﷻ على كل شيء قدير) .. وقال: (وأي مانع أن يخلق الله تعالى .. من السرعة نحو ما خلق تعالى في ضوء الشمس .. (فإن) ضوءها ليصل إلى الأرض في مدة ثمان دقائق".
- وقال حفيده أن من النجوم: (ما لا يصل نوره إلى الأرض في مائة سنة، بل أكثر مع شدة سرعة الضوء) "[١].

**المناقشة:**

ما نقله من أقوال في مقدار سير الأمر يرد عليه ما يلي:

١) قول ابن عباس ﷺ، وقول قتادة ﷺ، هو عن آية سورة السجدة، وليس عن آية سورة الحج، قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ﴾ [السجدة: ٥] من أيامكم ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] يقول: مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة مما تعدون من أيامكم من أيام الدنيا، خمسمائة سنة نزوله، وخمسمائة صعوده، فذلك ألف سنة"[٢]، وقال الإمام السيوطي ﷺ: "وروي عن ابن عباس أيضاً أن يوم الألف هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه، ويوم الألف في سورة الحج هو أحد الأيام الستة التي خلق

(١) السابق ص٥٣-٥٤.
(٢) جامع البيان ١٨/ ٥٩٢، وانظر: الدر المنثور ٦/ ٥٣٨.

الله فيها السموات، ويوم الخمسين ألفاً هو يوم القيامة"[(١)].

٢) ما نقله عن الإمام القرطبي رحمه الله هو ليس قولاً له، وإنما حكاه بقوله: "وقيل: المعنىٰ يدبر أمر الشمس في طلوعها وغروبها، ورجوعها إلىٰ موضعها من الطلوع، في يوم كان مقداره في المسافة ألف سنة"[(٢)].

٣) وأما قول الألوسي رحمه الله فهو عن آية سورة السجدة، وقد حذف منه الدكتور ذكر جبريل عليه السلام، ونص كلامه: "وقيل: المعنىٰ ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء إلىٰ الأرض، ثم يرجع إليه تعالىٰ ما كان من قبوله أو رده مع جبريل عليه السلام، في يوم مقدار مسافة السير فيه ألف سنة، وهو ما بين السماء والأرض هبوطاً وصعوداً، فالأمر عليه مراد به الوحي كما في قوله تعالىٰ: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [غافر: ١٥] "[(٣)].

٤) وأما كلام الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "لأن المسافة مسيرة ألف سنة" فلم أقف عليه بهذا اللفظ في تفسيره، والذي وقفت عليه مما أشار فيه إلىٰ مسيرة ألف سنة، ما نقله عن الضحاك وعكرمة في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] قال الضحاك: تعرج الملائكة إلىٰ السماء، ثم تنزل في يوم من أيامكم هذه، وهو مسيرة ألف سنة "[(٤)].

وقال أيضاً: "وقال عكرمة: ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة مما تعدون من أيام الآخرة "[(٥)].

والقولان صريحان في أن العروج هو إلىٰ السماء التي تنزل منها الملائكة وفيها تعرج.

٥) وأما قول الرازي رحمه الله فلم أقف عليه حسب بحثي، ولم يحل الدكتور علىٰ المصدر الذي نقل منه.

٦) وأما كلام الزمخشري رحمه الله فقد حذف منه كلمة (جبريل) وجعل مكانها (وهو) ليجعل الضمير المنفصل يعود علىٰ (الأمر)، ونص كلام الزمخشري: "وقيل: ينزل الوحىٰ مع

(١) الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٩٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٨٧.
(٣) روح المعاني ١١/ ١١٩.
(٤) جامع البيان ١٨/ ٥٩٢.
(٥) المرجع السابق ١٨/ ٥٩٥.

جبريل ﷺ من السماء إلى الأرض، ثم يرجع إليه ما كان من قبول الوحي أو ردّه مع جبريل، وذلك في وقت هو في الحقيقة ألف سنة؛ لأن المسافة مسيرة ألف سنة في الهبوط والصعود؛ لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل، لأنه يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد"[1].

٧) وأما قول الألوسي ﷺ: "وإن لم تبعد هذه السرعة..."فهو عند تفسيره لآية سورة الحج، وليس آية السجدة، ثم إن الدكتور حذف منه كلمة (الملائكة) ليوهم القارىء أن كلام الألوسي هو عن (الأمر)، وهذا نص كلامه ﷺ: "وإن لم تبعد هذه السرعة من الملائكة عليهم السلام، عند من وقف على سرعة حركة الأضواء، وعلم أن الله ﷻ على كل شيء قدير"[2].

فالألوسي يشير إلى أن سرعة الملائكة غير مستبعده لمن عرف سرعة الأضواء، ولم يرد الألوسي بهذا أن يفسر (الأمر) بأنه هو سرعة الأضواء.

ثم إن الدكتور أراد أن يؤكد المعنى الذي لم يرده الألوسي فنقل عنه قوله: "(وأي مانع أن يخلق الله تعالى. . من السرعة نحو ما خلق تعالى في ضوء الشمس. . (فإن) ضوءها ليصل إلى الأرض في مدة ثمان دقائق".

وقال حفيده[3] أن من النجوم: (ما لا يصل نوره إلى الأرض في مائة سنة، بل أكثر مع شدة سرعة الضوء)".

**والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه:**

**الوجه الأول:** أن الألوسي ذكر هذا عند تفسيره لآية سورة القمر: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وليس عند تفسيره لآية الحج أو السجدة.

**الوجه الثاني:** أنه ذكر هذا في سياق رده على شبهة الملاحدة الذين أنكروا وقوع انشقاق القمر، وقالوا: لو وقع لنقل متواتراً، واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته، ولم يختص بها أهل مكة؛ لأنه أمر محسوس مشاهد، والناس فيه شركاء، والطباع حريصة على رواية الغريب، ونقل ما لم يعهد...إلى آخر شبهتهم.

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٠٨.

(٢) روح المعاني ١٥/ ٦٥.

(٣) أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، وقد سبقت الترجمة له.

ونص جواب الألوسي عن هذه الشبهة: "والجواب عن ذلك أنه وقع في الليل وزمان الغفلة، وكان في زمان قليل، ورؤية القمر في بلد لا تستلزم رؤيته في جميع البلاد ضرورة اختلاف المطالع، فقد يكون القمر طالعاً علىٰ قوم، غائباً عن آخرين، ومكسوفاً عند قوم، غير مكسوف عند آخرين، والاعتناء بأمر الأرصاد، لم يكن بمثابته اليوم، وغفلة أهلها لحظة غير مستبعد، والانشقاق لا تختلف به منازله، ولا يتغير به سيره، غاية ما في الباب أن يحدث في القطعة الشرقية قوة سير، لتلحق أختها الغربية، وأي مانع من أن يخلق الله تعالىٰ فيها من السرعة نحو ما خلق الله سبحانه في ضوء الشمس، فقد قال أهل الحكمة الجديدة[1]: إن بين الأرض والشمس ثلاثمائة ألف فرسخ وأربعون ألف فرسخ، وأن ضوءها ليصل إلىٰ الأرض في مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية، فيقطع الضوء في كل ثانية سبعين ألف فرسخ، ولا يلزم أن يُعلم سبب كل حادث، بل كثير من الحوادث المتكررة المشاهدة لم يوقف علىٰ أسبابها"[2].

فإذا قارنا بين كلام الألوسي هذا، وبين ما نقله الدكتور، نلحظ أنه حذف كلمة (فيها) من قوله: "وأي مانع من أن يخلق الله تعالىٰ فيها من السرعة نحو ما خلق الله سبحانه في ضوء الشمس" وكلمة (فيها) تعود علىٰ القطعة الشرقية من القمر كما ذكر الألوسي.

**الوجه الثالث:** قوله: "وقال حفيده أن من النجوم: (ما لا يصل نوره إلىٰ الأرض في مائة سنة بل أكثر مع شدة سرعة الضوء)".

فيقال: هذا ليس كلام حفيد الألوسي محمود شكري[3]، وإنما هو يحكي كلام المنجمين عن الكواكب، وقد صدَّر قولهم بـ (وزعموا) فقال: "وزعموا أن من هاتيك الكواكب ما لا يصل نوره إلىٰ الأرض في مائة سنة، بل أكثر مع شدة سرعة الضوء، كما أشير إليه آنفاً في بيان حركة ضوء الشمس"[4].

وعليه فما ذكره حفيد الألوسي عن المنجمين، هو في المدة التي يصل فيها نور الكواكب إلىٰ الأرض، ولا صلة له بآية الحج أو آية السجدة، لا من قريب ولا من بعيد،

---

(١) أي: أصحاب الفَلَك.

(٢) روح المعاني ١٤/ ٧٦.

(٣) هو: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، ولد في بغداد عام ١٢٧٣هـ في بيت علم ودين، وجمع عدداً من العلوم، توفي عام ١٣٤٢هـ علىٰ أثر مرض ألم به. انظر: الأعلام، الزركلي ٧/ ١٧٢، ومعجم المؤلفين، كحالة ١٢/ ١٦٩.

(٤) ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان ص٤١.



وقد ذكر هذا الكلام تعليقاً على قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧].

**والخلاصة:**

أن د. محمد دودح قد مارس في نقله لأقوال المفسرين والعلماء: الانتقائية، والحذف، والتقديم والتأخير، والتصرف في الألفاظ والمعاني، وكل ذلك من أجل أن يثبت أن في الآيات إعجاز علمي.

**الجانب الثاني:** بيان موقف العلماء والمفسرين من الآيات، وعلى أي شيء يستدلون بها.

لقد قرر أصحاب الإعجاز العلمي كما سبق ثلاثة أمور هي:

**الأول:** أن الأمر في آية السجدة هو أمر كوني راجع إلى المأمور.

**الثاني:** أن العروج يكون في خطوط منحنية غير مستقيمة، ويدخل في ذلك عروج الملائكة[1].

**الثالث:** أن العروج المثبت هو إلى السماء الدنيا (الكون الفيزيائي)، وليس عروجاً إلى الله تعالى المستوي على عرشه.

وهذا الذي قرروه مخالف لما فهمه المفسرون والعلماء من أهل السنة، ومخالف لطريقتهم في الاستدلال بالآيات على إثبات علو الله تعالى، وأنه مستو على عرشه، ويتبين ذلك بما يلي:

١- أن الذي يدبر الأمر هو الله تعالى، وقد دل على هذا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ

(١) وانظر: المسألة الثالثة: تكييف عروج الملائكة، كما سيأتي ص ٢٦٩.

بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق:١٢].

٢- أن الأمر الذي يدبره الله تعالىٰ هو الأمر الكوني والديني، والديني يشمل كلامه تعالىٰ بالوحي، وقد دل علىٰ هذا حديث أبي هريرة ﷺ يبلغ به النبي ﷺ قال: "**إذا قضى الله الأمر في السماء**، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كالسلسلة علىٰ صفوان -قال علي: وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك- فإذا فزع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر - ووصف سفيان بيده، وفرج بين أصابع يده اليمنىٰ، نصبها بعضها فوق بعض - فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلىٰ صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتىٰ يرمي بها إلىٰ الذي يليه، إلىٰ الذي هو أسفل منه، حتىٰ يلقوها إلىٰ الأرض - وربما قال سفيان: حتىٰ تنتهي إلىٰ الأرض - فتلقىٰ علىٰ فم الساحر، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا، يكون كذا وكذا، فوجدناه حقاً؟ للكلمة التي سمعت من السماء "[١].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: "إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً، فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت، عرفوا أنه الحق ونادوا: ﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ:٢٣]"[٢].

وقد سبق في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم -رحمهما الله- أن الأمر يطلق علىٰ الأمر الكوني، والأمر الديني[٣].

قال الإمام ابن أبي العز ﷺ: "الرب سبحانه هو الذي حرك العبد إلىٰ دعائه، فهذا الخير منه، وتمامه عليه، كما قال عمر ﷺ: (إني لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل هم الدعاء، ولكن إذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه).

وعلىٰ هذا قوله تعالىٰ: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥]، فأخبر سبحانه أنه يبتدئ بتدبير الأمر، ثم يصعد إليه الأمر الذي دبره، فالله سبحانه هو الذي يقذف في قلب العبد حركة الدعاء، ويجعلها سبباً للخير الذي يعطيه إياه، كما في العمل والثواب، فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها، وهو الذي

---

(١) رواه البخاري ٦/ ٨٠ (٤٧٠١).
(٢) رواه البخاري ٩/ ١٤١.
(٣) انظر: ص٢٥٩.

وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه"[١].

٣- أن فهم أصحاب الإعجاز العلمي للفظة (السماء) الواردة في قوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة: ٥] كان له أثر فيما ذهبوا إليه من تحريف للآية لفظاً ومعنىٰ.

فإن بعض أصحاب الإعجاز العلمي يفسرون السماء أو السموات الواردة في بعض آيات القرآن الكريم بأنها هي: فضاء الكون بأجمعه، بما فيه من غلاف جوي مكون من سبع طبقات، وما فيه من شهب ونيازك، وقمر وكواكب، ومذنبات وشمس وغيرها[٢].

وممن ذهب إلىٰ هذا د. محمد دودح الذي فسر السماء بأنها فضاء الكون بأجمعه[٣]، وذكر - كما سبق - أن حركة الأمر تملأ ساحة الكون الفيزيائي كله بين الأجرام من السماء إلىٰ الأرض، وإن سميناه فضاء[٤].

والصحيح هو أن الذي يفسر معنىٰ السماء أو السماوات هو السياق القرآني علىٰ ضوء مدلولات اللغة، وما دلت عليه أحاديث النبي ﷺ، وليس هو محاولة التوفيق بين الآيات القرآنية وبين النظريات أو الحقائق العلمية[٥].

---

(١) شرح الطحاوية ٢/ ٦٨٠.

(٢) انظر: تفسير جزء عم، محمد عبده ص٥، والله والكون، د. محمد جمال الدين الفندي ص٢٤٣، ٢٩٨، وأسرار السموات والأرض في القرآن، علي محمد غصن ص١٤٣-١٤٤، والمعجزات القرآنية، هارون يحيىٰ ص٢٠-٢٣، ٢٦-٢٨، ومعجزة القرآن الكريم، محمد الخطيب ص١٤٨-١٥٢، والظواهر الجيولوجية في القرآن الكريم، د. مروان وحيد شعبان ص٣٢٩، وموسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المجلد الأول، وبحث: المادة السوداء في منظور القرآن الكريم، د. أنيس الراوي ورعد الخزرجي ص٣٨، والإعجاز العلمي للقرآن الكريم في مجال الطقس والمناخ، د. نعمان شحادة ص٤٧ وما بعدها، ومن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د. محمد فريد ص١١٤-١١٨، والقرآن والكون، أسامه الخضر ص٣٢٢، ٣٥٨-٣٦٠، ٦٢٤، ٦٣٠، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبدالفتاح رشاد ص٢٩-٣١، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، سليمان الطراونة ص١٧، ٣١، وعلوم الهندسة المدنية في القرآن والسنة، د. خالد فائق العبيدي ص١٣٩، والإعجاز العلمي في الإسلام، محمد كامل عبدالصمد ص٥٨-٥٩، والفيزياء والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. أحمد بركة ص١١٧-١٢٥، وتفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٣/ ٣٨٢-٣٨٤، ٤/ ١٥٦-١٥٨، ونظرات حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، حمزة سالم صيرفي ص٣٨-٣٩، والقرآن يتحدىٰ، محمود القاسم ص٧١.

(٣) انظر: مقال: لمحات باهرة حول ظلمة الفضاء في القرآن الكريم، موقع الهيئة العالمية www.eajaz.org

(٤) انظر: ص٢٤٩.

(٥) انظر: ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان، محمود الألوسي ص ٦٨، ١٠٢، ١٠٥، والتفسير العلمي للقرآن الكريم، عبدالله الأهدل ص٢٩٤-٣٠٠، والفرقان في إعجاز القرآن، عبدالكريم الحميد ص ٦٠- ٦٥، ، ١٢٤-١٣٣، ١٦٤-١٦٦، ٢٣٠-٢٤٢، ٣٢٨-٣٥٥، والصبح الشارق، يحيىٰ الحجوري ص١٣١-١٣٣، =

قال د. سعود العريفي: "وإن كون السموات السبع أجراماً محسوسة، بعضها فوق بعض، فيها سكان من الأنبياء والملائكة، ولها أبواب تستفتح وتولج، وبينها مسافات مقدرة بكذا وكذا، إلىٰ غير ذلك من الأوصاف الثابتة بالسمع، هو حقيقة شرعية، ثبتت بالكتاب والسنة الصحيحة الصريحة، بما لا مجال معه للتأويل"(١).

٤- إذا كانت سرعة الأمر الإلهي هي سرعة الضوء نفسها كما يقولون، فمعنىٰ هذا أن مصدر الأمر ومآله سيكون علىٰ بعد (١٠٠٠) سنة ضوئية منا، وهذا مكان قريب جداً بالقياسات الفلكية، **ويلزم من هذا** أن أمر الله حتىٰ يتحقق يحتاج إلىٰ وقت حتىٰ يصل إلىٰ نقطة محددة في هذا الكون(٢)، وهذا يخالف قوله تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

٥- أن سرعة الضوء هي سرعة توصل إليها العلم بالمشاهدة، وإجراء التجارب، والعلم لا يقف عند حد، بينما ما ذكره الله في الآيات من تدبير الأمر، وعروج الملائكة هو الغيب الذي لا يمكن قياسه بمقاييس البشر.

قال د. محمد باسل الطائي: "هنا يمكن أن نقول إن الفيزياء دخلت في كنف التعامل مع الغيب، إذ صار المجرد لازمًا لفهم المجسد، وغدت النظريات العلمية صورًا عقلية لنمذجة الطبيعة، وغابت الحقيقة بمفهومها التقليدي، فأصبحنا نتحدث عن (النموذج الأصح)، بدلاً من الحديث عن (الواقع الحق)، إلا أن ما يميز هذا الغيب الفيزيائي عن الغيب الديني، هو احتكام الأول إلىٰ التجربة والقياس مما لا نجد له مثيلاً في حالة الغيب الديني، وبالتالي يبقىٰ التصور الفيزيائي تصورًا عقلياً، قابلاً للفحص والتحقق التجريبي، وقابلاً للتغير أيضًا"(٣).

---

= والتوجيه البلاغي لآيات العقيدة، يوسف العليوي ١١٢-١١٤، وأسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص ٨٨٥-٨٨٦، ٨٩٢- ٨٩٣، وصور من إعجاز القرآن الكريم، د. محمد العاصي ص٨٦-٨٧، والسماء في القرآن الكريم، د. غالب الزعارير.

(١) الأدلة العقلية النقلية علىٰ أصول الاعتقاد ص٢٦٩، ٢٦٨-٢٧٧.

(٢) انظر: صيرورة الكون، د. محمد باسل الطائي ص٢٧٢-٢٧٣.

(٣) مقال: النظرة العلمية المعاصرة للغيب، د. محمد باسل الطائي، موقع الهيئة العالمية www. eajaz. org

وقال د. منصور محمد حسب النبي: "ورغم أن سرعة الضوء في الفراغ أو الهواء هي أعلى سرعة يعرفها العلم، إلا أن العلم لا ينكر وجود سرعة أكبر من سرعة الضوء في الفراغ، وإن لم يصل إليها حتى الآن[١]... والملائكة قد تسير بسرعة الضوء أو أعلى منها، وهذا أمر لا ينكره العلم الحديث، فضلاً عن أن قدرة الله بلا حدود، ولكني أحاول استخدام الأسلوب العلمي للاستدلال على إمكانية حدوث مثل هذه السرعات...ولكن يجب أن نضع في اعتبارنا أن هناك أموراً غيبية فوق قدرة العقل البشري"[٢].

وقال محمد عزت دروزه بعد آية سورة السجدة: "إن من الواجب الإيمان بما جاء في القرآن من الأمور المغيبة، مع وجوب الوقوف من ذلك عند ما وقف عنده القرآن، دون تزيد ولا توسع، ولا سيما إذا لم يكن هناك أحاديث نبوية ثابتة، كما هو الحال في هذه المسألة، وأنه لا طائل من التزيد مع الإيمان، بأنه لا بد من أن يكون فيما ورد في القرآن حكمة.

وقد يتبادر أن من هذه الحكمة التنويه بقدرة الله، وعظمة كونه، ومطلق تصرفه، كما قد يتبادر أن من هذه الحكمة، قصد التقريب إلى الأذهان التي اعتادت أن تقيس الأمور بالحركات والأبعاد والأيام"[٣].

٦- اتفقت كلمة المفسرين من أهل السنة – ومن وافقهم ممن حرف د. محمد دودح أقوالهم – أن العروج يكون إلى الله تعالى، سواء عروج الملائكة أو عروج الأمر[٤]، ولكنهم اختلفوا في المراد بـ (ألف سنة) و (خمسين ألف سنة) هل هما يومان مختلفان متغايران، أو هما يوم واحد، وسبب اختلاف المدة لاختلاف المسافة المقطوعة في كل منهما[٥].

---

(١) وإذا وصل العلم إلى سرعة أكبر، فهل ستتفق مع الآيات القرآنية، أم سيبحث أصحاب الإعجاز العلمي عن مخرج يتأولون به آيات القرآن لتتفق مع السرعة الجديدة؟!.

(٢) الكون والإعجاز العلمي للقرآن ص١١١-١١٢.

(٣) التفسير الحديث ٥/ ٣٤٤.

(٤) انظر: جامع البيان، ابن جرير ١٨/ ٥٩١، والكشف والبيان، الثعلبي ١٢/ ١٨٢، ومعالم التنزيل، البغوي ٤/ ٣٩٢، وزاد المسير، ابن الجوزي ٨/ ٩٠، ولباب التأويل، الخازن ٤/ ٣٠٨، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٤٤٦.

(٥) انظر: آيات العقيدة التي قد يوهم ظاهرها التعارض، عددمن الباحثين ٢/ ٩٧٢-٩٩٣.

٧- أن التصريح بتدبير الله الأمر، وعروجه إليه في آية سورة السجدة، وعروج الملائكة في آية سورة المعارج، يعتبر من الأدلة الكثيرة التي يستدل بها أهل السنة على علو الله تعالى[(١)].

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: "ألم تسمعوا قول خالقنا: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ...﴾ [السجدة: ٥]، أليس معلوماً في اللغة السائرة بين العرب التي خوطبنا بها وبلسانهم نزل الكتاب، أن تدبير الأمر من السماء إلى الأرض، إنما يدبره المدبر، وهو في السماء لا في الأرض.

كذلك مفهوم عندهم: أن المعارج: المصاعد، قال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ...﴾ [المعارج: ٤]، وإنما يعرج الشيء من أسفل إلى أعلى وفوق، لا من أعلى إلى دون وأسفل، فتفهموا لغة العرب لا تغالطوا"[(٢)].

وقال الإمام أبو بكر بن الخلال[(٣)] رحمه الله: "فهو سبحانه عالم بالأشياء مدبر لها من غير مخالطة ولا موالجة، بل هو العالي عليها، منفرد عنها، وقرأ أحمد بن حنبل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقرأ ﴿يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقرأ ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، وقرأ ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقرأ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]"[(٤)].

---

(١) انظر: العرش، ابن أبي شيبة ص٢٧٦، وإثبات صفة العلو، ابن قدامه ص٤١، والرد على الجهمية، الدارمي ص٢٠، وكتاب التوحيد، ابن خزيمة ١/ ٢٥٤، والتمهيد، ابن عبدالبر ٧/ ١٣٤-١٣٥، والرسالة العرشية، ضمن مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٦/ ٥٤٥، واجتماع الجيوش الإسلامية، ابن القيم ص٩٥، ومختصر الصواعق، محمد البعلي ٢/ ٢٠٥، والعلو، الذهبي ٢/ ٨٦٣، وكتاب العرش، الذهبي ٢/ ٣١٩، ٣٦٩، وشرح الطحاوية، ابن أبي العز ٢/ ٣٨٠-٣٨٦، والكلام على مسألة الاستواء على العرش، ابن عبدالهادي ص٢٥، والنونية وشرحها، الهراس ١/ ١٨٤-٢٥١، وإثبات علو الله، التويجري ص١٠، وعلو الله على خلقه، موسى الدويش ص١٤١، وتنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، منقذ السقار ص٢٥٠-٢٥١.

(٢) كتاب التوحيد ١/ ٢٥٦-٢٥٧.

(٣) هو: أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلال، مفسر عالم بالحديث واللغة، من كبار الحنابلة، من أهل بغداد، توفي عام ٣١١ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٤/ ٢٩٧، والبداية والنهاية، ابن كثير ١٥/ ٧.

(٤) العقيدة رواية أبي بكر الخلال ص ١٠٨-١٠٩.



ويبوب الإمام ابن بطة[1] ﷺ بقوله: "باب الإيمان بأن الله ﷻ على عرشه بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه، وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين، وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله ﷻ على عرشه، فوق سماواته بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه...".

ثم أورد آيات من القرآن تدل على هذا فقال: "وقد أخبرنا الله تعالى أنه في السماء على العرش، فقال ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ [الملك: ١٦-١٧]، وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨]...وقال ﷻ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ...﴾ [السجدة: ٥]، وقال: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج:٣-٤]، فهذا ومثله في القرآن كثير"[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "وصف الله نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بالعلو والاستواء على العرش والفوقية في كتابه في آيات كثيرة، حتى قال بعض أكابر أصحاب الشافعي: (في القرآن ألف دليل أو أزيد، تدل على أن الله عال على الخلق، وأنه فوق عباده)، وقال غيره: (فيه ثلاثمائة دليل تدل على ذلك)"[3].



---

(١) هو: عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله العكبري، المعروف بابن بطة، عالم بالحديث، فقيه من كبار الحنابلة، ولد بعكبرا عام ٣٠٤ هـ له رحلات في طلب الحديث، وتوفي بعكبرا عام ٣٨٧ هـ انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٦/ ٥٢٩، وشذرات الذهب، ابن العماد ٤/ ٤٦٣.

(٢) الإبانة الكبرى ٧/ ١٣٦-١٣٨

(٣) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٢٦

## المسألة الرابعة: تكييف عروج الملائكة

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ [الحجر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ: ٢]، وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٣-٤].

### أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:

بين أصحاب الإعجاز العلمي أن لفظ العروج يدل على الميل في الشيء والصعود والانحراف عن الخط المستقيم كما هي مشية الأعرج، والسير في خط منعطف منحن[1].

### وأيدوا ذلك بما يلي:

١- ما توصل إليه العلم الحديث من أن كل شيء يسير في خطوط منحنية متعرجة، قال د. زغلول النجار: "فقد ثبت علمياً أن حركة الأجسام في الكون لا يمكن أن تكون في خطوط مستقيمة، بل لابد لها من الانحناء نظراً لانتشار المادة والطاقة في كل الكون، وتأثير كل من جاذبية المادة (بأشكالها المختلفة)، والمجالات المغناطيسية للطاقة (بتعدد صورها)، على حركة الأجسام في الكون، فأي جسم مادي مهما عظمت كتلته أو تضاءلت لايمكنه التحرك في الكون إلا في خطوط منحنية، وحتى الأشعة الكونية على تناهي دقائقها في الصغر (وهي تتكون من اللبنات الأولية للمادة مثل البروتونات والنيوترونات والإلكترونات) فإنها إذا عبرت خطوط أي مجال مغناطيسي فإن هذا المجال يحني مسار الشعاع بزاوية قائمة على مساره"[2].

٢- دلالات الآيات التي ذكرت المعارج والعروج ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: ٢]، فالآية ذكرت العروج في السماء، ولم تذكر العروج إلى السماء، والسماء هي الكون كله فالعروج يكون فيها وليس إليها.

قال د. سليمان الطراونة: "لماذا ذكر رب العزة (يعرج فيها) ولم يذكر (يعرج إليها)؟ لو كانت السماوات بنى مفككة من طبقات متفاصلة كما يتخيل الإنسان قبل تقدم العلم

---

(١) انظر: السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار ص٤-٩-١٠-٤١٠، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. سليمان الطراونة ص٣٠، وموسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ١/ ١٤.

(٢) السماء في القرآن الكريم ص٤-٩، ١٠، ٤١٠، وانظر: تفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ١/ ٤٣٩-٤٤٠.

الحديث، لكان الأصح يعرج إليها أي إلىٰ كل طبقة فيها، لكن السماء أو السماوات كما ثبت علمياً وفلكياً هي بنية الكون كله، فالعروج أي السير في خطوط منحنية لأي سائر نحو السماوات يكون عارجاً فيها وليس إليها، فأي صاعد نحو السماوات هو حقيقة يعرج في السماوات ذاتها، بما فيها من مسارات جاذبية منحنية، تحدب أي: (تعرج) مسار الضوء"[١].

## كيفية عروج الملائكة:

توصل أصحاب الإعجاز العلمي بعد تقرير ما سبق إلىٰ كيفية عروج الملائكة فقال د. سليمان الطراونة: " فمسارات الملائكة المخلوقة من نور أي من ضوء، هي صعود منحني أي عروج، وليست بخطوط مستقيمة"[٢]

وقال د. زغلول النجار: "وهذا ما يصفه القرآن الكريم (بالعروج)، وهو وصف التزم به هذا الكتاب الخالد في وصفه لحركة الأجسام في السماء في خمس آيات متفرقات، وذلك قبل ألف وأربعمائة سنة من اكتشاف الإنسان لتلك الحقيقة الكونية المبهرة، وذلك علىٰ النحو التالي:

- ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ [الحجر: ١٤]
- ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥]
- ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ: ٢]
- ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٣]
- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤].
- ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٣١.
(٢) المرجع السابق ص٣١.

سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٣-٤]"(١).

وقال أيضاً: "وصف الحركة في السماء بالعروج، وأن كلاً من الملائكة والروح تعرج إلىٰ الله تعالىٰ، الذي وصف ذاته بالوصف (ذي المعارج)، والعروج – بمعنىٰ ارتفاع كل شيء وتحركه في صفحة السماء في خطوط متعرجه – هو حقيقة علمية لم تدرك إلا في أواخر القرن العشرين"(٢).

**المناقشة:**

**ما ذكروه من تكييف لعروج الملائكة الكرام يرد عليه عدة أمور منها:**

١- أن الملائكة عالم غيبي لا يعرف أحد كيفية أفعالهم وصفاتهم إلا بخبر من الوحي، وهنا لم يرد نص من القرآن أو السنة يبين كيفية عروج الملائكة، وأن عروجهم يكون بخط منحني غير مستقيم.

٢- أن الله تعالىٰ أعطىٰ الملائكة من القدرة ما ليس لغيرهم، ولذا لا يصح قياس قدرتهم بما يشاهده الإنسان، وتوصل إليه علمه القاصر، وهذا ما اعترف به د. زغلول النجار حيث قال: "أما بالنسبة لكل من الملائكة وقد خلقوا من نور، والجن وقد خلقوا من نار، فالأمر مختلف تماماً؛ لأن الله تعالىٰ قد أعطىٰ كلاً منهما من القدرة علىٰ الحركة في الكون بالقدر الذي يتواءم مع دوره فيه، وهي قدرات لا تطيقها الطبيعة البشرية المحبوسة في قوالب الطين"(٣)

٣- أخبر النبي ﷺ أن الله خلق الملائكة من نور فعن عائشة ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ: "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم"(٤)، وليس لنا أن نتجاوز ما ورد في الحديث باحتمالات عقلية، أو قياسات ظنية.

٤- وأما قولهم: "فمسارات الملائكة المخلوقة من نور أي من ضوء، هي صعود منحني أي عروج، وليست بخطوط مستقيمة".

**فأولاً:** الملائكة كما سبق في الحديث خلقت من نور وليس ضوء.

**وثانياً:** أن قياس حركة الضوء في الكون بحركة الملائكة قياس مع الفارق؛

---

(١) السماء في القرآن الكريم ص٤١٢، وتفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٤/ ١٥٤.
(٢) تفسير الآيات الكونية ٤/ ٢٠٣.
(٣) تفسير الآيات الكونية ٤/ ١٥٥.
(٤) رواه مسلم ٤/ ٢٢٩٤ (٢٩٩٦).

لأنه لم يأت دليل من القرآن أو السنة يبين ما هية النور الذي خلقت منه الملائكة، ولا أن مساراتهم بخط غير مستقيم[١].

٥- وأما ما ذكروه من أن العروج هو: الميل في الشيء والصعود والانحراف عن الخط المستقيم، فهذا معنىٰ من معاني العروج.

قال ابن فارس ﷺ: "العين والراء والجيم ثلاثة أصول: الأول: يدل علىٰ ميل وميل، والآخر: علىٰ عدد، والآخر: علىٰ سمو وارتقاء.

**فالأول**: العرج مصدر الأعرج، ويقال منه: عرج يعرج عرجا، إذا صار أعرج. وقالوا: عرج يعرج خلقة، وعرج يعرج إذا مشىٰ مشية العرجان. . .

**والأصل الآخر**: من الإبل، قال قوم: ثمانون إلىٰ تسعين، فإذا بلغت المائة فهي هنيدة، والجمع عروج وأعراج. . . ويقال: العرج مائة وخمسون، وهذا الأصل قد يمكن ضمه إلىٰ الأول؛ لأن صاحب ذلك يعرج عليه ويكتفي به.

**والأصل الثالث**: العروج: الارتقاء، يقال: عرج يعرج عروجًا ومعرجًا، والمعرج: المصعد، قال الله تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]"[٢]

وجاء في (المعجم الوسيط) - الذي تصرف الدكتور في النقل عنه - ذكر هذه المعاني: "(عرج) الشيء عروجاً ارتفع وعلا، فهو عريج، وفلان أصابه شيء في رجله فغمز كأنه أعرج وليس بخلقه، وفي السلم وعليه ارتقىٰ وصعد، وبالشيء صحبه في عروجه، ومنه عرج بالروح والعمل صعد بهما، وفي التنزيل العزيز ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ...﴾ [المعارج: ٤]... (عرج) عليه مال، وبالمكان نزل به، والشيء ميله، يقال: عرج البناء والنهر والخط والثوب خططه خطوطًا ملتوية.

(انعرج) الشيء انعطف ومال يمنة ويسرة، يقال: انعرج النهر، وانعرج الطريق، وانعرجت الشمس مالت للغروب، وانعرج القوم عن الطريق حادوا عنه"[٣].

٦- وبمعنىٰ: صعد وارتفع وارتقىٰ، فسر المفسرون الآيات، وليس بمعنىٰ: الميلان والانحراف في الصعود.

---

(١) انظر: عالم الملائكة الأبرار، عمر الأشقر ص٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٣٠٢، وانظر: تاج العروس، الزبيدي ٦/ ٩٤، ولسان العرب، ابن منظور ٢/ ٣٢١، وجمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي ١/ ٤٦١، وتهذيب اللغة، الأزهري ١/ ٢٢٨.

(٣) المعجم الوسيط ٢/ ٥٩١-٥٩٢.

قال الإمام ابن جرير الطبري: "وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] يقول تعالىٰ ذكره: تصعد الملائكة والروح، وهو جبريل ﷺ إليه، يعني إلىٰ الله جل وعز؛ والهاء في قوله: (إليه) عائدة علىٰ اسم الله"(١).

٧- أن كلام د. الطراونة يلزم منه إنكار علو الله تعالىٰ واستوائه علىٰ عرشه، وإنكار أن الملائكة تعرج إليه فوق سبع سموات، وإنكار أبواب السماء التي يفتحها الله وتنزل منها الملائكة وأن النبي ﷺ قد ولج منها إلىٰ السموات، وذلك أنه جعل السماء هي الكون، وأي باب للكون كما يقول: "يجعلنا نسير فيه بشرائط المنحنيات الكونية، أي لا نعبر به أو منه وإنما نظل فيه نعرج إلىٰ حيث يفضي بنا في داخل بنية الكون الكبير"(٢)، بل صرح أن من أشكال أبواب السماء:

أ- سرعة انتقال الضوء في هذا الكون المرئي.

ب- ما تحدث عنه العلماء مؤخراً مما يسمىٰ (كردورات) زمكانية، وهي مازالت افتراضية -حسب كلامه- لكن لها مبررات علمية متقدمة، وهذه (الكردورات) تنتقل فيها المعلومات بين المجرات بصورة شبه لحظية، أي أسرع من سرعة الضوء بملايين المرات.

قال: "أليست هذه (الكردورات) التي تعرج فيها المعلومات في جنبات الكون هي شكل من أبواب السماء المذكورة في الآية، التي يمكننا العروج فيها لنصل إلىٰ قوانين الانتقال اللحظي بين المجرات والأفلاك؟ "(٣).

٨- أن أهل السنة يستدلون بهذه الآيات وأمثالها علىٰ علو الله تعالىٰ واستوائه علىٰ عرشه، كما قال الإمام ابن أبي زمنين ﷺ: "ومن قول أهل السنة: أن الله ﷻ خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوىٰ عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وفي قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: ٤]"(٤).

(١) جامع البيان ٢٣/ ٢٥١، وانظر: معالم التنزيل، البغوي ٣/ ٥١، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي١٠/ ٨، وأنوار التنزيل، البيضاوي ٣/ ٢٠٨، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٤/ ٢٣٩.
(٢) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٣١.
(٣) المرجع السابق ص٣١.
(٤) أصول السنة ص١٨.



وقال الإمام ابن خزيمة ﵀: "عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (يجمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الفجر وصلاة العصر فيجتمعون، فتصعد ملائكة الليل، وتثبت ملائكة النهار، فيسألهم ربك كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون)(١).

قال أبو بكر: قد أمليت هذا الباب في كتاب الصلاة، وفي الخبر ما بان وثبت وصح أن الله ﷻ في السماء، وأن الملائكة تصعد إليه من الدنيا، لا كما زعمت الجهمية المعطلة"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: "فهذا كتاب الله من أوله إلىٰ آخره، وسنة رسوله ﷺ من أولها إلىٰ آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه فوق كل شيء، وعلي علىٰ كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]... ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]... إلىٰ أمثال ذلك مما لا يكاد يحصىٰ إلا بكلفة"(٣).

وقال أيضاً: "وقال تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وقال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، فبين عروج الأمر وعروج الملائكة، ثم وصف وقت صعودها بالارتفاع صاعدة إليه، فقال: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، فقال صعودها إليه، وفصله من قوله: (إِلَيْهِ) كقول القائل: اصعد إلىٰ فلان في ليلة أو يوم، وذلك أنه في العلو، وأن صعودك إليه في يوم، فإذا صعدوا إلىٰ العرش فقد صعدوا إلىٰ الله ﷻ، وإن كانوا لم يروه، ولم يساووه في الارتفاع في علوه، فإنهم صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر إلىٰ العلو، قال الله تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] ولم يقل: عنده"(٤).



(١) رواه البخاري ١/ ١١٥ (٥٥٥)، ومسلم ١/ ٤٣٩ (٦٣٢) بلفظ: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل...".
(٢) كتاب التوحيد ٢/ ٨٩٢.
(٣) الحموية ص ٢٠١-٢٠٢.
(٤) المرجع السابق ص ٣٩٦-٣٩٧.

**المسألة الخامسة: تكييف ما يتعلق باليوم الآخر**

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان التي دل عليها كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ...﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ...﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وفي حديث جبريل ﷺ حين قال للنبي ﷺ: فأخبرني عن الإيمان قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"[(١)].

وقد سلك أئمة السلف في تقريره، وبيان متعلقاته وتفاصيلها، إيراد أدلته من القرآن والسنة، دون مزيد تفصيل لم يرد فيهما، أو رأي مخالف لهما، ولذا كانت طريقتهم أسلم وأعلم وأحكم، فسلموا للوحي وصدقوا خبره، وأمروا النصوص كما جاءت، فآمنوا بها وأثبتوا معانيها على الحقيقة، وفوضوا علم كيفيتها لخالقها العالم بها ﷻ[(٢)].

وقد خاض بعض أصحاب الإعجاز العلمي في أحداث اليوم الآخر، بدءاً من الموت وانتهاءاً بالجنة والنار، وكيفوا بعضها؛ لإثبات السبق العلمي للقرآن الكريم.

وقد قمت باستقراء الآيات التي ذكروا فيها إعجازاً علمياً وهي متعلقة باليوم الآخر، فوجدتها تندرج في أربعة أقسام هي:

- القسم الأول: تكييف ما يتعلق بالموت والنفخ في الصور.
- القسم الثاني: تكييف ما يكون من أحداث عند قيام الساعة.
- القسم الثالث: تكييف ما يكون من أحداث يوم القيامة.
- القسم الرابع: تكييف ما يتعلق بالجنة والنار.



(١) رواه مسلم ١/ ٣٦ (٨) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٧/ ٤٠٨، ٨/ ١١٤، والدرة فيما يجب اعتقاده، ابن حزم ص٢٠٦، والشريعة، الآجري ٣/ ١٣٤٢، وشرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ص٦١٢، وفتح الباري، ابن حجر ١١/ ٤٦٧، وأصول الإيمان بالغيب وآثاره، د. فوز الكردي ص١٧٦-١٧٨.

**القسم الأول: تكييف ما يتعلق بالموت والنفخ في الصور**

**١- تكييف ما يتعلق بالموت:**

قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: ٦٠].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

اعتبر د. زغلول النجار أن (الموت) في الآية هو (موت الخلية) بعد توقف انقسامها حيث قال: "إن الله تعالى قدر الموت على العباد -كل حسب أجله-، والعلوم الحديثة تثبت أن بداخل كل خلية حية[1] آلية خاصة تتحكم في عمرها على هيئة غطاء طرفي لكل جسيم صبغي في نهايته، وهذا الغطاء يتناقص طوله مع كل انقسام، فإذا وصل طوله إلى حد معين توقفت عمليات الانقسام، وماتت الخلية الحية، وذلك كما جاءت الإشارة إليه في الآية الستين من سورة الواقعة المباركة"[2].

ثم جعل عنوانـًا قال فيه: "من الدلالات العلمية للآية الكريمة: كيف يحدث الموت؟"

ثم قال: "يقول ربنا ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨-٦٢].

ولعل من المقصود بقول ربنا -وهو أحكم الحاكمين: (أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ) أي ما تنتجون من نطف مخصبة (أمشاج مختلطة)، وذلك لقوله تعالى في مقام آخر: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥-٤٦].

ولما كانت هذه النطف على قدر من التعقيد في البناء، والدقة في الالتقاء، وتكوين النطفة الأمشاج، وما يتم فيها من تحديد صفات الجنين بدقة بالغة، فلا يمكن أن تكون نتاج الصدفة أو العشوائية، بل لا بد أنها مخلوقة بتقدير خالق عظيم، له من طلاقة القدرة، وإحاطة العلم، وكمال الحكمة، ما أمكنه من خلقها، ولذلك جاء السؤال الإنكاري

(١) الخلية هي: الوحدة التركيبية والوظيفية في الكائنات الحية، فكل الكائنات الحية تتركب من خلية واحدة أو أكثر، وتنتج الخلايا من انقسام خلية بعد عملية نموها، وتقسم عادة إلى خلايا نباتية وخلايا حيوانية. انظر: موسوعة ويكيبيديا www.ar.wikipedia.org

(٢) تفسير الآيات الكونية ٤/ ٩١.

التقريعي التقريري الذي يقول فيه ربنا ﷻ: (أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) ويأتي الرد قاطعاً حاسماً جازماً: (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين) مما يشير إلى أن تقدير الموت هو عملية مبرمجة في الشفرة الوراثية، التي تتكون بالتقاء كل من نطفتي الرجل والمرأة، ويتكامل عدد الجسيمات الصبغية إلى (٤٦)، حيث تحمل كل واحدة من النطفتين نصف هذا العدد (٢٣ صبغياً فقط)، ويتكامل عدد الصبغيات، يتحدد كل من الصفات السائدة التي سوف تظهر على الجنين في مستقبل حياته – إن قدرت له الحياة –، كما يتحدد عدد من الصفات المتنحية التي تختزن في شفرته الوراثية لتظهر في نسله من بعده"[1].

ثم ذكر أن الكشوف العلمية بدأت في إثبات حقيقة أن الأجل مبرمج في داخل كل خلية حية، بدقة بالغة، وقال مبيناً ذلك:

١- "في سنة ١٩٧١م اقترح العالم الروسي (أولوفنيكوف–olovnikov) ضرورة وجود آلية محددة تخرج عملية الانقسام في الخلايا السرطانية عن السيطرة"[2].

٢- "في سنة ١٩٨٥م اكتشف كل من (جريدر) و(بلاكبيرن) غطاءين طرفيين لكل (جسيم صبغي) عرف كل منهما باسم (الغطاء الطرفي)، واكتشفا إنزيماً خاصاً ببناء هذين الغطاءين سمي باسم (الإنزيم الباني للأغطية الطرفية للجسم الصبغي)، أو (إنزيم تيلوميريز[3])"[4].

٣- "في سنة ١٩٨٦م اكتشف (هوارد كوك) أن طول هذين الغطائين الطرفيين للجسم الصبغي يتناقص مع كل انقسام تقوم به الخلية الحية، وأن هناك علاقة مطردة بين فقد أجزاء من طول هذين الغطاءين الطرفيين، وشيخوخة الخلية حتى وفاتها، عندما يصل هذا الطول إلى حد معين، يتوقف عنده انقسام الخلية، وتبدأ في الاحتضار.

وتأكدت هذه الملاحظة بإثبات أن طول الأغطية الطرفية في كل من (الخلايا الجذعية) والخلايا المستنبته من صغار السن، أطول منها في خلايا الكهول وكبار السن،

---

(١) المرجع السابق ٤/ ٩١-٩٢.
(٢) السابق ٤/ ٩٢.
(٣) إنزيم تيلوميريز هو: المسؤول عن الحفاظ على حيوية الخلايا بالجسم لأجل غير مسمى، وهو الإنزيم المسؤول أيضا عن خلود خلايا السرطان ونموها وتكاثرها بشكل مستمر. انظر: موقع المعرفة www.marefa.org
(٤) السابق ٤/ ٩٢.



وأن لها قدرة أكبر على الانقسام لعدد أكبر من المرات.

ومن هنا أطلق على كل واحد من هذه الأغطية الطرفية للجسيمات الصبغية المبرمجة لعدد محدد من الانقسامات اسم (عداد المضاعفات) أو (عداد الأجل).

وثبت بذلك أن الأجل محدد في كل خلية حية، بعدد محدد من انقسامها، تتوقف بعده عملية انقسام الخلية، فتفسح المجال لعمليات الهدم حتى تموت الخلية"[١].

٤- "في سنة ١٩٨٩م لاحظ (مورين) أن هناك علاقة واضحة بين زيادة إفراز إنزيم (التيلوميريز) في الخلية الحية، وبين نشاطها في الانقسامات غير العادية المتسارعة والمعروفة باسم (النشاط السرطاني)؛ وذلك بسبب التعويض المتصل لما يفقد من طول الغطية الطرفية بتأثير الإفراز الزائد لإنزيم (التيلوميريز).

ولذلك تستمر الخلية السرطانية في الانقسام المتسارع بلا توقف، حتى تقتل أو تموت، مما يشير إلى إمكانية القضاء على الأورام السرطانية الأخرى بإيقاف نشاط هذا الإنزيم الباني للأغطية الطرفية للكروموسومات، وذلك بتحضير عقار يوقف عمله أو عمل المورث المتسبب في زيادة إفرازه"[٢].

٥- "وبإثبات أن الأجل مقدر في داخل الخلية الحية، ثبت أيضاً أن كلاً من الأمراض والشيخوخة وغيرهما من الأحداث الحيوية مقدر، وذلك باكتشاف حدود مقدرة لعدد انقسامات كل خلية من الخلايا الحية في جسم الإنسان، واكتشاف الموت المبرمج لكل من الخلايا الحية، وللعضيات الخلوية الدقيقة من مثل (المتقدرات[٣]).

فباستثناء الحوادث التي تنتج عنها إصابات قاتلة، فإن الموت يدب بالتدريج في كل جسد حي من عضيات الخلايا، إلى الخلايا، فالأنسجة، ثم الأعضاء والعظم، منتهياً بانهيار الكائن الحي انهياراً كاملاً، والذي يعلن عنه طبياً بتوقف كل من القلب والرئتين عن العمل، وانتشار الزرقة في الأطراف والشفاه، وتوقف حركة العينين، والانخفاض الملحوظ في درجة حرارة الجسم، وتخشبه وتصلبه، وظهور عدد من البقع الدموية على الجلد.

---

(١) السابق ٤/ ٩٢.

(٢) السابق ٤/ ٩٣.

(٣) المتقدرة أو الميتوكوندريا هي: عضيات هيولية (أي سيتوبلازمية) مسئولة عن التنفس الخلوي، وهي غنية جداً بمحتواها من الإنزيمات المؤكسدة. انظر: موقع المعرفة www.marefa.org

والسبب الحقيقي في ذلك هو انتهاء الأجل، بوصول الأغطية الطرفية للصبغيات إلى نهاية سمكها"[1].

ويوضح الدكتور كيف تصل الخلية إلى نهايتها فيقول: "وقد لوحظ أنه بمجرد فقد الخلية الحية لقدرتها على الانقسام، فإنها تبدأ في الاحتضار، وذلك عن طريق فقد جزء من محتواها البروتيني من كل من السائل الخلوي والنواة، ثم تتورم الخلية حتى تنفجر، ملقية بمحتوياتها في الأنسجة المجاورة...وقد تتعرض النواة إلى (التفتت) أو (الانكماش)، ويعرف ذلك باسم (الموت الخلوي المبرمج في داخل الخلية)...أو (الموت المقدر)... هو خاصية داخلية في الخلية الحية، لازمة لإزالة العديد من الخلايا والأنسجة التي أدت دورها، كالأغشية الجلدية بين أصابع اليدين والقدمين في الجنين البشري (الحميل)، وإزالة بطانة الرحم مع كل دورة شهرية في الأنثى البالغة، وفي إزالة بعض الخلايا المعترضة لإقامة الوصلات العصبية الدقيقة في المخ، وفي التخلص من الخلايا التي غزتها الفيروسات، أو من خلايا جهاز المناعة المعطوبة كي لا تبدأ بمهاجمة خلايا الجسد السليمة بدلاً من مهاجمتها للأجسام الغريبة، وكذلك التخلص من الخلايا التي تصاب بشيء من العطب في شفرتها الوراثية.

وعلى ذلك فإن عملية الموت المبرمج للخلايا لازمة في كثير من مراحل النمو المتتالية...وبرنامج الموت المقدر يحدد في اللحظات الأولى لخلق النطفة الأمشاج، ويظهر بشكل جلي في خلايا الأجهزة المناعية...وذلك بالبحث عن مسببات الأمراض الغازية له [أي: الجسم] فإن وجدتها احتوتها وقتلتها، وماتت معها موتاً مقدراً، فإن لم تجدها ماتت بعد يوم واحد موتاً مقدراً كذلك ليحل محلها خلايا أحدث عمراً"[2].

ثم أكد د. زغلول النجار أن هذا الذي ذكره هو من إعجاز القرآن الكريم العلمي الذي سبق فيه العلم الحديث فقال: "ومن قبل ألف وأربعمائة سنة نزل القرآن الكريم مؤكداً أن الآجال بيد الله تعالى وحده، حددها مكاناً وزماناً قبل أن يخرج الجنين من بطن أمه.

ومن هنا جاءت الآية الكريمة التي نحن بصددها والتي يقول فيها ربنا ﷻ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: ٦٠] هذه الحقائق تؤكد لكل ذي بصيرة ربانية القرآن الكريم، وإعجازه للعالمين في كل أمر من أموره، كما تشهد للنبي والرسول الخاتم

---

(١) السابق ٤/ ٩٣.
(٢) السابق ٤/ ٩٤-٩٥.

الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، فالحمد لله على نعمة الإسلام والحمد لله على نعمة القرآن"[١].

**المناقشة:**

١- ما ذكره الدكتور من (الموت الخلوي المبرمج) صحيح علمياً، وهو متعلق بالخلية فقط، وهو جزء تكاملي وضروري لدورة حياة الكائنات الحية، وهذا النمط من موت الخلية هو عملية نشطة ومحدودة، وتلعب دوراً مهماً في تكوين الكائنات الحية متعددة الخلايا، وفي التنظيم والحفاظ على عشائر الخلايا في الأنسجة، تحت الظروف الفسيولوجية والمرضية.

وذلك أن الخلية بسبب عوامل متعددة، قد تفقد أحد العناصر الهامة واللازمة لاستمرار حياتها، أو نتيجة لتلف الدنا، أو المعاملة بعقاقير ذات سمية خلوية، أو بالتعرض للأشعة، أو فقد إشارات البقاء، أو الجهد التأكسدي...الخ.

كل هذه العوامل قد تؤدي إلى موت الخلايا المبرمج، الذي يحدث كنتيجة لاستجابة الخلايا لإشارات داخلية وخارجية المنشأ.

إن تكاثر الخلايا وحدوث الموت الخلوي المبرمج، هما عمليتان أساسيتان وضروريتان لصيانة الأنسجة، وثباتها في جسم الإنسان وغيره من الحيوانات، وكلتا العمليتين تتضمنان سلسلة من الأحداث الجزيئية المعقدة، وأثناء نمو الكائن تكون عملية إنتاج الخلايا أكثر من عملية الموت الخلوي المبرمج.

فالموت المبرمج للخلايا يعتبر عملية هامة للاتزان النسيجي، وبقاء الجسم صحيحاً وسليماً على قيد الحياة، فهي عملية مُنَظَّمة ومُنَظِّمة في الوقت ذاته[٢].

٢- قول د. زغلول النجار: "فإن الموت يدب بالتدريج في كل جسد حي من عضيات الخلايا إلى الخلايا، فالأنسجة، ثم الأعضاء والعظم، منتهياً بانهيار الكائن الحي انهياراً كاملاً، والذي يعلن عنه طبياً بتوقف كل من القلب والرئتين عن العمل، وانتشار الزرقة في الأطراف والشفاه، وتوقف حركة العينين، والانخفاض الملحوظ في درجة حرارة الجسم، وتخشبه وتصلبه، وظهور عدد من البقع الدموية على الجلد.

---

(١) السابق ٤/ ٩٦.

(٢) انظر: مقال علم الخلية والوراثة، د. سعد حسين القحطاني.

**والسبب الحقيقي في ذلك هو انتهاء الأجل بوصول الأغطية الطرفية للصبغيات إلى نهاية سمكها"**

هذا السبب صورة واحدة من صور الموت، وليست هي الوحيدة، فمن الناس من يأتيه الموت دون أن يصاب بشيء مما ذكر، فانتهاء أجل الإنسان ليس مرتبطاً بموت الخلايا فقط.

٣- أن العرب في الجاهلية قبل نزول القرآن الكريم[١]، كانت تعرف أن لكل إنسان أجل محدد، وأن الموت مورد لا بد أن ترده كل نفس صغيرة أوكبيرة، ولم يكن لهم علم بالخلية وانقساماتها، وهذا يرد قول الدكتور أن القرآن سبق العلم الحديث في تحديد الآجال.

٤- أن قول د. زغلول النجار: "الآجال بيد الله تعالى وحده، حددها مكاناً وزماناً قبل أن يخرج الجنين من بطن أمه" هي حقيقة لم يتفرد بذكرها القرآن الكريم، بل هي منذ خلق الله ﷺ آدم ﷺ، وأما متى يأتي الإنسان أجله فذلك من الغيب المطلق الذي استأثر الله بعلمه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].

٥- أن الآية من سورة الواقعة هي في سياق إثبات البعث الذي أنكره الكفار والمشركون، وإقامة الدليل على إمكانه ووقوعه، وليست الآية في إثبات أن الخلية تموت وتنقسم، ويدل لذلك ما يلي:

أ- أن الله تعالى قال في الآيات قبلها: ﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [الواقعة: ٤٧].

قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الواقعة: ٥٨-٦١]، يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بالبعث:

---

(١) انظر: ديوان امرئ القيس ص١١٠، وديوان أمية بن أبي الصلت ص٤٣، وديوان طرفة بن العبد ص٣٢، ٦٩، وديوان زهير بن أبي سلمى ص٦٨، والأغاني، أبي الفرج الأصفهاني ٣/ ٨٣، وشعر الرثاء في العصر الجاهلي، مصطفى عبد الشافي ص١٠٦، والمفضليات، المفضل الضبي ص٣٠٠، وشرح المعلقات السبع، الزوزني ص٩٥، وذكر الحياة والموت في شعر طرفة بن العبد، علي يوسف مدخلي ص١٧-٢٠، ٢٥-٢٨.

أفرأيتم أيها المنكرون قدرة الله علىٰ إحيائكم من بعد مماتكم - النطف التي تمنون في أرحام نسائكم- أنتم تخلقون تلك أم نحن الخالقون"[١].

وقال الإمام ابن كثير ﷺ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ [الواقعة:٥٧]: "يقول تعالىٰ مقرراً للمعاد، ورداً علىٰ المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد، من الذين قالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات: ١٦]، وقولهم ذلك صدر منهم علىٰ وجه التكذيب والاستبعاد، فقال: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي: نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكوراً، أفليس الذي قدر علىٰ البداءة بقادر علىٰ الإعادة بطريق الأولىٰ والأحرىٰ؛ فلهذا قال: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي: فهلا تصدقون بالبعث؟، ثم قال مستدلاً عليهم بقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨-٥٩] أي: أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونه فيها، أم الله الخالق لذلك؟ "[٢].

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي ﷺ: "وقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٩] استفهام تقرير، فإنهم لا بد أن يقولوا: أنتم الخالقون، فيقال لهم: إذا كنا خلقنا هذا الإنسان الخصيم المبين من تلك النطفة التي تمنىٰ في الرحم، فكيف تكذبون بقدرتنا علىٰ خلقه مرة أخرىٰ، وأنتم تعلمون أن الإعادة لا يمكن أن تكون أصعب من الابتداء"[٣].

ب- أن تكملة الآية وما بعدها من الآيات يدل علىٰ ذلك ويوضحه، قال تعالىٰ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٠-٦٢].

قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "وقوله: (وما نحن بمسبوقين علىٰ أن نبدل أمثالكم) يقول تعالىٰ ذكره: (وما نحن بمسبوقين) أيها الناس في أنفسكم وآجالكم، فمفتات علينا فيها في الأمر الذي قدرناه لها من حياة وموت، بل لا يتقدم شيء من أجلنا، ولا يتأخر عنه.

---

(١) جامع البيان ٢٢/ ٣٤٥.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣١٦.
(٣) أضواء البيان ٧/ ٥٢٨.

وقوله: (على أن نبدل أمثالكم) يقول: على أن نبدل منكم أمثالكم بعد مهلككم فنجيء بآخرين من جنسكم.

وقوله: (وننشئكم فيما لا تعلمون) يقول: ونبدلكم عما تعلمون من أنفسكم فيما لا تعلمون منها من الصور...

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ...﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد علمتم أيها الناس الإحداثة الأولى التي أحدثناكموها، ولم تكونوا من قبل ذلك شيئا"[(١)].

وقال الشيخ عبدالرزاق عفيفي[(٢)] ﷺ: "فهذه الآيات، ذكرت لتنزيه الله تعالى وتقديسه عما ظنه به منكرو البعث، وسيقت لإثبات قدرته على المعاد، كما يرشد إليه ما قبلها من الآيات"[(٣)].

٦- أن كلام المفسرين في معنى الآية يدور على أن الله تعالى قسم الموت بين عباده، ووقت موت كل واحد بميقات معيّن لا يعدوه، بحسب ما قضاه الله ﷻ بمشيئته المبنية على الحكم البالغة، قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "وقوله: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: نحن قدرنا بينكم أيها الناس الموت، فعجلناه لبعض، وأخرناه عن بعض إلى أجل مسمى"[(٤)]، وقال الإمام ابن الجوزي ﷺ: "قوله ﷻ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾...وفي معنى الكلام قولان:

**أحدهما**: قضينا عليكم بالموت.

**والثاني**: سوينا بينكم في الموت"[(٥)].

وقال الإمام ابن كثير ﷺ: "ثم قال: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ [الواقعة: ٦٠] أي: صرفناه بينكم، وقال الضحاك: ساوى فيه بين أهل السماء والأرض"[(٦)].

---

(١) جامع البيان ٢٢/ ٣٤٥.

(٢) هو: عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية، ولد بمصر عام ١٣٢٣هـ ودرس الدراسة النظامية، ومنح الشهادة العالمية، وتخصص في الفقه وأصوله، عين نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وعضواً في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، توفي عام ١٤١٥هـ انظر: منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، أحمد عسيري ص ١٧.

(٣) مذكرة التوحيد ص٢١-٢٢، وانظر: منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، أحمد عسيري ص٤٨٤.

(٤) جامع البيان ٢٢/ ٣٤٥.

(٥) زاد المسير ٤/ ٢٢٦.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣١٦، وانظر: معالم التنزيل، البغوي ٨/ ١٩، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٥/ ٢٤٨، وروح المعاني، الألوسي ١٤/ ١٤٧، وتفسير المراغي ٢٧/ ١٤٦.

## ٢- تكييف ما يتعلق بالنفخ في الصور:

ورد ذكر النفخ في الصور في عشر آيات من القرآن الكريم منها: قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩]، وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٨].

### أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:

ممن تكلم عن آيات النفخ في الصور، وربطها بالعلوم الحديثة د. خالد بن فائق العبيدي وذلك من خلال مايلي:

١- عرف الصور بأنه قرن مجوف كبير الحجم[(١)].

٢- ثم بين أن ماهية الصور وحقيقته وكيفية استجابة الموتى له من الغيب الذي لايعلمه إلا الله تعالى[(٢)].

٣- ثم بين حجم الصور فقال: "وهكذا نجد أن وصف القرن الكبير، أو البوق العظيم الذي قطره قطر السماوات والأرض، **جاء مطابقاً لتصورات حديثة للعلماء حول شكل الكون**، رغم أن التصريح القرآني لطبقية الكون، وما أيدته الدراسات الحديثة، **يرجح الشكل القببي** كما أسلفت، لكن الشكل الشبيه بالقرن هذا، يرجح كذلك أن ما سبق به الوصف النبوي للقرن الذي يحمل بيد الملك إسرافيل ﷺ **وصفاً دقيقاً لشكل اقترب العلم من حقيقته**"[(٣)]

وعليه فالصور شكله مثل شكل الكون الذي يوشك العلماء أن يقتربوا من تصوره، وهذا تكييف من الدكتور لهيئة الصور الذي ينفخ فيه إسرافيل ﷺ.

---

(١) انظر: الهندسة الوصفية في القرآن والسنة ص٢١٥.
(٢) المرجع السابق ص ٢١٥.
(٣) السابق ص٢١٨، وانظر: أسرار الصوت بين القرآن الكريم والعلوم المعاصرة، د. خالد فائق العبيدي ص٥٩.

**المناقشة:**

١- لقد أحسن الدكتور لما بين أن ماهية الصور وحقيقته، وكيفية استجابة الموتىٰ له من الغيب من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالىٰ، ولذلك فلا سبيل لمعرفة كيفيته إلا عن طريق الوحي[(١)]، وأما معناه فهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل ﷺ[(٢)]، "وهو قرن عظيم لا يعلم عظمته إلا خالقه ومن أطلعه الله علىٰ علمه من خلقه، ينفخ فيه إسرافيل ﷺ أحد الملائكة المقربين وأحد حملة عرش الرحمن"[(٣)].

٣- أن جعل الصور مشابهاً للكون ليس عليه دليل من القرآن الكريم أو السنة النبوية يصح الجزم من خلاله بهذه الصورة، والواجب الوقوف عند ما دلت عليه النصوص الشرعية، وفُهم من كلام العرب.

وقد جاء في الآيات كما سبق أن الصور ينفخ فيه، وأن من في السموات والأرض يُصعق إلا من شاء الله، وجاءت الأحاديث ببيان أن الصور قرن يُنفخ فيه، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "كيف أنعم وقد التقم صاحبُ القرنِ القرنَ، وحنىٰ جبهته، وأصغىٰ سمعه، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ، قال المسلمون: فكيف تقول يا رسول الله؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا علىٰ الله ربنا"[(٤)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: "جاء أعرابي إلىٰ النبي ﷺ فقال ما الصور؟ فقال قرن ينفخ فيه"[(٥)].



(١) انظر: انظر: الحجة في بيان المحجة، إسماعيل الأصبهاني ١/ ٢٥٠، والشرح والإبانة، ابن بطة ص٢٢٣، والسنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، أبو عمرو الداني ٦/ ١٢٨١، والإيمان، ابن مندة ٣/ ٩٣٧-٩٤٠، ولوامع الأنوار، السفاريني ٢/ ١٦١-١٦٥، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، د. عبدالإله الأحمري ٢/ ١٩٦، التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة، القرطبي ص٤٨٨، وإتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود التويجري ٣/ ٢٥٤-٢٧٦.

(٢) انظر: صحيح البخاري١/ ١٣١، وجامع البيان، الطبري ١٥/ ٤١٦، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٣/ ٢٣٩، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٢٧٦، وطبقات الحنابلة، ابن أبي يعلىٰ ١/ ٣٤٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ٦/ ٤٩٣.

(٤) رواه الترمذي ٥/ ٣٧٢ (٣٢٤٣) وقال: حديث حسن، وأحمد في المسند ١٧/ ٨٩ (١١٠٣٩)، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٣١٢، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/ ٦٦.

(٥) رواه الترمذي ٤/ ٦٢٠ (٢٤٣٠) وقال: حديث حسن، وأبو داود ٤/ ٢٣٦ (٤٧٤٢)، والدارمي في السنن ٣/ ١٨٤٤ (٢٨٤٠)، وأحمد في المسند ١١/ ٤١٠ (٦٨٠٥)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٥٠ (٣٨٧٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ٦/ ٦٠.



**القسم الثاني: تكييف ما يكون من أحداث عند قيام الساعة.**

**الآية الأولى:** قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٧-٩].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

ذكر بعض أصحاب الإعجاز العلمي أن جمع الشمس والقمر أصبح حقيقة علمية، أثبتها العلم التجريبي في الآونة الأخيرة، كما يقول عبدالفتاح صلاح رشاد(١).

وقد بينوا كيفية جمع الشمس والقمر، وذلك أن الشمس ستبتلع وتلتهم القمر، ثم اختلفوا في سبب هذا الجمع وكيفيته على قولين:

**القول الأول:** أن السبب هو تزايد سرعة القمر، فيبتعد عن جاذبية الأرض ليدخل في جاذبية الشمس فتبتلعه.

قال د. زغلول النجار: "ولما كانت سرعة دوران الأرض حول محورها في تناقص مستمر بمعدل جزء من الثانية في كل قرن من الزمن، فإن سرعة دوران القمر في تزايد مستمر بالمعدل نفسه تقريباً، مما يؤدي إلى تباعد القمر عن الأرض بمقدار ثلاثة سنتيمترات في كل سنة، وهذا التباعد سوف يخرج القمر في يوم من الأيام من إسار جاذبية الأرض ليدخله في نطاق جاذبية الشمس فتبتلعه تحقيقاً للنبوءة القرآنية التي يقول فيها الحق ﷻ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٧-٩]"(٢).

وقال أيضاً: "التأكيد على أن من أوائل أحداث انهدام الكون، ابتلاع الشمس للقمر، والعلوم المكتسبة تسجل ابتعاد القمر عن الأرض بمعدل ثلاثة سنتيمترات في كل سنة، مما يشير إلى حتمية وقوع ذلك الحدث، بسنن الآخرة وقوانينها، التي هي مغايرة لسنن الدنيا وقوانينها"(٣).

وقد أشار إلى هذا المعنى محمد الطاهر بن عاشور ﵀ فقال: "ومعنى جمع الشمس والقمر: التصاق القمر بالشمس فتلتهمه الشمس؛ لأن القمر منفصل من الأرض التي هي من الأجرام الدائرة حول الشمس كالكواكب، ويكون ذلك بسبب اختلال الجاذبية التي

---

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص١٣٣، ١٤٠.

(٢) تفسير الآيات الكونية ٣/ ١٣٧-١٣٨، ٢/ ١٣٦.

(٣) المرجع السابق ٤/ ٢٣١.

وضع الله عليها النظام الشمسي"[1].

**القول الثاني**: أن السبب هو كون الحرارة الداخلية للشمس تزداد، فتتجه الحرارة إلىٰ الطبقات الخارجية فتتمدد، ومع برودة سطح الشمس المنتفخة، فإنها ستتمدد وينقلب لونها إلىٰ اللون الأحمر، وهو ما يسمىٰ في عالم الفلك بـ (العملاق الأحمر Red-Giant) وهذا العملاق الأحمر سيلتهم الكواكب المحيطة به بما في ذلك الأرض.

قال أسامة علي الخضر: "ولعل هذه المرحلة من حياة الشمس (مرحلة العملاق الأحمر) هي ما أشار إليه القرآن الكريم حيث يقول الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٧-٩]، حيث إن قول الله تعالىٰ: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ قد تشير إلىٰ التمدد، الذي سيحول نجم الشمس إلىٰ عملاق أحمر يلتهم كل ما حوله"[2].

وممن قال بهذا الرأي عبدالوهاب عبدالسلام طويلة[3]، ونشر أيضًا في جريدة الرياض في عدد (١٠٠٩) في يوم الخميس (خامس) جمادىٰ الثانية سنة ١٣٨٨ هجرية تحت عنوان: (انفجار في الشمس يهدد الأرض)، وقال به الفلكي (أيان روكسبرغ)[4].

**المناقشة:**

١- أن ما ذكروه من توقعات في سبب جمع الشمس والقمر هو مبني علىٰ أسباب ومقدمات، قد تصيب وقد تخطيء، وأما في الآخرة فإن الأمر لا يتعلق بأسباب أو مقدمات، ففيه تتغير الموازين، وتتلاشىٰ الأسباب، وهذا ما أشار إليه د. زغلول النجار بقوله: "ما يشير إلىٰ حتمية وقوع ذلك الحدث بسنن الآخرة وقوانينها، التي هي مغايرة لسنن الدنيا وقوانينها"

٢- أن اختلافهم في تصور كيفية جمع الشمس والقمر، يدل علىٰ عدم إمكان معرفة حقيقته؛ لأنه متعلق بأحداث يوم القيامة، فقد ذكر الله تعالىٰ قبلها قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ٦]، قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "يقول تعالىٰ ذكره: يسأل ابن آدم

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٤٥.

(٢) العلم والكون ص٧٠٣-٧٠٤، وانظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. سليمان الطراونة ص٥٣-٥٧، والزلزال الكوني الأعظم والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. عبدالعليم خضر ص٣٢-٣٩، والإعجاز في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث، د. مروان وحيد شعبان ص٢٣٧-٢٤٢.

(٣) انظر: المسيح المنتظر ونهاية العالم ص٣٥٠-٣٥٢.

(٤) انظر: ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق ص ١٤٦- ١٥٣.

السائر دائباً في معصية الله قدماً: متىٰ يوم القيامة؟ تسويفاً منه للتوبة، فبين الله له ذلك فقال: (فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر...) الآية"[١].

٣- أن قولهم هو تفسير لحدث من أحداث يوم القيامة بالظن والاحتمال، ولا يمكن الجزم به، إذ لا يعلم الغيب وما ستصير إليه الأمور في الكون كله إلا الله عالم غيب السموات والأرض، والذي إليه وحده ترجع الأمور كلها[٢].

قال الشيخ حمود التويجري[٣] رحمه الله: "معرفة ما تؤول إليه الشمس والقمر من الغيب الذي لا يعلم إلا من الوحي، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود:١٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ...﴾ [الأنعام: ٥٩].

ومن مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها، علم ما يكون في المستقبل، فلا يعلم ما يكون في المستقبل إلا الله، أو من أظهره الله علىٰ ذلك من المرسلين، كما قال تعالىٰ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ...﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] الآية.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]"[٤].

وفي الآيات والأحاديث التي ذكرنا أبلغ رد علىٰ من زعم أنه يعلم ما يكون في المستقبل، وإذا كان أشرف المرسلين صلوات الله وسلامه عليه لا يعلم ما يكون في غد، فغيره من الناس أولىٰ أن لا يعلموا ذلك.

---

(١) جامع البيان ٢٣/ ٤٧٧.

(٢) انظر: العلوم الفلكية في القرآن الكريم، إبراهيم حلمي الغوري ص٨٥.

(٣) هو: حمود بن عبد الله بن حمود التويجري، ولد عام ١٣٣٤هـ في مدينة المجمعة بالمملكة العربية السعودية، قرأ في سن مبكرة مختصرات الكتب العلمية، وتولىٰ القضاء، توفي عام ١٤١٣ هـ. انظر: الشيخ حمود بن عبدالله التويجري وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف، عبدالله بن محمد خادم.

(٤) رواه البخاري ٦/ ١١٥ (٤٧٧٨).

وعلىٰ هذا فمن زعم أنه يعلم ما يكون في المستقبل، فهو من رؤوس الطواغيت؛ لكونه قد نازع الله فيما استأثر به من علم الغيب، ومن نازع الله في خصائصه فهو طاغوت شاء أم أبىٰ، ومن صدقه فيما يقول فهو ممن آمن بالطاغوت شاء أم أبىٰ، ومن زعم أنه يعلم ما يكون بعد ملايين السنين فهو شر ممن زعم أنه يعلم ما يكون في غد القريب"[١].

٤- أن الآية لم تذكر أن الشمس (تبتلع) أو (تلتهم) أو أنها تتحول إلىٰ (عملاق أحمر)، وإنما جاءت بلفظ (وجمع)، والجمع في اللغة: يطلق علىٰ تأليف المتفرق، وعلىٰ ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض[٢]، وليس من معانيها التلاشي والذهاب والانفجار والموت.

٥- أن خراب الدنيا بأسرها يكون بالنفخ في الصور كما أخبر الله تعالىٰ بذلك في آيات كثيرة من القرآن، وأخبر به رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة، وليس بتصادم الكواكب، أو انفجار الشمس، أو بفعل من بني آدم[٣].

٦- أن الذي أوجب لهم هذا التصور هو وصفهم للشمس بأنها نجم، وعليه فينطبق عليها ما ينطبق علىٰ النجم من مراحل نمو وانفجار، حسب نظرية انفجار النجوم.

والصحيح أن الشمس جرم غير النجم، وجعلها نجماً لا تجد ما يؤيده من آية قرآنية، ولا سنة نبوية، ولا لغة عربية، بل الأدلة تدل علىٰ التفريق بينهما، ومن ذلك:

- قول الله تعالىٰ في قصة مناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه عبدة النجوم: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، وقال فيها: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧]، وقال فيها: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨]، ففرق إبراهيم عليه السلام بين الكوكب والشمس والقمر.
- وقوله تعالىٰ في قصة رؤيا يوسف عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، ففرق يوسف عليه السلام بين الكواكب والشمس والقمر.

---

(١) ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق ص ١٤٦- ١٥٣.
(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ٤٧٩، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي ص٧١٠، ولسان العرب، ابن منظور ٣/ ١٩٦، والمفردات في غريب القرآن، الأصفهاني ص١٠٤.
(٣) انظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود التويجري ٣/ ٢٧٥-٢٧٦.

◊ وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير:١-٢] ففرق بين الأرض والشمس والقمر والنجوم.

قال د. مساعد الطيار: "فإذا جاء مفسر معاصر إلىٰ مثل هذه الآيات، وزعم أن الشمس نجم، أو أن القمر والأرض كوكبان، فإنه يعترض عليه بأن القرآن فرق بينها، وأن لغة العرب فرقت بينها كذلك، ولم يرد في موطن واحد ما يدل علىٰ هذا التفسير، لا من قريب ولا من بعيد"(١).

٧- أن قول أصحاب الإعجاز العلمي يدل علىٰ أن الشمس والقمر يفنيان ويزولان قبل قيام الناس للحساب والجزاء، وأن الشمس تُفني ما حولها، بينما الذي دلت عليه الأحاديث، أن الشمس ستكون موجودة يوم القيامة بعد بعث الناس للجزاء والحساب، ويدل لذلك ما يلي:

أ- الأحاديث التي تصرح بدنو الشمس من رؤوس العباد في الموقف، فعن المقداد بن الأسود الكندي ﷺ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا كان يوم القيامة، أدنيت الشمس من العباد، حتىٰ تكون قدر ميل أو ميلين، قال: فتصهرهم الشمس، فيكونون في العرق كقدر أعمالهم، منهم من يأخذه إلىٰ ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلىٰ حقويه، ومنهم من يلجمه إلجاما"(٢).

---

(١) الإعجاز العلمي إلىٰ أين ص ١٣٢-١٣٣، وانظر: ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق، حمود التويجري ص ١٤٦- ١٥٣، والصواعق الشديدة علىٰ أتباع الهيئة الجديدة، له أيضاً ص١١٦، وموسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٨٤-١٩١، وتفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٤/ ٣٨٨.
(٢) رواه مسلم ٤/ ٢١٩٦ (٢٨٦٤).

قال الشيخ حمود التويجري ﷺ: "الشمس لا تزال جارية سابحة في فلكها الذي جعلها الله فيه ما دامت الدنيا، فإذا كان يوم القيامة أدنيت من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل، وزيد في حرها، كما جاءت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ، ثم بعد ذلك تكور في النار[1] كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١].

فهذه نهاية الشمس يوم القيامة، لا ما تخرصه عدو الله (أيان روكسبرغ) من انفجارها، وزيادة سطوعها، وتمدد حجمها، واندفاع بعضها إلى الفضاء، وسرعة اندفاع المندفع منها، وأنه سيخر كل شيء في طريق ذلك المندفع منها، ومن ذلك الأرض، فهذا كله من زخرف القول الذي أوحاه إليه شيطانه"[2].

ب- الأحاديث التي تصرح بأن الله تعالى يأمر من كان يعبد الشمس أن يتبعها إلى النار، فعن أبي هريرة ﷺ، أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: "هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب" قالوا: لا يا رسول الله، قال: "فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب" قالوا: لا، قال: " فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها..."[3]، وفي لفظ لمسلم: "من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها"[4].

قال الحافظ ابن حجرﷺ: "قوله (فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر)، قال ابن أبي جمرة: في التنصيص على ذكر الشمس والقمر، مع دخولهما فيمن عبد من دون الله، التنويه بذكرهما لعظم خلقهما"[5].

---

(١) عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "الشمس والقمر مكوران يوم القيامة" رواه البخاري ٤/ ١٠٨ (٣٢٠٠).
(٢) ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق ص ١٤٦- ١٥٣.
(٣) رواه البخاري ١/ ١٦٠ (٨٠٦)، ٦/ ٤٤ (٤٥٨١)، ٨/ ١١٧ (٦٥٧٣)، ٩/ ١٢٨-١٢٩ (٧٤٣٧) (٧٤٣٩)، ومسلم ١/ ١٦٣ (١٨٢).
(٤) ١/ ١٦٣ (١٨٢).
(٥) فتح الباري ١١/ ٤٤٨.

وقال الشيخ حمود التويجري ﷺ: "وقد جاء في عدة أحاديث صحيحة، أن الشمس تدنىٰ يوم القيامة من الخلق، حتىٰ تكون منهم كمقدار ميل، وفي بعضها التصريح بأنها تدنىٰ من الأرض فتصهر الناس، ويتضررون منها ولا يضر ذلك الأرض شيئاً.

وكذلك قد جاء في الأحاديث والآثار...أن الشمس والقمر يكوّران يوم القيامة في البحر، وتنتثر الكواكب فيه، ولا يؤثر ذلك في الأرض، ولا تتزحزح من موضعها، فضلاً عن أن تخر منه"[1].

٨- قولهم: أن الشمس ستلتهم كل ما حولها من الكواكب ومنها الأرض، قول غير صحيح؛ لأن الآية نصت علىٰ الجمع بين الشمس والقمر، ولم يرد فيها ذكر لغيرهما.

٩- لم أقف علىٰ قول لأحد من المفسرين صرح فيه بمثل قول أصحاب الإعجاز العلمي، فأقوال المفسرين تدور علىٰ معنيين، بعد اتفاقهم علىٰ أن الجمع بين الشمس والقمر يكون يوم القيامة[2]:

**الأول:** وجمع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما.

**الثاني:** أنه يجمع بين ذاتيهما، أي يقرن بينهما كما يقرن بين البعيرين، ثم اختلفوا فيما يفعل بهما بعد ذلك.



**الآية الثانية:** قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣-٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٢].

### أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:

تعددت أقوال بعض أصحاب الإعجاز العلمي في بيان معنىٰ الآيات علىٰ أقوال أربعة:

---

(١) ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق ص ١٤٦- ١٥٣.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٣/ ٤٨١، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٥/ ٢٥٢، ومعالم التنزيل، البغوي ٨/ ٢٨٢، وزاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ٣٧٠، ومفاتيح الغيب، الرازي ٣٠/ ٧٢٤، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٩/ ٩٦، وأنوار التنزيل، البيضاوي ٥/ ٢٦٦، والبحر المحيط، أبي حيان ١٠/ ٣٤٦، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٤٧٨، وفتح القدير، الشوكاني ٥/ ٤٠٥، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ص٨٩٩، وأضواء البيان، الشنقيطي ٨/ ٤٣٧.

**القول الأول:** أن الآية تتحدث عن الجبال في الدنيا، وأنها تكونت عن طريق خروجها من باطن الأرض في صورة براكين، وذهب إلى هذا القول الشيخ عبدالمجيد الزنداني[1].

**القول الثاني:** أن الآية تتحدث عن جاذبية الأرض، وذهب إلى هذا محمد كامل عبدالصمد حيث قال: "الله ﷻ يبين لنا أنه لو تخلت الأرض عن جاذبيتها للأشياء والأجسام، لانقلب عاليها أسفلها والعكس، وهذا وحده يوضح قيمة الجاذبية في استمرار الكون"[2].

**القول الثالث:** أن الآية تتحدث عن حقيقة علمية، وهي أن الطبقات التي في جوف الأرض أثقل من الطبقات التي فوقها، فإن العلم الحديث توصل إلى أن مكونات الأرض في جوفها أثقل من مكوناتها عند سطحها.

وهذه المعلومة عرفها العلماء بعد أن أمكن قياس سرعة انتقال الموجات الزلزالية في جوف الأرض، وتحديد النطاقات التي تتغير عندها هذه السرعات، وذهب إلى هذا القول د. خالد فائق العبيدي[3]، ود. سليمان الطراونة[4]، ود. أحمد حسنين حشاد[5].

قال د. أحمد حسنين حشاد: "والآن نعود فنسأل: لو لم يكن وحياً، فكيف كان لمحمدٍ أن يعرف هذا التدرج في ارتفاع كثافة مكونات الأرض، وأنه عندما تحدث الزلزلة الكبرى ستلقي الأرض بأثقالها مما هو في أعماق أعماقها"[6].

**القول الرابع:** أن في الآية بيان لكيفية زلزلة الأرض، بأن تفجر أثقالها من هول الضعف الشديد الذي يختزله باطنها، ويكون ذلك بسبب تفسخ سطح الأرض، وفقد التماسك الحاصل بين مكونات الأرض المنجذبة نحو باطنها، وقال بهذا عبدالإله أحمد بن مصباح[7].

وربط د. أحمد حسنين حشاد بين الزلازل والبراكين، حيث وجد العلماء أن هناك تطابقاً كاملاً بين المناطق التي تحدث فيها الزلازل (أحزمة الزلازل)، وتلك التي تكثر

---

(١) العلم طريق الإيمان ص٦٨.

(٢) الإعجاز العلمي في الإسلام ص١٢٠.

(٣) الأرض ص٢١.

(٤) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٥٦-٥٧.

(٥) مقال: الزلازل والبراكين رؤية إيمانية، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي www. eajaz. org

(٦) المرجع السابق.

(٧) أسرار حركة الجبال بين أخبار الوحي وكشوف العلم الحديث ص٢٧-٢٨.

فيها الأنشطة البركانية (أحزمة النار)، مما يؤكد وجود علاقة وثيقة لا يشوبها أي شك بين الزلزلة والانفجارات البركانية.

ثم بين أن هذا التطابق يمثل مشهداً من مشاهد يوم القيامة فقال: "والسؤال هو: لولم يكن هذا القرآن وحياً من العليم الحكيم، فكيف تأتى لمحمدٍ أن يربط بين هاتين الظاهرتين بالذات، ليصور منهما مشهداً من مشاهد يوم القيامة"(١).

**المناقشة:**

١- القول بأن المقصود في الآية هو تكون الجبال، أو أن الطبقات التي في جوف الأرض أثقل من الطبقات التي فوقها، يُرَد عليه بما يلي:

**أولاً:** أن الآيات في سياق ذكر أحوال يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١-٥]، ومثلها قول الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٢]، ويؤكد ذلك أقوال المفسرين، قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "وقوله: (وإذا الأرض مدت) يقول تعالى ذكره: وإذا الأرض بسطت، فزيدت في سعتها...عن مجاهد، قوله: (مدت) قال: يوم القيامة.

وقوله: (وألقت ما فيها وتخلت) يقول جل ثناؤه: وألقت الأرض ما في بطنها من الموتى إلى ظهرها وتخلت منهم إلى الله"(٢).

وقال الطاهر بن عاشور ﷺ: "ومد الأرض: بسطها، وظاهر هذا أنها يزال ما عليها من جبال، كما يمد الأديم فتزول انثناءاته، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]"(٣).

---

(١) مقال: الزلازل والبراكين رؤية إيمانية، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي www. eajaz. org

(٢) جامع البيان ٢٤/ ٣٣٢، وانظر: معاني القرآن، الزجاج ٥/ ٣٠٣، ومعالم التنزيل، البغوي ٨/ ٣٧١، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٥/ ٤٥٦، وزاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ٤١٩، والفرقان في إعجاز القرآن، عبد الكريم الحميد ص٣٧٥-٣٧٦.

(٣) التحرير والتنوير ٣٠/ ٢١٩.

**ثانياً**: جاءت الأحاديث ببيان ما تلقيه الأرض، وأن ذلك يكون يوم القيامة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا"(١).

٢- ما ذكروه من زوال الجاذبية هو مما تحتمله الآية، ولا يمكن الجزم به، قال الطاهر بن عاشور ﷺ: "ومن معاني المد أن يزال تكويرها بتمدد جسمها، حتىٰ تصير إلىٰ الاستطالة بعد التكوير، وذلك كله مما يؤذن باختلال نظام سير الأرض، وتغير أحوال الجاذبية، وما يحيط بالأرض من كرة الهواء، فيعقب ذلك زوال هذا العالم"(٢).

ثم بين الاحتمالات التي ترد علىٰ كلمة (وألقت) فقال: "وقوله: (وألقت ما فيها) صالح للحمل علىٰ ما يناسب هذه الاحتمالات في مد الأرض، ومحتمل لأن تنقذف من باطن الأرض أجزاء أخرىٰ، يكون لانقذافها أثر في إتلاف الموجودات، مثل: البراكين، واندفاع الصخور العظيمة، وانفجار العيون إلىٰ ظاهر الأرض، فيكون طوفان.

(وتخلت) أي أخرجت ما في باطنها، فلما يبق منه شيء؛ لأن فعل تخلىٰ يدل علىٰ قوة الخلو عن شيء، لما في مادة التفعل من الدلالة علىٰ تكلف الفعل، كما يقال: تكرم فلان، إذا بالغ في الإكرام، والمعنىٰ: إنه لم يبق مما في باطن الأرض شيء كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]"(٣).

٣- الربط بين زلزلة الأرض والبراكين، أو أن سبب الزلزلة هو الضعف الشديد الذي يختزله باطنها، ويكون ذلك بسبب تفسخ سطح الأرض، وفقد التماسك الحاصل بين مكوناتها المنجذبة نحو باطنها، كل ذلك مما اكتشفه الإنسان في الدنيا وشاهده، ولا يصح القطع بأنه هو نفسه ما سيحصل للأرض يوم القيامة؛ لأن ذلك من الغيب الذي لا يعرف كيفيته إلا بالوحي.



(١) رواه مسلم ٢/ ٧٠١ (١٠١٣).
(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٢٢٠.
(٣) المرجع السابق ٣٠/ ٢٢٠.



**الآية الثالثة:** قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

بين د. محمد وليد كامل الكيفية الكيميائية لتحول الجبال والأرض، والسماء يوم القيامة، إلىٰ كثيب ومهيل ومهل فقال: "وربما يقوم هذا المهل يوم القيامة، بإحداث الرجفة في الأرض والجبال، فتتحول الجبال بفعل الرجفة إلىٰ كثيب، ثم تتحول بفعل المهل المنسكب من باطن الأرض إلىٰ مهيل، وشتان بين مهل ومهيل...

ويصحب ذلك ظواهر أخرىٰ تؤكد القيامة، مثل: تأين الغازات التي تدخل في تركيب الهواء الجوي، وإن تأين تلك الغازات لا يتم بدون طاقة عالية الشدة، عندئذ تصبح السماء يوم القيامة مثل المهل: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨]، أي مثل المهل في حرارته، وتأين مكوناته من ذرات العناصر الكيميائية، إذ يختلف مهل الأرض عن مهل السماء في نوعية العناصر الكيميائية"(١).

وقال د. خالد فائق العبيدي: "نهاية نوعي الجبال النارية والرسوبية ذكرت في الكتاب العزيز، فالنارية مصيرها الانفجار والنسف يوم القيامة، بفعل استمرار البراكين في فوهاتها بشكل مستمر، فتنسف بفعل الحرارة والضغط الهائلين – ينسفها ربي نسفًا – وأما الرسوبية فتنفجر لتطاير ذراتها الرملية والترابية كما يتطاير الريش أو الصوف – كالعهن المنفوش– وهذه من أهوال يوم القيامة"(٢).

**المناقشة:**

١) أن تفاصيل كيفية تحول الجبال إلىٰ كثيب مهيل هو من الغيب الذي لا يُعرف إلا من طريق الوحي.

٢) أن ما تصوروه هو بناء علىٰ ما توصل إليها العلم المكتسب في الدنيا، ولا يصح قياس الآخرة علىٰ الدنيا.

---

(١) مقال: والسماء كالمهل، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي www. eajaz. org

(٢) الأرض ص٣٠-٣١.

٣) أنه لا يصح إعمال القوانين الكيميائية والفيزيائية في أمور الآخرة؛ لأنها تنخرم في ذلك اليوم.

٤) أن المفسرين بينوا معنىٰ آية سورة المزمل بما دلت عليه لغة العرب فقالوا: إن الجبال بعد القوة والشدة تتحول يوم القيامة إلىٰ رمل متحرك سائل، وهي حالة من حالات الجبال التي تصير إليها يوم القيامة، ولم يتعرضوا لسبب ذلك أو كيفيته.

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "وقوله: (وكانت الجبال كثيباً مهيلاً) يقول: وكانت الجبال رملاً سائلاً متناثراً، والمهيل: مفعول من قول القائل: هلت الرمل فأنا أهيله، وذلك إذا حرك أسفله، فانهال عليه من أعلاه؛ وللعرب في ذلك لغتان، تقول: مهيل ومهيول، ومكيل ومكيول"(١).



**الآية الرابعة:** قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

جعل أصحاب الإعجاز العلمي ما أخبرت به الآية عن مرور الجبال، إشارة إلىٰ إثبات دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، إذ إن الجبال جزء من الأرض، فإذا مرت مر السحاب، كان ذلك إشارة ضمنية رقيقة إلىٰ دوران الأرض حول محورها، وكل شيء عليها يدور بنفس السرعة.

جاء في موسوعة حقائق الإعجاز العلمي بيان وجه الإعجاز كما يلي: "لقد أثبت القرآن الكريم من خلال الآيات آنفة الذكر دوران الأرض، وجاءت كلمات القرآن منتقاة بدقة وعناية من لدن حكيم خبير لا تترك مجالاً للشك عند أهل العلم، فالأرض تدور بمن عليها من مخلوقات جامدة وحية بنفس السرعة، لذلك نحسب أن الجبال ثابتة بينما هي في حقيقتها تدور مع الأرض، ولو نظرنا إلىٰ الأرض من علىٰ سطح كوكب آخر لوجدناها تتحرك وما عليها حركة واضحة، ينشأ عنها تعاقب الليل والنهار، وحدوث الفصول الأربعة، فمن أخبر محمدًا ﷺ بهذه الحقيقة الكونية؟ إنه الله خالق الأرض

(١) جامع البيان ٢٣/ ٣٨٥، وانظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٥/ ٢٤٢، ومعالم التنزيل، البغوي ٥/ ١٧٠، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٩/ ٤٧.

والسموات"[١].

واعتبروا هذه الإشارة في الآيات سبقاً سبق فيه القرآن جميع المعارف الإنسانية[٢]، وأول إشارة في تاريخ البشر لدوران الأرض حول نفسها[٣]، **وبذلك يثبت الإعجاز العلمي في الآية**[٤].

وقال د. زغلول النجار: "ومرور الجبال مر السحاب، هو كناية واضحة على دوران الأرض حول محورها، وعلى جريها حول الشمس ومع الشمس؛ لأن الغلاف الهوائي للأرض الذي يتحرك فيه السحاب مرتبط بالأرض بواسطة الجاذبية، وحركته منضبطة مع حركة الأرض، وكذلك حركة السحاب فيه، فإذا مرت الجبال مر السحاب كان في ذلك إشارة ضمنية إلى حركات الأرض المختلفة التي تمر كما يمر السحاب"[٥].

وحتى يتحقق القول بالسبق العلمي في الآيات، فقد جعل د. خالد فائق العبيدي لفظ (الجبال) في الآية كناية عن (الأرض)؛ لأنها أعظم تركيبة فيها من حيث الحجم والضخامة[٦].

**وقد استدلوا بعدد من الأدلة منها:**

**الدليل الأول:** قالوا: "اختلاف الصيغة عن سابقاتها في التعبير، فهناك قال ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [النمل:٨٧]، بالبناء للمجهول، وهنا وردت العبارة بلفظ الخطاب: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ ﴾ [النمل: ٨٨] بالبناء للمعلوم، أي: وترى أيها المخاطب الناظر المشاهد للكون، الذي يرى بعينيه الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب.

ولو كان الحديث عن الآخرة لجاء التعبير (وتُرى الجبالُ) بالبناء للمجهول على

---

(١) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٨٢/ ٢٥.
(٢) المرجع السابق ٢/ ١٨.
(٣) انظر: الأرض، د. خالد فائق العبيدي ص٧.
(٤) انظر: بحث: تقطيع الأرض ووصف الجبال وظواهر الأرض في القرآن وعلم الجيولوجيا، د. حسني حمدان حمامة، من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٨٩، وآيات ربانية، د. مختار مهدي ص١٠٧-١٠٨، والجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري ١٣/ ٢٨٢-٢٨٤، والكون والإعجاز العلمي للقرآن، د. منصور حسب النبي ص١٦٦-١٦٧.
(٥) تفسير الآيات الكونية ٢/ ١٣٢.
(٦) المرجع السابق ص٧.

النسق السابق، أي: ترى في ذلك اليوم الجبال برفع الجبال لا بنصبها؛ لأنه يصبح خبراً لا خطاباً، فهذه المغايرة تدل على أن الأمر هنا في الدنيا"(١).

**والجواب عن هذا الدليل كالتالي:**

١- يقال لهم: بأنه قد ورد الإخبار عن أحوال يوم القيامة بالبناء للمعلوم في بعض الآيات ومنها:

أ- قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧]، فقوله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ﴾ هو مثل قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ [النمل: ٨٨]، وبروز الأرض هو من أحداث يوم القيامة بإجماع المفسرين(٢).

ب- قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ [إبراهيم: ٤٩] ولا شك أن الآية تتحدث عن الآخرة.

ج- قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزُمَر: ٧٥]، فهل يشك أحد أن الآية تخبر عن الآخرة، بدليل أن ما قبلها في بيان حال الكفار والمؤمنين، إذا سيق هؤلاء إلى الجنة، وسيق أولئك إلى النار.

وقد ابتدأ الله آيات سورة الزمر ببناء فعل (نفخ) للمجهول، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُمَر: ٦٨]، كما ابتدأ به آيات سورة النمل فقال: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٧].

د- قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٨]، وهذا الجثو هو يوم القيامة.

٢- أن تنويع الأسلوب في التعبير هو من عادات القرآن الأسلوبية لحكم كثيرة(٣).

---

(١) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٨.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٥/ ٢٨١، وزاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٨٩، ومعالم التنزيل، البغوي ٥/ ١٧٥، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ١٥/ ٣٣٥.

(٣) انظر: عادات القرآن الأسلوبية، د. راشد الثنيان ٢/ ٦٢٢.

٣- أن "أصل الخطاب هنا هو لبيان هول وشدة ذلك اليوم لا غير، ومن ادعىٰ خلاف هذا، فلم يمعن النظر في سابق (وترىٰ الجبال) وهو (وإذا وقع القول) (ويوم ينفخ في الصور)، ولو أمعن لما تفوه بما قال، إلا إذا رسخ في ذهنه مذهب فيثاغورس وأهل الهيئة الحديثة"[1].

**الدليل الثاني**: قالوا: "الجبال تنسف في الدنيا وتتناثر قبل يوم القيامة، كما قال ﷻ: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]، وقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]، وقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٤-٦] أي: تفتت الجبال وتناثرت حتىٰ أصبحت كالهباء والغبار المتطاير في الهواء لا شيء يرىٰ منها، وقوله ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠] أي: نسفت حتىٰ صارت كالسراب، وإذن ليس في الآخرة جبال ولا وديان ولا هضاب، فكيف ينظر الإنسان إلىٰ الجبال وهي تمر مر السحاب، وقد تناثرت عند النفخ في الصور؟ "[2].

وقالوا أيضاً: "أخبرنا النبي ﷺ وهو الصادق المصدوق، أن الناس يحشرون يوم القيامة علىٰ أرض بيضاء مستوية، كما في الصحيحين: "يحشر الناس يوم القيامة علىٰ أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي"[3]، قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد، أي: مثل قرص الخبز الأبيض الخالص البياض، فأين هي الجبال حتىٰ ينظر الناس إليها يوم القيامة؟ فهذا نص قاطع علىٰ أنه ليس في الآخرة جبال.

قال الخطابي: يريد أنها أرض مستوية، وقال عياض: المراد أنها ليس فيها علامة سكنىٰ، ولا بناء ولا أثر، ولا شيء من العلامات التي يهتدي بها في الطرقات، كالجبل والصخرة البارزة[4].

فأقوال المفسرين والمحدِّثين تثبت أن لا جبال في القيامة؛ لأن الناس يحشرون علىٰ أرض مستوية كما هو نص الحديث"[5].

---

(١) المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية، محمد بن يوسف الكافي ص٦٩، وانظر: الصواعق الشديدة علىٰ اتباع الهيئة الجديدة، حمود التويجري ص٨٢.

(٢) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٩.

(٣) رواه البخاري ٨/ ١٠٩ (٦٥٢١) ومسلم ٤/ ٢١٥٠ (٢٧٩٠).

(٤) فتح الباري ١١/ ٣٨٣.

(٥) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ٢٠-٢١.

**والجواب عن هذا الدليل كالتالي:**

**١- أن ما ذكروه على سبيل الاعتراض بقولهم: "وقد تناثرت عند النفخ في الصور" هو الحق، فقد اجتمعت كلمة المفسرين على أن ذلك من أمور الآخرة، على خلاف بينهم هل يحدث ذلك عند النفخ في الصور، أو هو بعد النفخة الثانية بعد قيام الناس للعرض والحساب؟، وظاهر الأدلة من القرآن الكريم، وصريح السنة النبوية، يدل على الثاني، وهو الذي استظهره غير واحد من المفسرين كالإمامين ابن جرير وابن كثير[1] -رحمهما الله، فإن الله قال: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٧]، فقوله: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ يكون بعد النفخة الثانية، ثم قال بعدها: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً... ﴾ [النمل: ٨٨].**

**وأما السنة فعن ثوبان ﷺ مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائمـًا عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: أينفعك شيء إن حدثتك؟، قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: سل، فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: "هم في الظلمة دون الجسر"[2].**

**وعن عائشة ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷺ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فأين يكون الناس يومئذ؟ يا رسول الله فقال: "على الصراط"[3].**

**قال محمد بن يوسف الكافي التونسي[4] ﷺ: "والقول بوقوع ذلك بعد النفخة الثانية**

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٨/ ١٣٦، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٣٨٩.
(٢) رواه مسلم ١/ ٢٥٢ (٣١٥).
(٣) رواه مسلم ٤/ ٢١٥٠ (٢٧٩١).
(٤) هو: محمد بن يوسف بن محمد بن سعد الحيدري التونسي الكافي، فقيه من المالكية، ولد بتونس عام ١٢٧٨هـ ورحل إلى بلاد المشرق، واستقر في دمشق إلى أن توفي عام ١٣٨٠هـ انظر: الأعلام، الزركلي ٧/ ١٥٩.

أرجح في النظر"[١]، وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي ﷺ: "قوله تعالى: (وترى الجبال) معطوف على قوله: (ففزع)، وذلك المعطوف عليه مرتب بالفاء على قوله تعالى: (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات) الآية، أي: ويوم ينفخ في الصور، فيفزع من في السماوات وترى الجبال، فدلت هذه القرينة القرآنية الواضحة على أن مر الجبال مر السحاب، كائن يوم ينفخ في الصور، لا الآن"[٢].

٢- أن ما ذكروه من آيات تبين أحوال الجبال يوم القيامة، وعند النفخ في الصور من: دك، ونسف، وبس، وسير، ليس هناك ما يمنع أن يكون مر الجبال مر السحاب من أحوالها يوم القيامة، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧].

قال الإمام ابن كثير ﷺ عند تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظام، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ [الطور: ٩-١٠] أي تذهب من أماكنها وتزول، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة: ٥]، وقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧] يذكر تعالى إنه تذهب الجبال، وتتساوى المهاد، وتبقى الأرض قاعاً صفصفاً، أي سطحاً مستوياً لا عوج فيه ولا أمتاً، أي لا وادي ولا جبل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي بادية ظاهرة ليس فيها معلم لأحد، ولا مكان يواري أحداً، بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية...

وقوله: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي وجمعناهم الأولين منهم والآخرين، فلم نترك منهم أحداً لا صغيراً ولا كبيراً، كما قال: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود:١٠٣]"[٣].

---

(١) المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية ص٦٩، وانظر: الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة، حمود التويجري ص ٨١.
(٢) أضواء البيان ٦/ ١٤٥-١٤٦
(٣) تفسير ابن كثير ٦/ ٢١٧.

وقد ذكر العلامة محمد الأمين الشنقيطيﷺ أن من أنواع البيان التي تضمنها القرآن، الاستدلال على المعنى بكونه هو الغالب في القرآن؛ لأن غلبته فيه تدل على عدم خروجه من معنى الآية، قال: "وهو كون هذا المعنى (مر الجبال مر السحاب) هو الغالب في القرآن فواضح؛ لأن جميع الآيات التي فيها حركة الجبال كلها في يوم القيامة؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: ٩-١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣]"[(١)].

وسئل الشيخ محمد بن صالح العثيمينﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، وفي آية النمل: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] كيف التوفيق بينهما؟ فأجاب رحمه الله:

"وردت نصوص في اليوم الآخر مختلفة في هذا وفي غيره، حتى في بني آدم، ورد أنهم يحشرون زرقًا يعني: المجرمين منهم، وورد: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. كل هذا لا تعارض بينها؛ لأن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، فتتغير الأحوال وتتنقل وتختلف، وإذا كنا نرى أن الجو يختلف في الدنيا بين عشية وضحاها، وبين يوم وآخر، وبين أسبوع وأسبوع، وبين شهر وشهر، وبين السنة أولها وآخرها، فإن الجبال والأحوال يوم القيامة تتغير من شيء إلى آخر، ولذلك نقول كل النصوص في يوم القيامة التي ظاهرها التعارض ليس فيها تعارض، بل تحمل على تغيير الأحوال، يعني: يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة"[(٢)].

و قال الشيخ حمود التويجريﷺ: "وقد استدل بعض العصريين على ما زعموه من حركة الأرض ودورانها على الشمس بقول الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ الآية، وهذا من الإلحاد في آيات الله تعالى، وتحريف الكلم عن مواضعه؛ لأن الآية إنما سيقت في ذكر ما يكون يوم القيامة.

---

(١) أضواء البيان ٦/ ١٤٥-١٤٦.

(٢) لقاء الباب المفتوح، رقم اللقاء (١٥٨).

وقد بين الله ذلك بقوله ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، ثم قال تعالىٰ ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨-٩٠] فدلت هذه الآية علىٰ أن مرور الجبال مثل مر السحاب، إنما يكون يوم القيامة لا في الدنيا، وقد أوضح الله ذلك في آيات كثيرة من القرآن".

ثم ذكر ما سبق من آيات في كلام الشنقيطي وابن عثيمين ثم قال: "فدلت هذه الآيات مع الآيات من سورة النمل، علىٰ أن زوال الجبال من أماكنها، ومرورها مثل مر السحاب وذهابها بعد ذلك بالكلية، إنما يكون يوم القيامة لا في الدنيا"[1].

**الدليل الثالث:** قالوا: "﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨]، والآخرة ليس فيها حسبان ولا ظن، وإنما تظهر فيها الحقائق علىٰ أتم الصور، وأكمل الوجوه، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

وهذا مما يؤيد ويرجح أن الآية: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ في الدنيا لا في الآخرة؛ لأن الظن والحسبان لا يكون في الآخرة"[2].

**والجواب عن هذا الدليل كالتالي:**

١- رد علىٰ هذا الاستدلال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله بقوله: "وأما زعم هذا الرجل القائل بذلك بأن يوم القيامة تكون الأمور حقائق وهنا يقول: (وترىٰ الجبال تحسبها) فلا حسبان في الآخرة، فهذا غلط أيضاً؛ لأنه إذا كان الله أثبت هذا، فيجب أن نؤمن به ولا نحرفه بعقولنا. . . وعلىٰ كل حال فإن الواجب علينا جميعاً أن نجري الآيات علىٰ ظاهرها، وأن نعرف السياق؛ لأنه يعين المعنىٰ، فكم من جملة في سياق يكون لها معنىٰ، ولو كانت في غير هذا السياق، لكان لها معنىٰ آخر، ولكنها في هذا السياق يكون لها المعنىٰ المناسب لهذا السياق"[3].

---

(١) الصواعق الشديدة علىٰ اتباع الهيئة الجديدة ص٦٨، ٦٩.
(٢) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٩.
(٣) تفسير سورة الكهف ص٨٠.

٢- قولهم: "والآخرة ليس فيها حسبان ولا ظن" غير صحيح، فإن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن الله يذكر الظن بمعنى اليقين، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "العرب قد تسمي اليقين (ظناً)، والشك (ظناً)، نظير تسميتهم الظلمة (سدفة)، والضياء (سدفة)، والمغيث (صارخاً)، والمستغيث (صارخاً)، وما أشبه ذلك من الأسماء التي تسمي بها الشيء وضده"(١).

وقال تعالى في بيان حال المجرمين يوم القيامة: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣] فهذا الظن منهم يكون في أرض المحشر قبل دخولهم جهنم، وهو بمعنى أنهم تحققوا لا محالة أنهم مواقعوها، وليس بمعنى الظن والحسبان.

**الدليل الرابع:** قالوا: لفت القرآن أنظار المتأملين في آيات الله البينات لفتة بديعة رائعة في قوله ﷻ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، فبين أن هذه من الغرائب المدهشة في الدنيا، هي أثر صنع الله وتدبيره لهذا الكون، والخراب والدمار لا يسمى صنعاً، ولا يدخل في حيز الإتقان، فعند قيام الساعة تتزلزل الجبال وتتطاير، ومثل هذا لا يقال له: صنع، ولا يوصف بالإتقان، بإمكاننا أن ننسف عمارة من خمسين طابقاً بشيء من المتفجرات، فهل يقال: إن هذا إتقان وإبداع؟ الصنع والإبداع إنما يكون في البناء لا في التدمير"(٢).

**والجواب عن هذا الدليل كالتالي:**

١- أن هذا القول منهم هو قياس لأفعال الله تعالى بأفعال المخلوقين، ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] في أسمائه وصفاته وأفعاله، فالله خلق كل شيء، وأتقن خلقه، وأبدع صنعه ابتداءً، وهو سبحانه يتقنه ويكمله، ويحسن نهايته، فتكوير الشمس، وانكدار النجوم، ونسف الجبال، وتسجير البحار، وانشقاق السماء، كل ذلك إتقان وإبداع.

(١) جامع البيان ١/ ٦٢٣.
(٢) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ٢٠.

٢- قولهم: "بإمكاننا أن ننسف عمارة من خمسين طابقاً بشيء من المتفجرات، فهل يقال: إن هذا إتقان وإبداع؟ الصنع والإبداع إنما يكون في البناء لا في التدمير"

هذا مما لا يسلم به، فإن نسف العمائر الشاهقة باستعمال أدوات التفجير المختلفة والحديثة هو إبداع وإتقان، وإذا حصل ذلك دون أن يتضرر شيء مما حولها فهو مزيد إبداع وإتقان.

٣- قال محمد بن يوسف الكافي التونسي‌ﷺ في بيان أن ما يحصل للجبال في الآخرة هو من الإتقان: "وذلك أن تسيير الجبال الراسيات الشامخات تسييراً في الجو حثيثاً، ويظن الناظر إليها أنها جامدة، أي ثابتة في مكانها، والحال أنها تمر مر السحاب، هو صنع الله المتقن، وكل أفعال الله متقنة، فهو ﷻ أرسى بها الأرض في الدار الأولى، فأتقن إرساءها، وسيرها في الدار الآخرة، فأتقن تسييرها"[1].

**الدليل الخامس:** قالوا: ختم الله الآية بقوله: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨] أي: عالم بما تفعلونه الآن في الدنيا، والآخرة ليس فيها فعل ولا فيها عمل، إنما هي دار الجزاء، فالدنيا دار التكليف، والآخرة دار التشريف، فكيف يخاطبهم وهم في أرض المحشر بقوله: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، وهم لا يستطيعون أن يأتوا بحركة، أو ينبسوا ببنت شفة؟"[2].

**والجواب عن هذا الدليل كالتالي:**

١- أنه لم يقل أحد من المفسرين -حتى ممن وافق أصحاب الإعجاز العلمي على قولهم[3] - أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨] للناس في أرض المحشر، وإنما الله يخبر عباده أنه ذو علم وخبرة بما يفعلون من خير وشر، وطاعة له ومعصية، وهو مجازي جميعهم على جميع ذلك، على الخير الخير، وعلى الشر الشر نظيره[4].

---

(١) المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية ص٦٩، وانظر: الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة، حمود التويجري ص٨١.

(٢) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ٢٠.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٠/ ٥١.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ١٨/ ١٣٩، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٣٩٠.

قال الطاهر ابن عاشور ﷺ: "وجملة (إنه خبير بما تفعلون) تذييل أو اعتراض في آخر الكلام للتذكير والوعظ والتحذير، عقب قوله: (الذي أتقن كل شيء)؛ لأن إتقان الصنع أثر من آثار سعة العلم، فالذي بعلمه أتقن كل شيء، هو خبير بما يفعل الخلق، فليحذروا أن يخالفوا عن أمره"(١).

وقال أبو السعود ﷺ: "وقوله تعالىٰ (إنه خبير بما تفعلون) تعليل لكون ما ذكر صنعاً محكماً له تعالىٰ، ببيان أن علمه تعالىٰ بظواهر أفعال المكلفين وبواطنها، مما يدعو إلىٰ إظهارها، وبيان كيفيتها، علىٰ ما هي عليه من الحسن والسوء، وترتيب جزائها عليها، بعد بعثهم وحشرهم، وجعل السموات والأرض والجبال علىٰ وفق ما نطق به التنزيل؛ ليتحققوا بمشاهدة ذلك أن وعد الله حق لا ريب فيه"(٢).

وقال د. وهبة بن مصطفىٰ الزحيلي: "(إنه خبير بما تفعلون) هذا علة النفخ في الصور والبعث للحساب والجزاء، أي إن الله تعالىٰ عليم بما يفعل عباده من خير وشر، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء"(٣).

٢- أن خاتمة هذه الآية هي نفس خاتمة آيات سورة الزمر حيث قال الله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٩ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٨-٧٠].

٣- قولهم: "وهم لا يستطيعون أن يأتوا بحركة، أو ينبسوا ببنت شفة؟" غير صحيح، فقد دلت النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية أن الناس يوم القيامة يتكلمون في مواطن وأحوال، ويمنعون في مواطن وأحوال أخرىٰ(٤).

**الدليل السادس:** قالوا: "وإن قيل إن رؤية الجبال ليست في القيامة، إنما هي قيام نسفها عند قيام الساعة حين ينفخ في الصور إيذاناً بالخراب، **فالجواب:** إن الناس يكونون

---

(١) التحرير والتنوير ٢٠/ ٥١.
(٢) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم ٦/ ٣٠٥.
(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٢٠/ ٤٣.
(٤) انظر: آيات العقيدة التي قد يوهم ظاهرها التعارض، مجموعة من الباحثين ٢/ ١٠٦٠- ١٠٧٩.



وقت النفخة في فزع واضطراب، يفقدهم الرشد والصواب، ليس عندهم مجال لينظروا إلىٰ الجبال وهي تسير وتتحرك؛ لأن الواحد منهم حاله كحال السكران كما قال ﷻ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]، فمن أين لهم الاستمتاع برؤية الجبال وهي تسير؟ وإذا كانت المرأة تذهل عن وليدها، وتسقط حملها من شدة أثر الزلزلة، فكيف يتأتىٰ للبشر النظر إلىٰ الجبال؟ ، وقد قال ﷺ فيما رواه البخاري: "ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلىٰ فيه فلا يطعمها"[(١)] أي: رفع اللقمة إلىٰ فمه فلا يستطيع أن يأكلها، فهل هو الآن يستطيع النظر إلىٰ الجبال مع هذه الأهوال والشدائد"[(٢)].

**والجواب عن هذا الدليل كالتالي:**

١- أن آية الحج هي حجة عليهم، وذلك أن الله تعالىٰ قال: (وترىٰ الناس سكارىٰ) فبين أن الناس يراهم الرائي فيظنهم سكارىٰ وما هم بسكارىٰ، وذلك كائن يوم القيامة.

٢- قولهم: "فمن أين لهم الاستمتاع برؤية الجبال وهي تسير؟ " فيقال لهم: لم يقل أحد من المفسرين أو العلماء أن رؤية الجبال للاستمتاع بها، وهو معنىٰ يخالف ما أخبر الله به من أهوال ذلك اليوم العظيم.

٣- وأما استدلالهم بالحديث فهو يدل علىٰ أهوال القيامة؛ لأن معناه أن الساعة تأخذ الناس بغتة، وتأتيهم وهم في أشغالهم فلا تمهلهم أن يتموها[(٣)]، قال ابن الملقن[(٤)] ﷺ: "هذا كله إخبار عن الساعة أنها تأتي فجأة، وأسرع ما فيه دفع اللقمة إلىٰ الفم"[(٥)]،

---

(١) رواه البخاري ٨/ ١٠٦ (٦٥٠٦).

(٢) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ٢١.

(٣) انظر: الكاشف عن حقائق السنن، الطيبي١١/ ٣٤٢٢، والإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٧/ ٢٢٠، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني ٩/ ٢٩٤، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني ٢٣/ ٩٢، والكوثر الجاري إلىٰ رياض أحاديث البخاري، الكوراني ١٠/ ١٧٩.

(٤) هو: عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، أبو حفص ابن النحوي، المعروف بابن الملقن، من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال، توفي بالقاهرة عام ٨٠٤ هـ. انظر: طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة ٤/ ٤٣، والأعلام، الزركلي ٥/ ٥٧.

(٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٢٩/ ٥٩٩.

وقال أيضاً: "هذا كله إخبار منه ﷺ بما يفجأ الناس، حتىٰ لا يتم أحد ما يبدأه من نشره الثوب فلا يطوىٰ، وليط الحوض فتعاجله الساعة قبل تمامه، وأقرب من ذلك رفع اللقمة إلىٰ فيه قبل أن يطعمها"(١).

وهذه الأهوال لا تمنع من رؤية ما يحصل للجبال؛ لأن تبدلها وتغيرها وسيرها هو من أهوال يوم القيامة.

**الدليل الثامن:** قالوا: "وأما مجيء الآية في سياق شدائد وأهوال القيامة، فهذا الأسلوب الحكيم في مخاطبة عقول البشر بما يتفق ومداركهم وأفهامهم، وهو من خصائص الإبداع القرآني، فلم يجعل الله الأمر صريحاً مكشوفاً، حتىٰ يتجرأ علىٰ تكذيبه أحد من الكفار.

فلو قال لهم: الجبال تسير وأنتم تحسبونها واقفة في أماكنها، لقالوا: هذا كذب مستحيل، نحن نراها بأم أعيننا ساكنة في أماكنها، فكان من الأسلوب الحكيم، أن قدم لها بتقدمة من أهوال الساعة، حتىٰ إذا جاء عصر الأقمار الصناعية، والمراكب الفضائية، وغزو الفضاء، رأوا بأم أعينهم صدق ما أخبر عنه القرآن، ولهذا غاير بين اللفظين (ويوم ينفخ في الصور) (وترىٰ الجبال تحسبها جامدة) فجاءت الآية الأولىٰ بصيغة المجهول، وجاءت الثانية بصيغة المعلوم بالخطاب للناظر المشاهد، الذي يرىٰ الجبال بعينيه واقفة مع أنها تسير، وأكدها بالصنع والإتقان، والإخبار عن علمه تعالىٰ بأعمالهم في الدنيا، وهذا ما كشفه لنا الزمان في عصر غزو الفضاء تحقيقاً لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾ [فُصِّلَت:٤١]"(٢).

**والجواب عن هذا الدليل كالتالي:**

قولهم: "فلم يجعل الله الأمر صريحاً مكشوفاً، حتىٰ يتجرأ علىٰ تكذيبه أحد من الكفار، فلو قال لهم: الجبال تسير وأنتم تحسبونها واقفة في أماكنها، لقالوا: هذا كذب مستحيل، نحن نراها بأم أعيننا ساكنة في أماكنها، فكان من الأسلوب الحكيم، أن قدم لها بتقدمة من أهوال الساعة، حتىٰ إذا جاء عصر الأقمار الصناعية، والمراكب الفضائية، وغزو الفضاء، رأوا بأم أعينهم صدق ما أخبر عنه القرآن " هذا القول **يشتمل على عدد**

---

(١) المرجع السابق ٣٢/ ٤٠٣.

(٢) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ٢١-٢٢.

**من المخالفات:**

١- أن رد دلالة الأدلة الشرعية الصريحة بمجرد ما يشاهده الإنسان نفسه بأم عينه، أمر في غاية الخطورة على عقيدة العبد، فالقرآن الكريم والسنة الصحيحة دلالتهما الظاهرة أقوى عند المؤمن مما تشترك فيه جميع الحواس.

٢- زعمهم أنه لا يمكن أن يصرح القرآن الكريم ببعض الظواهر الكونية؛ لأن عقول الناس في تلك الفترة لا تستوعبه، قول ضعيف بل ظاهر السقوط؛ فإن الله في القرآن قد خاطب المشركين صراحة بما هو أعظم من دوران الأرض حول نفسها أو الشمس، وفرض عليهم الإيمان بما هو أصعب إدراكاً من ذلك، كالأمور الغيبية، وكقصص الأمم السابقة من إهلاك أمة بمجرد صيحة واحدة، وكإغراق الأرض كلها، وكالجنة والنار ونحو ذلك مما فهمه الصحابة وآمنوا به.

٣- قولهم: "حتى إذا جاء عصر الأقمار الصناعية، والمراكب الفضائية، وغزو الفضاء، رأوا بأم أعينهم صدق ما أخبر عنه القرآن".

وأقول: الذي أخبر به القرآن هو أن الناس يرون الجبال جامدة في أماكنها، وهي تمر مر السحاب، ولم تخبر الآية عن دوران الأرض، ولو كان هو المقصود لما كان لذكر الجبال مزية، فكل ما على الأرض يدور معها إذا دارت وتحركت.

**الدليل التاسع:** عدم علم المفسرين القدامى بالحقائق الكونية، جعلهم يخطئون في فهم الآية؛ فقال بعض أصحاب الإعجاز العلمي: "لقد أخطأ المفسرون القدامى عندما اعتبروا هذه الآية إشارة إلى نسف الجبال نسفاً يوم القيامة، وهم معذورون في ذلك؛ لأنهم لم يكونوا على معرفة بأن للأرض حركة ما، لا يومية ولا سنوية، ومن ثم فليس صحيحاً أن يحتج الطاعن بكلام المفسرين في ذلك الوقت، الذي لم يكن لديهم فيه علم بهذه الحقيقة الكونية، وهم في النهاية بشر يؤخذ من كلامهم ويرد"[(١)].

**والجواب عن هذا الدليل كالتالي:**

١- أن مسألة حركة الأرض ودورانها، مسألة تكلم فيها الناس قبل نزول القرآن الكريم، فقد تعرض لها فلاسفة اليونان، قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: "فإن الناس كانوا

---

(١) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ٢٣، والكون والإعجاز العلمي للقرآن، د. منصور حسب النبي ص١٦٧.

يحسبون أن الشمس تدور حول الأرض، فينشأ من دورانها نظام الليل والنهار، ويحسبون الأرض ساكنة.

واهتدىٰ بعض علماء اليونان إلىٰ أن الأرض هي التي تدور حول الشمس في كل يوم وليلة دورة، تتكون منها ظلمة نصف الكرة الأرضي تقريباً، وضياء النصف الآخر، وذلك ما يعبر عنه بالليل والنهار، ولكنها كانت نظرية مرموقة بالنقد، وإنما كان الدال عليها قاعدة أن الجرم الأصغر، أولىٰ بالتحرك حول الجرم الأكبر المرتبط بسيره، وهي علة إقناعية؛ لأن الحركة مختلفة المدارات، فلا مانع من أن يكون المتحرك الأصغر حول الأكبر في رأي العين وضبط الحساب، وما تحققت هذه النظرية إلا في القرن السابع عشر بواسطة الرياضي (غاليلي) الإيطالي"[1].

٢- قولهم: أن المفسرين لم يكونوا علىٰ معرفة بأن للأرض حركة ما، لا يومية ولا سنوية، فالجواب:

أ- أن في هذا القول اتهاماً للمفسرين جميعاً بالجهل، والقصور في العلم.

ب- أن هذا يخالف المنهج العلمي في مناقشة أقوال العلماء، فما ذكره أصحاب الإعجاز العلمي هو تفسير ورأي، وقول في الآية، يقابله رأي وقول لجمهور المفسرين، فهل من المنهج العلمي أن يُختار قول من أقوالهم، وتترك بقية الأقوال، بل وتنسف كلها، ثم ينسب الخطأ للمفسرين جميعاً؟!، ألم يكن من العدل والإنصاف أن يجعلوا ما ذكره المفسرون من معنىٰ في الآية هو اجتهاد منهم؟ ألم يكن يسعهم الاقتداء بسلفهم في الإعجاز العلمي -كما يقولون- من أمثال طنطاوي جوهري ﷺ حيث قال عند تفسيره لهذه الآية: "إن للآية معنيين: معنىٰ يليق بالأمم الإسلامية التي قبلنا، ومعنىٰ يليق بأيامنا، والقرآن يحتمل المعنيين، ولكن الثاني أقرب"[2].

وما أجمل ما قاله الطاهر ابن عاشور ﷺ عندما ذكر قول جمهور المفسرين في الآية، وقولين آخرين لمن خالفهم: "وليس في كلام المفسرين شفاء لبيان اختصاص هذه الآية بأن الرائي يحسب الجبال جامدة، ولا بيان وجه تشبيه سيرها بسير السحاب، ولا توجيه

---

(١) التحرير والتنوير ٢٠/ ٤٩.
(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم ١٣/ ٢٨٣.

التذليل بقوله تعالى: (صنع الله الذي أتقن كل شيء) فلذلك كان لهذه الآية وضع دقيق، ومعنى بالتأمل خليق"[1]

ج- لو سلمنا على قولهم بخطأ المفسرين القدامى- كما يسمونهم - لعدم معرفتهم بأن للأرض حركة ما، لا يومية ولا سنوية، فماذا يقولون في أقوال بعض المفسرين المعاصرين الذين عرفوا أن للأرض حركة يومية وسنوية، ومع ذلك جعلوا الآية من أحداث يوم القيامة عند النفخ في الصور؟[2].

**والخلاصة:**

**أولاً:** أنا لو سلمنا بما قالوه، فالآية تدل على حركة الأرض فقط، أما دورانها حول نفسها وحول الشمس، فهذا مما لا تصريح به في الآية ولا إشارة.

**ثانياً:** أن بعض القضايا العلمية قد تكون صحيحة في ذاتها، لكن الخطأ يقع في كون الآية تدل عليها، وتفسر بها.

**ثالثاً:** هذه الآية فسرها جمهور المفسرين من علماء السلف، واستدلوا بها على ما سيحصل للجبال قبيل يوم القيامة من دمار وبعثرة، بالإضافة إلى الآيات الأخرى التي تصفها بأنها ستكون كالعهن المنفوش، وأنها تبس بساً، وأنها تدك دكاً... إلى آخر تلك الصفات[3].

قال الشيخ محمد الحامد خطيب جامع السلطان بحماة في كتابه (ردود على أباطيل وتمحيصات لحقائق دينية): "لكن قد اقتحم بعض الجُراء على الله هذه اللجة، فزعم أن قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] يدل على دوران الأرض وحركتها، وهو استدلال غير صحيح، وتفسير غير مقبول، وإليك البيان:

أن الاستدلال بهذه الآية الكريمة على حركة الأرض، متوقف على أن لا يكون سباق وسياق يفيدان غير ما يفهم المستدل، ومتوقف أيضاً على أن لا يوجد نص آخر يعترض، وكلا الأمرين موجود ههنا، فالاستدلال إذا غير سليم، والنظر ليس بسديد.

---

(١) التحرير والتنوير٢٠/ ٤٨.

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي ٢٠/ ٤٣، و تفسير الحجرات والحديد، ابن عثيمين ص١٨٠، وتفسير سورة الكهف، ابن عثيمين ص ٨١.

(٣) انظر: التفسير العلمي للقرآن، عبدالله الأهدل ص٨٨، وأسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص٨٨٦.

فإن السباق - وهو أول الكلام - والسياق - وهو آخره - يفيدان أن مرور الجبال مر السحاب، إنما يكون يوم القيامة، إذ أن الآية واردة في وصفه، قال الله تعالى، ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٧-٩٠].

فالآيات في القيامة كما هو ظاهر لا في هذه الدنيا، وكم في الآي من سباق وسياق يتعين بهما معنى لا يمكن المحيد عنه، على أن الله تعالى ذكر سير الجبال يوم القيامة في غير موضع من كتابه الكريم، فقال سبحانه في سورة الكهف الشريفة: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧]

وقال تعالى في سورة التكوير: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ [التكوير: ١-٤]"[(١)].

وعدَّ الشيخ حمود بن عبدالله التويجري رحمه الله ما ذهب إليه أصحاب الإعجاز العلمي من الإلحاد في آيات الله تعالى، ومن تحريف الكلم عن واضعه فقال: "والحق ما ذهب إليه المفسرون، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٧-٩٠].

وأما حمل الآية على ما ذهب إليه أهل الهيئة المتأخرون، فهو من الإلحاد في آيات الله تعالى وتحريف الكلم عن مواضعه، والعجب من الألوسي كيف ذكر هذا القول الباطل، ولم ينبه على بطلانه، وهذا مما يعاب عليه"[(٢)].



(١) نقلاً من كتاب: الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة، حمود بن عبد الله التويجري ص٧٠.
(٢) الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة ص١٣١.

**الآية الخامسة:** قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

يرىٰ بعض أصحاب الإعجاز العلمي أن "الآية بها إعجاز علمي واضح، وإن حاول إخفاءه الطاعنون، فحقيقة البحر المشتعل – المسجور – أصبحت يقيناً ثابتاً"(١).

وقد اختلفوا في سبب تسجير البحار علىٰ ثلاث تصورات:

**التصور الأول:** أنه بسبب الحمم المنصهرة في قاع المحيطات، والتي تشكلت من التهابها وتجمدها سلسة الجبال، والجزر البركانية، ويوم القيامة يزداد اشتعال البحار ثم سيأتي يوم فتنفجر فيه كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

"ومن هنا نكتشف شيئاً جديداً في أسلوب القرآن أنه يستعين بالحقائق العلمية لإثبات الحقائق المستقبلية، فكما أن البحار نراها اليوم تشتعل بنسبة قليلة، سوف يأتي ذلك اليوم عندما تشتعل جميعها ثم تنفجر، وهذا دليل علمي علىٰ يوم القيامة.

لقد قرر كتاب الله تعالىٰ أن قاع البحار مسجرة بالنيران، ولم يكن أحد يعلم قبل ومع نزول القرآن هذه الحقيقة العظمىٰ؛ لأن العقل العربي في ذلك الوقت لم يكن ليستوعب هذه الحقيقة، كيف يكون البحر مسجوراً والماء والحرارة من الأضداد، حتىٰ جاء القرن العشرون وتبين للعلماء تلك الحقيقة"(٢).

وقال د. سليمان الطراونة: "من المعلوم أن القشرة الأرضية تحت البحار هي الأقل سماكة، فلذا عندما تحصل التقلصات المهولة التي تنتج عنها الزلزلة، تتشقق قشرة الأرض تحت البحار والمحيطات، فينفجر القعر مرة واحدة بالحمم البركانية المهولة، التي تفجر البحار وتسجرها بنيران الحمم، التي تضاعف من تشكل الغمام الذي يصعد إلىٰ عنان السماء بالإضافة إلىٰ الدخان المبين من البراكين، قال تعالىٰ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي

(١) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ص٦٠.
(٢) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ٦٠-٦١، وانظر: الإعجاز الكيميائي في الكون، د. محمود حسان ص٧١-٧٣.

ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الدخان: ١٠]"(١).

**التصور الثاني:** أن سبب تسجير البحار هو تخلي الأرض عن جاذبيتها للأشياء والأجسام، فالماء فيما بينه جاذبية لو بطلت لأنقلب الماء إلى نار؛ لأننا نعلم أن الماء يتكون من الإيدروجين والأكسجين، فالإيدروجين شديد الاشتعال عندما يحدث تلاطم، والأكسجين عامل ضروري على الاشتعال، وإذا تحلل الاثنان عن بعضهما البعض حدث التسجير وهو انقلاب الماء نار، وذهب إلى هذا التصور محمد كامل عبدالصمد(٢).

**التصور الثالث:** أن سبب تسجير البحار واشتعالها هو تحول الشمس إلى عملاق أحمر، تصل ألسنته إلى سطح الأرض فتبخر كل المياه عليها، بل وتحلل إلى غازي الإيدروجين المشتعل، والأكسجين المساعد على الاشتعال، فتشتعل الكرة الأرضية بما عليها لتصبح خراباً أو صعيداً جرزاً، واشتعال البحار كلها أمر قائم علمياً عند وفاة الشمس، وذهب إلى هذا التصور د. منصور محمد حسب النبي(٣).

**المناقشة:**

١- ما ذكره الله تعالى من تسجير البحار عند البعث، هو من الأمور الغيبية التي لا يعرف كيفيته أحد إلا الله تعالى.

٢- أن الآية تخبر عن غيب لم يقع، وما ذكروه من تسجير هو مما اكتشفه الإنسان وشاهده، وهو ما يتفق مع معنى التسجير المذكور في الآية من جهة اللغة دون معرفة لحقيقته وكيفيته الواقعة يوم القيامة؛ لأن مواقف يوم القيامة وأحوالها لم يعاينها الإنسان إلى الآن(٤)، وبهذا نعلم خطأ قولهم: "فحقيقة البحر المشتعل – المسجور – أصبحت يقيناً ثابتاً".

قال د. عبدالمجيد المحتسب في سياق نقده لمنهج محمد عبده في تفسيره للآيات المشتملة على المغيبات الماضية أو المستقبلة: "من كل ما تقدم نستطيع أن نقول إن

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٥٧.

(٢) انظر: الإعجاز العلمي في الإسلام ص١٢٠-١٢١.

(٣) انظر: الكون كتاب الله المنظور ص١٥، والكون والإعجاز العلمي للقرآن ص١٨٧.

(٤) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة، د. ناصر بن عبدالكريم العقل ص٣٢٣-٣٢٤.



الشيخ محمد عبده قد خالف منهجه، ومنهج كثير من مفسري السلف، إذ أقحم نفسه في الخوض في الجزئيات والتفصيلات التي أبهمها الله سبحانه في كتابه الكريم، وسبب ذلك سيطرة الناحية العقلية، ومستحدثات العلوم على اتجاهه التفسيري.

ولا جدال في أنه قرأ بعض الكتب في الفلك، فعندما وقف أمام آي القرآن التي تتناول الحديث عن نهاية العالم (الحياة الدنيا)، وتشقق السماء، وتسجير البحار، أخضع مفهوم هذه الآيات لما عرفه عن نظام الجاذبية وتكون المجموعة الشمسية في صور تصل إلى درجة المباهاة بمعرفة علم الكون"[1].

٣- وأما تحول الشمس إلى عملاق أحمر ووفاتها، فقد سبق بيان خطأ هذا القول، والنصوص الصحيحة ترده[2].

٤- أن ما ذكروه هو مجرد إشارات علمية لما سيحدث، ولكنه ليس مؤكداً؛ لأن ما يحدث في المستقبل لا يمكن القطع به، قال ماهر أحمد الصوفي: "هذه الآية قلنا إنها تقدير مستقبلي من الله تعالى عما سيحدث في البحار لحظة قيام الساعة، أو قبلها بقليل، نعم هذه الآية العظيمة ليس فيها سر إعجازي اكتشف أمام أعيننا في هذه الأيام كمعرفة البرزخ في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠]، أو كمعرفة الحاجز والحجر والمحجور في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣]؛ لأن ما سيحدث في آخر الزمان، وقد يكون بعد الآلف الأعوام أو مئاتها أو عشراتها، وذلك في علم الله ﷻ، ولكن هناك إشارات علمية تقول: أن هذا سيحدث في يوم مؤكد الحدوث"[3].

قلت: سيحدث كما أخبر الله تعالى به في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، لا كما يتصوره أصحاب العلم التجريبي.



(١) اتجاهات التفسير في العصر الراهن ص١٣٨-١٣٩.
(٢) انظر: ص٢٨٧.
(٣) الحشر وقيام الساعة ص١١٩-١٢٠، وآيات الله في البحار ص١٣٠-١٣٤.

**الآية السادسة:** قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ [المرسلات: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ [التكوير: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ [الانفطار: ٢].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

ذكر عبدالفتاح صلاح رشاد أن الآيات تذكر صورة من صور الإعجاز العلمي للقرآن حيث أخبرت الآيات عن حقيقة (الثقوب السوداء) هذه الظاهرة الكونية، والتي جاء العلم مؤخراً ليثبت صحة ما قاله القرآن، وذلك أن النجم جرم سماوي مشتعل، ومن مسببات هذا الاشتعال عملية الاندماج النووي التي تحدث داخل جسم النجم، فإذا تحول لب النجم بالكامل إلى حديد فالنجم يسلك مسلكاً من اثنين حسب كتلته الابتدائية؛ فإما أن ينفجر وإما أن يتكدس على ذاته، فإذا تكدس على ذاته بلغ هذا النجم من الكثافة مبلغاً لا يسمح للضوء أن ينفلت من عقاله فلا يرى، ولكنه يمر قبل ذلك بمرحلة الانكدار، ويظل هذا التوهج ينطفئ وينطفئ حتى يختفي النجم بالكامل، وإذا طمس فإنه لا يرى له ضوء على الإطلاق، فيتحول النجم عند ذلك إلى ما يعرف بالثقب الأسود، فتقوم هذه الثقوب السوداء بامتصاص كل مايقع عليها من أجسام أو أجرام سماوية أو غبار كوني وغازات، ومن ثم تمزق كل ذلك وتبتلعه[1].

ووصف د. عبدالعليم خضر طمس النجوم في الآية بأنه (انفجارات نووية)[2].

**المناقشة:**

حمل الآيات على (الثقوب السوداء) غير صحيح لما يلي:

١- أن ما ذكر من تحول للنجوم، وإطلاق اسم (الثقوب السوداء) عليها، قضية لم يحسم أمرها عند أصحاب العلم التجريبي، والملاحظ على أصحاب الإعجاز العلمي، أنهم يأتون بمثل هذه القضايا على أنها مسلمة لا خلاف فيها، وأنها محسومة لا يمكن أن يرجع عنها[3].

قال سعيد حمود اليامي: "لا يوجد مكان في الكون يعرف بأنه ثقب أسود على وجه

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٩٤-٩٦، وانظر: الموسوعة الكونية الكبرى، د. ماهر الصوفي ص١٨٣، والكون والإعجاز العلمي للقرآن، د. منصور حسب النبي ص٢٩٠-٢٩٦، وتفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٤/ ٣٤٩-٣٦٢.

(٢) انظر: الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم ص٣٣٨-٣٣٩.

(٣) انظر: الإعجاز العلمي إلى أين، د. مساعد الطيار ص٦٣-٦٤.

التأكد حتى وقت كتابة هذا البحث، وكل ما لدينا هو أماكن متناثرة في مجرات بعيدة يرشح العلماء أنها ثقوب سوداء"[١].

بل صرح د. مروان وحيد شعبان، وهو من المهتمين بالإعجاز العلمي، أن التصور عن الثقوب السوداء هو تصور نظري وتخيلي حيث قال: "أما عن ماهية الثقب الأسود وطبيعته، فقد وضع العلماء تصوراً نظرياً عن الثقوب السوداء وتخيلات نسجوها من خلال ما توفر لديهم من معلومات مجردة حولها"[٢].

٢- أن ما تصور من تغيرات تصيب النجوم باسم (الثقوب السوداء) هي أمور تقع لها في الدنيا، بدليل أنه تم رصدها بناءًا على قول أصحاب الإعجاز العلمي، وأما ما ذكره الله تعالى من تغيرات للنجوم، فهو من أحداث يوم القيامة الذي لم يأت بعد، ويدل لذلك سياق الآيات، وما يحدث يوم القيامة من الغيب الذي لا يعلم كيفيته إلا الله تعالى، ونحن لا نعلم شيئاً من ذلك إلا بخبر منه تعالى، أو خبر من رسوله ﷺ.

٣- أن معاني هذه الآيات هي مما أجمع عليه المفسرون، وقد يختلفون في معناها، إلا أنه من اختلاف التنوع الذي يرجع إلى معنيين غير متضادين، ويجوز أن يرادا في الآية، ويكون سببُ الاختلاف الاشتراك اللغوي في اللفظ، فمعنى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾: أي تناثرها وتغيرها[٣]، ومعنى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾: أي ذهب ضياؤها، فلم يكن لها نور ولا ضوء[٤]، ومعنى: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾: أي تساقطها وتفرّقها[٥]، ولم يتكلف العلماء ذكر كيفية الانكدار، والطمس، والانتثار، بأكثر مما دلت عليه لغة العرب التي أنزل بها القرآن الكريم.



(١) بحث: دلالات السياق القرآني على وجود الثقوب السوداء، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي www.eajaz.org

(٢) الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي ص١٩٩، وانظر: الكون والثقوب السوداء، رؤوف وصفي.

(٣) قولان للمفسرين، وليس بينهما تضاد، فالثاني من لوازم الأول. انظر: تفسير جزء عم، د. مساعد الطيار ص٦٤.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٣/ ٥٩٠، وزاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ٣٨٣، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٤٨٩، وفتح القدير، الشوكاني ٥/ ٤٣١.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٤/ ١٧٤، وزاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ٤١٠، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٩/ ٢٤٤، وفتح القدير، الشوكاني ٥/ ٤٧٨.

**القسم الثالث: تكييف ما يكون من أحداث يوم القيامة.**

**الآيــة الأولى:** قــال الله تعــالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

حمل د. خالد فائق العبيدي لفظ (الحديد) في الآية على ثلاث احتمالات:

**الاحتمال الأول:** أن المـراد بـه الحديـد المعـروف في الـدنيا، والـذي مـن صـفاته الامتصاص الشديد للأشعة الموجبة الصوتية منها أو الضوئية، وعدم عكسها وتشتيتها إلا بنسب قليلة جداً، وبناءاً على هذا فمعنى الآية:

أن البصر يوم القيامة يصبح قادراً على أن يرى كل أنواع الضوء، وتنفتح آفاقه لتشمل كل الإشعاعات الموجبة[1] فـ" أصبح حديداً فعلاً من شدة تشبهه لصفات الحديد الماصة للإشعاعات وعدم انعكاسها، فالتشبيه هنا تعدى مرحلة (المثل)[2] و (الكاف)[3] إلى مرحلة الدخول بالشيء المشبه به دخولاً يجعل المشبه مساوياً لحالة المشبه به تساوياً كاملاً بالصفات والأعراض.

وهكذا لا حظنا أن الثابت القرآني الشامل لهذا الموضوع متطابق مع ما توصل إليه العلم في موضوع إمكانية الحديد الامتصاصية للإشعاع.

وعلى اعتبار أن صفة النفاذ موجودة في الحديد فإن التطابق العلمي والرقمي جاء مع المعنى اللغوي والله أعلم"[4].

والمعنى اللغوي هو: "أن (حديد) في الآية المباركة لغة تعني حدة البصر، أي البصر حاد ثاقب... وكلمة (حديد) مشتقة صرفاً من الحدة، وهو نفس الاشتقاق اللغوي لكلمة معدن (الحديد)"[5].

---

(١) علوم الهندسة الضوئية اللونية والبصرية في القرآن والسنة ص٣٧٠.
(٢) المذكور في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧].
(٣) المذكور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].
(٤) علوم الهندسة الضوئية اللونية والبصرية في القرآن والسنة ص٣٧٠-٣٧٢.
(٥) المرجع السابق ص٣٦١.

وبناءاً على هذا المعنى اللغوي رأى الدكتور أنه يمكن حمل كلمة حديد في الآية على جميع المعادن التي بمرتبة أعلى في امتصاص الإشعاعات، لكنه اكتفى بما توصل إليه من ثابت إشعاعي متطابق مع تسلسل كلمة حديد في الآية(١).

**الاحتمال الثاني:** أن لفظ (الحديد) هو تعبير عن طبيعة الروح، قال: "تدبر قوله تعالى في سورة ق: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ [ق: ٢٢].

وهذا يعني فترة تحرر الروح من الجسد، والبصر هو موجات ضوئية، وربما والله أعلم تعبر كلمة حديد عن طبيعة الروح من خلال هذا التعبير موجات كهرومغناطيسية تدرك ما لاتدركه أبصارنا العادية، وإلا كيف يمكن للمحتضر أن يرى ما لا يراه غيره من الذين حوله؟ ، ولماذا نفسر التحسس الآني الدقيق لبعض الناس لحظة موت عزيز عليهم رغم المسافة الشاسعة التي تباعدهم، وهذا ما حصل لكثيرين، إنه القرآن الذي يعلمنا بعض أسرار الوجود، والله تعالى أعلم"(٢)

**الاحتمال الثالث:** أن المقصود بالخطاب في الآية هو شخص الرسول ﷺ، أي جعلنا بصرك ثاقباً لتميز الكفار، أو هو بصيرة القلب، وأيد هذا الاحتمال بما يلي:

١) قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧] فالمقصود بالبصر هنا البصر الخارق، الذي استطاع به الرسول ﷺ رؤية الملائكة، وعجائب الأمور في الإسراء والمعراج(٣).

٢) أن هذا قول أحد التفاسير.

٣) أن الرسول ﷺ كان يتمتع ببصر له مميزات منها:

- كان يرى من ورائه، فكان يرى المصلين من ورائه.
- كان يرى بالليل كرؤيته بالنهار، فهو يتفوق على المناظير الليلية.
- كان يرى الجن والملائكة.

---

(١) انظر: السابق ص٣٧٣.
(٢) السابق ص٣٧١.
(٣) السابق ص ٣٧٩.

◊ كان يرى الأشعة فوق البنفسجية؛ لأن طاقة الملائكة طاقة نورانية أكبر من الطاقة الحرارية وتحت الحمراء.

◊ كان له قابلية رؤية أحداث زمنية مستقبلية في أماكن أرضية وفضائية[(١)].

ثم ربط بين بصر الرسول ﷺ الذي وصفه بهذه الصفات، وبين البصر الحديد لسائر الناس يوم القيامة فقال: "وكأن بصر الرسول ﷺ هو نفسه بصر أي شخص منا بعد الممات؛ أي: بصر حديد قوي ونافذ، وهو ليس بصر الجسد الحي الضعيف كما بين لنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فعن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: (إن الروح إذا قبض تبعه البصر...)[الحديث][(٢)]... فالروح إذن مفصولة عن البصر، ويتبعها البصر أين ما ذهبت، وكأنه جهاز مستقل بذاته، والبصر هنا هو البصر الخارق (حديد) مكشوف عنه الغطاء"[(٣)].

**المناقشة:**

١- الآية جاءت في سياق ما يحصل يوم القيامة، ولذا قال تعالى قبلها: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ [ق: ١٩-٢١].

٢- اشتمل كلام الدكتور على مصطلحات علمية دنيوية نسبها إلى يوم القيامة، ولم يرد لها ذكر في الآية؛ كالإشعاعات الموجبة، والموجات الضوئية.

٣- أن الاتفاق في أصل اشتقاق كلمة (الحديد)، لا يلزم منه التطابق في المعنى، فلكل كلمة سياقها الذي يتضح المعنى به، وسياق الآية هنا لا يحتمل غير معنى الحدة في البصر، قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "وهو من قولهم: فلان بصير بهذا الأمر: إذا كان ذا علم به، وله بهذا الأمر بصر: أي علم"[(٤)].

---

(١) انظر: السابق ص ٣٧٣-٣٧٨.
(٢) رواه مسلم ٢/ ٦٣٤ (٩٢٠).
(٣) علوم الهندسة الضوئية اللونية والبصرية في القرآن والسنة ص٣٧٨.
(٤) جامع البيان ٢١/ ٤٣٥، وانظر: معالم التنزيل، البغوي ٧/ ٣٦٠، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٥/ ١٦٢، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٧/ ١٥، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢٤١، والكشاف، الزمخشري ٤/ ٣٨٦، وزاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ١٦١.



وقال الإمام ابن قتيبة ﷺ: "(فبصرك اليوم حديد) أي حاد؛ كما يقال: حافظ وحفيظ"[(١)]، وقال الراغب الأصفهاني ﷺ: "والحديد معروف، قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، وحددت السكين: رققت حده، وأحددته: جعلت له حداً.

ثم يقال لكل ما دق في نفسه من حيث الخلقة، أو من حيث المعنى كالبصر والبصيرة حديد، فيقال: هو حديد النظر، وحديد الفهم، قال ﷻ: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، ويقال: لسان حديد، نحو: لسان صارم، وماض، وذلك إذا كان يؤثر تأثير الحديد، قال تعالى: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩]"[(٢)].

ويؤكد هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]

٤- دعواه أن الحديد قد يكون تعبيراً عن طبيعة الروح، دعوى باطلة، يردها قول الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]

وقد اعتبر د. خالد كلامه عن الروح وقفات تأملية لمقاصد القرآن العظيم ودلالاته العلمية العميقة، ولا يقصد الدخول في تفسير طبيعة الروح وما هيتها[(٣)].

وحقيقة الأمر أن ما ذكره هو تفسير لطبيعة الروح، وإلا فمن أين له أنها موجات كهرومغناطيسية؟!.

٥- قوله أن المقصود بالبصر في قوله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم: ١٧]، هو البصر الخارق الذي استطاع به الرسول ﷺ رؤية الملائكة، وعجائب الأمور في الإسراء والمعراج، قول يخالف ظاهر الآية، وما اتفق عليه المفسرون من أن معناها كما قال الإمام ابن جريرالطبري ﷺ: "ما مال بصر محمد يعدل يميناً وشمالاً عما رأى، أي

---

(١) غريب القرآن ص٤١٩.
(٢) المفردات في غريب القرآن ص٢٢٢.
(٣) علوم الهندسة الضوئية اللونية والبصرية في القرآن والسنة ص٣٧١.

ولا جاوز ما أمر به قطعاً، يقول: فارتفع عن الحد الذي حد له"[١].

وقال الزجاج ﷺ: "أي ما زاغ بصر رسول الله ﷺ وما طغىٰ، ما عدل ولا جاوز القصد في رؤيته جبريل قد ملأ الأفق"[٢].

٦- لم يسم الدكتور التفسير الذي نسب الخطاب في الآية للنبي ﷺ.

وبعد بالرجوع إلىٰ كتب التفسير تبين أن الدكتور حمل قول بعض التابعين في الآية علىٰ غير مقصدهم، قال ابن زيد: هو للنبي ﷺ خاصة أي: كنت مع القوم في جاهليتهم فهديناك إلىٰ الإسلام، وأعلمناك ما يراد بك فكشفنا عنك الغطاء الذي كان عليك في الجاهلية[٣].

وفرق بين قول ابن زيد، وبين ما زعمه الدكتور من أن النبي ﷺ أزاح الله عنه الغطاء ليرىٰ كل شيء.

٧- قول الدكتور: "أن بصر أي شخص بعد الممات سيكون مثل بصر النبي ﷺ"، قول يفتقر إلىٰ دليل، فلم يرد لذلك ذكر في الآية.

٨- ما ذكره من مميزات لبصر الرسول ﷺ -إن ثبت- فهو من خصائص النبوة[٤] التي لا يشاركه فيها أحد من البشر، قال الإمام ابن الملقن ﷺ: "قوله: (إني لأراكم من وراء ظهري) الظاهر أن هذا من خصائصه، وأنه زيد في قوة بصره حتىٰ يرىٰ من ورائه"[٥]، وقال الإمام النووي ﷺ: "قال العلماء: معناه أن الله تعالىٰ خلق له ﷺ إدراكاً في قفاه، يبصر به من ورائه، وقد انخرقت العادة له ﷺ بأكثر من هذا، وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع، بل ورد الشرع بظاهره فوجب القول به، قال القاضي: قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالىٰ: وجمهور العلماء هذه الرؤية رؤية بالعين حقيقة"[٦].



(١) جامع البيان ٢٢/ ٤٣.
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٧٢.
(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢١/ ٤٣٤، وزاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ١٦١.
(٤) انظر: دلائل النبوة، إسماعيل الأصبهاني ص٥٤، وإكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢/ ٣٣٧
(٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٥/ ٤٢٤.
(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٤/ ١٤٩-١٥٠.

**الآية الثانية:** قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

قرر د. خالد فائق العبيدي أن ما ذكر في الآية سيحصل في الآخرة، وأن علمه عند الله تعالى، وجعل ذلك من طاقات خارج حدود التصور.

ولكنه لم يلتزم بما قرره، بل أخذ يبحث في ماهية السور الذي يُضرب به بين المؤمنين والمنافقين، ويتلمس بعض الاستنتاجات في ذلك، ومنها[1]:

١) أن السور يمكن أن يكون من حديد؛ لأن الآية الكريمة جاءت في سورة الحديد.

٢) أن عرض هذا السور بعرض السموات والأرض؛ لأن الله وصف الجنة في سورة الحديد بأن عرضها كعرض السماء والأرض.

٣) أن المتدبر للمسألة يجد أن هذا السور سيكون له أبعاد هندسية رهيبة، سواء كان من حديد أو من مادة أخرى.

٤) أن لنا أن نتخيل عظمة وزنه، وحجمه، وهيئته، وارتفاعه، قال: "ولكن المتأمل يخيب تفكيره، ويحار عقله، ويرتد بصره خاسئاً ألف مرة، في تصور عظمة ذلك الموقف، وهندسته المعمارية والمدنية الإنشائية المعجزة في مفهومنا الدنيوي، ومحدودية عقولنا القاصرة، ولايملك إلا أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك لاإله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك"[2].

٥) استنبط الدكتور من قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾: أن الفاء تفيد التتابع دون فترة زمنية، ويعني هذا أن السور _ والله أعلم _ قد تحرك بعد انتهاء هذه المحاورة بين الفريقين بشكل سريع جداً، أو قد يكون نزل من أعلى، أو صعد من أسفل، والله أعلم ليحجز بين الفريقين بشكل فوري، قال: "ويتدبر ذلك الحجم المهول، والوزن الهائل، والوصف المرعب لهذا السور العظيم، الذي يقف أمامه سور الصين العظيم كالنقطة أما البحر المحيط، نتساءل كيف يمكن لهذا السور العملاق أن يتحرك بهذه السرعة المذهلة...ترى ما هي الطاقة

(١) انظر: علوم الهندسة الميكانيكية ص٨٢-٨٤.

(٢) المرجع السابق ص٨٤.

الميكانيكية التي تحرك هذه الأورزان الهائلة، كل تلك المسافات الشاسعة، التي تتعدىٰ مفهوم مسافاتنا الأرضية إلىٰ مسافات الكون العميق؟! فسبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، ومداد كلماته، اللهم لا علم إلا علمك، ولا هندسة إلا هندستك(١)، وما نحن إلا محاكون لعظمة خلقك، تباركت يا أحسن الخالقين"(٢).

**المناقشة:**

١- أن ما سيحصل في الآخرة من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالىٰ، وهذا ما قرره د. خالد كما سبق(٣)، ولو وقف الدكتور عند هذا لكان سائراً علىٰ المنهج الصحيح في التعامل مع الغيبيات، ولكنه أعمل مخيلته في تصور كيفية السور الذي يضرب به بين المؤمنين والمنافقين.

٢- أن ما ذكره من صفات للسور لا دليل عليها من القرآن أو السنة، فكيف علم أن للسور أبعاداً هندسية رهيبة؟ ومن الذي أطلعه علىٰ عظم وزنه، وحجمه، وهيئته، وارتفاعه؟ وكيف عرف أن الذي يحرك السور هو الطاقة الميكانيكية؟ ومن أين له كونه من حديد؟ وأن عرضه كعرض السماوات والأرض؟ والله ﷻ لم يذكر في الآية إلا لفظ (السور) ولم يصفه بشيء من هذه الأوصاف.

وأما استدلاله علىٰ عرض السور، وأنه من حديد بآية سورة الحديد، فغير صحيح؛ لأن الوصف الوارد في السورة هو للجنة وليس للسور، قال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، وجاء في سورة آل عمران وصف الجنة بذلك فقال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

٣- لقد غلب علم الهندسة علىٰ الدكتور حتىٰ وصف ربه بالهندسة فقال: "اللهم لا علم إلا علمك ولا هندسة إلا هندستك"، ووصف دنو ثمار الجنة فقال: "ترىٰ كيف

---

(١) لفظ الهندسة ليس من أسماء الله ولا من صفاته، ولم يرد بذلك دليل من القرآن أو السنة.
(٢) السابق ص ٨٤.
(٣) السابق ص٨٦.

يمكن أن يكون ذلك فيزيائياً وهندسياً؟!، كيف تتحرك تلك الثمار طواعية بمجرد أن ينظر إليها أولئك المكرمون...ما هي الطاقة المحركة لها، إنها فيزياء الآخرة العجيبة وهندستها المعمارية والميكانيكية والوصفية الرائعة التي لا يمكن لبشر أن يتخيلها فضلاً عن أن يأتي بمثلها، وكيف لا، فهي الجنة التي أعدها الله لعباده وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما أنبأ المصطفى عليه الصلاة والسلام"[١]، وجعل نفسه محاكياً لعظمة الله تعالى فقال: "وما نحن إلا محاكون لعظمة خلقك، تباركت يا أحسن الخالقين"[٢].

٤- أن المفسرين مجمعون أن المراد بالسور هو: الحاجز بين الجنة والنار، ولم يخوضوا في صفاته؛ لأنه من الغيب الذي لم ترد النصوص بوصفه.

قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "فضرب الله بين المؤمنين والمنافقين بسور، وهو حاجز بين أهل الجنة وأهل النار، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"[٣].

وقال الإمام ابن كثير ﷺ: "وإنما المراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة"[٤].

وقال بعد أن صحح القول بأن السور هو حائط بين الجنة والنار: "وما وري عن عبدالله بن عمرو وكعب الأحبار عن كتب الإسرائيليين أنه سور بيت المقدس ضعيف جداً، فإن كان أراد المتكلم بهذا الكلام ضرب مثال، وتقريباً للمغيب بالشاهد فذاك، ولعله مرادهم والله أعلم"[٥].



(١) علوم الهندسة الميكانيكية ص٨٦.
(٢) المرجع السابق ص٨٤.
(٣) جامع البيان ٢٢/ ٤٠١، وانظر: زاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ٢٣٤، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٥/ ٢٦٢، ومعالم التنزيل، البغوي ٨/ ٣٦، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي ٢/ ٣٤٥، والكشاف، الزمخشري ٤/ ٣٧٦، وتفسير المراغي ٢٧/ ١٧٠، وفتح القدير، الشوكاني ٥/ ٢٠٤.
(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٣١.
(٥) البداية والنهاية ٢٠/ ٨٧-٨٨.

**الآية الثالثة:** قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٧-٩]، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ١٨-٢٠].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

حمل د. خالد فائق العبيدي كلمة (مرقوم) في الآية على رقمية عصرنا المعلوماتي الإلكتروني، واعتبر ذلك سبقاً علمياً للقرآن الكريم، فبعد أن نقل بعض أقوال المفسرين في معنى كلمة (مرقوم) وأنها بمعنى مكتوب، واستنتج من كلامهم أن كلمة (مرقوم) صفة للكتاب بين أنه "يحمل معاني وصفات منها: أنه مكتوب بشيء من الترتيب والاعتناء، والتفصيل والزخرفة، والهندسة والتجميل، والتبيان، والإحصاء والعدد، وبالتالي فالوارد للذهن للمتلقي أن كل واحد من الناس له عد، وإحصاء، وترتيب، في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٩٤]، وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]"[(١)].

ثم قال موضحاً صفة هذه الكتابة: "ولو تدبرنا هذا المعنى جيداً للكلمة الصفة (مرقوم)، نجد أن من معانيها ما يعطي معنى الكتابة المنتظمة بحرف، أو زخرفة، أو تخطيط، أو رقم، أو ترتيب هندسي، أو رياضي معين، وهذه هي فكرة الكتابة الرقمية المعتمدة في الهندسة الضوئية والصوتية، أو ما يعرف بالرقمية، والترقيم، والعد الرقمي"[(٢)].

ثم ربط هذه الصفات بالكتاب الذي تدون فيه تفاصيل أعمال العباد فقال: "والمعنى العام المفهوم للسياق، هو أن لكل واحد منا يوم القيامة كتاب، مدون فيه تفاصيل عمله وما قدم، وهذا الكتاب كالبصمة الوراثية، أو بصمة الأصبع، أو بصمة العين، لا يخطيء صاحبه، وقد يكون فيه من الترتيب، والتفصيل، والفهرسة، والترقيم، ما يجعله بمثابة الملف الشخصي المتكامل، الذي يدون فيه حتى حديث النفس"[(٣)].

ثم بين أن هذا الكتاب الشامل المتناسق في محتواه، والذي مسجل فيه كل شيء،

---

(١) علوم الهندسة الكهربائية والإلكترونية في القرآن والسنة ص١٤٦.
(٢) المرجع السابق ص١٤٦.
(٣) السابق ص١٤٦-١٤٧.

والذي سيشهد على صاحبه، كل ذلك يناسب ما نجده اليوم من رقمية العصر، وأجهزته النسخية، والتصويرية، والمرقابية، وغيرها.

قال: "فلو أردنا أن نترجم كلمة (مرقوم) إلى الإنكليزية فلن نجد غير مفردة (digital) كي تلائم المعنى، فسبحان الذي جعل لكل شيء قدراً"[1].

ثم أورد د. خالد اعتراضاً قد يطرحه بعضهم فقال: " قد يقول البعض: إن في الأمر تكلف، إذ لا مناسبة بين موضوع رقمية العصر، مع كُتب يوم الحساب المرقومة المكتوبة، المعدة لكل واحد منا، أكان من أهل الجنة وفريق عليين، نسأل الله أن نكون منهم، أم من أهل النار وفريق سجين، والعياذ بالله"[2].

ثم أجاب عن هذا الاعتراض بقوله: "إن الأمر لو أخذ من باب فهم المعنى لوقت نزول القرآن الكريم حسب، دون أثره على كل جيل، فإن الأمر سيكون غير مفهوم بل مستهجن، ولكن لو اتسع تفكيرنا؛ لتمكنا من استيعاب احتمالية تلميح القرآن لأمر ما سيكون بعد نزوله، بكل هذا الزمن الطويل، وفق مفهومنا البشري، كي نستوعب معنى قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧]، والله تعالى أعلم"[3].

**المناقشة:**

١- الآية تتحدث عن أمر غيبي وهو الكتاب الذي رقمت فيه أعمال الفجار وأعمال الأبرار، ولا طريق لمعرفة صفاته إلا بخبر من الوحي، ولم تذكر الآية شيئاً من الصفات التي ذكرها الدكتور، من الزخرفة، والهندسة، والتجميل، وغيرها.

٢- أن ما ذكره من صفات للكتاب المرقوم هي للتقنية الحديثة، وليست وصفاً للكتاب المرقوم الذي ذكره الله في الآية.

٣- أن معنى كلمة (مرقوم) يدور معناها في اللغة على: الكتابة، وبيان حروفها، بعلاماتها من التنقيط، قال ابن فارس ﷺ: "الراء والقاف والميم، أصل واحد يدل على خط وكتابة وما أشبه ذلك، فالرقم: الخط، والرقيم: الكتاب، ويقال للحاذق في صناعته: هو يرقم في الماء، قال:

سأرقم في الماء القراح إليكم     على نأيكم إن كان في الماء راقم[4]

---

(١) السابق ص١٤٧.

(٢) السابق ص١٤٨.

(٣) السابق ص١٤٨.

(٤) البيت لأوس بن حجر، انظر ديوانه ص ١١٦.

وكل ثوب وشي فهو رقم، والأرقم من الحيات: ما على ظهره كالنقش، قال الخليل بن أحمد: الرقم تعجيم الكتاب، يقال كتاب مرقوم، إذا بينت حروفه بعلاماتها من التنقيط"[١].

٤- أن كل ما ذكره من هندسة إلكترونية وحاسوبية، وضوئية وصوتية ورقمية، وهندسة الاتصالات، والعد الرقمي وغيرها، هو من عالم الشهادة، ومما علَّمه الله تعالى للإنسان كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤-٥]، ولا يصح أن يجعل ما وصل إليه علم الإنسان القاصر، تفسيراً لأمر غيبي لم يُطلع الله عليه أحداً.

٥- أن المفسرين اتفقت كلمتهم على أن مرقوم بمعنى مكتوب، وزاد بعضهم: أي مفروغ منه، لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد، ولا يزول رقْمُهُ كما لا يزول الخيط الذي على الثوب[٢]، ولم يخوضوا في تفاصيل هذا الكتاب، وصفته، وهيئته، وشكله، لعلمهم أنه من الغيب[٣].

٦- وأما ما أورده من اعتراض فهو الصواب، فليس هناك مناسبة بين موضوع رقمية العصر مع كُتب يوم الحساب المرقومة المكتوبة.

٧- وأما قوله في جواب الاعتراض: "إن الأمر لو أخذ من باب فهم المعنى لوقت نزول القرآن الكريم حسب، دون أثره على كل جيل **فإن الأمر سيكون غير مفهوم بل مستهجن**" فهو قول غير صحيح، فمعنى الآيات مفهوم، وواضح غاية الوضوح، وليس فيه ما يُستهجن، وإنما المستهجن أن تُحمَّل ألفاظ القرآن من المعاني مالا يحتمله وضعها الشرعي واللغوي.

**ثم إنه يلزم من قوله:** "أن الآيات لم يُفهم معناها إلا في عصر الهندسة والمعلومات الرقمية الإلكترونية"، اتهام الصحابة ﷺ ومن بعدهم بعدم فهم معنى الآيات، وعلى اعتبار أنهم فهموا شيئاً من معناها، فإن ما فهموه مستهجن وغير مقبول كما ذكر الدكتور.



(١) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٤٢٦، وانظر: لسان العرب، ابن منظور ١٢/ ٢٤٨، وتاج العروس، الزبيدي ٣٢/ ٢٧٢، وتهذيب اللغة، الأزهري ٩/ ١٢٢.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٥١٨، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ص٩١٥، وتفسير جزء عم، ابن عثيمين ص٩٨، وتفسير جزء عم، د. مساعد الطيار ص٨٧.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٤/ ٢١١،١٩٧، ومعالم التنزيل، البغوي ٨/ ٣٦٤، والكشاف، الزمخشري ٤/ ٧٢١، وزاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ٤١٥.

**الآية الرابعة:** قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

اختلف أصحاب الإعجاز العلمي في المراد بالآيات، أين تسجل الأعمال التي ستتحدث الأرض بها؟ وكيف يتم إحضارها؟ ومن أين؟ وكيف تشهد أعضاء الإنسان؟ وقد أجابوا عن ذلك بثلاثة أجوبة:

**الجواب الأول:** أن الأعمال مسجلة في الكون، وصفحة الوجود، وقال بهذا القول:

١- الشيخ عبدالمجيد الزنداني حيث قال تحت عنوان (الاحتفاظ بالأعمال للنظر فيها): "لقد ثبت أخيراً ثبوتاً قاطعاً، أنه ما من صوت من الأصوات، ولا عمل من الأعمال، ولا حركة من الحركات، إلا وهي مسجلة في سجل الكون، ومدونة في كتاب الوجود، فليس شيء منها ضائعاً، ولا يمكن لشيء منها أن يزول.

ولقد صُنِعَت آلة تصوير حديثة، تمكن بها الباحثون أن يصوروا أحداثاً بعد ساعة من وقوعها، ولقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ١-٨]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فقال: (أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا قال: فهذه أخبارها)[1].

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١٤/ ٤٥٥ (٨٨٦٧)، والبيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٤٢١ (٦٩١٥).

وإذا كان الباحثون في هذا الزمان، قد اكتشفوا أن كل عمل محفوظ مسجل على صفحة الوجود، فلماذا سُجِّلَت الأعمال إذن؟ ألا تجد العقول جواباً إلا أن تقول سُجِّلَت الأعمال لإعادة عرضها، ولكنا لا نرى الإعادة في الدنيا! ، إذاً لا بد أن العرض سيكون بعد هذه الحياة كما نطق الكتاب، وقال المرسلون"[١].

٢- محمد كامل عبدالصمد حيث قال: "إن هذه الآيات وغيرها تؤكد أن أعمال الإنسان سوف تجسد يوم الحساب وتستحضر، ولذا كانت كيفية التجسد مجهولة، فحسبنا أن نؤمن بحتمية الاستحضار، وأن نقف إجلالاً وإكباراً لهذه الحقيقة الكونية، وهي عودة أفعال الإنسان بأحداثها، وظروفها، وأشخاصها، طبقاً لبعض الاجتهادات العلمية المتقدمة في هذا المجال.

لقد تحدث العلماء طويلاً في هذا الصدد، وأجريت تجارب عديدة في اكتشاف بعض الأحداث، وكيفية بقاء الأفعال، وأثرها في الغلاف الجوي، ولندع العلماء يتحدثون في هذه المسألة.

يقول العالم الكيميائي موريسون: (إن العلم الحديث أثبت أن الأصوات لا تفنى، وتتبدل ولا تتغير، والصوت يُحدث موجات أثيرية، تظل في الهواء، ويمكن التقاطها كما هو الشأن في الإذاعة، ويؤكد العلم الحديث، أن جميع الأعمال التي يباشرها الإنسان تصدر عنها اهتزازات حرارية، تظل موجودة في الفضاء، تعكس صورة العمل، ومن الممكن تجميع هذه الصورة في أي لحظة، وقد نشرت الصحف الأمريكية، صورة التقطها العلماء بأجهزة تصوير خاصة لمكان خال، فظهرت في الصورة سيارة كانت موجودة قبل التصوير بمدة تقرب من ساعة، بل مما يثير الدهشة أنه أمكن بملاحظة درجات لون السيارة، معرفة السرعة التي نسير بها، **ومازالت الأبحاث جارية في هذا المجال**"[٢].

واعتبر محمد كامل عبدالصمد ما تقدم من الإعجاز العلمي فقال: "إن هذا التقدم العلمي تأكيد للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ولا سيما بعد محاولات العلماء في إعادة الصوت أو الحدث، وبعد قولهم: إن كل كلمة أو فعل له أثر في غلاف الجو، مما يبرز الحقيقة الكائنة التي أكدت عليها الآيات، وهي أن الأعمال يمكن أن تعاد تماماً،

(١) كتاب توحيد الخالق ص٢٨٩.
(٢) الإعجاز العلمي في الإسلام ص٣٥٩-٣٦١.

وأن الأحداث يمكن أن تشاهد بأشخاصها"[(١)].

**الجواب الثاني:** أن الذي يشهد على الإنسان هي خلايا الجسم، فإن لكل خلية قدراً من الوعي والإدراك

وقال بهذا د. زغلول النجار، فقد ذكر من فوائد التفسير العلمي لسورة (يس): "شهادة الأيدي والأرجل على أصحابها يوم القيامة، والعلوم التجريبية تثبت أن لكل خلية قدراً من الوعي والإدراك، والقدرة على استيعاب المعلومات وتخزينها"[(٢)]

وعلى نفس المعنى حمل د. إبراهيم سليمان عيسى قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] على الجهاز العصبي المركزي الذي يتكون من المخ والحبل الشوكي، وهو جهاز تسجيل خاص بالإنسان حيث قال: "وإنني كلما أمعنت التفكير في الجهاز العصبي المركزي، الذي يتكون من المخ والحبل الشوكي، أدرك على الفور أن الله يخلق كل فرد من بني آدم، ومعه جهاز تسجيل خاص به، وهو جهاز تسجيل ذاتي..."

ثم يقول: "وعلى هذا إذا ما تدبرنا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، إذا تأملنا ذلك بعمق، لو جدنا أنه لايمكن بحال من الأحوال، أن يوجد جهاز خارجي مهما بلغت دقته، يستطيع أن يعلم وسوسة النفس، ونوازع الفكر، ودواخل الصدور.

وقد سبق القول في هذا الحديث، أن قدرة الله تتمثل في كل خلية، فهو سبحانه الموجه لها، ومن ثم يصبح أقرب من حبل الوريد، ويصبح بتوجيهه لخلايا المراكز الحسية وغيرها، قادراً على أن يعلم السر وأخفى؛ لأنه موجود في كل خلية"[(٣)]

**الجواب الثالث:** أن الذي يشهد يحتمل أن تكون الخرائط الجينية للإنسان.

قال عقيد عبدالله محمد اليوسف: "انطلاقاً من فكر نير، وقلب عامر بالإيمان الخالص لله وحده، فإنه لا بد من تدبر العواقب، ويلاحظ المتمعن لآيات الله، أن لها

---

(١) المرجع السابق ص٣٦١.

(٢) تفسير الآيات الكونية ٣/ ١٣٠.

(٣) مقال: رؤية إسلامية لبعض الحقائق العلمية، مجلة التربية، قطر، العدد الخامس بعد المائة، السنة الثانية والعشرون عام ١٩٩٣م، ص٢٢٤-٢٢٥.

أنظمة مختلفة لكيفية الحساب، ومن هذه الأنظمة استنساخ ما يفعله الإنسان من خير أو شر في هذه الدنيا، قال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

والوجه الآخر للحساب هو الشهادة الذاتية لجوارح العبد علىٰ أفعاله في حياته، كما جاء في القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] **فهل تشهد علينا خرائطنا الجينية يوم القيامة؟**

إنها علامات استفهام كبرىٰ، ستبقىٰ معلقة عند من خلق السماوات والأرض، بعيدة عن منال الإنس والجن، مهما أوتوا من قوة"[١].

**المناقشة:**

**أولاً:** ما ذكره الشيخ عبدالمجيد الزنداني، ومحمد كامل عبدالصمد، مجانب للصواب، ويتبين ذلك من خلال ما يلي:

١- أن قولهم هو مجرد ادعاءات، لم يذكروا لها مستنداً، أو مرجعاً علمياً، وقد اكتفىٰ الزنداني بوصف ذلك بـ قوله: "ثبت أخيراً ثبوتاً قطعياً"، ومحمد كامل عبدالصمد نقل عن (موريسون)، والذي اعتمد علىٰ مانشرته الصحف الأمريكية، وهل الصحف مرجع علمي في مثل هذه القضايا؟!

٢- ما هو الدليل الشرعي، أو العلمي التجريبي، أن كل صوت من الأصوات، وكل عمل من الأعمال، وكل حركة من الحركات، مسجلة في سجل الكون، مدونة في كتاب الوجود؟ وأنها ستعاد منه بعد هذه الحياة؟

٣- أن الذي دلت عليه آيات القرآن وأحاديث السنة النبوية، أن كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الله السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ومنها أصوات وحركات العباد وأعمالهم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه علىٰ الماء"[٢].

---

(١) البصمات إعجاز وتحدي، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٥-٦.
(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٠٤٤ (٢٦٥٣).



٤- أن قوله: "ما من صوت من الأصوات، ولا عمل من الأعمال، ولا حركة من الحركات، إلا وهي مسجلة في سجل الكون، ومدونة في كتاب الوجود"يخالف ما أخبر الله به من أن تسجيل الأعمال والأقوال من أعمال الملائكة الحفظة، وليس سجل الكون وكتاب الوجود قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

٥- بين د. أحمد داود شحروري أن مسلك إقناع الملاحدة بتسجيل الملائكة لأعمال البشر قد لا يجدي؛ لأنهم أصلاً لا يؤمنون بوجود ملائكة فقال: "والحق أن تسجيل الملائكة لأعمال البشر، والإيمان بهذه الوظيفة للملائكة لا يحتاج إلى الاستشهاد بطرق التسجيل والعد الحديثة؛ لأن الكافر بالملائكة لا يقف عند إمكانية التسجيل والإحصاء من عدمها، وإنما يقف عند حقيقة وجود الملائكة أصلاً، فكيف سنقنعه بوجود هذا الصنف من المخلوقات غير الواقعة تحت إدراكنا المباشر، ولا القابلة للتقريب مما نعلم من علوم، اللهم إلا إذا شبهناهم أنفسهم بالعدادات، وأدوات الحساب، وهذا مرفوض؛ لأنه خروج بالملائكة عن حقيقتهم، فلا نتعدى بهم ما وصفهم الله، إرضاء لأصحاب القلوب الميتة، وكأننا نستجدي إيمانهم"[١].

٦- أن هذا القول يتعلق بفلسفة العقل الكلي الباطن[٢]، والذي يعتقد أنه منبع الإلهام، ومقر المعلومات الماضية، والمعلومات المستقبلة و"يسمي بعض المتبنين لهذا الفكر مركز تجميع المعلومات في العالم (نقطة الصفر) (zero point field) الأمر الذي يضفي على هذه الرجوم والظنيات، طابعاً علمياً فيزيائياً، وما هي في الحقيقة إلا فلسفة يحاول أصحابها الوصول إلى الغيب بعقولهم[٣].

---

(١) تفسير المراغي دراسة منهجية ص٢٣٦.

(٢) وهي فلسفة تشبه إلى حد كبير ما كان يعتقده الفلاسفة الإشراقيون والصوفيون في مصدر الإلهام والبصيرة، وهي تعتمد على فكرة اللاشعور التي أول من قال بها (فرويد) - وهوطبيب نفس نمساوي، وصاحب مدرسة التحليل النفسي-، وطورها (يونغ) - وهو عالم نفس سويسري، عاصر فرويد، واهتم بفكرة اللاشعور- في إمكان الاتصال بين اللاوعي الفردي واللاوعي الجمعي. انظر: موسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي ٢/ ١٢٥، ٦٤٢، والمعجم الفلسفي، جميل صليبا ٢/ ٢٦٥، وتحقيق ما للهند من مقولة، البيروني ص٢٤، وأصول الإيمان بالغيب وآثاره، د. فوز كردي ص٢٩٢.

(٣) انظر: أصول الإيمان بالغيب وآثاره، د. فوز كردي ص٢٩٣.

وقد أيد هذه الفلسفة الشيخ عبدالرحمن بن حبنكة الميداني رحمه الله حيث قال: "وقد أثبتت البحوث العلمية الكونية، وجود سجل كوني كبير، تسجل فيه الأعمال كلها والأقوال وخواطر الأنفس ووساوسها، فكل حرف نقوله، وكل عمل يصدر عنا بكل تفاصيله، يسجل في الأثير، ويمكن عرضه في أي وقت من الأوقات، متى تهيأت الأجهزة القادرة على كشف ما في هذا السجل الكبير، والتحكم بموجاته.

فصور كل كائن من القرون الأولى، وأصوات كل كائن، مسجل تسجيلاً كاملاً منذ أول وجوده، حتى آخر وجوده، لحظة بلحظة، لا يضيع منه شيء صغيراً كان أو كبيراً في النور أو الظلمات.

وأثبتت التجارب العلمية أن جميع أفكارنا وخواطرنا، تحفظ في شكلها الكامل، ولسنا بقادرين على محوها أبداً، وإن نسيناها في عقلنا الظاهر، أو في مستوى شعورنا، إنها تظل محفوظة لدينا فيما يسمى عند علماء النفس (ما تحت الشعور)"[(١)].

وممن تبنى هذه الفلسفة د. صلاح الراشد، حيث فسر كتاب القدر في السماء الدنيا بقوله: "حسب لغة المسلمين وثقافتهم، بأنه عقل عال قد أوصل العلم الحديث والتراث الفلسفي إلى طريقة الترقي إليه لمعرفة غيوب الماضي والمستقبل!، بل والتغيير فيهما، وصناعتهما على الوجه الذي يريده لنفسه، بطرق أساسها التنفس العميق، والتأمل الارتقائي، على طريقة الأديان الشرقية!"[(٢)].

٧- قولهم: "ولقد صُنعت آلة تصوير حديثة، تمكن بها الباحثون أن يصوروا أحداثاً بعد ساعة من وقوعها"، هذا القول يحتاج إلى دليل، بل نسأل أين هذه الآلة التي لم تكشف عن المجرمين، ومن يريد التخريب في الدول؟ ونحن نقرأ كل يوم عن المخططات والتآمرات في مشارق الأرض ومغاربها، يتآمرون، وينفذون أحداثاً جسيمة وخطيرة، ولم نعلم أن هذه الآلة المذكورة ومن عليها أدركوا ذلك[(٣)].

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها ص٦٧٤.

(٢) انظر: رسالة التغيير في المستقبل، إعداد صلاح الراشد، ملحقة بمجلة فواصل عدد (٢٦)، بتاريخ ١ أغسطس ٢٠٠٣م، ورسالة: التغيير في الزمن، له أيضاً، بتاريخ ١٥ أغسطس ٢٠٠٣م، وأصول الإيمان بالغيب وآثاره، د. فوز كردي ص٢٩٣-٢٩٤.

(٣) انظر: نقض النظريات الكونية، محمد بن عبدالله الإمام ص٣٥٤.

٨- وأما استدلال الشيخ الزنداني بآية سورة الزلزلة فغير صحيح؛ لأن ما ذكره الله ﷻ في السورة هو كائن يوم القيامة، وعليه يدل سياق الآيات، فإن الله ﷻ نسب التحدث إلى الأرض فقال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فهي التي تتحدث يوم القيامة بما عمل عليها من خير أو شر، وليس الكون أو الوجود كما قال الشيخ.

قال الشيخ عبدالكريم الحميد: "أما تحدث الأرض بما عمل على ظهرها، فشيء آخر غير تخريف الملاحدة، حيث ينطقها الله الذي أنطق كل شيء إذا شاء، وذلك يوم القيامة، وهذا أمر زائد على ما يكتبه الحفظة، فحديث الأرض بما عمل عليها، لا يكون إلا يوم القيامة"[(١)]

**ثانياً:** وأما قول د. زغلول النجار أن لكل خلية قدراً من الوعي والإدراك والقدرة على استيعاب المعلومات وتخزينها، وقول عقيد عبدالله محمد اليوسف باحتمال أن تشهد علينا خرائطنا الجينية يوم القيامة، فيرد عليه بما يلي:

١- أن كلا القولين مخالف لظاهر آيات سورة (يس) و(ق) و(الجاثية)، ولغيرها من الآيات التي يبين الله ﷻ فيها أن الجوارح من الأيدي والأرجل تنطق وتتكلم وتشهد على أصحابها بما عملوا، وليس الخلايا أو الخرائط الجينية، ويدل على ذلك حديث أنس بن مالك ﷺ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: "هل تدرون مم أضحك؟ " قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: "من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا، وبالكرام الكاتبين شهودا، قال: **فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله**، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال فيقول: بعدا لكنَّ وسحقا، فعنكن كنت أناضل"[(٢)].

٢- أن الذي يأمرها بالنطق هو الله تعالى، وفي ذلك بيان لقدرة الله ﷻ، ولذلك يتعجب الإنسان من نطقها، فتجيب الجوارح أن الذي أنطقها هو الذي أنطق كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ

(١) الفرقان في إعجاز القرآن ص١٦٢-١٦٣.
(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٢٨٠ (٢٩٦٩).

﴿وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩-٢١].

ولو كانت المسألة مجرد استرداد معلومات خزنت وحفظت، لما دل ذلك على قدرة الله ﷻ، ولما تعجب الإنسان منه.

٣- وأما قول عبدالله محمد اليوسف: "إنها علامات استفهام كبرى، ستبقى معلقة عند من خلق السماوات والأرض، بعيدة عن منال الإنس والجن، مهما أوتوا من قوة".

فيقال له: ليس عند المؤمن في شهادة الجوارح يوم القيامة علامات استفهام، فهو مصدق بكل ما أخبر الله به في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ.



**الآية الخامسة:** قال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

ذكر د. مروان وحيد شعبان أن الشمس بناءً على الحقائق العلمية ستتحول إلى عملاق أحمر(١)، فتنكمش على نفسها بشكل نجم صغير جداً، وبعد ذلك تموت نهائياً بانطفاء كامل، ثم بين أن الفلكيين توصلوا إلى الكيفية التي ستؤول إليها الشمس، وجعل ذلك هو معنى الآية فقال: " رأينا أسبقية القرآن الكريم في تدوين وتقرير موت الشمس، لكن من المدهش حقاً أن يأتي العلماء الفلكيون وخاصة الغربيون منهم، الذين لا يؤمنون بهذا القرآن العظيم، **يقرروا نفس النتيجة، لا من حيث موت الشمس فحسب، بل في الكيفية التي ستؤول إليها الشمس عند الموت**".

ثم قال: "وهذا هو المعنى الدقيق للتكوير؛ لأن تكوير الشمس يعني انكماشها على نفسها وانطفاء لهيبها، فلا إله إلا الله ما أعظم هذا القرآن، وما أدق بيانه، حقائق علمية يتوصل إليها العلماء، بعد أبحاث مضنية وسهر ليالي، نجد القرآن المعجز عبر عنها بكلمة واحدة"(٢).

---

(١) سبق بيان معنى ذلك ص٢٨٧.

(٢) الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث ص٢٣٦-٢٤٢.

**المناقشة:**

١. أن الآية في سياق ذكر أحداث يوم القيامة، وهي من الغيب الذي لم يطلع الله عليه أحداً من البشر، فأي تفصيل لحدث من أحداثه، أو تكييف له، يحتاج إلى دليل صريح وصحيح، وهو ما لا نجده هنا.

٢. أن هذا التصور لما سيحصل للشمس، هو مبني على دراسات علمية دنيوية، فكيف يُحمل حدث غيبي من عالم الآخرة، على اجتهادات بشرية.

٣. سبق بيان أن الشمس تبقى يوم القيامة، وتدنو من رؤوس العباد، وأنها مع القمر يكوران فيلقيان في النار، ويأمر الله من كان يعبدها أن يتبعها إلى النار[1].



(١) انظر: ص٢٩٠.

**القسم الرابع: تكييف ما يتعلق بالجنة والنار**

**أولاً: تكييف ما يتعلق بالجنة.**

**الآية الأولى:** قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير: ١٣]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزُّمَر: ٧٣].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

ذكر محمود القاسم في سياق ذكره للإعجازات العلمية في القرآن، أن هذه الآيات تدل على أن الجنة سوف تدنى وتقرب، وربط بينها وبين توسع الكون – كما تقول الاكتشافات العلمية – الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فجعل السماوات والأرض كوناً، وجعل الجنة كوناً آخر، وبينهما توسع بسرعات تقاس بملايين السنين الضوئية[١]، أو الفراسخ الفلكية[٢]، وبعشرات الملايين وبمئاتها، وبالميارات، وبعشرات المليارات، وقد تكون أكثر من ذلك.

فالكونان كانا متساويي الأبعاد في زمن نزول القرآن الكريم، وهما كذلك الآن، وهذا يعني أن كون الجنة يتوسع بالسرعة التي يتوسع بها كون الدنيا.

وبناءً عليه فهذا يجعلهما يقتربان من بعضهما في الثانية الواحدة ضعف سرعة الضوء أو أكثر، وهذا يعني أنهما سوف يلتقيان، أو سوف يقتربان من بعضهما قرباً يُحدث – حسب سنة الله تعالى في خلقه التي لا تبديل لها – خللاً في أنظمتهما، هذا إن لم يلتقيا ويتداخلا، حيث يكون ما يعلمه الله سبحانه من خلل أو من دمار.

ثم قال: "ويوم القيامة عندما يأخذ الكون الأدنى (كون الدنيا) بالتقلص، بتراجع

---

(١) والسنة الضوئية كما يقول: ليست زمناً وليست مقياساً زمنياً، وإنما هي مسافة، إنها وحدة الأبعاد ما بين الشموس وما بين المجرات، وتساوي حوالي ٩،٤٦ ترليون كم. انظر: القرآن يتحدى ص١٣٦.

(٢) الفرسخ الفلكي يساوي (٣،٢٦) سنة ضوئية، وهو يساوي المسافة التي يجب أن نبتعدها عن الأرض لنرى البعد بينها وبين الشمس من زاوية قدرها ثانية واحدة. انظر: القرآن يتحدى ص١٣٦.

أجرامه لتجتمع في كتلة واحدة كما خلقها الخالق سبحانه في البدء، حيث يتضاعف البعد بين الكونين[1]، حينئذ يأمر الله سبحانه كون الجنة وكون الدنيا بالتقارب من بعضهما، ليجعل الجنة قريبة من المتقين حسب تقديره وإرادته سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾"[2]

وبعد أن توصل محمود القاسم إلى أن الجنة تمثل كوناً مستقلاً عن كون الأرض، قال مبيناً مكان أبواب الجنة: "ومن قوله سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير: ١٣] نستطيع أن نظن أن أبواب الجنة الثمانية تكون في وجه نصف الكرة المقابل لكون الدنيا؛ وذلك لتكون مقولة: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ محققة تحقيقاً غير منقوص، إذ لو كان منها ما هو في الوجه الآخر من نصف الكرة، لاحتاج الداخلون فيها إلى اجتياز مليارات الفراسخ الفلكية، زيادة على من يدخل من الأبواب المقابلة لكون الدنيا"[3].

**المناقشة:**

١) القول بأن الجنة في كون، وأن بينها وبين كون السموات والأرض من التوسع شيئاً كبيراً، قول لا دليل عليه من القرآن الكريم والسنة النبوية؛ لأنه لا أحد يعلم تحديداً مكان الجنة إلا الله تعالى، وقد ذكر الله تعالى في القرآن أنها في عليين، ولم يزد على ذلك فقال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين: ١٨-١٩]، وجاءت السنة بالتصريح أنها تحت العرش فوق السماء السابعة، قال النبي ﷺ: "...فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تُفَجَّر أنهار الجنة"[4]، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣-١٥].

---

(١) يرى محمود القاسم: أن المحشر لا يكون في الأرض، وإنما في كوكب آخر، يمكن أن يكون عطارد. انظر: القرآن يتحدى ص١٣٧.

(٢) القرآن يتحدى ص ١٦٦-١٦٧.

(٣) المرجع السابق ص١٧٥.

(٤) رواه البخاري ٤/ ١٦ (٢٧٩٠)، ٩/ ١٢٥ (٧٤٢٣).

قال الإمام ابن القيم ﷺ: "وقد ثبت أن سدرة المنتهىٰ فوق السماء، وسميت بذلك؛ لأنها ينتهي إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها، وما يصعد إليه فيقبض منها"(١).

٢) أن آية سورة آل عمران ليس فيها ذكر لتوسع الكون، وإنما هي بيان لعظم سعة عرض الجنة، وأن عرضها كعرض السموات والأرض.

٣) أن الذي دلت عليه الآيات، أن الجنة تُقَرَّب من المتقين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وليس فيها: أن الجنة تُقَرَّب من السموات والأرض.

٤) أنه لم يقل أحد من المفسرين قديماً أو حديثاً بمثل مقولة محمود القاسم، بل أقوالهم دائرة علىٰ أن الجنة تُقَرَّب وتدنىٰ، دون خوض في تفاصيل لم يرد بها النص، أو تدل عليها لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم(٢).

٥) أن ما ذكره من مسافات بين كون السموات والأرض وكون الجنة، تقاس بملايين السنين الضوئية، أو الفراسخ الفلكية، وبعشرات الملايين وبمئاتها، وبالميارات، وبعشرات المليارات،كلها مسافات لا دليل عليها من القرآن الكريم أو السنة النبوية.

٦) أن تفاصيل ما يتعلق بالجنة مكاناً ونعيماً، هو من الغيب الذي لا يمكن معرفته إلا عن طريق الوحي.

**الآية الثانية:** قال تعالىٰ: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

رأىٰ د. يحيىٰ وزيري أن الآية تتفق مع مفهوم مصطلح (الراحة الحرارية)، والذي يعتبر أهم مقياس للحكم علىٰ مدىٰ نجاح تصميم المباني، والفراغات الخارجية، من الناحية البيئية في مجال علم التصميم البيئي (العمارة البيئية).

وعد هذا من الإعجاز العلمي الذي سبق إليه القرآن فقال: "مما سبق يتضح لنا أن

---

(١) حادي الأرواح ص٦٥.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٢١/ ٤٤٩، وزاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ١٦٣، ومعالم التنزيل، البغوي ٧/ ٣٦٢، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢٤٤، وأضواء البيان، الشنقيطي ٧/ ٤٣٠، ومحاسن التأويل، القاسمي ٩/ ٢٨، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦/ ٣١٨.

القرآن الكريم قد جاءت به إشارات علمية، تتوافق مع مبادىء علم التصميم البيئي من جهة، كما أكدتها الدراسة الميدانية والشمسية لكهف الرقيم بالأردن من جهة أخرىٰ، وهذه الإشارات تعتبر من دلائل الإعجاز العلمي للقرآن الكريم"[1]، ثم بين مفهوم الراحة الحرارية، والذي يتلخص في النقاط التالية:

١- أن الراحة الحرارية هي حالة العقل التي يشعر فيها الإنسان بارتياح ورضا، فيما يتعلق بالبيئة الحرارية الموجود فيها، فالراحة الحرارية متعلقة بالإنسان العادي.

٢- قامت التجارب العلمية علىٰ وضع حدود لراحة الإنسان الحرارية، فكانت تقريباً هي درجة الحرارة التي تقع بين (٢٢، ٥) و(٢٩، ٥) درجة مئوية، ورطوبة نسبية تقع بين (٢٠) في المائة.

٣- تسابق العلماء في وضع بعض المقاييس والخرائط، التي يمكن عن طريقها تحديد مناطق الراحة الحرارية للإنسان، تحت ظروف مناخية محددة وبدقة كبيرة، ومن أشهر هذه المقاييس (خريطة الراحة الحرارية)، التي قام بتصميمها (فيكتور أولجاني)، وهي صالحة لكل المناطق الحارة جافة أو رطبة، وفي الأماكن التي لا تعلو أكثر من (٣٠٠) متر فوق سطح البحر[2].

ثم ربط بين هذا المفهوم للراحة الحرارية وبين الجنة فقال: "فإذا كانت الجنة تمثل البيئة المثالية بكل ما فيها من متع، ونعيم مقيم، **فإن الآية تضيف متعة الراحة الحرارية** أيضاً، أي: لا يرىٰ في الجنة حر كحر الشمس، ولا زمهرير، أي: ولا برداً مفرطاً.

ومفهوم الراحة الحرارية لم يكن معروفاً بالمعنىٰ الذي وضحناه وقت نزول القرآن، حيث إن البيئة العربية التي نزل فيها القرآن، يغلب عليها المناخ الصحراوي الحار، وكان الهم الأكبر للعرب هو الوقاية من حر الشمس، ولكن جاءت الآية بمعنىٰ يتمشىٰ مع مفهوم معاصر، نتج عن دراسات وتجارب عديدة، توصلت إلىٰ ما يسمىٰ (بمنطقة الراحة الحرارية)، وهي تتحدد بمدىٰ حراري سفلي وعلوي، لا يجب أن تقل أو تزيد عنه درجات الحرارة في وجود مستوىٰ معين من الرطوبة النسبية.

---

(١) بحث: دلائل الإعجاز العلمي في إشارات التصميم البيئي في القرآن الكريم، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ٢/ ٢، ٢٩.
(٢) المرجع السابق ٢/ ٤.

مما سبق نجد أن الآية الكريمة قد عبرت عن مفهوم ومنطقة الراحة الحرارية بإيجاز وإعجاز كبير في قوله ﷻ: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ والحمد لله على نعمة الإسلام"[1].

**المناقشة:**

ما ذهب إليه الدكتور يتوجه إليه النقد من خلال ما يلي:

١- أن مفهوم (الراحة الحرارية) الذي توصل له العلماء، مفهوم له مقاييس مختلفة بين العلماء، وقد وضعوا له حدوداً متعلقة بدرجة الحرارة، ونسبة الرطوبة، بينما ما في الجنة من نعيم، لا يمكن قياسه بمقاييس البشر، أو القول بأنه يشبه ما توصل إليه العلماء؛ لأن الجنة وما فيها من الغيب الذي لا يمكن للعقول أن تدرك كنه ما فيها، كما قال النبي ﷺ: قال الله تعالى: "أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]"[2].

٢- قوله: "ومفهوم الراحة الحرارية لم يكن معروفاً بالمعنى الذي وضحناه وقت نزول القرآن، حيث إن البيئة العربية التي نزل فيها القرآن يغلب عليها المناخ الصحراوي الحار، وكان الهم الأكبر للعرب هو الوقاية من حر الشمس"، **هذا القول غير دقيق من وجهين:**

**الوجه الأول:** أن البيئة العربية يمر بها المناخ الحار، والبارد، والمعتدل، وقد استعملوا من الوسائل في عصرهم ما أوجد لهم راحة حرارية، إذ الراحة الحرارية كما يقول الدكتور: "هي حالة العقل التي يشعر فيها الإنسان بارتياح ورضا، فيما يتعلق بالبيئة الحرارية الموجود فيها. . . فهي متعلقة بالإنسان العادي"، وعليه فإن أي إنسان، سواء في بيئة حارة أو باردة، يتكيف مع ذلك ويحس بالرضا.

**الوجه الثاني:** أن العرب كانت تعرف المعنى الذي جاء في الآية قبل نزول القرآن الكريم؛ لأن القرآن نزل بلسان العرب، فقد جاء في شعر الأعشى – وهو من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات – قوله:

---

(١) السابق ٢/ ٥.

(٢) رواه البخاري ٤/ ١١٨ (٣٢٤٤)، ومسلم ٤/ ٢١٧٤ (٢٨٢٤).

مبتلة الخلق مثل المهاة ولم تر شمساً ولا زمهريراً[١]

ومما يؤكد أن ما دلت عليه الآية كان معروفاً قبل نزول القرآن الكريم، أن الدكتور نفسه اعترف أن الدراسة الميدانية والشمسية لكهف الرقيم بالأردن أثبتت هذا المفهوم[٢]، وقصة أصحاب الكهف كانت قبل نزول القرآن الكريم.

٣- أن ما ذكره الدكتور من معنىٰ الراحة، قد قال مثله المفسرون عند تفسيرهم للآية، وذلك قبل أن توجد الدراسات، والمقاييس العلمية، فأين السبق العلمي؟

قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "وقوله (لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً) يقول تعالىٰ ذكره: لا يرون فيها شمساً فيؤذيهم حرها، ولا زمهريراً، وهو البرد الشديد، فيؤذيهم بردها"[٣].



**الآية الثالثة:** قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

بين محمد كامل عبد الصمد معنىٰ (الخلود) في الآية، وذلك بربطه بنظرية (اينشتاين) التي تقوم علىٰ: أن الجسم كلما زادت سرعته أبطأ الزمن، حتىٰ إذا سار الجسم بسرعة الضوء يتوقف الزمن تقريباً[٤]، وأيد هذه النظرية بما جاءت به الأخبار العلمية عام ١٩٧٦م حيث قال: "تأكد علماء جامعة ميريلاند الأمريكية، من صحة نظرية (اينشتاين) عن الزمن الذي يمضي بسرعة أكثر في قمة الجبل منه في الوادي، واستخدموا لذلك ساعات ذرية علىٰ الأرض، وعلىٰ متن طائرة محلقة علىٰ ارتفاع عشرة آلاف متر، تبين لهم أن ساعات الطائرة تقدمت علىٰ تلك الموجودة علىٰ الأرض، واستخلصوا من ذلك أن رواد مركبة (أبوللو) زاد عمرهم وهم علىٰ القمر أكثر مما لو ظلوا علىٰ الأرض"[٥].

(١) ديوان الأعشىٰ ص١٤٥، وانظر: لسان العرب، ابن منظور ٤/ ٣٣٠، ١١/ ٤٣، وتهذيب اللغة، الأزهري ١٤/ ٢٩٢، ومجمل اللغة، ابن فارس ٣/ ٤٧، وتاج العروس، الزبيدي١١/ ٤٥١، والمخصص، ابن سيده ٩/ ٧٥.
(٢) انظر: دلائل الإعجاز العلمي في إشارات التصميم البيئي في القرآن الكريم، ٢/ ٢، ٢٩.
(٣) جامع البيان ٢٣/ ٥٥١.
(٤) انظر: النسبية والقرآن الكريم، شوقي أبو خليل، بحث منشور بمجلة العلم والإيمان عدد (١٣) سنة ١٩٧٧م.
(٥) الإعجاز العلمي في الإسلام ص٧٠.

ثم قال: "وهذا يعطينا نتيجة طبيعية أخرى، أنه إذا توقف الزمن الذي هو الفكرة التي نتصورها من تعاقب الحوادث في العالم، يكون عندئذ لا زمن.

وهذا يوصلنا إلى إثبات فكرة الخلود علمياً، على ضوء الحقائق العلمية التي قدمتها النسبية، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وبعد هذا كله ألا تلمس أن القرآن فيه جديد دائم، وإعجاز علمي لكل عصر، وكأنه نزل في يومنا هذا"[١].

وقد نقل محمد كامل عبد الصمد فكرة الخلود بهذا المعنى عن شوقي أبو خليل، والذي عنون لها بقوله: (تناقض التوائم) ثم قال شوقي أبو خليل: "ويروي هذا المثال (ألن هانيك)[٢] قائلاً: (إذا كان هناك توأمان، وركب أحدهما صاروخاً يسير بسرعة الضوء، وظل مسافراً بهذه السرعة سنين عديدة - طبقاً لقياسات شقيقه التوأم على الأرض- فإنه عند عودته للأرض سوف يبدو أكبر سناً منه عند بدء الرحلة ببضعة أعوام فقط، في حين أن شقيقه التوأم الذي بقي على الأرض، سوف يكون قد أصبح شيخاً عجوزاً، والتناقض هنا هو حدوث ذلك لأحد التوأمين دون الآخر)...لماذا؟؛ لأن الأول أبطأ الزمن عنده (٧٠٠٠٠ مرة) أما الآخر بقي الزمن عنده عادياً[٣].

وفي هذا المثال في (النسبية) يثبت لنا فكرة الخلود؛ لأن الإنسان إن سار بسرعة الضوء تماماً توقف الزمن عنده، وإذا توقف الزمن وتلاشت فكرة مروره تحقق الخلود!!"[٤].

**المناقشة:**

١- أن جعل نظرية النسبية مما ينطبق على أحداث الآخرة غير صحيح، وذلك أنها نظرية لتفسير أحداث الدنيا، التي تقع تحت المشاهدة وتقبل القياس، وأما أحداث الآخرة فغيب، لا يمكن تطبيق النظرية عليها.

٢- أن فكرة (الخلود) في كلامهم تدور على معنيين:

---

(١) المرجع السابق ص٧٠.

(٢) أسرار الكون ص١٦١.

(٣) وذكر في الحاشية قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

(٤) الإنسان بين العلم والدين، شوقي أبو خليل ص ٢٣.

**المعنى الأول**: توقف الزمن.

**المعنى الثاني**: توقف الحركة، وهذا المعنى هو لازم للمعنى الأول.

وهذين المعنيين أو أحدهما، لا يصح جعله معنى للخلود الوارد في حق أهل الجنة، أو في حق أهل النار، وذلك لما يلي:

أ- أن الأدلة من القرآن والسنة، قد دلت على وجود زمن في الدار الآخرة، وفي الجنة، وهو يختلف عن الزمن في الدنيا؛ فالله ﷻ يذكر أسماء الآخرة مسبوقة باسم من أسماء الزمن، وهو (يوم): يوم الدين، يوم الجزاء، يوم البعث، يوم التغابن، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩].

وعن أنس بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "إن في الجنة لسوقًا، يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسنًا وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً"[(١)].

قال الإمام النووي ﷺ: "ومعنى يأتونها كل جمعة أي في مقدار كل جمعة أي أسبوع"[(٢)].

ب- أن الأدلة من القرآن والسنة، أثبتت الحركة لأهل الجنة ولأهل النار، وهذا يبطل توقف الزمن في حقهما، فأهل الجنة يأكلون ويشربون، وفيها يتكئون، وغيرها من الأفعال التي يفعلونها فيها.

وكذلك أهل النار الخالدون فيها يعذبون، ويستغيثون، ويشربون من الحميم، وغيرها من الأفعال التي يفعلونها فيها.

ج- أن القول بأن معنى الخلود في الجنة أو النار: هو توقف الزمن أوالحركة، يلتقي مع قول أبي الهذيل العلاف[(٣)] الذي قال: أن حركات أهل النار والجنة تفنى، حتى

---

(١) رواه مسلم ٤/ ٢١٧٨ (٢٨٣٣).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٧/ ١٧٠.

(٣) أبو الهذيل: محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، المعروف بالعلاف، ولد بالبصرة، واشتهر بعلم الكلام، وهو شيخ أهل البصرة في الاعتزال، توفي بسامرا سنة ٢٣٥هـ انظر: طبقات المعتزلة، أحمد المرتضى ص ٥٤، والفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي ص ١٠٢، والمنية والأمل، القاضي عبد الجبار ص١٥٤.

يصيروا في سكون دائم، لا يقدر أحد منهم على حركة، ويصيرون جماداً لا يحسون بألم[(١)].

وقوله هذا ظاهر البطلان، ترده النصوص الشرعية، وإجماع علماء الأمة فقد أجمع أهل السنة والجماعة، أن أهل الجنة لا يزالون فيها يتنعمون، وأن نعيمها لا انقطاع له، وكذلك أهل النار لا يزالون فيها يعذبون، وعذاب الكفار فيها لا ينقطع.

قال الإمام مرعي بن يوسف الحنبلي[(٢)] ﷺ: "فثبت بما قررنا من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة، أن كلاً من أهل الدارين خالداً أبداً فيما هو فيه من نعيم أو عذاب، وعلى هذا إجماع السنة والجماعة، واتفاقهم على أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع، يدل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة"[(٣)].

**ثانياً: تكييف ما يتعلق بالنار وعذابها.**

**الآية الأولى:** قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وقال تعالى: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ [البروج: ٥]، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ [البلد: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ١١]، وقال تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [الهُمَزة: ٦]، وقال تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المَسَد: ٣].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ٢/ ٦٢١، ٦٢٥، وحادي الأرواح، ابن القيم ص٤٨٩، وفتح الباري، ابن حجر ١١/ ٥١٤، ومعارج القبول، حافظ الحكمي ٢/ ٢٩١.

(٢) هو: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي، مؤرخ أديب، من كبار الفقهاء، ولد في طوركرم (بفلسطين) وانتقل إلى القدس، ثم إلى القاهرة فتوفي فيها عام ١٠٣٣ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي ٧/ ٢٠٣، وهدية العارفين، البغدادي ٢/ ٤٢٦.

(٣) توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين ص٧٦، وانظر: الرد على الزنادقة والجهمية، الإمام أحمد ص١٠٠-١٠١، والشريعة، الآجري ٣/ ١٣٤٣، ١٣٧١، والحجة في بيان المحجة، إسماعيل الأصبهاني ص٢١٥، وعقيدة أصحاب الحديث، الصابوني ص٨٤، وكتاب التوحيد، ابن خزيمة ٢/ ٨٧٥، وشرح السنة، البربهاري ص٣٣، ولوامع الأنوار، السفاريني ٢/ ٢٣٤، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي ١/ ١٩٨-١٩٩، وشرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ٢/ ٦١٤ وما بعدها، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الأشعري ص٢٤٤، ٤٧٤، ويقظة أولي الاعتبار، صديق حسن خان ص٤٠-٤١، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، د. عبدالإله الأحمري ٢/ ٢٢٥، ٧١٧، والمسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، عدد من الباحثين ص٨٨٤-٨٩٣.

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآيات:**

**أولاً:** تحت عنوان (السبق القرآني في حقيقة النار الكيميائية)، عرف د. خالد فائق العبيدي النار علمياً فقال: "تعرف النار علمياً: كل عملية احتراق، أو تدوير ذري، يصاحبه طاقة حرارية، أحس بها الإنسان أم لم يحس"(١).

وعرفها كذلك بقوله: "والنار كذلك علمياً هي: كل عملية احتراق، أو تدمير كيميائي حراري، ناتج من تفاعل الأوكسجين بمواد الاحتراق؛ لينتج عنه أكسدة، وتحرر لحرارة، قد تكون بلهب مرئي أو غير مرئي، تبعاً للمادة المحترقة، أو مجموعة المواد المحترقة، وعوامل أخرى"(٢).

ثم ذكر الآيات السابقة وقال: "كل هذه الآيات وغيرها، تبين لنا درجات علمية وتقاسيم أثبتها العلم الحديث للنيران، حسب موادها المحترقة، وحسب نوع الوقود والغازات الداخلة في التفاعل الكيميائي الإتلافي، إذ أن (النار الموقدة) تمثل إيقاد النار لأولها، و (النار ذات اللهب) هي درجة أكبر، و (المؤصدة) أي: المنغلقة ذات الحرارة المضاعفة بسبب تراكم هذه الحرارة ... وصهر النحاس في النار، يزيد من حرارتها ولهيبها، وإذا جاءها وقود زادت اشتعالاً، وإذا ما جعل فيها حجارة ولحوم بشرية، كانت لها صفة أخرى.

وهكذا نرى أن لكل وصف قرآني للنار (دنيوية أو أخروية)، كان له مدلولاته المختلفة عن الأخرى، فضلاً عن اختلاف نسب هذه الأوصاف وثوابتها القرآنية الشاملة، من تسلسل السور والآية والكلمة، بما يعطيها درجات مختلفة بعضها عن بعض، من حيث القوة والفتك والعياذ بالله.

وهذا ما أكدته البحوث العلمية الحديثة، التي جرت في القرون الثلاثة الأخيرة، التي بينت أن هناك درجات حرارية مختلفة وكثيرة للنيران، وحسب المادة المحروقة، وتفاعلاتها الكيميائية"(٣).

**ثانياً:** حمل د. زغلول النجار (النحاس) في قول الله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ

---

(١) علوم الهندسة الكيميائية والحياتية في القرآن والسنة ص١٨٩، والعلوم الهندسية العسكرية في القرآن والسنة ص٥٢-٥٥.

(٢) المرجع السابق ص١٩٠.

(٣) السابق ص٢٠٢-٢٠٣.

وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٥] على (فلز النحاس) المعروف في الدنيا، وأن هذا المعنى هو ما نادى به طويلاً، ولا يحتاج إلى أدنى تأويل، بل لا داعي له على الإطلاق[1].

وعليه فالآية تتحدث عن حدثٍ يقع في الدنيا، وليس في الآخرة، وقد أيد قوله بما يلي:

١- أن قدامى المفسرين ومحدثوهم أجمعوا على أن لفظة (شواظ) في الآية تعني: اللهب الذي لا دخان له، وكلمة (نحاس) تعني: الدخان الذي لا لهب فيه، أو تعني: فلز النحاس الذي نعرفه جميعاً، وهو فلز معروف بدرجة انصهاره العالية (١٠٨٣م) ودرجة غليانه الأعلى (٢٥٦٧م)[2].

٢- أن الحديد يتخلق في النجوم، وبعد انفجارها يحصل اندماج بين عدد من العناصر في صفحة السماء، ومنها عنصر النحاس الذي وزنه الذري أعلى من عنصر الحديد، وبالتالي يتخلق عنصر النحاس، وهذا يجعل صفحة السماء الدنيا زاخرة بذرات العناصر الثقيلة، ومنها النحاس[3].

٣- أكد الدكتور ما سبق باتصال جاءه من الدكتور عبدالله الشهابي، قال د. زغلول النجار: "وقد اتصل بي أخ كريم هو الدكتور عبدالله الشهابي، وأخبرني بأنه زار معرض الفضاء والطيران في مدينة واشنطن دي سي، الذي يعرض نماذج الطائرات من بداياتها الأولى إلى أحدثها، كما يعرض نماذج لمركبات الفضاء، وفي المعرض شاهد قطاعاً عرضياً في كبسولة (أبوللو)، وأذهله أن يرى على سطحها خطوطاً طولية عديدة غائرة في جسم الكبسولة، ومليئة بكربونات النحاس ـ جنزار النحاس ـ وقد لفتت هذه الملاحظة نظره، فذهب إلى المسئول العلمي عن تلك الصالة وسأله: هل السبيكة التي صنعت منها الكبسولة يدخل فيها عنصر النحاس؟

فنفى ذلك نفياً قاطعا، فأشار إلى جنزار النحاس على جسم الكبسولة، وسأله: من أين جاء هذا؟ فقال له: من نوى ذرات النحاس المنتشرة في صفحة السماء، التي تضرب جسم الكبسولة طوال حركتها صعوداً وهبوطاً من السماء، وحينما تعود إلى الأرض، وتمر بطبقات بها الرطوبة، وثاني أكسيد الكربون، فإن هذه الذرات النحاسية التي لصقت بجسم الكبسولة تتحول بالتدريج إلى جنزار النحاس.

---

(١) انظر: تفسير الآيات الكونية ٤/ ٧٠.
(٢) المرجع السابق ٤/ ٦٩.
(٣) السابق ٤/ ٦٩.

ويقول الدكتور الشهابي: إنه على الفور تراءت أمام أنظاره الآية القرآنية الكريمة التي يقول فيها ربنا ﷻ: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥].

هذه الملاحظة أكدت لي ما ناديت به طويلاً، بأن لفظة نحاس في الآية تعني فلز النحاس، ولا تحتاج إلى أدنى تأويل، فسبحان الذي أنزل هذه الآيات الكريمة من قبل ألف وأربعمائة من السنين، وحفظها لنا في كتابه الكريم، على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد؛ لتظهر في زماننا زمان رحلات الفضاء برهاناً مادياً ملموساً، على أن هذا القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأن النبي الخاتم الذي تلقاه ﷺ كان موصولاً بالوحي، ومعلَّماً من قبل خالق السماوات والأرض ﷻ"[1].

**المناقشة:**

١- أن النار التي أعدها الله تعالى لمن يستحقها من عباده، وتوعد الكفار والمشركين بالخلود فيها، هي من الغيب، ولا يعلم أحد كيفيتها ودرجاتها إلا بخبر من الله تعالى، أو من رسوله ﷺ.

٢- أن ما ذكره د. خالد العبيدي من تقاسيم، ودرجات علمية للنار، هي لنار الدنيا، وحسب ما توصل إليه علمهم، الذي أعلمهم الله إياه، وعليه فلا يصح جعل علمهم المحدود القاصر، حكماً على ما أخبر الله به في كتابه، وعلى قضية غيبية.

٣- أن قياس نار الآخرة بنار الدنيا، هو في حقيقته تكييف لها، إذ إن القياس هو مماثلة الشيء للشيء ومشابهته له من جميع الأوجه، فأين نار الآخرة من نار الدنيا؟ وما تتصف به النار في الدنيا من خواص كيميائية، لا يمكن القول بأنها هي نفسها ما يكون في الآخرة، ومما يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١]، و"هذه الآية بين الله تعالى فيها أن حرارة جهنم، لا يمكن أن تقاس بالمقاييس التي يعرفها البشر بالنسبة لدرجات الحرارة؛ لأنها نار اليوم الذي يفصل الله فيه بين الخلائق، وهي نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فلا يستطيع أحد أن يقيسها بنار الدنيا"[2]، عن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: "ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار

---

(١) السابق ٤/ ٧٠.

(٢) مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر الشيخ ص٦٣٤.

جهنم"، قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال: "فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها"[1]، قال الإمام القرطبي رحمه الله: "يعني أنه لو جمع كل ما في الوجود من النار التي يوقدها ابن آدم، لكانت جزءاً من جزءٍ من أجزاء جهنم المذكور.

بيانه: أنه لو جمع حطب الدنيا، فأوقد كله حتى صار ناراً، لكان الجزء الواحد من أجزاء نار جهنم، الذي هو من سبعين جزءاً، أشد من حر نار الدنيا، كما بينه في آخر الحديث"[2].

٤- أن ما ذكره الله ﷻ من صفات للنار كانت العرب تعرفه، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، واستعمل من الألفاظ ما كانت العرب تتخاطب به، فأين السبق؟!.

٥- أن ما ذكر في الآيات من أسماء للنار، هي أسماء لها بجملتها، وليس لجزء منها، قال الإمام القرطبي رحمه الله: "ثم من هذه الأسماء ما هو اسم علم للنار كلها بجملتها، نحو جهنم، وسقر، ولظى، وسموم، فهذه أعلام ليست لباب دون باب فاعلم ذلك، وفي التنزيل ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، يريد النار بجملتها"[3]، وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "نار جهنم لها أسماء متعددة، وهذا التعدد في الأسماء لاختلاف صفاتها، فتسمى الجحيم، وتسمى جهنم، ولظى، والسعير، وسقر، والحطمة، والهاوية بحسب اختلاف الصفات، والمسمى واحد، فكل ما صح في كتاب الله أو سنة الرسول ﷺ من أسمائها، فإنه يجب على المؤمن أن يصدق به وأن يثبته"[4]، وقال عمر بن سليمان الأشقر رحمه الله: "والصحيح أن كل واحد من هذه الأسماء التي ذكروها: جهنم، لظى، الحطمة... إلخ اسم علم للنار كلها، وليس لجزء من النار دون جزء، وصح أن الناس متفاوتون على قدر كفرهم وذنوبهم"[5].

٦- وأما ما ذهب إليه د. زغلول النجار من حمل آية سورة الرحمن على حدث واقع في الدنيا، **فيرد عليه بما يلي:**

---

(١) رواه البخاري ٤/ ١٢١ (٣٢٦٥)، ومسلم ٤/ ٢١٨٤ (٢٨٤٣).
(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ١/ ٨٦١.
(٣) المرجع السابق ١/ ٨٤٠.
(٤) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٢/ ٥٨.
(٥) الجنة والنار ص٢٦.

أ- أن الآية في سياق الحديث عن الآخرة، وعلىٰ هذا أكثر المفسرين إن لم يكن شبه إجماع منهم[١].

ب- حكايته الإجماع علىٰ أن معنىٰ كلمة الشواظ هو: اللهب الذي لا دخان له، وكلمة نحاس تعني: الدخان الذي لا لهب فيه، أو تعني: فلز النحاس الذي نعرفه جميعًا، غير صحيح، ولعله تابع في ذلك الإمام البغوي ﷺ، فقد قال بعد ذكر المعنىٰ المتقدم في الشواظ: "هذا قول أكثر المفسرين"[٢]، وكذلك أبا منصور الأزهري ﷺ حكىٰ الإجماع علىٰ معنىٰ كلمة (النحاس): أنه الدخان، فقد قال: "وهو قول جميع المفسرين"[٣].

وفي معنىٰ الكلمتين أقوال منها: أن (شواظ) بمعنىٰ: الدخان[٤]، وقيل: النار والدخان جميعًا[٥]، وقيل: النار المحضة أو القطعة من النار[٦]، وقيل: حر الشمس، يقال: أصابني شواظ من الشمس[٧].

وقيل معنىٰ كلمة (نحاس): اللهيب بلا دخان[٨]. وقيل: الصفر المذاب[٩]، أو المهل[١٠]، أو القطر[١١]، وقيل: دُرديِ الزيت المغلي[١٢]، وقيل: النار التي لها ريح شديدة[١٣]، وقيل: لباس أهل النار[١٤].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٢٠٠، وجامع البيان، الطبري ٢٢/ ٢٢١، ومعالم التنزيل، البغوي ٤/ ٣٣٦، والكشاف، الزمخشري ٤/ ٤٤٩، وزاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ٢١٣، ومفاتيح الغيب، الرازي ٢٩/ ٣٦٤-٣٦٥، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٧/ ١٧٠، ومدارك التنزيل، النسفي ٣/ ٤١٥، والبحر المحيط، أبي حيان١٠/ ٦٥، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢٩٤، ومحاسن التأويل، القاسمي ٩/ ١٠٩، وتفسير المراغي ٢٧/ ١١٩، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٨٣٠، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧/ ٢٦٠.

(٢) معالم التنزيل ٧/ ٤٤٨.

(٣) تهذيب اللغة ٤/ ١٨٦.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢٩٤، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٦/ ٢٧٠، وفتح القدير، الشوكاني ٥/ ١٦٥.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٠/ ١٤١، وفتح القدير، الشوكاني ٥/ ١٦٥.

(٦) انظر: معاني القرآن، الفراء ٣/ ١١٧، والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ٨/ ١١٥.

(٧) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ١/ ٦٩٦، وتاج العروس، الزبيدي ٢٠/ ٢٣٤.

(٨) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني ص٧٩٤.

(٩) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٢/ ٢٢٤، ومعالم التنزيل، البغوي ٧/ ٤٤٨.

(١٠) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٧/ ٤٤٨، وفتح القدير، الشوكاني ٥/ ١٦٥.

(١١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٩/ ٣٦٣.

(١٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٠/ ١٤٣، وفتح القدير، الشوكاني ٥/ ١٦٥.

(١٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٠/ ١٤٣، واللباب، ابن عادل ١٨/ ٣٢٤، وفتح القدير، الشوكاني ٥/ ١٦٥.

(١٤) انظر: بحر العلوم للسمرقندي ٤/ ٢٣١.

ج- أن ما ذكره من وجود فلز النحاس في صفحة السماء، لا ينكره أحد، ولكن لا يلزم من وجوده أن يكون هو المقصود في الآية، خاصة أن سياقها في أحداث يوم القيامة.

د- ثم إن محاولة التوفيق بين اكتشافات العلم التجريبي، وبين آيات القرآن الكريم، جعلت د. زغلول النجار يستشهد باتصال من الدكتور عبدالله الشهابي، وبه يقطع ويؤكد ما نادىٰ به طويلاً، بينما يترك د. زغلول أقوال المفسرين قديماً وحديثاً، الذين نصوا علىٰ أن الآية تتحدث عن اليوم الآخر، قال الإمام ابن كثير ﷺ في تفسير الآية: "والمعنىٰ علىٰ كل قول: لو ذهبتم هاربين يوم القيامة، لردتكم الملائكة والزبانية، بإرسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا؛ ولهذا قال: ﴿... فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥-٣٦]"[١].

وقال محمد عزة دروزة: "وواضح من الآيات وشرحها أنها في صدد الآخرة وعذابها، وإنذار الجنّ والإنس بهما"[٢].

**الآية الثانية:** قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥-٧]، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ [المُلك: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣-٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٧٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٦].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

ربط بعض أصحاب الإعجاز العلمي بين ماورد في الآيات من ذكر الجحيم وأبوابها، وبين الشمس والنجوم والكواكب، ومن هؤلاء:

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٩٤.

(٢) التفسير الحديث ٦/ ٩٩.



**أولاً: محمود القاسم: ويتلخص كلامه في النقاط التالية:**

١) أن الجحيم صفة لجهنم، وجهنم هي هذا الكون الدنيا الذي نحن فيه الآن، وأرضنا جزء منه، والكون سيجتمع يوم القيامة ليعود كما كان، كتلة واحدة هي جهنم كما خلقها أول مرة: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، ولذلك تأتي جهنم في القرآن بصيغة المفرد(١).

٢) أن جهنم أمامنا نراها بأعيننا، لكن لا نعرف أنها جهنم لجهلنا بعلم اليقين، بحقيقة الواقع، ولو علمنا حقيقة الواقع فسنرى الجحيم الآن في دنيانا، ثم سوف نراها عين اليقين في الآخرة(٢).

٣) الشمس هي جهنم من حيث النوع، أو من باب إطلاق اسم الكل على الجزء(٣).

٤) النجوم المضيئة الملتهبة هي جزء من جهنم(٤).

٥) كلاً من الشمس والنجوم لها كل صفات جهنم الواردة في القرآن وصحيح السنة، سواء من حيث مظهرها، أو من حيث طبيعتها(٥).

٦) توصل البشر الآن إلى علم اليقين علم حقائق من حقائق الوجود، فرأوا الجحيم في الشمس بواسطة المناظير الفلكية الخاصة، مع بقية الآلات والأجهزة الملحقة، وكذلك في بقية الشموس التي نراها بشكل نجوم(٦).

٧) أن أبواب جهنم هي المداخل التي يدخل منها أهل جهنم إلى جهنم، قال: "هي أبواب تتوافق بأشكالها وطبائعها واتساعاتها مع الواقع الكوني لجهنم، المفتوحة الآن إلى مليارات مليارات الأجرام، وملحقات الأجرام وغيرها. . . ومن هنا نعلم أن القرآن الكريم عندما يقول إن لجهنم سبعة أبواب، فهو لا يعني بذلك عدد أفرادها،

---

(١) انظر: القرآن يتحدى ص١٣٥.
(٢) انظر: المرجع السابق ص٤٩.
(٣) انظر: السابق ص٤٩، وبراهين، محمود القاسم ص١٣٤.
(٤) انظر: السابق ص٤٩، وبراهين، محمود القاسم ص١٣٤.
(٥) انظر: القرآن يتحدى ص٤٩.
(٦) انظر: المرجع السابق ص٤٩.

وإنما يعني عدد أنواعها"[1]؛ لأنه لا يمكن أن يعلم عن هذا المعنىٰ شيء في الحياة الدنيا، ولا يمكن أن يراه أحد من البشر كما يقول[2].

**ثم ذكر بابين من أبوابها:**

**الباب الأول:** الكلاليب النارية العظيمة الضخمة، التي تخطف الناس بأعمالهم، وكلاليب النار منتشرة بأعداد يعلمها الله سبحانه في كل جزء من أجزاء جهنم، التي هي الشموس قبل أن تطوىٰ علىٰ بعضها في الكتلة الأبدية[3].

**الباب الثاني:** الكلف الشمسية المظلمة، أو البقع الشمسية[4]، التي هي مراكز لدوامات عنيفة، تظهر فيها الحركة الحلزونية للغازات، وهي تمتص إلىٰ داخل الشمس، وهذه الكلف أو البقع، هي الشهيق الذي ورد في آية سورة الملك وآية سورة هود.

وذكر أننا نستطيع أن نتصور شدة الشهيق، إذا علمنا أن متوسط سعة البقعة قد يصل إلىٰ أربعين ألف كيلو متر مربع.

أما البقعة الكبرىٰ، فقد تجاوزها بملايين المرات، حتىٰ إنه استطاع سماع شهيقها علىٰ ارتفاع (٢٥٠-٣٥٠) كيلو متراً عن الأرض بواسطة الآلات الرصد.

واعتبر ما ذكره من معنىٰ الشهيق وصفته، من السنن التي لن يغيرها الله سبحانه يوم القيامة، قال: " وبما أنه يوجد في كل شمس عدد من البقع، لذلك يكون في الشموس المحيطة بالصراط مليارات البقع، يدخل في كل منها من قدره الله سبحانه لها"[5].

وأما بقية الأبواب فقد جعل (محمود القاسم) علمها إلىٰ الله تعالىٰ، ولكنه يعتقد أنه مع توسع المعارف الإنسانية، ستصبح هذه الأبواب معلومة علم اليقين في الدنيا، وقبل يوم القيامة، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فُصِّلَت:٥٣]، وقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص:٨٨]"[6].

---

(١) السابق ص١٥١-١٥٢.

(٢) انظر: السابق ص١٥٤.

(٣) انظر: السابق ص١٥١.

(٤) الكلفة الشمسية أو البقعة الشمسية هي: بقع علىٰ سطح الشمس تتميز بدرجة حرارة منخفضة عن المناطق المحيطة بها، وبنشاط مغناطيسي مكثف يمنع حمل الحرارة، مكونـاً مناطق ذات حرارة سطحية منخفضة. انظر: موسوعة ويكيبيديا www.ar.wikipedia.org

(٥) انظر: السابق ص١٥٢-١٥٣.

(٦) السابق ص١٥٣-١٥٤.

وقد اعتبر كل ما سبق ذكره من الإعجاز العلمي الذي سبق إليه القرآن الكريم فقال: "بفضل من الله سبحانه انتبهت مؤخراً إلى هاتين الآيتين: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٥-٦] **هي إحدى الإعجازات العلمية في القرآن التي يجب إفرادها بالتبيين**"[١].

**ثانياً:** أحمد بركة: وقد ردد مقولة محمود القاسم، حيث قال: "ثم نأتي إلى النظر إلى السماء، والتأمل في لون النجوم في السماء، وهي طبعاً تختلف حسب درجة حرارتها، وهي:

أ- نجوم تبدو حمراء، وهي ذات درجات حرارة أقل، حوالي (٥٠٠٠) درجة مطلقة.

ب- نجوم مثل الشمس، تعطي ضوءاً يميل إلى البياض، درجة حرارة سطح الشمس الخارجي (٦٠٠٠) درجة مطلقة (طبعاً باطن الشمس ١٣ مليون درجة).

ج- هناك نجوم تبدو زرقاء، مثل: النجم الأزرق، تكون درجة حرارته (٧٥٠٠) درجة.

د- عند زيادة درجة الحرارة إلى (١٥٠٠٠) درجة، يزاح الطول الموجي الأكثر نحو أشعة فوق البنفسجية غير المرئية، وأشعة جاما القاتلة والمحرقة للجلد، وبذلك يبدو الجسم ذو درجة الحرارة العالية هذه أسود مظلم"[٢].

ثم بين مقدار درجة حرارة نار جهنم، وأنها تكون أكبر من (١٥٠٠٠) درجة كلفن[٣]، مؤيداً قوله بقول الله تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

ثم قال: "أي: أعلى درجة حرارة مما ندركه على الأرض من حرارات عالية؛ لأن أعلى درجة حرارة يعرفها العلم هي درجة حرارة الشمس وهي (٦٠٠٠) كلفن.

فهل كان الرسول الأمي ﷺ يسبق (بلانك)[٤]، والعالم (فيين)[٥]، ويعرف الإشعاع

---

(١) السابق ص٤٩.

(٢) الفيزياء والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٥٣-٥٤.

(٣) كلفن: من وحدات قياس درجة الحرارة المعتمدة في النظام الدولي للوحدات، ويرمز له بالرمز (k)، سميت بهذا نسبة إلى الفيزيائي والمهندس البريطاني (اللورد كلفن). انظر: موسوعة ويكيبيديا www.ar.wikipedia.org

(٤) بلانك: هو عالم فيزياء ألماني، ولد عام ١٨٥٨م، يعتبر مؤسس نظرية الكم، التي تعد ثورة في فهم الإنسان لطبيعة الذرة وجسيماتها، حاصل على جائزة نوبل في الفيزياء، وله مساهمات في مجال الفيزياء النظرية، توفي عام ١٩٤٧م. انظر: الموسوعة البريطانية: ماكس بلانك، وموسوعة ويكيبيديا www.ar.wikipedia.org

(٥) فيين: هو فلهلم كارل فيرنر أوتو فريتز فرانز فيين، فيزيائي ألماني، ولد عام ١٨٦٤م، حائز على جائزة نوبل في الفيزياء، صاغ قانوناً عرف باسمه وهو (قانون فين للإزاحة)، توفي عام ١٩٢٨م. انظر: موسوعة ويكيبيديا

الحراري، وعنده الأجهزة العلمية لدراسة ذلك الإشعاع، فسبحان الله القائل في حقه: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ (٣) إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ [النجم: ١-٥]"[١].

ثالثاً: د. خالد فائق العبيدي: فقد قال عن آية سورة هود: "ثم تدبر قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦]، التي فسرها المفسرون الأوائل بأن الشهيق والزفير، بأنه زفير وشهيق الداخلين فيها، والمعذبين فيها، والعياذ بالله، لكن المتأمل للنص، يجد فيه أن التأويل يحتمل أن الزفير والشهيق للنار نفسها، وليست لداخليها".

ثم يربط بين هذا الاحتمال، وبين ما تحدثه الشمس من انفجارات قائلاً: "حتىٰ رأينا بأم أعيننا ما بثته لنا المراصد الفلكية، والمراقب الفضائية، من الانفجارات الشمسية وألسنتها المرعبة، التي تنفجر لتتطاير شراراتها لآلاف الأميال في الفضاء، وقسم منها يصلنا كرياح شمسية بين الفينة والفينة، لنعلم أن وصف القرآن لهذه الأمور الغيبية، التي نسأل الله تعالىٰ أن يجنبنا مناظرها يوم القيامة، جاء بحقائق موجودة في هذه الدنيا، كنماذج مرئية مبسطة، كي نتعض ونتدبر بعد اكتشافنا لها"[٢].

وعلق في الحاشية علىٰ كلامه هذا بقوله: "رغم أن أهل البلاغة لا يحبذون هذه الوجهة، ولهم دليلهم، وهو أن قوله تعالىٰ: (لهم فيها) يقصد للداخلين والعياذ بالله؛ لأنه لو كان قصد الشهيق والزفير للنار لقال: (ولهم منها) أو (لها)، ولكن المعنىٰ الذي بيناه مقبول من باب التأمل، لا الترجيح والجزم والتفسير"[٣].

رابعاً: عبدالمجيد العرجاوي: حيث قال: "إن نار جهنم موصوفة بالشهيق والزفير والفوران، وبأنها حطمة، أي: تحطم ما فيه لشدة الضغط فيها، وكل ذلك من صفات نار الشمس، ومن ذلك نفهم أن نار جهنم من نوع نار الشمس، وقد كانت البشرية تجهل وجود نار لها هذه الصفات، عندما تحدث القرآن الكريم عنها"[٤].

---

= www.ar.wikipedia.org
(١) الفيزياء والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٥٤.
(٢) علوم الهندسة الكيميائية والحياتية في القرآن والسنة ص٢٠٦.
(٣) المرجع السابق ص ٢٠٦-٢٠٧.
(٤) البراهين العقلية علىٰ صحة العقيدة الإسلامية ص٢١١.

ثم أورد قول النبي ﷺ: "اشتكت النار إلىٰ ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير"(١)، ثم قال معلقاً: "قد يتبادر إلىٰ الذهن أن المراد بالنار في الحديث نار جهنم، ويستغرب جداً مما ذكر عنها، خاصة حدوث الزمهرير علىٰ الأرض من جراء نفس لها فكيف يكون ذلك؟

أقول: قد ذكر في أكثر من حديث نبوي أن الشمس تكور، وتلقىٰ في نار جهنم، أي: أنها ستكون جزءاً منها، ويمكن أن ينسب أثر الجزء إلىٰ الكل بوجه عام، ومثل ذلك مستخدم بكثرة، وقد يكون المراد بالنار جنس النار التي خلقها الله تعالىٰ، وليست نار جهنم علىٰ وجه الخصوص، وعلىٰ ذلك فلا إشكال.

وقد عرف علمياً أن الشمس تفور باللهب، ويحدث فيها اندفاعات لهب ضخمة تمتد إلىٰ آلاف كثيرة من الكيلو مترات، كما يحدث فيها هيجانات معاكسة للأولىٰ، حيث يظهر فيها انخفاضات وامتصاص للغازات، التي تندفع بشدة إلىٰ باطناها، ونتيجة لذلك تظهر البقع الشمسية، أو الكلف الشمسي، فنار الشمس إذن لها نفسان، ويمكن أن نسميهما بالشهيق والزفير"(٢).

ثم ذكر أن هذا الذي توصل إليه إعجاز علمي فقال: "إذن هنالك نار لها نفسان كما أخبر الحديث النبوي، ويحدثان علىٰ الأرض حراً وبرداً شديدين، فما أثبته الحديث النبوي لا يخالف العلم، بل هو قد أثبت حقيقة علمية مدهشة ما كانت لتخطر علىٰ بال إنسان، **وذلك من إعجازاته العلمية**"(٣).

**المناقشة:**

ما سبق ذكره من تفسيرات يرد عليها بما يلي:

١- "أن جهنم من الأمور الغيبية التي لا يحق لنا أن نزيد في بيانها غير ماورد به الشرع، ولم يرد في الشرع بيان لمكان جهنم الآن، وإمكان رؤيتها لنا في الدنيا"(٤).

٢- "أن هذا التفسير لو لم يربط بينه وبين النصوص القرآنية، لكان من الحديث في

---

(١) رواه البخاري ٤/ ١٢٠ (٣٢٦٠)، ومسلم ١/ ٤٣١ (٦١٧).

(٢) البراهين العقلية علىٰ صحة العقيدة الإسلامية ص٢١٠-٢١١

(٣) المرجع السابق ص٢١٠-٢١١

(٤) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي ٢/ ٦٢٥-٦٢٦

الأمور الغيبية بلا برهان، فكيف والأمر تجاوز هذا إلىٰ تفسير النصوص القرآنية به، أحسب هذا أمراً لا ينبغي من مسلم يلتزم بأحكام دينه، حتىٰ ولو كان ذا قصد سام في الدعوة إلىٰ الله، فليس هذا بالطريق الحق والله الهادي"[١].

٣- أن هذا التفسير خلاف تفاسير الصحابة ﷺ والسلف، وهم الأعلم باللغة ومدلولاتها، والأعلم بالقرآن ومقاصد نزوله[٢]، والأعلم بالشرع ومفاهيمه، ولم ينقل عن أحد منهم أنه أشار إلىٰ الشمس أو غيرها زاعماً أنها جهنم، ولو حصل لنقل إلينا، فقد نقلوا ما هو أقل شأناً من هذا، وهذه أقوالهم وكتبهم بين أيدينا، تخلو من ذكر شيء من ذلك أو الإشارة إليه.

٤- قال د. فهد بن عبدالرحمن الرومي: "أما انطباق أوصاف جهنم علىٰ بعض الموجودات الكونية، فلا يعني هذا أن تلك الكتلة هي جهنم، ولو صح هذا الزعم وصح هذا المقياس، لجاءنا من يزعم أن الأرض التي نعيش عليها هي الجنة في الآخرة، ويشير إلىٰ مناطق لا تخلو منها الأرض فيها الهواء العليل، والظل الظليل، والفواكه والثمار، ولن يعدم من النصوص ما يستدل بها، كاستدلال ذاك، فيقول مثلاً: روىٰ مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "سيحان وجيحان، والفرات والنيل، كل من أنهار الجنة"[٣]، وسيجد في الصحيحين: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة"[٤].

لكن هذا وذاك لا يكفيان، ولا يدلان علىٰ أن الأرض هي الجنة، مع النص المباشر علىٰ هذه الأجزاء من الأرض، بخلاف الشمس فلم يكن هناك أي نص مباشر للشمس، يجعل بعض أجزائها من النار، فإذا كان الأمر كذلك في الأرض، فأنّىٰ لرجل أن يزعم أن الشمس جزء من جهنم"[٥].

٥- أن بعض النظريات ترىٰ أن الشمس سيأتي عليها يوم تفقد فيه حرارتها، وتصير إلىٰ حالة خمود، وهذا لا يناسب ما ذكره الله عن جهنم التي لا تفنىٰ ولا تبيد.

وكذلك سائر الكواكب يقول عنها علماء الفلك بأن لها أعماراً كأعمار البشر[٦]،

---

(١) المرجع السابق ٢/ ٦٢٥-٦٢٦، وانظر: أسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص٥٨٠

(٢) انظر: أسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص٥٨٠

(٣) رواه مسلم ٤/ ٢١٨٣ (٢٨٣٩).

(٤) رواه البخاري ٢/ ٦١ (١١٩٥)، ورواه مسلم ٢/ ١٠١٠ (١٣٩٠).

(٥) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٢/ ٦٢٥-٦٢٦.

(٦) انظر: الله والعلم الحديث، عبدالرزاق نوفل ص٣١.

فإذا كان هذا في الفرق واضحاً في الصفات، ففي طبيعتها من باب أولى[1].

٦- فهم محمود القاسم أن قوله تعالى: (لترون الجحيم) هو جواب لقوله: (لو تعلمون علم اليقين)، وهو بهذا الفهم يخالف جميع المفسرين الذين قدروا الجواب محذوفاً[2].

قال عبدالله الأهدل: "ثم إن جعل قوله: (لترون الجحيم) جواباً لقوله: (لو تعلمون علم اليقين)، وتفسير ذلك بالشمس وغيرها من النجوم غير سليم، إذ كيف يكون الجواب (لترون الجحيم) مترتباً على (علم اليقين)، بينما رؤية الشمس والنجوم متاحة لكل أحد، فاشتراط علم اليقين لرؤية الجحيم التي هي الشمس كما يقول، غير سليم ومنقوض بهذه المشاهدة المتيسرة لكل أحد، فالصحيح إذاً تفسير السلف الموجب لتقدير محذوف"[3].

٧- أن النار التي وصف الله عذابها في القرآن، أخبر أنه يدخلها من يستحقها من عباده، ويخلد الكفار فيها، وأما المؤمنون فهم عنها مبعدون كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٢]، بينما الشمس التي من صفتها الإحراق، تصيب المؤمنين والكافرين الذين يسكنون قريباً من خطها، أما من بعدوا عنها، ويسكنون في المناطق القطبية أو قريباً منها، فإن هذه الصفة لا تشملهم[4].

٨- وأما استدلالهم بقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فسيأتي مناقشة أصحاب الإعجاز العلمي في استدلالهم بها في المبحث التالي.

٩- أن النبي ﷺ عرج به إلى السموات العلا، ثم إلى سدرة المنتهى، ثم إلى الله ﷻ، "وشاهد الجنة والنار بعد السماء السابعة، ولم يذكر أثناء صعوده إلى السموات، أنه مر بقطع من جهنم متناثرة بين السماء والأرض، ولو كان ما يقوله محمود القاسم صحيحاً، لأخبر الرسول ﷺ أصحابه بذلك، فالنفوس تتشرف لمعرفة الغيب مهما كانت

---

(١) انظر: التفسير العلمي للقرآن الكريم ص٣٣٧.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٤/ ٦٠٢، ومعالم التنزيل، البغوي ٨/ ٥١٨، وزاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ٤٨٦، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٠/ ٧٣٠، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٥٨٣.

(٣) التفسير العلمي للقرآن الكريم ص٣٣٦.

(٤) انظر: المرجع السابق ص٣٣٦.

مؤمنة...والإشارة إلىٰ رؤية طرف من الغيب، يزيد في طمأنينة النفس المؤمنة، ويبعث علىٰ الإيمان عند الكافر، ورسول الله ﷺ أحرص الناس علىٰ هداية أمته، فلو كانت هذه النجوم بما فيها الشمس جزء من جهنم، لأخبر بذلك رسول الله ﷺ ليقرب إلىٰ أذهاننا غيب جهنم، فلمَّا لم يكن الأمر كذلك، دل علىٰ أن جهنم خلاف ذلك"(١).

١٠- وأما ما ذكره أحمد بركة من درجات لشدة نار الآخرة، فهو مبني علىٰ درجة النار المشاهدة في الدنيا، أما نار الآخرة فغيب لم يطّلع عليها أحد، فأنىٰ له قياس نار الآخرة؟(٢).

١١- قال عبدالله الأهدل: "إن الله ﷻ سمىٰ كل مسمىٰ باسم خاص، فهذه أرض وتلك سماء، وهذا سماه حجراً، وذاك سماه شجراً، وهذه الأجرام المتلألئة من السماء والأرض سماها شمساً، وقمراً، ونجوماً، وكواكب، كما سمىٰ النار باسم الجحيم، والجنة بالجنة، فمن الخطأ الواضح أن نقول عن الشمس أو النجوم، أنها جزء من جهنم أو أنها هي، في حين أن الله أطلق عليها اسماً خاصاً بها، ولو صح هذا التحريف للأسماء والمسميات، لجاز لنا أن نقول عن غابات إفريقيا أنها جزء من الجنة؛ لوجود الظل الظليل، والجو الجميل، والثمار المختلفة، والماء السلسبيل، ولن نعدم الشبهة التي نستند إليها حينئذ لدعم هذا الرأي...وهكذا يسهل تحريف كل المغيبات وتأويلها، بل ماذا بقي من المغيبات بعد الجنة والنار، وقد أصبحت تشاهدها، وتقوم برحلات إليها كلما أردت تغيير الجو"(٣).

١٢- قال الشيخ عبدالرحمن المعلمي(٤) ؒ: "مسألة تنفس جهنم نفسين في الشتاء يكون منه شدة البرد، وفي الصيف يكون منه شدة الحر، كما جاء في الحديث الصحيح، والمسألة نفس لأمر غيبي لا نعرفه فلنؤمن به وبنفسه، والكيفية عند الله تعالىٰ"(٥).

---

(١) التفسير العلمي للقرآن الكريم، عبدالله الأهدل ص٣٣٩.
(٢) وقد سبق مناقشة هذا القول ص ٣٧٧ وما بعدها.
(٣) التفسير العلمي للقرآن الكريم ص٣٣٩.
(٤) هو: عبد الرحمن بن يحيىٰ بن علي بن محمد المعلمي العتمي، ولد باليمن عام ١٣١٣هـ ونشأ بها، وسافر إلىٰ جيزان وتولىٰ رئاسة القضاة، ثم سافر إلىٰ الهند وعمل في دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد مصححاً، ثم عاد إلىٰ مكة فعين أميناً لمكتبة الحرم المكي إلىٰ توفي بمكة عام ١٣٨٦هـ انظر: الأعلام، الزركلي ٣/ ٣٤٢، وآثار الشيخ العلامة عبدالرحمن بن يحيىٰ المعلمي اليماني، مجموعة من الباحثين ١/ ٣٥.
(٥) القائد إلىٰ تصحيح العقائد ص٢٥٤-٢٥٥.

**الآية الثالثة:** قال الله تعالىٰ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ١٩-٢١].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

حمل د. خالد فائق العبيدي المقامع في الآية علىٰ الثقوب السوداء ذات الكثافة الهائلة، حيث عنون لهذه الآية بقوله: "مقامع الحديد والأوزان الهائلة"(١)، وتساءل ما هي المقامع؟ ولماذا من الحديد؟

وبعد ذكره لقول الرازي في مختار الصحاح، وأقوال بعض المفسرين في معنىٰ المقامع، وأنها مطارق من حديد، أو سياط منه يجلدون بها، وأيد ذلك بأحاديث في الصحيحين وغيرهما قال:

"وإذن كل قمع، سواء أكان لكافر بشري، أو شكل حجري، هو عملية قذف وضرب شديدين، ولما كان المقمع موصوفاً بأنه حديدي هائل الثقل، تفتت الجبال ولا يمكن حملها لو اجتمع لها الثقلين، كما بينت الأحاديث الصحيحة، فإن هذا يعني: أنه يدخل فيه كل قصف أو جرم يمكن قذفه بشكل نيزك، أو جرم فلكي، فدعونا نتأمل أيها الإخوة الأكارم: هل لهذه المقامع الحديدية من وجود فعلي؟ وهل هي مشخصة علمياً؟ ماثقلها؟ وهل فعلاً يوجد مواد في الكون بكل هذه الأثقال والكتل؟"(٢).

ثم ذكر خواص الحديد الفيزيائية، وقارن بين نسب الحديد من حيث كثافته، وانصهاره وتآكله الكيميائي، وبين النسب القرآنية لثوابت الحديد، كما جاء في خمس سور من القرآن الكريم، ثم ربط بين ما سبق وبين الثقوب السوداء.

**وعرف الثقب الأسود:** بأنه جسم فلكي ذات جاذبية تفوق التصور التي لا يمكن حتىٰ للضوء أن يفلت منها، ويتشكل من موت نجم عظيم بعد أن تشيخ النجمة، وتصبح هرمة، وتقترب من نهاية عمرها الطويل، تستنفذ وقود نواتها الحراري الذي تشكل من الهيدروجين والهليوم... فتصبح غير مستقرة فتنكمش جذباً إلىٰ داخل نفسها، فيحصل أن وزن المادة المتهشمة المكونة لها ينجذب نحو مركزه من كل الاتجاهات، ليضغط

---

(١) العلوم والهندسة العسكرية في القرآن والسنة ص٥٧.

(٢) المرجع السابق ص٦١-٦٢.

النجمة بشكل هائل، يعمل على تهميش الحجم، مع وزن لانهائي يسمى الحالة الفريدة، يحيط بالثقب الأسود حدود كروية تسمى الأفق، أو أفق الحدث، التي إذا ما دخلها أي شيء حتى الضوء ينجذب إليها، فهي تمتص كل الأشعة فتبدو سوداء قاتمة"(١).

فذكر أن للثقوب السوداء صفات أربع:

**الأولى**: هائلة الوزن.

**الثانية**: عالية الكثافة(٢).

**الثالثة**: لها قابلية على سحب وامتصاص النجوم الميتة حتى المستعرات(٣) وما فوقها.

**الرابعة**: أنها هي المصدر الأساسي لتكون الحديد في الكون، ومنها أمطرت مجموعتنا الشمسية ومنها أرضنا، بوابل من النيازك الحديدية(٤).

وبناءً على هذه الأوصاف قال الدكتور: "وإذن هناك في الكون ثقل يصل في عظمته إلى أن ملعقة واحدة منه، تعدل وزن الكرة الأرضية عدة مرات، مع حجم صغير نسبياً، لو اجتمع عليه كل أهل الأرض ما أقلوه، أي: ما رفعوه.

قد تكون هذه المقامع هي الصورة التي وصفها لنا النبي الأمي ﷺ(٥)، وصدق رسول

---

(١) السابق ص٦٥-٦٦.

(٢) السابق ص٧٣.

(٣) النجوم المستعرات: هي النجوم المستعرة أو السوبرنوفا (Supernova) هو نوع من أنواع النجوم المتفجرة. انظر: مركز قطر لعلوم الفضاء والفلك www.qatar-falak.com

(٤) ذكر الدكتور أن الولايات المتحدة تخطط عسكرياً للقرن الحادي والعشرين، بإرسال مركبات فضائية إلى حزام الكويكبات، أو حزام (كويبر)، أو غيمة (أورت)، والموجودة ضمن نظامنا الشمسي، وذلك لغرض جلب أحجار نيزكية، ترمي بها أي دولة لا تطيعها، لتحيلها إلى رماد، وربط بين هذا التخطيط وبين عذاب الله للأمم التي رميت بنيازك - هكذا قال- أو قصفت بحجارة، أو هددت بذلك، واعتبر ذلك سبقاً قرآنياً. انظر: العلوم والهندسة العسكرية في القرآن والسنة ص٥٧.

(٥) حديث: "لو أن مقمعاً من حديد وضع في الأرض، فاجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض" رواه أحمد ١٧/ ٣٣٤ (١١٢٣٣) ، وأبو يعلى ٢/ ٥٢٦ (١٣٨٨) ، والبيهقي في البعث ص ٢٩٩ (٥٣٧) من طريق أبي لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، وكذا ضعف دراج عن أبي الهيثم، وأخرجه الحاكم ٤/ ٦٤٢ (٨٧٧٣) من طريق ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، وذكره الهيتمي في المجمع ١٠/ ٣٨٨ (١٨٥٧٨) وقال: "رواه أحمد وأبو يعلى، وفيه ضعفاء وقد وثقوه".

الله ﷺ، والله أعلم"(١).

وقال أيضاً: "والمقامع أيضاً: هي سياط حديدية حامية، يضرب بها الكفار يوم القيامة، كما جاء في التفسير، وفي حالة أن الحديد المستخدم لهذه السياط، هو نفس حديدنا المعروف علمياً لدينا، فكما رأينا إن علم الحديد وسبائكه، عالم واسع لا حصر له، فما بالك بحديد خاص أعد ليوم القيامة، لو أن قطرة منه سقطت على الأرض واجتمع لها الثقلان ما حملوها، وهذا يعرف الآن علمياً بالمواد هائلة الكثافة، وهو ما وجد في الكون باسم الثقوب السوداء، التي يشكل وزن ملعقة واحدة منها فقط، أثقل من وزن الأرض بعدة مرات، هذه السياط، والكلاليب، والخطافات الحديدية، كما جاء في أحاديث نبوية شريفة مختلفة، تُحمل بيد من؟ تُحمل بيد ملائكة العذاب الغلاظ الشداد، الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون"(٢).

**المناقشة:**

١) أن سباق آية الحج وسياقها ولحاقها، هو في بيان عذاب الكفار يوم القيامة في النار، ولذا قال تعالى بعد ذكر المقامع: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٢٢]، أي: كلما أراد هؤلاء الكفار الذين وصف الله صفتهم الخروج من النار مما نالهم من الغم والكرب، ردوا إليها(٣).

٢) أن صفة هذه المقامع وكيفيتها هو من الأمور الغيبية التي لا يمكن معرفته إلا عن طريق الوحي، بينما الثقوب السوداء(٤)، أو النيازك والأجرام الفلكية، هي من عالم الشهادة.

وقد قرر الدكتور أن الجنة لا يمكن لأحد أن يتخيلها فقال: "لا يمكن لبشر أن يتخيلها فضلاً عن أن يأتي بمثلها، وكيف لا، فهي الجنة التي أعدها الله لعباده وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما أنبأ المصطفى عليه الصلاة والسلام"(٥)، وما يقال في الجنة يقال في النار فكلاهما من المغيبات.

٣) أن الذي يضرب الكفار بالمقامع هم الملائكة كما قال ذلك المفسرون، قال الإمام

---

(١) العلوم والهندسة العسكرية في القرآن والسنة ص٧٤.
(٢) المرجع السابق ص٧٧.
(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١٦/ ٤٩٨.
(٤) وقد سبق بيان ما يتعلق بالثقوب السوداء ص٣١٧.
(٥) علوم الهندسة الميكانيكية ص٨٦.

ابن جرير الطبري ﷺ: "(ولهم مقامع من حديد) تضرب رؤوسهم بها الخزنة إذا أرادوا الخروج من النار حتى ترجعهم إليها"[١].

فهل ستضرب الملائكة أهل النار بالنيازك، أو الأجرام الفلكية، أو بالثقوب السوداء التي لا يستطيع أحد الاقتراب منها؛ لأنها تبلع كل ماحولها كما يقول أصحاب الإعجاز العلمي؟!.

٤) أن الآية الكريمة نصت على لفظ (المقامع) وهي مقصودة في العذاب؛ لأن الله ذكر في القرآن الكريم أن أهل النار لهم فيها قيود وسلاسل وأغلال.

٥) أن هذا يخالف ما أجمع عليه علماء المسلمين: أن المقامع على حقيقتها، وأنها من أمور الآخرة، ولا يعلم كيفيتها إلا الله تعالى[٢].



(١) جامع البيان ١٦/ ٤٩٨، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٧/ ٤٨٦٤، ومعالم التنزيل، البغوي ٢/ ٣٠، وزاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٢٢٩، ومفاتيح الغيب، الرازي ٢٣/ ٢١٥، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٨/ ٢٨، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ١٧/ ٢٣٠، وأضواء البيان، الشنقيطي ٤/ ٢٩٢.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٦/ ٤٩٨، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٨٢، ومعالم التنزيل، البغوي ٣/ ٣٣١، والكشاف، الزمخشري ٣/ ١٥٠، وزاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٢٢٩.

**خاتمة الفصل:**

وفي ختام هذا الفصل يتبين أن تكييف الأمور الغيبية مخالف لما قرره القرآن الكريم وجاءت به السنة النبوية، من وجوب الإيمان بها كما وردت دون بحث في كيفياتها التي لا يعلمها إلا الله تعالىٰ، وهو كذلك مخالف لمنهج السلف الصالح في التعامل مع النصوص الغيبية، بالإضافة إلىٰ ما يترتب عليه من آثار سيئة، تعود بالضرر علىٰ معتقد المسلم، وعلىٰ المسألة الغيبية التي تم تكييفها، ومن ذلك:

١- أنه إقحام للعقل فيما لا قدرة له علىٰ تكييفه؛ لأن تفاصيل المغيبات لا يمكن "إدراكها عن طريق العقل أو التجربة فقط، بل لا بد من الوحي؛ لأن العقل محدود، وعقول الناس مختلفة في عالم الشهادة، فهي في عالم الغيب أشد اختلافاً.

وأما التجربة فهي تعتمد علىٰ عناصر حاضرة من مادة يجرب عليها، وحس من المجرب وعقل، والغيب لا يمكن إحضار عناصره لتقام عليه التجربة، وتعرف كيفيته، ثم إن التجربة قامت علىٰ العقل، والعقل غير مُعتمد في إدراك الغيب، فما قام علىٰ غير معتمد، أصبح غير معتمد"(١).

قال ابن خلدون رحمه الله: "ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر علىٰ الإحاطة بالكائنات وأسبابها، والوقوف علىٰ تفصيل الوجود كله، وسَفِّه رأيه في ذلك، واعلم أن الوجود عند كل مدرك في بادئ رأيه، منحصر في مداركه لا يعدوها، والأمر في نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه، ألا ترىٰ الأصم كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الأربع والمعقولات، ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات، وكذلك الأعمىٰ أيضا يسقط عنده صنف المرئيات، ولولا ما يردهم إلىٰ ذلك تقليد الآباء والمشيخة من أهل عصرهم والكافة، لما أقروا به، لكنهم يتبعون الكافة في إثبات هذه الأصناف، لا بمقتضىٰ فطرتهم وطبيعة إدراكهم، ولو سئل الحيوان الأعجم ونطق، لوجدناه منكراً للمعقولات، وساقطة لديه بالكلية، فإذا علمت هذا، فلعل هناك ضرباً من الإدراك غير مدركاتنا؛ لأن إدراكاتنا مخلوقة محدثة، وخلق الله أكبر من خلق الناس، والحصر مجهول، والوجود أوسع نطاقاً من ذلك، والله من ورائهم محيط، فاتهم إدراكك

---

(١) الإيمان بالغيب، د. بسام العموش ص١٣٨-١٤٣ بتصرف، وانظر: الله ذاتاً وموضوعاً، عبدالكريم الخطيب ص١٢٨، ومناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، د. عبدالرحمن الزنيدي ص٢٢٧-٢٢٨، ٥٠٥، وأسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص٥٩١-٥٩٢.

ومدركاتك في الحصر، واتبع ما أمرك الشارع به، من اعتقادك وعملك، فهو أحرص على سعادتك، وأعلم بما ينفعك؛ لأنه من طور فوق إدراكك، ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره فإن ذلك طمع في محال.

ومثال ذلك: مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب، فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يدرك، على أن الميزان في أحكامه غير صادق، لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره، حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته، فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه"[1].

٢- أن الاشتغال بإدراك كيفية الغيبيات، أدى إلى انصراف الناس عن رؤية آيات الله ﷻ المشاهدة في الكون، وما خلق فيه من بديع الصنع[2]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

٣- أن في محاولة تكييف الأمور الغيبية وربطها بالعلم التجريبي، إضعاف لروح الإيمان بالغيب، الذي يحتاج إلى تصديق وإيمان عميق[3].

٤- أن في ذلك خروجاً بالعلم عن حدوده؛ لأن دور العلم في مثل المغيبات هو في تقريبها إلى العقل، وليس في تكييفها[4].

٥- أن تكييف الأمور الغيبية هو من الزيادة على ما أخبر الله ﷻ به، إذ في ذلك إضافة تفاصيل وأحداث لم تذكر في القرآن الكريم.

قال د. كارم السيد غنيم: "وكل أحوالها [أي: الآخرة] من بعث، وحشر، وتوزيع

---

(١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ص٥٨٢.

(٢) انظر: تصور الطبيعة الإنسانية من منظور نفسي مقارن، مصطفى عشوي، إسلامية المعرفة، السنة الثانية، العدد السادس.

(٣) انظر: محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، أبي الحسن الندوي ٣/ ٤٣-٤٨.

(٤) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا ١/ ٢٢٠، ٨/ ٣٦٦، ٩/ ٥٧٣، والغيب والعقل، إلياس بلكا ص١٦٠-١٦١

الكتب، وتطاير الصحف، والميزان، والحساب، والصراط، وسؤال الرسل، والشهادة، ومراحل الشفاعة، والجنة والنار، هذه كلها أمور غيبية أمر الله المؤمنين به أن يؤمنوا بها ويصدقوا، ويعلموا في الدنيا علم يقين من وقوع هذه الأحداث يوم القيامة، وهو الذي احتفظ الله بسر موعد بدئه، وأخفاه عن خلقه"[١].



### تحذير العلماء من الخوض في مسائل الغيب:

لقد حذر العلماء من الخوض في مسائل الغيب، وبينوا أن محاولة إدراك كنه الغيبيات الواردة في النصوص الشرعية، يعتبر قذفاً بالغيب، وتقول بلا علم، ودعوىٰ بلا دليل، واشتغال بما لايعني، وسعي في متاهة، وسير في غواية، وسبيل التفرق والتنازع؛ لأن " كل ماطوىٰ الله عنا خبره، فالبحث فيه مما لاتدركه العقول، وكل ما كان كذلك فإن الشرع ينهىٰ عنه، ويوجه العقل لما فيه صلاحه، ولما يحتمله ويدركه"[٢]

قال الإمام الطحاوي[٣] ﷺ عند إثباته مسألة الرؤية: "لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله ﷻ ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلىٰ عالمه، ولا تثبت قدم الإسلام إلا علىٰ ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوساً تائهاً شاكاً، لا مؤمناً مصدقاً، ولا جاحداً مكذباً"[٤].

---

(١) الآيات الكونية في القرآن الكريم ص١٥٠، وانظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ص٣٤.

(٢) موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، د. سليمان الغصن ١/ ٢٨٠

(٣) هو: أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي، من طحا، قرية بصعيد مصر، محدِّث، فقيه مشهور بمؤلفه العقيدة الطحاوية، ولد عام ٢٣٨ هـ انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، توفي بمصر عام ٣٢١ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٥/ ٢٧، وطبقات المفسرين، الداوودي ١/ ٧٤.

(٤) العقيدة الطحاوية ص٣٤.

ونقل الإمام أبو القاسم قَوّام السنة الأصفهاني عن الإمام أبي المظفر السمعاني[(١)] رحمهما الله تعالىٰ: "قال بعض علماء السنة: العقل نوعان:

عقل أعين بالتوفيق، وعقل كيد بالخذلان، فالعقل الذي أعين بالتوفيق يدعو صاحبه إلىٰ موافقة أمر الأمر المفترض الطاعة والانقياد لحكمه، والتسليم لما جاء عنه، وترك الالتفات إلىٰ ما خالف، أو وافق نهيه، غير طالب لذلك علة غير ثبوت الأمر والنهي، فيسعد باتباع الأمر واجتناب النهي.

والعقل الذي كيد: يطلب بتعمقه الوصول إلىٰ علم ما استأثر الله بعلمه، وحجب أسرار الخلق عن فهمه، حكمة منه بالغة؛ ليعرفوا عجزهم عن درك غيبه، ويسلموا لأمره طائعين، ويقولون كما قالت الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢].

فتفرقت بهؤلاء القوم الذين ادعوا أن العقل يهديهم إلىٰ الصواب السبل والأهواء، وتلاعب بهم الشيطان فزين الباطل في قلوبهم، فلم يصلوا إلىٰ برد اليقين، وصدوا عن الصراط المستقيم"[(٢)].

وبين ﷺ موقف أهل السنة من أمور ماوراء الحس والخارجة عن حدود العقل فقال: "ومن مذهب أهل السنة: إن كل ما سمعه المرء من الآثار مما لم يبلغه عقله...فعليه التسليم والتصديق، والتفويض والرضا، ولا يتصرف في شيء منها برأيه وهواه، من فسر من ذلك شيئاً برأيه وهواه أخطأ وضل"[(٣)].

٣- وقال الإمام ابن القيم ﷺ: "إن المعلومات الغائبة التي لا تدرك إلا بالخبر أضعاف أضعاف المعلومات التي تدرك بالحس والعقل، بل لا نسبة بينهما بوجه من الوجوه، ولهذا كان إدراك السمع أعم وأشمل من إدراك البصر، فإنه يدرك الأمور المعدومة والموجودة، والحاضرة والغائبة، والعلوم التي لا تدرك بالحس...والمقصود أن الأمور الغائبة عن الحس نسبه المحسوس إليها كقطر في بحر، ولا سبيل إلىٰ العلم بها إلا بخبر الصادق، وقد اصطفىٰ الله من خلقه أنبياء نبأهم من هذا الغيب بما يشاء،

---

(١) هو: منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزىٰ السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، أبو المظفر، مفسر، من العلماء بالحديث، ولد عام ٤٢٦ هـ كان مفتي خراسان، توفي بمرو عام ٤٨٩ هـ انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٩/ ١١٤، وطبقات الشافعية، السبكي ٥/ ٣٣٥.

(٢) الحجة في بيان المحجة ٢/ ٣١٥.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٤٦٦.

وأطلعهم منه على ما لم يطلع عليه غيرهم"(١).

وقال في الدرجة الثانية من درجات اليقين: "الثاني: قبول ما غاب للحق، وهو الإيمان بالغيب الذي أخبر به الحق سبحانه على لسان رسله من أمور المعاد وتفصيله، والجنة والنار، وما قبل ذلك: من الصراط والميزان والحساب، وما قبل ذلك: من تشقق السماء وانفطارها، وانتثار الكواكب، ونسف الجبال، وطي العالم، وما قبل ذلك: من أمور البرزخ، ونعيمه وعذابه.

فقبول هذا كله - إيمانا وتصديقا وإيقانا - هو اليقين، بحيث لا يخالج القلب فيه شبهة، ولا شك ولا تناس، ولا غفلة عنه، فإنه إن لم يهلك يقينه أفسده وأضعفه"(٢).

وقال أيضاً: "الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته، بل أخبارهم قسمان:

**أحدهما**: ما تشهد به العقول والفطر.

**الثاني**: مالا تدركه العقول بمجردها، كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر، وتفاصيل الثواب والعقاب، ولا يكون خبرهم محالاً في العقول أصلاً، وكل خبر يظن أن العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين: أما يكون الخبر كذباً عليهم، أو يكون ذلك العقل فاسداً، وهو شبهة خيالية يظن صاحبها أنها معقول صريح، قال تعالى ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سبأ: ٦]، وقال تعالى ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ [الرعد: ٣٦]، والنفوس لا تفرح بالمحال، وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨]، والمحال لا يشفي ولا يحصل به هدى ولا رحمة، ولا يفرح به، فهذا أمر من لم يستقر في قلبه خير، ولم يثبت له على الإسلام قدم، وكان أحسن أحواله الحيرة والشك"(٣).

---

(١) الصواعق المرسلة ٣/ ٨٧٣-٨٧٤.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٣٧٨.
(٣) الروح ص٦٣.

وقسم الإمام الشاطبي رحمه الله العلوم والمعارف من حيث إدراكها إلىٰ ثلاثة أقسام خلاصتها فيما يلي:

**القسم الأول:** قسم ضروري لا يمكن التشكيك فيه، كعلم الإنسان بوجوده، وعلمه بأن الاثنين أكثر من الواحد.

**القسم الثاني:** قسم نظري، يحصل بالكسب والنظر والاستدلال، وهذا القسم تدخل فيه كثير من العلوم، كالطبيعيات والرياضيات والطب والصناعات، وهو يفتقر إلىٰ القسم الأول.

**القسم الثالث:** قسم غيبي، لايعلم بواسطة العقل، إلا أن يعلمه، بأن يجعل له طريق للعلم به، وذلك كالغيبيات مثل ما في اليوم الآخر من بعث وحساب وجزاء، والجنة والنار، ونحو ذلك، فهذا لا يعلم إلا عن طريق الخبر، ولا سبيل للعقل فيه، ويدخل في ذلك كثير من مسائل الاعتقاد ولا سيما التفصيلية منها[1]، قال محمد رشيد رضا رحمه الله: "والأصل الذي عليه سلف الأمة في الإيمان بعالم الغيب أن كل ما ثبت من أخباره في الكتاب والسنة فهو حق لا ريب فيه، نؤمن به ولا نحكم رأينا في صفته وكيفيته"[2].

وبعض أصحاب الإعجاز العلمي قد نصوا علىٰ عدم الخوض في الغيبيات، كما قال د. زغلول النجار في بيان ضوابط الإعجاز العلمي للقرآن الكريم: "**عدم الخوض في القضايا الغيبية غيبة مطلقة** من مثل: الذات الإلهية، والكرسي والعرش، والملائكة والروح، والجن، وحياة البرزخ، وحساب القبر، ووقت قيام الساعة، والبعث، والسوق إلىٰ المحشر (العرض الأكبر أمام الله سبحانه وتعالىٰ)، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار وغيرها، وضرورة التوقف في ذلك عند حدود النصوص الواردة في كتاب الله أو في أحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ انطلاقاً من الإيمان الكامل بهما واعترافاً بعجز الإنسان عن الوصول إلىٰ مثل هذه الغيوب المطلقة بغير هداية ربانية"[3].

---

(١) انظر: الاعتصام، الشاطبي ٢/ ٨٣٢-٨٣٣، ومنهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد، د. عثمان علي حسن ١/ ١٧٦، ٣٥٣، وأسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص٥٦٨-٥٦٩، ومنهج ابن تيمية المعرفي، د. عبدالله الدعجاني ص٥٣٧.

(٢) تفسير المنار ٨/ ٢٨٧، وانظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ٤٠، والتوجيه البلاغي لآيات العقيدة، يوسف بن عبدالله العليوي ص٦٣٦.

(٣) تفسير الآيات الكونية ٤/ ٥٥٩.



ويؤكد على أن تفاصيل الآخرة مغايرة لما في الدنيا مغايرة كاملة حيث قال: "التأكيد على أن الآخرة بتفاصيلها المختلفة، وأحداثها المتتابعة، لها من السنن والقوانين ما يغاير سنن الدنيا مغايرة كاملة، وعلى ذلك فإن وقوع الآخرة لا يحتاج إلى أي من سنن الدنيا البطيئة الرتيبة؛ لأن الله تعالى يصف وقوعها بالفجائية الشديدة. . . وعلى ذلك فإن المشتغلين بعلوم الكون إذا استخدموا عدداً من الشواهد الحسية التي أبقاها الله تعالى لنا في صخور الأرض، أو في صفحة السماء للتدليل على حتمية الآخرة، من أجل البرهنة على تلك الحتمية، وعلى ضرورتها، فإن ذلك لا يمكن أن يعني قدرتهم على استشراف زمن وقوعها، الذي هو من صميم الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله تعالى "[1].

وقال د. عبدالله المصلح في شروط قبول البحوث في الإعجاز العلمي: "البعد عن تأويل المتشابه، **وكذا الخوض في القضايا الغيبية مما استأثر الله بعلمه كالجنة والنار وعذاب القبر ونعيمه ونحو ذلك مما لا يخضع للعقل ويجب الإيمان به لورود الدليل السمعي**"[2].



(١) تفسير الآيات الكونية ٤/ ٥٥٩-٥٦٠.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان ص٢٤٢



# المبحث الثالث
# الإعجاز العلمي ونشأة الكون ونهايته

**تمهيد:**

نشأة الكون ونهايته من القضايا التي شغلت الإنسان في كل زمن، ولذلك تعددت أقوال الناس في بيان كيفية ذلك، وبمقدار بعد الإنسان عن المصدر الصحيح الذي به تعرف هذه الغيبيات يحصل الخطأ ومجانبة الصواب، ويفترض العقل أشياء لا حقيقة لها.

وقد سلك البعيدون عن المصدر الصحيح في معرفة حقيقة بداية الكون ونهايته طرقاً كثيرة[1]، ومن ذلك الاعتماد على وسائل العلم البشرية للوصول إلى تصور عن كيفية بدء الكون، وكيف ستكون نهايته.

وكان أن نتج من ذلك عدد من النظريات، التي قال بها عدد من علماء الفلك، والفيزياء الفلكية، ومن أشهر هذه النظريات نظرية (الانفجار العظيم)، ونظرية (الانسحاق الكبير)، فالأولى تفسر بدء الكون، والثانية تفسر نهايته.

وقد حظيت هاتان النظريتان بشهرة بين العلماء، وتتابعوا على دعمهما وتأييدهما بما وقفوا عليه من شواهد كونية، ووجد بعض أصحاب الإعجاز العلمي أنهما تتفقان مع ما أشار إليه القرآن الكريم في عدد من الآيات، وجعلوا ذلك من السبق العلمي للقرآن الكريم، وسأورد ما ذكروه مع مناقشته في قسمين:

- القسم الأول: الإعجاز العلمي ونشأة الكون.
- القسم الثاني: الإعجاز العلمي ونهاية الكون.



(١) انظر: أصول الغيب وآثاره، د. فوز كردي ص٢٤٨-٢٥٢.

**القسم الأول: الإعجاز العلمي ونشأة الكون.**

**الآية الأولى:** قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

اعتبر بعض أصحاب الإعجاز العلمي الآية دالة على الإعجاز العلمي، حيث أنها أشارت إلى نظرية الانفجار العظيم، التي تفسر كيف كان بدء الكون، والتي اكتشفها عالم الفلك البلجيكي (جورج لو ميتر) سنة ١٩٢٧م، الذي يرى أن الكون كان في بدء نشأته كتلة غازية عظيمة الكثافة واللمعان والحرارة، أسماها (البيضة الكونية)، ثم حصل في هذه الكتلة بتأثير الضغط الهائل المنبثق من شدة حرارتها انفجار عظيم، فتت الذرات والجزئيات، وقذفها مع أجزائها في كل اتجاه، وتحولت إلى مواد أولية هي الإلكترونات، والنيوترونات، والبروتونات، وهي الشحنات السالبة والموجبة، فتكونت مع مرور الوقت الكواكب والنجوم والمجرات(١).

وقد تعددت أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الوجه الذي حصل به الإعجاز، ومن ذلك ما يلي:

**الوجه الأول:** ما ذهبت إليه الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة أن الإعجاز في الآية من جانبين:

**الجانب الأول:** أن الآية أخبرت قبل أربعة عشر قرناً أن السماء والأرض كانتا ملتصقتين، ثم انفصل بعضها عن بعض، وهذا ما أثبتته الدراسات الفلكية من نظرية الانفجار العظيم(٢)، وهذا سبق للقرآن، حيث أخبر عن هذا الأمر في زمن ما كان يتصور

---

(١) انظر: القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل ص٦١، والقرآن والعلم، أحمد سليمان ص٥٣، وبراهين، محمود القاسم ص٦٦، ومفاتيح التفسير، د. أحمد الخطيب ص١٨١، والإعجاز العلمي في القرآن، د. عايد طه ص٣٩.

(٢) فسر د. محمد شحرور في كتابه (الكتاب والقرآن ص٢٣٥) صدر سورة الفجر بأنها تدل على هذا الانفجار الكوني فقال: "فالخلق الأول بدأ بانفجار كوني هائل حيث قال: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ١-٣] الفجر: هو الانفجار الكوني الأول، (وليال عشر) معناه أن المادة مرت بعشر مراحل للتطور حتى أصبحت شفافة للضوء، لذا أتبعها بقوله: (والشفع والوتر) حيث إن أول عنصر في هذا الوجود هو الهيدروجين وفيه الشفع في النواة والوتر في المدار" وهذا التفسير مخالف لظاهر الآيات، وللغة العرب التي نزل بها القرآن، ولكلام المفسرين. انظر: التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم، منى محمد الشافعي ص٥١١-٥١٢.

أحدأو يتخيل هذا الأمر" وهذه الآية تشير إلىٰ حقيقتين من حقائق الكون الكبرىٰ:

**الأولى**: ابتداء خلق الكون من جرم أولي واحد (مرحلة الرتق) .

**الثانية**: فتق هذا الجرم الأولي (مرحلة الفتق) .

هذه الحقائق الكونية في خلق السموات والأرض، لـم يستطع الإنسـان الوصـول إلىٰ إدراك شيء منها، إلا في منتصف القرن العشرين، أو بعد ذلك بقليل، حين تبلـورت نظريـة فلكية باسم نظرية (الانفجار العظيم) ، وهذه النظرية هي الأكثر قبولاً عند علمـاء الفلـك، وعلماء الفيزياء الفلكية.

وهذا السبق القرآني بالإشارة إلىٰ حقيقة الفتـق بعـد الرتـق، مـن أعظـم الشـهادات بـأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، ولا يمكن أن يكون كلام أحد غير الله، كما يشهد لهذا النبي الخاتم ﷺ، بأنه كـان موصـولاً بـوحي السـماء، ومعلمـاً مـن قبـل خـالق السـموات والأرض، حيث لـم يكـن لأحـد مـن الخلـق علـم بهـذه الحقـائق الكونيـة الكبرىٰ في زمـن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعد نزوله"[١] .

وبمثـل هـذا الوجـه قـال د. محمـد جمـال الـدين الفنـدي[٢]، ووحيـد الـدين خـان[٣]، وعبدالمجيد الزنداني[٤]، ود. رياض عيدروس عبدالله[٥]، وغيرهم.

**الجانب الثاني**: أن الآيـة تخبر أن نسـيج الكـون واحـد، بمـا فيـه مـن نجـوم وكواكـب ومجرات، وهو ما وصل إليه العلم الحديث، حيـث أقـر جمهـور علمـاء الطبيعـة أن خلـق هذا الكون جاء من مادة واحدة، ملأت الكون في بدايته، وقد جـاءت هـذه المـادة جميعهـا من أصل واحد ومن نبت واحد، بحيث تشابهت في كل أرجاء هـذا الكـون[٦]، لكـن العلـم عجز عن سر تفسير هذه الوحدة، فلجأ العلماء إلىٰ نظرية الانفجار الكبير.

قالوا: "أصابت نظرية الانفجار العظـيم، أو الـدوي الكبيـر في قولهـا: إن مـادة الكـون نشأت جميعها من أصل واحد؛ لأن نسيج الكون كله متشابه في كل شيء"[٧] .

---

(١) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ١/ ٢٣.

(٢) انظر: لماذا أنا مؤمن ص ٤٤-٤٨.

(٣) انظر: الإسلام يتحدىٰ ص١٩٢-١٩٤.

(٤) انظر: كتاب توحيد الخالق ص٣٤٢، والإعجاز في علوم البحار ص٦٠.

(٥) خلق الكون من العدم في ضوء الدراسات الفلكية ص٥.

(٦) انظر: موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ١/ ١٧، والقرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل ص٦١، والقرآن والعلم، أحمد محمد سليمان ص٥٣، وبراهين، محمود القاسم ص٦٦.

(٧) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ١/ ٢.

**الوجه الثاني**: ما ذهب إليه د. زغلول النجار، ود. خالد فائق العبيدي، ومحمود القاسم[١]، حيث اعتبروا ذلك سبقاً علمياً للقرآن الكريم كما في الوجه الأول، لكن الفرق بينهم أن هؤلاء ارتقوا بالنظرية إلىٰ مقام الحقيقة.

قال د. زغلول النجار: "وعلىٰ الرغم من معارضة عدد غير قليل من المتخصصين في مجال الفلك، والفيزياء الفلكية، لنظرية الانفجار العظيم، فإننا نحن معشر المسلمين نقبل هذه النظرية ونرتقي بها إلىٰ مقام الحقيقة؛ لوجود إشارة لها في كتاب الله من قبل أربعة عشر قرناً"[٢].

وقد عد د. زغلول النجار ذلك إثباتاً للنظرية، وأنها من القضايا التي لا تقبل الجدال فقال: "فقد ثبت أن كوننا قد نتج عن عملية انفجار عظيم"[٣]

وقال أيضاً: "وعلىٰ ذلك، فإن مراحل خلق الكون[٤] منذ لحظة الانفجار العظيم،

---

(١) انظر: القرآن يتحدىٰ ص١٧٩-١٨٢.

(٢) تفسير الآيات الكونية ٣/ ٢٢٨، وانظر: نفس المرجع ٢/ ١٤٨.

(٣) تفسير الآيات الكونية ٣/ ٤٠٩.

(٤) ذكر د. زغلول في (تفسير الآيات الكونية ٣/ ٥٥، ٢٦١) : أن الآيات التي ذكر الله فيها خلق السموات والأرض في ستة أيام أنها تشير إلىٰ المراحل الست التي يحاول العلم المكتسب اليوم تفسيرها، وهي ست مراحل حسب الترتيب التالي: مرحلة الرتق، ومرحلة الفتق، ومرحلة تخلق العناصر في السماء الدخانية، وتخلق كل من الأرض وباقي أجرام السماء، ومرحلة دحو الأرض، ومرحلة خلق الحياة من أبسط صورها إلىٰ خلق الإنسان.
وفي (المرجع نفسه ١/ ٢٧٧): حكىٰ اتفاق جمهور المفسرين علىٰ أن أيام خلق السموات والأرض الستة هي ست مراحل، أو وقائع، أو أطوار، أو أحداث كونية متتابعة، لا يعرف مداها إلا الله تعالىٰ، وأنها لا يمكن أن تكون من أيام الأرض؛ لأن الأرض لم تكن قد خلقت بعد.
وقد سبقه إلىٰ هذا القول محمد أحمد الغمراوي في كتابه (الإسلام في عصر العلم ص ٢٤٥-٢٤٨) ، ود. منصور محمد حسب النبي في كتابه (الكون والإعجاز العلمي للقرآن) ، وقال بمثل هذا د. محمد باسل الطائي في كتابه: (خلق الكون بين العلم والإيمان ص١٦١-١٦٢) وكتاب: (صيرورة الكون ص١٦٨، ٢٧٦-٢٧٧) .
قلت: وما ذكره د. زغلول وغيره، غير صحيح لما يلي:
١- حكايته اتفاق جمهور المفسرين أن المراد بالأيام الست هي مراحل أو أطوار، أو أحداث كونية متتابعة غير صحيح، فإن المفسرين ينصون علىٰ أنها أيام، ولكنهم اختلفوا في قدرها علىٰ قولين: الأول: أنها كأيامنا هذه، عزاه ابن كثير إلىٰ جمهور المفسرين، والثاني: أن كل يوم منها كألف سنة مما تعدون، وهو مروي عن ابن عباس وغيره، واختاره الإمام أحمد وابن جرير وطائفة من العلماء، قال ابن كثير في تفسيره ٣/ ٣٨٢: " يخبر تعالىٰ أنه خلق العالم سماواته وأرضه وما بين ذلك في ستة أيام كما أخبر بذلك في غير ما آية من القرآن، والستة الأيام هي: الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، وفيه اجتمع الخلق كله، وفيه خلق آدم عليه السلام، واختلفوا في هذه الأيام هل كل يوم منها كهذه الأيام، كما هو المتبادر إلىٰ الأذهان، أو كل يوم كألف سنة، كما نص علىٰ ذلك مجاهد، والإمام أحمد بن حنبل، ويروىٰ ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس، فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق؛ لأنه اليوم السابع، ومنه سمي السبت وهو القطع". =

قد خططت[1] لها العناية الإلهية[2] بدقة فائقة، في ضبط درجات الحرارة، ومعدلات تخلق الجسيمات الأولية للمادة، وسرعات الاتساع الكوني، وغير ذلك من أمور، حتى وصل الكون إلى حالته الراهنة، ولا يمكن لكل ذلك أن يتم بغير خلق وتدبير من الله الخبير العليم"[3].

وفسر د. زغلول الآية بقوله: "وهذه الآية القرآنية الكريمة، التى جاءت بصيغة الاستفهام التوبيخى للكافرين والمشركين والملاحدة، تشد انتباههم إلى قدرة الله التامة، وسلطانه العظيم، اللذين يتضحان من إبداعه في خلقه.

ومن صور ذلك الإبداع خلق السماوات والأرض من **جرم ابتدائى واحد، سماه ربنا ﷻ باسم (الرتق)**، والرتق في اللغة: هو الضم والالتئام والالتحام، وهو ضد الفتق، يقال: (رتقت الشىء فارتتق، أي التأم والتحم)، ثم أمر الله تعالى هذا الجرم الابتدائى بالانفتاق فانفتق، وهى مرحلة يسميها القرآن الكريم باسم: (الفتق)، وتحول إلى سحابة من الدخان (مرحلة الدخان)، الذي خلق منه ربنا ﷻ كلاً من الأرض والسماء، وما ينتشر بينهما من مختلف صور المادة والطاقة، مما نعلم وما لا نعلم، ثم يأتي العلم المكتسب في منتصف القرن العشرين، ليكتشف شيئاً من معالم تلك الحقيقة الكونية، ويظل يجاهد في إثباتها حتى يتمكن من شىء من ذلك، بنهايات القرن العشرين، فينادي بنظرية سميت باسم (الانفجار العظيم)...

---

= ٢- قوله: "أنها لا يمكن أن تكون من أيام الأرض؛ لأن الأرض لم تكن قد خلقت بعد" هذا القول فيه نفي لوجود الزمن قبل خلق الأرض، والصحيح أن الزمن متقدم على خلق السموات والأرض، ويدل لهذا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء " رواه مسلم ٤/ ٢٠٤٤ (٢٦٥٣)

٣- أن التقسيم الذي ذكره الدكتور لمراحل خلق الكون هو اجتهاد منه، ويمكن أن ينقص منه أو يزاد عليه، فيجعل الرتق والفتق مرحلة واحدة، فتصبح المراحل خمس، أو يجعل خلق الحياة في أبسط صورها مرحلة وخلق الإنسان مرحلة فتصبح سبع مراحل.

٤- أن القول بأن الأيام الست هي مراحل أو أطوار، تحريف لألفاظ القرآن الصريحة التي لا تحتمل تأويلاً، ولا تقبل صرفاً لها عن ظاهرها.

(١) التخطيط من صفات البشر قاصري العقول والإدراك، والذين لا يحيطون بمآلات الأمور، وأما الله ﷻ فلا يجوز إطلاق التخطيط صفة له؛ لأنه: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧].

(٢) هذا الإطلاق غير صحيح؛ لأن الفعل ينسب إلى الله تعالى وليس إلى الصفة، مع أن التخطيط كما سبق ليس من صفات الله، ولذلك الصواب أن يقال: خلق الله ذلك بدقة فائقة.

(٣) السماء في القرآن الكريم ص١٨٧.

ويبقىٰ هذا السبق القرآني بالإشارة إلىٰ الفتق بعد الرتق، أو مايسميه علماء الفلك بالانفجار العظيم، وما أدىٰ إليه من تحول الجرم الابتدائي إلىٰ سحابة دخانية، خلقت منها الأرض والسماوات، وإلىٰ توسع الكون إلىٰ عصرنا الراهن وإلىٰ أن يشاء الله. . . يبقىٰ ذلك كله من أعظم الشهادات علىٰ أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وعلىٰ أن هذا النبي الخاتم ﷺ كان موصولاً بالوحي، ومعلَّماً من قبل خالق السماوات والأرض"[1].

وأما د. **فائق خالد العبيدي** فقد جعل ما مرت به النظرية من مراحل، سبباً لتحولها إلىٰ حقيقة فقال: "اتفق العلماء بعد أبحاث مضنية، علىٰ أن الكون تكون بفعل ما يعرف بنظرية الانفجار الأعظم (Big Bang Theory) ، وقد يقول البعض أن هذه نظرية قد تُدحض يوماً، والحقيقة أن المسألة مرت بعدة مراحل، وعدة نظريات... **إذن المسألة تحولت بفعل المراقبات الحديثة لتقنيات العصر من مجرد نظرية إلى إثباتات دامغة حولتها إلى حقيقة**"[2].

وقال تحت عنوان: (السبق القرآني في الانشطار والاندماج النوويين) : "**فإن القرآن الكريم ثبت هذه الحقيقة المهمة**، ألا وهي أن الكون كله كان جزءاً واحداً، ثم انفصل إلىٰ أجزاء، مكوناً هذا الوجود، ومنها الأرض التي نعيش عليها...

لقد اختصر القرآن الكريم معاني الانشطار، والاندماج النوويان، بقول بليغ وجيز، في كلمات معدودات، وهي كلمات (الأنبياء٣٠)[3]".

ثم بين معنىٰ الفتق وهو: الانفصال والانشطار، والرتق وهو: التجمع والتكتل، ثم قال: "أي: أن مصطلحات الفتق والرتق، تشمل كل فتق ورتق، من الذرة وما دونها، صعوداً للسماوات ومكوناتها العظيمة، أي: كل اندماج وتجميع وآصرة هو: رتق، وكل انشطار وانفجار هو: فتق من أصغر الدقائق لأكبر الحقائق.

لو تدبرنا قوله تعالىٰ في سورة الأنبياء، لعلمنا أن الرتق والفتق هما بالواقع، التعريف القرآني للانشطار، والاندماج النووي.

---

(١) المرجع السابق ص١٨٧.
(٢) علوم الهندسة الذرية والنووية في القرآن والسنة ص١٨٠-١٨١.
(٣) أي: آية سورة الأنبياء رقم (٣٠).

أما الرتق فهو لفظ قرآني لا مثيل له ولا بديل في أي كلمات أخرى، غير كلمات الله، ولذلك لا يجوز ترجمته، وهو (فعلاً) إلحام، أو إدماج كتلتين مستقلتين من جوهر واحد، أو من جوهرين مختلفين معاً في جسم واحد، و(اسماً) هو الجسد الواحد من كتلتين مستقلتين من جوهر واحد، أو من جوهرين مختلفين؛ ليصبحا جسداً واحدا مميزاً بجوهر كتلتيه"[١].

**المناقشة:**

حمل آية سورة الأنبياء على نظرية الانفجار العظيم، يرد عليه عدة أمور منها:

١- أن ألفاظ الآية تخالف ألفاظ النظرية من عدة أوجه:

**الوجه الأول:** أن الآية نصت على لفظ السموات والأرض، وليس لفظ الكون، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ فقال: (كانتا) و(ففتقناهما) بصيغة المثنى، ولم يقل: (كان) أو (فتقناه) إشارة للكون، كما تقول النظرية، وكما يقول أصحاب الإعجاز العلمي.

ثم إن الكون عند المسلمين أعم مما يشاهد "فإننا نعتقد أن الكون المخلوق أكبر بكثير من هذا الكون المشاهد، فهنالك السموات التي زارها[٢] رسولنا ﷺ، وقابل فيها عدداً من الأنبياء عليهم السلام، ورأى فيها سدرة المنتهى، وهنالك الملائكة وهي في صورتها الحقيقية مخلوقات عظيمة الخلق، وهنالك عرش الله تعالى، وكرسيه الذي وسع كل السموات والأرض، وهنالك القلم، واللوح المحفوظ... وهكذا، فالكون المخلوق أعظم بكثير من الكون المشهود، وزمانه سابق لزمان هذا الكون"[٣].

قال رياض عيدروس عبدالله: "إن الأصح أن نسميه فتق السموات والأرض؛ لأنها جزء من الكون، وليست كل الكون، كما كان يصور علماء الفلك، فالكون أعم، والسموات والأرض أخص"[٤].

**الوجه الثاني:** أن لفظ الانفجار لم يرد له ذكر في الآية، ولو كان مراداً لذكره القرآن بجلاء بدلاً من لفظ الفتق، خاصة أن لفظة (فجّر) قد وردت في القرآن في غير موضع،

---

(١) علوم الهندسة الذرية والنووية في القرآن والسنة ص٢٢٠-٢٢٢، وانظر: إعجازات حديثة علمية ورقمية في القرآن، د. توفيق أبو السعود ص٢١.
(٢) الصواب أن يقال: التي عرج إليها رسولنا ﷺ.
(٣) الفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر شيخ إدريس ص٨٨.
(٤) خلق الكون من العدم في ضوء الدراسات الفلكية ص٦.

كقوله تعالى: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ [الكهف: ٣٣] وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾ [يس: ٣٤][١].

**الوجه الثالث:** أن معنى لفظ الانفجار يغاير معنى لفظ الفتق، وليس مرادفاً له بحال من الأحوال، فلفظ (الفتق) تدور معانيه على المباعدة بين متلاصقين، أما الانفجار فتدل على النسف والهدم، والتناثر العشوائي، والانفصال الكامل بين أجزاء الشيء الواحد، أو في حالة نظرية الانفجار: انتشار سريع للطاقة في جميع الجهات بما يشبه الانفجار[٢].

قال أبو الفداء ابن مسعود: "فهل يستوي المعنى عند أصحابنا[٣] لو وضعنا لفظة (فتقنا) في محل (فجرنا) في هذه الآيات؟ كلا ولا شك، ولهذا لم يقل سبحانه (كانتا رتقاً ففجّرناهما) والأمر واضح لمن تأمله بتجرد"[٤]، "والمعرفة لمعاني كتاب الله إنما تؤخذ من هذين الطريقين: من أهل التفسير الموثوق بهم من السلف، ومن اللغة التي نزل القرآن بها، وهي لغة العرب[٥].

**وهذا التغاير في المعنى أقر به أصحاب الإعجاز العلمي** حيث قالوا: "ولكن مشكلة هذه النظرية أنها لا تقول: من أين جاءت هذه الكتلة الأولية؟ مَن الذي أحدَث الانفجار؟ وكيف لانفجار عشوائي أن يخلق كوناً منظماً بهذه الدقة الفائقة؟ ومن ثم فإن ما يؤخذ على القول بالانفجار العظيم ونرده ولا نقبله هو (الانفجار)؛ لأن الانفجار يدل على العشوائية وعدم الانضباط"[٦].

---

(١) انظر: وسطية الإعجاز العلمي بين الإفراط والتفريط، د. محمود عبدالله نجا، نشرة الحقيقة، العدد (١٥) جمادى الأولى ١٤٣٢هـ ص٢.

(٢) انظر: الفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر شيخ إدريس ص٨٨، والإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث، د. مروان وحيد شعبان ص١٨٢، ووسطية الإعجاز العلمي بين الإفراط والتفريط، د. محمود عبدالله نجا، نشرة الحقيقة العدد ١٥ جمادى الأولى ١٤٣٢ ص٢، والتفسير العلمي للقرآن الكريم، عبدالله الأهدل ص٣٢٧-٣٢٨، وآلة الموحدين لكشف خرافات الملحدين، أبو الفداء ابن مسعود ص٣٠١.

(٣) أي: أصحاب الإعجاز العلمي.

(٤) آلة الموحدين لكشف خرافات الملحدين ص٣٠٢.

(٥) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٦/ ٥٨٧.

(٦) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ١/ ٢٧-٢٨، وانظر: مقال: من حقائق علم تأريخ الكون في رحاب القرآن بين عبقرية المفسرين وآراء العلماء، د. حسني حمدان الدسوقي، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www. quran-m. com

وقالوا أيضاً: "فما ينشأ عن انفجار كبير هو الدمار، وليس عمارة الكون بهذا النظام الكامل، والوحدة الرائعة، هو الفوضى، وليس اتزان النجوم، ودورانها دورياً في مجراتها، والكواكب في أفلاكها منذ اللحظة الأولى، هو الاختلاف، وليس تشابه الكون في كل أركانه وأنحائه، كيف يكون هذا الكمال والاتزان والتماثل، نتيجة لانفجار عشوائي"[١].

وقال د. زغلول النجار: "وبدء خلق الكون بعملية انفجار كبرى، هو من دلائل طلاقة القدرة الإلهية؛ لأنه من المعروف أن الانفجار بطبيعته يؤدي إلى تناثر المادة وبعثرتها، ولا يخلف وراءه إلا الدمار"[٢].

ولذلك فضل بعضهم أن يحل اللفظ القرآني (الرتق والفتق) محل لفظ (الانفجار)؛ لأنه أدق في التعبير عن بداية خلق الكون وأفصح، وأوضح لغة وحقيقة، فيقال: (الانفتاق أو الفتق الكوني)[٣].

وأما د. زغلول النجار ففضل استعمال لفظ الانفجار، ووصفه بأنه انفجار أدى إلى إبداع وإحكام فقال: "وخلق الكون بعملية انفجار كبرى، من أعظم الدلائل على الخلق والتدبير؛ لأنه من المعروف أن الانفجار بطبيعته يؤدي إلى بعثرة المادة وتناثرها، مخلفاً وراءه الدمار، أما عملية الانفجار الكوني، فقد أدت إلى إبداع نظام، له تصميم دقيق، محكم الكتل والأحجام والأبعاد، والمدارات والسرعات والعلاقات.

وهذا النظام مبني على نسق واحد في أدق دقائقه، إلى أعظم وحداته، على الرغم من تعاظم أجرامه وأبعاده، ووحداته وتجمعاته، وتعقد علاقاته، وانفجار هذه نتيجته لا يمكن أن يكون قد تم بغير تدبير وتقدير بالغي الإحكام والإتقان، والإحاطة والقدرة، لا يستطيعهما إلا الخلاق الحكيم العليم"[٤].

ونقول للدكتور: إذا كان هو خلقٌ بالغ التقدير والإحكام والإتقان، من خلاق حكيم عليم، فلماذا العدول عن اللفظ القرآني الدال على هذه المعاني العظيمة المقصودة شرعاً، والتمسك بلفظ لا يدل إلا على التناثر العشوائي والهدم؟!.

---

(١) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ١/ ١٩.
(٢) السماء في القرآن الكريم ص١٠٣-١٠٤.
(٣) انظر: موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ١/ ٢٧-٢٨، وخلق الكون من العدم في ضوء الدراسات الفلكية، د. رياض عيدروس عبدالله ص٦، والإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث، د. مروان وحيد شعبان ص١٨٢.
(٤) تفسير الآيات الكونية ٣/ ٢٢٨.

ثم إن الألفاظ التي يطلقها الملاحدة، هي تعبر عن المعتقد الذي يعتقدونه، ولذلك لا يجوز أن تحمل ألفاظ القرآن الكريم على ألفاظ لها معاني مختلفة عما هي في القرآن، قال د. حسني حمدان الدسوقي: "وليس استخدام نفس المفردات القرآنية في وصف الظواهر الكونية تقديساً للقرآن، وأسلمة للعلوم فقط، وكفى بهما غايتان عظيمتان، ولكن من باب أن المفردات العلمية السابق ذكرها[1] وغيرها ليست دقيقة بالقدر الكافي، مقارنة بالمصطلحات القرآنية، التي تعبر عن الحقائق المطلقة لأشياء لم ير الناس خلقها، بالإضافة إلى أن مفردات القرآن في هذا الشأن، تصحح للعلماء ما اختلفوا فيه، وتفتح أمامهم نافذة على علوم المستقبل في علوم تأريخ الكون والفلك"[2].

٢- أن فعل الفتق في الآية نسبه الله تعالى إلى نفسه، قال: (ففتقناهما)، فالله ﷻ هو الذي خلق الكون وفتقه، وأبدع خلقه، بينما أصحاب نظرية الانفجار العظيم، ينسبون فعل الانفجار إلى الطبيعة أو الصدفة[3]، ويهملون الفاعل الحقيقي وهو الله تعالى؛ لأن أي نظرية تأتي متأثرة بخلفية واضعيها، في كل مرحلة من مراحلها، ومنها هذه النظرية.

وقد صرح د. زغلول النجار بأثر الخلفية العقدية على واضعي النظريات والفروض فقال: "وتتعدد الفروض والنظريات بتعدد خلفية واضعيها العقدية، والثقافية، والتربوية، والنفسية"[4].

وقال أيضاً: "على الرغم من كون عملية الخلق عملية غيبية غيبة كاملة، لم يشهدها أحد من المخلوقين، إلا أن الله تعالى من رحمته بنا أبقى لنا في صخور الأرض، وفي صفحة السماء، من الشواهد الحسية ما يمكن أن يعين الإنسان على وضع تصور ما عن كيفية الخلق، ويبقى هذا التصور متأثراً بخلفية واضعه، فتتعدد النظريات في قضية الخلق تعدداً كبيراً"[5].

---

(١) وذكر منها: الانفجار العظيم.

(٢) من حقائق علم تأريخ الكون في رحاب القرآن بين عبقرية المفسرين وآراء العلماء، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www. quran-m. com، وانظر: خلق الكون من العدم في ضوء الدراسات الفلكية، د. رياض عيدروس ص٦، والوسطية في نقد الانفجار الكبير بلغة القرآن والعلم الحديث، د. محمود عبدالله نجا.

(٣) انظر: كواشف زيوف، عبدالرحمن حبنكه الميداني ص٣٣١، ٤٤٦، والمذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات، د. غالب عواجي ٢/ ١١٧٤-١٧٧٥، والشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد ص٦٩٥-٦٩٨.

(٤) تفسير الآيات الكونية ٢/ ١٤١.

(٥) المرجع السابق ٢/ ٤٣٧، وآيات النبات في القرآن الكريم ص٢٦٣.

ويؤكد د. جعفر شيخ إدريس على هذا المعنى بقوله: "إن كثيراً من الفيزيائيين الغربيين متأثرون جداً فيما يعبرون عنه من آراء - ولا سيما الآراء الدينية - بفلاسفة بلادهم، ولهؤلاء ولفلاسفتهم أولئك ومفكريهم آراء في غاية الشذوذ والتناقض، لكنها حين تشيع تبدو كأنها أمر عادي"(١).

ولا يقتصر الأمر على الفيزيائيين الغربيين بل هو عند بعض العلمانيين الذين نجحوا في إيهام كثير من الناس، بأن الحقائق العلمية تبطل الدعاوى الدينية، وتؤيد النظريات الإلحادية، بل نجحوا في إيهامهم بأن النظرة الإلحادية إلى الوجود هي وحدها النظرة العلمية... وقد ظفروا بهذا الذي أرادوه بوسائل عدة أهمها: تفسير الحقائق العلمية بنظريات إلحادية، ثم تصوير هذه النظريات على أنها هي وحدها القادرة على تفسير تلك الحقائق، واستبعاد كل نظرية يمكن أن يشم منها رائحة تأييد الدين(٢).

٣- أن أصحاب نظرية الانفجار العظيم يعتقدون أن الكون بما فيه السموات والأرض والمجرات والكواكب نشأ من الانفجار العظيم، أي: أن الانفجار كان سبباً في نشأة المادة نفسها بأنواعها المختلفة، التي كونت هذه الموجودات، فهي تنفي وجود الزمن والمكان، والمادة والطاقة، قبل حدوث الانفجار(٣).

وهذا القول بأنه قبل الانفجار العظيم لم يكن هناك شيء اسمه المادة، فالمادة والطاقة والزمن خلقت من حالة العدم غير صحيح لما يلي:

أ- أن الله ﷻ هو خالق كل شيء ومنه الزمن والمكان، والمادة والطاقة، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزُّمَر: ٦٢].

ب- أن الأدلة من القرآن والسنة قد دلت على أن الزمن والمكان والمادة، كانت موجودة قبل خلق السماوات والأرض، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]،

---

(١) الفيزياء ووجود الخالق ص١٠٧، وانظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، د. عمر الأشقر ص٢٦، وأصول الإيمان بالغيب وآثاره، د. فوز الكردي ص٣١١.

(٢) انظر: الفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر شيخ إدريس ص٣٤-٣٥.

(٣) انظر: خلق الكون بين العلم والإيمان، د. محمد باسل الطائي ص١٠٤، والمعجزات القرآنية، هارون يحيى ص١٠، واختراق عقل، د. أحمد إبراهيم ص٦٧-٦٨، ١٤٢.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فُصِّلَت: ٩].

ويؤكد هذا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه علىٰ الماء "[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية﵀: "والرسل أخبرت بخلق الأفلاك، وخلق الزمان الذي هو مقدار حركتها، **مع إخبارها بأنها خلقت من مادة قبل ذلك، وفي زمان قبل هذا الزمان**؛ فإنه سبحانه أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، وسواء قيل: أن تلك الأيام بمقدار هذه الأيام المقدرة بطلوع الشمس وغروبها؛ أو قيل: إنها أكبر منها كما قال بعضهم: إن كل يوم قدره ألف سنة، فلا ريب أن تلك الأيام التي خلقت فيها السموات والأرض غير هذه الأيام، وغير الزمان الذي هو مقدار حركة هذه الأفلاك، **وتلك الأيام مقدرة بحركة أجسام موجودة قبل خلق السموات والأرض**، وقد أخبر سبحانه أنه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فُصِّلَت:١١]، فخلقت من الدخان، وقد جاءت الآثار عن السلف إنها خلقت من بخار الماء؛ وهو الماء الذي كان العرش عليه المذكور في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] ، **فقد أخبر أنه خلق السموات والأرض في مدة، ومن مادة، ولم يذكر القرآن خلق شيء من لا شيء**"[٢].

ج- قال د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي: "ويقول هذا العِلم: إن الكون نشأ عن الانفجار العظيم، وظل يتمدد ولا يزال، والسؤال: أين يتمدد؟ بل أين وقع الانفجار؟

إن العقل البشري لا يستطيع أن يتخيل الانفجار والتمدد إلا في مكان وزمان، ولكن العِلم يقول: إن هذا التخيل خطأ قطعاً! فالزمان والمكان إنما وجدا داخل العالم لا قبله ولا خارجه، وإذن فلا جواب علىٰ هذا السؤال أبداً!.

---

(١) رواه مسلم ٤/ ٢٠٤٤ (٢٦٥٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١٨/ ٢٣٠-٢٣٦.

وهكذا فالزمان والمكان، وكل ما تدركه حواسنا من الموجودات، هي من النسبية، بحيث لا يحق لنا ادعاء تصور كنه حقائقها، فضلاً عن التحدث عنها، وصدق الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] ، وصدق جل شأنه حين قال: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١]، وإذا ثبت هذا في المحسوسات، فما بالك بما لا يدخل تحت الحواس، بل لا يمكن أن يدخل تحت خيالنا المحدود"[١].

د- أن الآية تخبر عن حصول فتق بعد رتق، فالسموات والأرض قبل حدوث الفتق كانت موجودة بدليل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] ، فقال: (كانتا) وهو فعل ماض، وعليه فالفتق والرتق كان لشيء موجود، لا لإيجاد شيء من العدم.

٤- أن ما يذكر في النظرية من تفصيلات، لم يرد له ذكر في الآية، ومن ذلك ما ذكره د. خالد فائق العبيدي فقد ذكر في جدول تسلسل خلق الكون في اثنا عشر مرحلة، وذكر زمن كل مرحلة، ومقدار الحرارة فيها، والحدث الذي صاحبها، وعنون لذلك بقوله: (التفاصيل العلمية الحديثة لمراحل خلق الكون)، قال: "إن تاريخ الكون وتطوره وكل ما تبع ذلك من أحداث كونية، **هو نتيجة حتمية لحدوث هذا الانفجار**، ولم يكن التسلسل الزمني لهذا الحدث، ومن ثم ولادة الكون، لم يتحدد من قياسات أجراها الباحثون، بل جاء بعد التطور التقني الهائل، الذي حصل في مجالات العلوم التقنية والهندسية"[٢].

وكل ما ذكره الدكتور وغيره من التفصيلات، التي يعتقد أنها من آثار الانفجار، هي مجرد فرضيات وتخيلات[٣]؛ لأن القضية غيبية، ولا يمكن الجزم بمثل هذه التفاصيل فيها[٤]، كما أن في هذا العرض التسلسلي، إهمالاً لمعاني الربوبية، فالله تعالى هو الخالق والمدبر، والدكتور جعل الأمر نتيجة حتمية لحدوث هذا الانفجار.

---

(١) مقدمة كتاب: قدم العالم وتسلسل الحوادث بين شيخ الإسلام ابن تيمية والفلاسفة، كاملة الكواري ص٧.

(٢) علوم الهندسة الذرية والنووية في القرآن والسنة ص١٨٣، ٢١٤-٢١٦، وانظر: التطور الموجه، د. هاني رزق ص٨٤-٨٥، و تفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ١/ ٨٨-٩٧.

(٣) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن، د. السيد الجميلي ص٥٨، والفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر شيخ إدريس ص٨٨، والفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبدالكريم الحميد ص ١١٧.

(٤) انظر: النظريات العلمية الحديثة، د. حسن الأسمري ٢/ ٩٦٩-٩٧٢.

ولذلك قالت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة: "لهذا وضع العلماء نظرياتهم عن بداية هذا الكون، علىٰ أساس أن المادة التي جاء منها خلق الكون، كانت جميعها مجتمعة في حالة انضغاط لا نهائي، قبل ولادة الكون، **ثم وقع على قدر تخيلهم،** حدث بدأ وانتهىٰ في لحظة واحدة"[(١)].

وقال طنطاوي جوهريﷺ تحت عنوان (الكلام علىٰ تخيلاتٍ لأهل العصر في مبدأ خلق هذا النظام ونهايته ونحو ذلك) : "لمناسبة الكلام علىٰ نظام العالم، أذكر ما يتخيله أهل العصر في منشئه ونهايته، **وأبين أن من يأخذ ذلك بفكره، فقد حاد عن سواء السبيل في العقليات، ودل ذلك على نقص علمه.**

ومن العجيب أن علماء كل فن، يتخيلون الأمور التي لا تدخل تحت طاقتهم، ولا يبلغها علمهم، بما يعهدون في علومهم...

إن قوة البشر لا تبلغ إلا قدراً محدوداً من العلوم...وأن قوة العقل تقف عند حدها، كما تقف قوة البصر عند حد معلوم، وكما لا تعرف العين الأصوات، ولا الأذن الألون، كذلك العقل لا يعرف ما ليس تحت طاقته، وما لا يلزم للعالم الإنساني في معاده أو معاشه، وإلا لتشوشت عليه حياته، واختلت أحواله، وساء مصيره...

واعلم أنهم كما تخيلوا الآخرة فحكموا عليها بآرائهم، تخيلوا مبدأ العوالم بحسب ما ظهر لهم من الأدلة المناسبة لعلومهم...**ولكن من العجيب أننا نرى من لا تدبر عنده من دارسي تلك العلوم، يأخذه اعتقاداً صحيحاً، غافلاً عن أن صاحب القول جعله فرضاً لا اعتقاداً،** ويظن بذلك أنه عرف الآخرة والأولىٰ، حتىٰ إذا جلست مع من يشار إليه بالبنان في العلم، أخذ يحدثك عن خلق العوالم، يفصلها تفصيلاً علىٰ هذا المذهب، لا سبيل أنه من باب الجواز العقلي كما هو رأي صاحب المذهب، بل يقطع بأنه هكذا، وهذا دأب شبابنا اليوم، يظنون المُتَخَيَّل من الغربي مبرهناً عليه، وما أشبههم بمن تقدمهم من صغار الفلاسفة، إبان شبيبة الدولة العباسية، حين نقل العلوم الفلسفية من اليونانية إلىٰ العربية، فلقد كانوا يأخذون ما سمعوه قضايا مسلمة، وهم لا يشعرون بحقائقها، وما أريدت له، لما يسمعون من أسماء الحكماء الهائلة: (كأرسطاطاليس وأفلاطون، وأورفيه، وأوميروس، وإيرأقليط، وديرقراط، وسقراط، وإقليدس) كما هال

(١) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ١/ ١٨.

هؤلاء من قبلهم (لابلاس، كيلير، نوتون) ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨]، ونحن ننكر الجزم بها مع عدم صحة الدليل عليها"(١).

وقال د. مروان وحيد شعبان - وهو ممن قال بنظرية الانفجار العظيم: "ولا شك أن هذا التفصيل لمراحل خلق الكون، عسير على العلم بل من المستحيل أن يصل إليه؛ لأنه من المغيبات التي لا تخضع لمدركات الإنسان، لكن يمكن للعلم أن يصل إلى حقائق كونية ثابتة عن أصل الكون والخلق، لكنها مجملة وليست مفصلة بهذه الدقة القرآنية العجيبة"(٢).

وقال د. محمد باسل الطائي: "إن قصة الخلق التي نذكرها في هذا الفصل، هي استنباط عقلي محض، جاءت حصيلة لجهد الإنسان عبر الآلف السنين، تراكبت فيها ومن أجلها كثير من المعارف والعلوم، والتقنيات والوسائل التي ابتكرها الإنسان.

والإنسان لم يشهد خلق السموات والأرض، ولا خلق نفسه، وفيه يقول الله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف:٥١]، ولكن الإنسان يستطيع التفكير، وهذا الأمر مباح له، بل يُحَض عليه، لذلك فمن حقه أن يحكي قصة الخلق كما يراها عقلاً، ولا يشترط بالضرورة أن تكون كل تفاصيل القصة صحيحة، إنما الذي يصح منها هو بالضرورة كل ما هو أساسي فيها، ذلك لأن العلم يقوم على مبدأ التكامل، ولم يعد بالإمكان إنكار نظريات العلم التي أثبتت التجارب والإرصادات صحتها، بل يصح أن تستبدل نظرية بأخرى تأتي تصحيحاً لها، واستكمالاً لمحتواها"(٣).

٥- ما ذكره الله ﷻ في الآية من الفتق والرتق حقيقة، بينما الانفجار العظيم بتفصيلاته هو نظرية باعتراف كثير من الباحثين(٤)، وبعض أصحاب الإعجاز العلمي أمثال:

---

(١) ميزان الجواهر في عجائب هذا الكون الباهر ص٧٥-٨١.

(٢) مراحل خلق الكون بين العلم والقرآن، د. مروان وحيد شعبان، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص١١.

(٣) خلق الكون بين العلم والإيمان ص٧٩، وانظر: صيرورة الكون، له أيضاً ص١٤٥-١٩٧، ومقال: النظرة العلمية المعاصرة للغيب، له أيضاً، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي www.eajaz.org

(٤) انظر: قضية الخلق من العرش إلى الفرش، عيد ورداني ص٨٩-٩٧، والنظريات العلمية الحديثة ٢/ ٩٦٣-٩٨٣، وسقوط الايدلوجيات، أنور الجندي ص١٥٠-١٥٤، والانفجار الأعظم، رامي عماد، موقع جمعية =

عبدالفتاح صلاح رشاد[١]، ود. شعبان محمد إبراهيم[٢]، د. محمد حسن هيتو[٣]، ود. عبدالعليم عبدالرحمن خضر، حيث قال بعد بيانه لكيفية الانفجار: "ولكن هذه ليست سوى نظرية فلكية، تقوم اليوم، وقد تنقض غداً، وتقوم نظرية أخرى، تصلح لتفسير الظاهرة الكونية بفرض آخر يتحول إلى نظرية"[٤].

وجاء في موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية[٥]: "ولقد فسر علماؤنا في العصر الحديث هذه الآية على أنها تتحدث عن الانفجار العظيم، وهي نظرية لم تثبت بعد، ولكنها أفضل التفسيرات لنشوء الكون".

وفي هذا رد على ما ادعاه هارون يحيى: أن دوائر العلم الحديث، تتفق على أن الانفجار الكبير هو التفسير العقلاني الوحيد المقبول عن بداية الكون وكيف وجد[٦].

وأما د. زغلول النجار فقد اضطربت أقواله، فتارة يرتقي بنظرية الانفجار إلى مقام الحقيقة مع اعترافه أنها نظرية كما سبق[٧]، وتارة يجعلها من باب التفسير الذي يقبل الصواب والخطأ، قال: "وعلى ذلك فإني أرى جواز فهم الإشارات العلمية الواردة بالقرآن الكريم على أساس من الحقائق العلمية الثابتة أولاً، فإن لم تتوفر فبالنظرية السائدة، فإن لم تتوفر فبالفرض العلمي المنطقي المقبول، حتى لو أدى التطور العلمي في المستقبل إلى تغيير تلك النظرية، أو ذلك الفرض، أو تطويرهما، أو تعديلهما؛ لأن التفسير...يبقى اجتهاداً بشرياً خالصاً من أجل حسن فهم دلالة الآية القرآنية، إن أصاب

= هواة الفلك السورية ص١-١١، ونشأة الكون وخلق الإنسان بين العلم والقرآن ص١٩-٢٥، واللغة والفلك في ظلال القرآن الكريم، د. حميد النعيمي ص١٢٣-١٤٥، مجلة الحكمة، العدد ١٥، والأسس اللاعقلية للإلحاد مشكلة مبدأ العالم نموذجاً، عمرو بسيوني، مجلة براهين، العدد الثاني، ووجود الله في العلوم الحديثة، د. محمد رشاد ص١٠٣-١٢٢.

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٧٨.

(٢) الأرض والنبات ص٩١.

(٣) المعجزة القرآنية ص١٩٩.

(٤) هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم ص١٣٦-١٣٧.

(٥) ١/ ٢٧.

(٦) انظر: المعجزات القرآنية ص١٠.

(٧) تفسير الآيات الكونية ٢/ ١٤٦، ١٤٨، ٣/ ٢٢٨، وانظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. سليمان الطراونه ص٥١-٥٢، وبحث: مراحل خلق الكون بين العلم والقرآن، د. مروان وحيد شعبان، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٣.

فيه المرء فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، ويبقى هذا الاجتهاد قابلاً للزيادة والنقصان، وللنقد، والتعديل والتبديل"[١].

ثم يصف هذا الارتقاء، وهذا التفسير، بأنه من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، قال: "هذا السبق القرآني بحقيقة الفتق بعد الرتق، يجعلنا نرتقي بنظرية الانفجار الكوني العظيم إلى مقام الحقيقة"[٢].

وقال أيضاً: "ويعتبر إعجازا علمياً في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ لمجرد السبق بالإشارة إلى تلك الحقيقة العلمية، قبل وصول الإنسان إليها بفترة زمنية طويلة، تقدر بأكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان"[٣].

فهل يصلح وصف (الإعجاز) لقضية هي قابلة للزيادة والنقصان، وللنقد والتعديل والتبديل؟! خاصة أن الدكتور قد بين أن العلوم التجريبية، لا يمكن لها أن تتجاوز في تلك المجالات -أي الخلق وإفنائه وإعادة خلقه- مرحلة التنظير، بمعنى وضع نظرية من النظريات، أو اقتراح فرض من الفروض[٤]، بل إن أحد أبرز علماء الفيزياء وهو (ستيفن هوكنج)[٥] صرح بأن أي نظرية هي مؤقتة فقال: "أي نظرية هي نظرية جيدة إذا ما لبت شرطين:

**الأول:** أن تصف بدقة مجموعة هائلة من المشاهدات، وذلك على أساس نموذج يتضمن أقل قدر ممكن من العناصر العشوائية.

**والثاني:** هو أن تضع تنبؤات حاسمة عن نتائج المشاهدات المستقبلية"، ثم يستطرد قائلاً:

"وأي نظرية فيزيائية هي دائماً مؤقته، بمعنى أنها فرض وحسب: فأنت لا تستطيع قط أن تبرهن عليها، ومهما بلغت كثرة مرات اتفاق نتائج التجارب مع نظرية ما، فإنك

---

(١) تفسير الآيات الكونية ٢/ ٣٥.

(٢) المرجع السابق ٢/ ١١٥.

(٣) السابق ٢/ ١٤٢.

(٤) انظر: تفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٢/ ١٤١، وفي ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ١٨٠-١٨٢، وإعجاز القرآن الكريم، إبراهيم فوزي ص٥٦-٥٧.

(٥) هو: ستيفن هوكينغ، ولد في أكسفورد، إنجلترا عام ١٩٤٢م، وهو من أبرز الملحدين، ومن علماء الفيزياء النظرية على مستوى العالم، درس في جامعة أكسفورد وحصل منها على درجة الشرف الأولى في الفيزياء، له أبحاث نظرية في علم الكون، كما له أبحاث ودراسات في التسلسل الزمني، تقلد عدداً من الأوسمة، وحصل على عددمن الجوائز. انظر: موسوعة ويكيبيديا www.ar.wikipedia.org

لا تستطيع قط أن تتيقن من أنه في المرة التالية لن تتناقض النتيجة مع النظرية، ومن الناحية الأخرىٰ فإنك تستطيع تفنيد إحدىٰ النظريات، بأن تعثر حتىٰ علىٰ مشاهدة واحدة تتعارض وتنبؤات النظرية"[1].

وقد كتب (د. باتريك بيتر)[2] مقالاً بعنوان (النشاط الجديد في الكوسمولوجيا[3]) بين فيه أن الانفجار الكبير هو نظرية، ومال إلىٰ رفض كلمة الانفجار، وطرح بدلاً منها نظرية أخرىٰ[4].

وقال سيد قطب ﷺ مبيناً المسلك الصحيح في التعامل مع هذه النظرية وغيرها: "ونحن نستيقن هذه الحقيقة لمجرد ورودها في القرآن، وإن كنا لا نعرف منه كيف كان فتق السماوات والأرض، أو فتق السماوات عن الأرض، ونحن نتقبل النظريات الفلكية التي لا تخالف هذه الحقيقة المجملة التي قررها القرآن، ولكننا لا نجري بالنص القرآني، وراء أية نظرية فلكية، ولا نطلب تصديقاً للقرآن من نظريات البشر، وهو حقيقة مستيقنة، وقصارىٰ ما يقال: إن النظرية الفلكية القائمة اليوم، لا تعارض المفهوم الإجمالي لهذا النص القرآني السابق عليها بأجيال"[5].

٦- قضية بدء خلق الكون من القضايا الغيبية، التي لا يمكن معرفة تفاصيلها، وتصور كيفيتها، إلا بخبر من الله تعالىٰ؛ لأنها من الغيب المطلق، المتغلغل في عمق الزمان، فلا تقع تحت حواس الإنسان، فهي سابقة علىٰ جميع ما ترصده موجودات مادية محسوسة، ومن نظم سببيه، وقوانين كونية جارية علىٰ تلك الموجودات، ولا يمكن له أن يدرك حقيقتها بعقله وخياله، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ [الكهف: ٥١].

وهذا ما قرره أصحاب الإعجاز العلمي قال د. زغلول النجار: "وقضايا الخلق بأبعادها الثلاثة: خلق الكون، خلق الحياة، وخلق الإنسان قضايا غيبية غيبة كاملة، لم يشهدها أي من الإنس أو الجن".

---

(١) تاريخ موجز للزمن ص٢١، وانظر: الكون في قشرة جوز، له أيضاً، وتاريخ أكثر إيجازاً للزمن، له وليونرد ملونديتوف ص٢٣ وما بعدها.

(٢) وهو مدير المعهد الوطني للأبحاث العلمية بفرنسا.

(٣) أي الكون.

(٤) مجلة العلوم الأمريكية، مايو - يونيو ٢٠٠٩م.

(٥) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٧٦، وانظر: هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم، د. عبدالعليم خضر ص١٣٧.

وقال أيضاً: "وهنا يقف العلم البشري - وهو في قمة من قممه - عاجزاً كل العجز عن إدراك حدود السماء الدنيا، فضلاً عما فوقها، وعاجزاً كل العجز عن إثبات أو نفي وجود سماوات فوق السماء الدنيا، لقصور قدراته، وقصور عمره عن ذلك، وهنا تتضح ضرورة وحي السماء - لا في أمور الدين وضوابطه من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات فحسب - ولكن في قضية من أهم قضايا الوجود وهي قضية خلق السماوات والأرض، وتعدد السماوات والأرضين، وهنا أيضا يتميز موقف المسلم الذي آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، دون أن يري شيئاً من ذلك الحق؛ لأن الله تعالىٰ قد تعهد بحفظ دينه في القرآن الكريم، وفي سنة النبي الخاتم والرسول الخاتم ﷺ، وأنزل في هذا الوحي الخاتم قوله الحق: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ١٢]، فيؤمن المسلم بصدق إخبار الله عن السماوات السبع دون أن يراها هو، لأنه يؤمن بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، ومن أدري بالخلق من الله؟ ويؤمن المسلم بأن سيدنا ونبينا محمدا ﷺ هو خاتم أنبياء الله ورسله، وأنه ﷺ كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السماوات والأرض، وأنه ﷺ قد وصفه ربه بالقول الحق: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٥]، فإذا وصلنا عن الله تعالىٰ، أو عن رسوله ﷺ خبر من الأخبار، أو أمر من الأوامر، فلا نملك حياله إلا التسليم التام، والخضوع الكامل، خاصة إذا كان هذا الخبر عن عوالم الغيب، أو كان الأمر من أمور العقيدة، أو العبادة، أو ضوابط الأخلاق والسلوك، أو أحكام المعاملات، وهي أمور لا يمكن للإنسان أن يضع لنفسه بنفسه فيها تصوراً صحيحاً"(١).

وهذا الذي ذكره الدكتور هو المنهج الصحيح في التعامل مع هذه القضية الغيبية، ولكنه نقض ذلك وخالفه بأن جعل للعقل فيها مجالاً فقال: "ولكن الله تعالىٰ من رحمته بنا قد ترك لنا في صخور الأرض(٢)، وفي صفحة السماء، من الشواهد الحسية ما يمكن أن

---

(١) السماء في القرآن الكريم ص١٥٠- ١٥١.

(٢) يرىٰ عبد الدائم الكحيل "أن الله ﷻ قد خزّن معلومات بداية الخلق في كل شيء من حولنا، واستدل بقوله تعالىٰ: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ [ق: ٤] ثم قال: "في بداية الألفية الثالثة يكثر حديث العلماء عن الكتب أو السجلات المحفوظة في الأرض، ولكن ما هي هذه الكتب؟ وما هو شكل صفحاتها؟ وما هو شكل كلماتها؟ " ثم قال مبيناً ما هو الكتاب، وما هي حروفه وكلماته: "إذن القاعدة التي نستنتجها من هذه المعطيات، أن كل شيء محفوظ بكتاب، ولكن حروف هذا الكتاب هي الذرات! وهذه الكشوف حدثت كلها في القرن العشرين، وهنا نتساءل: هل يوجد في كتاب الله ﷻ حديث عن هذه الكتب المحفوظة؟ =

يعين الإنسان بإمكاناته البشرية المحدودة على الوصول فيها إلى **شيء من التصور الصحيح**، إذا استهدى بهداية الخالق ﷻ في محكم كتابه، وفي أحاديث خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، **ووظف عقله وحسه في إدراك ذلك**، ولكن إذا أنكر الإنسان الهداية الربانية، أو تجاهلها، أو حاول التطاول عليها بغير علم، دخل في نفق مظلم، يصعب عليه الخروج منه إلى لحظة الموت"[1].

ونقول للدكتور: كيف يمكن توظيف العقل والحس في الوصول إلى تصور صحيح، لقضية غيبية، لا يمكن الوصول إلى معرفتها إلا بخبر من الوحي؟!.

ثم إن العلوم التجريبية لا يمكن لها أن تتجاوز في مجال الخلق مرحلة التنظير، بمعنى وضع نظرية من النظريات، أو اقتراح فرض من الفروض[2]، وهذا ما صرح به الدكتور كما سبق.

أليس ما يدعو إليه الدكتور من توظيف العقل والحس في إدراك المغيبات، هو الدخول في نفق مظلم؟ ؛ لأنه أقحم العقل فيما لا قدرة له على تصوره، أو الوصول إليه، وهو ما اعترف به عقلاء الغرب الذين نجوا من لوثة تقديس العقل[3]، حيث قال عالم

---

= إنها الآية التي ردَّ الله بها دعوى المنكرين للبعث بعد الموت عندما قالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣] فقد استغربوا بعد تحولهم لتراب كيف يعودون للحياة، فماذا أجابهم الله ﷻ؟ يقول تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٤]" انظر: (مقال وعندنا كتاب حفيظ: حقائق علمية ( موقع: عبدالدائم الكحيل www. kaheel7. com، وقد نقلت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي هذا القول مؤيدة لها. انظر: موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ٢/ ٤-٥.

وهذا الكلام غير صحيح لما يلي:

١- أنه جعل قضية بداية الخلق من عالم الشهادة، وهي في الحقيقة من الغيب المطلق، كما أخبر الله تعالى.

٢- أن تفسير قوله تعالى: (وعندنا كتاب حفيظ) بأنها السجلات والكتب المحفوظة في الأرض، وأن حروفها الذرات، هو من تحريف الآية عن معناها الذي اتفق المفسرون عليه، وهو أن المراد بالكتاب الحفيظ: هو اللوح المحفوظ الذي حفظ الله فيه أعمال العباد.

٣- أن كشوف العلماء التي ذكرها، كانت في البحث عن تاريخ تغيرات المناخ عبر العصور، ولم يكن الهدف منها الكشف عن أسرار بداية الخلق. انظر: مقال: علم المناخ القديم والعصور الجليدية، واثق غازي المطوري، موقع جيولوجيا وادي الرافدين، ومبادىء الجيولوجيا التاريخية، فاروق صنع الله وعامر داود، والجيولوجيا الفيزيائية، جون ساندرس وألان اندرسون، ترجمة: مجيد عبود الطائي.

(١) تفسير الآيات الكونية ٣/ ١٨٩، و١/ ١٦٢، و٢/ ٤٣٦-٤٣٧، وانظر: موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١١.

(٢) انظر: تفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٢/ ١٤١.

(٣) انظر: الله يتجلى في عصر العلم، مقالة ميريت ستانلي كونجدن ص٢٢، ومن الإعجاز العلمي في القرآن، حسن أبو العينين ص٢٤٦-٢٤٩.

الجيولوجيا الروسي (أوبر تشيف): "ليس في وسع أحد من العلماء أن يصف لنا بدقة كيف تشكلت الأرض؛ لأنه لم يتح له أن يراها بنفسه، وكل ما قيل في هذا الصدد هو في طور الفرضيات التي يكون لها بعض النصيب من الصحة أحياناً"[١].

قال د. محمد بن عبدالله الخرعان: "إن الاعتماد على النظريات التجريبية مظنة للوقوع في الكثير من الزلل، ولا سيما في مسألة الخلق، التي سبق وأن ذكرنا أن العلم التجريبي الحديث خاض فيها من منطلقات إلحادية مادية، بعيداً عن الوحي المعصوم، كما أنها لا تزال في أمر مريج، من تقرير كثير من قضايا الخلق، فبعد القول بأزلية المادة، جاءت نظرية الانفجار العظيم التي تعد بمثابة نقض ونسف لها، إلى غير ذلك من التراجعات والآراء التي ينقض بعضها بعضاً"[٢].

وقالت د. فوز الكردي: "مجال العقل مرتبط بإدراك المحسوسات والعلوم الطبيعية المبنية على الملاحظة والاستنتاج ومعرفة العلل، وكلما بعدت المعلومات عن حواس الإنسان، ضعفت قدرة العقل ودقته في الاستنباط والاستنتاج، ومن ثم خفي عليه تبين وجه الحق فيها، إذ يمكن أن يتأثر العقل بخيال الإنسان وعواطفه وأوهامه، فحقائق العلوم مختبرة، ولكنها ليست كلها من باب واحد، فما كان من الغيب، فوظيفة العقل فيه تقف عند حدود التأكد من صحة النقل، ثم يتنحى ليتلقى عنه، أما علم الشهادة المدرك بالحواس مباشرة، فالعقل كثيراً ما يعطي أحكاماً صحيحة ومؤكدة، بما زوده الله من القوى، بناءًا على المشاهدات والملحوظات المرئية والمسموعة، بخلاف ما يكون له متعلق بالحواس، مع تعلق جوانبه وحقائقه بغيوب زمانية أو مكانية نسبية أو مطلقة – كما في تتبع أصل نشأة الكون بالظاهر الفيزيائية والجيولوجية وغيرها، معرفة حقيقة النفس وطرق تزكيتها وتهذيبها – فإن نتاج تفكير العقل في مثل هذه الأمور، منه ما يرفض تماماً إذا تعارض مع غيب حق، ومنه ما يقبل داخل حدود أنه علم يبدأ بالاحتمالات، وينتهي بالاحتمالات كذلك وليس باليقين"[٣].

وقالت أيضاً: "أما الماضي الموغل في القدم قبل وجود الإنسان، فهو من عالم الغيب

---

(١) لمحة خاطفة عن نشأة أراضينا، نقلاً عن كتاب: (رحلة عبر الغيب) لعبدالكريم عثمان ص٧٥، وانظر: آيات ربانية د. مختار المهدي ص٨، والشرك بين القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا ص٦٩٨.
(٢) قصة الخلق ص١١.
(٣) أصول الإيمان بالغيب وآثاره ص٦٥، ٢٤٤، ٢٥٢.

الذي لا يصل الإنسان إلىٰ حقيقته بعقله وخياله، وإن افترض فرضيات، وتخيل خيالات، قد تقترب من الحقيقة في بعض أمور العالم المحس، بحسب ما تتبع من المنهج العلمي الصحيح".

ثم بينت أن ما يصل إليه الإنسان من تفسيرات لظواهر كونية، كمعرفة تكون القارات، وتكون الجبال وعمرها، اعتماداً علىٰ بقايا من أحافير أو آثار، لا تعدو أن تكون تفسيرات فرضية، وظنون راجحة وقوية، ولا تعطي بحال علماً يقينياً؛ لأنها أمور موغلة في القدم.

ثم قالت: "أما معرفة الماضي مما هو من عالم الغيب أصلاً، كقصة خلق السموات والأرض، وقصة النشأة الأولىٰ، والمبدأ، وكيفية بدء الخلق، وخلق آدم ﷺ، فليس من طريق إلىٰ معرفته معرفة يقينية إلا طريق الوحي.

ولأن الإنسان طموح بطبعه إلىٰ معرفة الماضي ووقائعه، فقد زوده ربه الذي خلقه من هذه المعارف، بقدر ما يعينه علىٰ تحقيق عبوديته لله وإعمار الحياة، ما أغناه بها عن الفرضيات والنظريات الظنية، والفلسفات الوثنية"(١)

وعلىٰ كل حال فاليقين في مثل قضية كيفية بدء الخلق، لا يتحقق إلا إذا أيده خبر الوحي لتعلقه بالغيب، قال حسن أبو العينين: " كل ما ذكره العلماء في هذا الشأن منذ ميلاد الإنسان وحتىٰ اليوم، هو عبارة عن افتراضات ظنية، لا تدعهما أدلة يقينية، وعجِز الإنسان تماماً، بل وسيظل عاجزاً عن معرفة نشأة أي عنصر من عناصر الكون، مهما تقدم العلم؛ ذلك لأن العلم البشري هو نتاج التفكير العقلي للإنسان، وهو تفكير له حدوده وأبعاده في المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، ألا وهو كوكب الأرض، وبما أنعم الله عليه من علم"(٢).

٧- المؤمن يسير في نظره للكون بهداية ربانية، فهو يقف عند ما ذكره الله ﷻ في كتابه من تفاصيل عن بداية الخلق، وكيفية نشأته، ولا يجهد نفسه في البحث عما لم يذكره، ولا يتخبط في بحثه عن حقيقة الوجود والكون والحياة، وإنما بحثه يوصله إلىٰ معرفة الله تعالىٰ، وإفراده بالعبادة والطاعة.

---

(١) أصول الإيمان بالغيب وآثاره ص٤٧، وانظر: المعرفة في الإسلام، د. عبدالله القرني ص٤٧٥-٤٨١.
(٢) الإعجاز العلمي في القرآن ص٢٤٩.

وقضية "خلق الكون من أولها إلىٰ آخرها، تخرج عند المسلمين خارج دائرة الطبيعة والنظام الطبيعي، إذ لا تقبل عقولنا أن يقال لنا: إن ثمة نظرية طبيعية تصف الكيفية التي خَلقت بها الطبيعة نفسها، فالذي خلق الطبيعة لم يكن محكوماً في ذلك بقوانينها الفزيقية، التي كان هو من أجراها عليها وسنها فيها"[1].

ولقد بين الله تعالىٰ لعباده المؤمنين حقيقة خلق الكون، فأخبرهم أن كل ما فيه من العوالم العلوية والسفلية، خلقها الله تعالىٰ بقدرته وإرادته وتقديره، وبقوله: (كن) كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وقال تعالىٰ: "﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وذكر الله ﷻ طرفاً من تفاصيل بداية خلق السموات والأرض فقال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فُصِّلَت: ٩-١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨].

ولذلك فإن سلف هذه الأمة من المفسرين وغيرهم، تكلموا في بداية الخلق علىٰ نور من الله تعالىٰ، ففسروا هذه الآيات، وهم مقرون بالخالق وقدرته علىٰ الخلق والتكوين، وتكلموا بذلك علىٰ ما يقتضيه كلام الخالق نفسه سبحانه، لا آرائهم وكشوفاتهم، فلم يتجاوزا ما أخبر الله به في كتابه؛ لأن المسألة من الغيب الذي لا يمكن معرفته إلا عن طريق الوحي، ولذلك جاء كلامهم كلام أهل علم، وورع وتقوىٰ، وبصائر نافذة، فأصابوا الحق في العلم بالمخلوقات، كما كانوا علىٰ الإصابة والسداد في العلم بخالقها[2].

---

(١) آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين ص٧٠٣.

(٢) انظر: الفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبدالكريم الحميد ص١١٦، ١١٩، والوحي والعلوم في القرن الواحد والعشرين، د. سوسن أحمد القلال ص٣٥٨.

وقد ورد عن السلف في تفسير الرتق والفتق في قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠] أربعة أقوال(١):

**القول الأول:** أنهما كانتا ملتصقتين، ففصل الأرض عن السماء، فجعل الأرض في الأسفل، والسماء في العلو، وقد ذهب إلىٰ هذا ابن عباس من رواية عطية العوفي، وعلي بن أبي طلحة، وذهب إليه الحسن، والضحاك، وقتادة.

**القول الثاني:** أن السماء كانت مرتتقة طبقة ففتقها الله فجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرض كانت كذلك مرتتقة ففتقها فجعلها سبع أرضين، وذهب إلىٰ هذا مجاهد، وأبو صالح، والسدي.

**القول الثالث:** أن السماوات كانت رتقاً لا تمطر، والأرض كذلك رتقاً لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات، وذهب إلىٰ ذلك عكرمة، وعطية العوفي، وابن زيد.

**القول الرابع:** أن السموات والأرض كانتا مظلمتين، ففتقهما بالنهار، وهذه رواية عن ابن عباس...

قال د. مساعد الطيار: "فهذه أقوال أربعة من أقوال السلف، وظاهر من اختلافهم - رحمهم الله - أن كل واحد منهم قال باجتهاده، واعتمد علىٰ مدلول الرتق والفتق، والرتق في اللغة: التضام والالتحام، والفتق: الانفصال والانفتاح بين شيئين...

وإذا أجريت أقوال المفسرين علىٰ معنىٰ الرتق والفتق، وجدت أقوالهم تخرج عنه، وتصدر منه، فما من قول إلا وفيه معنىٰ الرتق والفتق، سوىٰ قول ابن عباس الأخير، الذي هو تفسير بلازم لفظ الرتق والفتق، واستدلال علىٰ خلق الظلمة قبل النور؛ فكأنه ظهر له أن الالتصاق قرين الظلمة، والفتق قرين النور وهو النهار، وعلىٰ هذا لا يكون تفسيره هذا تفسيراً للمفردة بما يدل عليها من لغة العرب، بل هو تفسير لها بلازمها في هذا السياق.

وعند تأمل هذه الأقوال تجد أن الرؤية في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: ٣٠] تحتمل أمرين:

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٦/ ٢٥٤، ومعالم التنزيل، البغوي ٣/ ٢٨٧، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٧٩، وزاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ١٨٩، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١١/ ٢٨٢، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ص ٥٢٢، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ١٧/ ٥٣، وأضواء البيان، الشنقيطي ٤/ ١٤٠.

**الأول**: أن الرؤية بمعنى العلم، وعلى هذا القول الأول والثاني والرابع، وهذا يعني أن الاعتبار بهذه الآية يأتي عن طريق العلم الاستدلالي.

**الثاني**: أن الرؤية بصرية، وعليه القول الثالث الذي فسر الرتق بعدم إنزال المطر وبعدم إنبات النبات، والفتق بإنزال المطر، وبإنبات النبات، وهذا مشاهد لكل واحد من الناس، فهم يدركونه بأبصارهم، وعلى هذا يكون المراد العبرة بالآية عن طريق البصر، وهذا القول يعضده عدد من الأدلة، منها:

١ - كونه معلوماً مشاهداً لجميع الناس، بخلاف غيره من الأقوال التي تحتاج إلى استدلال.

٢ - أن هذا المعنى له نظير في القرآن، وذلك مثل قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ [الطارق: ١١-١٢]، وقوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا﴾ [عبس: ٢٤-٢٦]، ووجود النظير يعزز كون هذا المعنى أرجح، مع الأدلة الأخرى المذكورة.

٣ - أن السياق بعده يشير إلى صحته، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقد استدل على ترجيح هذا المعنى بالسياق عدد من العلماء، أذكر منهم: عبد الرحمن بن زيد (ت: ١٨٢) ، قال: (كانت السماوات رتقاً لا ينزل منها مطر، وكانت الأرض رتقاً لا يخرج منها نبات، ففتقهما الله، فأنزل مطر السماء، وشق الأرض، فأخرج نباتها، وقرأ: ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠])، وقال الطبري (ت: ٣١٠): (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً من المطر والنبات، ففتقنا السماء بالغيث، والأرض بالنبات.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك؛ لدلالة قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠] على ذلك وأنه - جل ثناؤه - لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه)[1].

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٢٥٨.

ومع رجحان هذا المعنىٰ علىٰ ما سواه، يبقىٰ لغيره احتمال الصحة، فالأقوال غير متناقضة - كما ترىٰ - بحيث لو قيل بأحدها سقط الآخر، وما دام الأمر كذلك، فإن هذه الأقوال تكون في مرتبة دون القول الأول[١]"[٢].

ثم بين د. مساعد مدىٰ ارتباط نظرية الانفجار العظيم بالأقوال الأربعة للمفسرين فقال: "وأقرب أقوال المفسرين لهذه النظرية القول الأول، وهو من قال بأن السموات والأرض كانتا ملتزقتين ففتقهما إلىٰ سماء وأرض.

وهذا يعني أن القول بهذه النظرية - علىٰ سبيل التفسير - إنما هو تفصيل لمجمل هذا القول، وليس قولاً حادثاً جديداً، وإنما الجديد فيه هذه التفاصيل التي لا زالت في طور النظرية.

وإذا صحت هذه النظرية فصارت بمثابة الحقيقة التي لا خلاف فيها، فإنه لا يمتنع أن تكون أحد المعاني المرادة بهذه الجملة من الآية، مع بقاء احتمال الأقوال الأخرىٰ في كونها مرادة كذلك، لكن لا زال أقوىٰ الأقوال ما ذكرت ترجيحه"[٣].

وعلىٰ هذا فلو سلمنا بأن الآية تدل علىٰ النظرية، فإن الأمر لا يخرج عن كونه تفسيراً يَقبل الصواب والخطأ، ولا يصح أن يقال بأنه من الإعجاز والحال كما ذكر.

وهذا ما نبه عليه د. مساعد الطيار بقوله: "وتفسير هذه الآية بهذه النظرية يدخل في باب التفسير العلمي عند المعتنين بالإعجاز العلمي، الذين يفرقون بين مصطلح (التفسير العلمي) ومصطلح (الإعجاز العلمي)، خلافا لما ذهب إليه مؤلف الكتاب[٤] الذي جعلها من آيات الإعجاز العلمي بالدعوىٰ التي ذكرها، والتي يمكن لآخرين أن يستخدموها في غير هذه الآية من الآيات التي تذكر بعض الغيبيات"[٥].

وقال د. رياض عيدروس عبدالله: "وخلاصة الأمر أن علم الكونيات استقر علىٰ هذه النظرية التي صمدت أمام جميع الاختبارات إلىٰ وقتنا الحاضر، وحظيت بالقبول الواسع في تفسير بدء الكون، ونفي أزليته وتقرير أنه حادث، فهي أقرب إلىٰ ظاهر المعنىٰ القرآني

---

(١) وهو: أن السماء والأرض كانتا ملتصقتين، ففصل الأرض عن السماء، فجعل الأرض في الأسفل، والسماء في العلو.

(٢) الإعجاز العلمي إلىٰ أين ص ١٢١-١٢٦.

(٣) المرجع السابق ص ١٢١-١٢٦.

(٤) يقصد د. زغلول النجار في كتابه (السماء في القرآن الكريم ص١٠٧-١٠٨).

(٥) الإعجاز العلمي إلىٰ أين ص١٢٥.

وأقرب إلىٰ تفسير النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وقد يأتي العلم بنظرية أكثر قرباً تعيننا علىٰ فهم تلك النصوص[1] فنأخذ بها من باب التفسير العلمي، ولا ينبغي الأخذ بها في باب الإعجاز العلمي، وجعْلها حجة علىٰ سبق القرآن الكريم، مادامت نظرية قابلة للأخذ والرد"[2].

ولذلك نحن "في غنىٰ عن الاستشهاد بالانفجار العظيم لإثبات حدوث الكون؛ لأن دليل السببية قائم قبل أن نعلم بوجود الانفجار العظيم وبعد أن علمنا، وهو دليل صلب ليس به ثغرات، ومتوافق مع الفطرة والشريعة، ولا يثبت فقط حدوث الكون، بل يثبت أن المُحدِث له هو القيوم، ودليل السببية لا يعتمد علىٰ الانفجار في شيء"[3].



**الآية الثانية:** قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فُصِّلَت: ١١].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

ذكر بعض أصحاب الإعجاز العلمي أن الآية تدل علىٰ الإعجاز العلمي من وجهين:

**الوجه الأول:** أن الدخان الوارد في الآية هو مادة عالية الكثافة، وهي غاز الهيدروجين والهليوم[4]، ويُطلق عليه بعضهم (السديم) .

قال د. زغلول النجار: "من الراجح علمياً أن كوننا بدأ بحالة من الدخان الكثيف التي استمرت علىٰ مدىٰ ثلاثين مليون سنة من سنيننا الحالية علىٰ أقل تقدير، ثم بدأ الكون من بعدها في التحول إلىٰ الشفافية القادرة علىٰ استقبال الضوء الناتج عن عملية الاندماج النووي في داخل النجوم، والتي استمرت علىٰ مدىٰ فترة تقدر بعشرة مليارات من السنين علىٰ أقل تقدير إلىٰ زماننا الحالي، وإلىٰ أن يشاء الله تعالىٰ، ولما كان ضوء النجوم - في غالبيته - غير مرئي تعددت الظلمات في كوننا علىٰ النحو التالي: الظلمة الأولية للكون...الظلمة الحالية للكون...ظلمة أعماق البحار والمحيطات...ظلمات الأرحام".

---

(١) النصوص بحمد الله تعالىٰ واضحة المعنىٰ، ولا يتوقف فهمها علىٰ الإتيان بنظريات.

(٢) خلق الكون من العدم في ضوء الدراسات الفلكية ص٦.

(٣) اختراق عقل، د. أحمد إبراهيم ص١٤٤.

(٤) انظر: السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار ص١٠٠-١٠١، وموسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ١/ ١٤، والقرآن يتحدىٰ، محمود القاسم ص١٧٩-١٨٢، وإعجازات حديثة علمية ورقمية في القرآن، د. رفيق أبو السعود ص١٨-٢٠.

ثم ذكر قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، وقال: "فجمع الظلمات لتعددها وسيادتها في الكون، وأفرد النور لخصوصيته ومحدوديته في الوجود وعدم تعدده، وهي حقائق لم تدرك إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين"(١).

وقال د. خالد فائق العبيدي: "تكونت مجرتنا من تجمع لكرة غازية هائلة الحجم، كثيفة القوام، حوالي (ثلاثه بليون) عام من عمر الكون، ثم بدأت المادة الكثيفة من الهيدروجين والهليوم بالتكثيف لتشكل النجوم أو الشموس، فبدأت تظهر هذه النجوم، وبقية الغازات تجمعت لتشكل قرص هائل من المادة الكونية، ثم تشكلت حول بعض النجوم توابع كانت جزءاً منها، فانفصلت عنها لتشكل المنظومات الشمسية، ومنها مجموعتنا التي منها أرضنا التي نعيش عليها"(٢).

**أدلتهم:**

وأيد القائلون بما سبق كلامهم بما يلي:

١- اكتشاف الإشعاع الحراري الكوني، الذي كان فيه الدليل المادي الملموس لدعم نظرية الانفجار الكبير، والارتقاء بها إلىٰ مقام الحقيقة شبه المؤكدة، ، وقد اكتشفه كلاً من (بنزاياس) و (ولسون) ، ومُنحا عليه جائزة نوبل في سنة ١٩٧٨م.

و"في سنة ١٩٨٩م أرسلت (مؤسسة ناسا الأمريكية) إلىٰ الفضاء مركبة فضائية لجمع المعلومات حول الإشعاع الحراري الكوني، أطلق عليها اسم مكتشف الخلفية الإشعاعية (cobe) (كوب) وزود بأجهزة فائقة الحساسية، أثبتت وجود تلك الأشعة الأثرية المتبقية عن عملية الانفجار العظيم، وكان في هذا الاكتشاف، التفسير المنطقي لسبب الأزيز اللاسلكي المنتظم، الذي يعج به هذا الكون، والذي يأتي إلينا من مختلف أطراف الكون المدرك، والذي بقىٰ علىٰ هيئة صدىٰ لعملية الانفجار الكبير.

وقد قامت هذه المركبة الفضائية بإرسال ملايين الصور إلىٰ الأرض عن بقايا الدخان الذي نتج عن عملية الانفجار العظيم، من علىٰ مسافة تقدر بعشرة مليارات من السنين

---

(١) تفسير الآيات الكونية ١/ ٢٠٣-٢٠٧.

(٢) علم الهندسة الذرية والنووية في القرآن والسنة ص١٩٥.

الضوئية، وهو ما دَفع بالغالبية الساحقة من علماء الفلك والفيزياء الفلكية إلى الاعتقاد بصحتها[١].

٢- معنى كلمة (دخان) العلمي: قال د. رفيق أبو السعود: "وبمراجعة المعنى العلمي لكلمة دخان حسب ما هو مذكور في دائرة المعارف الإفرنسية لمؤلفها كيليبة: (الدخان هو المنتوجات الغازية المختلفة الكثافة، والتي تتصاعد من المواد التي هي في حالة حرارية مرتفعة جداً لدرجة التوهج)"، ثم قال: "هذا الوصف ينطبق تماماً على الشموس والنجوم المتوهجة من الاحتراق الحراري النووي للهيدروجين، أي أن الله تعالى حينما استعمل كلمة دخان كان يقصد الهيدروجين الغير معروف حين نزول القرآن الكريم، وهذا يتطابق تماماً مع العلم الحديث"[٢].

**الوجه الثاني**: أن قول السماء والأرض: (قالتا أتينا طائعين) هي الموجات الصوتية التي صدرت من الكون[٣] في مرحلة الدخان أو الغاز، وهي الأزيز اللاسلكي المنتظم الذي يعج به هذا الكون، والذي يأتي إلينا من مختلف أطراف الكون المدرك، والذي بقي على هيئة صدى لعملية الانفجار الكبير[٤].

وجاء في مقال: (حقائق كونية تتجلى في كتاب الله)[٥] "والذي يتأمل القوانين الرياضية التي أودعها الله تعالى في الدخان أو الغاز، يجد ومن خلال ما يسمى بهندسة ميكانيك السوائل، أن أي غاز عندما يتمدد ويكبر حجمه، يصدر عن هذا التمدد موجات قد تكون صوتية، وذلك بسبب التغير في كثافة الغاز، وحركة جزيئاته، واحتكاكها ببعض، مما يولد هذه الأمواج.

وهذا ما حدث فعلاً في بداية نشوء الكون عندما كان دخانًا، فالتوسع والتمدد أدى إلى احتكاك وتصادم مكونات هذا الحساء الكوني الحار، وإطلاق هذه الأصوات التي تشبه حفيف الشجر، حتى إن بعض العلماء قد رسموا خطًا بيانيًا يمثل هذه الذبذبات الكونية".

---

(١) انظر: موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ١/ ١٤-١٥.
(٢) إعجازات حديثة علمية ورقمية في القرآن ص٢٠، وأسرار الكون بين العلم والقرآن ص ٣، ٢٩.
(٣) وهذا لفظهم، فهم يعبرون عن السماء والأرض بالكون، وقد سبق بين مافيه ص ٢٦٨.
(٤) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ١/ ١٤-١٥.
(٥) نشر في موقع الهيئة العالمية www. eajaz. org

ثم لخص صاحب[1] المقال قوله في النقاط التالية:

"١- تحدث القرآن عن قول السماء في ذلك الوقت وطاعتها لخالقها، وقد يستغرب البعض من هذا الأمر، فكيف تتكلم السماء؟ ولكن الأبحاث والاكتشافات الجديدة أثبتت إمكانية إصدار الأمواج الصوتية من الكون في مرحلة الدخان أو الغاز.

٢- لقد حددت الآية المرحلة التي تكلمت فيها السماء، وهي مرحلة الدخان، وهذا ما اكتشفه العلماء اليوم، فهم وجدوا بأن الكون في مرحلة الغاز الحار والغبار، أصدر موجات صوتية نتيجة تمدده.

٣- المنحنيات البيانية التي رسمتها أجهزة الكومبيوتر لكلام الكون، جاءت متناسبة مع قوله تعالى: (أَتَيْنَا طَائِعِينَ) فهذه المنحنيات لم يظهر فيها أية نتوءات حادة، أو عنف أو تمرد، بل كما أكد العلماء كان صوت الكون هادئًا، وشبهوه بصوت الطفل الرضيع!".

**المناقشة:**

١- قولهم أن بداية الكون[2] كانت كتلة هيدروجين شديدة الكثافة، يخالف ما عليه أهل الملل والمسلمون، أن بداية الكون كانت دخاناً كما صرحت الآية بذلك، والدخان جسم خفيف، وليس ذو كثافة عالية[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "وقد أخبر سبحانه أنه ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَت: ١١]، فخلقت من الدخان، وقد جاءت الآثار عن السلف إنها خلقت من بخار الماء، وهو الماء الذي كان العرش عليه المذكور في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، فقد أخبر أنه خلق السموات والأرض في مدة ومن مادة، ولم يذكر القرآن خلق شيء من لا شيء، بل ذكر أنه خلق المخلوق بعد أن لم يكن شيئاً كما قال: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩]، مع إخباره أنه خلقه من نطفة"[4].

وقال أيضاً: "وأهل الملل متفقون على أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام،

---

(١) لم يُذكر اسمه في الموقع.

(٢) على قولهم، وأما الآية فنصت على السماء والأرض.

(٣) انظر: الوحي والعلوم في القرن الواحد والعشرين، د. سوسن أحمد القلال ص٣٦١، والفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر شيخ إدريس ص٩٩-١٠٠، والفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبدالكريم الحميد ص١٢٠، وآلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين، أبو الفداء ابن مسعود ص٣٢٠.

(٤) مجموع الفتاوى ١٨/ ٢٣٥-٢٣٦.

وخلق ذلك من مادة كانت موجودة قبل هذه السموات والأرض، وهو الدخان الذي هو البخار كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَت: ١١]، وهذا الدخان هو بخار الماء الذي كان حينئذ موجوداً، كما جاءت بذلك الآثار عن الصحابة والتابعين، وكما عليه أهل الكتاب"(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وتأمل خلق هذا السقف الأعظم مع صلابته وشدته ووثاقته من دخان، وهو بخار الماء، قال الله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٢٨]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]، فانظر إلى هذا البناء العظيم الشديد الواسع، الذي رفع سمكه أعظم ارتفاع، وزينه بأحسن زينة، وأودعه العجائب والآيات، وكيف ابتدأ خلقه من بخار ارتفع من الماء وهو الدخان"(٢).

**٢- قال د. مصطفى مسلم: "إن العلوم الفضائية والعلوم الطبيعية، لا زالت تحبو للتعرف على أصل الكون ونشأته، والمادة الأولية التي تتكوّن منها الأجرام السماوية، وطريقة تشكيلها.**

ولقد درسوا مليّاً ما يقع على الكرة الأرضية من خارج مجالها من النيازك والأتربة الكونية، وما حصلوا عليه أخيراً من قطع من سطح القمر، كل ذلك يؤكد وحدة أصل الكون المادي، وأصبح ذلك حقيقة علمية عندهم، ولكنهم لم يستطيعوا تحديد الحالة الأولية لهذه المواد التي كانت عليها قبل تجمّعها في مجموعات من النجوم والكواكب والمجرّات، **ولن يستطيعوا ذلك إلا ظناً وتخمينا**، يقول تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١]"(٣).

**٣- أن جعل قول السماء هو الموجات الصوتية نتيجة التمدد، هو إنكار لحقيقة القول الصادر منها ومن الأرض، وليس هناك ما يمنع من صدور هذا القول حقيقة من السماء والأرض وغيرها، مما أخبر الله تعالى عنها أنها تنطق وتقول، كجهنم والجوارح، وإن كنا لا نعرف كيفية صدوره منها(٤).**

---

(١) المرجع السابق ٥/ ٥٦٤.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ١٩٧، وانظر: لطائف المعارف، ابن رجب ص٣٦.

(٣) مباحث في إعجاز القرآن ص١٦٥.

(٤) انظر: أسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص٢٤٩.

قال الإمام ابن قتيبة ﷺ: "وأما تأويلهم في قوله -جل وعز- للسماء والأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]: إنه عبارة عن تكوينه لهما، وقوله لجهنم: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] إنه إخبار عن سعتها، فما يُحوج إلىٰ التعسف والتماس المخارج بالحيل الضعيفة؟ وما ينفع من وجود ذلك في الآية والآيتين، والمعنىٰ والمعنيين، وسائر ما جاء في كتاب الله ﷻ من هذا الجنس، وفي حديث رسول الله ﷺ ممتنع عن مثل هذه التأويلات؟، وما في نطق جهنم، ونطق السماء والأرض من العجب؟ والله ﷻ يُنطق الجلود، والأيدي، والأرجل، ويُسخر الجبال، والطير بالتسبيح..."[(١)].

والله ﷻ قادر علىٰ مخاطبة الجمادات، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، كما أن الله ﷻ خاطبهما خطاب من يعقل، وذكر جوابهما، وكان الجواب لجمع العقلاء فقال: (طائعين) ، ولم يقل طائعتين علىٰ اللفظ، ولا طائعات علىٰ المعنىٰ، لأنهما سماوات وأرضون؛ لأنه أخبر عنهما، وعمن فيهما، ولما وصفهن بالقول والإجابة، وذلك من صفات من يعقل، أجراهما في الكناية مجرىٰ من يعقل[(٢)].

قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "قال الله للسماء والأرض: جيئا بما خلقت فيكما، أما أنت يا سماء فأطلعي ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم، وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقت فيك من الأشجار والثمار والنبات، وتشققي عن الأنهار (قالتا أتينا طائعين) جئنا بما أحدثت فينا من خلقك، مستجيبين لأمرك لا نعصي أمرك"[(٣)].

٤- سبق بيان أن بدء الخلق وما يتعلق به من تفاصيل، هي من الغيب المطلق، الذي لا يمكن للإنسان أن يصل فيه إلىٰ يقين إلا عن طريق خبرٍ من الوحي[(٤)].



(١) تأويل مشكل القرآن ص٧٥، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٥/ ٢٢٤، ١٧/ ١٤، والانتصاف علىٰ الكشاف، ابن المنير، بحاشية الكشاف ٥/ ٦٠١،٣٧١، وترجيح أساليب القرآن علىٰ أساليب اليونان، ابن الوزير ص١٧٤ وما بعدها.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٥/ ٣٤٤، وشرح الأربعين النووية، ابن عثيمين ص٥١، والآيات الكونية دراسة عقدية، عبدالمجيد الوعلان ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٣) جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٣٩١، وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ١٠١.

(٤) انظر: ص٣٩٠

## القسم الثاني: الإعجاز العلمي ونهاية الكون

قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

### أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآيات:

اعتبر بعض أصحاب الإعجاز العلمي أن الآيات تدل علىٰ إعجاز علمي، وذلك أنها تخبر عن نهاية الكون وأنه سيعاد كما بدأ فقال تعالىٰ: (كما بدأنا أول خلق نعيده) (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) (علىٰ أن يخلق مثلهم)، وهذا يتفق مع ما توصل إليه العلم الحديث من أن نهاية الكون ستكون بـ (الانسحاق الكبير)[1]، كما أن بدايته كانت بالانفجار الكبير أو العظيم.

### وجه دلالة الآيات على الإعجاز:

قال د. زغلول النجار: "ومعنىٰ هذه الآيات الكريمة أن الله تعالىٰ سوف يطوي صفحة الكون، جامعاً كل ما فيها من مختلف صور المادة والطاقة، والمكان والزمان، علىٰ هيئة جرم ابتدائي ثان (رتق ثان)، شبيه تماماً بالجرم الابتدائي الأول (الرتق الأول)، الذي نشأ عن انفجاره الكون الراهن، وأن هذا الجرم الثاني سوف ينفجر بأمر من الله تعالىٰ، كما انفجر الجرم الأول، وسوف يتحول إلىٰ سحابة من الدخان، كما تحول الجرم الأول، وسوف يخلق الله تعالىٰ من هذا الدخان أرضاً غير أرضنا الحالية، وسماوات غير السماوات التي تظلنا، كما وعد ﷻ، وهنا تبدأ الحياة الآخرة، ولها من السنن والقوانين ما يغاير سنن الحياة الدنيا...

---

(١) وهناك نماذج واحتمالات أخرىٰ لنهاية الكون، ولكن ما ذكر هنا هو اختيار أصحاب الإعجاز العلمي. انظر: الموسوعة الفلكية الحديثة، عماد مجاهد ص٣٣٦، والسماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار ص١٨٨-١٩٤.

ومن الأمور المعجزة حقاً، أن يشير القرآن الكريم الذي أُنزل قبل ألف وأربعمائة من السنين إلى أهم نظريتين في خلق الكون وإفنائه، وهما: نظريتا الانفجار الكبير، والانسحاق الكبير، ونحن نرتقي بهاتين النظريتين إلى مقام الحقيقة لمجرد ورود إشارة إليهما في كتاب الله الخالد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"[1].

وقالت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي: "والجاذبية وموجاتها التي قامت بها السماوات والأرض منذ بدء خلقهما، ستكون سبباً في هدم هذا البناء عندما يأذن الله تعالى بتوقف عملية توسع الكون، فتبدأ الجاذبية وموجاتها في العمل على انكماش الكون، وإعادة جمع كافة مكوناته على هيئة جرم واحد شبيه بالجرم الابتدائي الذي بدأ به خلق الكون، وسبحانه القائل: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]"[2].

وبمثل هذا قال محمود القاسم[3]، ود. سليمان الطراونة[4]، وعبدالفتاح صلاح رشاد[5]، وغيرهم[6]، قال د. عايد طه ناصف:"وتوضح الحقائق العلمية، أنه إذا زادت شدة التجاذب، بحيث تزداد الكثافة في الكون عن حد معين، فإن الكون ما يلبث أن ينضم إلى بعضه البعض ويطوى سريعاً، وهذا ما يشير إليه إعجاز القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزُمَر: ٦٧]"[7].

**المناقشة:**

١- قضية نهاية الكون من القضايا الغيبية المطلقة، التي لا يمكن التوصل فيها إلى يقين إلا بخبر من الوحي، وهذا ما صرح به بعض أصحاب الإعجاز العلمي، قال د. مروان وحيد شعبان: "وهذه الحقيقة [نهاية الكون] كما أسلفنا هي أصل من أصول

---

(١) تفسير الآيات الكونية ٢/ ١٤٨، ١/ ٤٤، والسماء في القرآن الكريم ص١٨١-١٩٤.
(٢) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ١/ ١٠.
(٣) انظر: في مسيرة الإعجاز العلمي ص١٩١، والقرآن يتحدى ص١٤٧-١٤٨.
(٤) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص١٨.
(٥) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٧٩، ١٤٢-١٤٤.
(٦) انظر: الزلزال الكوني الأعظم، د. عبدالعليم خضر ص٤٣-٥٤، والقرآن والكون، د. أسامه خضر ص٦٧٧.
(٧) الإعجاز العلمي في القرآن ص٤٢-٤٣.

الـدين والعقيـدة لـدى كـل مـؤمن، ولقـد قررهـا القـرآن الكـريم في كثيـر مـن الآيـات الكريمة"[(١)]، وقال د. زغلول النجار: "ومن المعجز حقـاً تلك الإشـارة القرآنيـة المبهـرة بإعادة خلق أرض غير الأرض الحالية، وسـماوات غيـر السـماوات الحاليـة، **وهـو غيـب لا يمكن للإنسان أن يصل إليه أبدا بغير هداية ربانية**، وهي الهداية التي تحسـم الجـدل المحير في أمر من أمور الغيب المطلق، حار فيه علماء العصر"[(٢)].

٢- أن ما ذكروه من كيفية لنهاية الكون، هو تصور تصوره علماء الكون بما علموه من شـواهد حسـية راهنـة، ودراسـات تجريبيـة مبنيـة علـى مقـدمات، ونتـائج تقبـل الصـواب والخطأ، قال د. مروان وحيد شعبان: "فكل التصـورات العلميـة التـي تبناهـا الفلكيـون في عصرنا **ترسم السيناريو الواضح لنهاية الكون**، وارتداده إلى صورته التي كان عليهـا يـوم وجد ونشأ"[(٣)]، وزوال الكون لا يمكن معرفته من طريق الاستمرارية المستقبلية المطردة للأحداث المشاهدة؛ لأن زوالـه لـن يكـون حـدثـاً طبيعيـاً، وإنمـا سـتكون أحـداثـاً هادمـة للقانون الطبيعي نفسه[(٤)].

٣- أن الله ﷻ أخبر أن الساعة تأتي بغتة، ولا يعلم متى وقوعها إلا الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وفي قول من سبق من أصحاب الإعجاز العلمي يلزم منه تحديد يوم القيامة ما دام في حدود الفلك الذي يخضع للحسابات الدقيقة[(٥)]؛ لأن الانسحاق قائم على فرضية نفاذ الطاقة تدريجياً، فيبطل التعاون بين المادة والطاقة، فيبدأ الكون في الانكماش والتكدس على ذاته[(٦)].

---

(١) الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث ص٢٠٢.

(٢) تفسير الآيات الكونية ٢/ ١٤٨، وانظر ٢/ ١٤١.

(٣) الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث ص٢٠٢-٢٠٥، وانظر: الإيمان بالغيب، د. بسام العموش ص٢٦٥-٢٦٨.

(٤) انظر: آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين، أبو الفداء ابن مسعود ص٧٠٣.

(٥) انظر: مقال: الإعجاز العلمي ضوابط وحدود، فهد اليحيى ص٣، موقع الهيئة العالمية للإعجاز www. eajaz. org

(٦) انظر: السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار ص١٩١-١٩٢، وموسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ١/ ١٩-٢٠، والإيمان بالغيب، د. بسام العموش ص٢٦٥-٢٦٨.

وقد حاول أصحاب الإعجاز العلمي الهروب من هذا الأمر كما فعل د. زغلول النجار حيث قال: "وعلىٰ ذلك فإن العلماء الكونيين(١) إذا استخدموا الشواهد الحسية الراهنة علىٰ حتمية فناء الكون للتأكيد علىٰ حتمية وقوع ذلك، فإنهم يفعلون ما يفعلون من قبيل التدليل علىٰ حتمية وقوع الآخرة لا علىٰ وقت وقوعها"(٢).

٤- أن هذا التفسير لنهاية الكون يسلب من القلوب والنفوس هيبة القيامة، وأنها أمر عظيم يفجأ العالم كله، ويصيرها أمراً معتاداً كالليل والنهار(٣)، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢].

٥- أن الأدلة من القرآن والسنة صريحة في أن الله ﷻ يطوي السماء بيمينه، وليس فيهما ذكر لدخان أو جاذبية، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]، وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: جاء حبر من الأحبار إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد: أن الله يجعل السموات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، والشجر علىٰ إصبع، والماء والثرىٰ علىٰ إصبع، وسائر الخلائق علىٰ إصبع، فيقول أنا الملك، فضحك النبي صلىٰ ﷺ حتىٰ بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]"(٤)، وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يقبض الله الأرض، ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض"(٥).

---

(١) إن كان يقصد العلماء الكونيين الملاحدة، فهؤلاء لا يؤمنون باليوم الآخر، وإن كان يقصد العلماء الكونيين المسلمين، ففرق بين إثبات حتمية وقوع الآخرة، وبين إثبات القول بالإعجاز العلمي من الآية.

(٢) تفسير الآيات الكونية ٣/ ٥٢٠.

(٣) انظر: مقال: الإعجاز العلمي ضوابط وحدود، فهد اليحيىٰ ص٣، موقع الهيئة العالمية للإعجاز www. eajaz. org

(٤) رواه البخاري ٦/ ١٢٦ (٤٨١١) ومسلم ٤/ ٢١٤٧ (٢٧٨٦).

(٥) رواه البخاري ٦/ ١٢٦ (٤٨١٢) ومسلم ٤/ ٢١٤٨ (٢٧٨٨).

٦- أن ما ذكروه من تفسير لنهاية الكون، هو نموذج من عدة نماذج واحتمالات[1]، ولذلك فالقول بأنه هو المقصود في الآية هو من باب التفسير، لا من باب الإعجاز، قال يوسف الحاج: "إن عملية انكماش الكون، وانهياره على نفسه هذا الانهيار الهائل إلى نقطة بدايته، لهو أقرب تفسير يستطيع العلم أن يقدمه حالياً لطي الكون، أو طي السماء إلى ما كانت عليه في بداية الخلق، فهناك بعض الملاحظات التي يجب أن نأخذها في الاعتبار:

**الأولى:** التعبير العلمي أو الإنساني لعملية الانكماش الذي يتبعه انهيار هائل، هو انعكاس لما يراه أو يتصوره الإنسان في هذا الحدث الهائل من قوة وعنف، تفوق مقدراته وطاقاته، بل وخياله...ومن ناحية أخرى نرى في التعبير القرآني لطي السماء أو الكون، هدوء يعكس مقدرة الخالق المقتدر، الذي يصدر منه هذا الحديث، فنهاية الكون كله بالنسبة إليه ليست بأكثر من عمل سهل هين نقوم به نحن كل يوم، ألا وهو طي بعض الصحف ليس فيه عناء على الخالق، كما لا يسبب طي الصحف أي عناء لنا.

**الثانية:** إذا كان انتهاء الكون حسب التفسير العلمي بانكماشه ثم انهياره، يساعدنا في فهم الآية الكريمة - وفي تفسير طي السماء الآن، وإعادة الكون إلى ما بدأ منه، بل الأكثر من ذلك نجد فيه اتفاقاً كبيراً مع النص القرآني - فليس معنى ذلك أن هذا هو التفسير الوحيد للآية الكريمة، فالطي الإلهي للكون ممكن أن يتخذ صورة نموذج الانكماش والانهيار، وممكن أن يتم بصورة أخرى قد نعلمها، وقد لا نعلمها"[2].



(١) انظر: السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار ص١٨٨-١٩٤.
(٢) موسوعة الإعجاز العلمي ص٤٠١ - ٤٠٢.



## الفصل الرابع

# الإعجاز العلمي والاستدلال به على التوحيد

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: الإعجاز العلمي والاستدلال به على توحيد الربوبية.
- المبحث الثاني: الإعجاز العلمي والاستدلال به على توحيد الألوهية.



# الفصل الرابع

# الإعجاز العلمي

# والاستدلال به على التوحيد

## تمهيد

لقد خلق الله تعالىٰ الخلق ليوحدوه، وليفردوه بالعبادة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وبعث سبحانه في كل أمة رسولاً لدعوة الناس إلىٰ ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وكانت دعوة نبينا محمد ﷺ كدعوة من سبقه من الأنبياء والمرسلين، قائمة علىٰ توحيد الله تعالىٰ وإفراده بالعبادة والطاعة، وأنزل الله عليه القرآن الكريم لتقرر التوحيد، وبيان فضله، وأهمية الدعوة إليه، وإيضاح عاقبة أهله في الدنيا والآخرة، و"كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، بل. . . إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلىٰ عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبىٰ من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم"[1].

---

(١) مدارج السالكين، ابن القيم ٣/ ٤١٧-٤١٨.

وقد أقام الله ﷻ الدلائل في الآفاق والأنفس علىٰ توحيده، وذكر ذلك في القرآن في مواضع كثيرة[1]، الأمر الذي جعل أصحاب الإعجاز العلمي يستفيدون منها في تقرير توحيد الله تعالىٰ، ووحدانيته وصدق كلامه؛ لأن ما يذكر من سبق علمي في المكتشفات هو دليل علىٰ التوحيد، وتفرد الله تعالىٰ بالخلق والتدبير، وكمال القدرة.

ولذلك سأعرض في هذا الفصل لطريقة أصحاب الإعجاز العلمي في تقرير توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، مع بيان منهج القرآن في إثباتهما، وما يترتب علىٰ ذلك.



(١) انظر ص٢٧ من هذا البحث.



# المبحث الأول

## الإعجاز العلمي

## والاستدلال به على توحيد الربوبية

توحيد الربوبية هو: إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير[1]، بأن يقر العبد ويعترف بأن الله تعالى وحده خالق كل شيء، لا شريك له في ذلك، وأنه المالك للكون أجمع بما فيه، لا شريك له في ملكه، وأنه المدبر له والمتصرف فيه بما شاء، لا شريك له في ذلك[2].

وقد اعتنى أصحاب الإعجاز العلمي بهذا النوع من التوحيد، وأخذ الكلام فيه حيزاً كبيراً من أبحاثهم؛ بذكر دلائل الربوبية في الآيات القرآنية، والتفصيل في دقائقها، بحسب ما وقفوا عليه من تفاصيل علمية أظهرتها المكتشفات الحديثة، وسلكوا في ذلك طريقين:

**الطريق الأول:** أنهم ذكروا الآيات القرآنية المنبهة على الربوبية، شارحين ما فيها من شواهد القدرة بما لديهم من حقائق علمية، وجعلوا الشرح مراداً مباشراً من الآيات، من ناحية التنبيه العام على القدرة والحكمة وغيرها من معاني الربوبية، لا من ناحية الدلالة اللفظية المباشرة.

ولا شك أن في هذا الشرح وقوفاً على تفاصيل القدرة الإلهية، ولكنهم لم ينتبهوا إلى أن دلالة هذه المعلومات التفصيلية المكتشفة في بعض المخلوقات على الربوبية، جارية على كل حال، ولو كانت بمعزل عن النص القرآني، وأن النص إنما نبه على مبتدأ هذه الدلالة خصوصاً دون تفصيلاتها المكتشفة، وهو القدر الذي فهمه تماماً المخاطبون إبان التنزيل، وانتفع به من هداه الله منهم في باب التوحيد[3].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١٠/ ٣٣١، ومدارج السالكين، ابن القيم ٣/ ٤١٧، ولوامع الأنوار البهية، السفاريني ١/ ١٢٨-١٢٩، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، ابن عيسى ٢/ ٢٦٩، والقول المفيد، ابن عثيمين ١/ ١١.

(٢) انظر: القول المفيد، ابن عثيمين ١/ ١١، وآراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية، د. محمد الشايع ص١٠٨.

(٣) من كتاب: منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية، د. سعود العريفي ص٣٩-٤٠ بتصرف.

**الطريق الثاني:** أنهم وقفوا في كثير من أبحاثهم عند مجرد التفصيلات لإثبات الربوبية، وجعلوا تحقق توحيد الربوبية مقصداً أعلىٰ، قال محمد عبدالرزاق أبو صليح: **"إن القرآن في تناوله لتلك الحقائق العلمية، لم يقصد البيان العلمي بمعنىٰ أن يعلمنا الكيمياء، أو الهندسة، أو الطب مثلاً؛ لأن القرآن ليست مهمته البحث في الشؤون الكونية، والمسائل العلمية والفنية، علىٰ الشكل المألوف في الكتب الخاصة الموضوعة فيها، وإنما يهدف من وراء ذلك إلىٰ ما هو أعظم من ذلك بكثير، وهو تقرير حقيقة الربوبية الحقة للذي خلق هذا الكون بما فيه من إبداع وإتقان"**[(١)].

وتحت عنوان: (مؤتمرات الإعجاز العلمي والشهادة علىٰ الوحدانية) قال د. عبدالله المصلح: **"إن علماء المسلمين والمشاركين معهم من أهل العلم، من أتباع الديانات والعقائد الأخرىٰ، يجتمعون في المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز في اسطنبول، حيث تدور كل مناقشاتهم، واستنباطاتهم العلمية، حول قضية واحدة هي: قضية توحيد الخالق ﷻ، والتي جاءت بها كل الرسل.**

**لقد عبر كثير من العلماء غير المسلمين الذين شاركونا في مؤتمرات الهيئة السابقة، عن أهمية ما تم بحثه في هذه المؤتمرات العالمية الجامعة، التي تبدو وكأنها مدرسة كبرىٰ للربط بين العلم والإيمان، والتي من أهم نتائجها تحقيق الشهادة علىٰ وحدانية الله وقدرته، وصدق رسالاته، وآخرها الإسلام"**[(٢)].

والحقيقة أن مجرد معرفة توحيد الربوبية تزيد في قيام الحجة علىٰ الإنسان، ولا تنفعه عند الله تعالىٰ، ما لم يلتزم بمقتضاه من عبادة الله وحده، والبراءة مما سواه، ثم ما هو توحيد الخالق الذي يقدمه البوذيون والملاحدة في مناقشاتهم وأبحاثهم، وهم لا يعترفون بالرسالات، فضلاً عن إقرارهم بوجود الله تعالىٰ.

### وقد يترتب على هذا الطريق أمور منها:

١- أنه قد يُظن أن هذه المعرفة التفصيلية شرط في تحصيل الإيمان أو تكميله، مع أنها دون شك غير مُحَصَّلة لأهل القرون المفضلة المشهود لهم بالخيرية علىٰ من بعدهم[(٣)].

---

(١) الإعجاز الكيميائي الحيوي في القرآن الكريم ص١٣٩.
(٢) نشرة الحقيقة، العدد الثامن عشر، ربيع أول ١٤٣٢هـ.
(٣) انظر: منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية علىٰ النبوة والربوبية، د. سعود العريفي ص٤١.

٢- أنه قد يُظن أن هذا هو الإيمان المطلوب للفلاح عند الله تعالىٰ، بينما المقصود من تفاصيل الربوبية هو إثبات توحيد الألوهية، وأن الله هو المستحق للعبادة.

٣- أنهم شابهوا في فعلهم هذا المتكلمين الذين وقفوا عند توحيد الربوبية، وأجهدوا أنفسهم في إثباته، وإقامة الدلائل عليه[١]، مع أن الفطر السليمة تشهد بضرورة فطرتها، وبديهة فكرتها، علىٰ الإقرار بالرب تعالىٰ[٢]، ولذا قال أكثر العلماء والعقلاء: إن العلم بالخالق ضروري لا يحتاج إلىٰ نظر، وإنما إلىٰ تذكر يُوقظ من سنة الغفلة، كالموت الذي يغفل عنه كثير من الناس وهو ضروري[٣].

قال د. حكمت الحريري: "والخطر كل الخطر، يكمن في منهج الباحثين في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، مركزين جهدهم علىٰ نتيجة واحدة، وهي: الاهتمام بتوحيد الربوبية، وهذا يتفق مع منهج المتكلمين والمرجئة منهم علىٰ وجه الخصوص، الذين يفسرون الإيمان بأنه التصديق القلبي... ولا بد من إتباع منهج السلف في دراسة القرآن وتفسيره"[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وإنما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية، بأن يعبد الله وحده لا يشركون به شيئا، فيكون الدين كله لله، ولا يخاف إلا الله، ولا يدعىٰ إلا الله، ويكون الله أحب إلىٰ العبد من كل شيء، فيحبون لله، ويبغضون لله، ويعبدون الله، ويتوكلون عليه.

والعبادة تجمع غاية الحب وغاية الذل، فيحبون الله بأكمل محبة، ويذلون له أكمل ذل، ولا يعدلون به، ولا يجعلون له أنداداً، ولا يتخذون من دونه أولياء ولا شفعاء، كما قد بين القرآن هذا التوحيد في غير موضع، وهو قطب رحىٰ القرآن الذي يدور عليه القرآن"[٥].



---

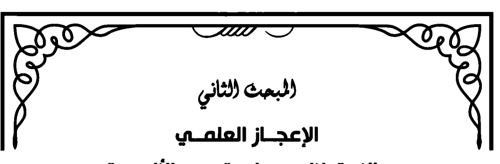
(١) انظر: المغني، عبدالجبار ١/ ٢٤١، والإنصاف، الباقلاني ص٣٣، ومجرد مقالات الأشعري، ابن فورك ص٣٧، ونهاية الأقدام، الشهرستاني ص٨٥، والتوحيد، أبو منصور الماتريدي ص٧٧، وبحر الكلام، النسفي ص١٠٧.

(٢) انظر: نهاية الأقدام في علم الكلام، الشهرستاني ص١٢٤-١٢٥.

(٣) انظر: إيثار الحق علىٰ الخلق، ابن الوزير ص٤٢، ودلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي ص١٢.

(٤) مجلة السنة، العدد ١١٧ ربيع الثاني ١٤٢٣، يوليو ٢٠٠٢م.

(٥) منهاج السنة النبوية ٣/ ٢٨٩-٢٩٠.



# المبحث الثاني

# الإعجاز العلمي والاستدلال به على توحيد الألوهية

توحيد الألوهية هو: هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، وإخلاص الدين له وحده[1]، وهذا النوع من التوحيد لم ينل نصيبه من التقرير في أبحاث الإعجاز العلمي، بل يغلب عليها إهماله، وذلك أن الآيات القرآنية التي يدَّعون فيها إعجازاً علمياً، تذكر الآيات الكونية، وتربط ذلك بعبادة الله تعالى، ووجوب تقواه، وترك الشرك، بينما أصحاب الإعجاز العلمي يفصلون بين آيات القرآن ومقصودها، فيتحدثون "عن السبق العلمي للقرآن في مجال الكون والأرض، وعلوم الحياة وغيرها حديثاً علمياً مجرداً عن مقصود القرآن من إيراد هذه العلوم، وهو إثبات ألوهية الله تعالى، وأنه مستحق للعبادة"[2].

قال الشيخ محمد بن عثيمين ﷺ: "ولذلك فأنا أخشى من انهماك الناس في الإعجاز العلمي، وأن يشتغلوا به عما هو أهم، إن الشيء الأهم هو تحقيق العبادة؛ لأن القرآن نزل بهذا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]"[3].

و"التركيز على الجانب العلمي، مع إهمال جانب الانقياد له، والطاعة لتكاليفه، والأخذ بتوجيهاته، يُوجِد فجوة بين العقل والروح، والفكر والنفس، كما أنه يحول القرآن إلى مصدر علمي، يتلقاه الناس كمصدر علمي يخاطب العقل فقط، ويجعل منه حجة على المؤمنين به، فإذا كان القرآن حقاً فلماذا لا تلتزمون به؟!.

---

(١) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٣/ ٤١٧، واجتماع الجيوش الإسلامية، له ص٩٣، وتيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبدالوهاب ص٢٢، والقول السديد، ابن سعدي ص١٢، والقول المفيد، ابن عثيمين ١/ ١٦.

(٢) الإعجاز العلمي للقرآن في مجال علوم الأرض، د. محمود إبراهيم الشربيني ص٩.

(٣) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٢٦/ ٢٨-٢٩.

فالتناول للقرآن يلزم أن يكون شمولياً للوصول إلى النتائج المرجوه، أما مع هذه الحال المتمثلة بالتركيز على الجانب العلمي في القرآن، والإعراض عنه في جوانب كثيرة، فهذا سوف يؤدي بالعمل للفشل، ولن يجنى منه إلا ضياع الجهود، أو ضعف نتائجها"(١).

وسأذكر مثالاً على ذلك بآيتين أغفل بعض المشتغلين بالإعجاز العلمي ذكر الشرك فيهما، في مقابل بذلهم الوسع في إبراز الجانب العلمي المادي:

**المثال الأول**: قال الله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١] فقد ذكر د. فؤاد يحيى أحمد أن رعب الكافرين هو بسبب هرمون (النورأدرينالين) الذي يفرزه القلب، حيث قال: "هرمون (النورأدرينالين) وهو الهرمون الوحيد الذي يفرزه القلب؛ ليرفع الضغط، ويزيد من حالة التوتر (حمية الجاهلية الأولى)، أو في حالات الرعب: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥١]، بالرغم من هذا فإن له وظيفة دفاعية وعلاجية في حالات النزيف، أو انخفاض ضغط الدم، أو حالات الكر والفر، والحروب، كما يزداد إفرازه في حالات الرعب والفزع"(٢).

ولم يذكر الدكتور في بحثه كله السبب الحقيقي المذكور في الآية، وهو شركهم بالله تعالى، ونحن لا ننكر وجود هذا الهرمون وأثره، ولكن ننكر تجاهل المقصد الأساس من قذف الرعب في قلوب الكفار، وهو شركهم بالله ﷻ، قال الإمام القرطبي ؒ: "قوله تعالى: (بما أشركوا بالله) **تعليل، أي: كان سبب إلقاء الرعب في قلوبهم إشراكهم**"(٣).

**المثال الثاني**: قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

---

(١) تقييم الجهود المبذولة للمتأخرين والمعاصرين لبيان الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. مثنى فاضل الجبوري، ود. محمد خليل العزاوي ص٢٩.

(٢) مجلة الإعجاز العلمي، العدد ٤١ شعبان ١٤٣٣هـ ص١١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٣٣، وانظر: جامع البيان، ابن جرير ٦/ ١٢٧، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٤٢٠، وفتح القدير، الشوكاني ١/ ٤٤٦، والكشاف، الزمخشري ١/ ٤٢٥.

فقد جعل بعض أصحاب الإعجاز العلمي الفساد في الآيتين هو الفساد البيئي، وأنه المقصود فيهما، وأهملوا الفساد الأعظم، وهو الشرك بالله تعالى، واقتراف المعاصي، وإن كان بعضهم يذكره عند حكايته لأقوال المفسرين، لكنه يعرض عنه عند تقرير الحقائق العلمية، وفي نتائج بحثه، **ومن هؤلاء:**

أ- أحمد مليجي: حيث قال: "وتشير الآية الكريمة بجلاء ووضوح، إلى الفساد الذي يدمر البر والبحر، نتيجة لتدخل الإنسان في قوانين المنظومة البيئية المتزنة"(١)، وقال أيضاً: "فالإسلام حقيقة يتمتع بنظرة أعمق وأوسع للبيئة، حيث طالب الإنسان أن يتعامل معها من منطلق أنها ملكية عامة، يجب المحافظة عليها حتى يستمر الوجود، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]"(٢).

وقال أيضاً "أطلقت الآية تحذيراً خطيراً، بأن فساد الإنسان في البر والبحر، سوف يصيب البشرية بالأذى، ولن يتوقف هذا الأذى حتى يتوقف الإنسان عن هذا الفساد، وهذه الحقيقة أوصت بها جميع الهيئات، والمنظمات، والندوات، والمؤتمرات العالمية، بضرورة عدم إفساد الإنسان في الأرض، من أجل حمايتها من هذا الفساد"(٣).

ب- د. زكريا طاحون: الذي قال: "إن مقصد الآية الكريمة في خاتمتها (لعلهم يرجعون) أي: أن يتوب الإنسان، ويرجع عما يقترف من السلوكيات السلبية، والمخالفات المتكررة في البيئة، وأن يرشد ممارساته ويوقف اجتراحاته بها، وأن يتحلى ولو بحد أدنى من القيم والوعي، والتنور البيئي، وأن يعدل اتجاهاته، ويضبط إيقاعه نحوها"(٤).

ج- الهيئة العالمية للإعجاز العلمي: حيث ذكرت أن قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١]، تضمنت إشارة إلى نتائج ثلاث اتفق عليها العلماء اليوم وهي:

١) أن الفساد في البيئة يشمل التلوث والتغيرات المناخية وكل شيء جاوز الحد.

---

(١) الفساد البيئي براً وبحراً وجواً، من أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص١٥٦.
(٢) المرجع السابق ص ١٦٨-١٦٩.
(٣) السابق ص١٧٠.
(٤) المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٤٦، ٦٠-٦١، وانظر: بحث: (ظهر الفساد بما كسبت أيدي الناس) د. الحسين زايد، ود. عبد الكبير بلاوشو، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص١١، ٢٢، وتفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٢/ ٤٥٧ وما بعدها.

٢) أن التلوث والفساد البيئي في البر والبحر إنما نتج عن الإنسان.

٣) أن تدارك هذا الفساد البيئي يكون بأن يعيد الناس للغلاف الجوي توازنه، ويقللوا من كمية الملوثات التي يطلقونها كل يوم، والتي تقدر بملايين الأطنان! هذا التحذير هو نفسه الذي أطلقته منظمة الأمم المتحدة منذ مدة![1].

واستدلوا بتفسير الطاهر ابن عاشور رحمه الله للآية، ولكنهم أخذوا من كلامه ما يؤيد القول بالسبق العلمي، وهو الفساد البيئي، وحذفوا منه ما ذكره من وجه مقصود في معنى الفساد في الآية، وهو الشرك.

ولذلك سأذكر كلامه رحمه الله كاملاً، وأجعل ما حذفوه من كلامه بين قوسين معقوفين.

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]: "[موقع هذه الآية ومعناها صالح لعدة وجوه من الموعظة، وهي من جوامع كلم القرآن، والمقصد منها هو الموعظة بالحوادث ماضيها وحاضرها للإقلاع عن الإشراك وعن تكذيب الرسول ﷺ، فأما موقعها فيجوز أن تكون متصلة بقوله قبلها: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الروم: ٩]، فلما طولبوا بالإقرار على ما رأوه من آثار الأمم الخالية، أو أنكر عليهم عدم النظر في تلك الآثار، أتبع ذلك بما أدى إليه طريق الموعظة من قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ٢٧]، ومن ذكر الإنذار بعذاب الآخرة، والتذكير بدلائل الوحدانية ونعم الله تعالى، وتفريع استحقاقه تعالى الشكر لذاته ولأجل إنعامه استحقاقاً مستقراً إدراكه في الفطرة البشرية، وما تخلل ذلك من الإرشاد والموعظة، عاد الكلام إلى التذكير بأن ما حل بالأمم الماضية من المصائب ما كان إلا بما كسبت أيديهم، أي بأعمالهم، فيوشك أن يحل مثل ما حل بهم بالمخاطبين الذين كسبت أيديهم مثل ما كسبت أيدي أولئك، فموقع هذه الجملة على هذا الوجه موقع النتيجة من مجموع الاستدلال، أو موقع الاستئناف البياني، بتقدير سؤال عن سبب ما حل بأولئك الأمم، ويجوز أن تقع هذه الآية موقع التكملة لقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم...﴾ [الروم: ٣٣] الآية، فهي خبر مستعمل في التنديم على ما حل بالمكذبين المخاطبين من ضر، ليعلموا أن ذلك عقاب من الله تعالى، فيقلعوا عنه خشية أن يحيط بهم ما هو أشد منه، كما يؤذن به قوله عقب ذلك: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

---

(١) انظر: موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ٢/ ١٤- ١٦، ١٩-٢٠، وقد نقلوا هذا الكلام من مقال: (الفساد البيئي معجزة قرآنية) لعبدالدائم الكحيل.



فالإتيان بلفظ الناس في قوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] إظهار في مقام الإضمار لزيادة إيضاح المقصود، ومقتضى الظاهر أن يقال: (بما كسبت أيديهم).

فالآية تشير إلى مصائب نزلت ببلاد المشركين وعطلت منافعها، ولعلها مما نشأ عن الحرب بين الروم وفارس، وكان العرب منقسمين بين أنصار هؤلاء وأنصار أولئك، فكان من جراء ذلك أن انقطعت سبل الأسفار في البر والبحر فتعطلت التجارة وقلت الأقوات بمكة والحجاز، كما يقتضيه سوق هذه الموعظة في هذه السورة المفتتحة بـ ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم: ٢]، فموقع هذه الجملة على هذا الوجه موقع الاستئناف البياني؛ لسبب مس الضر إياهم حتى لجأوا إلى الضراعة إلى الله، وما بينها وبين جملة: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ [الروم: ٣٣] إلى آخره اعتراض واستطراد تخلل في الاعتراض.

ويجوز أن يكون موقعها موقع الاعتراض بين ذكر ابتهال الناس إلى الله إذا أحاط بهم ضر، ثم إعراضهم عن عبادته إذا أذاقهم منه رحمة، وبين ذكر ما حل بالأمم الماضية اعتراضاً ينبئ أن الفساد الذي يظهر في العالم ما هو إلا من جراء اكتساب الناس، وأن لو استقاموا لكان حالهم على صلاح][1].

والفساد: سوء الحال، وهو ضد الصلاح، ودل قوله: (في البر والبحر) على أنه سوء الأحوال في ما ينتفع به الناس من خيرات الأرض برها وبحرها.

ثم التعريف في الفساد: إما أن يكون تعريف العهد لفساد معهود لدى المخاطبين، وإما أن يكون تعريف الجنس الشامل لكل فساد ظهر في الأرض برها وبحرها، أنه فساد في أحوال البر والبحر، لا في أعمال الناس بدليل قوله (ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون).

وفساد البر يكون بفقدان منافعه، وحدوث مضاره، مثل حبس الأقوات من الزرع والثمار والكلأ، وفي موتان الحيوان المنتفع به، وفي انتقال الوحوش التي تصاد من جراء قحط الأرض إلى أرضين أخرى، وفي حدوث الجوائح من جراد وحشرات وأمراض.

وفساد البحر كذلك، يظهر في تعطيل منافعه من قلة الحيتان واللؤلؤ والمرجان، فقد كانا من أعظم موارد بلاد العرب، وكثرة الزوابع الحائلة عن الأسفار في البحر، ونضوب مياه الأنهار وانحباس فيضانها الذي به يستقي الناس.

---

(١) ما بين القوسين المعقوفين لم تذكره الهيئة العالمية، مع أنه مقدمة لبيان صلة الآية بما قبلها من الآيات، ولتقرير معنى الآية المقصود.

[وقيل: أريد بالبر البوادي وأهل الغمور، وبالبحر المدن والقرى، وهو عن مجاهد وعكرمة، وقال: إن العرب تسمي الأمصار بحراً، قيل: ومنه قول سعد بن عبادة في شأن عبد الله بن أبي ابن سلول: (ولقد أجمع أهل هذه البحرة على أن يتوجوه)، يعني بالبحرة: مدينة يثرب، وفيه بعد.

وكأن الذي دعا إلى سلوك هذا الوجه في إطلاق البحر، أنه لم يعرف أنه حدث اختلال في سير الناس في البحر، وقلة فيما يخرج منه.

وقد ذكر أهل السير أن قريشاً أصيبوا بقحط، وأكلوا الميتة والعظام، ولم يذكروا أنهم تعطلت أسفارهم في البحر، ولا انقطعت عنهم حيتان البحر، على أنهم ما كانوا يُعرفون بالاقتيات من الحيتان.

وعلى هذه الوجوه الثلاثة يكون الباء في قوله: (بما كسبت أيدي الناس) للعوض، أي جزاء لهم بأعمالهم، كالباء في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠] ويكون اللام في قوله: (ليذيقهم) على حقيقة معنى التعليل.

ويجوز أن يكون المراد بالفساد: الشرك، قاله قتادة والسدي، فتكون هذه الآية متصلة بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]، فتكون الجملة إتماماً للاستدلال على وحدانية الله تعالى، تنبيهاً على أن الله خلق العالم سالماً من الإشراك، وأن الإشراك ظهر بما كسبت أيدي الناس من صنيعهم. وهذا معنى قوله في الحديث القدسي في صحيح مسلم[١]: (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وأمرتهم أن يشركوا بي) الحديث.

فذكر البر والبحر لتعميم الجهات بمعنى: ظهر الفساد في جميع الأقطار الواقعة في البر والواقعة في الجزائر والشطوط، ويكون الباء في قوله: (بما كسبت أيدي الناس) للسببية، ويكون اللام في قوله: (ليذيقهم بعض الذي عملوا) لام العاقبة، والمعنى: فأذقناهم بعض الذي عملوا، فجعلت لام العاقبة في موضع الفاء كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، أي فأذقنا الذين أشركوا بعض ما استحقوه من العذاب لشركهم][٢].

(١) ٤/ ٢١٩٧ (٢٨٦٥).

(٢) ما بين القوسين المعقوفين لم تذكره الهيئة العالمية، وقد نص فيه الطاهر ابن عاشور على أن الفساد: هو الشرك.

ويجوز أن يكون المعنى: أن الله تعالى خلق العالم على نظام محكم ملائم صالح للناس، فأحدث الإنسان فيه أعمالاً سيئة مفسدة، فكانت وشائج لأمثالها: وهل ينبت الخطي إلا وشيجه، فأخذ الاختلال يتطرق إلى نظام العالم، [قال تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) [التين: ٤-٦]، وعلى هذا الوجه يكون محمل الباء ومحمل اللام مثل محملهما على الوجه الرابع][(١)]، وأطلق الظهور على حدوث حادث لم يكن، فشبه ذلك الحدوث بعد العدم بظهور الشيء الذي كان مختفياً، ومحمل صيغة فعل (ظهر) على حقيقتها من المضي، يقتضي أن الفساد حصل، وأنه ليس بمستقبل، فيكون إشارة إلى فساد مشاهد، أو محقق الوقوع بالأخبار المتواترة، وقد تحمل صيغة الماضي على معنى توقع حصول الفساد والإنذار به، فكأنه قد وقع على طريقة ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١].

وأيا ما كان الفساد من معهود أو شامل، فالمقصود أن حلوله بالناس بقدرة الله كما دل عليه قوله: (ليذيقهم بعض الذي عملوا)، وأن الله يقدر أسبابه تقديراً خاصاً؛ ليجازي من يغضب عليهم على سوء أفعالهم، وهو المراد بما كسبت أيديهم؛ لأن إسناد الكسب إلى الأيدي جرى مجرى المثل في فعل الشر والسوء من الأعمال كلها، دون خصوص ما يعمل منها بالأيدي؛ لأن ما يكسبه الناس يكون بالجوارح الظاهرة كلها، وبالحواس الباطنة من العقائد الضالة والأدواء النفسية.

[وبما موصولة، وحذف العائد من الصلة، وتقديره: بما كسبته أيدي الناس، أي بسبب أعمالهم، وأعظم ما كسبته أيدي الناس من الأعمال السيئة: الإشراك، وهو المقصود هنا، وإن كان الحكم عاماً، ويعلم أن مراتب ظهور الفساد حاصلة على مقادير ما كسبت أيدي الناس، قال رسول الله ﷺ وسئل: أي الذنب أعظم؟ (أن تدعو لله نداً وهو خلقك)[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى:٣٠]، وقال: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾ [الجن: ١٦][(٣)]"[(٤)].

---

(١) ما بين القوسين المعقوفين لم تذكره الهيئة العالمية.
(٢) رواه البخاري ٩/ ٢ (٦٨٦١)، ومسلم ١/ ٩١ (٨٦).
(٣) ما بين القوسين المعقوفين لم تذكره الهيئة العالمية، وقد نص فيه الطاهر ابن عاشور ﷺ على أن "أعظم ما كسبته أيدي الناس من الأعمال السيئة: الإشراك، وهو المقصود هنا، وإن كان الحكم عاماً".
(٤) التحرير والتنوير ٢١/ ١٠٩-١١٢.

وبهذا يتبين أن الهيئة العالمية حملت الآية على غير معناها ومقصودها الذي من أجله ذكره الله تعالى، قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ في تفسير آية الروم: "ظهرت معاصي الله في كل مكان، من بر وبحر (بما كسبت أيدي الناس): أي بذنوب الناس، وانتشر الظلم فيهما.

وقوله: (ليذيقهم بعض الذي عملوا) يقول جل ثناؤه: ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوا، ومعصيتهم التي عصوا (لعلهم يرجعون) يقول: كي ينيبوا إلى الحق، ويرجعوا إلى التوبة، ويتركوا معاصي الله"(١).

وقال الإمام ابن كثير ﷺ: "ومعنى قوله تعالى: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) أي بان النقص في الزروع والثمار بسبب المعاصي، وقال أبو العالية: من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة"(٢).

ونحن لا ننكر أن فساد الإنسان في الأرض يؤثر على البيئة، ويتضرر منه الإنسان والحيوان والجماد، ولكن لا نقبل أن يجعل هذا هو مقصود الآية، ويهمل المعنى الذي من أجله أنزل الله تعالى الآيات، وهو التحذير من الشرك والمعاصي.



---

(١) جامع البيان ١٨/ ٥١٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٢٨٧، وانظر: زاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٤٢٥، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٤/ ٤٠، والفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبدالكريم الحميد ص٤٠٠-٤٠١.

**منهج القرآن في تقرير التوحيد من خلال الآيات الكونية**[(١)]:

إذا تأملنا في الآيات القرآنية الكونية نجد أن الله تعالىٰ ينبه علىٰ دليلي الكون:

١- الخلق: ويسمىٰ دليل الإبداع أو الاختراع.

٢- والعناية: ويسمىٰ دليل النظام أو التناسق.

لكي يخرج الناس من ظلمات الشرك به سبحانه، ويعترف العقل علىٰ قبحه، وهما دليلا الشرع.

**فدليل الخلق**: يعتمد علىٰ إثارة الفكر للتعرف علىٰ خالق الموجودات جميعها، والاستدلال بذلك علىٰ وحدانيته تعالىٰ، وهو أول دليل تلفت الآيات النظر إليه، كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٦-١١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٣-٤]

وملخص هذا الدليل أن كل ما في الكون مخلوق، والمخلوق لا بد له من خالق؛ لأنه يستحيل أن يكون خُلق من غير خالق، ولهذا كان كل رسول يقول لقومه: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]

وقد كان المشركون يؤمنون بهذا الدليل من حيث دلالته علىٰ توحيد الربوبية، ولا يؤمنون بدلالته علىٰ توحيد الألوهية، قال تعالىٰ عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وقد أقام القرآن الحجة عليه بهذا التوحيد توحيد الربوبية؛ ليكون موصلاً لهم لتوحيد الألوهية، حيث يقول تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، والمعنىٰ: كما أنه المتفرد بربوبية المشرق والمغرب، وربوبية السموات والأرض

---

(١) انظر: التمهيد من هذا البحث ص ٢٦.

وليس لذلك رب سواه، فكذلك ينبغي أن لا يُتخذ إلهٌ سواه.

وكذلك لما أقسم سبحانه وتعالىٰ علىٰ الوحدانية في سورة الصافات، أتبع هذا القسم بذكر ربوبيته تعالىٰ للسموات والأرض ومشارقها فقال تعالىٰ: ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: ١-٥]

قال الإمام ابن القيم ﷺ: "فإن الأقسام كالدليل والآية علىٰ صحة ما أقسم عليه من التوحيد...وأقسم سبحانه بذلك علىٰ توحيد ربوبيته وإلاهيته، وقرر توحيد ربوبيته فقال: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: ٤-٥]، من أعظم الأدلة علىٰ أنه إله واحد، ولو كان معه إله آخر، لكان الإله مشاركاً له في ربوبيته، كما شاركه في إلهيته، تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً، وهذه قاعدة القرآن يقرر توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية، فيقرر كونه معبوداً واحداً بكونه خالقاً ورازقاً وحده"(١)

**وأما دليل العناية:** فهو علىٰ أن الذي نظم الكون، وربط أجزاءه، بحيث يكمل بعضها بعضاً، وقدر كل شيء فيه تقديرًا، هو الله الواحد الأحد، ومن الآيات القرآنية الدالة علىٰ هذا قوله تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣١-٣٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [الحجر: ١٩-٢٢].

وهذه الآيات وغيرها تلفت نظر الإنسان لما في هذا الكون من التنظيم الدقيق، والتناسق بين أجزاء الكون، أقصىٰ غايات الدقة والإتقان؛ ليدل دلالة قاطعة علىٰ العناية التامة بهذا الكون وما فيه، وأن إلهاً واحداً قادراً هو الذي نظم كل ما فيه أحسن تنظيم.

إنه لا يوجد أي شيء في الكون إلا في محله المناسب، وبالقدر المناسب، فكل ما فيه في غاية الحكمة والعناية والإتقان، والناظر لهذا الإتقان العجيب، والتنظيم المدهش في كل

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ص ٤٢٨.

شيء، في الأرض وفي السماء وما بينهما، بحيث إن أي تغيير فيه يؤدي إلىٰ الخلل والفساد، لا يسعه إلا أن يؤمن بوحدانية الله تعالىٰ.

إننا لو سألنا عالم الفلك فإنه يبين لنا من دقائق الحسابات الفلكية، وتنظيم الكواكب وأحجامها وأبعادها ما يحير العقول.

ولو سألنا عالم التشريح عن جسم الإنسان، وعالم الحيوان عن أنواع الحيوان الطائر والسابح والماشي والزاحف بأشكاله وألوانه وخواصه ومعيشته وغرائبه؛ لأسلمنا ذلك بلا شك إلىٰ وحدانية الله.

ولو سألنا عالم النبات عن أنواعه وثماره وأوراقه وطعومه وخواصه؛ لأجابنا بما يدل دلالة قاطعة علىٰ وحدانية الله.

ولو نظرنا إلىٰ التنظيم الدقيق في الأرض ببحرها ويابسها وجبالها وأغوارها وسهولها وصخورها ورمالها ومعادنها وينابيعها وأنهارها وطبقاتها؛ لأدىٰ بنا ذلك إلىٰ الاعتراف بوحدانية الله.

إن العقل السليم يرفض رفضًا تامًّا، أن يكون أي ترتيب وتنظيم لشيء ما، حدث بصورة عفوية وبطريق الصدفة، فلو دخلنا دارًا أو محلًّا تجاريًّا منظمًا، لأدىٰ بنا النظر لأول وهلة إلىٰ أن مُنظِمًا نظم هذه الدار وهذا المحل، فكيف بهذا الكون المنظم كل شيء فيه أحسن تنظيم؟[1].

قال د. سعود بن عبدالعزيز العريفي: "وإذا تبين هذا فإن المنهج الصحيح في الاستدلال بالمكتشفات العلمية علىٰ الربوبية، أن يسن بها سنة ما ذكر في القرآن من دلالة المخلوقات علىٰ الخالق، فهي تدل علىٰ وجود الخالق وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وسائر كمالاته دلالة الأثر علىٰ المؤثر، والصنعة علىٰ الصانع، بما فيها من أمارات الحدوث وشواهد الإرادة المخصصة، والزيادة التي فيها علىٰ ما ذكر في القرآن من وجهين:

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية ١/ ٤٩٤ وما بعدها، والصواعق المرسلة، ابن القيم ٢/ ٤٦٣-٤٦٤، ٤٩٣-٤٩٤، والشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا ١/ ١٣٤٣، وضوابط الاستشهاد بالعلم التجريبي في تأييد الوحي، ماجدة العنزي ص١٤٥، وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم، د. محمد ملكاوي ص٣٢٧-٣٢٨، ووجوه دلالة القرآن الكريم علىٰ نبوءة النبي محمد ﷺ، سامية البدري ص٢٠١-٢٠٤، ومجلة الإعجاز العلمي، العدد (٣٥) محرم ١٤٣١هـ ص٤٠-٤٥.

١- **زيادة الأنواع:** فكم اكتشف الناس ولا زالوا يكتشفون من أنواع الحيوانات والنباتات والمخلوقات العلوية والسفلية وأحوالها وأوصافها ومقاديرها ما لم يسمه القرآن، ولم يشر إليه إلا إجمالاً ضمن ذكر الخلق أو بعض أجناسهم بالعموم.

٢- **زيادة التفصيل العلمي الدقيق** بمخلوق ذكره القرآن ولم ينص على هذا التفصيل، مثال ذلك: النحل، أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ... ﴾ الآية [النحل: ٦٨]، وقد ذكر بعض العلماء[١] أن النحلة تجعل خليتها سداسية الشكل لأن زوايا الرباعي ضيقة لا تستطيع النحلة الوصول إليها، والدائري يبقي فراغات بين الخلايا تجمع الأوساخ، فهدى الله هذا المخلوق الضعيف إلى هذه الحكمة الهندسية البديعة، وهذا دون شك يدخل في عموم مفهوم الآية، وهو مستقيم تماماً في تأدية غرضها في الدلالة على الربوبية، دون أن يدعي مدع ويزعم زاعم أن هذا التفصيل مراد مباشر للآية، وأنها تدل على النبوة من جهة أن محمداً لم يتعاط دراسة النحل وتربيتها، ولا الهندسة وزواياها وأضلاعها، فمن الذي علمه هذا إلا العليم الحكيم[٢]؟!، وهذا هو منهج الإعجازيين بعينه؛ فهذا ما لا يسع قبوله ولا تسويغه"[٣].



(١) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم ١/ ٢٤٨.

(٢) انظر: الإعجاز الهندسي في القرآن الكريم، د. بدر الدين عبدالكريم أحمد ص٥٤-٦١.

(٣) منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية ص٤٢-٤٣، وانظر: وجوه دلالة القرآن الكريم على نبوة النبي محمد ﷺ، سامية البدري ص٢٠٥.

**فوائد منهج القرآن الكريم في الاستدلال على التوحيد:**

ولمنهج القرآن الكريم في الاستدلال على التوحيد فوائد كثيرة منها:

١- أنه يخاطب عامة الناس، وفيه ما يناسب خاصتهم، ممن له معرفة بتفاصيل العلوم والمعارف، وهو أحسن من القول بالسبق العلمي التاريخي، فالقرآن الكريم "يخاطب جميع الناس، بحسب طبائعهم الفطرية وميولهم واستعداداتهم، ولذلك كان منهج القرآن أقوى حجة، وأشد إقناعًا، من أي منهج بشري؛ لأن طبيعة القرآن لا تعبر عن نفسية بشرية، ولا تمثل اتجاهًا بشريًا معينًا، ولا هي متأثرة بمؤثرات زمنية عارضة، إنها طريقة القرآن الذي جاء لرد الناس إلى توحيد الله على اختلاف طبائعهم وميولهم، لذلك كانت طريقة مناسبة لكل أحد، إنها الطريقة الوحيدة البريئة من الأهواء والرغبات البشرية، وليست محدودة بحدود العقل البشري، كما هو الحال في غيرها من الطرق.

إننا لن نجد في غير طريقة القرآن ما يعلم الجاهل، وينبه الغافل، ويرضي نهم العالم، فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٥-٧]، هذا الدليل على وحدانية الله تعالى يناسب جميع الناس، إنه يناسب العامي، ويفهم منه أن الله ينبهه لمبدأ خلقه، وأن الله هو وحده الذي خلق النطفة وحفظها، فيؤمن بالله، ويناسب عالم التشريح، والطبيب الذي يقرأ عن تطور النطفة والتحولات التي تمر عليها، وكيفية اتحاد المائين، وكيفية التغذية للجنين.. . وهكذا، فيؤمن بالله... وهذه بعض الأمثلة التوضيحية:

أ- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥-٢٧]، هذه الآيات تلفت نظر الإنسان إلى دليلي الخلق والعناية، ويفهم منها العربي في الصحراء، أن الأرض تحفظه على ظهرها حيًا وفي بطنها ميتًا، وأن الجبال تحفظ الأرض من التصدع، وهو فهم يتناسب مع علمه، ويؤدي الغاية المقصودة من التدبر والعظمة، وجاء العلماء المختصون اليوم، ليتحدثوا لنا عن الجاذبية التي تحفظ الإنسان على سطح الأرض، ويتلاعب بهم ولا يستقرون في مكان، ويتحدث لنا العلماء عن الجبال وعجائبها، واختلاف ألوانها وما تحويه من معادن، وكيف أن رواسي كل شيء

من تحته إلا الجبال، فإنها رواسي الأرض من فوقها؛ ليكون فيها من المنافع ما لا يعلمه إلا الله.

وهذا الفهم العلمي يتناسب مع آيات القرآن ولا ينافيها، ويؤدي المقصود من العظة والاعتبار، ويظهر النعمة بشكل أوضح.

ب- قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧١-٧٣]، إن الأمي يفهم من هذه الآيات، أن الله خلق الشجر الأخضر بقدرته، وجعل فيه قابلية للاحتراق؛ لنستفيد منه في الطبخ والتدفئة والاستضاءة، ولولا تسخير الله لذلك ما استفدنا منه، فيجب شكره وعبادته.

وإن العلماء ليحدثونا اليوم عن الطاقة المخزونة في الأرض بشكل فحم حجري أو نفط، والتي ترجع بأصلها إلىٰ الأشجار المدفونة، وإمكانية توليد صور أخرىٰ من النار كالكهرباء التي تستعمل فيما تستعمل به النار تمامًا.

هذا الفهم لا يتنافىٰ مع الآية، بل ويجلي النعمة علىٰ الناس بشكل أوضح، مما يوجب عليهم الاعتراف بوحدانية المنعم وعبادته"[١]

٢- أنه موافق للفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهو الاعتراف بوجود خالق لهذا الكون، وهو الأمر الذي لا يستطيع أكبر ملاحدة العالم من الانفكاك عنه أو جحوده، وقد بين الله ﷻ أن فرعون كان مقراً به، مع إنكاره لله تعالىٰ في الظاهر، قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]

قال الشيخ عبدالكريم الحميد منتقداً طريقة أصحاب الإعجاز العلمي في تقرير التوحيد: "وفي طريقة القرآن في الندب للنظر بالآيات المشهودة تمام المعرفة وكمالها، ولولا حصول ذلك لما اختاره الله لنبيه وصفوة خلقه، وصاحب (كتاب توحيد الخالق)[٢] بعلومه الحديثة يدعو إلىٰ الله بزعمه ومعرفته، ولقد تكلم عن العلم بالله[٣]، فذكر العقل، وزعم أن علمنا بالله قائم علىٰ استنتاج الإيمان من مشاهدة المخلوقات، ويقول: (فنحن قد علمنا بربنا بإدراك آثاره في مخلوقاته)، ويذكر كلاماً طويلاً، يحشر أثناءه الآيات حشراً متنافراً، مع ما يذهب إليه، ويقول: (وإيمان المسلم بربه حقيقة تعرف من استنتاج العقل

---

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، د. محمد أحمد ملكاوي ص٣٣٧-٣٣٩.
(٢) وهو الشيخ عبدالمجيد الزنداني.
(٣) ص١٦٧.

وفهمه لآثار قدرة ربه في مخلوقاته)، وكلامه ليس بالمسدد ولا الجيد، بل فيه تضليل، فهو يميل إلىٰ جانب النظر في معرفة الله علىٰ مقتضىٰ العلوم الحديثة وطرقها، فهذا شبه من المتكلمين، وقد غلط هنا غلطًا فاحشًا حيث غلب النظر، وأهمل جانب الفطرة التي بها حاصلة معرفة الله.

أما النظر في المخلوقات بالتفكر والاعتبار علىٰ طريقة السلف، فهو يزيد المعرفة والإيمان؛ لأنه أصل.

وقد وقفت علىٰ كلام كثيرٍ من سالكي طرق العلوم الحديثة، فرأيتهم يدعون إلىٰ النظر كبداية لمعرفة الله والإيمان به، بسلوك طرق العلوم الغربية، وعلمهم عن الفطرة لا يكاد يذكر، فمعرفة الله بل ومحبته فطرية، والشريعة تكملها، وتفصل وتبين ما لا تستقل الفطرة بتفصيله وبيانه.

ولقد جار أهل النظر في هذا الزمان علىٰ الفطرة، وكادوا يهملون شأنها، وذلك لغلبة جانب النظر علىٰ غير الطريقة السلفية، فحصل بذلك ضلال عظيم؛ لأنه نظر علىٰ مقتضىٰ علوم الملاحدة وكشوفهم الضالة والمضلة، وقد أمرنا ﷺ باتباعه ونهانا عن الإحداث، وقد قال مرسله سبحانه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤]"[١]

٣- أنه أقوىٰ في إقامة الحجة علىٰ الكفار؛ لأن الآيات الكونية مشاهدة: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:٣-٤]، وأما السبق العلمي في بعض الآيات فلا يمكن أن يكون حجة علىٰ الكفار؛ لأن الأمر يفتقر إلىٰ إثبات أنه لم يَسبق القول بها قبل نزول القرآن، فكيف إذا عُلم أن بعض المسائل التي ادعىٰ فيها أصحاب الإعجاز العلمي السبق، هم يعترفون أن هناك من أشار لها قبل نزول القرآن، ثم إن الله تعالىٰ لم ينف علم البشر بها قبل نزول القرآن، والآيات الكونية مما تشترك في الإخبار به الكتب السماوية التي أنزلها الله علىٰ أنبيائه ورسله، ولو دخلها التحريف بعد ذلك.



(١) الفرقان في بيان إعجاز القرآن ص٨٤-٨٥.



# الفصل الخامس

## الإعجـاز العلمـي
## والاستدلال به على النبوة وآياتها



**وفيه ثلاثة مباحث:**

- **المبحث الأول: تضمن الكتب السابقة مسائل الإعجاز العلمي.**
- **المبحث الثاني: آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والإعجاز العلمي.**
- **المبحث الثالث: الإعجاز العلمي والاستدلال به على نبوة الرسول ﷺ، ومعرفته بتفاصيل الحقائق العلمية.**



# الفصل الخامس

# الإعجاز العلمي

# والاستدلال به على النبوة وآياتها

## تمهيد

لقد منَّ الله تعالىٰ علىٰ الناس أن بعث فيهم أنبياء ورسل، يهدونهم بعد ضلالة، ويذكرونهم بعد غفلة، ويعلمونهم بعد جهل، كما قال تعالىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة:٢١٣].

وجعل الله ﷻ الإيمان بالرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ركنًا من أركان الإيمان التي لا يستقيم إيمان العبد إلا بالإيمان به، قال تعالىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥]، وقال سبحانه: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ... ﴾ [البقرة:١٧٧]، وهذا يبين أهمية النبوة وعظم مكانتها، فكل شيء من الدِّين هو فرع عن إثبات النبوة، ولذا قرن الله ﷻ بين الإيمان به وبين الإيمان بالرسل –عليهم الصلاة والسلام – في أكثر من آية، قال تعالىٰ: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [آل عمران:١٧٩]، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٥٢]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الحديد:١٩]، وغيرها من الآيات.

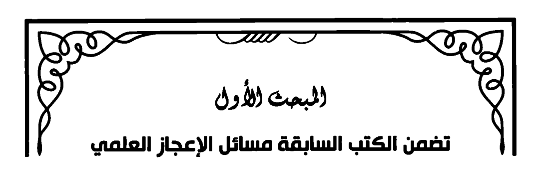
ولهذا كان أهل الكفر في كل زمن يجادلون الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والسلام – في صحة أنهم مرسلون من الله ﷻ، مع قيام الدلائل عند هؤلاء الكفار علىٰ صدق الأنبياء والمرسلين، ولكن طعنهم في صحة النبوة، هو طعن بما أرسلوا به، وهدم لعقيدة التوحيد، وإبطال للشرائع.

وقد أقام الله ﷻ الدلائل الواضحات، والبراهين القاطعات علىٰ صحة دعوة الأنبياء والمرسلين، وأيدهم بمزيد آيات وبينات (معجزات)، وبمقدار بعد الناس عن دلائل الوحي في ذلك، يحصل الخطأ والخلل المعرفي والمنهجي.

وفي هذا الفصل سأعرض لطريقة أصحاب الإعجاز العلمي في تطبيق الجانب العلمي التجريبي للمكتشفات الحديثة في الاستدلال علىٰ النبوة وآياتها، من خلال المباحث التالية:

- المبحث الأول: تضمن الكتب السابقة مسائل الإعجاز العلمي.
- المبحث الثاني: آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والإعجاز العلمي.
- المبحث الثالث: الإعجاز العلمي والاستدلال به علىٰ نبوة الرسول ﷺ، ومعرفته ﷺ بتفاصيل الحقائق العلمية.





# المبحث الأول

## تضمن الكتب السابقة مسائل الإعجاز العلمي

لقد أرسل الله ﷻ الرسل إلىٰ أقوامهم، وأيدهم بالآيات والدلائل الدالة علىٰ صدقهم، وأنزل عليهم كتباً، الإيمان بها وبما تضمنته ركن من أركان الإيمان، قال الله تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣].

وقد فصل الله ﷻ فيها ما يحتاج إليه العباد من بيان التوحيد والشرائع والأحكام، وذَكَّرهم فيها بقدرته، وكمال علمه، وحكمته ﷻ في خلق السموات والأرض وما فيهما من عوالم ومخلوقات.

وكان مما اشتملت عليه الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل والقرآن الكريم ذكر بعض الآيات الكونية، والتي رأىٰ بعض أصحاب الإعجاز العلمي أن القرآن الكريم قد تفرد بذكر بعضها، ولم يسبق لها ذكرٌ في التوراة والإنجيل.

وقابل هؤلاء بعض الباحثين الذين يوردون أمثلة ذكرت في التوراة والإنجيل والقرآن، مما يدل علىٰ عدم تفرد القرآن الكريم بذكرها.

وتحريراً للمسألة، فإن الأمر يحتاج إلىٰ تجلية خمس مسائل:

- المسألة الأولىٰ: التعريف بالكتب السابقة.
- المسألة الثانية: الأدلة من القرآن الكريم علىٰ تحريف التوراة والإنجيل.
- المسألة الثالثة: الموقف الشرعي مما تضمنته التوراة والإنجيل.
- المسألة الرابعة: مدىٰ موافقة ما في التوراة والإنجيل وغيرهما للعلم الحديث.
- المسألة الخامسة: مسائل الإعجاز العلمي في التوراة والإنجيل.



**المسألة الأولى: التعريف بالكتب السابقة.**

الكتب السابقة هي الكتب التي أُنزلت قبل ابتداء نزول القرآن الكريم، وقد ذكر الله منها في القرآن (الزبور) الذي أنزل على داود ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء:١٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء:٥٥].

وآتى إبراهيم وموسى عليهما السلام (الصحف)، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٦-٣٧].

وأنزل (التوراة) على موسى ﷺ، و(الإنجيل) على عيسى ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٤٦].

ولم يبق من هذه الكتب إلا التوراة والإنجيل، وهي التي جمعت مع غيرها في كتاب أطلق عليه (الكتاب المقدس) وهو مدار البحث.

والكتاب المقدس يجمع بين نصوص العهد القديم بقسميه: التوراة بأسفارها الخمسة (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية)، وبقية الأسفار والكتب التي اختلف في عددها فقيل: تسعة وثلاثين كتاباً أو سفراً، وقيل: ستة وأربعين سفراً.

ويجمع كذلك بين نصوص العهد الجديد بقسميه: الإنجيل بكتبه الأربعة المنسوبة لمن كتبها من تلامذة المسيح عيسى ﷺ وهم: (متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، ورسائل الرسل وأسفارهم التي كتبها أتباع المسيح من التلاميذ أو تلاميذهم، وجميع كتب العهد الجديد تبلغ سبعة وعشرون سفراً.

وقد كان ضم العهدين في القرن الرابع الميلادي، وذلك استناداً على نسخ قديمة للعهدين[1].



(١) انظر: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. فتحي محمد الزغبي ص٤٧ وما بعدها، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف ص ٥١-١١٠،٥٤-١١٣ وحقوق الإنسان في اليهودية والمسيحية والإسلام مقارنة بالقانون الدولي، د. خالد الشنير ص٢٣.

**المسألة الثانية: الأدلة من القرآن الكريم على تحريف التوراة والإنجيل[1].**

لقد بين الله ﷻ أن اليهود قاموا بتحريف التوراة، وأضافوا إليها، وأنهم حذفوا منها، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٨-٧٩].

وقال تعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٤٦].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣] وغيرها من الآيات.

وكذلك الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى ﷺ ليس هو الذي بين أيدي النصارى الآن، فقد فقد منذ زمن مبكر، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:١٤].

وقد أوكل الله تعالى حفظ التوراة والإنجيل إلى علمائهم ورهبانهم، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا

---

(١) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة ص٧٧-٩٨، ودعوى الإلهام والحجية في أسفار العهد الجديد ومدى صدقها، د. ناجي سلامة ص١٤، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. فتحي الزغبي ص٧٣٤-٧٣٦، ودراسات في الأديان، د. سعود الخلف ص٦٩، والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، د. محمد البار ص١١٧، ودراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، محمد السعدي ص ١٥، ومعجزات القرآن العلمية في الإنسان مقابلة مع التوراة والإنجيل، عبدالوهاب الراوي ص٨.

وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤]، ولم يتكفل ﷻ بحفظها كما تكفل بحفظ القرآن الكريم.



**المسألة الثالثة: الموقف الشرعي مما تضمنته الكتب السابقة.**

هذه المسألة متفرعة عما سبق، فإن ثبوت التحريف والتبديل للتوارة والإنجيل، واختلاط كلام البشر فيها بكلام الله تعالى، جعل العلماء يقسمون ما ورد فيها إلى ثلاثة أقسام[١]:

**القسم الأول:** ما شهد شرعنا بصدقه.

فهذا نقبله، وسبب قبوله أنه وافق ما في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، والفائدة منه: هو الاستئناس بها لتأكيد الحق الذي عندنا[٢].

**القسم الثاني:** ما شهد شرعنا بكذبه.

فهذا نرفضه، وسبب رفضه أنه خالف القرآن الكريم والسنة الصحيحة، أو الواقع، أو العقل الصريح، وهذه لا يجوز التحدث به إلا لبيان كذبه[٣]، قال الإمام الشافعي ﷺ: "فإذ أباح [أي: النبي ﷺ] الحديث عن بني إسرائيل، فإنما أباح قبول ذلك عن من حدّث به ممن يجهل صدقه وكذبه، ولم يبحه أيضا عن من يعرف كذبه"[٤].

**القسم الثالث:** ما لم يحكم بصدقه ولا كذبه.

فهذا لم يثبت في القرآن والسنة الصحيحة والواقع موافقته أو مخالفته، فهذه لا بأس بالتحدث به إذا لم يُخش محذور، والدليل على هذا قول الرسول ﷺ: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[٥]، ولكن من غير الجزم بتصديقه أو تكذيبه، لقوله ﷺ: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة:١٣٦]الآية"[٦].

---

(١) انظر: الفصل في الملل والنحل، ابن حزم ١/ ٣١٨-٣٢١، والجواب الصحيح، ابن تيمية ٦/ ٤٦١ وما بعدها، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية ٨/ ٣٢٢، ١٢/ ٥٨، ١٣/ ٣٤٥، ٢٤/ ٢٥٨، وشرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ١/ ٢٣٠، والبداية والنهاية، ابن كثير ٢/ ٣١، ٦/ ٤٦١، وفتح الباري، ابن حجر ٦/ ٥٧٥-٥٧٦، ١٣/ ٣٤٠، ومنحة القريب المجيب، آل معمر ٢/ ٥٤٩، والتفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي ١/ ٦٢، ٧١، ١٦٩ ١٧٧، ١٧٩-١٨٠، ومناهل العرفان، الزرقاني ٢/ ٢٢، وشرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين ٢/ ١٨٣.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١/ ٢٥١، ١٩/ ٦-٧، والبداية والنهاية، ابن كثير ٣/ ٧٧.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٣٩٤.

(٤) الرسالة ص ٣٩٨.

(٥) رواه البخاري ٤/ ١٧٠ (٣٤٦١).

(٦) رواه البخاري ٦/ ٢٠ (٤٤٨٥).

قال الإمام الذهبي رحمه الله بعد ذكره للحديثين: "فهذا إذن نبوي في جواز سماع ما يأثرونه في الجملة، كما سمع منهم ما ينقلونه من الطب، ولا حجة في شئ من ذلك، إنما الحجة في الكتاب والسنة"[1].



(١) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٧٠.

**المسألة الرابعة: مدى موافقة ما في الكتب السابقة للعلم الحديث.**

من يقرأ في الكتاب المقدس بعهديه (القديم والجديد) يجد مفردات الآيات الكونية: السموات والأرض، والشمس والقمر والنجوم، والجبال والشجر والماء والإنسان وغيرها مذكورة فيه، ولا غرابة في ذلك فإن هذه العوالم خلقها الله ﷻ قبل أن يبعث الرسل، وقبل أن ينزل الكتب، ويدل لذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠].

وعند البحث في (الكتاب المقدس) لا بد من: "ضرورة بحث مدىٰ توافق نصوصه مع معيارين:

**الأول:** انسجامها مع بعضها البعض، إذ إن الملهم إن كان واحداً، وكان الهدف مشتركاً، فلا بد ألا تصطدم النصوص أو تتعارض أو تختلف...

**الثاني:** توافقها مع معطيات العلم الحديث؛ إذ إن العقل والوحي والحواس من وسائل العلم التي منحها الله تعالىٰ للبشر، ومن ثم فالواجب عليها التوافق لا التعارض، فهل تتوافق نصوص العهد القديم مع العلم؟"[(١)].

لقد قامت دراسات للإجابة علىٰ هذا التساؤل، كان من أبرزها ما قام به الطبيب الفرنسي (موريس بوكاي)[(٢)] حيث درس العهد القديم (التوراة)، فوجد أنها تتناقض مع العلم الحديث حيث قال: "وقد لوحظ مع تطور المعرفة وجود اختلافات بين نص التوراة والعلم، فتقرر عدم المقابلة بينهما، ويجب الاعتراف أنه بهذه الطريقة برز في أيامنا وضع خطير، هو تصادم العلماء وشراح التوراة؛ لأنه لا يمكن القبول في الواقع بأن يكون الوحي الإلهي متكلماً عن شيء غير صحيح.

ولم يكن بد من التوفيق المنطقي، وإبطال كل مقطع من الكتاب التوراتي يتحدث عن أمر غير مقبول علمياً، وقد رفض البعض مثل هذا الحل، واندفع علىٰ العكس في الاحتفاظ بكامل النص، الأمر الذي جعل شراح التوراة يتخذون بالنسبة لصحة الكتابات

---

(١) المعتقدات الدينية لدىٰ الغرب، د. عبدالراضي محمد عبدالمحسن ص٤٣٩-٤٤٠.

(٢) هو: موريس بوكاي طبيب فرنسي، ولد بفرنسا عام ١٩٢٠م، وتلقىٰ تعليمه في مدرسة كاثوليكية، ثم بكلية الطب، وعمل جراحاً مع التخصص في طب الأمعاء، ثم أصبح طبيباً باطنياً مشهوراً، وكان بوكاي متأثراً في حواراته بالإسلام، توفي في باريس عام ١٩٩٨م. انظر: موسوعة ويكيبيديا www.ar.wikipedia.org

التوراتية مواقف مرفوضة في الفكر العلمي"[(١)].

وقد أشار (موريس بوكاي) إلىٰ نماذج من هذا التعارض والتناقض بين نص التوراة ومعطيات العلم الحديث فقال: "ففي سفر التكوين تناقضات صريحة مع العلم المعاصر، وهي تقع في ثلاث نقاط أساسية:

أ- خلق العالم ومراحله.

ب- تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان علىٰ الأرض.

ج- رواية الطوفان"[(٢)].

ثم توسع في بيان هذه التناقضات وذلك بإيراد النص التوراتي ومقارنته بالعلم المعاصر، وأما العهد الجديد (الأناجيل وما يتبعها) فقد نال نصيباً من تلك التناقضات بين نصه وبين معطيات العلم المعاصر، علىٰ الرغم من أن النصوص التي تتطرق للحقائق العلمية أو النظريات قليلة؛ لأن الإنجيل نصوصه تدور حول حياة عيسىٰ ﷺ ومعجزاته[(٣)].

ومما يبين حقيقة هذا التناقض أن الكنيسة في فترة من الفترات عملت علىٰ وأد كل محاولة علمية تخالف ما جاء في الكتاب المقدس، وقامت بكبح جماح العقول وتقييدها، "لا خوفاً علىٰ الدين، بل حفاظاً علىٰ قدسيتها، وخوفاً من هتك أستارها علىٰ يد هذه النظريات، فينهار بنيانها، ويزول طغيانها، فرفضت كل ما جاء عن غير طريقها، وخالف معارفها، واعتبرت أن قمة (الضلال هو البحث عن الحقيقة في غير الكتاب المقدس) ويبرز طغيان الكنيسة وتسلطها علىٰ الجانب العلمي في رد النظريات العلمية، والحكم علىٰ أصحابها بالكفر والإلحاد، ومن ثم إحراقهم أو قتلهم، وأنشأت لذلك محاكم التفتيش، وابتدعت صنوفاً من التعذيب، محاربة للنظريات وأصحابها"[(٤)].

---

(١) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ص١٨-١٩.

(٢) المرجع السابق ص ٤٤، وانظر: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. فتحي الزغبي ص٥١٠-٥٤٩، والقرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، حسن الباش ١/ ٢٧-٤٤، والدم في العلم والتوراة والإنجيل والقرآن، د. إبراهيم خليل، ودراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، محمد السعدي ص ١٢٣-١٢٧، والكون والرؤية العلمية في القرآن الكريم والأديان السماوية الأخرىٰ، أشرف أحمد عماشة.

(٣) السابق ص١٠٧.

(٤) الصراع بين الكنيسة والعلم أسبابه وآثاره، د. أحمد بن عبدالله الغامدي ص٣٤٨-٣٤٩، وانظر: الإسلام والفلسفات القديمة، أنور الجندي ص٢٣٧، وروح الدين الإسلامي، عفيف طباره ص٢٦٦-٢٦٧، وموقف الإسلام والنصرانية من العلم، د. عبدالله المشوخي ص١١٣-١١٤، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. عبدالسلام اللوح ص٨٥.

وهذه الحقيقة عن موقف الكنيسة من العلم المادي، وثبوت التناقض لا يعطي حكماً عاماً بعدم قبول كل ما ورد في (الكتاب المقدس) من حقائق أو نظريات علمية عن الكون وما فيه، بل الميزان كما سبق قبول ما وافق القرآن والسنة، ورفض ما خالفهما، وعدم التصديق والتكذيب فيما لم يثبت فيهما.



**المسألة الخامسة: مسائل الإعجاز العلمي في الكتب السابقة.**

تـنص بعـض تعـاريف الإعجـاز العلمـي علىٰ تفـرد القـرآن وسـبقه في ذكـر الحقـائق العلمية، كما قال الشيخ عبد المجيد الزنداني في تعريفه: "هو السبق العلمي للقرآن الكريم الذي ذكر حقائق في الكون لم تكن البشرية تعلم عنها شيئاً"[١]، وقال د. عبدالله المصلح: "يمكننا أن نعرف الإعجاز العلمي بأنه هـو: الأمر الخارق للعادة، المقرون بالتحدي، السـالم مـن المعارضـة، المتعلـق بقضـية علميـة وصـل العلـم فيهـا إلىٰ سـقف المعرفـة، ولم يكن في مقدور البشر ولا في علمه في شتىٰ بقاع الأرض، علـم بهـا وقـت تنـزل الـوحي بها، أو قول رسول الله ﷺ لها"[٢].

وهذا النفي لم يكن موضع اتفاق بين الباحثين في الإعجاز العلمي، لكنه الغالب علىٰ أبحاثهم، ولذلك نجد منهم من يصرح بوجود حقـائق ذكـرت قبـل نـزول القـرآن الكـريم، ومن أمثلة ذلك القول بكروية الأرض، فقد جعله د. زغلول النجار من الإعجـاز العلمـي، مع أنه ذكر هو أن أول من قال به الفلاسفة في حدود سنة ٢٠٠٠؟ ق. م[٣].

وكذلك القول بسرعة الضوء حيث قال د. عبدالله المصلح: "فالناظر في آيات الكتاب وهي تتحدث عن يوم كألف سنة، ويوم كخمسين ألف سنة، ما كان ليغفل الإشـارة، وهـو يدرك أن هذا القرآن وحي إلهي، ممـن أحـاط بـدقائق الكـون مـن الـذرة إلىٰ المجـرة، ثـم الربط بين هذه الأزمان المتباينة، وبين ما يمكن أن يقطـع خلالهـا مـن مسـافات بـاختلاف وسيلة الحركة وسرعتها، هو التفات لدقة الإشارات.

لذا نجد في الكتاب[٤] ربطاً علمياً متيناً، ومتأنياً بين دلالات الآيات القرآنية، وحقائق وحقـائق علـوم الفلـك والفيزيـاء والرياضـيات، بـل والإشـارات المؤيـدة في أسـفار أهـل الكتاب؛ لنجد أنفسنا بعد هذا الجهد الدؤوب، أمام معجزة ربانية، تتمثل في السبق القرآني إلىٰ الإشارة إلىٰ سرعة الضـوء، التـي لـم يتوصـل الغـرب إليهـا إلا في القـرن السـابع عشـر

---

(١) كتاب توحيد الخالق ص١١٢.

(٢) المـنح الإلهيـة في إقامـة الحجـة علىٰ البشـرية ص٣٥، وانظـر: الإعجـاز العلمـي في القـرآن الكـريم في ضـوء الدراسات الجغرافيـة الفلكيـة والطبيعيـة، د. حسـن أبـو العينين ١/ ١٩، والإعجـاز العلمي في القـرآن الكـريم، عادلة أحمد ص١٣

(٣) انظر: بحث: (يكور الليل علىٰ النهار)، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي www.eajaz.org

(٤) يقصد كتاب (سرعة الضوء) للدكتور محمد دودح.

الميلادي، أي بعد ألف سنة من نزول كتاب ربنا علىٰ نبينا ﷺ"[١].

وقال أيضاً: "الكتب السماوية إذا اشتركت مع القرآن في بعض الحقائق، فإنها تختلف معه في حقائق علمية كثيرة ذكرها القرآن وأشار إليها، ولا وجود لها أصلاً في تلك الكتب"[٢].

وبهذا يتبين أن النفي المطلق بعدم وجود إشارات علمية في الكتب السابقة موافقة لما في القرآن، غير صحيح، لما يلي:

١- أن هذه الكتب كما سبق، اختلط فيها كلام البشر بكلام الله ﷻ، فالنفي قد يعود علىٰ الحق الذي فيها بالبطلان، إذا لم يعلم موافقته أو مخالفته للقرآن والسنة، قال سليمان بن عبدالقوي الطوفي[٣] ﷺ في بيان الحجج الواضحة علىٰ صحة دين الإسلام وصدق محمد ﷺ: "الحجة الخامسة: أنه ﷺ قال: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ... وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)[٤]، وإنما قال ذلك: لأنه علم أنهم حرفوا بعض كتبهم لا كلها، فمنع من تصديقهم خشية أن يكون ما قالوه مما حرفوه، ومن تكذيبهم خشية أن يكون مما لم يحرفوه، فالأول في غاية الحزم، والثاني: في غاية العدل"[٥].

٢- أن الله ﷻ لما ذكر الآيات الكونية في القرآن الكريم، لم ينف علم البشر بها قبل نزوله، أو ينفي وجودها في الكتب السابقة.

٣- أن هذا النفي يفتقر إلىٰ دليل واقعي صحيح، فعدم ذكرها في الكتب السابقة لا يدل علىٰ العدم، لاحتمال التحريف والتبديل كما سبق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "وهذا كثير من أهل الاستدلال والنظر وأهل الإسناد والخبر، فمن الأولين

(١) مقدمة كتاب: سرعة الضوء ص٦، وانظر: ص ١٤-١٧.
(٢) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان ص١٦٩.
(٣) هو: سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، فقيه حنبلي، له رحلات، دخل بغداد، وجاور بالحرمين، توفي في الخليل (بفلسطين) عام ٧١٦هـ. انظر: شذرات الذهب، ابن العماد ٨/ ٧١، والدرر الكامنة، ابن حجر ٢/ ٢٩٥.
(٤) رواه البخاري ٦/ ٢٠ (٤٤٨٥).
(٥) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ٢/ ٧٥١، وانظر: إيثار الحق علىٰ الخلق، ابن الوزير ص ٤٠٦.

طوائف يطلبون الدليل على ثبوت الشيء، فإذا لم يجدوه نفوه، ومعلوم أن عدم العلـم لـيس علمًا بالعدم، وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود إلا إذا كـان الطالـب ممـن يمكنـه ذلـك، إما بعلم أو ظن غالب"(١).

وقال أيضـًا: "﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦] وهذا نهي عن التكلم بلا علم، وهو عام في جميع أنواع الأخبار، وقد يتناول ما أخبر به الإنسان، وما قد يعتقده بغير الأخبار من الدلائل، والآيات، والعلامات، ليس له أن يتكلم بلا علم فلا ينفي شيئـًا إلا بعلم، ولا يثبته إلا بعلم، ولهذا كان عامة العلماء على أن النافي للشيء عليه الدليل على ما ينفيه، كما أن المثبت للشيء عليه الدليل على ثبوته"(٢).

"وهذا الذي دل عليه الكتاب والسنة من إمساك الإنسان عمـا لا يعلـم انتفـاؤه وثبوتـه هو مأثور عن غيره من الأنبياء، كما جاء عن المسيح ﷺ أنه قال: الأمور ثلاثة: أمـر تبـين رشده فاتبعوه، وأمر تبين غيه فاجتنبوه، وأمر اشتبه عليكم فكلوه إلى عالمه.

وعامة عقلاء بني آدم على هذا، ولهذا لا يجوز أن يصـدق بخـبر منقـول عـن الرسـول أو غيره إلا بدلالة تدل على صدقه، ولا يجوز أن يكذبه إلا بدلالة تدل علـى كذبـه، وعلـى هذا العلم والدين..."(٣).

٤- أن "الإعجاز العلمي يدخل في ما يسمى بالإعجاز الغيبي، وهو فرع منه(٤)، إذ مآله الإخبار بما غاب عـن النـاس فـترة مـن الـزمن، ثـم علمـه المعاصـرون، وإذا تحقـق ذلـك، فليعلم أن هذا النوع من الإعجاز ليس مما يختص به القرآن وحده، بل هو موجـود في كـل كتب الله السابقة؛ لأن الإخبار في هذه الكتـب عـن الحقـائق الكونيـة لا يمكـن أن يختلـف البتة(٥)، وعدم وجود ما يطابق علم القرآن في كتبهم التـي بـين يـديهم، إنمـا هـو لتحـريفهم لها، فلينتبه لذلك.

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٤٦٩.
(٢) المرجع السابق ٦/ ٤٥٨- ٤٥٩
(٣) السابق ٦/ ٤٦٢.
(٤) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي ص٢٧.
(٥) وذلك في أصل الحقائق الكونية دون بعض التفاصيل التي وردت في القرآن الكريم.



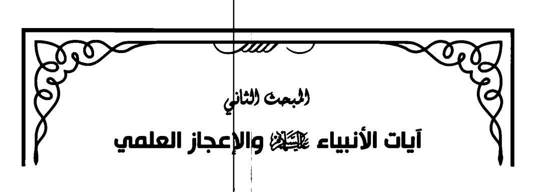

ومن باب إيضاح هذه المسألة بالذات؛ يقال: إن كتب الله السابقة توافق القرآن في جميع ما يتعلق بوجوه الإعجاز المذكورة عدا ما وقع به التحدي، إذ لم يرد نص صريح يدل على أنه قد تحدي الأقوام الذين نزل عليهم كتب، كما هو الحال بالنسبة للقرآن"[١].

٥- أن غاية ومقصِد أصحاب الإعجاز العلمي من القول به، بيان صدق الوحي، وقد ذكر القرآن دلائل متنوعة على ذلك، "وبعض دلائل الصدق (أنواع الإعجاز) ليست مختصة بالقرآن، بل هي مرتبطة بكلام الله ﷻ، سواء أكان كلام الله النازل على إبراهيم عليه الصلاة والسلام (الصحف)، أو على موسى عليه الصلاة والسلام (التوراة)، أو على عيسى عليه الصلاة والسلام (الإنجيل)، أو على غيرهم من الأنبياء؛ لذا فإن ما يحكيه بعض المعاصرين من وجوه إعجاز جديدة؛ كإطلاق مصطلح (الإعجاز العقدي) أو (الإعجاز التشريعي) أو (الإعجاز العلمي) أو غيرها، فإنها غير مختصة بالقرآن وحده، بل هي عامة في كلام الله النازل على رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام"[٢].

والاختلاف الكبير بين دلائل الصدق في الكتب السابقة وبين القرآن "يكمن في العلم اليقيني الضروري الحاصل بكل منهما، فبينما تقوم عوامل انقطاع السند، واضطراب المتن وتناقضه، ومخالفته مقررات العقول، ومصادمته معطيات العلوم، دون بلوغ دلائل النبوة في اليهودية والمسيحية درجة العلم اليقيني، الذي تثبت به النبوة، نجد الضرورة تلزم بحصول هذا العلم من جهة دلائل النبوة في الإسلام لعكس الأسباب المذكورة، وذلك باتصال السند، وصحة المتن، وموافقته مقررات العقول، وتوافقه مع معطيات العلوم النظرية التجريبية"[٣].



(١) الإعجاز العلمي إلى أين؟ د. مساعد الطيار ص١٩-٢٠.
(٢) الإعجاز العلمي إلى أين؟ د. مساعد الطيار ص١٥-١٦، وانظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ص١٦٩.
(٣) المعتقدات الدينية لدى الغرب، د. عبدالراضي عبدالمحسن ص٤٦٧.



## المبحث الثاني

# آيات الأنبياء عليهم السلام والإعجاز العلمي

لقد أيد الله تعالىٰ أنبياءه ورسله بآيات مبينات، أظهرها علىٰ أيديهم دلالة علىٰ نبوتهم، مما يسلتزم صدقهم، وذكر الله ﷻ في القرآن الكريم عدداً من هذه الآيات.

وقد تنوعت مسالك الناس في تعاملهم مع آيات الأنبياء (المعجزات) ما بين:

١- مثبت لها، مؤمن بها، مع اعتقاده أنها خارقة لعادة الثقلين غير الأنبياء، وخارجة عن مقدورهم، مع عجزهم عن معارضتها[١]، وهذا مسلك أهل السنة والجماعة.

٢- منكر لها، ومحرف لمعانيها، بحجة أنها تخرج عن مقتضىٰ القوانين الطبيعية المطردة، كما فعل طائفة الفلاسفة[٢]، وتأثر بهم أصحاب المدرسة العقلية الحديثة[٣].

٣- مجتهد في إقامة الأدلة العلمية علىٰ إمكانية وقوعها، وأن إثباتها لا يتنافىٰ مع العلم الحديث أو يتعارض، وقد سلك أصحاب هذا المسلك طريقين:

**الأول:** البحث عن مشاهدات علمية تؤيد وقوع المعجزات.

**الثاني:** تأويلها اعتماداً علىٰ حقائق علمية، تخرجها عن معناها الظاهر، وتقربها من العقلية الحديثة[٤].

٤- تفسير آيات الأنبياء (المعجزات) التي أخبر الله تعالىٰ بها في القرآن الكريم تفسيراً علمياً مادياً، بجعل ما أجراه الله علىٰ أيدهم قضية علمية سبق إليها القرآن قبل أن يعرف

---

(١) انظر: النبوات، ابن تيمية ١/ ٢، ٥٠٢، ٧٧٨، ٨٦٣، ٩٠٢، ١٠٦٥، ومناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم، د. خالد السبت ص٢٩٢، وآراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية، د. محمد الشايع ص٤٨٣، ووجوه دلالة القرآن الكريم علىٰ نبوة النبي محمد ﷺ، سامية البدري ص٤٢.

(٢) انظر: الرسالة الصفدية، ابن تيمية ص١٢١.

(٣) انظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد الرومي ص٥٤٥-٥٥٦، وصراع مع الملاحدة حتىٰ العظم، عبدالرحمن حبنكة الميداني ص٢٦٧-٢٨٩.

(٤) انظر: مناهج الاستدلال علىٰ مسائل العقيدة الإسلامية في العصر الحديث، د. أحمد قوشتي ص٤٤٩، والاتجاهات العقلانية الحديثة، د. ناصر العقل ص٢٠٥-٢٢٢.

العلم الحديث حقيقتها، وهذا مسلك بعض أصحاب الإعجاز العلمي.

وسأعرض لأقوال أصحاب المسلك الأخير - إذ هو موضع الدراسة، ثم اتبع ذلك كله بمناقشة عامة، وبيان لمنهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع آيات الأنبياء.



**الطوفان الذي أهلك الله به قوم نوح ﷺ:**

قال الله تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود:٤٠-٤٤]

وقال تعالىٰ: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ٩-١٥].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآيات:**

اعتبر د.سليمان الطراونة أن في الآيات إشارة إلىٰ إعجاز علمي، وذلك في قوله تعالىٰ: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ)، وذكر أن بيان ذلك يحتاج إلىٰ توطئة نصية وعلمية للإجابة الشافية عليه فقال:

"**أولاً**: القرآن الكريم يقول: (وهي تجري بهم في موج كالجبال) والموج لا يكون كالجبال إلا إذا كانت الريح عاتية.

**وثانياً**: (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) وأمطار بهذه الكثافة التي تبقىٰ في ذاكرة الشعوب، لا يمكن إلا أن تكون نتاج منخفض جوي شديد العمق، يولد تلك الرياح، وهذه الأمطار الغزيرة.

**وثالثاً**: (وفجرنا الأرض عيوناً) لماذا فار التنور وهو فرن الخبز؟، ثم انهمرت السماء؟، ثم انفجرت الأرض عيوناً؟

قد يقول قائل هذا أمر الله، وهو الذي جعل فوران التنور شارة بدء الطوفان، وقد فتح أبواب السماء، وفجر الأرض عيوناً.

وهذا القائل محق جداً، **لكن رب العزة جعل لكل شيء سبباً، والسبب العلمي هنا مدهش ومعجز توصيف القرآن له**".

ثم شرح تفاصيل هذا السبب العلمي ولخصه بقوله:"والحقيقة أن **انفجار المياه الجوفية بسبب فروق الضغط الناتجة عن الرياح وعمق المنخفض، هو الذي جعل ذلك الطوفان كارثة هائلة**، تتوارث ذكرها الشعوب والأجيال منذ الآف السنين، فالفيضان الناتج عن المياه السطحية فقط، يجري في مسارات محددة، وحتى لو خرج إلى السهل الفيضي، فإنه لا يغطي كل شيء.

أما الطوفان المشترك، أي الذي يبدأ بانفجار المياه الجوفية أولاً، بسبب فروق الضغط ثم بانهمار المطر، هذا الطوفان المشترك يعم أثره، ويتعذر على البشر الاحتماء منه؛ لأنه ينفجر من الأرض التي أسفل منهم فتغرقهم مياه الأرض قبل أن تغرقهم مياه السماء، فكيف إذا ما التقى الماء على أمر قد قدر، وتحقق الطوفان الأكبر، الذي لا يبقي ولا يذر، كما حصل في شأن قوم نوح"[1].

**المناقشة:**

١- ما حصل من الطوفان الذي أهلك الله به المكذبين من قوم نوح ﷺ، هو آية من آيات الله تعالى، وبيان لقدرته ﷻ في إهلاك الظالمين والمكذبين، وجعله بتلك الصفات التي ذكرها الدكتور يخرجها عن المقصود.

٢- ليس صحيحاً إخضاع حصول الطوفان لقوانين طبيعية، أو لأسباب علمية لأمرين:

**أولاً**: أن ابن نوح ﷺ أراد بذل الأسباب الطبيعية للنجاة من الطوفان في نظره، فبين له نوح أن ذلك لا ينجيه من أمر الله تعالى؛ لأن الأمر لا يخضع للأسباب: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص١٠١-١٠٤.

جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود: ٤٣].

**ثانياً**: أن الله تعالىٰ خاطب السماء والأرض قائلاً: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤]، فالأمر لا يجري وفق السنن الطبيعية، بل هو أمر الله تعالىٰ.

## يعقوب ﷺ وريح قميص يوسف ﷺ:

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف:٩٣-٩٤].

### أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:

تنوعت مقولات أصحاب الإعجاز العلمي في بيان أوجه الإعجاز العلمي من الآيتين ومنها:

**القول الأول**: أن لكل إنسان بصمة لرائحته المميزة، التي ينفرد بها وحده دون سائر البشر أجمعين، قال عقيد عبدالله اليوسف: "إننا نجد في هذه الآية تأكيداً لبصمة رائحة سيدنا يوسف التي تميزه عن كل البشر"(١).

**القول الثاني**: أن ما حصل ليعقوب من وجدانه لرائحة يوسف، داخل فيما يعرف بظاهرة (التلباثي) أو (التخاطر عن بعد)، التي ثبتت علمياً كما يقول عبدالمجيد العرجاوي، والتي شرحها بقوله: "أن الدماغ البشري يبث أمواجاً كهرطيسية(٢)، ويحدث تبادل تأثير بين دماغ وآخر عن بعد، والعين تتكون شبكتها من تفرعات العصب البصري

---

(١) البصمات إعجاز وتحدي ص٦٦، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
(٢) الأمواج الكهرطيسية هي: أحد أشكال الطاقة، تصدره وتمتصه الجسيمات المشحونة، والتي تظهر سلوك مشابه للموجات في سفرها خلال الفضاء، ولها حقل كهربائي وآخر مغناطيسي، متساويان في الشدة، ويتذبذب كل منها في طور معامد للآخر، ومعامد لاتجاه طاقة وانتشار الموجة، حيث تنتشر الأمواج الكهرومغناطيسية في الفراغ بسرعة الضوء. انظر: موسوعة ويكيبيديا www.ar. wikipedia.org

الآتي من الدماغ، لذا يمكن اعتبارها جزءاً من الدماغ، ولا يمتنع أن يكون للعين أثر ما عند حالة نفسية معينة لدىٰ بعض الأشخاص، وتبثه علىٰ شكل أمواج كهرطيسية أو غير ذلك، ويكون لذلك تأثير ضار علىٰ الجملة العصبية عند الآخر.

ثم قال في بيان العلاقة بين دلالة الآية علىٰ مثل هذه الظاهرة: "وقد أشار القرآن الكريم إلىٰ ظاهرة التلباثي عندما قال في قصة يوسف: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف:٩٤]، فعير أبناء يعقوب ﷺ فصلت في مصر آتية نحو فلسطين، حيث كان يعقوب ﷺ، وكانت تحمل في تلك الأثناء البشارة بالعثور علىٰ يوسف وأخيه، وكأن يعقوب ﷺ قد تحسس بذلك حتىٰ قال: (إني لأجد ريح يوسف)، وإنَّ ربط القرآن بين الأمرين يدل علىٰ وجود ربط حقيقي بينهما، وقد كشف عن مثل هذا الربط حديثاً، بعد معرفة ظاهرة (التلباثي) أو التخاطر عن بعد"[1].

**القول الثالث:** أن انخفاض ضغط الدم المفاجيء عند يعقوب ﷺ بسبب الفرج الشديد، أدىٰ إلىٰ الشفاء من العمىٰ[2].

**القول الرابع:** أن العرق الذي كان في قميص يوسف ﷺ، هو الذي رد إلىٰ يعقوب ﷺ بصره، فقد نشر في (المجلة العربية) في عددها رقم (٢٢٤) للسنة العشرين إصدار رمضان ١٤١٦هـ - فبراير ١٩٩٦ مقالاً بعنوان: (براءة اختراع دولية لأول قطرة عيون قرآنية)، وجاء فيه: أن عالماً مسلماً يقوم بتصنيع قطرة لمعالجة المياه البيضاء من قصة يوسف: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [يوسف:٩٣].

وقد فسر هذا العالم بياض عين يعقوب: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف:٨٤] بالمياه البيضاء، أو الكتاركتا[3].

---

(١) البراهين العلمية علىٰ صحة العقيدة الإسلامية ص٢١٣.

(٢) انظر: القرآن والعلم الحديث، عبدالرزاق نوفل ص١٢١-١٢٢.

(٣) المياه البيضاء هو: مرض يصيب عدسة العين الطبيعية فيعتمها ويفقدها شفافيتها، مما يسبب ضعفاً في البصر دون وجع أو ألم، ويعاني المصاب من تحسسه للإنارة المبهرة والقوية، مع ضعف في النظر ليلاً، وقد يصيب عيناً واحدةً أو كلا العينين سويةً. انظر: موسوعة ويكيبيديا www.ar. wikipedia.org

وأوضح هذا العالم أن هناك علاقة بين الحزن والإصابة بالمياه البيضاء، حيث إن الحزن يسبب زيادة هرمون (الأدرينالين)، وهذا يعتبر مضاداً (للأنسولين)، وبالتالي فإن الحزن الشديد أو الفرح الشديد يسبب زيادة مستمرة في هرمون (الأدرينالين)، الذي يسبب بدوره زيادة في سكر الدم، وهو أحد أسباب العتامة، هذا بالإضافة إلىٰ تزامن الحزن مع البكاء.

وأوضح هذا العالم، أن هناك صعوبات في علاج هذا المرض، الذي يتمثل بالدرجة الأولىٰ في الجراحة؛ لأنه لا توجد له أدوية فعالة، ولهذا كان الحل عنده في قميص يوسف ﷺ (قميص الشفاء)، وبعد التفكير في ماذا يمكن أن يوجد في قميص يوسف ﷺ من شفاء، كان الاهتداء إلىٰ العرق، وكان البحث في مكونات عرق الإنسان، حيث أخذنا العدسات المستخرجة من العيون بالعمليات الجراحية التقليدية، وتم نقعها في العرق فوجدنا أنه تحدث حالة من الشفافية التدريجية لهذه العدسات المعتمة.

ثم كان السؤال التالي: هل كل مكونات العرق فعالة في هذه الحالة ؟ أم إحدىٰ هذه المكونات؟

وبالفعل أمكن التوصل إلىٰ إحدىٰ المكونات الرئيسية، وهيٰ: مركب من مركبات البولينا (الجواندين)، والتي أمكن تحضيرها كيميائياً.

وبإجراء التجارب علىٰ حيوانات التجارب، المستحدث بها عتامة أو بياض لعدسة العين عن طريق الإشعاع أو عن طريق ما يسمىٰ (بالعتامة المتسببة بالجلاكتوز)، وجد أن وضع هذه المركبات المحضرة كيميائياً، تسبب بياضاً لعدسة العين، كما أظهرت الفحوص الطبية باستخدام المصباح الشقي (Slit Lamp) وكذلك التصوير بالموجات فوق الصوتية، وانعكاس الضوء الأحمر من عدسة العين.

وقال هذا العالم: أن هذه القطرة ليست لها أية آثار جانبية بالمرة علىٰ حيوانات التجارب، وكذلك بالنسبة للإنسان سجلت النتائج التي أجريت علىٰ (٢٥٠) متطوعاً زوال هذا البياض ورجوع الإبصار في أكثر من (٩٠%).

أما الحالات التي لم تستجب فوجد بالفحص الإكلينيكي، أن بروتين العدسة حدث له شفافية، لكن توجد أسباب أخرىٰ مثل: أمراض الشبكية هي التي تسببت في عدم رجوع قوة الإبصار إلىٰ حالتها الطبيعية، كما قال بأنه يمكن استخدام هذه القطرة في علاج بياض قرنية العين.

وقد قام هذا العالم بتسجيل براءة هذا الاختراع حيث يقول: أرسلت صورة البحث إلىٰ براءة الاختراع الأوروبية ثم الأمريكية، وتولىٰ الأمر أحد بيوت الخبرة هناك، ثم شكلت لجنة لامتحان الاختراع وقد أجيز من براءة الاختراع الأوروبية عام ١٩٩١م ومن براءة الاختراع الأمريكية عام ١٩٩٣م(١).

**المناقشة:**

١- أن هذه الأقوال خروج بما حصل ليعقوب ﷺ عن كونه آية (معجزة) إلىٰ كونه أمراً معتاداً، يمكن أن يحصل مثله لغيره، وقد توصل العلم الحديث -كما يقولون- إلىٰ الكشف عن مثل ما حصل ليعقوب ﷺ، وعليه فلا تبقىٰ معجزة من معجزات الأنبياء، إلا وأمكن حصول مثلها لغيرهم من البشر(٢)

قال د.محمد كمال عبدالعزيز: "وعلىٰ أية حال فهي خارقة من الخوارق، يمكن أن تقع لرسول ونبي كيعقوب من ناحية يوسف وهو رسول ونبي... إنها حاسة الشم الخارقة التي وهبها الله لرسول ونبي، ولكن المحيطين بيعقوب لم يكن لهم ما له عند ربه، فلم يجدوا ما وجد من رائحة يوسف: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف:٩٥]"(٣).

٢- أن القول بأن العرق يرد البصر لم يثبت علمياً، وقد ناقش متخصصون في طب العيون هذه القضية في ندوة علمية طبية، ونشرت في صحيفة الأهرام المصرية، صفحة (الفكر الديني)(٤) ومن أقوالهم:

أ- قال د.سيد سيف، عميد المعهد القومي لليزر ورئيس أقسام الرمد بطب القصر العيني: "علاج المياه البيضاء ليس له سبيل حتىٰ الآن سوي إجراء الجراحة لإزالة العدسة المعتمة ويمكن زرع عدسة بدلاً منها أو استبدالها بعدسة لاصقة تبعاً للحالة، أما العلاج الكيماوي عن طريق القطرات فلم يثبت صحته حتىٰ الآن، وقد قامت بعض شركات

---

(١) نقلاً بتصرف يسير عن مقال: فبركة ما يسمىٰ بقطرة العيون القرآنية أو قطرة العرق، د. محمد السقا عيد، موقع الألوكة www. alukah. net، وانظر: الصبح الشارق، يحيىٰ الحجوري ص١٦٣.

(٢) انظر: نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم، د. أحمد محمد الفاضل ص٣٩-٤٢.

(٣) إعجاز القرآن في حواس الإنسان ص٦٩-٧٠.

(٤) عدد الجمعة (٤٠٠٥١) للسنة (١٢٠)، ١٧ ربيع الأول ١٤١٧هـ الموافق الثاني من أغسطس عام ١٩٩٦م. والعدد (٤٠٠٥٨) للسنة (١٢٠)، ٢٤ ربيع الأول ١٤١٧هـ الموافق التاسع من شهر أغسطس عام ١٩٩٦م .

الأدوية الألمانية والأمريكية واليابانية بعمل قطرات من مركبات معروفة لعلاج هذه الحالة لكنها لا تجدي في العلاج، والحقيقة أنني فوجئت بالكلام المنشور عن طريق قطرة من العرق، بل ومستوحاة من القرآن الكريم، فهذا كلام غير علمي بالمرة، وحتى إثارته لا تكون على صفحات الجرائد العادية، لكن له المسارات العلمية المعروفة؛ لأن عيون الناس أمانة ويجب أن لا نخون الأمانة...والأخطر من ذلك إقحام القرآن على أنه دليل على صدق القرآن وهذا مالا يقبل أبداً.

أما عن مسألة العرق وما به من مادة البولينا، فكنت قد قرأت للدكتور (يورك إلدر) وهو صاحب أكبر موسوعة علمية عن الرمد على مستوى العالم، عن إمكانية إذابة عدسة العين في البولينا، وبدأ التفكير في عمل أبحاث حول تذويب العدسة كيميائياً، وقام بها الدكتور مصطفى نصار، وثبت أنها تسبب التهابات شديدة في القرنية والقزحية (نن العين) فتوقفنا عن هذه الأبحاث خاصة، وأن (الليزر) سوف يحل هذه المسائل قريباً إن شاء الله بشكل أفضل كثيراً وأسرع، وأكثر أماناً من الطرق الكيماوية".

ب- وقال د. معتز المرزوقي، مستشار الرمد وعضو المجلس الأعلى بالشؤون الإسلامية: "كما أن أكثر البلاد إصابة بالمياه البيضاء هي البلاد الحارة، والمفروض أن العرق في أعينهم طوال النهار، فلماذا لم يشفيهم عرقهم".

ثم قال: "ويكاد يُجمع الأطباء على أن عودة إبصار سيدنا يعقوب معجزة بكل المقاييس... وكما نعلم أن المعجزة الإلهية فوق العلوم وفوق كل المقاييس؛ لأنها متعلقة بالله تعالى وبـ(كن فيكون)".

ج- وقال د. ممتاز حجازي، أستاذ طب وجراحة العيون بالقصر العيني: "القول بأن عرق سيدنا يوسف الذي كان بقميصه، هو الذي شفى عيني أبيه يعقوب عليه السلام، عندما ألقاه على وجهه، قول فيه سذاجة شديدة، ويتعارض مع العقل والمنطق؛ لأنه ليس بالضرورة في قوله تعالى (وابيضت عيناه) أن تكون قد أصيب بالمياه البيضاء، فقد يكون تعبيراً مجازياً يفيد الكف عن الإبصار، كما أن الكف عن الإبصار قد يحدث نتيجة الحزن أو الصدمات العصبية... ومن أين جاء الافتراض بأن القميص كان به عرق؟ أو أن العرق ظل طوال هذه الرحلة؟ وكيف لامس القميص العين بدون أن تغلق الجفون، ودون أن تصاب العين بقرحة إصابية؟ وأي مدة ظل فيها القميص ملامساً للعين حتى يصل إلى العدسة الداخلية للعين وبالتركيز الكافي ؟".

د- وقال د. مصطفى نصار – مدرس طب وجراحة العيون بجامعة المنوفية بمصر:

"تركيب العدسة الداخلية للعين معجزة؛ لأن الأحماض الأمينية التي يتركب منها بروتين العدسة الداخلية للعين ملفوفة ومغلفة داخل بعضها لحمايتها.

والذي يحدث في حالة عتامة العدسة الداخلية للعين، أن هذه اللفة تفرد، وبذلك تتعرض للأكسدة بفقدها للهيدروجين، فتتكون رابطة من مواد جديدة...هذه الرابطة هي التي تسمىٰ بالمياه البيضاء، تتسبب في عتامة العدسة الداخلية.

ولعلاج هذه الحالة بدون جراحة، لابد من اكتشاف مركب يستطيع كسر هذه الرابطة وإعادتها إلىٰ حالتها الأولىٰ، وهو أمر في غاية الصعوبة، ليس هذا فقط بل لابد من إعادة الخلايا إلىٰ وضعها الأول من الالتفاف بعد أن فتحت ... وهكذا يتضح لنا استحالة علاج المياه البيضاء، وكما يدعىٰ البعض بالعرق الذي يحتوىٰ علىٰ اليوريا والجيودين علىٰ أساس أنهما قادران علىٰ إذابة البروتين ... لأن المطلوب ليس إذابة البروتين، وإنما المطلوب هو إعادة ترتيب الخلايا إلىٰ ما كانت عليه، وكذلك عودة شكلها الملتف".

هـ - وقال د. أحمد شوقي إبراهيم - عضو جمعية الأطباء الملكية بلندن واستشاري الأمراض الباطنية والقلب: "المعجزة التي أجراها الله تعالىٰ علىٰ النبي يعقوب ﷺ، ففي سورة يوسف ﷺ يقول ﷻ: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف:٨٤]، وحكاية عن النبي يوسف ﷺ يقول الله تعالىٰ في سورة يوسف: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [يوسف:٩٣]، ولولا أن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ يوسف بهذا ما علم بأن قميصه سيكون أداة لرد البصر إلىٰ أبيه بإذن الله.

وللأسف خرج علينا من حاول تفسير المعجزة الإلهية التي أجراها الله تعالىٰ علىٰ النبي يعقوب بقوانين علومنا التجريبية... بل وحاول أن يطبق المعجزة في ضخ قطرة كالتي شفىٰ الله بها النبي يعقوب... والله تعالىٰ لم يرد البصر للنبي يعقوب بقطرة من القطرات، بل بكلمة (كن)، فلا هم فسروا الآيات تفسيراً صحيحاً، ولا هم تبينوا الحد الفاصل بين مجال المعجزة والإعجاز العلمي.

وفىٰ رأينا أنهم أخطأوا، فالمياه البيضاء لا تُحدث بياضاً في المظهر الخارجي للعين... وتبدوا العين المصابة بهذا للناس وكأنها عين سليمة، وسواد العين واضح وظاهر ... فليحذر أي باحث أن يقع في الخطأ الفادح فيحاول أن يفسر أي معجزة إلهية بقوانين علومنا التجريبية".

**اهتزاز العصا وتحولها حية لموسى ﷺ:**

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل:٩-١٠].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

قال د. يحيىٰ وزيري: "**ففي الآية العاشرة إشارة إلى رؤية بصرية غير تقليدية،** فالعصا (الجماد) تهتز (أي تتحرك) كأنها جآن، في إطار معجزة إلهية خاصة بسيدنا موسىٰ ﷺ".

ثم قال:" مما سبق يمكن استنتاج أن فهم الآية الكريمة(١) موضوع البحث من خلال تطبيق منهج السباق واللحاق، وتحديداً قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ [النمل:٤٤]، يؤكد علىٰ فكرة الوهم أو الخداع في رؤية الأعمال أو الأشياء علىٰ غير حقيقتها وطبيعتها، حتىٰ في حالة المعجزة الخاصة بسيدنا موسىٰ، فهي تدعم فكرة رؤية بصرية غير تقليدية في إطار رؤية الأشياء علىٰ غير حقيقتها، فالله جل في علاه قادر علىٰ كل شيء"(٢).

**المناقشة:**

جعل تحول العصا حية عبارة عن رؤية للأشياء علىٰ غير حقيقتها، وأن ذلك مجرد وهم وخداع بصري مخالف لآيات القرآن الكريم التي صرحت أن العصا انقلبت حية حقيقة، ولذلك فزع منها موسىٰ ﷺ، وسجد السحرة مؤمنين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه:١٧-٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ۝١١٥ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۝١١٦ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝١١٧ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا

---

(١) وهي قوله تعالىٰ: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل:٤٤].

(٢) مجلة الإعجاز العلمي العدد٤٢، محرم ١٤٣٤هـ ص٦.

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ [الأعراف:١١٥-١٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ [الشعراء:٤٣-٤٨].

قال محمد رحمت الله الهندي[1] ﷺ: "المعجزة لو كانت علىٰ مجرىٰ العادة لا تكون معجزة، أليس صيرورة العصا ثعباناً، وابتلاعها جميع تنانين السحرة، ثم صيرورتها كما كانت بلا زيادة حجم، وهكذا جميع معجزات موسىٰ ﷺ علىٰ خلاف مجرىٰ العادة"[2].

وقد وصف الله آيات موسىٰ ﷺ ومنها العصا، بأنها آيات بينات فقال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [الإسراء:١٠١] فكيف تكون وهماً وخداعاً؟!.



**الانة الحديد لداود ﷺ:**

قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ [الأنبياء:٨٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ [سبأ:١٠].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآيتين:**

اعتبر د.خالد فائق العبيدي ما آتاه الله تعالىٰ لداود وسليمان عليهما السلام هو تسخير للطاقة المختلفة، ومنها الطاقة الحرارية وإمكانياتها الكبيرة، وما الكيفية التي سخرت بها تلك التقنيات باستخدام الطاقة الحرارية أو الشياطين النارية له ولأبيه داود عليهما السلام من قبل فهذا ما لا علم لنا به[3].

---

(١) هو: محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكَيْرانَوي العثماني الهندي الحنفي، نزيل الحرمين، ولد في كَيْرانة في الهند ١٢٣٣هـ وبدأ تعليمه في بلدته، وقرأ كتب الشريعة واللغة العربية، ثم ارتحل إلىٰ دلهي، ثم إلىٰ لكهنو، تصدر مجالس الدرس والإفتاء، توفي بمكة عام ١٣٠٨هـ انظر: الأعلام، الزركلي ٣/ ١٨.

(٢) إظهار الحق ٣/ ٩٤٢-٩٤٣.

(٣) علوم الهندسة المدنية في القرآن والسنة ص١٩٦.

وقال: "وأما الخصائص الحرارية للحديد والمتعلقة بقابلية إلانته حرارياً، فإن الإلانة المقصودة في قصة نبي الله داود ﷺ قد يقصد بها هذا النوع والله أعلم، وهي جعل الحديد ليناً، أي: في حالة سيولة، وهذا لا يكون إلا إذا صهر الحديد بدرجات حرارية عالية، وهو ما يتضح في معمل تعدين الحديد.

إن كل تلك التفاصيل القرآنية في إلانة الحديد لسيدنا داود ﷺ سواء أكانت بسبب حراري أو ميكانيكي، ما كنا لنتدبر حقائقها لولا أن الحقائق العلمية اليوم مكنتنا من ذلك"[1].

**المناقشة:**

ما ذكره الدكتور من تفسيرات لمعنى إلانة الحديد لداود ﷺ لا يصح لما يلي:

١- أن إطلاق الأوصاف العلمية على ما أجراه الله من الآيات على يد داود وسليمان عليهما السلام، يهون من شأنها.

٢- أن جعل إلانة الحديد هو مجرد صهره وجعله سائلاً، لا يميز داود ﷺ عن غيره من البشر، ولا يكون في وصف القرآن له بذلك فائدة؛ لأن صهر الحديد مقدور للبشر، وأصبح له معامل كبيرة في العصر الحديث.

٣- أنه كان من الواجب على الدكتور أن يكتفي بما قرره، بأن ما حصل لداود ﷺ هو معجزة، دون خوض في تفاصيل لم ترد في الآيات، حيث قال:"وسياق الآيات يشير إلى أن هذا كان معجزة خارقة كإلانة الحديد لداود ﷺ".

٤- أن ما ذكره الدكتور من صهر الحديد لداود، يخالف ما قرره المفسرون أن الله ألان له الحديد بدون نار، فيشكله كيفما أراد.

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "وقوله: (وألنا له الحديد) ذكر أن الحديد كان في يده كالطين المبلول، يصرفه في يده كيف يشاء، بغير إدخال نار، ولا ضرب بحديد"[2].



(١) علوم هندسة المواد والهندسة الجزيئية في القرآن والسنة ص٢٢٨-٢٢٩.

(٢) جامع البيان ١٩/ ٢٢٢، وانظر: معاني القرآن، الفراء ٢/ ٣٥٥ ، والكشاف، الزمخشري ٣/ ٥٧١، وزاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٤٩١، وتفسير المراغي ٢٢/ ٦٤، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٢/ ١٥٦.

**الريح المسخرة لسليمان ﷺ:**

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سبأ:١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨١]، وقال تعالىٰ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص:٣٦].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

بين بعض أصحاب الإعجاز العلمي كيفية تسخير الريح لسليمان ﷺ، علىٰ النحو التالي:

١- أن ما أيد الله به سليمان ﷺ، مجرد استغلال منه للرياح الموسمية للتنقل من مكان لآخر، قال د. سليمان الطراونة: "وكان سليمان بوصوله اليمن، قد بدأ يستعمل الريح التجارية، مستغلاً حركة الرياح الموسمية، التي كانت تنتظر السفن الشراعية هبوبها"(١).

٢- جعل د.خالد فائق العبيدي انتقال سليمان ﷺ بالريح هو: استخدام منه لطاقة الدفع الهوائي، فقال بعد عقد مقارنة بين الريح المسخرة لسليمان ﷺ، وبين السرع فوق الصوتية لوسائط النقل الجوي الحديثة، كطائرة نقل المسافرين، والطائرات النفاثة المقاتلة كطائرة الشبح وغيرها:"ومن تلك المقارنات يمكننا أن نعلم مدىٰ روعة تلك التقنية التي سخرت لسيدنا سليمان ﷺ وقتئذ، التي لم نتمكن من الوصول لمثلها من السرع الفائقة دون تلوث أو ضوضاء، رغم تقنياتنا المعقدة الحديثة.

وعليه فقد فصَّل كتاب الله تعالىٰ في استخدام الرياح كمعجل للسرعة، سواء في دفع ونقل السفن في البحار، أو في قيادة السحب وميكانيكية نزول المطر، والأهم كيف أنها سخرت لنقل الأفراد والجيوش، كما ورد في قصة سيدنا داود ﷺ، إذ إنها كانت تنقله بميكانيكية عجيبة، لعل أبرز ما يستنبط منها، هو استخدام الدفع الهوائي للنقل الجوي"(٢).

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٧٦.

(٢) علوم الهندسة الميكانيكية والحرارية في القرآن والسنة ص٢٣٨-٢٤٠.

٣- قال علي فكري:"من تأمل في هذه الآيات: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سبأ:١٢] يشعر بأن سليمان ﷺ كان له سفر هوائي منظم...ومن ذلك يتضح، أن اختراع الطائرات في هذا العصر، قد سبق إليه العصر السليماني، وهذا من معجزات القرآن"[١].

**المناقشة:**

هذه الأقوال في تفسير تسخير الله تعالىٰ الريح لسليمان ﷺ، قد أخرجتها من كونها آية (معجزة) خارقة للعادة، إلىٰ كونها أمراً عادياً، يمكن أن يتوصل الإنسان لمثله؛ لأن ما حصل لسليمان ﷺ –حسب قولهم– مقدور للبشر، من جهتين:

الأولىٰ: أنه استغلال من سليمان ﷺ للرياح الموسمية، واستخدام لتقنية الدفع الهوائي.

الثانية: أنه يمكن أن نصل لسرعة مثل سرعة الريح، لكن الفارق هو أن الريح تنقل سليمان ﷺ دون ضوضاء، وأما وسائط النقل الحديثة فتنقلهم بضوضاء وتلوث كما قال د. خالد العبيدي.



**خلق عيسى ﷺ من أم بلا أب:**

قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٥٩].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

قال د. زغلول النجار: "والإنسان ـ في ضعفه ـ قد استطاع استنساخ عدد من الحيوانات من أم بلا أب، فهل يعجز ذلك خالق الإنسان؟

والخلق من تراب ينطبق في الحالين: حال أبينا آدم ﷺ، الذي بدأ الله تعالىٰ خلقه من تراب، وكان جميع نسله في صلبه لحظة خلقه، ومنهم عبد الله ورسوله عيسىٰ ابن مريم،

---

(١) القرآن ينبوع العلوم والفرقان ١/ ٩.

كما ينطبق الخلق من تراب على المسيح عيسى ابن مريم نفسه؛ لأنه نشأ من بيضة أمه الموروثة عن أبوينا آدم وحواء عليهما السلام، وتغذى وهو جنين على دمائها المستمدة من غذائها، وهو مستمد من عناصر الأرض، وتغذى وهو رضيع على لبنها، وهو مستمد من نفس المصدر، وتغذى بعد ذلك على نباتات الأرض، وعلى منتجات المستباح من حيواناتها، وكل ذلك مستمد أصلاً من عناصر تراب الأرض ومائها وهوائها، ولذلك قال ربنا وهو أحكم القائلين: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٥٩]".

ثم قال مبيناً أن هذا الذي ذكره سبق علمي: "يبقى في ذلك سبق علمي حقيقي أثبتته الدراسات المتأخرة في علم الوراثة، والتي أكدت أن انقسام الصبغيات الحاملة للشفرة الوراثية، ينتهي بنسب بلايين الأفراد الذين يعمرون أرض اليوم، والبلايين الذين جاءوا من قبلنا ثم ماتوا، والذين سوف يأتون من بعدنا إلى قيام الساعة، هؤلاء جميعاً ينتهي نسبهم إلى أب واحد وأم واحدة، هما أبوانا آدم وحواء عليهما السلام.

ولما كان عيسى ﷺ من نسل آدم، مخلوق من تراب، فان جسد عيسى ابن مريم يحوي بالقطع جزءاً من التراب الموروث عن أبيه آدم، وقد غذي بدم ولبن أمه، وهو أيضا مستمد من عناصر تراب الأرض، فهو من تراب كما خلق أبوه آدم من تراب.

كذلك أثبتت محاولات الاستنساخ في النبات والحيوان إمكانية إنتاج جنين من أم بلا أب، وإذا استطاع الإنسان -على ضعفه- تحقيق ذلك فإنه لا يعجز خالق الإنسان..!! فسبحان الذي أنزل القرآن الكريم بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله"(١).

**المناقشة:**

١- ما ذكره الدكتور في شأن عيسى ﷺ،هو محاولة من محاولات عدة؛ لتفسير معجزة خلق عيسى ﷺ، ومنها:

**أولاً:** ما نقله الإمام القرطبي رحمه الله حيث قال: "وقال بعضهم: لا يجوز أن يكون الخلق من نفخ جبريل؛ لأنه يصير الولد بعضه من الملائكة وبعضه من الإنس، ولكن سبب ذلك أن الله تعالى لما خلق آدم، وأخذ الميثاق من ذريته، فجعل بعض الماء في أصلاب الآباء، وبعضه في أرحام الأمهات، فإذا اجتمع الماءان صارا ولداً.

---

(١) تفسير الآيات الكونية ١/ ١٤٥-١٤٦.

وأن الله تعالىٰ جعل الماءين جميعاً في مريم، بعضه في رحمها، وبعضه في صلبها، فنفخ فيه جبريل لتهيج شهوتها؛ لأن المرأة ما لم تهج شهوتها لا تحبل، فلما هاجت شهوتها بنفخ جبريل وقع الماء الذي كان في صلبها في رحمها، فاختلط الماءان فعلقت بذلك، فذلك قوله تعالىٰ: (إذا قضىٰ أمراً)"[١].

ثانياً: ما قاله محمد رشيد رضا ﷺ، في محاولة لتقريب هذه الآية من السنن المعروفة في نظام الكائنات، مع إقراره أنها كانت معجزة وخارقة للعادة فقال:" ويمكن تقريب هذه الآية الإلهية من السنن المعروفة في نظام الكائنات بوجهين:

(الوجه الأول): أن الاعتقاد القوي الذي يستولي علىٰ القلب، ويستحوذ علىٰ المجموع العصبي، يحدث في عالم المادة من الآثار ما يكون علىٰ خلاف المعتاد، فكم من سليم اعتقد أنه مصاب بمرض كذا وليس في بدنه شيء من جراثيم هذا المرض، فولد له اعتقاده تلك الجراثيم الحية وصار مريضاً، وكم من امرئ سقي الماء القراح أو نحوه، فشربه معتقداً أنه سم ناقع فمات مسموماً به، والحوادث في هذا الباب كثيرة أثبتتها التجارب، وإذا اعتبرنا بها في أمر ولادة المسيح نقول: إن مريم لما بشرت بأن الله تعالىٰ سيهب لها ولداً بمحض قدرته، وهي علىٰ ما هي عليه من صحة الإيمان وقوة اليقين، انفعل مزاجها بهذا الاعتقاد انفعالاً فعل في الرحم فعل التلقيح، كما يفعل الاعتقاد القوي في مزاج السليم فيمرض أو يموت، وفي مزاج المريض فيبرأ، وكان نفخ الروح الذي ورد في سورة أخرىٰ متمماً لهذا التأثير.

(الوجه الثاني): وهو أقرب إلىٰ الحق..." وذكره مفصلاً، ثم قال: "إذا تمهد هذا فنقول: إن الله المسخر للأرواح المنبثة في الكائنات، قد أرسل روحاً من عنده إلىٰ مريم، فتمثل لها بشراً ونفخ فيها، فأحدثت نفخته التلقيح في رحمها، فحملت بعيسىٰ ﷺ، وهل حملت إليها تلك النفخة مادة أم لا؟ الله أعلم"[٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٩٣.

(٢) تفسير المنار ٣/ ٢٥٤-٢٥٥، وقال د. فهد الرومي في كتابه (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٢/ ٨١٨) رداً علىٰ هذا القول:"ولا شك أن التأويل الأول بأن مريم -عليها السلام- اعتقدت اعتقاداً قوياً فعل في رحمها فعل التلقيح، وأن تأثير الاعتقاد القوي أثبتته التجارب الكثيرة، تأويل باطل؛ بل هو مفتاح لطريق سهل للبغايا الفاسدات، وليزعمن إذا وقع منهن الحمل أنهن لم يرتكبن جريمة الزنا؛ وإنما وقع منهن هذا الاعتقاد! وما الذي بأيدينا حتىٰ نثبت كذبهن إذا جعلنا هذا الاعتقاد سبيلاً للحمل؟! بل وأي فضل اختصت به مريم وابنها -عليها السلام- بهذا الحمل؟! وأي أمر عجب جعله الله آية للناس إذا كانت التجارب في هذا كثيرة؟! =

**ثالثاً:** ما ورد في بعض المحاورات التي موضوعها (معرفة الحقائق العلمية التي أشارت إليها بعض الآيات القرآنية)، الاحتجاج بأن خلق الله ذكورَ النحل من بيض لم يلقح بماء الذكور، يمنع استبعاد خلقه سبحانه عيسىٰ ﷺ من أم دون أب[١].

**رابعاً:** ماذكره بعضهم من أن حمل مريم بعيسىٰ ﷺ لكونها خنثىٰ[٢].

٢- أن في قول د. زغلول النجار خروج بخلق عيسىٰ ﷺ، عن كونه آية ومعجزة، إلىٰ كونه أمراً طبيعياً في مقدور البشر، يمكن لهم أن يتوصلوا لمثله، كما قال: "**والإنسان - في ضعفه - قد استطاع استنساخ عدد من الحيوانات من أم بلا أب**".

وقوله هذا مخالف لما ورد في عدد من الآيات التي تحدثت عن الحمل بعيسىٰ ﷺ وولادته، وأن ذلك كان خلافاً للسنن الإلهية في خلق الإنسان، منها قوله تعالىٰ علىٰ لسان مريم عليها السلام، حين بشرها الله بكلمة منه اسمه المسيح عيسىٰ ابن مريم: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٤٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٢٠-٢١]

٣- أن مقارنة خلق عيسىٰ ﷺ بقدرة الإنسان علىٰ استنساخ عدد من الحيوانات من أم بلا أب، مقارنة فاسدة؛ لأن خلق عيسىٰ ﷺ أمر اعتقادي التسليم فيه للخبر، ولا ينبغي أن نورد فيه ما يفسد التسليم من النظر والجدل، بل الواجب تجريده عن مثل هذه المقارنات صيانة للاعتقاد وسداً لذريعة القدح في التسليم[٣].

---

= ألا فليعلم بطلان هذا التأويل وانحرافه، نقول هذا مع أن الشيخ رشيد رضا وصف الوجه الثاني بأنه أقرب إلىٰ الحق؛ ولكنه لم يكتف به؛ فكان حقاً علينا بيانه".

(١) انظر: التنبيه الجلي للمشتغل في إعجاز القرآن العلمي، د. محمد بن عبدالرحمن الجهني ص٢٠-٢٢، وقال في بيان بطلان هذا القول: "أن هذا احتجاج بما لا ذكر له في كتاب الله...وهذا الاحتجاج المذكور قد يرد عليه ما يشغب علىٰ حجيته، وذلك أن البيض الذي لم يلقح بماء الذكور، ومنه خلقت ذكور النحل، نتج في أصل خلقته من تلقيح ذكرٍ من النحل الملكةَ فباضته، فلم ينفك الأمر عن أن يكون خلق من تلقيح الذكر للأنثىٰ، ثم إن هذه الحجة قد ترد من أصلها بأن يقال: إن هذا في خلق أمة من المخلوقات جرت السنة الكونية في وجودها علىٰ ذلك، فلا يقاس عليها خلق الإنسان الذي جرت السنة الكونية في خلقه علىٰ نحو آخر، فإن رجعت إلىٰ قدرة من أجرىٰ السنة الكونية علىٰ خرقها، رجعت إلىٰ أصل مستغن بنفسه عن مثل هذه المقارنات".

(٢) انظر: دروس في سنن الكائنات، د.محمد توفيق صدقي ٥١/١.

(٣) من كتاب: التنبيه الجلي للمشتغل في إعجاز القرآن العلمي، د. محمد الجهني ص٢٠-٢٢ بتصرف.

٤- أن معجزة خلق عيسىٰ ﷺ آمن بها المسلمون قديماً وحديثاً، من غير تفصيل لكيفية نشوء الحمل؛ لكونها من الأمور الغيبية التي لا تثبت إلا بالوحي، ولم ينص الوحي علىٰ كيفيته، فتوقف السلف الصالح في ذلك وأسندوا علمه إلىٰ الله تعالىٰ[1].



**انشقاق القمر للنبي محمد ﷺ:**

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

جعل بعض أصحاب الإعجاز العلمي الآية من الآيات المخبرة عن مآل القمر عند نهاية الكون، وعدوا ذلك من إرهاصات الآخرة، انطلاقاً مما قرره العلم الحديث وتوقعه علماء الفلك، وكلام أصحاب الإعجاز العلمي يدور حول ثلاثة أمور:

**الأول**: أن انشقاق القمر لم يقع إلىٰ الآن، ووقوعه مقدمة لانتهاء العالم وحدوث القيامة.

**الثاني**: أن انشقاق القمر من النبوءة التي أخبر بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً، ولم تقع إلىٰ الآن.

**الثالث**: أن انشقاق القمر هو نتيجة لعمليات كونية متوقعة تحدث بين الأجرام السماوية من الشمس والأرض والقمر وغيرها.

قال د. منصور محمد حسب النبي: "ولقد **توقع العلماء** حديثاً بأن عملية المد والجزر، ستؤدي في المستقبل إلىٰ تعطيل الأرض في دورانها حول نفسها، مما يؤدي إلىٰ زيادة طول اليوم بمعدل (٠٠٠٢) من الثانية كل قرن، وهذه الزيادة رغم ضآلتها، ستتجمع بعد بلايين السنين؛ لتؤدي إلىٰ زيادة طول اليوم الأرضي بمقدار ملموس، مما يؤدي إلىٰ إسراع القمر في دورانه حول الأرض، مما يتسبب حتماً في انشقاقه، مصداقاً لقوله تعالىٰ عند الإشارة إلىٰ علامات القيامة: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١]"[2]

(١) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي ٢/ ٨١٥، وأسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص٥٨٧.

(٢) الكون والإعجاز العلمي للقرآن ص٢٤٩، وانظر: القرآن والعلم الحديث، عبدالرزاق نوفل ص١٨٣-١٨٤، والإسلام يتحدىٰ، وحيد الدين خان ص١٩٥-١٩٦.

وقال د. عدنان الشريف: "لقوله تعالىٰ وجه علمي آخر: فنحن نفهمه والله أعلم، مشهداً من اقتراب الساعة، بمعنىٰ أنه عندما تقترب الساعة سينشق القمر، وحسابات علماء الفلك اليوم تتوقع بأن الشمس قبل أن تموت سيكبر حجمها مئات المرات، وستقضي حينئذ علىٰ الكواكب التي تتبعها ومنها الأرض والقمر، وبعدها تموت وتتحول وبقية الكواكب والنجوم إلىٰ كتلة بدائية مجتمعة كما كانت في البدء، وهذه التوقعات الفلكية يؤيدها قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة:٧-٩]"[١].

وقال د. داود سلمان السعدي معقباً علىٰ كلام د. عدنان: "وإذا كانت الأرض ترجف وتزلزل وتتفتت، وسماؤها – غلافها الجوي – ينفطر وينشق ويكشط، وإذا كانت الكواكب السيارة تتناثر وتتفرق، والشمس تلتهم الكواكب السيارة حتىٰ إنها لتصل الأرض، فإن من المتوقع:

١- أن ينشق القمر كذلك.

٢- أن يجمع الشمس والقمر فيصيران متصلين ببعضهما.

ولا نرىٰ في انشقاق القمر، وفي جمعه بالشمس، إلا مرحلتين متتاليتين يوم القيامة، ما أسرع أن تعقب إحداهما الأخرىٰ، والله أعلم بمراده".

وقال محمد كامل عبدالصمد: "تقرر الآية أن ذلك يعني انتهاء الحياة الدنيا، وهذا ما يقرره العلم، من أن القمر إذا اقترب من الأرض يحدث زلازل عنيفة مدمرة تزداد عنفاً، وتؤدي إلىٰ انتهاء الحياة علىٰ سطح الأرض، وباشتداد هذه الزلازل سينتهي الأمر إلىٰ انشقاق القمر، وعندئذ تتأثر جاذبية الأجرام الأخرىٰ التي تمسكها جاذبية القمر، ويكون ذلك إيذاناً حتمياً باختلال بقية الكواكب القريبة فتتهاوىٰ علىٰ الأرض، فأين العلماء إذن من القرآن وهو يقول في بساطة: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١] ويطلقها هكذا لتكون مبحثاً كبيراً من مباحث الفلك العظيمة، يحاول الباحث أن يصل إلىٰ حقيقة هذا الكون وعظمته"[٢].

وقال أيضاً:"ويكون ذلك مقدمة لانتهاء العالم وحدوث القيامة كما يقول القرآن الكريم: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١]، وتلك حقيقة كونية هائلة، أنبأ بها القرآن

---

(١) من علم الفلك القرآني ص٩٥.

(٢) الإعجاز العلمي في الإسلام ص٦١، وانظر: الزلزال الكوني الأعظم والإعجاز العلمي للقرآن الكريم ص٤٢-٤٣.

الكريم منذ أربعة عشر قرناً"(١).

**المناقشة:**

ما ذكره أصحاب الإعجاز العلمي عن انشقاق القمر منه ما هو صحيح، ومنه ما جانبوا فيه الصواب، ويتبين ذلك من خلال ما يلي:

١- أن قولهم: أن انشقاق القمر من النبوءة التي أخبر بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً، هو قول صحيح، وأما القول بأنها لم تقع إلى الآن، فهو قول غير صحيح، فقد اتفقت كلمة المفسرين والعلماء على أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى آياته الباهرات الدالة على نبوته، يؤيد ذلك سياق الآيات وتواتر الأحاديث عن النبي ﷺ.

قال ابن قتيبة رحمه الله: "فإن كان القمر لم ينشق في ذلك الوقت، وكان مراده: سينشق القمر فيما بعد، فما معنى قوله: (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) بعقب هذا الكلام؟ أليس فيه دليل على أن قوماً رأوه منشقاً فقالوا: هذا سحر مستمر من سحره، وحيلة من حيله، كما قد كانوا يقولون في غير ذلك من أعلامه ﷺ"(٢).

وقال القاضي عياض رحمه الله: "وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه"(٣).

وأما ما روي عن الإمام الحسن البصري وعطاء الخراساني(٤) رحمهما الله، أنهما قالا تفسير الآية: "إنه سينشق يوم القيامة"، وتابعهم عليه بعض المفسرين كالبيضاوي(٥)،

---

(١) المرجع السابق ص٥٠.

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٧٥-٧٦.

(٣) كتاب الشفا ١/ ٢١٣، وانظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٥/ ٨١، والكشاف، الزمخشري ٤/ ٤٣١، وغرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود الكرماني ٢/ ١١٦١، واللباب في علوم الكتاب، سراج الدين الحنبلي ١٨/ ٢٢٩-٢٣٠، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، شهاب الدين الحلبي ١١/ ١١٩، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ١٩/ ٨٨، والبداية والنهاية، ابن كثير ٤/ ٢٩٣، ٨/ ٥٥٨، وفتح القدير، الشوكاني ٥/ ١٤٤-١٤٥، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني ٧/ ٣٦٤، وإظهار الحق، محمد رحمت الله ٤/ ١٠٢٧- ١٠٤٩، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي ص٣٥٠، وفضائح الباطنية، الغزالي ص ١٤١، ومنحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبدالعزيز آل معمر ٢/ ٤٥٣، وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، محمد المغراوي ٤/ ٣٣٣- ٣٣٤.

(٤) هو: عطاء بن أبي مسلم، واسم أبيه ميسرة، وقيل عبد الله، المحدث، الواعظ، توفي عام ١٣٥هـ بأريحا، ودفن ببيت المقدس، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ٦/ ١٤٠، وطبقات المفسرين، الداوودي ١/ ٣٨٥.

(٥) أنوار التنزيل ٥/ ١٦٤.

وأحمد مصطفى المراغي[١][٢]، ومؤلفي كتاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم[٣]، وهو قول مردود، فالمفسرون قاطبة مجمعون على أن المراد بالآية: انشقاقه معجزة لرسول الله ﷺ عندما طلب منه المشركون ذلك، قال ابن عطية ﷺ: "وذكر الثعلبي أنه قيل إن المعنى ينشق القمر يوم القيامة، وهذا ضعيف الأمة على خلافه"[٤].

وقال ابن الجوزي ﷺ: "وعلى هذا جميع المفسرين، إلا أن قوما شذوا فقالوا: سينشق يوم القيامة...وهذا القول الشاذ لا يقاوم الإجماع، ولأن قوله: وانشق لفظ ماض، وحمل لفظ الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينة تنقله ودليل، وليس ذلك موجوداً"[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "أخبر باقتراب الساعة وانشقاق القمر، وانشقاق القمر قد عاينوه وشاهدوه وتواترت به الأخبار، وكان النبي ﷺ يقرأ هذه السورة في المجامع الكبار مثل الجمع والأعياد؛ ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار، وكل الناس يقر ذلك ولا ينكره، فعلم أن انشقاق القمر كان معلومًا عند الناس عامة[٦].

٢- أن الأحاديث التي ذكرت صفة انشقاق القمر، ترد على التصورات الذي تخيلها وتوقعها أصحاب الإعجاز العلمي، فقد انشق القمر، وكان سبب انشقاقه طلب المشركين ذلك من النبي ﷺ، فعن ابن مسعود ﷺ قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: "اشهدوا"[٧]، وعن أنس ﷺ قال: سأل أهل مكة أن يريهم آية "فأراهم انشقاق القمر"[٨].

---

(١) تفسير المراغي ٢٧/ ٧٦.

(٢) هو: أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري، تخرج بدار العلوم، ثم كان مدرساً للشريعة الإسلامية بها، وولي نظارة بعض المدارس، وعين أستاذاً للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، توفي بالقاهرة عام ١٣٧١هـ. انظر: الأعلام، الزركلي ١/ ٢٥٨.

(٣) ص٧٨٦.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢١١.

(٥) زاد المسير ٤/ ١٩٧.

(٦) الجواب الصحيح ١/ ٤١٤.

(٧) رواه البخاري ٦/ ١٤٢(٤٨٦٤)، ومسلم ٤/ ٢١٥٨ - ٢١٥٩ (٢٨٠٠، ٢٨٠٢).

(٨) رواه البخاري ٦/ ١٤٢(٤٨٦٧).

٣- أن أصحاب الإعجاز العلمي -على قولهم أنه لم ينشق- لم يتفقوا على سبب واحد لكيفية انشقاقه، **فذكر بعضهم** أن السبب هو: زيادة سرعة دوران القمر حول الأرض، **وقيل**: السبب هو أن الشمس ستكبر وتقضي على ما حولها من الكواكب، **وقيل**: أن السبب هو الزلازل التي يحدثها القمر بسبب اقترابه من الأرض.

فعلى أي احتمال وتوقع من هذه التوقعات يحمل تحقق نبوءة انشقاق القمر؟!، ثم هل يصح أن يسلك بآية محكمة، ونبوءة صادقة، مسلك التوقعات والافتراضات والاستنتاجات؟!

٤- أن حصول انشقاق القمر، دون حصول تغير فيما حوله من الأجرام، هو الآية والبرهان و(المعجزة)، وأما ربط انشقاقه باضطراب ما حوله من أجرام سماوية، أو زلازل أرضية، فهذا ينفي عنها وصف المعجزة والآية، حيث إن خرق العادة هو أبرز صفاتها، ويجعل الأمر طبيعياً، ونتيجة لمقدمات تؤذن باختلال نظام الكون كله، وذلك ليس للقمر وحده[١].

٥- أن جعل انشقاق القمر مؤذن بقيام القيامة، وعلامة من علاماتها لا يجعل وقوعه معجزة من معجزات الرسول ﷺ إلا من باب الإخبار عن الغيب؛ لأن انشقاقه في الآخرة لا يكون آية ومعجزة للعباد، لأن الآخرة ليست بدار تكليف[٢].

قال نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ﷺ: "وأيضا إنه سبحانه جعل انشقاق القمر آية من الآيات لرسوله، ولو كانت مجرد علامة القيامة لم يكن معجزة له، كما لم يكن خروج دابة الأرض، وطلوع الشمس من المغرب، وغيرهما معجزات له، نعم كلها مشتركة في نوع آخر من الإعجاز وهو الإخبار عن الغيوب"[٣].

وقال د. زغلول النجار - وهو من القائلين بالإعجاز العلمي: "ومن هنا فإننا نرفض قول بعض المفسرين إن الحادثة من إرهاصات الآخرة"[٤].

---

(١) انظر: الزلزال الكوني الأعظم والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، د. عبدالعليم خضر ص٤٣.
(٢) انظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين المقريزي ٥/ ١٨.
(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/ ٢١٦، وانظر: المنهاج في شعب الإيمان، البيهقي ١/ ٤٣١ والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي ٣/ ١٢٦٩.
(٤) تفسير الآيات الكونية ٣/ ٥١٣.

**المناقشة العامة:**

لا ريب أن ما قام به أصحاب الإعجاز العلمي من تفسير مادي علمي للمعجزات، مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة، وطريقتهم في وجوب الإيمان بها كما وردت؛ لأنها فوق قدرة البشر، وهو مخالف لحقيقة المعجزة، ولما قرره العلماء، وأصحاب الإعجاز العلمي أنفسهم، فإن المعجزات لها أهمية عظيمة وأثر في الإيمان بالله تعالى، ولذلك جعل الله ﷻ لها خصائص وميزات منها[١]:

١- أنها من خصائص الربوبية، وتدل على عظمة الخالق ﷻ وعظيم قدرته، وأنه يقول للشيء كن فيكون، وأنه ﷻ قادر على تغيير السنن الكونية، تأييداً لأنبيائه ورسله، وتصديقاً لما جاؤوا به.

٢- أن الله تعالى جعلها من الحجج القوية التي يؤيد بها رسله؛ لبيان صدقهم في دعوتهم، ولأجل ذلك لم يخل نبي من الأنبياء عليهم السلام من تأييده بالمعجزات، ودل لذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"[٢].

٣- أن الله تعالى ذم الكفار بسبب إعراضهم عن الإيمان بالمعجزات، وتوعدهم بالعذاب الشديد فقال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام:٤-٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر:٢]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام:٢٥].

٤- أن الله تعالى رتب على التكذيب بالمعجزات العقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة،

---

(١) انظر: علاقة العلم التجريبي بمعجزات الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم، د. عبدالسلام بن صالح الجار الله ص ١٤٤-١٤٨.

(٢) رواه البخاري ٦/ ١٨٢ (٤٩٨١).

قال الله تعالىٰ في المائدة التي طلبها الحواريون[(١)]: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:١١٥]

وقال تعالىٰ عن قوم فرعون: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٣٢-١٣٦]

٥- أن المعجزات هي دلائل صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولها أثر كبير في إيمان الناس بالرسل، وقد يسرها الله وبينها للخلق، فلا يحتاجون لفهمها إلىٰ علوم مادية، أو مكتشفات حديثة، ولهذا وصفها بالبينات، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [البقرة:٨٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٩٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [البقرة:٩٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران:١٨٣-١٨٤].

٦- أن معجزات الأنبياء ظاهرة وواضحة "ولذلك يتواتر الناس علىٰ نقلها، وبخاصة المعجزات الكبار، فهي منقولة إلينا بالنقل المتواتر الذي يستحيل رده، وقد احتج أهل الكتاب بأن معجزات موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام منقولة بالتواتر، فقيل لهم: إن معجزات نبينا ﷺ أبلغ وتواترها أعظم... وبناءًا علىٰ هذا فالمعجزات لا تفتقر في صحتها إلىٰ الاكتشافات العلمية الحديثة، وإنما المعتبر فيها وصولها إلينا بالأسانيد الصحيحة،

---

(١) الحواريون: جمع حواري، وسموا بذلك لبياض ثيابهم، وقيل: لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب، أي يغسلونها، وقيل: لأنهم خاصة الأنبياء كما في قوله ﷺ: "لكل نبي حواري، وحواريي الزبير" يعني خاصته. انظر صحيح البخاري ٩/ ٨٩ (٧٢٦١)، ومسلم ٤/ ١٨٧٩ (٢٤١٥) وجامع البيان، الطبري ٥/ ٤٤٢، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٤/ ٩٧.

والاكتشافات العلمية تذكر للاستئناس لا للاعتماد"[١].

٧- أن معجزات الأنبياء لا تجري على الأسباب ومسبباتها، ولا تجري على الأمور التي اعتادها الناس، قال ابن حزم ﷺ: "معجز الأنبياء هو خارج عن الرتب، وعن طبائع كل ما في العالم، وعن بنية العالم، لا يجري شيء من ذلك على قانون، ولا على سنن معلوم، لكن قلب عين، وإحالة صفات ذاتية، كشق القمر، وفلق البحر، واختراع طعام وماء، وقلب العصا حية، وإحياء ميت قد أرم، وإخراج ناقة من صخرة... وما أشبه هذا من إحالة الصفات الذاتية، التي بوجودها تستحق الأسماء، ومنها تقوم الحدود"[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "آيات الأنبياء التي يعلم أنّها مختصة بالأنبياء، وأنّها مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، وهي لا بُدّ أن تكون خارقةً للعادة، خارجةً عن قدرة الإنس والجن، ولا يمكن أحداً أن يعارضها...وآيات الأنبياء تدلّ على صدقهم، وهذا لا يكون إلا مع كونها مستلزمةً لصدقهم؛ فيمتنع أن تكون معتادة لغيرهم، ويمتنع أن يأتي من يعارضهم بمثلها، ولا يمتنع أن يأتي نبي آخر بمثلها، ولا أن يأتي من يصدّقهم بمثلها؛ فإنّ تصديقه لهم يتضمن صدقهم، فلم يأت إلا مع صدقهم"[٣].

وقال أيضاً :"فلا بُدّ في آيات الأنبياء من أن تكون مع كونها خارقةً للعادة، أمراً غير معتاد لغير الأنبياء، بحيث لا يقدر عليه إلا الله الذي أرسل الأنبياء، ليس مما يقدر عليه غير الأنبياء، لا بحيلة، ولا عزيمة، ولا استعانة بشياطين، ولا غير ذلك.

ومن خصائص معجزات الأنبياء، أنّه لا يُمكن معارضتها، فإذا عجز النوع البشري غير الأنبياء عن معارضتها، كان ذلك أعظم دليل على اختصاصها بالأنبياء، بخلاف ما كان موجوداً لغيرها، فهذا لا يكون آيةً البتة، فأصل هذا أن يعرف وجود الأنبياء في العالم وخصائصهم؛ كما يعلم وجود السحرة وخصائصهم"[٤].

---

(١) علاقة العلم التجريبي بمعجزات الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم، د. عبدالسلام بن صالح الجار الله ص ١٥٠-١٥١.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/ ٤.
(٣) النبوات ٢/ ٧٧٥-٧٧٦.
(٤) المرجع السابق ١/ ١٩٥.

٨- أن المعجزات ليس لها تفسير علمي؛ لأنها خارقة للعادة، وللقوانين العلمية المادية[1]، قال د. مصطفى مسلم: "إن الموجة العقلية المنبثقة عن مناهج الفلاسفة الماديّين، قد أثّرت على تفكير كثير من علماء المسلمين المعاصرين، الذين حاولوا تفسير الخوارق التي ظهرت على يد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، والتي نقلت إلينا نقلاً لا يتطرّق إليه أدنى شك، حاولوا تفسير تلك الخوارق تفسيراً مادياً، خاضعاً للأسباب والسنن الكونية، مما يفرغها عن مضمونها، ويعطل دلالتها التي ترد هذه الخارقة من أجل إثباتها، ألا وهي إثبات صدق الرسول في دعوى الرسالة، وتلقي الوحي من الملأ الأعلى"[2].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ: "لكن أهل السنة رضي الله عنهم وأرضاهم من الصحابة والتابعين ومن سلك مسلكهم قالوا: مبنى آيات الأنبياء على أن آية النبي ليست في إمكان المخلوقات، بل لا يمكن أن يأتي بهذه الآية إلا الله سبحانه وتعالى فهي خارقة للعادة في القدرة البشرية...

إن أهل السنة والجماعة أثبتوا آيات الأنبياء، وذلك بأنها خارقة لعادة المخلوقات، يعني لا يمكن أن يكون مخلوق يأتي بمثل تلك الآية، فلا يمكن لمخلوق أن يقلب العصا حية؛ لأن هذا من جهة الخلق، ليس من جهة التمويه، ولكن تكون فعلاً حية، أو يجعل البحر رهواً، أو يجعل البحر يبساً، أو يجعل البحر فرقتين هذه كالطود العظيم، وتلك كالطود العظيم، أي: ليس في وسع أي مخلوق فعل هذا، بل هو أمر الله جل وعلا.

وكذلك آية عيسى عليه السلام أنه يبريء الأكمه والأبرص بمسحه، ويحيي الموتى، هذا لا يمكن إلا لله جل وعلا، فخرق العادة يختلف"[3].

---

(١) انظر: موقف العقل والعلم من رب العالمين، مصطفى صبري ٤/ ٢٩، وإظهار الحق، رحمت الله الهندي ٣/ ٩٤٢، والضوابط الشرعية للاكتشافات الجديدة، د. راشد الشهوان ص١٣٣، وعلاقة العلم التجريبي بمعجزات الأنبياء، د. عبدالسلام الجار الله ص ١٤٩، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبدالسلام اللوح ص٤٩، والقرآن الكريم كتاب أحكمت آياته، د. أحمد جمال ١/ ٤٥٧، وعلوم القرآن وإعجازه، د. عدنان زرزور ص٤٠٩-٤١١.

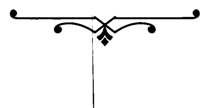
(٢) مباحث في إعجاز القرآن ص٢٣ انظر: نقض النظريات الكونية ص٤٤٩، وعلاقة العلم التجريبي بمعجزات الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم، د. عبدالسلام بن صالح الجار الله ص ١٤٩، والتفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، د. هند شلبي ص١٤٩-١٥٨.

(٣) مجلة البحث العلمي الإسلامي، العدد الثاني، ذو الحجة ١٤٢٥هـ ص٧-٨.

وبعض أصحاب الإعجاز العلمي يعترفون أن المعجزات لا تفسر بالعلوم المكتسبة، قال د. زغلول النجار: "والمعجزات: خوارق للسنن، وبالتالي لا تستطيع العلوم المكتسبة تفسيرها، ولكن من رحمة الله بخلقه أن يترك لهم عدداً من الآثار الحسية المترتبة على وقوع المعجزة، حتى يمكنهم التسليم بوقوعها[1]"[2]، وقال أيضاً: "والمعجزات لا تعلل"[3].

**والخلاصة:**

أن المؤمن يسلم بما أخبر الله ﷻ به من آيات (معجزات) أجراها على أيدي أنبيائه ورسله، ولا يخضعها للعلوم المادية والمكتشفات العلمية، إلا من جهة تقريب وقوعها، وعدم استحالتها عقلاً، ويكون ذلك من باب قياس الأولى، فإذا كانت هذه المخترعات الحديثة العجيبة في مقدور البشر، فقدرة الله الخالق أعظم وأتم وأكمل، ولا يبالغ في ذلك لئلا تفسر المعجزات في ذاتها تفسيراً علمياً، يخرجها عن أن تكون خارقة للعادة، فتكون أشبه بالأمور العادية التي لا إعجاز فيها، وتخرج من قياس الأولى إلى القياس التمثيلي الذي يستوي فيه الفرع والأصل[4].

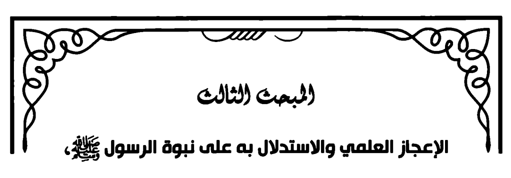


(١) لا يحتاج المسلم إلى آثار حسية ليسلم بوقوع المعجزة، فهو يؤمن بها؛ لأن الوحي أخبر بها، ثم إن معجزات الأنبياء ليست حسية فقط، وإن قال به بعض العلماء كالسيوطي حيث قال في كتابه (معترك الأقران في إعجاز القرآن ١/ ٣): " الحمد لله الذي جعل معجزات هذه الأمة عقلية؛ لفرط ذكائهم، وكمال أفهامهم، وفضلهم على من تقدمهم، إذ معجزاتهم حسية لبلادتهم، وقلة بصيرتهم" والصحيح أن فيها الحسي وغيره. انظر: التحرير والتنوير ١٢/ ٩٧، وموقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير، د. محمود البعداني ٢/ ٨٣٦-٨٣٧.

(٢) تفسير الآيات الكونية ٢/ ٧٠.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٥٣.

(٤) انظر: علاقة العلم التجريبي بمعجزات الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم، د. عبدالسلام بن صالح الجار الله ص ١٥٣.



# المبحث الثالث

## الإعجاز العلمي والاستدلال به على نبوة الرسول ﷺ، ومعرفته بتفاصيل الحقائق العلمية

لقد أقام الله ﷻ الدلائل على صدق النبي محمد ﷺ، وتنوعت ما بين دلائل عقلية وسمعية وواقعية؛ ليتميز النبي الصادق من المتنبئ الكاذب، "ولما كان محمد ﷺ رسولاً إلى جميع الثقلين جنهم وإنسهم، عربهم وعجمهم، وهو خاتم الأنبياء - لا نبي بعده - كان من نعمة الله على عباده، ومن تمام حجته على خلقه أن تكون آيات نبوته، وبراهين رسالته، معلومة لكل الخلق الذين بعث إليهم، وقد يكون عند هؤلاء من الآيات والبراهين على نبوته، ما ليس عند هؤلاء"[1].

وقد اجتهد العلماء في بيان براهين ودلائل نبوته ﷺ، وألفوا في ذلك مؤلفات كثيرة[2]، وفي كل عصر ينكشف من دلائل صدق رسالته ما عليه يؤمن من آمن، ومن ذلك ما قام به أصحاب الإعجاز العلمي حيث رأوا أن من أظهر الدلائل لإثبات النبوة في عصر العلم المادي، هي الحقائق العلمية التي سبق إلى ذكرها القرآن الكريم قبل العلم الحديث، فـ:"الإعجاز العلمي... يبرهن أن النبي ﷺ مرسل من عند الله ﷻ"[3]، "فإن إثبات سبق كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالإشارة إلى العديد من حقائق الكون، هو من أنجح الوسائل لإقناع أهل عصرنا بصدق القرآن الكريم، وبصدق نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين"[4]، ولذلك سأتناول في هذا المبحث المسائل التالية:

---

(١) الجواب الصحيح، ابن تيمية ٥/ ٤٠٦.

(٢) منها: دلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ودلائل النبوة للبيهقي، ودلائل النبوة لأبي بكر الفريابي، والشفا للقاضي عياض. وللمزيد انظر: مقدمة تحقيق كتاب النبوات لابن تيمية ١/ ٤٣-٤٦

(٣) إعجاز القرآن فيما تخفيه الأرحام، كريم نجيب الأغر ص١٩، وانظر: ص٦٠٢.

(٤) آيات النبات في القرآن الكريم، د. زغلول النجار ص٢٥، وانظر: الإعجاز العلمي للقرآن في مجال علوم الأرض، د. محمود الشربيني ص٨، ونظريات الإعجاز القرآني، رحماني ص٦، والمعجزة القرآنية الإعجاز العلمي والغيبي، د. محمد حسن هيتو ص٦٦، ١٥٦، وفتح العليم في تفسير القرآن الكريم، د. أحمد شوقي ص٧.



- المسألة الأولى: طريقة أصحاب الإعجاز العلمي في إثبات النبوة.
- المسألة الثانية: دلالة المكتشفات العلمية على النبوة.
- المسألة الثالثة: طريقة القرآن في إثبات النبوة.



**المسألة الأولى: طريقة أصحاب الإعجاز العلمي في إثبات النبوة:**

يذكر أصحاب الإعجاز العلمي بعد كل آيات تشمل إعجازاً علمياً، أن ذلك يدل على إثبات صدق النبي ﷺ، وأنه مرسل من ربه ﷻ، وأن ما جاء به وحي من الله تعالى.

وبعد دراسة لتلك الآيات تبين أن طريقتهم في الاستدلال بها على النبوة قاصرة، وتشتمل على مخالفات وأخطاء، من شأنها أن تعود بالنقض على مقصودهم، ويتبين ذلك من خلال الأوجه التالية:

**الوجه الأول**: أنهم استدلوا بالآيات التي سيقت لإثبات الربوبية لإثبات النبوة، فيجعلون الآيات التي تتحدث عن مخلوقات الله تعالى العلوية والسفلية، وتدبيره لها، وكونها تسير في نظام محكم بديع دليلاً على النبوة.

**تعقيب:**

وهذا الاستدلال غير صحيح، ومخالف لطريقة القرآن الكريم، فإن القرآن إذا ذكر مظاهر ربوبية الله في مخلوقاته، فإنه يستدل بها على تفرد الله بالملك والتصرف والتدبير، وأنه المستحق للعبادة، القادر على بعث الأموات بعد موتهم ليجزي كل نفس ما كسبت[1]، ولم يذكرها ليستدل بها على النبوة إلا من باب اللزوم.

**الوجه الثاني**: أنهم جعلوا إخبار القرآن عن حقيقة علمية اكتشفها العلم دليلاً على النبوة، وذلك من جهة أن النبي ﷺ تفرد بالإخبار بها وسبق إليها، ومن أمثلة ذلك الآيات التي أخبرت عن مراحل خلق الإنسان في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر:٦][2].

(١) انظر: وجوه دلالة القرآن على نبوة النبي ﷺ، سامية البدري ص٢٠٢.
(٢) انظر: علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، مجموعة أبحاث للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

**تعقيب:**

الصحيح أن المكتشفات الحديثة تدل على النبوة من جهة أن ما جاء به النبي ﷺ لا يتعارض مع الحقائق العلمية، وليس لأن النبي ﷺ سبق بالإخبار بها؛ إذ إن بعض الأمثلة التي يذكرها أصحاب الإعجاز العلمي لم يتفرد بالإخبار بها النبي ﷺ، بل هي معروفة في الجاهلية قبل الإسلام، وبعضها معروف عند أهل الكتاب وغيرهم، والقرآن جاء بتصحيح معلومة، أو إضافة تفصيل، مع بيان المقصد الأهم، وهو توحيد الله وعبادته، **فمثلاً**: مراحل خلق الإنسان معلومة لمن سبق لم تتغير ولم تتطور، فالنبي ﷺ لم يسبق في الإخبار عنها، فهذا أمية بن أبي الصلت يذكر شيئاً من مراحل خلق الإنسان حيث يقول:

**أمرت بالإنسان من نطفة ... تخلق في البطن بعد الرحم**[1]

ويقول:

**كيف الجحود وإنما خلق الفتى ... من طين صلصال له فخار**[2]

ويقول السموأل[3]:

**نطفة ما منيت يوم منيت ... أمرت أمرها وفيها بريت**

**كنها الله في مكان خفي ... وخفي مكانها لو خفيت**[4]

فمن أين أتى شعراء العرب في الجاهلية بهذه الأخبار؟ أتوا بها ممن عنده علم من أهل الكتاب، فالنبي ﷺ لم يكن له سبق الإخبار بالحقائق العلمية، ولو كان سبق الإخبار هو دليل النبوة لكانوا هؤلاء أنبياء؛ لأنهم أخبروا بها قبل محمد ﷺ[5].

قال د. محمد صادق درويش: "فسر المتقدمون الظلمات الثلاث بظلمة البطن والرحم والمشيمة، وكشف علم التشريح الحديث أغشية ثلاثة تحيط بالطفل بعضها فوق بعض، وهذه الأغشية لا تظهر بالعين المجردة...

---

(١) ديوان أمية بن الصلت ص١١١.
(٢) المرجع السابق ص٨٢.
(٣) السموأل هو: ابن عادياء من شعراء اليهود، من أهل تيماء. انظر: طبقات فحول الشعراء، ابن سلام ١/ ٢٧٩، والأعلام، الزركلي ٣/ ١٤٠.
(٤) انظر: الأصمعيات، الأصمعي أبو سعيد ص٨٥.
(٥) انظر: وجوه دلالة القرآن على نبوءة النبي ﷺ، سامية البدري ص٢٠٢-٢٠٣.

أقول: لما كانت الأغشية المحيطة بالطفل أغشية رقيقة لا ترىٰ بالعين، إذاً لا يصح جعلها الظلمات الثلاث المذكورة في الآية؛ لأنها لا تُحدث ظلمة للجنين، ويبقىٰ تفسير المتقدمين أقوىٰ، واكتشاف العلم لهذه الأغشية لا يدعو إلىٰ لزوم سبق القرآن لذكرها؛ لأن ما سكت عنه القرآن من الحقائق الكونية كثير"[١].

**الوجه الثالث:** أنهم جعلوا شرح الآيات الكونية، وما يذكرونه من تفاصيل دلت عليها المكتشفات، داخلة في الآيات ومرادة مباشرة منها، ثم جعلوا ذلك من الإعجاز الناهض بإثبات النبوة[٢].

**تعقيب:**

وهم بهذا لم ينتبهوا إلىٰ أن دلالة هذه المعلومات التفصيلية المكتشفة في بعض المخلوقات علىٰ الربوبية جارية علىٰ كل حال، ولو كانت بمعزل عن النص القرآني، وأن النص إنما نبه علىٰ مبتدأ هذه الدلالة خصوصاً دون تفصيلاتها المكتشفة، وهو القدر الذي فهمه تماماً المخاطبون إبان التنزيل وانتفع به من هداه الله منهم إلىٰ باب التوحيد[٣].

**الوجه الرابع:** أنهم جعلوا المعجزة كأنها الطريق الوحيد لإثبات النبوة، فلا يمكن إقامة الحجة علىٰ الكفار بصحة دعوة النبي ﷺ إلا بإثبات إعجاز القرآن العلمي، فهو الوحيد في هذا العصر لإقناع الآخرين بأن القرآن ليس من تأليف محمد ﷺ، بل هو من لدن خالق الحقائق العلمية[٤].

فلم يبق أمام أهل عصرنا -كما يقولون- من وسيلة مقنعة بالدين، إلا الإعجاز العلمي في كتاب الله، وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله صلىٰ الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين[٥]، وإذا لم نستطع أن نظهر هذه الوسيلة فلن نستطيع أن نخاطب أهل هذا

---

(١) إعجاز القرآن الكريم ص٨١١-٨١٢.

(٢) انظر: منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية علىٰ النبوة والربوبية ص٣٩-٤٠.

(٣) نقلاً من المرجع السابق بتصرف يسير ص٣٩-٤٠.

(٤) انظر: الحقيقة الكبرىٰ، د. محمد رمضان البوطي ص ٥٠٤، ومجالات الإعجاز في القرآن الكريم، د. محمد السيد أرناؤوط ص ٢٧١، وعلم التفسير، د. عبدالمنعم النمر ص١٥٢.

(٥) انظر: آيات النبات في القرآن الكريم، د. زغلول النجار ١٠٤-١٠٥، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عادلة بنت أحمد ١/ ٩٤، ومقال: الإعجاز العلمي الجذور وخلفيات النقد، د. عبدالرحمن حللي، موقع ملتقىٰ أهل التفسير vb.tafsir.net، وجهود أهل السنة والجماعة في الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن الكريم -ابن القيم نموذجاً، العيد حذيق ص٩٦.

العصر[١].

قال الشيخ عبدالكريم حسن العثمان: "وليس عندنا أيضاً من شيء يجذبهم إلينا سوى هذا الإعجاز الرائع، الذي يعظم أثره، ويشع ضياؤه يوماً بعد يوم، ويشتد عوده بحثاً بعد بحث، ولعل هذه الحقيقة التي صارت اليوم من بدهيات العمل الدعوي الإسلامي، هي ما يجعلنا نتمسك أكثر فأكثر بهذه الوسيلة المهمة في الدعوة إلى الله"[٢].

وقالت د. هناء عبدالرضا الربيعي: "الإعجاز والنبوة، فهما لا ينفصلان عن بعضهما بعضاً، فالأول: يتناول الإعجاز من حيث إن القرآن هو كلام الله سبحانه وتعالى، والثاني: يقوم بجملته على فكرة الوحي، ولا تصح فكرة النبوة من دون فكرة الإعجاز"[٣].

**تعقيب:**

جعل الإعجاز العلمي هو المسلك الوحيد لإثبات النبوة، يشبه صنيع جمهور المتكلمين، الذين حصروا دلائل النبوة في المعجزات، وأخرجوا كثيراً من دلائل النبوة عن دلالتها[٤]، وهو قول باطل[٥]، فدلائل النبوة التي يعرف بها صدق النبي كثيرة، ولا يختص ذلك بالمعجزة، ولهذا استدلت خديجة رضي الله عنها على صدق النبي ﷺ بمكارم أخلاقه، ومحاسن شيمه[٦]، وكذلك قصة هرقل، وسؤاله عن صفات النبي ﷺ وشمائله، وقد كاد أن يعلن إيمانه لولا صدود قومه له[٧].

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله: "والطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر، تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات، لكن كثير منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقرروا ذلك

---

(١) انظر: بحث: المادة السوداء في منظور القرآن الكريم، أنيس الراوي ورعد الخزرجي، المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في علوم الأرض ص؟.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في عالم الأنعام، المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي ص٣، وانظر: بحث البعد الثالث للإعجاز في آية الفرث، د. عفيفي محمود عفيفي، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي ص؟، ونشرة الحقيقة العدد ١٩ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ.

(٣) دراسات الإعجاز البياني بين القدماء والمحدثين ص١٢١٥، من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن وعلومه.

(٤) انظر: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات، الباقلاني ص٣٧-٣٨، والإنصاف له أيضاً ص٦١، وأعلام النبوة، الماوردي ص٦٢، وشرح المقاصد، الإيجي ٥/ ١٩.

(٥) انظر: الجواب الصحيح ٦/ ٥٠٤، وشرح الأصفهانية ٢/ ٤٧١-٤٩١، ودرء التعارض ٩/ ٤٠، والنبوات، كلها لابن تيمية ١/ ٤٨٠، ٥٢٢-٥٢٣، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبدالرحمن المحمود ٣/ ١٣٧٨-١٣٧٩.

(٦) انظر: صحيح البخاري ١/ ٣ (٣)، وصحيح مسلم ١/ ١٣٩ (١٦٠).

(٧) انظر: صحيح البخاري ١/ ٧ (٧)، وصحيح مسلم ٣/ ١٣٩٣ (١٧٧٣).

بطرق مضطربة، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتىٰ أنكروا كرامات الأولياء والسحر، ونحو ذلك.

ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا علىٰ أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوىٰ النبوة، فكيف بدعوىٰ النبوة؟...

فمن عرف الرسول وصدقه، ووفاءه، ومطابقة قوله لعمله، علم علماً يقيناً أنه ليس بشاعر ولا كاهن، والناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة، حتىٰ في المدعي للصناعات والمقالات، كمن يدعي الفلاحة والنساجة والكتابة، وعلم النحو والطب والفقه وغير ذلك...والنبوة مشتملة علىٰ علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال، فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب؟"[1].

**الوجه الخامس**: أنهم أخضعوا النبوة وما جاء به الأنبياء والمرسلون من معجزات للاستدلال المادي العلمي، فجعلوا معرفة العلوم الحديثة، والنظر في المخلوقات، هو الطريق لتفحص معجزات الأنبياء والرسل؛ ليشهد لهم بأنهم حقاً رسل الله.

قال الشيخ عبدالمجيد الزنداني: "إننا نقبل علىٰ رسل الله بكل حواسنا، لنتعلم منهم، ونعرف من أمورنا الهامة ما غاب عنا، ولكنا لا نأخذ منهم هكذا، ولا نقبل منهم رأساً، إننا نستوثق أولاً بأنهم حقاً رسل من عند الله، ونستعرض بينات رسالتهم، ونتفحص معجزاتهم، ثم نشهد لهم بعد ذلك بالرسالة، ونستوثق ثانياً بأن الذي نقرؤه ونتعلمه عنهم حقاً قد قالوه.

وبهذه الصفة الحميدة ينفتح المؤمن علىٰ آفاق العلوم الدينية والدنيوية، وينفتح بعلوم غيره من المتخصصين في شتىٰ العلوم والفنون، ومن الذين اختصهم الله بالهداية والنور، ولكن ذلك كله بعد الثقة من صدق المصدر.

وبهذا ينتفع المؤمن بأذنه التي جعلها الله للإنسان نافذة إلىٰ علم الغيب، كما ينتفع باللغة التي جعلها الله رموزاً ليعرف بها ما غاب عن حواسه"[2].

---

(١) شرح الطحاوية ١/ ١٤٠-١٥٣.

(٢) كتاب توحيد الخالق ص١٢٣.

وقال أيضاً: "ورسل الله قد أطلعهم الله على غيوب كثيرة جهلناها وعرفوها، فنحن نتعلم منهم، ولكن بعد أن نتأكد من صدق رسالتهم ونشهد لهم بأنهم حقاً رسل الله"(١).

**تعقيب:**

الإيمان بصدق الرسل عليهم السلام، لا يتوقف على سلوك هذه الطرق المُحدَثة، ولا العلم بها، فقد آمن كثير من أتباع الرسل بما جاءوا به دون أن يطلبوا من رسلهم معجزة، فضلاً عن أن يقوم بتفحصها والتأكد من صحتها، ثم كيف يتأكد منها وهي خارقة لعادة البشر، وكذا آمن الصحابة ﷺ وقرون بعدهم كثير إلى وقتنا برسالة النبي محمد ﷺ، ولم يسلكوا هذا المسلك المحدث الذي ألجأهم إليه القول بالإعجاز العلمي(٢).

وهذا المسلك يخالف منهج التسليم والطاعة لما جاء به الرسول، والذي امتدح الله به رسوله والمؤمنين فقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وامتدح الله من آمن من النصارى فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة:٨٣-٨٤].

وأصحاب الإعجاز العلمي بهذا يشابهون أصحاب الاتجاه العقلاني الحديث، الذي أخضع أصول العقيدة للبحث العلمي بالأسلوب الغربي، فالإيمان بالنبوة بالأسلوب التقليدي الذي درج عليه المسلمون، وجاء في الكتاب والسنة، لا يكفي لإثباتها علمياً كما يقولون(٣).

قال الشيخ عبدالكريم الحميد: "ويقال لأهل الإعجاز: خبنا وخسرنا إن كنا بحاجة إلى أن نستعرض بينات رسالة الرسل، ونتفحص معجزاتهم؛ لنشهد لهم بعد ذلك بالرسالة، كما تقدم من كلام صاحب (كتاب توحيد الخالق)، بواسطة ما أحدثه المتأخرون"(٤).

---

(١) المرجع السابق ص١٢٤.

(٢) انظر: الفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبدالكريم الحميد ص ٤٤-٤٦.

(٣) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة، د. ناصر العقل ص٢٠١-٢٠٢، وموقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مصطفى صبري ١/ ١٢١-١٢٥.

(٤) المرجع السابق ص٤٥.

وقالت د. عفاف حمد الونيس: "إذا تحققنا من صحة الفرض بالملاحظات، وأثبتنا صدق النبوة بالأسس التجريبية، وإن كانت النبوة ليست في حاجة إلى مثل هذه الطرق لإثبات صحتها، ولكنه تنزل مع الخصم، لنصل إلى حقيقة مسلم بها عند الطرفين، تلزم التجريبيين إلى العودة إلى جادة الصواب، وندرك أن المناهج التجريبية لها مجالاتها الخاصة بها"[(١)].

**الوجه السادس:** أنهم استدلوا بالنظريات العلمية التي لم تثبت على سبق القرآن الكريم إليها، ومن ثم إثبات النبوة تبعاً لها.

وهذه الطريقة سبق ذكر أمثلة لها في ثنايا البحث، ومن أشهر الأمثلة نظرية (الانفجار العظيم) والتي يعترف أصحاب الإعجاز العلمي أنفسهم أنها نظرية وليست بحقيقة علمية[(٢)]، ومع ذلك يجعلونها من السبق العلمي للقرآن الكريم الوارد في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٠].

قال د. زغلول النجار: "ويبقى هذا السبق القرآني بالإشارة إلى الفتق بعد الرتق، أو مايسميه علماء الفلك بالانفجار العظيم، وما أدى إليه من تحول الجرم الابتدائى إلى سحابة دخانية، خلقت منها الأرض والسماوات، وإلى توسع الكون إلى عصرنا الراهن وإلى أن يشاء الله... يبقى ذلك كله من أعظم الشهادات على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وعلى أن هذا النبي الخاتم ﷺ كان موصولاً بالوحي، ومعلَّماً من قبل خالق السماوات والأرض"[(٣)].

**تعقيب:**

ما ذكره أصحاب الإعجاز العلمي لا يصلح أن يكون من دلائل القرآن اليقينية على النبوة، بل هو من الاحتمال أو غلبة الظن، والقضايا العقدية الكبرى لا يجوز الاستدلال عليها بوجوه هزيلة، أو محتملة، أو غامضة، أو معقدة، أو مشكوك فيها.

وقد وصف الله تعالى دلائل النبوة على الخصوص بأنها آيات بينات؛ أي: علامات واضحات ظاهرات كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [الحديد:٢٥]، ووصف

---

(١) حقيقة الغيب عند المذاهب المادية المعاصرة ص١٩٤.
(٢) انظر: المبحث الثالث من الفصل الثالث.
(٣) السماء في القرآن الكريم ص١٨٧.

كتابه بأنه آيات بينات فقال: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

**الوجه السابع:** أنهم يؤيدون أحد الأقوال في الآية بما اكتشفه العلم الحديث، ثم يجعلون ذلك دليلاً على صدق النبوة، فالآية يكون في تفسيرها أقوال متعددة للصحابة والتابعين ومن بعدهم من المفسرين، فيختار أصحاب الإعجاز العلمي من هذه الأقوال ما يؤيده من المكتشفات الحديثة أو النظريات العلمية، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠][(١)].

**تعقيب:**

هذا المسلك لا يصلح أن يكون حجة لإقامة الدليل على صدق الوحي والنبوة، وذلك أنه قائم على الترجيح الظني في تفسير الآية، فموافقة المكتشفات الحديثة لقول من الأقوال في الآية لا يحسم به الخلاف فيها[(٢)]، فكيف إذا كان ما يقال عنه حقيقة علمية هو نظرية لم تثبت عند أصحابها، قال أبو الفداء ابن مسعود: "وفيما تقدم وجهان من الاعتراض:

**الاعتراض** على ادعاء الدلالة على صدق النبوة بمجرد وجود الخلاف، ووجه الخلط بين التفسير ودلالة النبوة هنا، أن الناظر يتجاوز الترجيح التفسيري ليقفز إلى القول بالدلالة والإعجاز مباشرة.

**والاعتراض** على الجزم بصحة أحد الأقوال لمجرد ظهور الموافقة وحسم الخلاف بذلك، ووجه الخلط هنا، أن الترجيح التفسيري قام عند صاحبه على ميله لمذهب من مذاهب المفسرين في النص المنظور، لا لقوة أدلته عند أصحابه، ولكن نظراً إلى ما يترتب على قبول ذلك المذهب بعينه من موافقة للعلم الحديث، ثم اجترأ على تخطئة المخالفين جميعاً، بدعوى أن نقص علمهم كان سبباً في اختيارهم ما اختاروا من الأقوال في التأويل"[(٣)].

---

(١) انظر: ص٣٩١.
(٢) انظر: آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين، أبو الفداء ابن مسعود ص٢٩١.
(٣) المرجع السابق ص٢٩٢ وما بعدها.

**الوجه الثامن:** استدلالهم بمعرفة الرسول ﷺ لتفاصيل الحقائق العلمية التي وصل إليها العلم الحديث وسبق إليها القرآن الكريم.

وهذه القضية تكرر ذكرها في كلام بعض أصحاب الإعجاز العلمي كثيراً، وسأذكر أمثلة على ذلك، ثم أبين ما ينطوي عليه قولهم من خلل عقدي:

**الأول: ادعى بعضهم أن النبي ﷺ يعرف تفاصيل أضرار شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، التي توصل إليها العلم الحديث.**

قال د. رفيق أبو السعود بعد أن ذكر ما تسببه الخمر من أضرار: "ونعود فنتساءل دوماً أمام كل معجزة من معجزات آيات القرآن الكريم، كيف عرف الرسول ﷺ كل هذه المعلومات، والاختلاطات المرضية، لكي يحرم الخمر"[1]

وقال بعد أن ذكر عدد من أضرار أكل لحم الخنزير، وما يشتمل عليه من ديدان ويرقات تصيب آكله بالمرض: "فلو لم يكن القرآن من وحي الله تعالى، ما كان للنبي محمد ﷺ، ذلك البدوي الأمي، الذي كان في فترة من حياته يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة، أن يعرف كل هذه المعلومات الطبية السابقة، وأضرار لحم الخنزير"[2]، وقال مثل هذا الكلام في معرفة الرسول ﷺ بالمعلومات الطبية عن تكون الجنين[3].

**الثاني: ادعى بعضهم أن النبي ﷺ يعرف التفسير العلمي الفيزيائي لتكون السراب:**

قال حسن يوسف شهاب الدين بعد أن بين ظاهرة السراب، وشروطه وأقسامه، وما توصل إليه العلم الحديث من معلومات حوله: "والسؤال هنا: من أخبر النبي المصطفى عليه صلوات الله وسلامه قبل أربعة عشر قرناً عن ظاهرة السراب، وشروطها، وتفسيرها العلمي والفيزيائي؟، ومن علمه أسرار اللغة العربية وفنونها، وهو النبي الأمي؟"[4].

**الثالث: ادعى بعضهم معرفته ﷺ بحقائق التشريح:**

قال عبدالكريم حسن العثمان بعد أن بين الإعجاز العلمي في كلمة (بطونه) الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا

---

(١) إعجازات حديثة علمية ورقمية في القرآن ص٥٩-٦٠.
(٢) المرجع السابق ص٥٦-٥٨.
(٣) انظر: المرجع السابق ص٣٣-٣٥.
(٤) ظاهرة السراب بين العلم وحقائق الكتاب، من أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي ص٢٩.

لِلشَّـٰرِبِينَ ﴾ [النحل:٦٦]: "فقل لي بربك من الذي أنبأ محمداً ﷺ وهو النبي الأمي بهذه الحقيقة التشريحية، بزمن مبكر كل التبكير، ولم يطلع على العلوم من قبل"(١).

**الرابع: ادعى بعضهم معرفته ﷺ بالدرجة العلمية لحرارة الشمس:**

قال أحمد بركة بعد أن بين أن درجة حرارة الشمس تصل إلى (٦٠٠٠) كلفن: "فهل كان الرسول الأمي ﷺ يسبق (بلانك) والعالم (فيين)، ويعرف الإشعاع الحراري، وعنده الأجهزة العلمية لدراسة ذلك الإشعاع، فسبحان الله القائل في حقه: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم:١-٥]"(٢).

**الخامس: ادعى بعضهم معرفة النبي ﷺ بمركزية الأرض من الكون:**

قال د. زغلول النجار: "وفي الآية الكريمة(٣) إشارة إلى مركزية الأرض من الكون، وإلى وجود حياة مزدهرة في قطاع التربة، وهي حقائق لم تكن معروفة لأحد من الخلق غير رسول الله ﷺ في زمن الوحي"(٤).

**السادس: ادعى بعضهم معرفة النبي ﷺ بحقائق النجوم:**

قال د. زغلول النجار: "ثم يأتي القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة من السنين ليقسم بمواقع النجوم هذا القسم العظيم، مؤكدًا نسبية وأهمية وتعاظم تلك المواقع، وأن الإنسان لا يمكن له رؤية النجوم من فوق الأرض(٥)، وكل ما يمكن أن يراه هي مواقع مرت بها النجوم، ويأتي العلم في نهاية القرن العشرين مؤكدا كل ذلك..!!.

وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال المهم: من الذي علم سيدنا محمدًا ﷺ كل هذه المعارف العلمية الدقيقة؟، لو لم يكن القرآن الذي أوحي إليه هو كلام الله الخالق..

---

(١) من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في عالم الأنعام، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي ص١٥.

(٢) الفيزياء والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص٥٠-٥٤.

(٣) أي: قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ [طه:٦].

(٤) تفسير الآيات الكونية ٢/ ٦٩.

(٥) أمر الله ﷻ في القرآن بالنظر إلى النجوم، ولم يأمر بالنظر إلى مواقعها فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام:٩٧]، وقال تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴾ [الصافات:٨٨].

ولماذا أشار القرآن الكريم إلى مثل هذه القضايا الغيبية التي لم يكن لأحد علم بها في زمان الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعد ذلك؟ لولا أن الله تعالى يعلم بعلمه المحيط، أن الناس سوف يأتي عليهم زمان، يدركون فيه تلك الحقيقة الكونية، ثم يرجعون إلى كتاب الله فيقرأون فيه هذا القسم القرآني العظيم: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٥-٧٦] فيشهدون بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، الذي أبدع هذا الكون بعلمه وحكمته وقدرته، ويشهدون لهذا النبي الخاتم ﷺ، أنه كان موصولاً بالوحي، ومعلّمًا من قبل خالق السماوات والأرض، وأنه عليه أفضل الصلاة وأزكي التسليم كان - بحق - كما وصفه ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٣-٥]"[١].

**السابع: ادعى بعضهم معرفته ﷺ بكائنات حية لا ترى بالعين المجردة:**

فقد ذكرت د. أحلام بنت أحمد العوضي، أن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات:٢٥-٢٦] تثبت سبق القرآن إلى حقيقة وجود كائنات غير متطورة، وهي التي تصاحب الأموات، ومنها البكتريا التي تتغذى على الجسد الميت، لتخرج أحياء من الجسد الميت[٢]، ثم قالت: "فما أعظمك يا إلهي، حين تؤكد تأكيداً صريحاً في عدة آيات، بوجود أحياء لا نراها بأعيننا، تخرج من الأموات في علاقة وثيقة أبدية أزلية بينهما، فمن أخبر محمداً ﷺ عن تلك الأحياء، في زمن يخلو من المجاهر التي تكشف عن وجودها"[٣].

**الثامن: ادعى بعضهم معرفته ﷺ بأساليب التعدين والتطهير المتعلقان بالماء والزبد:**

فقد ذكر محمد بن الهادي الشيخ، أن سيلان الأودية المذكور في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ

---

(١) تفسير الآيات الكونية ٤/ ١٣٠-١٣١.

(٢) انظر: التحلل في علم الميكروبيولوجي حقيقة علمية دونت في القرآن والسنة، من أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٢٩٠- ٣٠٤.

(٣) المرجع السابق ص ٢٩٥.

أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد:١٧] يدل على ظاهرة التطهير الذاتي للمسطحات المائية، وهي عبارة عن مجموعة من الأساليب الهيدرولوجية[(١)]، والفيزيوكيمائية[(٢)]، والبيولوجية، تتفاعل مع بعضها، لتقوم بتصفية المياه من ملوثاتها العضوية.

ويدل أيضاً على عملية التعدين، التي تبدو في ظاهرها عملية فيزيائية بحته، وهي المعاملة الحرارية لاستخراج المعادن، ثم قال:"وهذا يمثل قمة في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، فمن أعلم الرسول الكريم ﷺ منذ أربعة عشر قرناً بهذه الأساليب في مجالي التطهير والتعدين، التي لم يكتشفها العلم الحديث إلا في السنوات الأخيرة"[(٣)].

**التاسع: ادعى بعضهم معرفة النبي ﷺ بحقيقة ما غاب من الجبال في باطن الأرض:**

فقد بين د.عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي، أن العلم الحديث اكتشف أن شكل الجبال يشبه الوتد أو المرساة، وهذه الحقيقة سبق إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:١٥] ثم قالا: "فمن أخبر محمداً ﷺ بهذه الحقيقة الغائبة في باطن القشرة الأرضية وما تحتها على أعماق بعيدة، تصل إلى عشرات الكيلومترات، قبل معرفة الناس لها بثلاثة عشر قرناً؟

ومن أخبر محمداً ﷺ بوظيفة الجبال، وأنها تقوم بعمل الأوتاد والمراسي، وهي الحقيقة التي لم يعرفها الإنسان إلا بعد عام ١٩٦٠م؟"[(٤)]، وبمثل قولهما قال د. محمد حسن هيتو[(٥)].

---

(١) الهيدرولوجية أو علم المياه هو: علم يعنى بدراسة المياه وتوزيعها فوق الأرض، وصفاتها وخصائصها الطبيعية والكيميائية، وتفاعلها مع البيئة والكائنات الحية. انظر: موسوعة ويكيبيديا www.ar. wikipedia.org

(٢) الفيزيوكيمائية: أي تطهير المياه، وذلك باستعمال الطرق الفيزيائية ومن أهمها: الحرارة والأشعة فوق البنفسجية، واستعمال الطرق الكيميائية، ومن أهمها: الكلور والأوزون وثاني أكسيد الكلور والكلورامين. انظر: موسوعة ويكيبيديا www.ar. wikipedia.org

(٣) جوانب من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في مجالي التطهير والتعدين، من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص١٠٨، وانظر: كتاب الأرض، د.خالد فائق العبيدي ص٨٨-٩٠.

(٤) الإعجاز العلمي في علم الأرض ص١٩١-١٩٢.

(٥) انظر: المعجزة القرآنية ص٢٣١.



**العاشر: ادعى بعضهم معرفة النبي ﷺ بأسرار الجهاز الهضمي، والجهاز الدوري في الجسم:**

فبعد أن بين د.عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي كيفية تكوين اللبن، وخروجه من بين فرث ودم قالا: "فمن أعلم محمداً ﷺ من بين سائر البشر في ذلك الزمن، أسرار الجهاز الهضمي، والجهاز الدوري، ودقائق ما يجري في غدد اللبن، إلا الذي يعلم السر في الأرض والسماء، ويعلم أسرار ما خلق من الكائنات، فيكون ذلك شاهداً علىٰ أن القرآن أنزل بعلم الله، وأن محمداً رسول الله"[١].

**الحادي عشر: ادعى بعضهم معرفة النبي ﷺ بأن الحديد ينزل من السماء:**

قالت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي: "لذلك خلت العلوم التجريبية من أية إشارة إلىٰ هذه الحقيقة قبل الربع الأخير من القرن العشرين، وكذلك اضطر كثير من المفسرين إلىٰ تأويل اللفظ القرآني (وأنزلنا الحديد) إلىٰ معنىٰ لا يحتمله اللفظ، بما فيهم مفسرون معاصرون عاشوا في القرن العشرين.

فمن أخبر محمداً ﷺ بهذه الحقيقة، التي لم تعرفها البشرية، إلا في الربع الأخير من القرن العشرين"[٢].

ويُجمل د. محمد حسن هيتو كل ما سبق في قوله: "وسبحان الذي أوحىٰ إلىٰ عبده الأمي، الذي لم يعرف كتابة، ولا قراءة، ولا فلكاً، ولا طباً، ولا درس تشريحاً، ولا بحث في خلية، فعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضله عليه عظيماً، إذ أوحىٰ إليه بأدق تفاصيل الكون والحياة، مما كان مستحيلاً معرفته له ولأمثاله، ولكل من في الأرض في عصره، وبعد عصره لأمد طويل؛ ليجعل من ذلك الوحي معجزة هذا الدين الحنيف"[٣].

**تعقيب:**

دعوىٰ بعضهم معرفة النبي ﷺ بتفاصيل الحقائق العلمية، بل بدقائقها قبل اكتشافها، لم يقل به أحد من العلماء أو المفسرين، وهي دعوىٰ تنطوي علىٰ محاذير عقدية منها:

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص١٢٩، وبحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي ١/ ٤٠.

(٢) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٣-١٤، ١٩-٢٠.

(٣) المعجزة القرآنية ص٢٥٩-٢٦٠، وانظر: ص٢٥٠، ٢٨٨.

١- الغلو في حق النبي ﷺ، ورفعه إلى مقام لم يرد إثباته له لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، و لو كان في علم دقائق العلوم وتفاصيلها فضل ومزية، لما أغفل القرآن الكريم وصف النبي ﷺ بها.

٢- اتهام النبي ﷺ بعدم إبلاغ أمته بهذه التفاصيل، وأنه كتم علماً كانت الأمة في حاجة إليه؛ لإقامة الحجة على الكافرين، ولإثبات قضية عقدية كبرى، وهي أن القرآن الكريم وحي من الله، وأنه ﷺ رسول من عند الله تعالى.

ودعوى أصحاب الإعجاز العلمي هذه، تجعل الرسول ﷺ داخلاً في الوعيد الشديد المذكور في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة:١٥٩]، وإثبات النبوة من البينات والهدى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [الحديد:٢٥]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣].

٣- أن فيه قولاً على الله ﷻ، وعلى رسوله ﷺ بغير علم؛ لأن أصحاب الإعجاز العلمي يدعون أن الله تعالى أخبر رسوله بالتفاصيل، والدقائق العلمية، وواقع الحال أن بعض الآيات التي قيل فيها بالإعجاز العلمي، هي تذكر قضية علمية مجملة، بإشارات تارة صريحة، وأخرى تفهم من دلالات الألفاظ، وأما التفاصيل فجعل الله ﷻ معرفتها للبشر، وهم يتفاوتون في معرفتها، بتفاوت تملكهم لآلة العلم المادي، وينكشف لهم من ذلك بحسب اجتهادهم ما لا ينكشف لغيرهم.

**وبهذا يتبين:** أن طريقة أصحاب الإعجاز العلمي في إثبات صدق نبوءة النبي ﷺ عن طريق المكتشفات العلمية، هو طريق شاق وعسير، ودلالته ظنية محتملة مضطربة.

ثم ماذا لو لم تظهر المكتشفات العلمية؟! هل يقدح هذا في دلالة صدق نبوة النبي ﷺ؟! ماذا لو لم يؤمن شخص ما بالمكتشفات العلمية، ودلالتها على صدق النبوة؟! هل يلزم كل من أدرك ورأى المكتشفات العلمية، أن يؤمن بنبوة محمد ﷺ؟! هل تنتفي دلالة صدق نبوة النبي ﷺ بانتفاء دلالة المكتشفات العلمية؟!(١).

---

(١) انظر: وجوه دلالة القرآن الكريم على نبوءة النبي ﷺ، سامية البدري ص٢١٣.

**المسألة الثانية: دلالة المكتشفات العلمية على النبوة:**

إن المنهج الصحيح في الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة يتمثل في مقامين:

**المقام الأول:** مقام الإثبات، أو المقام الإيجابي، ويتطلب أن تكون الحقيقة العلمية المكتشفة مرادة بخصوصها من الآية، لا بمجرد الاحتمال.

**المقام الثاني:** مقام النفي، أو المقام السلبي، ومضمونه الاستدلال بمجموع القرآن مع المكتشفات العلمية سلباً، بمعنى أنه لم تنهض حقيقة علمية واحدة مكتشفة بتكذيب صريح القرآن، فهو بمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]

والمقام الأول مبني على التفسير العلمي وفيه خلاف مشهور، وأما المقام الثاني فهو محل إجماع بين أصحاب الإعجاز العلمي، فإن مواءمة القرآن للعلم التجريبي متحققة بالمنهج العلمي الاستدلالي، وطريقة التفكير النقدي التي يقررها القرآن، وانسجام القضايا الكبرى في القرآن مع معطيات المنهج العلمي المعاصر، شاهد عدل على ذلك، فلا ضرورة إذاً لتتبع جزئيات الحقائق العلمية، وأفرادها، وربطها بالإشارات القرآنية لإثبات هذا التواؤم[1].

وعليه فالمكتشفات الحديثة تدل على الربوبية من جهة خلق الله لها، وتدل على النبوة من جهة أن ما جاء به النبي ﷺ لا يتعارض مع الحقائق العلمية، وليس لأن النبي ﷺ سبق بالإخبار بها، إذ الكتب السابقة أخبرت بحقائق الكون، فهي ليست مختصة بالقرآن وحده، بل هو مخصوص بكلام الله، سواء أكان نازلاً على إبراهيم، أم على موسى، أم على محمد صلوات الله وسلامه عليهم؛ لأن كلامه لا يتغير ولا يتبدل، فلا يمكن أن تجد في كتاب من كتبه أن السموات ست أو ثماني سموات، مع ملاحظة أن غير القرآن قد دخله التحريف والنقص، فقد لا يوجد فيه ما يوافق القرآن في بعض هذه القضايا بسبب التحريف[2].



(١) منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية، د.سعود العريفي ص٢٣، ٥٩-٦٠ بتصرف يسير.
(٢) انظر: الإعجاز العلمي إلى أين، د. مساعد الطيار ص ٩٨.

**المسألة الثالثة: طريقة القرآن الكريم في إثبات النبوة:**

إن أسلم طريق، وأوضح حجة، وأقوى برهان، على صحة نبوة محمد ﷺ، هي طريقة القرآن الكريم، وحجته وبرهانه، والتي لم يستطع كفار قريش على عنادهم واستكبارهم، أن يطعنوا فيها إلا بحجج واهية، ودعاوى يعلمون هم بطلانها.

"وإن من أظهر الأدلة للبرهنة على أن القرآن وحي من عند الله تعالى لنبيه محمد ﷺ هو القرآن نفسه، وهذا يتبين من قول النبي ﷺ: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"[1]، فالدلالة داخلة في مضمونه وحقيقته، فهي ليست دلالة خارجة عنه، كدلالة التلازم بينه وبين دليل خارج عنه.

فدلالة القرآن على صدق النبي ﷺ، وأنه وحي من الله تعالى، أيد به نبيه ﷺ، لا تتوقف على أدلة خارجة عنه على ضرورتها، بل هي دلالة ضمنية على أنه من عند الله تعالى، فهو آية برهنت على صدق نبوة النبي محمد ﷺ، فهو بهذا الدليل والمدلول معاً، ودلالة التضمن هي من أقوى الدلالات، فهي قطعية يقينية لا يمكن الشك فيها، بخلاف دلالة الاستلزام التي يمكن القدح فيها من جهة الشك في نسبة التلازم بين أمرين متلازمين لحصول المغايرة بينهما، إلا أنه لا يمكن الشك في دلالة التضمن؛ لأن الدليل حينئذ هو المدلول، وإذا انتفت المغايرة بين الدليل والمدلول، استحال الشك في الدليل"[2].

ومسألة النبوة وبيان أدلة صدقها من أهم مسائل الدين ودلائله، ذلك أن الإيمان بنبوة محمد ﷺ هو أصل النجاة والسعادة، وبه تثبت نبوة من قبله من الأنبياء، ولذا كانت الأدلة من القرآن التي تدل على صدق النبوة ظاهرة بينة متنوعة، فتارة تكون مباشرة على مسائلها، وأخرى تتضمن الدلالة العقلية عليها ومن ذلك[3]:

١- الأدلة التي برهنت على قدرة الله تعالى على كل شيء، فالذي خلق الخلق وأوجده قادر على أن يبعث فيهم نبياً يبلغهم أمر ربهم.

---

(١) رواه البخاري ٦/ ١٨٢ (٤٩٨١)، ومسلم ١/ ١٣٤ (١٥٢).

(٢) وجوه دلالة القرآن الكريم على نبوة النبي ﷺ، سامية البدري ص ٥-٦.

(٣) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، د.سعود العريفي ص٤٥٢-٤٥٦، ووجوه دلالة القرآن الكريم على نبوة النبي ﷺ، سامية البدري ص ٧٧-٨٠.

وقد قرر القرآن إمكان النبوة في أول سورة نزلت على النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١-٥]، فذكر التعليم هنا بعد الخلق دلالة على إمكان النبوة؛ لأن النبوة نوع من أنواع التعليم(١).

٢- الأدلة التي برهنت على حكمة الله تعالى، وقد دلت على "أن من خلق للعبادة لا يصح ولا يحسن أن يهمل، ويترك دون أمر ونهي، ودون حساب أو جزاء، فإن ذلك يتنافى مع الحكمة الإلهية، ومع تنزه الخالق عن العبث واللهو، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] أي: هملاً لا يؤمر ولا ينهى...

وهذا من أقوى الأدلة العقلية على إمكانها بل ضرورتها، ولذلك جاء التأكيد التام بأن الناس لا مناص لهم عن أن يبعث إليهم رسول يبتلون بدعوته، وتقام عليهم الحجة به، مهما كان حالهم من الشرك والإسراف كما في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:١]"(٢).

٣- بلاغته وفصاحته، وهذا الوجه خصوصاً هو الذي جرى التحدي به مع من اتهم النبي ﷺ بافتراء القرآن الكريم.

٤- ما فيه من أنباء الغيب الماضية التي ما كان يعلمها محمد ﷺ ولا قومه قبل أن يوحى إليه، وشهد بصدقها المنصفون من أهل الكتب السابقة، وكذا أنباء الغيب المستقبلية التي تحققت ولا تزال تتحقق، شاهدة بأنه من عند عالم الغيب والشهادة.

٥- ما جعل الله فيه من أنواع العلوم الإلهية والتشريعات الربانية المفصلة، الهادية إلى أحسن الأقوال والأخلاق والأعمال، ولم يكن لأحد أن يهتدي إليها بدون النبوة.

وهذه الأوجه دلالتها على النبوة يقينية، فلا مجال فيها للاحتمال، أو غلبة الظن، وترجيحات الأقوال.

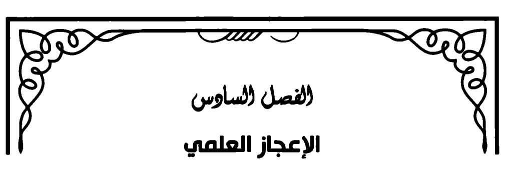


(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١٦/ ٢٦٤.
(٢) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، د. سعود العريفي ص٤٥٤-٤٥٥.



# الفصل السادس

# الإعجـاز العلمـي والأمثـال القرآنيـة العقديـة



# الفصل السادس

# الإعجاز العلمي

# والأمثال القرآنية العقدية

## تمهيد

إن من الأساليب التي تضمنها القرآن الكريم بياناً للتوحيد، وتحذيراً من الشرك: أسلوب ضرب الأمثال، والمثل هو: تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر[1].

وضرب الأمثال من أقوى الأساليب البلاغية في تقريب المعاني وإبرازها، وسرعة تفهيم المخاطب، وإيصال المعنى المراد له[2]، ولذلك اعتنى بها القرآن عناية عظيمة، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾ [الروم:٥٨].

---

(١) انظر: أعلام الموقعين ٢/ ٢٧٠.

(٢) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي ١/ ٣٥٢، والأمثال من الكتاب والسنة، الحكيم الترمذي ص١٤، وتفسير أبو السعود ١/ ٧١، وخصائص التعبير القرآني، د. عبدالعظيم المطعني ٢/ ٢٠٥-٢٨١،٢٠٦، وخصائص الأسلوب القرآني، د. أبو بكر البخيت ص٢٥٢-٢٥٤، والأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفياض ص١٧-٢٢، والأمثال العقدية في القرآن الكريم، روان منذر السيد ص٣٤-٥١، ومعجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي ص٤١-٤٢، وبحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، موسى الإبراهيم ص١٨٩-١٩٥، والشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا ١/ ١٣٥٧-١٣٥٩، والأمثال في القرآن، محمود بن الشريف ص٧-١٢، وإعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. محمد العواجي ص٢١١-٢٢٣، والأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضاده من الشرك، إبراهيم بن عبدالله الجربوع ص٣، والتعليق على القواعد الحسان، الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص١٠٧، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، د. سعود العريفي ص١١٦ وما بعدها، والعنكبوت وخيوطها في القرآن الكريم، د.عبدالله الشاوي ص٥٣-٧٨.

قـال الإمـام الزركشـيﷺ: "ومـن حكمتـه تعلـيم البيـان، وهـو مـن خصـائص هـذه الشريعة، والمثل أعون شيء على البيان"[١]، "فالأمثال جزء من البيـان الإلهي، تسـهم في إبراز الحقائق الإيمانية من خلال أسلوبها المتميز الفعال في تشـخيص الحقـائق والإقناع، والفصـل عنـد الاشـتباه والخـلاف، وخاصـة قضـايا الإيمـان التـي وقـع فيهـا الخـلاف: كالأصول التي ينبني عليها الإيمان بالله، وأسباب الهدى والضلال، وتوحيد الألوهية ومـا يضاده من الشرك، والبعث بعد الموت، وحقيقة الأنبياء والأولياء، وأن ليس لهم ولا فيهم من خصائص الألوهية شيء، وحال الدنيا وسرعة زوالها، وسوء عاقبة الاغترار بها، ونحو ذلك من القضايا الهامة"[٢].

وقد اعتنى العلمـاء قـديمـاً وحـديثـاً، بشـرح أمثـال القـرآن الكـريم، وبيـان مقاصـدها، وكان للمشتغلين بالإعجاز العلمي نصيب من ذلك، حيث ربطـوا بـين مـا اشـتملت عليـه الأمثال من ذكر للآيات الكونية، وبين ما توصلت إليه المكتشفات العلمية، ولـم يسـلم مـا قاموا به من أخطاء وملاحظات، يمكن إجمالها فيما يلي:

**أولاً:** أنهم يغفلون أحيانـاً المقصد الذي من أجلـه ضـرب الله تعـالى المثـل، ويكتفـون بذكر الجانب العلمي التجريبي فقط.

**ثانياً:** أنهم يذكرون الجانب العلمي التجريبي في عدة صفحات، بينما يذكرون المقصد الشرعي مـن المثـل باختصـار، وفي كلمـات معـدودة، ثـم لا يربطـون بينـه وبـين ماسبق في الجانب العلمي.

**ثالثاً:** أنهم يحمّلون بعض الأمثال من المعاني ما لم تدل عليه، بحيث يصعب فهمها إلا لعالم متخصص في العلوم التجريبي، وهذا مخالف لما جاءت به الأمثال من مخاطبة كـل الناس بما يعرفونه ويدركون معناه.

**رابعاً:** أن ما يعتبرونه إعجازاً علمياً في المثل، هو إما تفصيل لما ذكره المفسـرون مـن معاني في الآية، أو هو تفسير للمثل يضاف إلى أقوال المفسرين بشروطه، ولذلك لا يصـح أن يجعل تفسيرهم هو المراد بالآية فقط، دون غيره من الأقوال.

وسأذكر ما وقفت عليه من كـلام لأصـحاب الإعجـاز العلمـي في بعـض أمثـال القـرآن الكريم العقدية، مرتبـاً لها حسب ترتيب سور القرآن الكريم في المصحف.

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٨٧.

(٢) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ١/ ١٣.

**المثل الأول:** قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

ذكر كلاً من عبد المجيد الزنداني ود. زغلول النجار: أن العلم التجريبي كشف عن قضية تتعلق بالصعود إلى الأجواء العليا، حيث وُجد أن الإنسان تتناقص قدرته على التنفس الطبيعي درجة بعد درجة، كلما تصاعد إلى السماء بغير وقاية كافية؛ وسببُ ذلك انخفاض الضغط الجزئي للأكسجين في طبقات الجو العليا.

وقد جعلوا هذه الظاهرة الكونية، تفسيراً للحرج الذي يصيب الكافر بسبب عدم قدرته على الإيمان، وجعلوا التشبيه يعود إلى الضيق والحرج، والمعنى عندهم: إن حال ضيق صدر الكافر المُعرض عن الحق، وعن قبول الإيمان، كحال الذي يتصعد في السماء.

وذكروا وجه الشبه، وهو الصفة المشتركة بينهما: ضيقاً وحرجاً، وجاء بأداة التشبيه (كأنَّ) ليقع بعدها المشبه في صورة حسية واضحة.

قال د. زغلول النجار: "الصعوبات التي يواجهها الإنسان حينما يتصعد في السماء بغير وقاية كافية، إذا تجاوز الإنسان ارتفاع الثمانية كيلو مترات فوق مستوى سطح البحر، فإنه يتعرض لمشكلات عديدة منها: صعوبة التنفس لنقص الأوكسجين، وتناقص ضغط الهواء، وهو مرض يسميه المتخصصون في طب الطيران، باسم مرض عوز الأوكسجين.

ومنها مشكلات انخفاض الضغط الجوي، والذي يسمى باسم خلل الضغط الجوي، وتحت هذين العارضين، لا يستطيع جسم الإنسان القيام بوظائفه الحيوية، فتبدأ في التوقف الوظيفة تلو الأخرى.

وهنا يمكن تفسير ضيق الصدر الذي يمر به الإنسان عند الصعود إلى تلك المرتفعات بغير استعدادات وقائية كافية، فيبدأ بالشعور بالإجهاد الشديد، والصداع المستمر، والشعور بالرغبة في النوم، ونتيجة للنقص في الضغط الجوي، تبدأ الغازات المحبوسة في داخل أنسجة الجسم وتجاويفه المختلفة في التمدد، من مثل: الجهاز التنفسي من الرئتين، والقصبة الهوائية وتشعباتهما، والأنف، والجيوب الأنفية، والجهاز الدوري من القلب، والأوردة والشرايين، والجهاز السمعي خاصة الأذن الوسطى، والجهاز الهضمي، من

مثل: المعدة والأمعاء الدقيقة والغليظة، خاصة القولون، والفم والأسنان والأضراس واللثة، مما يؤدي إلىٰ آلام شديدة في كل أجزاء الجسم، وإلىٰ ضغوط شديدة علىٰ الرئتين والقلب، وإلىٰ تمزق خلاياهما وأنسجتهما، ويسبب الشعور بضيق الصدر وحشرجة الموت.

كذلك تبدأ الغازات الذائبة في جميع سوائل الجسم وأنسجته في الانفصال والتصاعد إلىٰ خارج حيز الجسد، وأهمها غاز النيتروجين الذي يصل حجمه في جسم الفرد البالغ إلىٰ نحو اللتر، موزعة بين الدم وأنسجة الجسم المختلفة، وتخرج هذه الغازات علىٰ هيئة فقاعات تندفع إلىٰ الخارج بسرعة فائقة، مما يزيد من تمزق الخلايا والأنسجة، وإلىٰ حدوث آلام مبرحة بكل من الصدر والمفاصل، وإلىٰ ضيق شديد في التنفس نتيجة لتصاعد فقاعات النيتروجين من أنسجة الرئتين، ومن داخل الشعيرات الدموية، ومن الأنسجة المحيطة بها ومن الجلد، ومن أنسجة وخلايا الجهاز العصبي، فتتأثر رؤية الشخص، ويختل توازنه، ويصاب بصداع شديد، ثم إغماء كامل، أو صدمة عصبية، أو بشلل جزئي أو كلي، وزرقة بالجسم تنتهي بالوفاة، بسبب توقف كل من القلب والرئتين، وانهيار الجهاز العصبي، وفشل كامل في وظائف بقية أعضاء الجسم، ولعل ذلك هو المقصود بقول الحق ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥].

وهذه حقائق لم يدركها الإنسان إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وإن بدأ يتحسسها منذ نهاية القرن الثامن عشر، وورودها في كتاب الله الذي أنزل قبل أربعة عشر قرناً علىٰ نبي أمي صلىٰ الله وسلم وبارك عليه، في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، مما يؤكد أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأن هذا النبي الخاتم، والرسول الخاتم كان موصولاً بالوحي ومعلماً من قبل خالق السماوات والأرض"[(١)].

وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ قبلهما أحمد بن مصطفىٰ المراغي رحمه الله حيث قال عند تفسير الآية:" أي إن من فسدت فطرته بالشرك، وتدنست نفسه بالآثام والذنوب، يجد في صدره

(١) تفسير الآيات الكونية ١/ ٢٦٦-٢٦٧، وانظر: كتاب توحيد الخالق، عبدالمجيد الزنداني ص٣٤٣، والقرآن والعلم الحديث، عبدالرزاق نوفل ص٢٢٠، والقرآن والطب، أحمد محمود سليمان ص٣٦، والتشبيهات القرآنية وأثرها في التفسير، استشهاد أسامة حريري ص٢٦٦- ٢٦٩.

ضيقاً أيما ضيق، إذا طلب إليه التأمل فيما يدعى له من دلائل التوحيد، والنظر في الآفاق والأنفس، لما استحوذ على قبله من باطل التقاليد والاستكبار عن مخالفة ما ألفه وسار عليه الناس، وتضعف إرادته عن ترك ما هو عليه، فتكون إجابته الداعي إلى الدين الجديد ثقيلة عليه، ويشعر بالعجز عن احتمالها، ويكون مثله مثل من صعد في الطبقات العليا في جو السماء، إذ يشعر بضيق شديد في التنفس، وكلما صعد في الجو أكثر شعر بضيق أشد، حتى إذا ما ارتفع إلى أعلى من ذلك، شعر بتخلخل الهواء، ولم يستطع سبيلاً إلى البقاء، فإن هو قد بقي فيها مات اختناقاً.

وخلاصة ذلك إن الله ضرب مثلاً لضيق النفس المعنوي، يجده من دعي إلى الحق وقد ألف الباطل وركن إليه، بضيق التنفس الذي يجده من صعد بطائرة إلى الطبقات العليا من الجو، حتى لقد يشعر بأنه أشرف على الهلاك، وهو لا محالة هالك إن لم يتدارك نفسه وينزل من هذا الجو إلى طبقات أسفل.

سبحانك ربي، نطق كتابك الكريم بقضية لم يتفهم سرها البشر، ولم يفقه معرفة كنهها إلا بعد أن مضى على نزولها نحو أربعة عشر قرناً، وتقدم فن الطيران الآن علم الطيارين بالتجربة صدق ما جاء في كتابك، ودل على صحة ما ثبت في علم الطبيعة من اختلاف الضغط الجوى في مختلف طبقات الهواء.

وقد علم الآن أن الطبقات العليا أقل كثافة في الهواء من الطبقات التي هي أسفل منها، وأنه كلما صعد الإنسان إلى طبقة أعلى شعر بالحاجة إلى الهواء، وبضيق في التنفس نتيجة لقلة الهواء الذي يحتاج إليه، حتى لقد يحتاجون أحياناً إلى استعمال جهاز التنفس ليساعدهم على السير في تلك الطبقات.

وهذه الآيات وأمثالها لم يستطع العلماء أن يفسروها تفسيرا جلياً لأنهم لم يهتدوا لسرها، وجاء الكشف الحديث وتقدم العلوم فأمكن شرح مغزاها وبيان المراد منها بحسب ما أثبته العلم"[1].

**المناقشة:**

ما ذكره أصحاب الإعجاز العلمي من معنى في المثل يخالف ما قرره المفسرون، الذين بينوا أن الآية تتحدث عن حال الكافر وحال المؤمن، وأن من أراد الله هدايته، فإنه يشرح صدره للإيمان به وييسره له، ومن أراد له الضلال، فإنه يجعل صدره في حال ضيق

(١) تفسير المراغي ٨/ ٢٥-٢٦.

وحرج شديد، ولو أراد الإيمان فإنه لا يستطيعه، كما لا يستطيع الإنسان أن يصعد في السماء، ويؤكد هذا المعنى السياق الذي وردت فيه هذه الآية، قال الله ﷻ قبلها: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣) وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (١٢٤) فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢-١٢٦]، فالآيات في بيان حال الكافر وحال المؤمن، ثم ضرب مثالاً بحال الأكابر من المجرمين الذين لا يمكن أن يدخل الإيمان قلوبهم لما فيهم من الكفر والإجرام، ثم بين ﷻ مشيئته في الهداية والإضلال.

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "القول في تأويل قوله تعالى: (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ): وهذا مثل من الله - تعالى ذكره - ضربه لقلب هذا الكافر في شدة تضييقه إياه عن وصوله إليه؛ مثل امتناعه من الصعود إلى السماء، وعجزه عنه؛ لأن ذلك ليس في وسعه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل".

ثم ذكر الرواية عن عطاء الخراساني، قال: مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد في السماء، وعن ابن جريج: يجعل صدره ضيقاً حرجاً بلا إله إلا الله حتى لا يستطيع أن تدخله، كأنما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه، وعن السدي: كأنما يصعد في السماء من ضيق صدره[1].

وقال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: "مثل حال المشرك حين يدعى إلى الإسلام، أو حين يخلو بنفسه فيتأمل في دعوة الإسلام، بحال الصاعد، فإن الصاعد يضيق تنفسه في

(١) جامع البيان ٩/ ٥٤٩، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٧/ ٨١، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ١٧٥، والكشاف، الزمخشري ٢/ ٤٩، وزاد المسير، ابن الجوزي ٢/ ٧٦، وتفسير أبي السعود ٣/ ١٨٣، وفتح القدير، الشوكاني ٢/ ١٨٣.

الصعود، وهذا تمثيل هيئة معقولة بهيئة متخيلة، لأن الصعود في السماء غير واقع"[(١)]

وقال محمد رشيد رضا ﷺ: "وصعود السماء يضرب به المثل فيما لا يستطاع، أو ما يشق على النفس حتى كأنه غير مستطاع"[(٢)].

وقال د. مساعد بن سليمان الطيار: "وتقدير المعنى عندهم[(٣)]: إن عدم قدرة الكافر على الإيمان كعدم قدرة الإنسان على الصعود إلى السماء، ويكون الضيق والحرج عندهم بسبب عدم قدرته على الإيمان لا بسبب التصعد في السماء، وتفسيرهم لا يعيد التشبيه إلى الضيق والحرج، وإنما إلى الامتناع من الإيمان وعدم القدرة عليه.

وانشراح النفس للإيمان سابقة له، فمن يشاء الله له الهداية يشرح نفسه له، كما أن من أراد الله له الكفر فإنه يجعل صدره ضيقاً حرجاً، فلا يستطيع أن يؤمن بالله، وهو ممتنع عليه الإيمان كامتناع الصعود إلى السماء على الإنسان.

وهذا التفسير من دقائق فهم السلف، وتفسيرهم يرجع إلى لازم معنى الجملة الثانية، وهي جعل الضيق والحرج في صدر الكافر، إذ من لازمه أنه لو أراد الإيمان فإنه لا يستطيعه، كما لا يستطيع الإنسان الصعود للسماء، فنبهوا على هذا اللازم الذي قد يخفى على كثير ممن يقرأ الآية"، ثم بين أي القولين أقوى وأولى، هل هو قول أصحاب الإعجاز العلمي أم قول السلف فقال: "وإذا تأملت هذين التفسيرين، وعرضتهما على سياق القرآن ومقاصده، فأي القولين أولى وأقوى؟ لا شك أن ما ذكره السلف أولى وأقوى، والثاني - وإن كان محتملاً - لا يرقى إلى قوته، وإن قبل هذا القول المعاصر على سبيل التنوع، فالأول هو المقدم بلا ريب، ووجه قوته كائن في أمور:

**الأول:** أن ما قاله السلف مدرك في كل حين، منذ أن نزل الوحي بها إلى اليوم، أما ما ذكره المعاصرون، فكان خفياً على الناس حتى ظهر لهم أمر هذا المعنى هذا اليوم[(٤)].

---

(١) التحرير والتنوير ٨/ ٦٠، وقد تصرفت: استشهاد أسامة حريري _ في كتابها (التشبيهات القرآنية وأثرها في التفسير ص ٦٨؟) _ في كلام ابن عاشور؛ ليكون موافقاً لما ذهب إليه أصحاب الإعجاز العلمي، فقد نقلت كلام ابن عاشور إلى قوله: "... بحال الصاعد" وحذفت ما بعده، وأبدلته بكلام أحمد المراغي المتقدم، مما أوهم أن الطاهر ابن عاشور يقول بإمكانية الصعود في السماء، بينما كلامه ينفي ذلك بقوله:" وهذا تمثيل هيئة معقولة بهيئة متخيلة، لأن الصعود في السماء غير واقع".

(٢) تفسير المنار ٨/ ٣٧.

(٣) أي عند المفسرين من السلف.

(٤) انظر: الفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبدالكريم الحميد ص٢٠٧-٢٠٨.

الثاني: أن التنبيه على امتناع الإيمان عنهم بامتناع صعود الإنسان إلى السماء، أقوى وأولى من التنبيه على تشبيه الحرج والضيق، الذي يجده الكافر في نفسه بما يجده من صعد طبقات السماء، فالحرج والضيق مدرك منه، بخلاف امتناع الإيمان الذي يخفى سبيله، وهو الذي جاء التنبيه عليه في الآية، وذلك من دقيق مسلك قدر الله سبحانه"[1].

وبهذا يتبين خطأ قول أحمد المراغي ﷺ: "وهذه الآيات وأمثالها لم يستطع العلماء أن يفسروها تفسيرا جليا؛ لأنهم لم يهتدوا لسرها، وجاء الكشف الحديث وتقدم العلوم فأمكن شرح مغزاها وبيان المراد منها بحسب ما أثبته العلم".



المثل الثاني: قال الله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف:٥٨].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

قال أحمد مليجي في سياق حديثه عن (الفساد البيئي براً)، وما يتسبب فيه الإنسان من ذلك:"قد يتدخل الإنسان في إفساد بيئته بالاعتداء على اليابسة، مما يؤدي إلى إصابته بأنواع مختلفة من التسمم التي تصيبه بالعديد من الأمراض؛ والتي قد تؤدي في النهاية إلى الوفاة.

وتعتبر المعادن الثقيلة الناتجة عن مخلفات المصانع مثل: الرصاص، والزئبق، والزرنيخ، والكادميوم، والسيلينيوم، وغيرهم، من أخطر المواد التي تلوث التربة، حيث تكون مركبات سامة، يمتصها النبات، فتصيب الإنسان والحيوان بالأضرار الصحية عند أكلها.

ولقد أشار المولى ﷻ إلى أن البلد الطيب، الذي أنعم الله عليه بالأرض الطيبة يخرج نباته جميلاً حسناً، أما البلد الخبيث الذي تغيرت تربته فخبثت وردؤت، وملحت مشاربه، فلا خير فيه، ولا يخرج نباته إلا نكداً، قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف:٥٨]"[2].

---

(١) الإعجاز العلمي إلى أين ص ٢٧-٣٠، وانظر: الشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد ١/ ١٣٧٥-١٣٧٨، وخصائص التعبير القرآني، د. عبدالعظيم المطعني ٢/ ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) الفساد البيئي براً وبحراً وجواً، من أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص١٦١.

**المناقشة:**

لقد أغفل الباحث المعنى الذي من أجله ضرب الله تعالى المثل، فالآية ضرب الله فيها مثلاً للمؤمن والكافر، وليس بياناً لأحوال التربة.

وقد سمى الله في كتابه المؤمن بالطيب، والكافر بالخبيث فقال تعالى: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٧][1]، قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "وقوله:(كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون)، يقول: كذلك نبين آية بعد آية، وندلي بحجة بعد حجة، ونضرب مثلاً بعد مثل، لقوم يشكرون الله على إنعامه عليهم بالهداية، وتبصيره إياهم سبيل أهل الضلالة، بإتباعهم ما أمرهم بإتباعه، وتجنبهم ما أمرهم بتجنبه من سبل الضلالة، وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالبلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه، مثل للمؤمن، والذي خبث فلا يخرج نباته إلا نكدا، مثل للكافر"[2].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فشبه سبحانه الوحي الذي أنزله من السماء على القلوب، بالماء الذي أنزله على الأرض بحصول الحياة بهذا وهذا، وشبه القلوب بالأرض، إذ هي محل الأعمال كما أن الأرض محل النبات، وأن القلب الذي لا ينتفع بالوحي، ولا يزكو عليه، ولا يؤمن به، كالأرض التي لا تنتفع بالمطر، ولا تخرج نباتها به إلا قليلاً لا ينفع، وأن القلب الذي آمن بالوحي، وزكا عليه، وعمل بما فيه، كالأرض التي أخرجت نباتها بالمطر.

فالمؤمن إذا سمع القرآن وعقله وتدبره، بان أثره عليه، فشُبه بالبلد الطيب الذي يمرع[3] ويخصب، ويحسن أثر المطر عليه، فينبت من كل زوج كريم، والمعرض عن الوحي عكسه، والله الموفق"[4].

---

(١) انظر: جامع البيان، ابن جرير ١١/ ١٧٥، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٧/ ٤٠١، وتفسير الكشاف، الزمخشري ٢/ ١٥٧.

(٢) جامع البيان ١٠/ ٢٥٨، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٧/ ٢٣١، وزاد المسير، ابن الجوزي ٢/ ١٣٢، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٣٨٦، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٢/ ٤١٤، وروح المعاني، الألوسي ٤/ ٣٨٦-٣٨٧، وفتح القدير، الشوكاني ٢/ ٢٤٥، وتفسير المراغي ٨/ ١٨٥-١٨٦، وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم، د. محمد أحمد ملكاوي ص١٧٧، والشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا ١/ ١٣٧٤-١٣٧٥

(٣) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٥/ ٣١٢:"(مرع) الميم والراء والعين، أصل صحيح يدل على خصب وخير، ومرع المكان، وأمرع القوم: أصابوه مريعاً، وأمرع الوادي: أكلأ".

(٤) إعلام الموقعين ١/ ١٠٨-١٠٩، وانظر: التوضيح عن توحيد الخلاق، سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب ص٢٧٧.



وبين الطاهر ابن عاشور ﷺ أن المقصود من الآية ضرب المثل، وليس تفصيل أحوال الأرض فقال:"والمعنى: كذلك نخرج الموتى، وكذلك ينتفع برحمة الهدى، من خلقت فطرته طيبة قابلة للهدى، كالبلد الطيب ينتفع بالمطر، ويحرم من الانتفاع بالهدى، من خلقت فطرته خبيثة، كالأرض الخبيثة لا تنتفع بالمطر، فلا تنبت نباتاً نافعاً، فالمقصود من هذه الآية التمثيل، وليس المقصود مجرد تفصيل أحوال الأرض بعد نزول المطر؛ لأن الغرض المسوق له الكلام يجمع أمرين: العبرة بصنع الله، والموعظة بما يماثل أحواله...

والإشارة بقوله: (كذلك نصرف الآيات) إلى تفنن الاستدلال بالدلائل الدالة على عظيم القدرة المقتضية الوحدانية، والدالة أيضا على وقوع البعث بعد الموت، والدالة على اختلاف قابلية الناس للهدى والانتفاع به، بالاستدلال الواضح البين المقرب في جميع ذلك، فلذلك تصريف أي: تنويع وتفنين للآيات، أي: الدلائل"[1].

ويوضح هذا المثل القرآني ما جاء في حديث أبي موسى ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "إن مثل ما بعثني الله به ﷺ من الهدى، والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله به، فعَلِم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"[2].

**المثل الثالث:** قال الله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد:١٧].

### أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:

فسر أصحاب الإعجاز العلمي المثل في الآية تفسيراً علمياً، وأنها تكشف عن جوانب من الإعجاز في مجال التعدين والتطهير.

(١) التحرير والتنوير ٨/ ١٨٤-١٨٧.

(٢) رواه البخاري ١/ ٢٧ (٧٩)، ومسلم ٤/ ١٧٨٧ (٢٢٨٢) واللفظ له.

قال محمد بن الهادي الشيخ: "**في المقطع الأول:** تحدثت الآية الكريمة عن عملية سيلان الأودية إثر نزول المطر، وفي هذا إشارة إلى ظاهرة بيئية لم يكتشفها العلماء إلا في السنوات الأخيرة، وهي ظاهرة التطهير الذاتي للمسطحات المائية، وهي عبارة عن مجموعة من الأساليب الهيدرولوجية، والفيزيوكيمائية، والبيولوجية، تتفاعل مع بعضها البعض لتقوم بتصفية المياه من ملوثاتها العضوية، فينتج عن هذه العملية ماءً صافياً صالحاً للشراب ينفع الناس، وزبد يعلوه يطرح ويلقى لأنه لا فائدة فيه.

وقد اقتبس العلماء هذه الظاهرة الطبيعية، وطوروا أساليبها تكنولوجيا، وطبقوها ميدانياً في شكل محطات لتطهير المياه المستعملة.

**في المقطع الثاني من الآية الكريمة:** وفي نفس السياق تحدث القرآن عن عملية التعدين، التي تبدو في ظاهرها عملية فيزيائية بحتة، وهي المعاملة الحرارية لاستخراج المعادن، وينتج أيضا عن هذه العملية معادن صافية، يستفاد بها للحلية والمتاع من ناحية، وزبد يطرح ويلقى من ناحية أخرى.

لكن في الآن نفسه، ركزت الآية الكريمة على مثلية الزبد (زبد مثله) الناتج عن كلا العمليتين: التطهير والتعدين، في حين أن الأساليب المستعملة مختلفة تماماً في المعاملة الأولى والثانية، وبالتالي لا يمكن مماثلة الزبد إلا من حيث أنه خبث يطرح ويلقى، إلا أن سياق الحديث في الآية، ودقة القرآن في لفظ (مثله)، يأبى هذه المماثلة الضعيفة، فجاءت الاكتشافات العلمية الحديثة في مجال هندسة الأساليب والتعدين؛ لتؤكد إمكانية استخراج المعادن بأساليب هيدرولوجية، وفيزيولوكيمائية، وبيولوجية، ينتج عنها زبد، يشبه تماماً الزبد الذي ينتج عن عملية التطهير الذاتي، التي تحدثت عنها الآية في المقطع الأول، وهذا يمثل قمة في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، فمن أعلم الرسول الكريم ﷺ منذ أربعة عشر قرناً بهذه الأساليب في مجالي التطهير والتعدين، التي لم يكتشفها العلم الحديث إلا في السنوات الأخيرة.

حقاً إنه القرآن الكريم الذي لا ينطق عن الهوى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم:٤-٥] وصدق الله العظيم...

لقد كشفت هذه الدراسة عن بعض جوانب الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في مجالي التطهير والتعدين، وأعطت تفسيراً علمياً للآية (١٧) من سورة الرعد، معتمدة في ذلك



على حقائق علمية تم اكتشافها مؤخراً، و أثبت البحث العلمي مدى صحتها ونجاعتها في الواقع.

وقد تبين من خلال هذه الدراسة، أن القرآن الكريم أشار إلى ظاهرة التطهير الذاتي للمسطحات المائية التي اكتشفها العلماء مؤخراً، وهي مجموعة أساليب هيدرولوجية، فيزيوكيمائية، وبيولوجية؛ لتنقية المياه الملوثة عضوياً، وينتج عن هذه العملية ماءً صافياً ينتفع به الناس، وزبداً يطرح لا فائدة فيه.

وفي إقرار الآية مماثلة الزبد الناتج عن عملية التطهير (زبد مثله) للزبد الناتج عن عملية التعدين، جوانب هامة من الإعجاز العلمي للقرآن، فهذه المماثلة في الزبد تقتضي ضمنياً مماثلة الأساليب التي ينتج عنها هذا الزبد، في حين أنه آنذاك لم يكن العقل البشري يدرك إلا المعاملة الحرارية لاستخراج المعادن، وهي عملية فيزيائية بحتة.

ولقد بينت هذه الدراسة أنه فعلاً في العقود الأخيرة اكتشف العلماء أساليب هيدرولوجية، وفيزيوكيميائية، وبيولوجية في مجال التعدين، تشبه تلك التي تستخدم في مجال التطهير، وتنتج بدورها زبداً، يشبه تماماً الزبد الذي تنتجه عملية التطهير.

حقاً إن القرآن المعجز الذي لا تنضب عجائبه، ولا تنتهي مظاهر إعجازه في شتى الميادين العلمية"[1].

**المناقشة:**

**ما ذكره الباحث يرد عليه عدة أمور منها:**

**أولاً:** أن الأساليب التي ذكرها في مجال التطهير والتعدين، هي مما علمه الله تعالى الإنسان، وأقدره عليها، ولا يتوقف فهم الآية على العلم بها؛ لأن هذه الأمور لا يعلمها إلا المتخصص في هذه العلوم، والآية خطاب لجميع الناس على اختلافهم طبقات علومهم ومعارفهم، والقرآن يخاطب الناس في الأمثال بما يعهدونه ويشاهدونه، لا بما خفي عليهم وغاب عن حواسهم.

---

(١) جوانب من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في مجالي التطهير والتعدين، من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص١٠٨، ١١٧-١١٨، وانظر: بحث (فسالت أودية بقدرها)، د.أحمد عامر الديلمي، من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص١٤٥.

**ثانياً:** أن الآية كما أشار الباحث في بداية بحثه[١]، ضرب الله فيها مثلاً للحق والباطل، وهي مشتملة على المثلين المائي والناري.

**أما المثل المائي:** فقد مثل الله تعالى الحق في ثباته، والباطل في اضمحلاله، كمثل الماء النازل من السماء إلى الأرض، فتحمله الأودية بقدرها الكبير بكبره، والصغير بصغره، ولكن هذا السيل الحادث عن ذلك الماء، يحمل فوقه زبدًا عاليًا، وبعد قليل يتطاير الزبد ويتلاشى، وأما الماء فيستفيد منه الناس في الشرب، وسقي المزروعات، والباقي يمكث في الأرض؛ لينتفع به الناس في العاجل والآجل.

فالحق في ثباته ونفعه يشبه الماء المستقر في الأرض، والباطل في تلاشيه واختفائه يشبه الزبد العالي فوق السيل، فهذا أحد المثلين.

**وأما المثل الآخر وهو الناري:** فقد شبه الله تعالى الحق، كمثل المعدن إذا أوقد عليه، فيخرج منه الخبث والزبد، ويذهب هذا ويتلاشى، ويبقى خالص المعدن ثابتًا مستقرًّا نقيًّا.

فشبه سبحانه الحق ببقائه وثباته، بالمعدن الباقي بعد الخبث، وشبه الباطل بالخبث الذي تخرجه النار من المعادن، كذلك يضرب الله الحق والباطل[٢].

قال مجاهد بن جبر ﷺ: فذلك مثل الحق والهدى، والعلم والتوحيد، إذا دخل القلب طرد الخبث، وهو الشكوك والشبهات والشهوات، فيطرح القلب هذه الشبه وتتلاشى، كما يطرح السيل الزبد، وكما تطرح النار الخبث، وكاستقرار الماء، والمعدن الصافي الخالص، يستقر التوحيد والإيمان في القلب وجذوره، بحيث ينفع صاحبه، وينتفع به غيره[٣].

قال الطاهر ابن عاشور ﷺ: "وجيء في هذا التسجيل بطريقة ضرب المثل بحالي فريقين في تلقي شيء واحد، انتفع فريق بما فيه من منافع، وتعلق فريق بما فيه من مضار.

وجيء في ذلك التمثيل بحالة فيها دلالة على بديع تصرف الله تعالى؛ ليحصل التخلص من ذكر دلائل القدرة إلى ذكر عبر الموعظة، فالمركب مستعمل في التشبيه التمثيلي بقرينة قوله: (كذلك يضرب الله الحق) إلخ.

---

(١) ص١١٠.

(٢) انظر: جامع البيان، ابن جرير ١٣/ ٤٩٦، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٩/ ٣٠٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١٩/ ٩٤، وأعلام الموقعين، ابن القيم ١/ ١٥٢، والشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا ١/ ١٣٦٤-١٣٦٥.

شبه إنزال القرآن الذي به الهدىٰ من السماء، بإنزال الماء الذي به النفع والحياة من السماء، وشبه ورود القرآن علىٰ أسماع الناس، بالسيل يمر علىٰ مختلف الجهات، فهو يمر علىٰ التلال والجبال فلا يستقر فيها، ولكنه يمضي إلىٰ الأودية والوهاد، فيأخذ منه كل بقدر سعته.

وتلك السيول في حال نزولها تحمل في أعاليها زبداً، وهو رغوة الماء التي تربو وتطفو علىٰ سطح الماء، فيذهب الزبد غير منتفع به، ويبقىٰ الماء الخالص الصافي ينتفع به الناس للشراب والسقي.

ثم شبهت هيئة نزول الآيات، وما تحتوي عليه من إيقاظ النظر فيها، فينتفع به من دخل الإيمان قلوبهم، علىٰ مقادير قوة إيمانهم وعملهم، ويمر علىٰ قلوب قوم لا يشعرون به، وهم المنكرون المعرضون، ويخالط قلوب قوم فيتأملونه، فيأخذون منه ما يثير لهم شبهات وإلحاداً. كقولهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سبا:٧]، ومنه الأخذ بالمتشابه، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران:٧].

شبه ذلك كله بهيئة نزول الماء، فانحداره علىٰ الجبال والتلال، وسيلانه في الأودية علىٰ اختلاف مقاديرها، ثم ما يدفع من نفسه زبداً لا ينتفع به، ثم لم يلبث الزبد أن ذهب وفني، والماء بقي في الأرض للنفع.

ولما كان المقصود التشبيه بالهيئة كلها، جيء في حكاية ما ترتب علىٰ إنزال الماء بالعطف بفاء التفريع في قوله: (فسالت) وقوله: (فاحتمل)، فهذا تمثيل صالح لتجزئة التشبيهات التي تركب منها، وهو أبلغ التمثيل.

وعلىٰ نحو هذا التمثيل وتفسيره، جاء ما يبينه من التمثيل الذي في قول النبي ﷺ: (مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرىٰ إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً، مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدىٰ الله الذي أرسلت به)[(١)]"[(٢)].

---

(١) رواه البخاري ١/ ٢٧ (٧٩)، ومسلم ٤/ ١٧٨٧ (٢٢٨٢) واللفظ له.

(٢) التحرير والتنوير ١٣/ ١١٦-١١٨.

**ثالثاً**: وأما قول الباحث: "فمن أعلم الرسول الكريم ﷺ منذ أربعة عشر قرناً بهذه الأساليب في مجالي التطهير والتعدين، التي لم يكتشفها العلم الحديث إلا في السنوات الأخيرة" فقد سبق بيان ما في مثل هذا القول من أخطاء في الفصل الخامس من هذا البحث.



**المثل الرابع**: قال الله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠].

**أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:**

ذكر أصحاب الإعجاز العلمي أن ما في الآية من تشبيه تضمن إعجازاً علمياً من وجهين:

**الوجه الأول**: أن الآية ذكرت ظلمات السحاب والموج، والأمواج الداخلية في البحر، قال د. زغلول النجار: "علىٰ الرغم من أن الآية الكريمة جاءت في مقام التشبيه، إلا أنها جاءت في صياغة علمية دقيقة غاية الدقة، ومحكمة غاية الإحكام، شأنها في ذلك شأن كل الآيات القرآنية، ونزلت هذه الآية الكريمة في زمن لم يكن لأحد من الناس إلمام بتلك الحقائق العلمية ولا بطرف منها، وظلت الأجيال جاهلة بها لقرون عدة بعد زمن الوحي، حتىٰ تم الإلمام بشيء منها في مطلع القرن العشرين.

وعلىٰ افتراض أن أحداً من الناس قد أدرك في القديم دور السحب في إحداث شيء من الظلمة علىٰ الأرض، ودور الأمواج السطحية في إحداث شيء من ذلك علىٰ قيعان البحار والمحيطات (وهو افتراض مستبعد جداً)، فإن من أوضح جوانب الإعجاز العلمي (أي: السبق العلمي) في هذه الآية الكريمة، هو تلك الإشارة المبهرة إلىٰ الأمواج الداخلية، وهي أمواج لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة أبداً، ولكن يمكن إدراكها بعدد من القياسات غير المباشرة"[(١)].

---

(١) تفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٢/ ٢٨٣، وانظر: موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ٢/ ٢٩-٣٠، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي ص٢٢٧-٢٢٨، وتوحيد الخالق، عبدالمجيد الزنداني ص٣٤٤.

وقال عبدالمجيد الزنداني: "فتأمل كيف تنص هذه الآية على هـذه الحقيقـة؟! وكيف تؤكد أنها طبقات بعضها فوق بعض؟ فمن أين لمحمد ﷺ علم بعلم البحار الـذي جهلـه البشر أجمعون في عهده إلى قبل ستة وسبعين عاماً؟!"[1].

وأما الإعجاز العلمي في جمع لفظ الظلمات، وإفراد لفظ النور في الآية، وفي جميع آيات القرآن، فيجيب عنه د. محمد رفعت بقوله: "ومن هنا جاء الإعجاز في استعمال لفظ النور بصيغة المفـرد، والظلمـات وردت بصيغة الجمـع: ذكـر الله تعالى النـور بصيغة المفـرد، والظلمات وردت بصيغة الجمع، في كـل آيـات القـرآن الكريم التي ورد فيهـا ذكـر الظلمة والنور، وذلك لأن الظلمات ناتجة عن امتصاص أطياف اللـون، واحـداً تلـو الآخـر، كلـما اتجهنـا لأسـفل في عمـق البحـر، وهكـذا تـرى العين ظلمـات عديـدة، لكـن أطيـاف النـور لا ترى إلا بالخلايا العصوية في شبكة العين (rod cells)، فـترى العين معظـم أطيافه بلـون واحد وهو الأبيض"[2].

وقال د. زغلول النجار عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]: " فجمع الظلمات لتعددها وسيادتها في الكون، وأفرد النور لخصوصيته ومحدوديته في الوجود، وعدم تعدده، وهي حقائق لم تدرك إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وورودها في كتاب الله الذي أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبي أمي ﷺ، وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، لما يجزم بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق"[3]

**الوجه الثاني:** أن الآية أشارت إلى حقيقة كبرى، وهي وجود كائنات حية بحرية، زودها الله تعالى بوسائل إنارة ذاتية في صميم بنائها الجسدي تعرف باسم: (الإنارة الحيوية)، ينير طريقها، وهو ما وصفته الآية في قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠][4]، قال مجدي عبد الشافي عبدالجواد: "إن تتمة هذه الآية الكريمة

---

(١) توحيد الخالق ص٣٤٦.

(٢) مجلة الإعجاز العلمي العـدد ٤٢ محرم ١٤٣٤ ص٥٧، وانظـر: دلائـل الإعجـاز العلمـي في إشـارات التصـميم البيئي في القرآن الكريم، د. يحيى وزيري، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٩.

(٣) تفسير الآيات الكونية ١/ ٢٠٧.

(٤) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي ص٢٢٨، وتفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٢/ ٢٨٤، ومجلة الإعجاز العلمي العدد ٣٨ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ والعـدد ٤٢ محرم ١٤٣٤هـ ص٥٧-٥٨، وأبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص١٧٦.

تقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]، فإذا كانت الآية تتحدث عن ظلمات البحر، وخصوصاً ظلمات البحر اللجي، فان ما سوف يفهمه الإنسان هو الظلام الدامس، إلا أن هناك ربط بين الآية وهذا الشطر بالذات، فطالما أن الآية تتحدث عن الظلمات، فما العلاقة بين الظلمات ثم التحول إلىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠].

إن ما تعنيه الآية هو إشارة لطيفة إلىٰ أسماك الأعماق السحيقة، وحيث ينعدم ضوء الشمس، حيث زود الله هذه المخلوقات بالنور، فلكل جعل الله له شمساً خاصة به، حيث كشف العلم أن البحار والمحيطات العميقة تعج بالكائنات المضيئة التي زودها الله بالنور، وهذا إعجاز علمي آخر"(١).

وقال د. عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي: "فمن أخبر محمداً صلىٰ الله عليه وآله وسلم بهذه الأسرار في أعماق البحار في وقت كانت وسائل البحث العلمي فيه معدومة، والخرافة والأسطورة هي الغالبة علىٰ سكان الأرض في ذلك الزمان، وبخاصة في مجال البحار؟"(٢).

**المناقشة:**

ما سبق ذكره عن أصحاب الإعجاز العلمي اشتمل علىٰ أخطاءٍ عدة منها:

١- أنهم أغفلوا المقصد الذي من أجله ذكر الله تعالىٰ المثل في الآية، فبعضهم يذكره باختصار في أسطر قليلة، وبعضهم لا يذكره مطلقاً، كما فعل د. عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي في كتابيهما الذي أُعد كمنهج دراسي للمرحلة الجامعية: (الإعجاز العلمي في القرآن والسنة)، فقد بينوا ما في الآية من إعجاز علمي في ثلاث عشرة صفحة(٣)، ولم يشيروا من قريب أو بعيد إلىٰ المعنىٰ الذي من أجله ضرب الله هذا المثل وهو: أن أعمال الكفار عملت علىٰ خطأ وفساد، وضلال وحيرة، وعلىٰ غير هدىٰ، وعدم انتفاعهم بها في الآخرة، فهي في ذلك كمثل ظلمات في بحر عميق جداً كثير الماء، وفوق

---

(١) أمواج البحر اللجي، موقع www.nooran.org، ونقلت الهيئة العالمية نص كلامه مؤيدة له في موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ٢/ ٢٨-٢٩.
(٢) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٢٢٨.
(٣) من ص٢١٦- ٢٢٨.

هذا البحر العميق موج عالٍ مخيف، وفوق هذا الموج موج آخر، وفوقهما سحاب متراكم، فاجتمعت عدة ظلمات، وهكذا عمل الكافر ظلمات في ظلمات[١].

وقد صرحت الآيات بهذا المعنى، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٣٩ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٣٩-٤٠][٢].

قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]، وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار، يقول تعالى ذكره: ومثل أعمال هؤلاء الكفار في أنها عملت على خطأ وفساد، وضلالة وحيرة من عمالها فيها، وعلى غير هدى، مثل ظلمات في بحر لجي، ونسب البحر إلى اللجة، وصفاً له بأنه عميق كثير الماء، ولجة البحر: معظمه.

(يغشاه موج) يقول: يغشى البحر موج، (من فوقه موج)، يقول: من فوق الموج موج آخر يغشاه، (من فوقه سحاب)، يقول: من فوق الموج الثاني، الذي يغشى الموج الأول سحاب، فجعل الظلمات مثلاً لأعمالهم، والبحر اللجي مثلا لقلب الكافر.

---

(١) انظر: جامع البيان، ابن جرير ١٧/ ٣٢٩، والبحر المحيط، أبو حيان ٦/ ٤٦١، والكشاف، الزمخشري ٣/ ٦٩، والشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا ١/ ١٣٨٢، وخصائص التعبير القرآني، د. عبدالعظيم المطعني ص٢٢٥-٢٢٦، والأمثال العقدية في القرآن الكريم، روان منذر السيد ص١٥٦-١٥٨، والتشبيهات القرآنية وأثرها في التفسير، أحمد بن سالم الشهري ص٣٥٨-٣٦١، والأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضاده من الشرك، إبراهيم بن عبدالله الجربوع ص٢٩٠-٢٩٢، وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم، د. محمد أحمد ملكاوي ص ١٨٣-١٨٦، والفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبدالكريم الحميد ص٢٠٩-٢١٤.

(٢) وقد تنوعت عبارات المفسرين في تحديد المعنى المضروب له المثلين في الآية، ويمكن حصرها في اتجاهين:
الاتجاه الأول: من يرى أن المثلين ضربا لعمل كل كافر، وأنه يصْدق عليه كلا المثلين باعتبار، وكل منهما يبين جانباً من أعماله. انظر: جامع البيان لابن جرير الطبري ١٧/ ٣٢٥ وما بعدها، ومفاتح الغيب للرازي ٢٤/ ٩، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص١٢، وزاد المسير لابن الجوزي ٣/ ٣٠٠
الاتجاه الثاني: من يرى أن المثلين ضُربا لبيان أعمال نوعَي الكفار، وأن الكفار في الجملة صنفان: أصحاب الجهل والضلال البسيط، وأصحاب الجهل والضلال المركب. انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/ ١٦٩، ٥/ ٣٧٦، ٧/ ٢٨٥، ومجموع الفتاوى ٤/ ٧٥، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص ٩-١٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ص٢٩٦. وللمزيد من تحرير الغرض الذي ضرب له المثلان، انظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٢/ ٤٦٢-٤٧٥.

يقول: عمل بنية قلب قد غمره الجهل، وتغشته الضلالة والحيرة، كما يغشى هذا البحر اللجي موج من فوقه موج من فوقه سحاب، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات، يغشاه الجهل بالله، بأن الله ختم عليه فلا يعقل عن الله، وعلى سمعه فلا يسمع مواعظ الله، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"[١].

وقال الإمام القرطبي ﷺ: "ضرب الله مثلاً آخر للكفار أي: أعمالهم كسراب بقيعة أو كظلمات"[٢]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "ومَثَّل أعمال الكافرين بالظلمة"[٣]، وقال الإمام ابن القيم ﷺ: "ذكر سبحانه للكافر مثلين: مثلاً للسراب، ومثلاً بالظلمات المتراكمة، وذلك لأن المعرضين عن الهدى والحق نوعان:

**أحدهما**: من يظن أنه على شيء فيتبين له عند انكشاف الحقائق خلاف ما كان يظنه، وهذه حال أهل الجهل، وأهل البدع والأهواء، الذين يظنون أنهم على هدى وعلم، فإذا انكشفت الحقائق، تبين لهم أنهم لم يكونوا على شيء، وأن عقائدهم وأعمالهم التي ترتبت عليها كانت كسراب بقيعة، يُرى في عين الناظر ماءً ولا حقيقة له...

**النوع الثاني**: أصحاب مثل الظلمات المتراكمة، وهم الذين عرفوا الحقَّ والهدى، وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال، فتراكمت عليهم ظلمة الطَّبع وظلمة النفوس وظلمة الجهل، حيث لم يعملوا بعلمهم فصاروا جاهلين، وظلمة إتباع الغيّ والهوى، فحالهم كحال من كان في بحر لجي لا ساحل له، وقد غشيه موج، ومن فوق ذلك الموج موج، ومن فوقه سحاب مظلم، فهو في ظلمة البحر، وظلمة الموج، وظلمة السحاب، وهذا نظير ما هو فيه من الظلمات التي لم يخرجه الله منها إلى نور الإيمان"[٤].

٢- أن قول د. زغلول النجار: "ونزلت هذه الآية الكريمة في زمن لم يكن لأحد من الناس إلمام بتلك الحقائق العلمية ولا بطرف منها، وظلت الأجيال جاهلة بها لقرون عدة بعد زمن الوحي حتى تم الإلمام بشيء منها في مطلع القرن العشرين.

وعلى افتراض أن أحداً من الناس قد أدرك في القديم دور السحب في إحداث شيء

(١) جامع البيان ١٧/ ٣٣٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢٨٣.
(٣) مجموع الفتاوى ١٥/ ٢٨٢.
(٤) إعلام الموقعين ٢/ ٢٧٧-٢٧٩.

من الظلمة على الأرض، ودور الأمواج السطحية في إحداث شيء من ذلك على قيعان البحار والمحيطات (وهو افتراض مستبعد جداً)، فإن من أوضح جوانب الإعجاز العلمي (أي: السبق العلمي) في هذه الآية الكريمة هو تلك الإشارة المبهرة إلى الأمواج الداخلية، وهي أمواج لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة أبداً، ولكن يمكن إدراكها بعدد من القياسات غير المباشرة" **يرد عليه عدة منها:**

**أولاً:** نفي العلم عن جميع الناس بوجود أموج فوق أمواج، وهذا النفي لم تذكره الآية، ولم تتحدى الناس بعدم علمهم به، وعدم العلم بالشيء لا يلزم منه عدم الوجود.

**ثانياً:** قوله: "وعلى افتراض أن أحداً من الناس قد أدرك في القديم دور السحب في إحداث شيء من الظلمة على الأرض، ودور الأمواج السطحية في إحداث شيء من ذلك على قيعان البحار والمحيطات، وهو افتراض مستبعد جداً" **هو قول غير صحيح**، وهو نفي لواقع مشاهد ومحسوس، فالناس قديماً وحديثاً يشاهدون السحب، وهي تحدث ظلمة على الأرض إذا غطت أشعة الشمس، وكذلك من ركب البحر يعلم أن قيعان البحار مظلمة، وهم يغوصون فيها لاستخراج الأسماك واللؤلؤ والمرجان وغيرها.

وقد ذكر الله ﷻ في قصة يونس ﷺ ظلمات البحر فقال: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧]، قال المفسرون: (فنادى في الظلمات) أي: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت[١].

**ثالثاً:** أن في كلامه نسبة الجهل إلى الأمة قروناً عدة حتى مطلع القرن العشرين، ويدخل في هذه النسبة من نزل الوحي في زمنهم، الصحابة ﷺ ومن تبعهم من التابعين، والعلماء والمفسرين، وعليه فإن الناس خلال هذه القرون العدة لم يفهموا معنى الآية، ولم يفقهوا المقصد من المثل؛ لأنه لم يكن لهم إلمام بشيء من تلك الحقائق العلمية، فيكون الله ﷻ قد خاطبهم بما لا يعرفونه ولا يدركونه، ولا يشتركون في فهمه، وهذا أمر في غاية الخطورة.

**رابعاً:** أن المفسرين فهموا من الآية ما نفاه أصحاب الإعجاز العلمي من دلالة الآية على تتابع الأمواج، وأن بعضها فوق بعض كما ذكر في الآية، وقد نقل أصحاب الإعجاز

---

(١) انظر: جامع البيان ١٦/ ٣٨٢، وزاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٢١٠، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٣٢٢.

العلمي أنفسهم طرفاً من أقوال المفسرين الدالة على هذا[١]، ولكنهم تجاهلوها حتى يثبتوا السبق العلمي[٢].

وأما الأمواج الداخلية فهي داخلة في دلالة لفظ الآية اللغوي، وفهمها من الآية تفسير وليس إعجاز، وإنما الإعجاز يكون في إثبات صدق النبي ﷺ بأن القرآن من عند الله تعالى، حيث أخبر بوجود ظلمات وأمواج بعضها فوق بعض، والنبي ﷺ لم يعرف بحراً طوال حياته[٣].

٣- ما ذكره د. زغلول النجار ود. محمد رفعت من سر جمع لفظ الظلمات وإفراد لفظ النور في القرآن الكريم، هو خروج بدلالة الألفاظ عن معانيها، وبالآيات عن سياقها، وهو تحريف للمعاني الشرعية التي دلت عليها الآيات، فإن الله تعالى ذكر الظلمات مع النور في اثنا عشر آية وهي:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقوله: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٦]، وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، وقوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢]، وقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦]، وقوله: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾

---

(١) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٣٠٠، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٢/ ٢٨٥، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٦٥.

(٢) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي ص٢١٦-٢١٧.

(٣) انظر: الإسلام أصوله ومبادؤه، د. محمد بن عبد الله السحيم ص ١١٨.

[إبراهيم:١]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم:٥]، وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٣]، وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴾ [فاطر:١٩-٢٠]، وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد:٩]، وقوله: ﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾ [الطلاق:١١].

وكل هذه الآيات ومنها آيات سورة النور موضع البحث، جاءت في سياق بيان نور الحق وظلمات الباطل، ونور التوحيد وظلمات الشرك، ونور الهدى وظلمات الضلال، ونور العلم وظلمات الجهل، وليس في نور العين الباصرة وألوانها.

٤- قولهم: أن قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠] فيه إشارة إلى حقيقة كبرى، وهي وجود كائنات حية بحرية زودها الله تعالى بوسائل إنارة ذاتية في صميم بنائها الجسدي تعرف باسم: (الإنارة الحيوية)، ينير طريقها، **يرد عليه عدة أمور منها:**

**الأمر الأول:** أن النور في الآية هو نور البصائر لا نور الأبصار، وذلك أن ضرب المثل بالظلمات والسراب في آيات سورة النور، جاء في سياق المثل الذي ضربه الله لنوره في قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ...﴾ [النور:٣٥]، حيث بين سبحانه بهذا المثل نوره الذي يجعله في قلب عبده المؤمن، وأثر ذلك النور في استنارة القلب وبصيرته في كل وظائفه وخاصة تعقله، مما يجعل المؤمن بسبب ذلك يمشي في الناس على بصيرة من أمره، كما قال ﷻ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٢]، ثم أتبع ذلك ﷻ بذكر أثر النور على أعمالهم، حيث رأوا به محاسن الأعمال فلازموها، ولم يشتغلوا عنها بما دونها، وكيف أن الله قبل أعمالهم التي دلهم عليها نور العلم، ودلهم على أسباب صلاحها وصحتها، وأثابهم عليها أحسن الثواب، حيث قال تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ

ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور:٣٦-٣٨].

وبعد ذلك بين ما يضاد ذلك ويقابله، من حال الكفار الذين لم يجعل الله لهم نوراً؛ لأنهم لا يستحقونه، لعدم مجيئهم بسببه - وهو الإنابة والاهتداء، وما نتج عن ذلك من ضلال أعمالهم وظلمتها، وعدم انتفاعهم بها في الآخرة.

وضرب لذلك مثلين: في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور:٣٩-٤٠] فذكر سبحانه في هذين المثلين ما يخص الكافرين في مقابل ما ذكر في المثل الأول مما يخص المؤمنين، (وبضدها تتبين الأشياء)(١).

قال ابن الوزير(٢) ﷺ: "وأما أن هذا النور هو نور البصائر لا نور الأبصار فيدل عليه في هذه الآيات أمران:

**أحدهما**: قوله تعالىٰ في هذه الآية: (يهدي الله لنوره من يشاء)...

**وثانيهما**: مقابلته لذلك بتشبيه أعمال الكفار بالظلمات المترادفة، ومقابلته لقوله: (نور علىٰ نور) في حق المؤمنين بقوله: (ظلمات بعضها فوق بعض) في حق الكافرين، ومقابلته لقوله تعالىٰ: (يهدي الله لنوره من يشاء) في حق المؤمنين بقوله: (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) في حق الكافرين.

ويدل علىٰ ذلك أيضا في هذه الآيات قوله تعالىٰ: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ... ﴾ [النور: ٣٦]، فان فيها بيان أن هذا النور هو نور الهداية، والأعمال الصالحة، التي محلها في هذه البيوت الشريفة علىٰ الخصوص، وليس بنور الكواكب والأبصار، التي هي تعم كل محل شريف وخسيس، وكل مبصر مؤمن وكافر.

---

(١) انظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٢/ ٤٥١ وما بعدها.

(٢) هو: محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضىٰ بن المفضل الحسني القاسمي، من آل الوزير، من أعيان اليمن، ولد في هجرة الظهران عام ٧٧٥هـ وتعلم بصنعاء وصعدة ومكة، توفي بصنعاء عام ٨٤٠ هـ. انظر: البدر الطالع، الشوكاني ٢/ ٨١، والأعلام، الزركلي ٥/ ٣٠٠.

ويدل على ذلك من الكتاب والسنة المنفصلة عن هذه الآيات ما لا يكاد يحصى، مثل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ...﴾ [الأحزاب:٤٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ...﴾ [الأنعام:٩١]، وقال في حق محمد ﷺ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧]"[١].

**الأمر الثاني:** أن الآية لم يرد فيها تصريح أو إشارة لكائنات حية أو أسماك بحرية، وقد ختمت بما يدل على أن المخاطب بها هو الإنسان الذي يعقل فقال تعالى: (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) (ومن) تدل على العاقل، وقال: (له) ولم يقل:( لها).

**الأمر الثالث:** أن المفسرين اتفقت كلمتهم أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]: أن من لم يرزقه الله إيماناً وهدى من الضلالة ومعرفة بكتابه، فما له من إيمان وهدى ومعرفة بكتابه[٢].



**المثل الخامس:** قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٤١].

### أقوال أصحاب الإعجاز العلمي في الآية:

حمل بعض المشتغلين بالإعجاز العلمي (الوهن) في بيت العنكبوت بالتفكك الأسري، الذي يصيب العلاقات الأسرية والاجتماعية؛ فالأنثى تأكل الذكر بعد التلقيح، والصغار تأكل بعضها بعضاً وهكذا، فبيت أنثى العنكبوت الأسري متداع وضعيف جداً، وأما الوهن المادي الظاهري للبيت فليس هو المقصود.

(١) إيثار الحق على الخلق ص ١٦٧-١٦٨.

(٢) انظر: جامع البيان، ابن جرير ١٧/ ٣٣٢، وزاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٣٠٠، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٢/ ٢٨٥، ومعالم التنزيل، البغوي ٣/ ٤٢١، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٦٤، والكشاف، الزمخشري ٣/ ٢٤٤، ومفاتيح الغيب، الرازي ٢٤/ ٤٠١.

وممن ذهب إلى هذا: د. مصطفى محمود[١]، ود. زغلول النجار[٢]، ود. مختار المهدي[٣]، ود. خالد فائق العبيدي، وغيرهم.

وقد استدلوا بأدلة، سأذكر أبرزها، واتبع كل دليل بمناقشته، ثم أبين المقصد الذي من أجله ضرب الله المثل ببيت العنكبوت:

**الدليل الأول:** أن الآية وصفت بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت، ولم تصف الخيط أو النسيج بأنه أوهن البيوت، وقد كشف العلم الحديث أن خيط بيت العنكبوت أقوى وأمتن من مثله من الحديد الصلب بضعفين أو أكثر[٤]، وهو يحمل أوزاناً أكبر منه بعشرات المرات[٥]، مما يعني أن البيت الخارجي للعنكبوت من الإحكام والقوة بمكان.

**والجواب عن هذا الدليل من وجهين:**

**الوجه الأول:** أن في قولهم تجهيل للمخاطبين عموماً، وللسلف خصوصاً بعدم فهم الآية، وعدم إدراك المقصد من المثل الذي ضربه الله تعالى؛ لأنهم لم يعلموا سبب وهن بيت العنكبوت، ولم يكن معروفاً لديهم.

**الوجه الثاني:** قولهم: "خيط بيت العنكبوت أقوى وأمتن من مثله من الحديد الصلب" يخالف الواقع المشاهد المحسوس، فيمكن أن يتأكد الإنسان بنفسه من خيوط العنكبوت وضعفها، وذلك من خلال النفخ عليها أو تفتيتها بيده، وقد نص المفسرون كما سبق على وهن خيوط بيت العنكبوت.

**الدليل الثاني:** قالوا: أن هناك سراً بيولوجياً كشف العلم عنه، وهو أن بيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة البيت، بما يلزم البيت من أمان وسكينة وطمأنينة، فالعنكبوت الأنثى هي التي تبني البيت، وتغزل خيوطه، وهي الحاكمة عليه، وهي تقتل ذكرها بعد أن يلقحها وتأكله، والأبناء يأكل بعضهم بعضاً، ولهذا يعمد الذكر إلى الفرار بجلده، وتغزل

---

(١) انظر: القرآن محاولة لفهم عصري ص٢١١.
(٢) انظر: تفسير الآيات الكونية ٢/ ٤١٧-٤١٨.
(٣) انظر: آيات ربانية ص١٥١-١٥٢.
(٤) انظر: القرآن محاولة لفهم عصري، د.مصطفى محمود ص ٢١١.
(٥) انظر: مجلة آيات، العدد (٧) عام ١٤٢٥هـ ص ٢٦، وعلوم الهندسة المدنية في القرآن والسنة، د. خالد العبيدي ص٢٢٩.

الأنثىٰ العنكبوت بيتها؛ ليكون فخاً وكميناً ومقتلاً لكل حشرة، وكل من يدخل البيت من زوار وضيوف يُقتل، أي: أنه ليس بيتاً بل مذبحة، وأنه أوهن البيوت لمن يحاول أن يتخذ منه ملجأ"[1].

**والجواب عن هذا الدليل من وجهين:**

**الوجه الأول:** أن ما ذكروه من علاقة العنكبوت الأنثىٰ مع أفراد بيتها هو من عجائب خلق الله تعالىٰ، ولكن هذا يجب أن لا يصرفنا عن التفكير في مدلول الآية، فالآية دلت علىٰ وهن بيت العنكبوت، وهو وهن ظاهر بين لا يحتاج إلىٰ استدلال ولا إلىٰ مكتشفات[2].

وأما الادعاء بأن الوهن المقصود في الآية وهن داخلي، ففيه صرفٌ للمثل القرآني عن ظاهره، وحمل له علىٰ معنىٰ خفي لم يدرك إلا في الأزمنة المتأخرة، وهذا يخالف المقصود من ضرب الأمثال وهو البيان والإيضاح[3]، فالآية تشتمل علىٰ تشبيه تمثيلي رائع، فيه تشبيه صورة المشرك الذي يلجأ إلىٰ معبوده (الصنم) بقصد جلب النفع له، أو دفع الضرر عنه، ثم لا يجد أي نفع، ولا أي خير، بصورة العنكبوت التي تتعرض للخطر الداهم، فتقفز إلىٰ بيتها أيضاً بقصد دفع الأذىٰ والضرر عنها، وهذا البيت لا يدفع عنها أي ضرر..

هذه الصورة البلاغية الرائعة التي يريدها القرآن الكريم تضيع إذا حملنا الوهن علىٰ أنه داخلي ينتشر بين أفراد البيت والأسرة[4].

قال الزمخشري ﷺ: "الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلاً ومعتمداً في دينهم وتولوه من دون الله، بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوّة، وهو نسج العنكبوت"[5]

---

(١) انظر: القرآن محاولة لفهم عصري، د. مصطفىٰ محمود ص٢١١-٢١٢، ومجلة آيات، العدد ٧ عام ١٤٢٥هـ ص ٢٦ – ٢٧، وعلوم الهندسة المدنية في القرآن والسنة، د. خالد العبيدي ص٢٢٩.

(٢) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي٢/ ٦٣٢.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٢/ ١١٩، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٢/ ٢٨٣، والكشاف، الزمخشري ١/ ٣٧-٣٨، ومن بلاغة القرآن، د.أحمد بدوي ص١٤٥، والأمثال في القرآن، محمود الشريف ص٩٩- ١٠٤.

(٤) انظر: القرآن وقضايا الإنسان، د.بنت الشاطئ ص٣٥٩-٣٦٠، ونقد التفسير العلمي المعاصر للقرآن الكريم، أحمد محمد الفاضل ص ٣٠.

(٥) الكشاف ٣/ ٤٥٤.

**الوجــه الثــاني:** أن مــا ذكــروه مخــالف للحقــائق العلميــة، وللواقــع المشــاهد والمحسوس، فالتي تأكل زوجها من العناكب هي نوع يسمى الأرملة السوداء، وهو نوع واحد من أنواع كثيرة، والعناكب أصلاً يأكل بعضها بعضاً.

قال د. عبدالله الشاوي: "أما بالنسبة لأكل أنثى العنكبوت للذكر بعد عملية التزاوج فإنه أمر مبالغ فيه إلى حد كبير، ولا يجب يؤخذ على أنه القاعدة في تعامل الإناث مع الذكور بعد التزاوج، إنما هو الحالة الشاذة، يقول فولكس[1] عن ذلك: (إن الأمر المتعارف عليه من أن ذكور العنكبوت تؤكل من قبل الأناثي أثناء وبعد التزاوج هو أمر غير صحيح، ولكن في بضعة أنواع من العناكب، في غالبية الحالات يغادر الذكر منطقة الأنثى بشكل عادي أو أنه يهرب مسرعاً بعد عملية التزاوج)"[2].

**الدليل الثالث:** أنّ الآية ختمت بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ فليس هناك من يجهل أن بيت العنكبوت واهٍ جداً، فلا بد إذن أن الذي جهلوه هو هذا التفكك الداخلي بين أفراد الأسرة، قال د. مصطفى محمود: "فلماذا يقول القرآن: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾، ولماذا يختم بكلمة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾؟"[3]، وقال د.خالد فائق العبيدي: "ثمَّ إن الآية خُتمت بالقول: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]؛ أي: أنهم لا يعلمون هذا، وسيعلمونه مستقبلاً بعد تقدم العلم التطبيقي والتجريبي"[4].

وقال د. زغلول النجار: "في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ هذه الحقائق لم تكن معروفة لأحد من الخلق في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده، حيث لم تكتشف إلا بعد دراسات مكثفة في علم سلوك حيوان العنكبوت، استغرقت مئات من العلماء لعشرات من السنين حتى تبلورت في العقود المتأخرة من القرن العشرين، ولذلك ختم ربنا ﷻ الآية الكريمة بقوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾"[5]

وقال د.صبري الدامرداش: **"كل ما كان يعرفه الناس أيام التنزيل غير صحيح**

---

(١) في كتابه: biology of spiders. P176

(٢) العنكبوت وخيوطها في القرآن الكريم ص٩٣، ١٤١٤-١٤٢.

(٣) انظر: القرآن محاولة لفهم عصري، د.مصطفى محمود ص٢١٢.

(٤) مجلة آيات، العدد (٧) عام ١٤٢٥هـ ص ٢٦ – ٢٧، وانظر: علوم الهندسة المدنية في القرآن والسنة، د. خالد العبيدي ص٢٢٩.

(٥) تفسير الآيات الكونية ٢/ ٤١٨.

بدليل: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿لَوْ﴾ حرف امتناع الشرط لامتناع الجواب، **مما يؤكد أن الذي كانوا يعلمونه غلط حتى منتصف القرن العشرين، ما كنا عارفين تفسير الآية الصحيح، كلنا كنا نفسرها خطأ**، وبدأنا نفسرها صح لما انتبهنا لعجز الآية: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾؛ لأنه لوكان فعلاً التفسير القديم هو صحيح لقال ربنا: (كما أنتم تعلمون)، أي أنتم الذي تعلمونه صح، أما ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي أنتم لا تعلمون حقيقته"[١].

**والجواب عن هذا الدليل:**

بأن ما فهموه من قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ غير صحيح؛ لأن قوله : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ليس قيداً لقوله: ﴿أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾؛ لأنّه من الواضح لكلّ أحد أنّ بيت العنكبوت في غاية الوهن، وانّما هو من متمّمات قوله: ﴿اتَّخَذُوا﴾ أي لو علموا أنّ عبادة الآلهة كاتخاذ العنكبوت بيتاً سخيفاً، ربما أعرضوا عنها.

قال محمود بن حمزة الكرماني[٢] رحمه الله: "المحققون: على أن التقدير، مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت، ليست إنهم لا يعلمون أن بيت العنكبوت ضعيف"[٣].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فإن قيل: فهم يعلمون أن أوهن البيوت بيت العنكبوت، فكيف نفى عنهم علم ذلك بقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

فالجواب: أنه سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت، وإنما نفى عنهم علمهم بأن اتخاذهم أولياء من دونه، كالعنكبوت اتخذت بيتاً، فلو علموا ذلك لما فعلوه، ولكن ظنوا أن اتخاذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزاً وقدرة، فكان الأمر بخلاف ما ظنوه"[٤].

---

(١) نقل بألفاظه من لقاء في اليوتيوب بعنوان: الإعجاز العلمي في العنكبوت والبعوض "الجزء الأول"
www.youtube.com/watch?v=w7LKHh9FOH8

(٢) هو: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، عالم بالقراءات، توفي عام ٥٠٥ هـ انظر: بغية الوعاة، السيوطي ٢/ ٢٧٧، وطبقات المفسرين، الداوودي ٢/ ٣١٢.

(٣) غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢/ ٨٨٣، وانظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٤/ ١٦٩.

(٤) إعلام الموقعين ٢/ ٢٧٦.

وقال الطاهر ابن عاشور ﷺ: "وجملة: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ متصلة بجملة: ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ﴾ لا بجملة: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾، فتقدير جواب ﴿لَوْ﴾ هكذا: لوكانوا يعلمون أن ذلك مثلهم، أي: ولكنهم لا يعلمون انعدام غناء ما اتخذوه عنهم، وأما أوهنية بيت العنكبوت فلا يجهلها أحد"(١).

وقال أحمد محمد الفاضل: "الاستدلال بقوله ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ على أنّ الذين كانوا لا يعلمونه من قبل، هو هذا الذي عرفه العلم الطبيعي اليوم من التفكك الأسري؛ هو من البعد بمكان؛ لأنه تعالى جهّل المشركين لمّا لم يعملوا بما علموا، فقد علموا أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر؛ لكن الاستكبار وتقليد الآباء والأجداد حملهم على مخالفة ما علموه.

وهذا أسلوب قرآني شائع معروف، فقد وصف الله تعالى المنافقين بقوله: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٨]، وغير ذلك من الآيات؛ وهم على الحقيقة ليسوا صماً، ولا بكماً، ولكن لمّا لم يستفيدوا من حواسهم هذه جعلها بمنزلة المعدومة والمعطلة، وكذلك الشأن في هذه الآيات التي بين أيدينا"(٢).

**الدليل الرابع:** أن العلم كشف مؤخراً أن أنثى العنكبوت هي التي تنسج البيت وليس الذكر، وهي حقيقة بيولوجية لم تكن معلومة أيام نزول القرآن، وإذا ما لاحظنا الآية الكريمة: ﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت:٤١]، وتاء التأنيث الساكنة دلالة على الأنثوية؛ أي: هي المسؤولة عن اتخاذ البيت، وإدارة شؤونه(٣).

**والجواب عن هذا الدليل من ثلاثة أوجه:**

**الوجه الأول:** أن كون الأنثى هي التي تنسج البيت وليس الذكر، قد سبق إلى ذكره أبو عثمان الجاحظ(٤) قبل أن يعرفها العلم، حيث قال: "وإنما تنسج الأنثى، فأما الذكر فإنه

---

(١) التحرير والتنوير ٢١/ ٢٥٣.
(٢) نقد التفسير العلمي المعاصر للقرآن الكريم ص ٣١-٣٣.
(٣) انظر: مجلة آيات، العدد ٧ عام ١٤٢٥هـ ص ٢٦ – ٢٧، وعلوم الهندسة المدنية في القرآن والسنة، د. خالد العبيدي ص٢٩، والإعجاز العلمي في الإسلام، محمد كامل عبد الصمد ص١٦٨.
(٤) هو: عمرو بن بحر بن محبوب الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، من أئمة الأدب، توفي في البصرة عام ٢٥٥ هـ انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ١١/ ٥٢٦، والبداية والنهاية، ابن كثير ١٤/ ٥١٤.

ينقض ويفسد"[١]، وقال في موضع آخر: "وإناث العناكب هي العوامل: تغزل وتنسج، والذّكر أخرق ينقض ولا ينسج"[٢] وهذا يبطل قولهم بالسبق العلمي.

**الوجه الثاني:** أن قولهم: تاء التأنيث الساكنة في قوله تعالىٰ: (اتخذت) دلالة علىٰ الأنثوية: "لا يستقيم من جهة اللغة؛ لأنّ الزعم بأن العنكبوت هنا هي الأنثىٰ خطأ ظاهر تأباه اللغة؛ لأن العنكبوت لا تنعت بأي من الوصفين الذكورة والأنوثة كالنملة، والنحل، والدود، وهذه سنة العرب في مثل هذه الكلمات، فلم يقولوا في الواحد منها إلا نملة، ونحلة، ودودة، وهو تأنيث لغوي لا علاقة له بالتأنيث البيولوجي، كما توهم الطبيب مصطفىٰ محمود، والنحلة أو العنكبوت قد تكون ذكراً كما قد تكون أنثىٰ"[٣].

**الوجه الثالث:** أن كون الأنثىٰ هي التي تنسج البيت، وهي المسؤولة عن إدراته، لا يلزم منه أن الوهن متعلق بإدراتها للبيت، بل هو متعلق بضعف بيتها الذي لا يدفع عنها الأذىٰ، وهو الذي نص عليه كل من فسر الآية.

**المقصد الذي من أجله ضرب الله المثل ببيت العنكبوت:**

الآية سيقت للدلالة علىٰ ضعف الكفار في اتخاذهم أولياء من دون الله تعالىٰ، وأنهم كمثل العنكبوت الذي يعتمد علىٰ بيته الذي لا يقف أمام قشةٍ ولا هبة ريح[٤]، ولذا قال الله تعالىٰ بعد المثل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٢-٤٣]، فالآية فيها بيان لفساد الشرك، وإظهار عجز آلهة المشركين، حيث شبه حال المشركين في اتخاذهم آلهة لا تضرهم، وضعيفة هزيلة لا تحميهم ولا تنفعهم، باتخاذ العنكبوت لذلك البيت الواهن المتناهي الضعف[٥]، وإلىٰ هذا المعنىٰ ذهب المفسرون من علماء السلف قديماً وحديثاً.

---

(١) الحيوان ٥/ ٢٩٠.

(٢) المرجع السابق ٥/ ٢٩٢.

(٣) انظر: القرآن وقضايا الإنسان، د.بنت الشاطئ ص٣٥٩-٣٦٠، ولسان العرب، ابن منظور ١/ ٦٣٢، وتهذيب اللغة، الأزهري ٣/ ١٩٨، وتاج العروس، الزبيدي ٣/ ٤٤٦.

(٤) انظر: الإعجاز العلمي إلىٰ أين، د. مساعد الطيار ص٧٩.

(٥) انظر: التشبيهات القرآنية وأثرها في التفسير، أحمد بن سالم الشهري ص٤٦٢- ٤٦٥، والأمثال في القرآن الكريم، د.محمد جابر الفياض ص ٢٥٩-٢٦٠.

قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "يقول تعالىٰ ذكره: مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء، يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ في ضعفها، وقلة احتيالها لنفسها، ﴿ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها، كيما يُكِنهَا، فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله، وحلّ بهم سخطه؛ أولياؤُهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئًا، ولم يدفعوا عنهم ما أحلّ الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، ذكرُ من قال ذلك:

– عن ابن عباس، قوله: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا...) إلىٰ آخر الآية، قال: ذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره، إن مثله كمثل بيت العنكبوت.

– عن قتادة...قال: هذا مثل ضربه الله للمشرك، مثل إلهه الذي يدعوه من دون الله، كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه.

– قال ابن زيد...: هذا مثل ضربه الله، لا يغني أولياؤهم عنهم شيئاً، كما لا يغني العنكبوت بيتها هذا.

وقوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾ يقول: إن أضعف البيوت ﴿لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء، يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله في قلة غنائهم عنهم، كغناء بيت العنكبوت عنها، لكنهم يجهلون ذلك، فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقرّبونهم إلىٰ الله زلفىٰ"[1].

وقال الإمام ابن كثيرﷺ: "هذا مثل ضربه الله تعالىٰ للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئًا، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء،

---

(١) جامع البيان ١٨/ ٤٠٥.

وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، وهو مع ذلك يحسن العمل في إتباع الشرع، فإنه مستمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها، لقوتها وثباتها"(١).

وقال الإمام ابن القيم في بيان المثل المضروب في الآية: "فذكر سبحانه أنهم ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياءهم أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتًا، وهو أوهن البيوت وأضعفها؛ وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٌ مُّحۡضَرُونَ﴾ [يس: ٧٤-٧٥]، وقال بعد أن ذكر إهلاك الأمم المشركين: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾ [هود:١٠١].

فهذه أربعة مواضع في القرآن تدل علىٰ أن من اتخذ من دون الله وليًا يتعزز به، ويتكبر به، ويستنصر به، لم يحصل له به إلا ضد مقصوده، وفي القرآن أكثر من ذلك، وهذا من أحسن الأمثال وأدلها علىٰ بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصوله علىٰ ضد مقصوده"(٢).



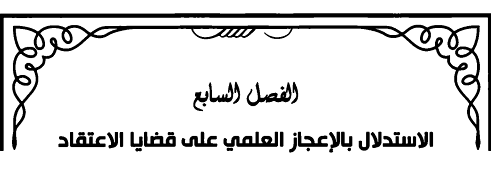


# الفصل السابع

## الاستدلال بالإعجاز العلمي على قضايا الاعتقاد ضوابطه وآثاره

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: ضوابط الاستدلال بالإعجاز العلمي على قضايا الاعتقاد.
- المبحث الثاني: آثار الاستدلال بالإعجاز العلمي على قضايا الاعتقاد.



# الفصل السابع

## الاستدلال بالإعجاز العلمي على قضايا الاعتقاد

## ضوابطـه وآثـاره

## تمهيد

لقد أبان الله ﷻ الحق، وأوضحه في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، وجعل الميزان عند الاختلاف الرجوع إليهما، والاحتكام إلى ما فيهما، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى:١٠]

و"لقد كان المسلمون حتى وفاة الرسول ﷺ، وصدر من عصر الصحابة – رضوان الله عليهم – على منهاج واحد، وسبيل متحد في الاعتقادات والأحكام...دينهم الذي يعتمدون: الكتاب والسنة؛ عنهما يصدرون، وإليهما يتحاكمون، وبهما يحتجون، لم يعرضوا عن نصوص الوحي، ولا عارضوها، ولم يعطلوا أحكامه ولا حرفوها، ولا يقبلون من أحد – وإن علت في النفوس منزلته – مقالة في الدين حتى تكون موافقة للكتاب والسنة غير مخالفة لهما"[١].

وأصحاب الإعجاز العلمي يسعون إلى تقرير قضايا كبرى من قضايا العقيدة، كإثبات الربوبية والألوهية والنبوة وغيرها من خلال تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، وحتى يتحقق المقصود من ذلك، كان لابد من ضوابط للتعامل مع آيات القرآن الكريم لإثبات هذه القضايا.

---

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، د. عثمان بن علي حسن ١/ ٥.

وسأبين بعضاً من تلك الضوابط، مع بيان آثار الالتزام بها أو الإخلال بها، وذلك من خلال مبحثين:

- المبحث الأول: ضوابط الاستدلال بالإعجاز العلمي على قضايا الاعتقاد.
- المبحث الثاني: آثار الاستدلال بالإعجاز العلمي على قضايا الاعتقاد.





# المبحث الأول

## ضوابط الاستدلال بالإعجاز العلمي على قضايا الاعتقاد

يسعىٰ الإعجاز العلمي إلىٰ تقرير قضايا كبرىٰ من قضايا العقيدة، كإثبات الربوبية والألوهية والنبوة وغيرها من خلال تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، وحتىٰ يتحقق المقصود من ذلك، كان لابد من ضوابط للتعامل مع آيات القرآن الكريم لإثبات هذه القضايا.

وقد كتب أصحاب الإعجاز العلمي وغيرهم في بيان تلك الضوابط، وتعددت أقوالهم في ذلك، وحيث إن البحث مقتصر علىٰ الجانب العقدي، فسأذكر من الضوابط العقدية ما يصحح طريقة الاستدلال بالإعجاز العلمي علىٰ قضايا الاعتقاد، وهذه الضوابط تنقسم إلىٰ قسمين: ضوابط عامة، وضوابط خاصة.

**فأما الضوابط العامة**: فهي تشمل الضوابط التي ينبغي أن يلتزم بها من يتصدر لتفسير آيات القرآن الكريم[1]؛ لأن إثبات وجه الإعجاز اجتهاد من المشتغل به، فيجب أن يلتزم بما وضعه العلماء من شروط لتفسير القرآن الكريم، والتي يمكن إجمالها في ثلاثة شروط[2]:

---

(١) وقد سبق في أول البحث الإشارة إلىٰ هذه القواعد.

(٢) للتوسع في معرفة هذه الشروط ينظر: مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة كتاب المباني، ومقدمة تفسير ابن عطية) اعتنىٰ بها: أرثر جفري ص١٧٤، ومقدمة جامع التفاسير، الأصفهاني ص٩٣، والإكسير في علم التفسير، نجم الدين الطوفي ص٥٤، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٦/ ٢٢٧، ومباحث في علوم القرآن، د. مناع القطان ص٣٢٩، ودراسات في علوم القرآن الكريم، د. فهد الرومي ص١٦٦، وتفسير القرآن الكريم، د. علي العبيد ص١٤٣، والمفسر شروطه وآدابه، أحمد قشيري، وعلم أصول التفسير محاولة في البناء، عمر بن حماد ص١٩٥، وقواعد التفسير، د. خالد بن عثمان السبت، والإعجاز العلمي إلىٰ أين؟ ، د. مساعد بن سليمان الطيار.

**أولاً: الشروط العلمية.**

ويعبر عنها بعض أهل العلم بـ (العلوم التي يحتاجها المفسر) أو (الآلات التي يحتاج إليها المفسر)، وقد اختلف في عددها، ودرجة إحاطة المفسر بها، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١- علوم القرآن الكريم، ومنها علم القراءات، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، وأسباب النزول وغيرها.

٢- علم الحديث، رواية ودراية.

٣- علم العقيدة.

٤- علوم اللغة العربية.

٥- علم الفقه وأصوله.

**ثانياً: الشروط العقلية.**

والمراد بذلك أن يكون عنده قدرة ذهنية يستعين بها على الفهم الدقيق، واستنباط المعاني، والترجيح بين الأقوال، والاستدلال الصحيح.

قال أبو عمرو المازني[(١)] ﷺ مبيناً صفات المفسر: "... أن يكون جيد القريحة، ذكي الفهم، قوي الفكرة، فإن البليد قد يتقاعد عن فهم ما يبين له، فكيف يستنبط ما لم يبين له"[(٢)].

**ثالثاً: الشروط الشرعية والأخلاقية.**

وخلاصتها ما يلي:

١- إخلاص النية لله ﷻ.

٢- صحة الاعتقاد ولزوم السنة.

٣- التجرد عن الهوى.

٤- تقوى الله ﷻ[(٣)].

---

(١) هو: زَبَّان بن عمَّار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء، من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة، ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، وتوفي بالكوفة عام ١٥٤هـ. انظر: طبقات النحويين واللغويين، الإشبيلي ص٣٥، ومعرفة القراء الكبار، الذهبي ص ٥٨، وغاية النهاية في طبقة القراء، ابن الجزري ١/ ٢٨٨.

(٢) مقدمة المباني ص١٧٤، ضمن كتاب: مقدمتان في علوم القرآن.

(٣) انظر: تعظيم القول في التفسير وأثره في دفع القراءات المنحرفة المعاصرة للقرآن، د. إبراهيم بن صالح الحميضي، مجلة تبيان للدراسات القرآنية، العدد (١٢) ١٤٣٤هـ ص٤٣-٤٤.

وإن الناظر في نتاج كثير من أصحاب الإعجاز العلمي يجد الإخلال بهذه الشروط، فضلاً عن توفر بعضها فيهم، ومع ذلك يرون أن عندهم من الأهلية بالعلم التجريبي ما يدعوهم لتفسير آيات القرآن الكريم.

قال د. فهد بن عبدالرحمن الرومي: "وليس كل مفكر يستطيع تفسير القرآن، فمن لم يكن عظيم المعرفة بنصوص القرآن والسنة، عالماً باللغة العربية: نحواً، وبلاغة، وفقهاً، عالماً بطريقة استنباط المعاني والأحكام، فإنه على خطر شديد إذا أقدم على تفسيره؛ لهذا يجب أن يتحاشاه من ليس من أهله، كما يتحاشى المهندس أن يكون طبيباً، والطبيب أن يكون مهندساً، حتى لا يقع كل منهما في خطأ لا يمكن تلافيه"(١)

وقال د. محمد بن عبدالرحمن الجهني: "إلا أنه ينبغي التنبه إلى أن الاندفاع إلى مقارنة نصوص القرآن بما ثبت من الحقائق العلمية، من غير احتراز وانضباط، والتزام بقواعد استنباط المعاني من النصوص، يوقع في تجاوزات تؤدي إلى عكس المقصود، فترفع هيبة النص وجلالته، وتدفع إلى امتهانه، بالجرأة على التلاعب بمعانيه من قبل المستدلين به، المحتجين له، وإن لم يقصدوا التلاعب، وبالاستهزاء به من قبل المحتج عليهم، ولذا فهذا باب لا يجوز فتحه إلا بحذر وعلى قدر"(٢)

وسأكتفي بذكر أمرين أخلا بهما أصحاب الإعجاز العلمي وهما:

**١- عدم التزامهم في فهم ألفاظ القرآن لغة المخاطبين بها عند نزول الوحي، ووفق دلالات ألفاظ وقواعد تلك اللغة وأساليب التعبير فيها.**

فالقرآن قد أنزل بلسان عربي مبين، فلا يُخرج باللفظ عن حقيقته، ودلالاته التي دل عليها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "ولا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني؛ فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب؛ فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك ويجعلون هذه الدلالة حقيقة، وهذه مجازاً"(٣)

وقال الإمام الشاطبي ﷺ:"لا بد في فهم الشريعة من إتباع معهود الأميين، وهم

---

(١) اتجاهات التفسير في العصر الحديث ص٢٦٠

(٢) التنبيه الجلي للمشتغل في إعجاز القرآن العلمي ص٩-١٠

(٣) مجموع الفتاوى ٧/ ١١٤-١١٧، وانظر: أسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص٩٨٢- ٩٩٥

العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف، فلا يصح أن يجرىٰ في فهمها علىٰ ما لا تعرفه، وهذا جار في المعاني والألفاظ والأساليب"(١).

**٢- عدم مراعاة التخصص الدقيق عند الكلام في مسائل الإعجاز العلمي.**

وقد صرح أصحاب الإعجاز العلمي بهذا الضابط، لكنهم يقعون في مخالفته، قال د. زغلول النجار في بيان ضوابط التعامل مع الإعجاز العلمي: "احترام التخصص العلمي، حتىٰ لا يخوض في هذه القضية التخصصية كل خائض، ولا يخوض متخصص في فرع من فروع العلم لإثبات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في كافة التخصصات الخارجة عن مجاله، فقد انتهىٰ زمن العلماء الموسوعيين، وأصبح مستحيلاً علىٰ فرد واحد أن يخوض في قضية الإعجاز من علم الأجنة إلىٰ علوم الفلك"(٢).

ومن يطالع كتب د. زغلول النجار يجد مخالفته لهذا الضابط، فهو يخوض في كل قضية من قضايا الإعجاز العلمي؛ في الفلك والأجنة، والبحار والنبات، والأرض والسماء وغيرها.

وقد صرح غيره أن حصيلة معارفه في علم الفلك مثلاً، هي مجرد هواية القراءة، قال د. سليمان الطراونة: "والدارس هنا(٣) غير متخصص في الفلك والفيزياء والجيولوجيا وغيرها من العلوم الكونية، لكن هوايته القراءة فيها منذ أيام المدرسة والجامعة وحتىٰ الآن، وما زال هواه معاودة النظر في الآيات القرآنية المتصلة بالكون؛ لأنه رآها وما زال يراها كوىٰ من نور للوصول إلىٰ جوهر الزهور، التي تتفتح علىٰ أغصان شجرة الكون علىٰ مدىٰ الدهور"(٤).

---

(١) الموافقات ٢/ ١٣١، وانظر: علوم القرآن عند الإمام الشاطبي، د. مساعد الطيار ص٣٧٨، وصور من إعجاز القرآن الكريم، د. محمد العاصي ص١٥٣، ١٥٤، والإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث، د. مروان وحيد ص١٦٢، والتجديد في التفسير، د. عثمان عبدالرحيم ص٧٧، ومحاضرات في الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي ٣/ ٤٨-٥١، وضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنة والجماعة، د. سعود العتيبي، وتفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي العبيد ص٧٧-٩١، ومنهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، د. عثمان حسن ٢/ ٤٣٧-٤٦٧، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان، د. أحمد أبو حجر ص٣٥٣،٢١٠، والضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة، د. راشد شهوان ص١٤٣.

(٢) مقال: الإعجاز العلمي لغة الدعوة في عصر العلم، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي: www.eajaz.org

(٣) يقصد نفسه.

(٤) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص١٦.

وينبغي أن يعلم أن الهواية شيء، والتخصص في العلوم شيء آخر، قال د. مرهف عبدالجبار سقا: "الاختصاص العلمي للمؤلف والكاتب، إذ وجدت أن جُلّ الكاتبين في الإعجاز العلمي هم من غير المتخصصين بالتفسير وعلوم القرآن، أو علوم الشريعة الإسلامية، فهم إما مهندسون أو أطباء أو ما يقارب ذلك من اختصاصات أخرىٰ غير شرعية، والعجيب في هؤلاء المؤلفين أنهم يكتبون فيما يتعلق بتخصصهم العلمي، وما لا يتعلق فيه، فتجد كاتباً مهندساً معمارياً، أو ميكانيكياً، أو محامياً، أو طبيباً، أو غير ذلك، يكتب في خلق الجنين وعلم الفضاء، وعلم الفلك والفيزياء و.. الخ، ويستدل علىٰ ذلك كله من القرآن، بل إنك تجده بعد حين أصدر موسوعة في الإعجاز العلمي، وتصدر الشاشات والإعلام، يصوب رأي المفسرين ويخطؤهم، ويزاحمهم الأكتاف، فهل يعقل أن يكون متبحراً في كل هذه العلوم، وبالأخص علوم القرآن، وتأهل للكتابة بهذا الكم، وهو لم يفتح كتاباً في أصول التفسير وعلوم القرآن، ولم يدرس أصول الاستنباط، ناهيك عن دراسة باقي العلوم التي يكتب فيها، فأين احترام التخصص العلمي"[(١)].

وقال د. جمال أبو حسان: "اتجاه كثير من الدارسين إلىٰ حقل الدراسات القرآنية من أجل التكسب، وذلك كسعي كثير من غير المختصين في الدراسات الشرعية إلىٰ ولوج باب التخصص في الإعجاز العلمي، وهم يفتقرون إلىٰ أبسط المقومات لذلك التخصص، وهذا لأن كثيراً من وسائل الإعلام استهواها التخصص في هذا المضمار؛ لجلب أنظار المستمعين، ولأنه قد طار في الناس أن التخصص في هذا الباب من أنفع الوسائل في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ودينه، ورحم الله من قال: (المتكلم في غير فنه يأتي بالعجائب)، والمطلع علىٰ مواقع الانترنت يجد عجباً في هذا الباب، وتلك ولا شك ثلمة تستدعي المسارعة إلىٰ ردمها، حتىٰ لا يختلط الحابل بالنابل وقد كاد"[(٢)].

وقد عاب عبدالرزاق نوفل علىٰ بعض من أراد تفسير القرآن كله تفسيراً علمياً فقال: "إن هذا من أخطر ما يمكن علىٰ التفسير، إذ لا يمكن للفرد مهما كانت طاقته ودرجة علمه القيام بتفسير آيات القرآن كلها، فكيف يعلم الإنسان منفرداً بكل ما تضمنه القرآن الكريم من علوم وإعجاز، إلماماً يجعله علىٰ درجة من العلم تمكنه من القيام بهذا العمل الضخم الجليل الخطير"[(٣)].

---

(١) كلمة للمشتغلين في أبحاث الإعجاز العلمي، موقع ملتقىٰ أهل التفسير vb. tafsir. net

(٢) نحو إصلاح التعليم في برنامج الدراسات العليا في تخصص التفسير وعلومه ص٩.

(٣) بين الدين والعلم ص١٤٧، وانظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان، د. أحمد عمر أبو حجر ص٢١٠

**وأما الضوابط الخاصة:** فهي تشمل الضوابط التي ينبغي أن يلتزم بها من أراد تقرير مسألة عقدية من القرآن الكريم، وسأذكر منها ماله صلة بالإعجاز العلمي فقط.

**الضابط الأول: المطالب العقدية الكبرى من توحيد الربوبية والنبوة والبعث وغيرها، لا يستدل عليها إلا بالأدلة اليقينية الواضحة.**

فإن المطالب العقدية الكبرىٰ يقينة لا تحتمل الظنون والريب، فلا يجوز الاستدلال عليها بوجوه هزيلة، أو محتملة، أو غامضة، أو معقدة، أو مشكوك فيها، خاضعة لاجتهاد الناس، واختلاف قدراتهم وإمكاناتهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحُجُرات: ١٥]، فاشترط لصدق الإيمان انتفاء الارتياب، وما كان هذا شأنه لم يجز أن يتطرق إليه بأدلة مظنونة محتملة، إلا علىٰ سبيل الوعظ والاعتبار، لا علىٰ سبيل تأسيس اليقين ومزاحمة الأدلة القطعية، أو خلافتها في وظيفة إثبات العقائد، وإلا صار الحال كحال من قال: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢].

وقد وصف الله تعالىٰ دلائل النبوة علىٰ الخصوص بأنها آيات بينات؛ أي: علامات واضحات ظاهرات، كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد:٢٥]، ووصف كتابه بأنه آيات بينات فقال:﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩][١].

**الضابط الثاني: الحجج التي جاء بها الأنبياء لإثبات العقائد كافية وافية شافية للموافق والمخالف.**

وعليه فلا تفتقر في قطعيتها ويقينها إلىٰ أمور أخرىٰ لم يبينها الأنبياء تكون مقدمة لها، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣]، وإكمال الدين في دلائله كإكماله في مسائله، قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، فهو كاف علىٰ ما فهمه الأولون إبان تلاوته عليهم، ومن لم يكتف بذلك القدر، أو زعم أنه لم يعد مجدياً فحري به فوات الوعد الكريم في آخر الآية[٢].

---

(١) من كتاب: منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية علىٰ النبوة والربوبية، د. سعود العريفي ص١٩-٢٠ بتصرف.
(٢) انظر: منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية علىٰ النبوة والربوبية، د. سعود العريفي ص٢٠.

ومن أمثلة مخالفة هذا الضابط قول د. منصور محمد حسب النبي: "ونظراً لأهمية الموضوع فقد كتبت هذا الكتاب لأشرح بعض ظواهر الكون الهامة مع إبراز المزيد من الإعجاز العلمي للقرآن... لا لنرد على المنكرين والكافرين بالقرآن فحسب، بل إن بعض المسلمين الراسخي العقيدة يريدون – لكي تطمئن قلوبهم – أن يجدوا جواباً علمياً لكثير من التساؤلات حتى لا يعتريهم شعور بالنقص في حجة عقيدتهم"(١).

فهذا الكلام يقتضي أن الحجة لا تكتمل إلا بالإعجاز العلمي، حتى ولو كان المخاطب من راسخي العقيدة، وهو يخالف قول الله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

**الضابط الثالث: أن لا يخرج عند الكلام في القضايا الكونية التي ذكرها القرآن عن مقاصده من إيرادها.**

فلا تحصر دلالة الآيات الكونية على وجود الله، وتوحيد الربوبية، وإثبات النبوة فحسب، مع نسيانٍ لتوحيد الألوهية، ومسائل التوحيد، والإيمان الأخرى، مع أن هذه الآيات الكونية والاكتشافات التفصيلية المتعلقة بها، دالة على توحيد الربوبية ولو لم تكن جاءت في النص القرآني(٢).

فالقرآن الكريم لم يجعل العلوم الكونية موضوعه الأساس بشرح حقائقها وبيان قوانينها، وذلك لتغير أحوالها، وتجدد نظرياتها العلمية، وتغير الزمن، وإنما ذلك وسائل ودلائل على القدرة والوحدانية؛ لتحقيق الهداية والعبودية لله وحده(٣).

---

(١) الكون والإعجاز العلمي للقرآن ص٨.

(٢) انظر: مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، د. عبد الرحمن الزنيدي ص ١٧٠-١٧١.

(٣) انظر: مقال: الإعجاز العلمي وضوابطه، د. عامر الزويعي، نشر كلية العلوم الإسلامية بماليزيا، وأسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص٨٥٤، ١٠٠٩-١٠١٦، والمعجزة القرآنية، د. محمد هيتو ص١٥٠، والإعجاز العلمي في الإسلام، محمد عبدالصمد ص٢٩، وأضواء على بعض الأحداث الكونية بين القرآن والعلم، د. يحيى بن محمد أبو الخير ص٢٨-٢٩، وبحث: من حكم الزوجية الكونية في القرآن والسنة النبوية، د. محمد بن ظافر الشهري، مجلة تبيان للدراسات القرآنية العدد (١٤) ١٤٣٤هـ ص٣٤٥-٣٤٨، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان، د. أحمد عمر أبو حجر ص ٣٠٥، ٤٦١، ٤٩٠ وما بعدها، وصور وأنماط من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مجلة الحكمة العدد ١٩ ص ٢٣٧، ومباحث في علوم القرآن، د. مصطفى مسلم ص١٥٢-١٥٦، والدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في القرآن الكريم، د. سليمان بن ناصر مرزوق ص٣٤، وصور من إعجاز القرآن الكريم، د. محمد العاصي ص١٥٤، والإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث، د. مروان وحيد ص١٦٤-١٦٥، والتجديد في التفسير، د. عثمان عبدالرحيم ص٥٤-٦٠.

قال د. عبدالله المصلح في بيان شروط قبول بحوث الإعجاز العلمي: "وكذلك عدم الغفلة عن ملاحظة إظهار هداية القرآن والسنة للتي هي أقوم، حيث هي الغاية من إنزال القرآن الكريم، وهو الهدف الأساسي من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة"(١).

وقال د. السيد محمد علي نمر: "القرآن الكريم قبل كل شيء كتاب هداية، يرشد النفوس إلىٰ التي هي أقوم، ويأخذ الناس إلىٰ حيث تكون سعادتهم في الدنيا والآخرة، وليس من مقاصده أن يشرح للناس قانوناً في العلم، ولا أن يبين لهم نظرية من النظريات، وإن كان قد أتىٰ بحقائق علمية صدقها العلم.

ولو أن القرآن كتاب علم لأقبل الناس عليه وأخذوا كل ما فيه، ثم ولوا وجوههم عنه إلىٰ غيره، وتطلعوا إلىٰ جديد يلده التقدم العلمي في كل عصر، لكن القرآن الكريم ما يزال كتاب الدنيا، تنهل منه كل أمة، وهو لا تنقضي عجائبه ولا تنفذ أسراره"(٢).

**الضابط الرابع: عدم الخوض في القضايا العقدية الغيبية التي لا يمكن أن تعرف حقيقتها إلا عن طريق الوحي، كمعرفة كيفية كرسي الرحمن ﷻ وعرشه، وكيفية نزوله إلى السماء الدنيا، وأحوال اليوم الآخر والملائكة والجن وغيرها.**

فإن هذه القضايا مبناها علىٰ التسليم بها كما وردت دون خوض في كيفيتها الغائبة عن الحواس، ولا تقاس بالأمور المشاهدة(٣)؛ ولا مساغ للاجتهاد فيها، ولا طريق إلىٰ ذلك إلا بالتوقيف من أحد ثلاثة أوجه:

الأول: نص من التنزيل.

الثاني: بيان من النبي ﷺ.

الثالث: إجماع الأمة علىٰ تأويله.

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان ص٢٤٣.

(٢) سورة الإسراء والأهداف التي ترمي إليها، نقلاً عن كتاب: أساليب الدعوة في سورة الأنعام، عبدالباقي أحمد الصغير ص١٩٤.

(٣) انظر: الإعجاز العلمي وعلاقته بالمنهج التجريبي المعاصر، د. قتيبة الراوي ص٣٠٣، وعلوم القرآن الكريم، د. يوسف مرعشلي ص٣٦٦، والاتجاهات العقلانية الحديثة، د. ناصر العقل ص٣٨١، وصور من إعجاز القرآن الكريم، د. محمد العاصي ص١٥٦، وقضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها، د. زغلول النجار ص١١٣، ومناهج الاستدلال علىٰ مسائل العقيدة الإسلامية في العصر الحديث، د. أحمد قوشتي ص٤٧٣، والضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة، د. راشد شهوان ص١٤٣، وضوابط الاستدلال بالسنة النبوية علىٰ مسائل الإعجاز العلمي، د. عبدالمحسن التخيفي ص٤٧٥-٤٧٨.

فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات فهو مما استأثر الله بعلمه[١]، ويدل على هذا حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين"[٢].

وعليه فلا يصح إطلاق القول بأن "الاكتشافات العلمية للظاهرات الكونية من شأنها أن تجلي الحقائق الغيبية التي تصرح بها الآيات القرآنية"[٣].

قال الشيخ صالح آل الشيخ: "فالله ﷻ لم يجر عالم الغيب على قياس عالم الشهادة، وهذا أصل مهم في بيان ضلال من ضل في المسائل الغيبية، حيث جعلوا عالم الغيب مقيساً على عالم الشهادة، فما يصلح لعالم الشهادة يصلح لعالم الغيب، والقوانين والسنن التي تحكم عالم الشهادة يجعلونها صالحة لعالم الغيب، والله ﷻ خلق كل شيء فقدره تقديراً، كل له تقديره الخاص"[٤].

**الضابط الخامس: أن لا يُدّعى الإعجاز العلمي في آيات (معجزات) الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.**

إذ دعوى الإعجاز فيها يخرجها عن كونها خاصة بالأنبياء وخارقة للعادة، إلى أن تكون أشبه بالأمور العادية التي لا إعجاز فيها، وتخرج من قياس الأولى إلى قياس التمثيل الذي يستوي فيه الفرع والأصل[٥].

قال د. راشد سعيد شهوان في ضوابط الإعجاز العلمي: "عدم التعرض لمعجزات الأنبياء بالتوجيه وإلحاقها قسراً لأنظمة العلوم وقواعد الفنون"[٦].

وقد سبق في الفصل الخامس ذكر أمثلة على ذلك ومناقشتها.

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٢/ ١٠٦، وضوابط الاستشهاد بالعلم التجريبي في تأييد الوحي، ماجدة العنزي ص١٦٤.

(٢) رواه البخاري ٤/ ١١٨ (٣٢٤٤)، ومسلم ٤/ ٢١٧٤ (٢٨٢٤).

(٣) إعجاز (أفرءيتم النار التي تورون) ص٩.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص٥٤٤.

(٥) انظر: علاقة العلم التجريبي بمعجزات الأنبياء الواردة في القرآن الكريم، د. عبدالسلام بن صالح الجار الله ص١٥٢، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، مجلد ٢٧ (العدد ١) عام ١٤٣٦هـ.

(٦) الضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم ص١٤٣.

**الضابط السادس: عدم تجهيل سلف الأمة من الصحابة والتابعين والمفسرين وغيرهم، واتهامهم بعدم الفهم لآيات القرآن الكريم.**

فإن سلف الأمة من المفسرين وغيرهم لا ينقص من قدر علمهم، وفهمهم لكتاب الله تعالى، قلة علمهم بالقضايا الكونية فإنهم "انتفعوا من دلالات الوحي وما فهموه من الرسول ﷺ، فحصل لهم الفهم التام والعلم الصحيح، والتوحيد الكامل، دون الحاجة لمشاهدة تأيد العلم التجريبي للوحي، ودون الحاجة إلىٰ معرفة التفصيلات المكتشفة بالعلم التجريبي الحديث، وعندما جاء العلم التجريبي الحديث لم يأت بشيء جديد عما جاء به الوحي، وفهمه الصحابة سوىٰ أنه فصل ما أشار إليه الوحي من دلالات علمية وأيدها"(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "فإن الرسول لما خاطبهم بالكتاب والسنة عرفهم ما أراد بتلك الألفاظ، وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه، وقد بلغوا تلك المعاني إلىٰ التابعين أعظم مما بلغوا حروفه"(٢).

وقال أيضاً: "نحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم، فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً"(٣).

والمتتبع لبعض أبحاث الإعجاز العلمي يجد التنقص فيها من السلف واضحاً جلياً، حيث يعتبرون ما توصلوا إليه من حقائق علمية مطابقة لمعاني القرآن الكريم، هو الحق الذي ينبغي المصير إليه، وما ذكره السلف هو مستوىٰ تفكيرهم وعلومهم(٤).

---

(١) ضوابط الاستشهاد بالعلم التجريبي في تأييد الوحي، ماجدة العنزي ص١٤٨، وانظر: علوم القرآن الكريم، د. يوسف مرعشلي ص٣٦٥، ٣٦٧، والفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبدالكريم الحميد ص٣٨، ٤٢، ٥٣، ١٤٣-١٤٨، وأسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص٨٥٤، واتجاهات التفسير، عبدالمجيد المحتسب ص٢٩٢، ومجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد (١٩) ١٤٢١هـ ص٥٢، ومجلة تبيان العدد (١٢) ص٣٥، والضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة، د. راشد شهوان ص١٤٣، ونظرات في التفسير العلمي للقرآن، د. يوسف القرضاوي ص٢٤، والتفسير العلمي للقرآن الكريم، عبدالله الأهدل ص٣٤٣.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١٧/ ٣٥٣.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ١٣/ ٣٦٢.

(٤) انظر: نظريات الإعجاز القرآني، د. أحمد رحماني ص١٣٥، وحقائق القرآن والعلم الحديث، عامر تحسين ص٢٠، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي ص٦٧.

قال د. مرهف عبدالجبار سقا: "فقد يأخذ الحماس بعض الكاتبين في الإعجاز العلمي، مما يحملهم على التسرع في إطلاق أحكام غير مناسبة على كلام المفسرين واللغويين، وهكذا يقوم البعض بتقييم كلامهم وقياس معانيهم، مع أن الكاتب قد لا يكون من أهل التخصص الشرعي، أو على الأقل ليس له دراية في علم اللغة، ولم يعانيها كما عاناها المتقدمون من أهل العلم، ثم يصدر حكمه عليهم بالخطأ والتضعيف أو الرد.

وكثيراً ما وجدنا التعبير التالي في أبحاث الإعجاز العلمي (وقد أخطأ المفسرون القدامى في كلامهم، أو: وكلامهم هذا بعيد)، أو ما يشبهه من التعبير، كتجهيلهم من غير مبرر، سوى أن الكاتب وجد معلومة لم توافقها آراء المفسرين واللغويين، ويعتبرها هو مسلمة، ومن ثم يرمي بعبارات قاصمة في تسفيه السابقين"[(1)].

**ومن مسالك أصحاب الإعجاز العلمي في تجهيل السلف:**

**أولاً: اتهامهم للسلف بعدم العلم بالقضايا الكونية.**

قال أسامة علي الخضر في قول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥]: "ذهب المفسرون القدامى في تفسير هذه الآية إلى منحى لا يتناغم أبداً مع التقدم العلمي الحديث، ولا مع القوانين الفيزيائية التي أصبحت حقائق علمية ثابتة تجريبياً، ولا شك أن تفسيرهم القديم يناسب عصرهم وتفكيرهم، فلا ينبغي أن نلومهم حيث لم يكن أحداً منهم يتوقع الصعود إلى الفضاء الكوني، أو أنهم توقعوا قوانين فيزياء النسبية التي أوضحت إمكانية تقلص الطول، واستطالة الزمن، وزيادة الكتل المادية بزيادة السرعة".

ثم ذكر تفسير من وصفهم بالمفسرين القدامى ثم قال: "إنه تفسير لا يناسب روح الآية على الإطلاق، لكن هذا كان مستوى تفكيرهم وعلومهم، لكننا أيضاً لنا عصرنا وعلومنا، ومن الواجب على المسلم أن ينطلق في ركاب العلم الحديث، قال رسول الله ﷺ: (أوتيت جوامع الكلم) بمعنى أن القرآن لن تنتهي أسراره وكنوزه، فلماذا لا نجتهد في تفسير الآية السابقة

---

(١) مقال: حسن التعامل مع نصوص المفسرين، نشرة الحقيقة، العدد الرابع عشر، ربيع الأول ١٤٣١هـ ص٢، وانظر: العدد الثامن، ذو القعدة وذو الحجة ١٤٢٩هـ ص٢.

تفسيراً يناسب علومنا الفيزيائية الحديثة"[١].

وقال د. عبدالله المصلح ود. عبدالجواد الصاوي في أثناء بيانهم للإعجاز العلمي في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣]: "فانظر كيف حارت العقول الكبيرة عدة قرون بعد نزول القرآن الكريم في فهم الدقائق والأسرار، وكيف جاء العلم مبيناً لتلك الأسرار... وانظر كيف استقر المعنىٰ بعد أن كان قلقاً عند المفسرين"[٢].

وقال عبدالمجيد الزنداني: "وهناك آيات وألفاظ قرآنية لم تكن لتفهم حقيقتها حتىٰ جاء التقدم العلمي يكشف عن دقة تلك المعاني والألفاظ القرآنية"[٣].

وقال عبدالله محمد اليوسف: "قيام التحدي إلىٰ أن تقوم الساعة كما في الآية الكريمة: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤] حيث ظلت هذه البلاغة القرآنية غامضة بالنسبة للبشر وبقي تفسيرها طي الغيب لأكثر من عشرة قرون"[٤].

وقال محمود القاسم: "وأذكر أن المفسرين القدماء كانوا ثقاتاً فيما يعلمون، فهم مرجعنا في فهمهم وتفسيرهم للنصوص الخاصة بالعقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات وما تشعب منها، ولا مرجع لنا غيرهم، مع العلم أن كل ابن خطاء.

أما المسائل الكونية فقد كانوا يجهلونها جهلاً تاماً، وكانت الدنيا كلها تجهلها جهلاً تاماً، حتىٰ جاءت العصور الأخيرة حيث صار الإنسان يكتشف شيئاً فشيئاً حقائق الوجود، وأخذ يتحقق قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]"[٥].

---

(١) القرآن والكون ص٣٢١-٣٢٢.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص٢٣٦.

(٣) كتاب توحيد الخالق ص٣٥٩، وانظر: ص٣٤٠-٣٤١، وإنه الحق، عبدالمجيد الزنداني ص١٤٦.

(٤) البصمات إعجاز وتحدي، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي ص٥.

(٥) في مسيرة الإعجاز العلمي ص٨، وانظر: ص ١٩-٢٠، ٢٩-٣٠، ٨٤-٨٥، ١٩٤-١٩٧، ٢٢٢.

وقال عبدالمجيد العرجاوي بعد أن ذكر أن آية: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ...﴾ [النمل: ٨٨] تثبت دوران الأرض حول محورها عكس ما كان الناس يعتقدونه قديماً: "إن المفسرين القدامى لم يستطيعوا - وهم معذورون - فهم مرور الجبال هذا، فقالوا: إن ذلك المرور هو ما يكون من تسييرها يوم القيامة" ثم رد قول السلف في الآية(١).

وقالت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي: "وأخيراً فإن التفاسير القديمة ليست حجة على القرآن الكريم، بل إننا لا نتصور أن يفسر المفسرون (أدنى)(٢) في ذلك الوقت إلا بمعنى أقرب، فلم يكن في زمن المفسرين وكالة ناسا الفضائية، ولا كان هناك تقدم علمي مذهل كما هو الآن"(٣).

**ثانياً: إتهامهم للسلف من المفسرين وغيرهم بتأويل الآيات عن ظاهرها؛ لأنه بعيد التصور عن عقولهم.**

قال أحمد محمود سليمان: "وليس القرآن معجزاً في جمال أسلوبه ودقة تصويره، وتنسيق ألفاظه وروعة بيانه فحسب، بل إن هناك ناحية من نواحيه ظلت مختفية في زوايا الغموض أجيالاً يمر الناس عليها مر الكرام، لم يقدروا جلالها؛ لأنهم لم يكتشفوا ما خفي من سرها، إذ هي فوق ما وصلوا إليه من علم وما اكتسبوا من معرفة.

ولذلك كنت تراهم يؤولونها حسب ما هم عليه من علم، ويتحاشون ظاهر معناها الواضح، ويلجأون إلى التعمق في تفسيرها حائدين عما تنبئ به لأول وهلة، وما تحمله ألفاظها من معان، وذلك لأن ظاهر معناها كان بعيد التصور عن عقولهم، التي لم تصل بعد إلى درجة من العلم تهيؤها إلى فهم ما ترمي إليه هذه الآيات، رغم نبوغهم ودقتهم التي تثير الإعجاب، وجهودهم المشكورة في تفسير الغامض من الكلمات والآيات"(٤).

---

(١) البراهين العقلية على صحة العقيدة ص١٠٦-١٠٧.

(٢) أي: في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ...﴾ [الروم: ٢-٤].

(٣) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ٢، ١٤.

(٤) القرآن والعلم ص٢٦.

وقالت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي عند بيان الإعجاز العلمي في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ...﴾ [الحديد: ٢٥]: "فنحن إذا بحثنا أقوال المفسرين في هذه المسألة نجدهم منقسمين إلىٰ فريقين:

**الأول:** فسر اللفظ علىٰ ظاهره، فقال: (وأنزلنا الحديد) بمعنىٰ: أن الله أنزل الحديد من السماء كما أنزل آدم السماء، وهو قول ابن عباس وعكرمة، وإليه ذهب الطبري والقرطبي والواحدي.

**والثاني:** اضطر إلىٰ تأويل اللفظ عن ظاهره؛ لاستبعاد إمكانية تصور نزول الحديد إلىٰ الأرض من السماء، وكما يشاهدون في أزمنتهم وبيئاتهم من استخراج الحديد من باطن الأرض، فقال: (وأنزلنا الحديد) بمعنىٰ: أنشأناه وجعلناه، وهو قول الحسن، وإليه ذهب ابن كثير والثعالبي والشوكاني، وكثير من المفسرين"(١).

وقالت أيضاً: "فمن أين تريد أن يعلم المفسر الذي عاش قبل ثمانمائة سنة بهذه الدقائق الكونية، التي ما عرفها أحد قبله ولا بعده(٢) إلا بعد أن تراكمت الجهود، واخترعت وسائل الكشف والمراقبة. . . لذلك خلت العلوم التجريبية من أية إشارة إلىٰ هذه الحقيقة قبل الربع الأخير من القرن العشرين، وكذلك اضطر كثير من المفسرين إلىٰ تأويل اللفظ القرآني (وأنزلنا الحديد) إلىٰ معنىٰ لا يحتمله اللفظ، بما فيهم مفسرون معاصرون عاشوا في القرن العشرين"(٣).

وقال د. منصور محمد حسب النبي: "ونظراً لصعوبة القضية فقد آثر معظم المفسرين أن يصرف هذه الآيات القرآنية [التي فيها ذكر السماء وبنائها] الخاصة بالفضاء عن ظاهرها، ومنهم من اختصر القول تجنباً للتكذيب أو الاعتراض، وتحاشياً للبلبلة أو الخوض في قضايا لا يسعفها الدليل القطعي، أو البرهان العلمي آنذاك"(٤).

---

(١) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٤-١٥.

(٢) هذا النفي يرده ما نقله أصحاب الإعجاز العلمي أنفسهم -كما سبق- عن ابن عباس وعكرمة: أن الله أنزل الحديد من السماء كما أنزل آدم من السماء. انظر: جامع البيان، الطبري ٢٢/ ٤٢٥، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٧/ ٢٦١، وموسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٤.

(٣) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٣-١٤، ١٩-٢٠.

(٤) ارتياد الفضاء بين العلم والقرآن ص٨، وانظر: ص١٨، ٣٦، ٥٥، ٦٣، ٨٥-٨٦، ١٠٩ وما بعدها.

**ثالثاً: إغفالهم لأقوال السلف في الآية الموافقة لما توصل إليه العلم التجريبي، والادعاء بأن ما أشارت إليه الآية لم يعرف إلا في العصور المتأخرة؛ لإثبات السبق العلمي للقرآن الكريم.**

ومن أمثلة ذلك قول الشيخ عبدالمجيد الزنداني: "القمر كان مشتعلاً ثم انطفأ، لقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢] فمن هنا عرفنا أن القمر كان مشتعلاً ثم محي ضوءه، وهذا السر لم يعرف إلا قريبًا بعد أن تيسرت الآلات للباحثين"(١).

**قلت:** لو رجع الشيخ الزنداني إلى أقرب تفسير من تفاسير المتقدمين لوجد أن هذا السر الذي لم يُعرف إلا قريباً قد ذكره المفسرون، فقد نقل الإمام ابن كثير، والإمام القرطبي، والإمام الشوكاني، وغيرهم عند تفسيرهم لهذه الآية قول ابن عباس رضي الله عنهما: " كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، فمحى الله آية القمر بالسواد الذي فيه"(٢).

والمسألة ذات خلاف بين السلف شهير، هل كان القمر يضيء كما تضيء الشمس ثم محي باللطخة التي تشاهد فيه كما يقول ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، وبعض الصحابة رضي الله عنهم والتابعين؟ أم أنه خلق على هذا الحال في الإضاءة، وأن معنى: (فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ) أي: خلق ممحوًا، وليس المراد أنه محاه بعد أن كان مضيئاً(٣).

**تعقيب:**

وفي ختام هذا الضابط لا بد من بيان عدة أمور منها:

١- أن التنقص من تفاسير المفسرين السابقين، يمكن تعميمه للمستقبل أيضاً، حيث يمكن للعلوم أن تتغير وفقاً للمستجدات الطبيعية، وساعتها سيأتي مفسر آخر ليدحض عمل هذا المفسر وينتقص من علمه.

---

(١) كتاب توحيد الخالق ص١٧١.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٤٧، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٠/ ٢٢٧-٢٢٨، وفتح القدير، الشوكاني ٣/ ٢٥٣.

(٣) انظر: الصبح الشارق على ضلالات عبدالمجيد الزنداني في كتابه توحيد الخالق، يحيى الحجوري ص١٠٢-١٠٣.

٢- أن الذي أوقع أصحاب الإعجاز العلمي في اتهام السلف، هو عدم تفريقهم بين عقل الآية، وفهم الآية، وتأويل الآية.

ويوضح هذا د. جعفر شيخ إدريس بقوله: "وقد حدث خلط آخر في علاقة العلم بالقرآن الكريم والسنة المطهرة نذكره بهذه المناسبة، كثيراً ما تسمع قول بعضهم عن آية من آيات الكتاب العزيز كقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، إن الناس لم يعرفوا معناها في زمن النبي ﷺ؛ لأن هذا المعنى إنما كشفته العلوم الطبيعية الآن.

الذين يقولون هذا يخلطون بين أمور ثلاثة هي: **عَقْلُ المعنى الأوّلي للآية، وفهم الآية، وتأويل الآية.**

**المعنى الأولي للآيات** يعقله كل متحدث باللغة التي يرسل الله بها رسولاً من رسله؛ لأن الله تعالى لا يُنزل على رسوله كلاماً لا يمكن لأحد من المخاطَبين أن يعرف معناه، كيف والحجة إنما تقوم بفهم المعنى؟ وكيف والله تعالى يقول عن القرآن الكريم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، أي تعقلون معناه.

هذا العقل الأولي للمعنى أمر يشترك فيه كل المخاطَبين ممن عرف لغة القرآن كفاراً كانوا أو مسلمين؛ لأن الإنسان إنما يصدِّق الكلام أو ينكره بعد أن يعرف معناه؛ ولذلك فإن الله تعالى إنما يرسل كل رسول بلسان قومه ليبين لهم، قال تعالى في ذم بعض الكفار: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

**أما الفهم**: وهو ما يمكن للإنسان أن يستنبطه من الآيات بعد أن عرف المعنى الأولي لها، فأمرٌ يختلف فيه الناس اختلافاً عظيماً، وهو أمر لا يتأتى إلا بالتدبر الذي أمر الله تعالى به.

من الأدلة الواضحة على الفرق بين الفهم وإدراك المعنى الأولي، ما جاء في صحيح الإمام البخاري من رواية أبي جُحيفة وهب بن عبد الله السّوائي قال: قلت لعلي بن أبي طالب ﷺ: (هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال: لا، والذي فلق الحبة

وبرأ النسمة! إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن)[1].

**وأما التأويل:** فهو الواقع الذي يتحدث عنه النص، وهو شيء مختلف عن معناه، إذا قال لك إنسان: إن بالمكان الفلاني شجرة غريبة طولها كذا، وألوان أوراقها وأحجامها كذا وكذا، فإنك تعقل ما قال، وأما إذا أراك إياها فتكون قد أدركت تأويل ما قال لك، ونحن الآن نعقل معنى الآيات التي تحدثنا عن عجائب ما في الجنة، وإن لم نرَ تأويله.

والله تعالى قد يخبر المخاطَبين في زمان نزول الوحي بكلام لا يظهر تأويله إلا في المستقبل، مثل: ما أخبرهم به تعالى من غلبة الروم على الفرس، ومثل قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فُصِّلَت: ٥٣].

والمكتشفات العلمية المؤيدة لما أخبر به الله تعالى كلها أو معظمها من هذا النوع، إنها لا تعلمنا معنى كلام ربنا، لكنها تُظهر لنا بعض حقائقه التي أخبر بها، كيف تعلمنا المعنى ومعرفة المعنى شرط في معرفة موافقة الخبر العلمي له، كيف تعرف مطابقة قوله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥] لما كشفه العلم إذا كنت لا تعرف المعنى اللغوي لهذه العبارة؟

**نقول بعد هذا:** إنه لم يكن قصدنا من هذا المقال التشكيك في العلوم الطبيعية، أو التقليل من شأنها وأهميتها، وإنما كان القصد منه وضع الأمور في نصابها الصحيح.

إن العلم هو كل دعوى موافقة للواقع، سواء كان هذا الواقع غيبًا أو شهادة، وسواء كان حسيًا أو نفسيًا أو عقليًا، والعلوم وإن صدق عليها كلها هذا التعريف إلا أنها تختلف باختلاف مجالاتها، وباختلاف طرقها التي تحتمها عليها تلك المجالات، والمسلم يعترف بكل حقيقة دل عليها واحد من تلك العلوم، إذا ما قام عليها دليل صحيح.

والعلوم الطبيعية المسماة (سيَنس) هي من هذه العلوم، بل هي نفسها علوم مختلفة في بعض طرقها، فعلم الفلك ليس كعلم الأحياء، وعلم الكيمياء ليس كعلم الفيزياء، وهي كلها علوم مفيدة، بل إن منها ما هو ضروري للمسلمين في هذا العصر.

---

(١) رواه البخاري ٤/ ٦٩ (٣٠٤٧).

وكما أنها مهمة في مجال الحياة الدنيوية، فهي مفيدة في مجال الإيمان بالله وبرسوله؛ فقد أيد كثير من حقائقها ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن هنا نشأ العلم الذي سمي بالإعجاز العلمي.

فما قلناه عن العلوم الطبيعية ليس المقصود به إذن إنكارها، أو تحقيرها، أو التقليل من شأن الاهتمام بها، وإنما المقصود به وضعها في موضعها الصحيح"[١].

٣- أن في اتهام السلف حصر لدلالات ألفاظ الآيات القرآنية في المعنى الذي ذهب إليه أصحاب الإعجاز العلمي، دون المعنى الذي ذكره المفسرون من السلف، مع أن اللفظ يحتمل الجميع؛ لأن الآية الكونية الواردة في القرآن الكريم تتسع دلالتها مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التضاد، حتى يظل القرآن الكريم مهيمناً على المعارف الإنسانية مهما اتسعت دوائرها[٢].

قال د. حسن أبو العينين: "كل ما كتبه المفسرون الأوائل منذ يوم نزول القرآن حتى اليوم، هو قاعدة راسخة ومجهودات قيمة، لا غنى عنها في فهم مدلول الآيات الكونية، إلا أن فهم مدلول هذه الآيات يتسع لتطور العلم ورقي الفكر، واتساع المعرفة جيلاً بعد جيل"[٣]

وقال د. مساعد بن سليمان الطيار: "وبهذا لا يتصور أن يغيب عن مجموعهم فهم لفظة أو آية، ثم يظهر ذلك للمتأخرين عنهم، كما يظن ذلك بعض من يتعاطون الإعجاز العلمي، وذلك لجهلهم بقدر تفسير السلف وقيمته، وفرحاً منهم بما أوتوا من العلم الدنيوي الذي يحسبون أنهم وصلوا فيه إلى التحقيق ما لم يصل إليه من قبلهم"[٤].

---

(١) مناهج التفكير الموصلة للحقائق الشرعية والكونية ص٢٢١-٢٢٤، وانظر: المعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو ص١٥٥-١٥٦، والقرآن والكون، د. محمد الشرقاوي ص١٠-١١، وأضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي ٧/ ٧٩٩-٨٠٠، والبراهين العقلية على صحة العقيدة، عبدالمجيد العرجاوي ص١١٢-١١٣.

(٢) انظر: علوم القرآن الكريم، د. يوسف مرعشلي ص٣٦٧، والإعجاز العلمي وعلاقته بالمنهج التجريبي المعاصر، د. قتيبة الراوي ص٣٠٣، وصور من إعجاز القرآن الكريم، د. محمد محمد العاصي ص١٥٣.

(٣) من الإعجاز العلمي في القرآن ١/ ١٢-١٣.

(٤) علوم القرآن عند الإمام الشاطبي ص٣٢٤.

**الضابط السابع: أن يكون المتحدث في الإعجاز العلمي محيطاً بأقوال المفسرين في الآية التي يراد إثبات الإعجاز العلمي فيها.**

فلا يمارس الانتقائية من أقوالهم بما يحقق مراده من إثبات السبق العلمي للقرآن الكريم، فإن المتأمل في طريقة المشتغلين بالإعجاز العلمي يلحظ عند إيرادهم لأقوال المفسرين أنه ليس لهم منهج واضح ومنضبط، فتارة يستشهدون بكلام كبار المفسرين من العلماء السابقين كالإمام ابن جرير والإمام ابن كثير وغيرهم، وتارة يستشهدون بكلام المتأخرين كالطاهر ابن عاشور، وسيد قطب، ومحمد الشعراوي، وغيرهم، وكل ذلك في انتقائية عجيبة، **ومن أمثلة ذلك:**

١- ما ذكرته الهيئة العالمية في إعجاز قوله تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، حيث أوردوا كلام ابن عاشور والشعراوي -رحمهما الله تعالىٰ، لكن لم يوردوا كلام الإمام ابن جرير والإمامابن كثير -رحمهما الله تعالىٰ- وغيرهما؛ لأن ما ذكروه من المعاني لا يتفق مع مراد البحث، وهو إثبات الفساد البيئي، وحتىٰ كلام ابن عاشور حذفوا منه ما يتعلق بالشرك الذي هو مقصود أولي بالآية، وأبقوا ما يدل علىٰ فساد البيئة(١).

٢- عند بيان الإعجاز العلمي في قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد:٤١] اعتبر محمود القاسم أن الأخذ بأقوال المفسرين في هذه الآية من اتباع الأهواء، فقال بعد أن ذكر أقوال المفسرين في معنىٰ النقص في الآية: "أما الآن، فقد عُلم الواقع علم اليقين، علم بواسطة الأقمار الصناعية المجهزة بأجهزة الرصد الدقيقة، أن الأرض تنقص من أطرافها، من الطبقة الهوائية الأطرافية (الطبقة الخارجية) حيث تنفلت منها الذرات الخفية ذاهبة في فضاء ما بين النجوم...فهل علينا إكراماً لبعض الأهواء، أن نغمض الطرف عن هذا التوافق العجيب بين نص الوحي وبين الواقع الذي صار معلوماً، بل صار ملموساً؟

وهل علينا إكراماً لبعض الأهواء، أن ننسف هذا التوافق الإعجازي بين النص والواقع، ونهبط بالقرآن إلىٰ مصاف الأديان الخرافية والأسطورية؟ "(٢).

---

(١) انظر: موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/١ ومابعدها، و ١/ ٨-٩، و١/ ١٤-١٨، وص٤١٩ من هذا البحث.

(٢) القرآن يتحدىٰ، محمود القاسم ص١٩-٢٠، قال د. رفيق المصري في مقال: (من أخطاء الإعجاز العلمي) نشر في مدونته علىٰ الشبكة العنكبوتية: "تفسير أهل الإعجاز العلمي: الأرض تتآكل أو تتناقص بفعل عوامل =

٣- بل إن بعضهم يقدم أقوال أصحاب العلوم التجريبية على أقوال المفسرين، بدعوى أنهم بشر مجتهدون، متناسين في الوقت ذاته أن أصحاب العلوم التجريبية بشر كذلك مجتهدون، وهم معرضون للخطأ والصواب.

قالت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي: "إن ما استشهد به من أقوال أئمة المفسرين من قولهم: إن معنى (الإنزال) في آية الحديد[1] (الخلق)، فهو اجتهاد من علماء مجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر، فهم مأجورون على كل حال، ولكن هذا لا يعني أنهم معصومون، ولا أن ما يقولونه حجة على كتاب الله أو على خلقه.

إنما يتضح الإعجاز العلمي في القرآن الكريم عن طريق موافقة الحقائق العلمية الثابتة حديثًا - سواء من المسلمين أو غيرهم - لما جاء في كتاب الله أو في سنة نبيه ﷺ، فتكون هذه الموافقة حجة دامغة على أن القرآن من عند عليم خبير، خالق لهذا الكون، لا من عند بشر يخطيء ويصيب...

فمن أين تريد أن يعلم المفسر الذي عاش قبل ثمانمائة سنة بهذه الدقائق الكونية، التي ما عرفها أحد قبله ولا بعده[2] إلا بعد أن تراكمت الجهود، واخترعت وسائل الكشف والمراقبة... لذلك خلت العلوم التجريبية من أية إشارة إلى هذه الحقيقة قبل الربع الأخير من القرن العشرين، وكذلك اضطر كثير من المفسرين إلى تأويل اللفظ القرآني (وأنزلنا الحديد) إلى معنى لا يحتمله اللفظ، بما فيهم مفسرون معاصرون عاشوا في القرن العشرين"[3].

---

= التعرية أو التصحر أو التبحر أو غير ذلك، كل ذلك غير صحيح، وينزع الآية من سياقها، ثم إن الآية تخاطب العرب المشركين وقت نزول القرآن: (أفلا يرون)، ولم يكونوا يعرفون الإعجاز العلمي ولا التفسير العلمي. فإن قيل: إن الآية تخاطب الناس في كل زمان ومكان، وكلٌّ يفهمها بحسب علمه، هذا أيضًا لا صحة له هنا؛ لأنه يخرج الآية عن سياقها، ولو أدرك هؤلاء (المفسرون الجدد) أن تقدير الآية: (ننقصها عليهم من أطرافها) لما قالوا ما قالوه، ومن أهل الإعجاز العلمي هؤلاء من هو ضعيف في علوم اللغة والتفسير والإعجاز، ولا يمكن أن نحتج بعلمه ودعواه، قد يكون ما يقولونه صحيحًا في ذاته، كله أو بعضه، ولكني أقطع أن لا علاقة له بالآية على الإطلاق، بل هو الجهل والتكلف وحب الابتكار، ولكن بلا عدّة ولا أصولا".

(١) في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ...﴾ [الحديد: ٢٥].

(٢) يُردّ على هذا النفي: أن المفسرين ذكروا هذا، والهيئة العالمية نفسها وفي نفس سياق كلامها السابق نقلت عن ابن عباس وعكرمة أن الله أنزل الحديد من السماء كما أنزل آدم من السماء. انظر: جامع البيان للطبري ٢٢/ ٤٢٥، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٦١، وموسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٤.

(٣) موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ٢/ ١٣-١٤، ١٩-٢٠.

**الضابط الثامن: مراعاة السياق القرآني للآية المتعلقة بالقضايا الكونية، فلا يتم اجتزاء اللفظة القرآنية من سياقها، ومن ثمّ تضاف عليها تفاصيل من العلوم التجريبية ونظرياتها لم تشر لها الآية**(١).

وإن من أساليب القرآن الكريم إيراد العديد من الآيات الكونية المتتابعة، والتي قد لا تكون بالضرورة مرتبطة ببعضها البعض، كما هو الحال في آيات القَسَم المتعددة بأكثر من أمر من الأمور.

قالت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي: "فالأصل أن يؤخذ الكلام في سياقه ليتضح معناه، أما اقتطاع الكلام من سياقه فإنه يُخل بمعناه غالباً"(٢).

والسياق له أهمية كبرىٰ، وأثر واضح في فهم الآية القرآنية ومفرداتها(٣)، قال مسلم بن يسار(٤) ﷺ: "إذا حدثت عن الله حديثاً فقف، حتىٰ تنظر ما قبله ومابعده"(٥).

وقال الإمام ابن القيم ﷺ: "السياق يرشد إلىٰ تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة علىٰ مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته"(٦).

وقال د. مرهف عبدالجبار سقا: "ولنضرب مثالاً لذلك في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] إذ جعل بعضهم تفسير هذه الآية ما رآه من صورة منتشرة علىٰ الشبكة العنكبوتية لإحدىٰ وكالات الفضاء، لانفجار نجم عملاق اسمه عين القط، وجاء الانفجار علىٰ شكل صورة وردة جورية، ذات أوراق حمراء قانية،

---

(١) انظر: التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم، منىٰ الشافعي ص٥٢٠-٥٢٧، وصور من إعجاز القرآن الكريم، د. محمد العاصي ص١٥٥، والتفسير العلمي للقرآن الكريم، عبدالله الأهدل ص٣٤٤-٣٤٥، والضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، د. راشد شهوان ص١٤٣، وضوابط الاستدلال بالسنة النبوية علىٰ مسائل الإعجاز العلمي، د. عبدالمحسن التخيفي ص٤٦٦-٤٧١.

(٢) موسوعة حقائق الإعجاز في مواجهة الشبهات ٢/ ١٣.

(٣) انظر: السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، د. سعد بن محمد الشهراني ص٤٠-٥٠، وتفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي بن سليمان العبيد ص١٠٣-١٠٦، ودلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، د. عبدالحكيم بن عبدالله القاسم.

(٤) هو: مسلم بن يسار أبو عبد الله البصري، القدوة، الفقيه، الزاهد، سكن البصرة، فكان مفتيها، وتوفي فيها عام ١٠٠هـ وقيل: بعدها. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ٤/ ٥١٠، وتهذيب التهذيب، ابن حجر ١٠/ ١٤٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٦.

(٦) بدائع الفوائد ٤/ ٩.

محاطة بوريقات خضر، ولم يكتف بذلك بل إن هذا الكاتب حصر مدلول الآية بهذه الصورة فقط، ورفض غيرها من التفاسير.

ومحل الشاهد هنا هو مخالفته لسياق الآية والوضع اللغوي، فإن الآية هنا جاءت في سياق أحداث يوم القيامة، بدليل الآية التي بعدها وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، فالتنوين في (يومئذ) تنوين بدل، أي فيوم تشقق السماء وتقوم الساعة لا يسأل عن ذنبه إنس و لاجان، ثم الآية التي تليها: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] فهل هذه الوقائع في الدنيا أم في الآخرة.

فإن مشهد انفجار النجوم سنة كونية منذ القدم، وليس حادثة طارئة لا تتكرر، أما مشهد انشقاق السماء يحصل في الآخرة، وقد دل لذلك آيات عديدة في القرآن الكريم، ومن ذلك: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١-٢].

كما أن هذا الكاتب خالف اللغة في عدم التفريق بين الانفجار والانشقاق، وعدم التفريق بين النجم والسماء.

إذن فيجب علىٰ الباحث في الإعجاز العلمي، أن يضع نصب عينية عند بيان وجه الإعجاز العلمي في الآية القرآنية، قضية السياق القرآني، ومناسبة مدلول الآية لما قبلها وما بعدها، ومناسبة مدلول المفردة القرآنية لسياق الآية، وجو السورة التي فيها، حتىٰ لا يقع بما يتعمده الفاسقون -مثلاً- لتبرير تركهم للصلاة بقوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤] ويقفون ولا يكملون قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]"[1].

**الضابط التاسع: أن لا تُحمَّل الآيات القرآنية ما لا تحتمله من المعاني[2].**

فإن بعض المشتغلين بالإعجاز العلمي يحمّل الآيات ما لا تحتمله من المعاني التي لم تسق من أجلها، ولا نزلت لبيانها، وربما انقلب فعلهم هذا ليكون شبيهاً بالتأويل الذي

(١) مقال: أثر السياق في التفسير، نشرة الحقيقة العدد السابع عشر، محرم ١٤٣٢هـ ص؟.

(٢) انظر: المعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو ص١٥٠، وضوابط الاستشهاد بالعلم التجريبي في تأييد الوحي، ماجدة العنزي ص١٥٢-١٥٦، وأسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص٨٥٤، والتفسير العلمي للقرآن الكريم، عبدالله الأهدل ص٣٤٤-٣٤٥، والضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، د. راشد شهوان ص١٤٣، ونظرات في التفسير العلمي للقرآن، د. يوسف القرضاوي ص٢٣.

فعله الباطنية[1] في نصوص الشريعة.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين ﷺ: "ومن هذا ما وقع أخيراً من أولئك الذين فسروا القرآن بما يسمي بالإعجاز العلمي، حيث كانوا يحملون القرآن أحياناً ما لا يتحمل، صحيح أن لهم استنباطات جيدة تدل على أن القرآن حق ومن الله ﷻ، وتنفع في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، ممن يعتمدون على الأدلة الحسية في تصحيح ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، لكنهم أحياناً يحملون القرآن ما لا يتحمله"[2].

وقال د. كارم السيد غنيم: "يستطيع الباحث أن يتحقق من تعسف التأويل الذي يضطر إليه نفر من الذين انبروا يكتبون في مجالات الإعجاز العلمي للقرآن دون الالتزام بضوابط، أو إتباع منهج سليم، وبالتالي فالنتيجة في هذه الأعمال على حساب القرآن والإسلام، وليست لحسابهما.

إن كتباً عديدة اطلعنا عليها توضح هذه النزعة، أو هذا المنحى الذي راح فيه نفر من الكتاب والمؤلفين، لقد قاموا بتحميل الآيات القرآنية ما لا يمكن أن تتحمله، بل قام بعضهم بليّ أعناق الآيات ليّاً حتى يثبت انطباقها مع نظرية علمية، أو فرض تجريبي، أو ما شاكل ذلك[3]"[4].

ويوضح كريم نجيب الأغر - وهو من القائلين بالإعجاز العلمي - خطورة تحميل ألفاظ القرآن ما لا تحتمل من المعاني فقال: "يجب أن نتوخى الحذر في انتقاء معاني الكلمات، فموضع الزلل خطير في هذا المجال، فقد يأخذ بنا إلى تفسير الآيات القرآنية

---

(١) الباطنية هم: الذين يجعلون للنصوص ظاهراً وباطناً، ولكل تنزيل تأويل، وهم يعتقدون أن الإله لا يوصف بوجود ولا هو معلوم ولا مجهول، ومذهبهم في النبوات قريب من مذهب الفلاسفة، وهم ينكرون القيامة، ويقولون: بإمام معصوم قائم بالحق، يرجع إليه في تأويل الظواهر، والمنقول عنهم استباحة المحظورات وإنكار الشرائع، ولهم ألقاب كثيرة منها: القرامطة، والخرمية، والإسماعيلية، والنصيرية، والدروز، وغيرهم. انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي ص٢٦٥، والملل والنحل، الشهرستاني ١/ ١٩٢، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد الخطيب، والعقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها، د. صابر طعيمة.

(٢) شرح مقدمة التفسير لابن تيمية ص٩٨.

(٣) انظر: مثالاً على ذلك بحث: الشجر الأخضر ونار الحياة، د. عبدالله عبدالكريم صالح، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي www.eajaz.org، وبحث: الهالة الكهرومغناطيسية وسنبلة القمح، د. جميل قدسي الدويك، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي www.eajaz.org، ومجلة الإعجاز العلمي، العدد ٤١ شعبان ١٤٣٣هـ ص١٠، والقرآن والكون، أسامة الخضر ص٥٧٣، ٦٧٧، ومجلة الإعجاز العلمي، العدد ٣٤ رمضان ١٤٣٠هـ ص ٣٨-٤١، وتفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ٣/ ١٤٦-١٤٧.

(٤) الآيات الكونية في القرآن الكريم ص١١٦.

بتكلف وتحميلها ما لا تحتمل...؛ لأن إيمان المرء قد يترسخ أو يتزعزع من جراء التفسير الذي يجده أمامه"[١].

**الضابط العاشر: أن يكون المتحدث في الإعجاز العلمي على دراية بدلالات ألفاظ الآية على القضية التي يتحدث فيها.**

فإن "دلالة القرآن على مختلف العلوم متنقلة من أعم إلى عام، وهكذا حتى تصل إلى مسألة بخصوصها وهي على أقسام:

١- **دلالة مفتوحة:** وهي الدلالة التي تشمل كل الموجودات والمخلوقات من بدء الخليقة إلى يوم القيامة، وهي من باب أعم العمومات، وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، فتأمل هذه الآية فستجد أن نظام الحياة بدقائقها، ونظام الكون بتفاصيله وما فيه، كل ذلك يدخل في دلالة الآية، وكل ما اكتشف وما سيكتشف عن نظام الكون، وما فيه من أنواع المخلوقات من بدء الخليقة إلى قيام الساعة، فإنه داخل في دلالة الآية المفتوحة.

٢- **دلالة أعم العام:** كالدلالة التي تعم الكون كله، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، فما في السماوات والأرض، أعم من عموم النجوم والكواكب والجبال ونحو ذلك من المسخرات في ضمن السماء، والنعم المسبوغة ظاهرة وباطنة، أعم من عموم نعمة الزروع والثمار واللباس والأمن ونحو ذلك.

٣- **دلالة عامة:** وهي الدلالة على ما يصلح دخوله في وصف الآية من أفرادها، وذلك كعموم ما ترجع به السماء من الأبخرة والغازات وغير ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ [الطارق: ١١]، فكل ما يدخل في وصف السماء بكونها ذات رجع مع اعتبار دلالة السماء في سياقها يدخل في تفسيرها كرجع المطر، ويدخل في ذلك الأبخرة والغازات المرتجعة، وعموم أنواع التسخير في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، وعموم ما يخرج من بطون النحل مما ينطبق عليه الأوصاف المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [النحل: ٦٩].

---

(١) إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام ص١٤.

**٤- دلالة خاصة على القضية العلمية المتكلم عنها في الآية**، سواء كانت هذه الدلالة في الآية من ظاهر النص، أم من إشارة النص، أم من مفهوم الخطاب، أو من فحواه، أي: بإحدى أنواع الدلالة المعتبرة عند الأصوليين عموماً في الاستنباط، ومثال ذلك الكلام على تولد في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦]، وكالكلام على أطوار خلق الإنسان في الآيات القرآنية، ابتداء من التراب إلى ولادته، ونحو ذلك في القرآن، والله أعلم"[١].

**الضابط الحادي عشر: أن لا يربط إعجاز القرآن الكريم بثبوت الحقيقة أو نفيها، فالقرآن معجز ولو لم تثبت الحقيقة العلمية.**

فالقرآن لا يحتاج إلى تأكيد أو تأييد من قول البشر أو العلوم التجريبية؛ ليثبت إعجازه وصدقه؛ لأن "مواءمة القرآن للعلم التجريبي متحققة بالمنهج العلمي الاستدلالي، وطريقة التفكير النقدي التي يقررها القرآن، وانسجام القضايا الكلية الكبرى في القرآن مع معطيات المنهج العلمي المعاصر شاهد عدل على ذلك"[٢].

ولذلك لا ينبغي القول بأن الآيات القرآنية تؤيد العلم الحديث، بل الصواب أن يقال: أن الحقائق العلمية التي توصل إليها الإنسان، تتفق مفاهيمها مع ما جاء في القرآن الذي أنزل على الرسول ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرناً[٣].

وعليه فلا ضرورة إذاً لتتبع جزئيات الحقائق العلمية وأفرادها، وربطها بالإشارات القرآنية لإثبات وتأكيد التوافق وعدم المخالفة[٤].

وبهذا نعلم خطأ قول د. أحمد عروة: "إن إعجاز الآية القرآنية مرتبط بثبوت الحقيقة الكونية التي يُستشهد بها لإيضاح تلك الحقيقة"[٥]، حيث أن في قوله تعريض لأمر ثابت للقرآن - وهو الإعجاز - بعدم الثبات، وأنه تبع للعلم، وهذا خلط بين الحقيقة الدينية

---

(١) مقال د. مرهف عبد الجبار سقا، نشرة الحقيقة، العدد الثالث عشر، محرم ١٤٣١هـ ص٢، وانظر: مباحث في علوم القرآن، د. مصطفى مسلم ص١٥٢-١٥٦، والدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في القرآن الكريم، د. سليمان بن ناصر مرزوق ص٣٤، والمعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو ص٢٩٠.

(٢) منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية، د. سعود العريفي ص٢٣.

(٣) انظر: من الإعجاز العلمي في القرآن، د. حسن أبو العينين ص٤٢.

(٤) منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية، د. سعود العريفي ص٢٣.

(٥) إعجاز (أفرءيتم النار التي تورون) ص٩.

التي اشتمل عليها القرآن الكريم، وبين النتائج العلمية المختلفة التي هي نتاج العقول البشرية القاصرة[(١)].

قال د. محمد محمد العاصي: "يجب أن نعلم ونستيقن عند البحث في إعجاز القرآن من الناحية العلمية، أن العلم تابع للقرآن، وليس العكس، فالباحث في الإعجاز ينبغي عليه أن يعطي ثقته لكتاب الله أولاً، ثم يبحث في كتب ومؤلفات وتجارب البشر عن حقائق علمية تتوافق مع الحقائق القرآنية... فالقرآن هو الميزان، وليست النظريات العلمية؛ لأننا نعلم في العلوم التجريبية أنه لا توجد حقائق مطلقة أبداً، بل إنك تظن أحياناً أن هذه النظرية صحيحة مائة بالمائة، ولكن بعد سنوات يأتي من يكتشف أن هناك نقص، أو خلل في بناء هذه النظرية، بينما في كتاب الله ﷻ، مهما تقدم الزمن ومهما تطور العلم، فإنك لا تجد أي تناقض، أوخلل، أونقص في الإشارة العلمية في القرآن"[(٢)].

وقال د. محمد محمد فائد موجهاً نصيحته إلى المشتغلين بالإعجاز العلمي، ببيان المنهج الذي يجب أن يسيروا عليه في الكشف عن إعجاز القرآن العلمي: "فالحقيقة في القرآن وليست في النتائج العلمية، ولا تعزى أمور دنيانا إلى العلوم خصوصاً في الوقت الحاضر، الذي أصبحت العلوم تستعمل كسلاح، ولا يهمنا ما ينتشر في البلدان الغربية من نتائج علمية، فلا نحتاجها، بل هم الذين يحتاجون الحقيقة المطلقة من القرآن، فهم التائهون وليس نحن، وهذا المنهج هو الذي يجب أن يتبعه أصحاب الإعجاز العلمي.

وأصبحنا نرى أن كل علماء المسلمين يتسابقون للإتيان بنتائج الأبحاث المنشورة في البلدان الغربية؛ ليزكوا بها حقائق قرآنية، فهذا المنحنى سيكون خطيراً، وهو الآن يبين تذبذب الباحثين المسلمين"[(٣)].

---

(١) انظر: اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، عفت الشرقاوي ص٣٧١.

(٢) صور من إعجاز القرآن الكريم ص١٥٢-١٥٣، وانظر: الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث، د. مروان وحيد شعبان ص١٦٢، والتجديد في التفسير، د. عثمان أحمد عبدالرحيم ص٧٦، وبحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ١/ ٢٢٧، وأسباب الخطأ في التفسير، د. طاهر يعقوب ص٨٥٤، والقراءة المعاصرة للقرآن الكريم، د. محمد محمود كالو ص١٧٣، والضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، د. راشد شهوان ص١٤٤.

(٣) بحث: الشجرة المباركة من خلال يقين القرآن وبحوث العلماء، من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص١٤.

وقال د. أحمد عبدالحميد عراب: "من الخطأ كذلك أن نفرض علىٰ القرآن الكريم نظريات علمية حديثة بدعوىٰ أنها تؤيد صحة القرآن وأنه وحي من عند الله، فالأمر عندي هو العكس: إن كل ما في القرآن حقائق علمية، سواء اتفق معه العلم الحديث أم لم يتفق، فالعلم الحديث يحتوي علىٰ نظريات متغيرة، والقرآن يحتوي علىٰ حقائق ثابتة، فإذا اتفق العلم الحديث مع القرآن (وهذا واقع الآن) فمعنىٰ ذلك – في رأيي – أن العلم قد بدأ يسير في الاتجاه الصحيح وهو الاتجاه القرآني، وليس معناه أن القرآن يسير في اتجاه العلم الحديث، فيصح بصحته، ويتغير بتغيره، ويفسد بفساده.

وإذا لم يتفق العلم الحديث مع القرآن (كما في المعجزات مثلاً) فالقرآن حقائق علمية، والعلم الحديث ناقص، أو قاصر، أو باطل، ولا يمكن أن يكون الأمر إلا هكذا.

فالعلم الحديث فيه حقائق علمية نسبية، وفيه حقائق علمية وباطل، وكل ما في القرآن الكريم هو حقائق علمية مطلقة: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فُصِّلَت: ٤٢]"[١].

**الضابط الثاني عشر: أن يقتصر عند القول بالإعجاز العلمي على الحقائق العلمية التي وصلت إلى حد القطع بها، بخلاف ما دون الحقائق من النظريات، أو حتى ما قد يعتبره البعض حقيقة علمية ويخالفه آخرون.**

ذلك أن إقحام ما عدا الحقائق القطعية في الإعجاز مخاطرة ومجازفة، تنقلب علىٰ تصديق الوحي بالتشكيك فيه، وعلىٰ الإعجاز بالاستهانة به، وسلبه روح الإعجاز؛ لأن الحقائق العلمية إذا وافقت وأيدت الوحي، كانت دليلاً عقلياً علىٰ الربوبية، وعلىٰ صدق نبوة الرسول ﷺ، ولذلك يشترط فيها أن تكون وصلت إلىٰ مرحلة الثبات والقطع بالصحة، حتىٰ يثبت مدلولها، ولا تكون دلالتها باطلة، فإن الدليل القطعي مستلزم لمدلول قطعي[٢] ثابت الدلالة لا يقبل الشك[٣]، فلا حاجة إلىٰ التسرع في الاكتشافات العلمية لربطها بنصوص الوحي قبل أن تستقر تلك الاكتشافات، وتكتسب مصطلح الحقيقة العلمية.

---

(١) الإسلام والعلم، ضمن سلسلة: نحو جيل مسلم ص٥١-٥٢.
(٢) انظر: الصواعق المرسلة، ابن القيم ٣/ ٧٩٧.
(٣) انظر: ضوابط الاستشهاد بالعلم التجريبي في تأييد الوحي، ماجدة العنزي ص٨٥.

ولذلك لا "يكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية ثابتة إلا إذا أخطأ الناس في فهم الآية القرآنية، أو جهلوا الحقيقة العلمية؛ لأنه لا تعارض بين القرآن والعلم مطلقاً"[1]، فالنص إذا كان قطعي الثبوت، وقطعي الدلالة، فإنه لا يخالف الحقيقة والواقع، وهذا غير موجود حتماً، وليس من الممكن أن يوجد قطعاً[2].

ثم يقال لمن يحاول التوفيق بين القرآن والسنة وبين الحقائق العلمية، ويتكلف في ذلك، حسبكم أن لا يكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية ثابتة، وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ما جد، ويجد من نظريات، وقوانين علمية، تقوم على أساس من الحق، وتستند إلى أصل من الصحة[3].

**الضابط الثالث عشر: ألا يكون الوجه من الإعجاز العلمي مجزوماً به عند تفسير الآية.**

وذلك أن القول بالتطابق بين الآية القرآنية والعلوم التجريبية هو:

أولاً: "نتيجة لجهد واجتهاد شخصي من بعض العلماء، والواجب على كل منهم أن ينسب هذا التطابق أو الإيماء إلى نفسه - إن لم يكن هناك إجماع على هذا التطابق - وذلك بأن يقول: أرى أن الآية أو الحديث يدل على كذا، أو يرشد إلى كذا، فإذا تبين فيما بعد أن التطابق الذي تحدث عنه العالم غير صحيح، رجع الخطأ على من استدل به،

---

(١) الآيات الكونية في ضوء العلم الحديث، د. منصور حسب النبي ص٣٧، وانظر: شطحات مصطفى محمود، د. عبدالمتعال الجبري ص١٢، والبراهين العلمية على صحة العقيدة الإسلامية، عبد المجيد العرجاوي ص٩٠.

(٢) انظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني ص٢٤ - ٢٥، ٢٩ - ٣٠، والبراهين العقلية على وحدانية الرب ووجوه كماله، عبد الرحمن بن سعدي ص٥٧، ٦٣، وهذا هو الإسلام، محمد متولي الشعراوي، ص٢٠٤، والإعجاز العلمي في القرآن، د. عبدالله المصلح ص٣٦، وكتاب القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي ص١٤٤، والآيات الكونية في ضوء العلم الحديث، د. منصور حسب النبي ص٤٧، وأثر التدريس بالآيات القرآنية الكونية على التحصيل الدراسي لتدريس وحدة بمادة العلوم للصف الثاني متوسط ص ٥٦، والضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، د. راشد شهوان ص١٤٣، وضوابط الاستدلال بالسنة النبوية على مسائل الإعجاز العلمي، د. عبدالمحسن التخيفي ص٤٧١-٤٧٣، ٤٧٩-٤٨٠، ونظرات في التفسير العلمي للقرآن، د. يوسف القرضاوي ص٢٣.

(٣) انظر: التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي ٢/ ٤٥٦- ٤٥٧، ٤٨٥ - ٤٩٤، والإعجاز العلمي في القرآن، د. عبدالله المصلح ص٣٦، ونقض النظريات الكونية، محمد عبدالله الإمام ص٧١، والآيات الكونية دراسة عقدية، عبد المجيد الوعلان ص ١٣٧-١٣٨.

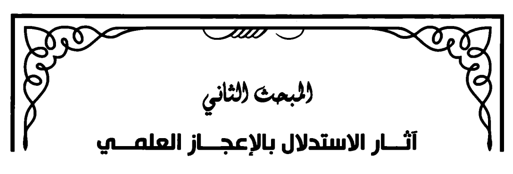
لا على آيات الله أو حديث رسوله ﷺ"[(١)].

**ثانياً:** أن ما توصل إليه الباحث في الإعجاز العلمي في فهم دلالة الآية الكريمة، ليس منتهى الفهم لها؛ لأن القرآن الكريم لا تنتهي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد.

وقد أدى الإخلال بهذا الضابط إلى أن بعض المشتغلين بالإعجاز العلمي يسوق أقوال المفسرين المتقدمين في الآية، ثم يجعل ما توصل إليه في بحثه، هو القاطع لتلك الأقوال، والمرجح لواحد منها، والقطع في مثل هذه الحال لا حاجة له، إذ يكفي إيراد احتماله للإعجاز، فكما أن الوجه من أوجه الإعجاز البلاغي لا يمكن القطع به لاحتمال إرادة ما هو أبلغ منه مما يخفى على المفسر، فكذلك الأمر هنا.



(١) إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، كريم الأغر ص٥٧٢، ومقال: الإعجاز العلمي ضوابط وحدود، فهد بن عبدالرحمن اليحيى، موقع الهيئة العالمية www.eajaz.org



# المبحث الثاني

## آثـــار الاستدلال بالإعجـــاز العلمـــي على قضايا الاعتقاد

يعد الاستدلال بالآيات الكونية والحقائق العلمية لتقرير القضايا العقدية من مناهج الاستدلال، التي إذا أحسن التعامل معه وفق منهج علمي واضح وثابت، كانت له آثاراً حميدة، وإذا لم يحسن التعامل معه كانت له آثاراً سيئة، قد تعود على مسائل الاعتقاد بالنقض أو النقص، وعلى القرآن بالاتهام، قال د. عبدالرحمن بن زيد الزنيدي: "ومما يلاحظ – لدى البعض – فيما يتعلق بالاستدلال بحقائق العلم على قضايا العقيدة، ضعف في حبك الاستدلال، أي ترتيب النتيجة على المقدمة...ولا أقصد هنا التزام المنطق الاستدلالي في تركيباته الكلامية، كلا، لكن الاتساق بين حقائق العلم التجريبي وحقائق العقيدة، اتساق مقدمة بنتيجة يحتاج إلى مهارة فكرية وبيانية، تسير بالقارئ من المقدمة إلى النتيجة، بحيث تجعله يزدلف هو إليها فطرياً"[1].

والاستدلال بالآيات الكونية على العقيدة أوسع مجالاً من الإعجاز العلمي، ولا يقتصر على آيات القرآن الكريم، بل يبحث عن كل حقيقة كونية، وآية علوية أو سفلية، يمكن الاستفادة منها في البرهنة على صحة أصول العقيدة، سواء وردت في القرآن أم لم ترد[2]، ولهذا فإن استعمال لفظ (دلائل صدق الوحي) أصدق دلالة، وأوسع مدلولاً، وأسلم الاعتراض، من لفظ (الإعجاز العلمي).



(١) مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر ص١٧٠.

(٢) انظر: مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية في العصر الحديث، د. أحمد قوشتي ص٤٣٨.

**الآثار الحسنة للاستدلال بالإعجاز العلمي:**

وإذا حصل مع ذلك التزام بالضوابط السابقة في الاستدلال به على قضايا الاعتقاد، كان لذلك آثاراً عظيمة منها:

**أولاً: تقرير المسائل العقدية:**

فإن الإعجاز العلمي (أو دلائل صدق الوحي) تكون بذلك دليلاً عقلياً وحسياً وشرعياً، وقد جاء القرآن بالأدلة العقلية والحسية.

وهذا الأثر لا يتحصل بمجرد البحث عن التطابق بين الآيات القرآنية، واكتشافات العلوم الحديثة، وإنما ينبغي يكون بـ"رصد نتائج العلم التجريبي، في دائرته الكونية، ودائرته الإنسانية، واستخلاص تلك الحقائق، التي تنطوي على دلالة واضحة على مسائل العقيدة، ثم بناء أدلة عقلية منها على تلك المسائل.

ومن البين أن الحقائق العلمية بلغت من الثراء في العلم الحديث ما تكون به مصدراً لا ينفد للاستدلال على حقائق العقيدة، وهو مصدر متجدد بنمو الاكتشافات لقوانين العلوم، ففي كل قانون جديد دليل جديد على تلك الحقائق، وتبقى صياغته المنطقية للاستدلال والإقناع في مهمة الفكر العقدي، وهذا القول يصدق في حق المسائل العقدية النظرية، كما يصدق في حق المسائل التشريعية العملية"[(١)].

**ثانياً: إقامة الحجة على المعاندين، والرد على شبهاتهم، وزيادة إيمان المؤمنين لما يرونه من دلائل صدق الوحي:**

قال الإمام الخطابي[(٢)] رحمه الله: "فلما استقر ما شاهدوه من هذه الأمور في نفوسهم، وثبت ذلك في عقولهم، صحت عندهم نبوته، وظهرت عن غيره بينونته، ووجب تصديقه على ما أنبأهم عنه من الغيوب، ودعاهم إليه من أمر وحدانية الله ﷻ وأمر صفاته، وإلى ذلك ما وجدوه في أنفسهم وفي سائر المصنوعات، من آثار الصنعة ودلائل الحكمة الشاهدة، على أن لها صانعاً حكيماً، عالماً خبيراً، تام القدرة، بالغ الحكمة، وقد نبههم

---

(١) واقعية المنهج الكلامي ودورها في مواجهة التحديات الفلسفية المعاصرة، د. عبد المجيد النجار، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٦٠).

(٢) هو: أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، الخطابي، كان إماماً في الفقه والحديث واللغة، سمع الحديث بمكة وبالبصرة وببغداد، توفي ببست عام ٣٨٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٧/ ٢٣، وطبقات الشافعية، السبكي ٣/ ٢٨٢.

الكتاب عليه ودعاهم إلىٰ تدبره وتأمله، والاستدلال به علىٰ ثبوت ربوبيته فقال: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١] إشارة إلىٰ ما فيها من آثار الصنعة ولطيف الحكمة، الدالين علىٰ جود الصانع الحكيم، لما ركب فيها من الحواس التي عنها يقع الإدراك، والجوارح التي يباشر بها القبض والبسط والأعضاء..." إلىٰ أن قال: "وما أشبه ذلك من جلال الأدلة وظواهر الحجج، التي يدركها كافة ذوي العقول، وعامة من يلزمه حكم الخطاب، مما يطول تتبعه واستقراؤه"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ شارحاً كلام الإمام الخطابي ﷺ: "وقد نبه الخطابي أن فيما جاء به الرسول من بيان الطرق العقلية، التي يعرف بها ثبوت الخالق وتوحيده وصفاته، فإن الرسول ﷺ لم يكن تعريفه للناس ما عرفهم إياه بمجرد خبره، وإن كان ذلك بعد ثبوت صدقه كما يظنه كثير من أهل الكلام، بل عرفهم ما به يعرف ثبوت الخالق ووحدانيته وصفاته، وما به يعرف صدقه، فبين ما جاء به من أصول الدين وأدلته العقلية، التي يعلم بها ما يمكن معرفته بالعقل، وأخبرهم عن الغيب الذي لا يمكنهم معرفته بمجرد عقلهم، ولهذا قال الخطابي: (وإلىٰ ذلك ما وجدوه في أنفسهم وفي سائر المصنوعات من آثار الصنعة، ودلائل الحكمة الشاهدة، علىٰ أنه لها صانعاً حكيماً، عالماً خبيراً، تام القدرة بالغ الحكمة...) إلىٰ آخر كلامه"(٢).

وقال أيضاً: "فالآيات التي يريها الناس، حتىٰ يعلموا أن القرآن حق، هي آيات عقلية؛ يستدل بها العقل علىٰ أن القرآن حق، وهي شرعية؛ دل الشرع عليها، وأمر بها.

والقرآن مملوء من ذكر الآيات العقلية التي يستدل بها العقل، وهي شرعية؛ لأن الشرع دل عليها، وأرشد إليها، ولكن كثير من الناس لا يسمي دليلاً شرعياً إلا ما دل بمجرد خبر الرسول، وهو اصطلاح قاصر"(٣).

وبهذا يتبين أن الإعجاز العلمي يفيد في إقامة الحجة علىٰ المعاندين، لكن بشرط عدم المبالغة فيه، بحشد كل ما يقف عليه أصحابه من أقوال واكتشافات؛ لإثبات أن القرآن سبق إلىٰ ما توصل إليه العلم الحديث، متناسين أو معرضين عن المقاصد الكبرىٰ من

---

(١) الغنية عن الكلام وأهله ص١٥.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٠٢.

(٣) النبوات ١/ ٢٩٣، وانظر: الدليل العقلي عند السلف، عبدالرحمن سعد الشهري ص٢٤-٢٧، واستدلال السلف بالعقل، عبدالواحد محمد الأنصاري.

وحدانية الله ﷻ، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، التي من أجلها ذكرت الآيات الكونية في القرآن الكريم، قال د. مرهف عبد الجبار سقا: "وهكذا أستطيع القول بأنه لا ينبغي لأن يذهب عنا وجوب دراسة هذه الآيات في سياقها المقاصدي كإقامة الحجة على غير الملحدين والمشركين والمشككين، وإثبات وحدانية الله تعالى، وتقرير صفاته كالقدرة والعلم والإرادة، والدلالة على البعث والنشور، وربانية القرآن ونبوة سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ، بل يجب علينا أن نركز على هذا الجانب المهم في أبحاث التفسير العلمي والإعجاز العلمي، وأن يكون وجوده شرطاً من شروط هذه الأبحاث، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق:١]"[١].

فدعوى السبق العلمي في بعض القضايا العلمية لا يمكن أن يكون حجة على الكفار؛ لأنها تفتقر إلى إثبات أنه لم يسبق القول بها قبل نزول القرآن، وخاصة أن بعض المسائل التي ادعى فيها أصحاب الإعجاز العلمي السبق العلمي هم يعترفون أن هناك من أشار لها قبل نزول القرآن.

**ثالثاً: الدعوة إلى الله ﷻ:**

فإن الإعجاز العلمى (أو دلائل صدق الوحى) قد أثمر في مخاطبة العقليات المفتونة بالعلم ومنهجه التجريبي، والشواهد الدالة على ذلك كثيرة[٢]، ولذلك وجب ضبطه بالضوابط الشرعية، وأن يستدل له بما هو واضح وبين ومطابق لما توصل إليه العلم، وأما بعض الأمثلة فإنها لا تصلح أن تكون حجة لعدم تحقق التطابق، أو لأن ما يدعى أنه حقيقة علمية هو نظرية عند أهل الاختصاص، مما سيعود على الاحتجاج بالبطلان إذا تغيرت العلوم وتقدمت.

قال د. محمد الصادق عرجون: "إن الجانب الكوني في آيات القرآن الحكيم - وهو جانب مهم جداً؛ لأنه عماد الدلائل الإلهية على وجود الله تعالى، وتوحيده، وباهر قدرته،

---

(١) مقال: لماذا لم يستوعب التفسير المأثور كل الآيات الكونية، نشرة الحقيقة، العدد (١٦) شعبان ١٤٣١هـ ص؟، وانظر: الحصون الحميدية، حسين الجسر ص١٥٣، ونظرات في التفسير العلمي للقرآن، د. يوسف القرضاوي ص٣٧، وتقويم الأعمال التي تناولت الإعجاز العلمي والطبي في السنة النبوية ص؟، وموسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ٣/ ١٤، ورد مزاعم المبطلين عن أصول الدين، د. عبد اللطيف العبد ص٩٩-١٢٨، والنظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية، د. حسن الأسمري ١/ ٦٩٨ وما بعدها.

(٢) وقد سبق ذكر أسماء من أسلموا بسبب القول بالإعجاز العلمي ص ٩٠.

وواسع علمه، ولطيف حكمته، وسائر ما يجب له تعالىٰ من الكمال – في حاجة ماسة إلىٰ إعادة النظر فيه للتفسير والبيان بأسلوب علمي يبرز عن طريق ملاحظة الظاهر الكونية حجة الله علىٰ خلقه، ويكشف عما في الآيات من أسرار وحقائق ناط الله بها كثيراً من منافعنا ومصالحنا في الدين والدنيا، وقد أشار إليها القرآن في آياته ودلائله ويبدأ العلم يكشف عنها الحجب، ولكن علىٰ شرط أن نحذر، فلا نخضع القرآن لنظريات لا تزال في مهب التجارب، وقد تعصف بها فتصبح من قبيل الأساطير فنقول إنها تفسير لآيات القرآن كما صنع ذلك بعض المتحمسين وبعض المخدوعين ببريق العلم التجريبي"[1].

**وتحقق هذه الآثار** يحتاج إلىٰ تأصيل عقدي منهجي منضبط، وذلك ليتحقق المقصود منه، كما يحتاج إلىٰ علم بالشريعة وخاصة العقيدة والتفسير، ودراية بالعلوم التجريبية، قال د. سعود بن عبدالعزيز العريفي: "أن التأصيل العقدي المنهجي المنضبط يساعد علىٰ حسن التعامل والمعالجة للنوازل العقدية، وبدونه يطرأ الضعف ويدب الوهن في المسائل والدلائل.

ولقد خبرت ذلك وجربته فيما يعانيه ويكلفه المشتغلون بالإعجاز العلمي، وما يحاولونه من توظيف المكتشفات لتدعيم العقيدة، ظناً منهم أن هذه خير وسيلة لمواجهة آفة الافتتان بها، فحملهم ذلك علىٰ تكلف الموافقة بين هذه المكتشفات وما تحتمله نصوص الوحي من عموم الدلالات، فأفضىٰ بهم الأمر إلىٰ تخليط عجيب"[2].

وقال أيضاً: "التنبيه إلىٰ أن أهل العلم الشرعي الأصيل، وعلوم القرآن واللغة، والعقيدة خصوصاً، أولىٰ بهذه القضية دراسة وتقريراً ونقداً وتمحيصاً من غيرهم، وأن ما يروج له من هذا المجال إنما هو للمتخصصين في العلوم التجريبية من الأطباء والفلكيين والجيولوجيين والفيزيائيين ونحوهم، إنه قلب للقضية، وإخلال بالمنهج العلمي السليم في التفكير والاستدلال، الذي يعطي أصحاب الاختصاص الأولوية في التعبير عن مجال اختصاصهم، وإخال أحداً يحظىٰ بثقافة شرعية جيدة يغيب عنه من أولىٰ الناس بتفسير كلام الله تعالىٰ.

أما أصحاب التخصصات التجريبية فقصارهم – إن ساغ تحميل ظواهر بعض الآيات شيئاً من الحقائق العلمية المكتشفة – أن يبينوا هذه الحقائق بالأدلة الحسية التجريبية،

(١) القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين ص٢٨٤
(٢) صناعة التفكير العقدي ص٢٩

وأنها ليست مجرد فرضيات وتخمينات، أما أن يتجاوزا ذلك إلى تفسير النص القرآني جزماً بمراد الله تعالى من كلامه، فهذا مالا يحتمل"[(١)].

**الآثار السيئة للاستدلال بالإعجاز العلمي:**

وهذا الأمر – الجزم في التفسير بأنه مراد الله تعالى – سيوقع في إشكالات خطيرة منها:

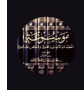
**أولاً:** اتهام الجيل الأول من المسلمين – وفيهم الرسول ﷺ والصحابة ﷺ – بعدم فهم آيات القرآن الكريم، والخطأ في فهمها.

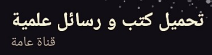
**ثانياً:** فتح باب الاستدلال بالاحتمالات والظنيات على المطالب العقدية القينية، مما سيفتح باباً للقدح فيها، والتكذيب بها[(٢)].

**ثالثاً:** زيادة الوهم عند بعضهم بأنَّ بين الإسلام والعلم تعارض، وهذا ما صرحت به مجلة (ديسكفري) في سنة (٢٠٠٨م) حيث نشرت مقالاً بعنوان: (العلم الطبيعي والإسلام في تعارض)، وكان المقال يتكيء في الجملة على كثير من ممارسات المشتغلين بالإعجاز العلمي[(٣)].

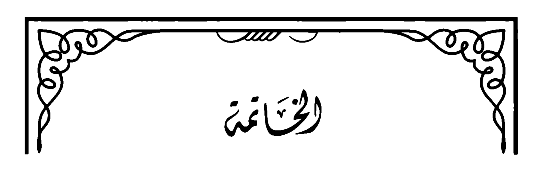


(١) منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية ص٢٧-٢٨.
(٢) انظر: منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية، د. سعود العريفي ص٨٠.
(٣) انظر: ميليشيا الإلحاد، عبدالله العجيري ص١٤٤.




تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات


معطّلة



# الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فله الحمد في الأولىٰ والآخرة وهو الحكيم الخبير، **وبعد**: فهذه خاتمة البحث، وفيها تتم الإشارة إلىٰ أهم نتائجه دون جزئياته ومسائله، مع بعض التوصيات التي توصلت إليها، وبيانها علىٰ النحو التالي:

**أولاً: أهم نتائج البحث:**

١) أن دلائل إعجاز القرآن الكريم كثيرة، منها ما هو مأخوذ من القرآن نفسه، ومنها ما هو مأخوذ من القرائن والأحوال المحيطة به.

٢) أن لفظ الإعجاز لم يرد في الكتاب والسنة، والذي ورد هو لفظ الآية والبرهان والحجة والبينة وغيرها.

٣) أن استعمال الألفاظ الشرعية يعصم من الوقوع في إشكالات قد يجر إليها استعمال الألفاظ المحدَثة، خاصة إذا كان ذلك في تقرير مسائل الاعتقاد.

٤) أن القرآن الكريم ذكر الآيات الكونية في الآفاق والأنفس، لمقاصد عظيمة، وحكم جليلة، أعظمها توحيد الله تعالىٰ وإفراده بالعبادة.

٥) أن مصطلح الإعجاز العلمي نشأ في نهاية القرن الرابع عشر الهجري وبداية القرن الخامس عشر الهجري ولم يعرف قبل ذلك، ولذلك جرىٰ الخُلف في قبوله ورفضه، أو تصحيح مضمونه ولفظه.

٦) أن بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي فرقاً من جهة التعريف الاصطلاحي، وأما من جهة النتيجة والمقصد فمتفقان.

٧) وقع بعض المشتغلين بالإعجاز العلمي في أخطاء منهجية وعلمية، يعود سببها إلىٰ عدم وضوح منهج التلقي والاستدلال عندهم، مما أوقعهم في مخالفة للقرآن والسنة، ولمنهج سلف الأمة في تقرير المسائل الاعتقادية والاستدلال لها.

٨) أن كثيراً من المشتغلين بالإعجاز العلمي لم يفرقوا بين أمرين:



**الأمر الأول:** أن تُذكر أسرار في القرآن الكريم؛ فيبحث عن سبب ذكرها، والحكمة من ورودها، وعلاقتها بمفردات أخرىٰ ذكرت في الآية أو في غيرها، ومدىٰ تحقق رؤية ذلك في الواقع العلمي، وهذا هو الذي عناه بعض العلماء كما مرّ في البحث، وعدَّه بعض الباحثين منهم إعجازاً علمياً، وليس هو كذلك.

**الأمر الثاني:** أن تدرس النظريات في المعامل والمختبرات، ويدون في شرحها الكتب والمؤلفات، ثم يُبحث في القرآن الكريم عن ما يوافق هذه النظريات أو الفرضيات، أو الحقائق التي لا صلة للآيات القرآنية بها، وهنا يقع الخطأ والغلط، وهذا الأمر هو الذي أكثر منه بعض أصحاب الإعجاز العلمي .

١) اصطلح كثير من العلماء علىٰ تسمية ما أيد الله ﷻ به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من آيات بينات آمن علىٰ مثلها البشر بـ(المعجزة)، وهي تختلف عن مصطلح (الإعجاز العلمي) من جهة التعريف الاصطلاحي، ومن جهة عدم تحقق شروطها فيه.

٢) أن آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والتي تسمىٰ معجزات؛ لا يمكن تفسيرها بالعلوم التجريبية، أو قياسها علىٰ الأمور المشاهدة، بل الواجب الإيمان بها، والتصديق بوقوعها.

٣) أن المسلك الصحيح في المسائل الغيبية هو الإيمان بها كما وردت، دون إعمال للعقل في معرفة كيفيتها، أو قياسها علىٰ الواقع المشاهد، أو ربطها بالمكتشفات العلمية التجريبية؛ إذ لا سبيل لمعرفة كيفية هذه المسائل إلا عن طريق الوحي.

٤) ينبغي لكل من تصدر لتفسير القرآن الكريم أو بيان دلائله، أن يلتزم بما وضعه العلماء من ضوابط وقواعد.

٥) لقد أنزل الله ﷻ القرآن هداية للناس، يخرجهم به من الظلمات إلىٰ النور، ومن الضلال إلىٰ الهدىٰ، ومن الغي إلىٰ الرشد، فأي عمل يخرج القرآن عن مقصوده وغايته، فهو مردود علىٰ صاحبه.

٦) أن أسلم طريق لبيان إعجاز القرآن بما اشتمل عليه من العلوم، هو في بيان دعوته إلىٰ طلب العلم وحثه عليه، وأمره بالنظر في الكون والتفكر فيه، وموافقته لبعض العلوم فيما توصلت إليه.






**ثانياً: توصيات البحث:**

يمكن عرض أهم توصيات البحث، وهي توصيات للعلماء والباحثين، وتوصيات لهيئات الإعجاز العلمي وأفراده المشتغلين به، وذلك من خلال ما يلي:

١) أن يقوم العلماء عموماً، والمتخصصون في التفسير والعقيدة من أساتذة الجامعات خصوصاً، بالتواصل مع هيئات الإعجاز العلمي، وذلك بعقد مؤتمرات وورش عمل، يتم فيها تأصيل مفهوم الإعجاز العلمي، وترشيد تطبيقاته، وإعادة النظر في مسماه، وتقييم نتاجه الحالي، وتحكيم ما يراد نشره من أبحاث في المستقبل.

٢) أن يتم التعاون بين هيئات الإعجاز العلمي وبين كراسي البحث الجامعية المتخصصة في التفسير وعلومه، وكذا مراكز التفسير والتدبر وغيرها.

٣) أن يقوم الباحثون في تخصص العقيدة والتفسير بأبحاث علمية في جوانب من الإعجاز العلمي، ومنها:

- منهج أصحاب الإعجاز العلمي في الاستدلال.
- منهج أصحاب الإعجاز العلمي في تفسير القرآن الكريم.
- دراسة الألفاظ القرآنية الكونية التي تكلم فيها أصحاب الإعجاز العلمي، كدراسة لفظ الأرض والسماء والشمس وغيرها، ومقارنة ذلك بأقوال المفسرين.

والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.








معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة




معطّلة

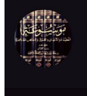


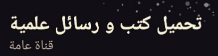


# الفهــارس

وتشتمل على:

- فهرس الآيات القرآنية موضع الدراسة.
- فهرس الأحــاديث والآثـــار.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعــات.






قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

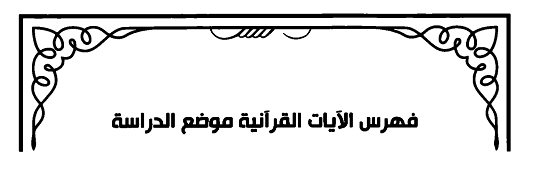
رابط الدعوة









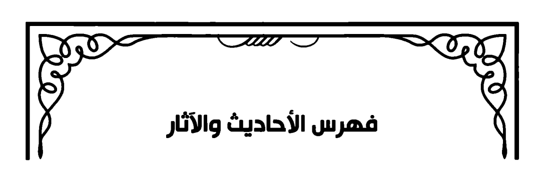


# فهرس الآيات القرآنية موضع الدراسة

| | | |
|---|---|---|
| **إبراهيم** | | |
| ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ | ٤٨ | ٤٠٥ |
| **الحجر** | | |
| ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ | ١٤ | ٢٦٩ |
| ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ...﴾ | ٤٣-٤٤ | ٣٥٣ |
| **النحل** | | |
| ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ | ١٥ | ٤٨٩ |
| ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ﴾ | ٦٦ | ٤٨٦ |
| **الإسراء** | | |
| ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ | ٩٩ | ٤٠٥ |
| **الكهف** | | |
| ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ﴾ | ٤٩ | ٣٣٠ |
| ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ﴾ | ٩٩ | ٢٨٤ |
| **طـه** | | |
| ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ | ٦ | ٤٨٧ |
| ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا ...﴾ | ١٠٥-١٠٧ | ٢٩٦ |
| **الأنبياء** | | |
| ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ | ٣٠ | ٣٥٤، ٣٧٤، ٤٨٥ |
| ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ | ٨٠ | ٤٦٠ |
| ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ | ٨١ | ٤٦٢ |
| ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ ﴾ | ١٠٤ | ٤٠٥ |
| **الحج** | | |
| ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ...﴾ | ١٩-٢١ | ٣٦٢ |
| ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾ | ٤٧ | ٢٣٢ |
| **النور** | | |
| ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ ﴾ | ٢٤ | ٣٣٠ |
| ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ ﴾ | ٤٠ | ٥١١ |
| **النمل** | | |
| ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ...﴾ | ٩-١٠ | ٤٥٩ |
| ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ...﴾ | ٨٨-٩٠ | ٢٩٧ |

| | | |
|---|---|---|
| ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ | ٦ | ٣١٤ |
| ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ | ١٣ | ٣٣٩ |
| **الانفطار** | | |
| ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ | ٢ | ٣١٧ |
| **المطففين** | | |
| ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ...﴾ | ٧-٩ | ٣٢٧ |
| ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ...﴾ | ١٨-٢٠ | ٣٢٧، ٣٣٩ |
| **الانشقاق** | | |
| ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ﴾ | ٣-٤ | ٢٩٢ |
| **البروج** | | |
| ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ | ٥ | ٣٤٧ |
| **البلد** | | |
| ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ | ٢٠ | ٣٤٧ |
| **الزلزلة** | | |
| ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا...﴾ | ١-٨ | ٢٩٢، ٣٣٠ |
| ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ | ٤ | ٣٣٠ |
| **القارعة** | | |
| ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ | ٥ | ٢٩٦ |
| **التكاثر** | | |
| ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ...﴾ | ٥-٧ | ٣٥٣ |
| **الهُمزة** | | |
| ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ | ٦ | ٣٤٧ |
| **المسد** | | |
| ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ | ٣ | ٣٤٧ |




فهرس الأحاديث والآثار





# فهرس المصادر والمراجع

## أولاً: الكتب المطبوعة:


❁ أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إعداد: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية ، مكة المكرمة.

❁ أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إعداد: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية ، مكة المكرمة.

❁ أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إعداد: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، مكة المكرمة.

❁ أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إعداد: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية ، مكة المكرمة.

❁ أبي أدم قصة الخليفة بين الأسطورة والحقيقة، د. عبد الصبور شاهين، دار أخبار اليوم، القاهرة، بدون.

❁ اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم شريف، دار السلام، مصر، الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

❁ اتجاهات التفسير بالغرب الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري، د. عبد الله عوينه، دار ابن حزم ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

❁ اتجاهات التفسير في العصر الراهن، د. عبد المجيد عبد السلام المحتسب، مكتبة النهضة الإسلامية، الأردن، الثالثة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

❁ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد بن عبدالرحمن الرومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الثالثة ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

❁ الاتجاهات العقلانية الحديثة، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الفضيلة، الرياض، الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

❁ الاتجاهات المعاصرة في دارسة السنة النبوية في مصر وبلاد الشام، د. محمد عبد الرزاق أسود، دار الكلم الطيب، دمشق، الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

❁ إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، الشيخ حمود بن عبد الله التويجري، دار الصميعي، الرياض، الثانية ١٤١٤هـ.

❁ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية ١٤١١هـ -١٩٩١م.

❁ إتمام الأعلام ( ذيل كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي )، د. نزار أباظة، محمد رياض المالح، دار صادر، بيروت، الأولى ١٩٩٩م.

❁ إثبات النبوة، أحمد الفاروقي السرهندي، مكتبة الحقيقة، تركيا ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

❁ إثبات نبوة محمد ﷺ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. أحمد بلعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

❁ إثبات وجود الله في كتاب (في ظلال القرآن) لسيد قطب، حسان عبدالمنان محمود، دار الجيل، بيروت، الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.

❁ أثر العرب في الحضارة الأوروبية، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، بدون.

❁ أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، أحمد علي الملا، دار الفكر، دمشق، الثانية ١٤٠١هـ.

❁ أثر القرآن في النقد العربي، د. محمد زعلول سلام، دار المعارف، القاهرة، بدون.

❁ الإجازات العلمية للقرآن الكريم بين الآيات القرآنية والنظريات العلمية، أحمد المرسي جوهر، مكتبة الإيمان بالمنصورة، الأولى ١٤٢١هـ.

❁ اجتماع الجيوش الإسلامية، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. عواد المعتق، د. مكتبة الرشد، الرياض، الثانية ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

❁ الأجزاء الكونية بين النقل والعقل، عبدالعزيز آل عبدالله، ط. مكتبة دار البيان، الأولى.

❁ إجمال الإصابة في أقوال الصحابة، صلاح الدين العلائي، تحقيق: د. محمد سليمان الاشقر، ط. جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الأولى١٤٠٧هـ.

❁ أحاديث إلى الشباب في ضوء الإسلام، أنور الجندي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، العدد ١٦٥، السنة الرابعة عشرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

❁ الإحكام في أصول الأحكام، لأبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، بدون.

❁ اختراق عقل، د. أحمد إبراهيم، ط. مركز دلائل، الرياض، الثانية ١٤٣٧هـ.

❁ الأدلة الجلية على صدق خير البرية ﷺ، د. عبد المحسن بن زبن المطيري، طبع: دار البيان، لندن.

❁ آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية، د. محمد بن عبدالعزيز الشايع، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الأولى ١٤٢٧م.

❁ إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، لبنان، الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

❁ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ( تفسير أبي السعود )، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

❁ الأرض في القرآن الكريم، د. شاهر جمال آغا، دار الكتاب الثقافي، الأردن ١٤٢٦هـ.

❁ الأرض والنبات، د. شعبان محمد إبراهيم، الدار العالمية للنشر والتوزيع، مصر، الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

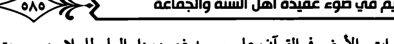
❁ الأرض، د. خالد فائق العبيدي، دار الكتب العالمية، بيروت، الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

❁ أزمة العصر، محمد محمد حسين، دار عكاظ للطباعة والنشر، جدة، بدون.

❁ استدلال السلف بالعقل، عبد الواحد بن محمد الأنصاري، دار الكفاح للنشر والتوزيع، الدمام، الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

❁ الاستدلال في التفسير دراسة في منهج ابن جرير، د. نايف بن سعيد الزهراني، طبع: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، الأولى١٤٣٦ هـ -٢٠١٥ م.

❁ الاستشفاء بالصلاة، د. زهير رابح قراحي، نشر: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي، مكة المكرمة، الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.




❁ أسرار السموات والأرض في القرآن، علي محمد غصن، دار العلم للملايين، بيروت، الأولى ٢٠٠٦م.

❁ أسرار الصوت بين القرآن الكريم والعلوم المعاصرة، رنا داود الناظر، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، الأولى ٢٠١١م.

❁ أسرار الكون في القرآن، د. داود سلمان السعدي، دار الحرف العربي، بيروت، الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.

❁ أسرار خلق الإنسان العجائب في الصلب والترائب، د. داود سليمان السعدي، دار الحرف العربي، بيروت، الثانية ١٤٢٠هـ.

❁ أسرار عالم النبات، د. محمد غسان سلوم، دار المكتبي، دمشق، الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

❁ أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية، منتصر محمود مجاهد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

❁ إسلام آخر زمن، منذر الأسعد، مكتبة العبيكان، الرياض، الثانية ١٤١٨هـ.

❁ إسلام فوق الأوهام، مجدي عبد الباقي الشريف، مركز الراية للتنمية الفكرية، (بدون بيانات).

❁ الإسلام في عصر العلم، محمد فريد وجدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الثالثة، بدون.

❁ الإسلام مستقبل أوروبا، ياسر حسين، دار الأمين، مصر، الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

❁ الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، د. يحيى هاشم فرغل، دار المعارف، القاهرة، بدون.

❁ الإسلام والعلم، د. أحمد عبد الحميد غراب، دار الطباعة والنشر الإسلامية، (بدون بيانات).

❁ الإسلام والقومية العلمانية، عبد السلام ياسين، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا، الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

❁ الإسلام يتحدى الغرب الملحد، د. محمد نبيل النشواني، دار القلم، دمشق، بدون.

❁ الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، مكتبة الرسالة، (بدون بيانات).

❁ الإسلام يتصدىٰ للغرب الملحد، د. محمد نبيل النشواتي، دار القلم، دمشق، الأولىٰ ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

❁ الأسماء آية الإعجاز في الوحي الإلهي، د. ظافر بن علي القرني، دار الحضارة، الرياض، الأولىٰ ١٤٣٥هـ.

❁ الإشارات القرآنية للسرعة العظمىٰ والنسبية، د. منصور محمد حسب النبي، دار المعارف، مصر، بدون.

❁ الأشاعرة عرض ونقض، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار البيان، بدون ١٤٣٠هـ.

❁ الأصمعيات، اختيار الأصمعي أبو سعيد، تحقيق: أحمد شاكر، ط. دار المعارف، مصر، ١٩٩٣م.

❁ الأصول من علم الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط. دار ابن الجوزي، الدمام، الرابعة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

❁ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، ط. دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

❁ أضواء البيان في علوم القرآن، د. عامر عمران الخفاجي، دار صفاء، عمان، الأولىٰ ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

❁ أضواء علىٰ إعجاز القرآن الكريم، الشيخ عكرمة سعيد صبري، مركز الأهرام، القاهرة، الأولىٰ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

❁ أطلس القرآن، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت، الأولىٰ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

❁ إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي، دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، الأولىٰ ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

❁ الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد علىٰ مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ أبو بكر البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الأولىٰ ١٤٠١هـ.

❁ الإعجاز الإلهي في خلق أطوار الجنين (خلق الإنسان بين العلم الحديث والقرآن)، محمد محمود عبد الله، مركز الإسكندرية، ٢٠٠٩م.

❁ الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة، دار الآفاق العربية، القاهرة، الأولى ١٤١٣هـ - ٢٠٠٢م.

❁ الإعجاز البياني في القرآن الكريم، د. عمار ساسي، دار المعارف، بدون، الأولى، ٢٠٠٣م.

❁ الإعجاز البياني في القرآن الكريم، د. محمد محمد داود، دار جياد، جدة، الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ الإعجاز التربوي في القرآن الكريم، د. مصطفى رجب، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأولى ٢٠٠٦م.

❁ الإعجاز التشريعي لنظام الميراث في القرآن الكريم وأثره الاقتصادي والاجتماعي، د. أحمد يوسف شاهين، دار جياد، جدة، الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ الإعجاز التشريعي والعلمي في آيات الطعام والشراب في سورتي المائدة والأنعام، كريمة يوسف أبو شام، (بدون بيانات).

❁ الإعجاز الجغرافي في القرآن بين الحضارات القديمة والعلم الحديث، رائد راكان قاسم، دار ابن الأثير، العراق ٢٠٠٩م.

❁ الإعجاز الطبي في السنة النبوية، دار ابن كثير، دمشق، الثانية ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

❁ الإعجاز الطبي في القرآن الكريم، د. مهاب عبد الحفيظ طه، منشأة المعارف، مصر، ٢٠١١م.

❁ الإعجاز العددي في الدارسات القرآنية المعاصرة، إيمان محمد كاظم حبيب، طبع: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

❁ الإعجاز العقدي في القراءات القرآنية، د. أحمد بن علي السديس، ١٤٣٣هـ (بدون بيانات).

❁ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبدالفتاح صلاح رشاد، مؤسسة رؤية، مصر، الأولى٢٠١١ م.

❁ الإعجاز العلمي إلى أين، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، الثانية ١٤٣٣هـ.

❁ الإعجاز العلمي في إثبات الوسطية في المكـان، د. سـعد المرصفي، مكتبة ابـن كثيـر، الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

❁ الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسـنة النبويـة. محمـد حسـني يوسـف، دار الكتاب العربي، دمشق، الأولى ٢٠٠٦ م.

❁ الإعجـاز العلمـي في الإسـلام (القـرآن الكـريم)، محمـد كامـل عبـد الصـمد، الـدار المصرية اللبنانية، مصر الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

❁ الإعجـاز العلمـي في القـرآن الكـريم (قائمـة بيليوجرافيـة)، إعـداد: مركـز دراسـات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، جامعة الإمـام محمـد بـن سـعود الإسـلامية، الريـاض ١٤٣٤هـ.

❁ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (ما بين الذبح الإسلامي وصحة الإنسان)، د. جواد الهرمي، (بدون بيانات).

❁ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وأثره في تفعيل الحوار المسيحي الإسلامي، رشيد شهاب الدين، دار العلوم العربية، بيروت، الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

❁ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، العيداني الحادي هدى وعبـد الـلاوي حـدة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر ٢٠٠٩م - ٢٠١٠م.

❁ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. سليمان الطراونة، دار الفرقان، الأردن، الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

❁ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، مصر.

❁ الإعجـاز العلمـي في القـرآن د. السـيد الجميلـي، دار الفكـر العربـي، بيـروت، الأولى ١٩٩٠م.

❁ الإعجاز العلمي في القـرآن، سـامي أحمـد الموصـلي، دار النفـائس، بيـروت، الأولى ١٤٢٢هـ.

❁ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الأسـس والضـوابط، د. عبـد الله سـلمان العوضـي، (بدون بيانات).

❁ الإعجـاز العلمـي في القـرآن والسـنة تاريخـه وضـوابطه، د. عبـد الله بـن عبـد العزيـز المصلح، دار جياد للنشر والتوزيع، جدة، الثالثة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان، د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح، دار جياد، جدة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبد الله المصلح ود. عبد الجواد الصاوي، دار جياد، جدة، الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

❁ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، نايف منير فارس، مكتبة ابن كثير، الكويت، الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١١ م

❁ الإعجاز العلمي في القرآن، حمزة سالم جبرين، (بدون بيانات)، الأولى ١٣٩٩هـ.

❁ الإعجاز العلمي في القرآن، د. عايد طه ناصف، مؤسسة طيبة، القاهرة، الأولى ٢٠٠٥م.

❁ الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم، د. صادق الهلالي، د. حسين رضوان اللبيدي، دار جياد، جدة، الرابعة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في مجال الطقس والمناخ، د. نعمان شحادة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في مجال علوم الأرض، د. محمود إبراهيم الشريني، مكتبة مدبولي، مصر، الأولى ٢٠١٠م.

❁ الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، د. فهد خليل زايد، دار النفائس، الأردن، الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م.

❁ الإعجاز العلمي والتاريخي في القرآن، محمد محمود عبد الله، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأولى ٢٠٠٩م.

❁ الإعجاز العلمي والجغرافي في القرآن الكريم، د. فوزي الشربيني، المكتبة العصرية، مصر، الأولى ٢٠٠٨م.

❁ الإعجاز الغيبي، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

❁ إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، د. حفني محمد شرف،١٣٩٠هـ - ١٧٩٠م، (بدون بيانات).

❁ إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، الأردن، الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

❁ إعجاز القرآن الكريم عند ابن القيم، حسن بن عواد العوفي، طبع: كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود بالرياض، الأولى ١٤٣٦هـ.

❁ إعجاز القرآن الكريم عند الإمام ابن عاشور، د. محمود بن علي البعداني، طبع: كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود بالرياض، الأولى ١٤٣٥هـ.

❁ إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. محمد بن عبد العزيز العواجي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الثانية ١٤٣١هـ.

❁ إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، السابعة ١٤٢٩هـ - ١٩٩١م.

❁ إعجاز القرآن الكريم، د. محمد صادق درويش، دار الإصلاح، سوريا، الأولى ٢٠٠٩م.

❁ إعجاز القرآن في تسبيح الأكوان، سامي أحمد الموصلي، دار المعتز، الأردن، الأولى ١٤٣٢هـ.

❁ إعجاز القرآن في حواس الإنسان، د. محمد كمال عبد العزيز مكتبة القرآن، القاهرة، بدون.

❁ إعجاز القرآن في خلق الإنسان، د. محمد كمال عبد العزيز، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون.

❁ إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، كريم نجيب الأغر، دار المعرفة، بيروت، الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

❁ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفي صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

❁ إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة، د. عبد الجواد الصاوي، دار جياد، جدة، الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

❁ إعجاز القرآن، د. عبد القهار العاني، عالم الكتب الحديث، الأردن، الأولى ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

❁ إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط. دار المعارف، مصر، الخامسة ١٩٩٧م.

❁ الإعجاز القرآني في الوجود الكوني، د. دلاور محمد صابر، دار دجلة، الأردن، الأولى ٢٠٠٧م.

❁ الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث، د. مروان وحيد شعبان، دار المعرفة، بيروت، الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

❁ الإعجاز الكيميائي الحيوي في القرآن الكريم، محمد عبدالرزاق أبوصليح مكتبة الرشد، الرياض، بدون.

❁ الإعجاز الكيميائي في الكون الطريق لمعرفة الخالق، د. محمود محمد حسان، دار الفكر العربي، القاهرة، الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

❁ الإعجاز الهندسي في القرآن الكريم، د. بدر الدين عبدالكريم أحمد، دار الصحابة للتراث، مصر طنطا، الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، د. محمد فياض، دار الشروق، القاهرة، الأولى ١٤٢٠هـ.

❁ إعجاز تشريع الزكاة، د. كوثر عبد الفتاح الأبجي، دار جياد، جدة، الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ الإعجاز في تقسيم الرياح البحرية، د. صالح عبد القوي السنباني، دار جياد، جدة، الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

❁ الإعجاز في نص الخطاب القرآني، د. عصام العبد زهد، الأولى١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

❁ الإعجاز في نظم القرآن، د. محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الأولى ١٣٩٨هـ - ٢٠٠٩م.

❁ إعجازات حديث علمية ورقمية في القرآن، د. رفيق أبو السعود، دار المعرفة دمشق، الثالثة ١٤١٣هـ.

❁ إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ط. دار ابن الجوزي، الدمام، الأولى ١٤٢٣هـ.

❁ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، بدون.

❁ الآفاق بين الأدلة الشرعية والأدلة الكونية، فهد نازل الشمري، دار عالم الكتب، الرياض، الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

❁ أفريتم النار التي تورون، د. أحمد عروة، ط. الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الثانية ١٤٢٧هـ

❁ اقتربت الساعة، أسامة يوسف رحمة، دار قتيبة، بيروت، الثالثة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

❁ إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل ط. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م

❁ آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين، لأبي الفداء ابن مسعود، دار الإمام مسلم، القاهرة، الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

❁ الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير، د. عبدالغفار عبدالرحيم، المركز العربي للثقافة والعلوم.

❁ إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط. دار الكتب العلمية بيروت، الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

❁ إمتاع ذوي العرفان بما اشتملت عليه كتب شيخ الإسلام من علوم القرآن، جمع: عبيد الجابري، ومحمد طاهري، دار الإمام البخاري، الدوحة، الثانية ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

❁ الأمثال القرآنية القياسية للإيمان بالله، عبدالله بن عبدالرحمن الجربوع، نشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

❁ الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفياض، ط.المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، الثانية ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

❁ الأمثال في القرآن الكريم، محمود بن الشريف، دار عكاظ للطباعة والنشر، جدة، الثانية ١٣٩٩هـ-١٩٧٩هـ.

❁ انتحار إسماعيل أدهم، سليمان بن صالح الخراشي، ط. دار الإيمان ودار القبلتين، الأولى ١٤٣٢هـ.

❁ الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، سلمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، الأولى١٤١٩هـ.

❁ الانتصاف على الكشاف للزمخشري (طبع بحاشية الكشاف)، لأحمد بن محمد بن منصور الجذامي الإسكندراني ابن المنير، ط.مكتبة العبيكان، الرياض، الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

❁ الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، د. علي بن بخيت الزهراني، دار الرسالة، مكة، بدون.

❁ الإنسان في ضوء العلم والقرآن، د. عبدالحكم الصعيدي، الدار المصرية اللبنانية، الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

❁ الأنواء الجوية في القرآن الكريم، د. أحمد عامر الدليمي، مكتبة دار البيان، دمشق، الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى ١٤١٨هـ.

❁ أهمية الإعجاز العلمي في التدريس وضوابطه، د. صالح أيشان صوفي، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، الأولي، ١٤٣٢هـ -٢٠١١.

❁ أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مركز دراسات الإعجاز العلمي، الرياض ١٤٣٤هـ.

❁ آيات النبات في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ط. مكتبة الشروق الدولية القاهرة، الثانية ١٤٢٩ه.

❁ آيات التحدي في القرآن الكريم، د. عبد العزيز بن صالح العمار، دار كنوز أشبيليا، الرياض، الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

❁ آيات العقيدة التي قد يوهم ظاهرها التعارض، إعداد: خالد الدميجي وحياة الحمادي وحنان العمري، دار الفضيلة، الرياض، الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

❁ آيات العلوم الكونية وفق أحدث الدراسات الفلكية والنظريات العلمية، د. ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

❁ الآيات الكونية في القرآن الكريم، د. كارم السيد غنيم، دار المشرق العربي، القاهرة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

❁ آيات الله ومعجزات الرقيب في الآفاق والكون الرحيب، د. محمد أبو سمرة، دار الراية، الأردن، الأولى ٢٠١٣.

❁ آيات ربانية، د. مختار المهدي، دار غريب، القاهرة، الأولى٢٠٠٧م.

❁ إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لابن الوزير محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية ١٩٨٧م.

❁ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، ط. مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، الخامسة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

❁ الإيمان بالغيب، د. بسام علي سلامة العموش، دار المأمون، الأردن، الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

❁ الإيمان بالله ﷻ، علي محمد الصلابي، دار ابن كثير، سوريا، الأولى، بدون.

❁ بحر الكلام، لأبي المعين ميمون بن محمد النسفي، تحقيق: محمد السيد البرسيجي، ط.دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، الأولى ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

❁ البحر المحيط في أصول الفقه، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ط. دار الكتبي، الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

❁ البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط. دار الفكر، بيروت ١٤٢٠ه.

❁ بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، موسى إبراهيم الإبراهيم، دار عماد، الأردن، الثانية ١٤١٦هـ.

❁ البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.

❁ بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون.

❁ البراهين العقلية على وحدانية الرب ووجوه كماله، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: باسل الرشود، ط. دار ابن الجوزي، الدمام، الأولى ١٤٢٩هـ.

❁ البرهان اليقيني للرد على كتاب نقد الفكر الديني، جابر حمزة فرج، ط. المكتب التجاري، بيروت، الأولى ١٣٩٠هـ.

❁ البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان، سعود ياسين محمد، مطبعة الوفاء، بيروت ١٩٣٣م.

❁ البصمة آية تؤكد قدرة الخالق، د. محمد السقا عيد، دار اليقين، مصر، الأولى ١٤٣٢هـ.

❁ بغيت المتأسي في إثبات الكرسي، علي محمد سعيد الشهراني، بيت الأفكار الدولية، الأردن، بدون.

❁ بهجة الناظرين في مناهج المفسرين، د. توفيق علوان، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

❁ بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، محمود بن عبد الرحمن ابن أحمد بن محمد شمس الدين الأصفهاني، تحقيق: محمد مظهر بقا، ط. دار المدني، السعودية، الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

❁ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الأولى ١٤٢٦هـ.

❁ بين مفهوم المعجزة وإعجاز القرآن، د. عدنان محمد زرزور، (بدون بيانات).

❁ تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. فتحي محمد الزغبي، ط. دار البشير، مصر، الأولى ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

❁ تاريخ فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي، دمشق، بدون ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

❁ تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة المنعقد بإسلام آباد، باكستان في الفترة من ٢٥ – ٢٨ صفر سنة ١٤٠٨هـ- ٢١ اكتوبر ١٩٨٧م.

❁ تأملات في الكون، د. محمود أحمد عويضه، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون ٢٠٠٧م.

❁ تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

❁ التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط. دار المعرفة، بيروت، بدون.

❁ تجديد الدين مفهومة وضوابطه وآثاره، د. محمد بن عبدالعزيز العلي، دار كنوز إشبيليا، الرياض، الأولى١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

❁ التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط، د. عثمان أحمد عبدالرحيم، ط. الوعي الإسلامي، الكويت، الحادي عشر.

❁ التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد أمامة، دار ابن الجوزي، الدمام، الأولىٰ ١٤٢٤هـ.

❁ التحدي في آيات الإعجاز، د. قحطان عبد الرحمن الدوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولىٰ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

❁ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، ط. الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

❁ تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال، د. بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، الأول ١٤١٢هـ.

❁ التدبر حقيقته وعلاقته بمصطلحات التأويل والاستنباط والفهم والتفسير، د. عبد الله عبد الغني سرحان، طبع: مركز تدبر، الرياض ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

❁ ترجيح أساليب القرآن علىٰ أساليب اليونان، لإمام محمد بن إبراهيم الوزير الحسني اليمني، ط.مطبعة المعاهد، مصر، بدون ١٣٩٤هـ.

❁ التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة، د. فهد بن صالح العجلان، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الأولىٰ ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

❁ التسهيل العلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد الكلبي، تحقيق: د. عبدالله الخالدي، ط. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الأولىٰ ١٤١٦هـ.

❁ تصحيح المفاهيم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، أنور الجندي، دار الإعتصام، (بدون بيانات).

❁ تصنيف المعرفة والعلوم في ضوء خصائص الأمة الإسلامية، أحمد الصفدي، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

❁ تصويبات في فهم بعض الآيات، د. صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق.

❁ تعريف الإعجاز والمعجزة وشروطها، د. عامر نايف الزويعي، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا كلية العلوم الإسلامية.

❁ تعظيم القرآن الكريم، أسعد محمد الصاغرجي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، الأولىٰ ١٤١٣هـ.

❁ التعليق على القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، الأولى ١٤٣١ هـ.

❁ التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، د. عادل بن علي الشدي، مدار الوطن للنشر، الرياض، الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

❁ التفسير العلمي المعاصر وأثره في كشف الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، د. سليمان بن صالح القرعاوي، دار الحضارة، الرياض، الأولى ١٤٢٥هـ.

❁ التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، حنفي أحمد، دار المعارف، مصر، بدون.

❁ التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، د. هند شلبي، بدون دار نشر ١٤٠٦هـ.

❁ التفسير العلمي للقرآن في الميزان، د. أحمد عمر أبو حجر، دار قتيبة. بيروت، الأولى١٤١١هـ- ١٩٩١م.

❁ تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين، ط. دار ابن الجوزي، الدمام، الأولى ١٤٢٣هـ.

❁ تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ط. دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

❁ تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي بن سليمان العبيد، مكتبة التوبة، الرياض، الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

❁ تفسير المراغي دراسة منهجيه، د. أحمد داود شحروري، دار المأمون، الأردن، الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م.

❁ تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ط. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الأولى ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.

❁ تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

❁ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة مصطفى الزحيلي، ط. دار الفكر المعاصر، دمشق، الثانية ١٤١٨هـ.

❁ تفسير جزء عم، د. مساعد بن سليمان الطيار، ط. دار ابن الجوزي، الدمام، الثانية ١٤٣٠ هـ.

❁ تفسير سورة الكهف، محمد بن صالح العثيمين، ط. دار ابن الجوزي، الدمام، الأولى ١٤٢٣هـ.

❁ التفسير والمفسرون في العصر الحديث، عبدالقادر محمد صالح، دار المعرفة، بيروت، الأولى١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

❁ التفسير والمفسرون، د. عبد الغفور محمود جعفر، دار السلام، مصر، الأولى ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

❁ التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، (بدون بيانات نشر).

❁ التفكر والاعتبار بآيات الكسوف والزلازل والإعصار، عبد الكريم بن صالح الحميد، الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

❁ تقييدات في إعجاز القرآن. د. محمد بن عبدالرحمن الشظيفي، دار ابن عفان، الخبر، الأولى ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

❁ تقييم الجهود المبذولة للمتأخرين والمعاصرين لبيان الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. مثني فاضل الجبوري، ود. محمد خليل العزاوي، بدون معلومات نشر.

❁ تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيب ي أبو بكر الباقلاني المالكي، تحقيق:عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

❁ التمهيد لقواعد التوحيد، لأبي المعين ميمون بن محمد النسفي، تحقيق وتعليق: د. عبدالحي قابيل، ط. بدون، دار الثقافة للنشر-القاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

❁ التنبؤ بالغيب قديماً وحديثاً، أحمد الشنتاوي، ط. دار المعارف، مصر، بدون.

❁ التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبدالرحمن بن يحيىٰ المعلمي، مكتبة المعارف، الرياض، الثانية ١٤٠٦ هـ.

❁ التواؤم بين آيات الله القرآنية وآياته الكونية، د. علي الطاهر شرف الدين، مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان ١٤٣٠هـ.

❁ التوجيه البلاغي لآيات العقيدة في المؤلفات البلاغية في القرنين السابع والثامن الهجريين، يوسف بن عبد الله العليوي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

❁ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة ١٤٠٦هـ.

❁ التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقه الشيخ محمد بن عبدالوهاب، سليمان بن عبدالله بن محمد عبدالوهاب، دار طيبه، الرياض، الأولى ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

❁ التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، ط. دار النوادر، دمشق، الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.

❁ التنبيه الجلي للمشتغل في إعجاز القرآن العلمي، د. محمد بن عبدالرحمن الجهني

❁ التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم، منى محمد الشافعي، دار اليسر، القاهرة، الأولى ١٤٢٩هـ.

❁ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ط. دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

❁ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط. مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

❁ تيسير لمعة الاعتقاد، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود. دار الوطن للنشر، الرياض، الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

❁ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها (نظرات في سورة الجاثية)، د. محمد الدبيسي، بدون دار نشر، الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

❁ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط. دار هجر للطباعة والنشر، الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

❁ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط. دار الكتب المصرية، القاهرة، الثانية ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

❁ جدليات شيخ الإسلام ابن تيمية حول النبوات والغيبيات، محمد خليل هراس، دار الإمام أحمد، القاهرة، الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

❁ الجراد في القرآن الكريم والعلم الحديث، د. كارم السيد غنيم ود. عبد العزيم محمد الجمال، دار الصحوة للنشر، القاهرة، الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

❁ الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، د. طه جابر العلواني، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الثانية ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

❁ جهود العلماء بيان إعجاز القرآن، د. محمد موسى الشريف، دار التوزيع والنشر، مصر، الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

❁ الجهود المبذولة في دراسة الإعجاز قديماً وحديثاً، د. عبد الله محمد الجيوسي، مقدمة لمؤتمر الإعجاز القرآني، جامعة الزرقاء الأهلية.

❁ جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني، من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري، د. حسن مسعود الطوير، دار قتيبة، دمشق، الأولى ١٤٣٠هـ

❁ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق: علي بن حسن، وعبدالعزيز بن إبراهيم، وحمدان محمد، ط. دار العاصمة، الرياض، الثانية١٤١٩هـ.

❁ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبدالحليم ابن تميمة، تحقيق: د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي، دار البيان، الأولى ١٤٣٢ هـ.

❁ جوامع كلم القرآن وشواهد الإعجاز، د. عبدالعزيز بن محمد السحيباني، طبع: عمادة البحث العلمي، جامعه الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

❁ جواهر القرآن، لأبي حامد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، دار أحياء العلوم، بيروت، الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

❁ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري المصري، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٢٤٥هـ-٢٠٠٤م.

❁ الجولوجيا الفيزيائية، جون ساندرسي وألان أندرسون، ترجمة مجيد عبود الطائي، منشورات جامعة البصرة ١٩٨٣هـ.

❁ الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، الرياض، الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

❁ الحدود في الأصول (مطبوع مع: الإشارة في أصول الفقه)، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب القرطبي الباجي الأندلسي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.

❁ الحروب الصليبية، د. ممدوح حسين، د. شاكر مصطفى، دار عمار، عمان، الأولى ١٤١٩هـ.

❁ الحشر وقيام الساعة، ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

❁ الحقائق العلمية المعاصرة من الإنسان والكون في القرآن الكريم، د. السيد فتحي عبد الشافي و أ. سعد المنسوب محمد الشيخ، دار الكلمة، مصر، الأولى ١٤٢٩هـ.

❁ حقائق القرآن والعلم الحديث، عامر تحسين، شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة، العراق، الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

❁ حقوق الإنسان في اليهودية والمسيحية والإسلام مقارنة بالقانون الدولي، د. خالد بن محمد الشنيبر، ط. كرسي الأمير سلطان بن عبدالعزيز بجامعه الملك سعود، الرياض، الأولى١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.

❁ حقيقة الغيب عند المذاهب المادية المعاصرة، د. عفاف بنت حمد الونيس، دار القاسم، الرياض، الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

❁ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني، ط. دار السعادة، مصر ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

❁ حوار مع نملة مؤمنة، د. صبري الدمرداش، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الأولى ١٤٣١هـ.

❁ حياه الحيوان الكبرى، محمد بن موسى الدميري، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية ١٤٢٤هـ.

❁ الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية ١٤٢٤هـ.

❁ خصائص الأسلوب القرآني، د. أبي بكر محمد فوزي البخيت، طبع: كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود بالرياض، الأولى ١٤٣٦هـ.

❁ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

❁ الخطاب القرآني المعاصر، د. جمال نصار حسن، دار الإسراء، الأردن، الأولى ٢٠٠٠م.

❁ خطوات على طريق الدعوة، أحمد محمد جمال، امتياز التوزيع، جدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

❁ خلق السموات والأرض في ضوء القرآن والعلم الحديث، محمود عباس أحمد، دار ابن رجب ودار الفوائد، مصر، الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

❁ خلق الكون بين العلم والإيمان، د. محمد باسل الطائي، دار النفائس، الأردن، الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

❁ خوارق العادات في القرآن الكريم، عبد الرحمن إبراهيمي الحميضي، شركة مكتبات عكاظ، المملكة العربية السعودية، الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

❁ خواص القرآن الكريم، د. تركي بن سعد الهويمل، دار ابن الجوزي، الدمام، الأولى ١٤٢٩هـ.

❁ درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

❁ دراسات الإعجاز البياني بين القدماء والمحدثين، د. هناء عبد الرضا الربيعي، المؤتمر العالمي الأول الباحثين في القرآن الكريم وعلومه.

❁ دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية و د سعود بن عبدالعزيز الخلف، ط. مكتبه العلوم والحكم، المدينة النبوية، الأولى ١٤١٤هـ.

❁ دراسات في التفسير، د. مصطفى زيد (بدون بيانات نشر).

❁ دراسات في علوم القرآن الكريم، د. فهد بن عبدالرحمن الرومي، الرياض، الثامنة عشر ١٤٣٣ هـ- ٢٠١٢ م.

❁ دراسة حقلية في كل من خليج عمان والخليج العربي، د. محمد السمرة ود. سهير عبد المجيد، (بدون بيانات نشر).

❁ دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، محمد السعدي، دار الثقافة، قطر، الأولى١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

❁ دراسة في مقاصد القرآن الكريم الكبرى، مدحت ممدوح القصراوي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الأولى ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

❁ دعاوي الإجماع عند المتكلمين في أصول الدين، ياسر بن عبد الرحمن اليحيى، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض، الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١٥م.

❁ الدعوة إلى الله من منظور العلم في القرآن الكريم، د. سناء أحمد أمين، دار الفكر العربي، القاهرة، الأولى ١٤٢٧هـ.

❁ دعوى الإلهام والحجية في أسفار العهد الجديد ومدى صدقها، د. ناجي محمد سلامة، ط. مركز البحوث التربوية، جامعه الملك سعود بالرياض، الأولى ١٤١٧هـ-٢٠٠٩م

❁ دفاع عن السنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، الخبر، بدون.

❁ الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف ﷺ، د. عمر محمد باحاذق، دار المأمور للتراث، بيروت، الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

❁ دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، د. عبدالحكيم بن عبدالله القاسم، ط.دار التدمرية، الرياض، الأولى ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

❁ دلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

❁ دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، ط. دار النفائس، بيروت، الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م.

❁ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٠٥ هـ.

❁ الدليل العقلي عند السلف، عبد الرحمن سعد الشهري، مركز التأهيل للدراسات والبحوث، جدة، الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ الدم في العلم والتوراة والإنجيل والقرآن، د. إبراهيم خليل، ط. الزهراء للإعلام، القاهرة، الأولى١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

❁ الدولة المدنية بين الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر والاتجاه العلماني، د. ماجد بن علي الزميع، دار الفضيلة، الرياض، الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

❁ ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق: د سجيع جميل الجبيلي، ط. دار صادر، بيروت، الأولى ١٩٩٨ م.

❁ ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، الثالثة، بدون.

❁ ديوان البحتري، مطبعة الجوائب، قسطنيطينية، (بدون بيانات نشر).

❁ ديوان البحتري، مطبعة هندية بالموسكي، مصر، الأولى ١٣٢٩هـ - ١٩١١م.

❁ ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

❁ ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الثالثة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

❁ ديوان النابغة الذبياني، شرح وتعليق: عباس عبدالساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، الثالثة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

❁ الربوبية وصفات الرسول من منظور الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، د. عبد الحليم أحمد السواس، مكتبة الشقري، الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

❁ رحلة قبل الرحيل، بشير عبد الله المساري، دار ابن حزم، بيروت، الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

❁ رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم، د. محمد جمعة عبدالله، ط. بدون، الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

❁ الرد على الجهيمة، للإمام ابن منده، تحقيق: د. علي بن محمد الفقيهي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

❁ رد مزاعم المبطلين عن أصول الدين، د. عبداللطيف محمد العبد، ط. دار الهاني، القاهرة، بدون ٢٠٠٢م.

❁ رسالة السجزي إلىٰ أهل زبيد في الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت، عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي الوائلي البكري، تحقيق: محمد با كريم با عبد الله، ط. عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

❁ الرسالة، للشافعي محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع المطلبي القرشي المكي، تحقيق: أحمد شاكر، ط. مكتبه الحلبي، مصر، الأولىٰ ١٣٥٨هـ-١٩٤٠م.

❁ رسائل في العقيدة، الشيخ محمد بن صالح العثيميه، مكتبة المعارف، الرياض، الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م

❁ الرياح البحرية معجزة قرآنية، رياض عيدروس عبد الله، جامعة الإيمان، مركز البحوث، اليمن ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

❁ رياض الجنة في الرد علىٰ المدرسة العقلية ومنكري السنة، د. حسين حسين العفاني، دار العفاني، القاهرة، الأولىٰ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

❁ زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، الأولىٰ ١٤٢٢هـ.

❁ الزلازل في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، دار النهضة للنشر، مصر، الخامسة ٢٠٠١م.

❁ الزلزال الكوني الأعظم والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر، الدرار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الأولىٰ ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

❁ سابغات، أحمد بن يوسف السيد، ط. دار التكوين، الخبر، الأولىٰ ١٤٣٧هـ.

❁ السجل العلمي (لقاء الإعجاز العلمي رؤي وتطلعات)، مركز دراسات الإعجاز العلمي، الرياض ١٤٣٤ م.

❁ سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن، د. عودة الله منيع القيسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولىٰ ١٤١٦هـ - ١٩٦٦م.

❁ سقوط الايدلوجيات، أنور الجندي، ط. رابطة العالم الإسلامي، مجلة دعوة الحق، السنة الثانية، العدد ١٣٩ رجب ١٤١٤هـ.

❁ سقوط وانحدار الامبراطورية الرومانية، إدوارد جيبون، طبع: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الثانية ١٩٩٧م.

❁ السماء في القرآن الكريم، د. غالب محمد رجا الزعارير، دار الزمان، المدينة المنورة، الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

❁ سنريهم آياتنا، عدنان السبيعي، دار القلم، دمشق، الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

❁ سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط. المكتبة العصرية، بيروت، بدون.

❁ سنن الله الكونية، محمد أحمد الغمراوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الأولى ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.

❁ السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: د. رضا الله بن محمد المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

❁ السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، د. سعد بن محمد الشهراني، طبع: كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود بالرياض، الأولى ١٤٣٦هـ.

❁ الشبكة العلمية للمسلمين عرباً وعجماً، د. أحمد محمود حشيش، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون ٢٠١٣م.

❁ الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، أنور الجندي، دار الاعتصام، (بدون بيانات).

❁ شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط. دار الثريا للنشر، الرياض، بدون.

❁ شرح العقيدة الأصفهانية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية، بيروت، الأولى ١٤٢٥هـ.

❁ شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، الأولى ١٤٢٦هـ.

❁ شرح العقيدة الطحاوية، الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، القاهرة، الأولى١٤٣٣هـ.

❁ شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، ط. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السادسة ١٤٢١هـ.

❁ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبدالله بن محمد الغنيمان، دار العاصمة، الرياض، الثالثة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

❁ شرح الكوكب المنير، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، ط. مكتبة العبيكان، الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

❁ شرح ديوان جرير، محمد إسماعيل الصاوي، ط. مطبعة الصاوي، مصر، الأولىٰ، بدون.

❁ شرح مقدمة التفسير لابن تيمية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، إعداد وتقديم: الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، ط. دار الوطن، الرياض، الأولىٰ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

❁ الشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا، مكتب الرشد، الرياض الأولىٰ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

❁ الصبح الشارق علىٰ ضلالات عبد المجيد الزنداني في كتاب توحيد الخالق، يحيىٰ بن علي الحجوري، الشبكة العنكبوتية.

❁ صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير، ط. دار طوق النجاة، الأولىٰ ١٤٢٢هـ.

❁ صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

❁ صراع مع الملاحدة حتىٰ العظم، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، ط. دار القلم، دمشق، الخامسة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

❁ الصفدية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، مصر، الثانية ١٤٠٦هـ.

❁ صناعة التفكير العقدي، تحرير: سلطان بن عبدالرحمن العميري، دار تكوين، الخبر، الأولىٰ ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.

❁ الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، ط. دار العاصمة، الرياض، الأولىٰ ١٤٠٨هـ.

❁ صور من إعجاز القرآن الكريم، د. محمد محمد العاصي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

❁ صيرورة الكون، مدراج العلم ومعارج الإيمان، د. محمد باسل الطائي، دار علم الكتب الحديث، الأردن، الاولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م.

❁ ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنة والجماعة، د. سعود بن سعد العتيبي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

❁ ضوابط التفسير العلمي، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، معهد دراسات الإعجاز العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ١٤٣٤هـ.

❁ الطب النبوي بين العلم والإعجاز، د. حسان شمس باشا، دار القلم، دمشق، الثانية ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

❁ طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي، شركة كلمات، القاهرة، بدون.

❁ طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود شاكر، ط. دار المدني، جده، وبدون.

❁ الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

❁ ظاهرة التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة التغريب، أنور قاسم الخضري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

❁ ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم، د. خليل إبراهيم أبو ذياب، دار عمار، الأردن، الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

❁ الظواهر الجيولوجية في القرآن الكريم، د. مروان وحيد شعبان، دار الإعجاز، لبنان، الثانية ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م

❁ الظواهر الفلكية والجغرافية في القرآن الكريم، د. عطية محمد عطية، دار يافا العلمية، الأردن، الأولى ٢٠١١م.

❁ الظواهر الكونية في القرآن الكريم، د. مروان وحيد شعبان، دار الإعجاز، بيروت، الثانية ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ عادات القرآن الأسلوبية دراسة تطبيقية، د. راشد بن حمود الثنيان، دار التدمرية، الرياض، الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

❁ عالمية الإسلام، أنور الجندي، دار المعارف، القاهرة، بدون.

❁ العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، حققه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الناشر: بدون بيانات، الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

❁ العراق في أحاديث وآثار الفتن، مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة الفرقان، الإمارات، الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

❁ العرش وما روي فيه، لأبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي، المحقق : محمد بن خليفة بن علي التميمي، مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م

❁ العصرانيون ومفهوم تجديد الدين، د. عبد العزيز مختار إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

❁ عقيدة الإمام الأزهري، د. علي بن نفيع العلياني، دار الوطن، الرياض، الأولى ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

❁ عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، ط. مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

❁ علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، مجموعة أبحاث لمجموعة من الباحثين، دار جياد، جدة، الثانية ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

❁ علم التفسير، د. عبدالمنعم النمر، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

❁ علم الغيب في الشريعة الإسلامية، د. أحمد بن عبد الله الغنيمان، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الأولى ١٤٢٥هـ

❁ علم الملل ومناهج العلماء فيه، د. أحمد بن عبدالله جود، دار الفضيلة، الرياض، الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

❁ العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب، مصطفى باحو السلاوي المغربي، طبع: جريدة السبيل، المغرب، الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، مصطفىٰ باحو السلاوي المغربي، المكتبة الإسلامية، القاهرة، الأولىٰ ١٤٣٣هـ - ٢٠١٣م.

❁ علوم البيئة وهندستها في القرآن والسنة، د. خالد فائق العبيدي، طبع: جائزة دبي الدولية القرآن الكريم، الأولىٰ ١٤٣٠هت - ٢٠١٠م.

❁ العلوم الفلكية في القرآن الكريم، إبراهيم حلمي الغوري، دار القلم العربي، سوريا، الأولىٰ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

❁ علوم القرآن الكريم، د. يوسف مرعشلي، دار المعرفة، بيروت، الأولىٰ ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

❁ علوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة مقارنة، حازم سعيد حيدر، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة ١٤٠٥هـ- ٢٠٠٦م.

❁ علوم القرآن عند الأمام الشاطبي، د. مساعد بن سليمان الطيار، ط. مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، الأولىٰ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م.

❁ علوم القرآن في السودان، د. علي العوض عبد الله، مركز بحوث القرآن الكريم والسنة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، الأولىٰ ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

❁ علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، د. عدنان محمد زرزور، دار الإعلام، الأردن، الأولىٰ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

❁ علوم القرآن، د. عبد الله محمود شحاته، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

❁ علوم الهندسة الكهربائية والإلكترونية في القرآن والسنة، د. خالد فائق العبيدي، طبع: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الأولىٰ ١٤٣٢هـ - ٢٠٠١م.

❁ علوم الهندسة الميكانيكية، د. خالد بن فائق العبيدي، طبع: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ٢٠١١م.

❁ العلوم الهندسية والرياضية في القرآن والسنة النبوية د. خالد فائق العبيدي، طبع: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، (بدون بيانات نشر).

❁ العلوم والهندسة العسكرية في القرآن والسنة، د. خالد فائق العبيدي، طبع: جائزة دبي العالمية للقرآن الكريم، الأولىٰ ١٤٢٣هـ - ٢٠١١م.

❁ العناصر والحروف والأرقام في القرآن الكريم، د. فلاح الطويل، وزارة الثقافة، عمان ٢٠٠٦م.

❁ العنكبوت وخيوطها في القرآن الكريم، د. عبدالله بن محمد الشاوي، دار عمار الاردن، الأولى ١٣٢٦ هـ- ٢٠٠٦ م.

❁ عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن، علي أحمد الطهطاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٢٥هـ.

❁ غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، نشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.

❁ غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، بدون.

❁ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١٦هت.

❁ الغنية عن الكلام وأهله، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، ط. دار المنهاج، مصر، بدون ١٤٢٥هـ.

❁ الغيب والعقل، إلياس بلكا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة، الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

❁ الغيب وعلاماته، د. أمين منتصر، دار الفكر العربي، القاهرة، الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

❁ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

❁ فتح العليم في تفسير القرآن الكريم، د. أحمد شوقي إبراهيم، دار غريب، القاهرة ٢٠٠٥م.

❁ فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني اليمني، ط. دار ابن كثير، ودار الكلم، دمشق، الأولى ١٤١٤هـ.

❁ الفرقان بين الحق والبطلان، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. أحمد بن أحمد العصلاني، مركز ابن تيمية للنشر والتوزيع، الرياض، الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

❁ الفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبدالكريم ين صالح الحميد، بدون، الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

❁ الفرقان والقرآن، خالد عبدالرحمن العك، دار الحكمة للطباعة والنشر، دمشق، الثانية١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

❁ الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ط. مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون.

❁ فصول في أصول التفسير، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، الأولى ١٤٣٢هـ.

❁ فصول في آيات الأنبياء ومسائل من النبوات، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. سلمان بن صالح الغصن، دار كنوز أشبيليا، الرياض، الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م.

❁ فقه أشراط الساعة، د. محمد أحمد المقدم، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

❁ الفهارس الشاملة لآثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، إعداد: زاهر بن محمد الشهري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الأولى ١٤٣٦هـ.

❁ فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية، د. عبد الله بن عمر الدميجي، مركز البيان للبحوث والدراسات، (بدون بيانات نشر).

❁ فهم القرآن بين القواعد الضابطة والمزالق المهلكة، د. رمضان خميس الغريب، بحث مقدم إلى حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية، القاهرة، العدد الخامس والعشرون ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

❁ في ظلال القرآن، سيد قطب، ط. دار الشروق، القاهرة، السابعة عشر ١٤١٢هـ.

❁ في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن، محمود عبد الرؤوف القاسم، دار الأعلام، الأردن، الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

❁ الفيزياء والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، أحمد إمام بركة، دار غريب، القاهرة ٢٠١٣م.

❁ الفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر شيخ إدريس، دار البيان، لندن، الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

❁ قدم العالم وتسلسل الحوادث بين شيخ الإسلام ابن تيمية والفلاسفة، كاملة الكواري، دار أسامة، الأردن، الأولى ٢٠٠١ م.

❁ القراءات المعاصرة للقرآن الكريم، د. محمد محمود كالو، دار اليمان، سوريا، الأولى ١٤١٣هـ - ٢٠٠٩م.

❁ القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، محمد الصادق عرجون، دار القلم، بيروت، الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

❁ القرآن الكريم والجهود المبذولة في خدمته من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم، طبع: النشر العلمي، جامعة الشارقة ٢٠٠٤م.

❁ القرآن الكريم وعلومه في الفيلم الوثائقي، مقالات لنخبة من الباحثين والنقاد، طبع: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

❁ القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم، محمد هشام طاهري، دار التوحيد للنشر، الرياض، الأولى ١٤٢٦هـ.

❁ القرآن المذهل، البروفيسور جاري ميللر، (بدون بيانات نشر).

❁ القرآن محاولة لفهم عصري، د. مصطفى محمود، ط. مؤسسة روز اليوسف، مصر، بدون.

❁ القرآن معجزة المعجزات، أحمد ديدات، تحقيق: د. بن عيسى طاهر، طبع: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

❁ القرآن منهل العلوم، د. خالد فائق العبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٢٨هـ.

❁ القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم. دار الفكر العربي، مصر، بدون.

❁ القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟ حسن الباشي، دار قتيبة، بدون.

❁ القرآن والعلم الحديث، موريس بوكاي، مؤسسة أم القرى، مصر، الألى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

❁ القرآن والعلم، أحمد محمد سليمان، دار العودة، بيروت، الخامسة ١٩٨١م.

❁ القرآن والكون من الانفجار العظيم إلى الانسحاق العظيم، أسامة علي الخضر، المكتبة العصرية، بيروت، الأولى١٤٣٣هـ.

❁ القرآن والكون، د. محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

❁ القرآن والمبشرون، محمد عزة درفره، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

❁ القرآن وتحديات العصر، محمد الراشد، الناشر: الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، الثانية ٢٠٠٢م.

❁ القرآن وقضايا الإنسان، د. عائشة عبدالرحمن بنت الشاطيء، ط. دار المعارف، مصر، بدون.

❁ القرآن يتحدىٰ، محمود عبد الرؤوف القاسم، دار الأعلام، الأردن، الأولىٰ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

❁ قصة الخلق من العرش إلىٰ الفرش، عيد ورداني، الحكمة للنشر والتوزيع، مصر، التاسعة، بدون.

❁ قصة الخلق، د. محمد بن عبدالله الخرعان، دار كنوز أشبيليا، الرياض، الأولىٰ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

❁ قضايا معاصرة في دعوة الإسلام، د. حلمي عبد المنعم صابر، دار عالم الكتب، الأولىٰ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

❁ قضية الإعجاز العلمي للقرآن وضوابط التعامل معها، د. زغلول النجار، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الأولىٰ ٢٠١٦م.

❁ قواعد التفسير جمعـًا ودراسة، د. خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، الخبر، الأولىٰ ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

❁ قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي، د. مصطفي حلمي، دار ابن الجوزي، القاهرة، الثالثة.

❁ القول السديد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط. دار الوطن، الرياض، الأولىٰ ١٤١٢هـ.

❁ القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط. دار ابن الجوزي، الدمام، الأولىٰ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

❁ القول بالصرفة في إعجاز القرآن عرض ونقد، د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري، دار ابن الجوزي، الدمام، الأولىٰ ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م.

❁ القول في علم النجوم، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: يوسف السعيد، ط. دار أطلس، الأولىٰ.

❁ القيامة بين العلم والقرآن، د. داود سلمان السعدي، دار الحرف العربي، بيروت، الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

❁ كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والسحر والنارنجات، لأبي بكر محمد الباقلاني، تصحيح: رتشرد يوسف ط. المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٥٨م.

❁ كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهج، الرياض، الأولى ١٤٢٥هـ.

❁ كتاب التوحيد، لأبي منصور الماتريدي، ط. دار صادر، بيروت، بدون.

❁ كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، للقاضي عياض اليحصبي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

❁ كتاب العرش، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. محمد بن خليفة التميمي، دار أضواء السلف، الرياض، الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

❁ كتاب العظمة، لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الماركفوري، ط. دار العاصمة، الرياض، الأولى ١٤٠٨هـ.

❁ كتاب المطر والرعد والبرق والريح، لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق: محمد العمودي، ط. دار الجوزي، الدمام، الأولى.

❁ الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)، طبع في مصر عام ١٩٨٨م.

❁ كتاب توحيد الخالق، عبدالمجيد عزيز الزنداني، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الثالثة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

❁ كسوف الشمس بين التحريف والتزييف، ذياب بن سعد الغامدي، بدون دار نشر، الأولى ١٤٢٩هـ.

❁ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، الثالثة ١٤٠٧هـ.

❁ كشف حقائق فلكية في القرآن الكريم تنبئ عن حركة الأرض وخلق الكون، أحمد فاروق الفقي، دار الكتاب العربي، القاهرة، الأولى ٢٠١٣م.

❁ كواشف زيوف، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، ط. دار القلم، دمشق، الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١ م

❁ الكون في القرآن الكريم دراسة مقارنة، د. إسماعيل محمد قرني، دار دجلة، الأردن، الأولى ١٤٣٠هـ.

❁ الكون كتاب الله المنظور آيات ودلالات، د. منصور محمد حسب النبي، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون.

❁ الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، د. حميد مجول النعيمي، مكتبة الرائد، الأردن، الأولى ١٤٢١هـ.

❁ الكون والإعجاز العلمي للقرآن د. منصور محمد حسب النبي، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون.

❁ الكون والتكوين في آيات الكتاب المبين، د. محمد محمود عبد الله، دار الشواف، الرياض، الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

❁ الكون والثقوب السوداء، إعداد: رؤوف وصفي، ط.عالم المعرفة، الكويت، (بدون).

❁ الكون والقرآن، محمد علي الحلي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ٢٠١٠م.

❁ كيفية دعوة أهل الكتاب إلى الله تعالى، د. سعيد بن علي القحطاني، (بدون بيانات نشر).

❁ اللآلئ الحسان في علوم القرآن، د. موسى شاهين لاشين، دار الشروق، القاهرة، الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

❁ اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين بن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد معوض، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

❁ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ط. دار ابن حزم للطبع والنشر، الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

❁ الله ذاتاً وموضوعاً، بدون، دار الفكر العربي، الثانية ١٣٩١م.

❁ الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسيما، ط. دار القلم، بيروت.

❁ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد بن أحمد السفاريني، طبع المكتب الإسلامي، بيروت الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

❁ ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان، السيد محمود شكري الألوسي، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

❁ الماء في القرآن الكريم، د. غالب محمد الزعارير، مكتبة دار الزمار، المدينة المنورة، الثانية ١٤٣١هـ.

❁ الماء والأرض والحياة بين الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والمعارف الجغرافية الحديثة، د. رائد راكان قاسم الجواري، المكتب الجامعي الحديث، الأولى ٢٠١٢م.

❁ الماتريدية دراسة وتقويماً، د. أحمد بن عوض الحربي، دار العاصمة، الرياض، الأولى ١٤١٣هـ.

❁ ماذا يريد الغرب من القرآن، د. عبد الراضي محمد عبدالمحسن، دار البيان، لندن، الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.

❁ مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر علي الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

❁ مباحث في إعجاز القران د. مصطفي مسلم، دار السلام، القاهرة: ١٤٣٤هـ.

❁ مباحث في الإعجاز القرآني، د. عثمان فوزي علي، دار غيداء، الأردن، الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

❁ مباحث في علوم القرآن د. مناع القطان، ، مكتبة المعارف، الرياض، الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

❁ مبادئ الجيولوجيا التاريخية، فاروق صنع الله العمري، وعامر داود نادر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل ٢٠٠١م.

❁ مجالات الإعجاز في القرآن الكريم، د. محمد السيد أرناؤوط، مصر: دار الأندلس الجديد، الأولى.

❁ مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري، لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك، تحقيق: دانيال جيماريه، ط.دار المشرق، بيروت ١٩٨٧م.

❁ مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد القاسم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون.



❁ مجموع فتاوئ ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، دار الثريا، الرياض ١٤١٣هـ

❁ محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة لأبي الحسن الندوي، جمع: السيد عبد الماجد الفوري، دار ابن كثير، دمشق الأولئ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

❁ محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهري، ط. دار الفكر العربي، دمشق، بدون.

❁ محاضرات في علوم القرآن، السيد أحمد ياسين الخياري، مطابع مؤسسة المدينة للصحافة، جدة، الأولئ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

❁ محاضرات في علوم القرآن، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، (بدون بيانات نشر).

❁ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، ط. دار الكتب الملكية، بيروت، الأولئ ١٤٢٢هـ.

❁ محمد عزه دروزه وتفسير القرآن الكريم. د. فريد مصطفي سليمان، مكتبة الرشد، الرياض، الأول ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

❁ مختصر التحفة الاثني عشرية، محمود شكري الألوسي، تحقيق وتعليق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٣ هـ.

❁ مختصر الصواعق المرسلة علئ الجهمية والمعطلة، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، اختصره: محمد البعلي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، الأولئ ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

❁ المختصر في أصول الفقه علئ مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لابن اللحام علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي، تحقيق: د. محمد مظهربقا، ط. جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، بدون.

❁ مداخل إعجاز القرآن. محمود شاكر، مطبعة المدني، مصر، الأولئ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

❁ مدارج السالكين، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد البغدادي، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

❁ مدخل التفسير (التحرير والتنوير) لابن عاشور، د. محمد الحمد، (بدون بيانات).

❁ المدخل العلمي والمعرفي لفهم القرآن الكريم، عمران سميح نزال، دار القراء ودار قتيبة، دمشق، الأولى ١٤٢٤هـ.

❁ المدخل الوجيز إلى دراسة الإعجاز في الكتاب العزيز، د. محمود أحمد غازي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الأولى١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

❁ المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، د محمد علي البار، ط. دار القلم، دمشق، الأولى ١٤١٠هـ -١٩٩٠م

❁ المدرسة العصرانية في نزعتها المادية، محمد بن حامد الناصر، مكتبة الكوثر، الرياض، الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

❁ المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي، ط. المكتبة العصرية الذهبية، جدة، الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

❁ مسالك أهل السنة فيما أشكل من نصوص العقيدة، د. عبدالرازق بن طاهر معاشي، دار بن القيم، الرياض، الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

❁ المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع جمعاً ودراسة، إعداد: خالد بن مسعود الجعيد وعلي بن جابر العلياني وناصر بن حمدان الجهني، دار الفضيلة، الرياض، الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

❁ المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية، محمد بن يوسف الكافي التونسي، ط. مطبعة حجازي، القاهرة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م.

❁ المستدرك على معجم المناهي اللفظية، سليمان بن صالح الخراشي، دار طيبة، الرياض، الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

❁ المستصفى، لأبي حامد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

❁ مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، ط، مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١ م.

❁ المسيح المنتظر ونهاية العالم، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار السلام، مصر، السادسة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

❁ المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية، الهيثم زعفان، مركز الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

❁ مظاهر كونية في معالم قرآنية، د. محمد محمود عبد الله، دار الرشيد، دمشق، بيروت، الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

❁ معـالم التنزيـل في تفسـير القـرآن، لأبـي محمـد الحسـين البغـوي، تحقيـق: عبدالرزاق المهدي، ط. در إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى ١٤٢٠هـ.

❁ معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، ط. عالم الكتب، بيروت، الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

❁ معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الديلي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد على النجار، عبدالفتاح السلبي، ط. دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الأولى.

❁ المعتقدات الدينية لدى الغرب، د. عبد الراضي محمد عبدالمحسن، ط. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، الأولى١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

❁ معجزات القرآن العلمية في الأرض، عبد الوهاب الراوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، العبدلي، الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

❁ معجزات القرآن العلمية في الإنسان مقابلة مع التوراة والإنجيل، عبد الوهاب الراوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، الأردن، الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

❁ المعجزات القرآنية، هارون يحيى، (بدون بيانات نشر).

❁ معجزات الماء إشارات قرآنية ودلالات علمية، د. دسوقي أحمد عبد الحليم، السحاب للنشر والتوزيع، مصر، الأولى.

❁ المعجزة الخالدة، د. علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت، الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

❁ معجزة القرآن الكريم، تتحدى البشر إلى الأبد، محمد درويش الخطيب، دار القاسم العربي، الثانية ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

❁ المعجزة القرآنية الإعجاز العلمي والغيبي، د. محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

❁ المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، (بدون بياناتنشر).

❁ معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الإسلامي وبيان ما ألف فيها، عبدالله بن محمد الحبشي، ط. المجتمع الثقافي، أبو ظبي، الأولى.

❁ معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم، دمشق، الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

❁ معرفة الإعجاز للقرآن، الشيخ سيدي بابه بن الشيخ سيدي، تحقيق: د. بوميه بن محمد السعيد، مؤسسة التواصل، الكويت، الأولى ١٤٣١هـ -٢٠١٠هـ.

❁ معرفة الله دلائل الحقائق القرآنية والكونية، المرابط بن محمد الشنقيطي، دار وحي القلم، دمشق، الأولى، ٢٠٠٢م.

❁ المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، د. عبد الله بن محمد القرني، مركز التأهيل للدراسات والبحوث، جدة، الثانية ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

❁ المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبدالجبار بن أحمد الأسدآبادي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م.

❁ مفاتيح التفسير، د. أحمد سعد الخطيب، دار التدمرية، الرياض، الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

❁ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لأبي عبدالله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثالثة ١٤٢٠هـ.

❁ المفارقة القرآنية، د. محمد العبد، دار الفكر العربي، الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

❁ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

❁ مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

❁ مقدمة جامع التفاسير، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، ت: د. أحمد حسن فرحات، ط. دار الدعوة، الكويت، الأولى١٤٠٥هـ-١٩٨٤م

❁ المقولات التي أبطلها القرآن ومنهجه في إبطالها، د. وليد بن عبد المحسن العمري، طبع: كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود، الرياض، الأولى ١٤٣٦هـ.

❁ ملامح التنوير في مناهج التفسير، د. محمود عزب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ٢٠٠٦م.

❁ من الإعجاز الطبي في السنة المطهرة تداعي الجسد للإصابة بالمرض، د. ماهر محمد سالم، دار جياد، جدة، الثانية ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ مـن الإعجـاز العلمـي في القـرآن، د. حسـن أبـو العينين، مكتبـة العبيكـان، الريـاض، الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

❁ مـن أوجـه إعجـاز القـرآن الكـريم. د. نبيـل بـن محمـد آل إسـماعيل، دار ابـن حـزم، بيروت، الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

❁ من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم النبات، د. قطب فرغلي ود. السيد محمد زيدان، دار جياد، جدة، الثالثة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ مـن آيـات الإعجـاز العلمـي في القـرآن الكـريم، د. زغلـول النجـار، مكتبـة الشـروق الدولية، القاهرة، الرابعة ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

❁ من بلاغة القرآن، د. أحمد أحمد بدوي، ط. نهضـة مصـر للطباعـة والنشـر والتوزيـع، مصر، بدون ٢٠٠٥م.

❁ مـن دلائـل الإعجـاز العلمـي في القـرآن الكـريم والسـنة النبويـة، د. موسـى الخطيـب، المكتبة العصرية، مصر، الثانية ٢٠٠٤م.

❁ من علم الفلك القرآني الثوابت العلمية في القرآن الكريم د. عدنان الشريف، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩١م.

❁ من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د. محمـد فريـد عبـد الله، دار المواسـم للطباعـة والنشر والتوزيع، (بدون بيانات نشر).

❁ مناظرة بين الإسـلام والنصـرانية، الناشـر: الرئاسـة العامـة لإدارات البحـوث العلميـة والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

❁ منـاهج الاسـتدلال علـى مسـائل العقيـدة الإسـلامية في العصـر الحـديث، د. أحمـد قوشتي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الأولى ١٤٣٣هـ.

❁ منـاهج البحـث في العقيـدة الإسـلامية في العصـر الحاضـر، د. عبـدالرحمن بـن زيـد الزنيدي، دار أشبيليا، الرياض، الأولى١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

❁ مناهج التفكير الموصلة للحقائق الشرعية والكونية، د. جعفر شيخ إدريس، ط. مركز البيان للبحوث والدراسات، الرياض، بدون.

❁ منـاهج الفكـر العربـي المعاصـر في دراسـة قضـايا العقيـدة في الـتراث، شـاكير أحمـد الحمودي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

❁ مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، د. محمد الشيخ عليو محمد، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الأولى ١٤٢٧هـ.

❁ مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث، د. محمود النقراشي السيد علي، مكتبة النهضة، القصيم، الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

❁ مناهج المفسرين، د. مساعد مسلم آل جعفر، محي هلال السرحان، دار الكتب للطباعة والنشر، الأولى ١٩٨٠م.

❁ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، ط. (بدون بيانات نشر).

❁ المنتخب من آداب العرب، جمعه وشرحه: أحمد الإسكندراني، أحمد أمين، علي الجارم، عبدالعزيز البشري ود. أحمد ضيف، ط. مطابع دار الكتاب، مصر ١٩٥٤م.

❁ المنح الإلهية في إقامة الحجة على البشرية، د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح، دار جياد، جدة، الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

❁ المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن، أحمد أبو زيد، مكتبة المعارف، الرباط، الأولى ١٩٨٦م.

❁ المنظار الهندسي للقرآن الكريم، د. خالد فائق العبيدي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

❁ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م.

❁ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثانية ١٣٩٢هـ.

❁ المنهاج في شعب الإيمان، الحسين بن الحسن الجرجاني أبو عبد الله الحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ط. دار الفكر، الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

❁ منهج ابن بدران في تفسيره جواهر الأفكار ومعادن الأسرار، د. عادل بن علي الشدي، مدار الوطن للنشر، الرياض، الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

❁ منهج ابن تيمية المعرفي، د. عبدالله بن نافع الدعجاني، ط. تكوين للدراسات والأبحاث، الخبر، الأولى ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

❁ منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية، د. سعود بن عبد العزيز العريفي، دار تكوين، الخبر، الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

❁ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، د. عثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد، الرياض، الثالثة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

❁ منهج الاستنباط من القرآن، فهد بن مبارك الوهبي، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، الأولى ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

❁ منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، د. حمود بن أحمد الرحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

❁ منهج القرآن الكريم في محاربة الشرك، د. إبراهيم بن صالح الحميضي، دار التدمرية، الرياض، الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

❁ المنهج القرآني والظاهرة العلمية، حاتم فايز البشتاوي، دار الفرقان. الأردن، الثانية ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

❁ منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد بن عبدالرحمن الرومي، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

❁ موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي، د. أحمد شوقي إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، الأولى ٢٠٠٣م.

❁ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، بدون.

❁ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. محمد السقا عيد، دار اليقين، مصر، الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٩م.

❁ موسوعة الإعجاز العلمي للصغار، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

❁ موسوعة الإعجاز العلمي، يوسف الحاج أحمد، نشر: مكتبة ابن حجر، دمشق، بدون.

❁ الموسوعة العربية العالمية، إعداد مجموعة من الباحثين، ط. مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، الثانية، بدون.

❁ الموسوعة الفلكية الحديثة، عماد مجاهد، ط. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأولى ٢٠٠٢م.

❁ الموسوعة الكبرى في الإعجاز العلمي في القرآن الكري، محمد حسني، دار التقوى، مصر، الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

❁ موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواجهة الشبهات، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة.

❁ موسوعة علوم القرآن، د. عبد القادر منصور، دار القلم العربي، سوريا، الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

❁ الموضوعات الطبية في القرآن الكريم، د. محمد جميل الحبال، دار الفكر، دمشق، الأولى ١٤٣٦ هـ - ٢٠١١ م.

❁ موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

❁ موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي، د. سعد بن بجاد العتيبي، مركز الفكر المعاصر، الرياض، الأولى ١٤٣١هـ.

❁ موقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير، د. محمود بن علي البعداني، طبع: مركز تفسير الدراسات القرآنية، الرياض، الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

❁ المياه في القرآن الكريم الدلالات العلمية، د. علي نور الدين إسماعيل ود. أحمد عبد القادر المهندس، مكتبة التوبة، الرياض، الأولى ١٤٢٧هـ.

❁ ميزان الجواهر في عجائب هذا الكون الباهر، طنطاوي جوهري المصري، دار الحرم للتراث، مصر، الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

❁ ميليشيا الإلحاد، عبدالله بن صالح العجيري، ط. تكوين للدراسات والأبحاث، الخبر، الثانية ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

❁ الناصية ووظيفة الفص الجبهي للدماغ، د. محمد يوسف سكر، ود. عبد الجواد الصاوي، دار جياد، جدة، الثانية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ النبأ العظيم، د. محمد عبدالله دراز، دار القلم، الكويت، السادسة ١٤٠٥هـ -١٩٨٤م

❁ النبوات، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق. د. عبدالعزيز بن صالح الطويان، دار أضواء السلف الرياض، الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

❁ نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، د. لخضر شايب، مكتبة العبيكان، الرياض، الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

❁ النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، (بدون بيانات نشر).

❁ نحو إصلاح التعليم في برنامج الدراسات العليا في تخصص التفسير وعلومه، د.جمال أبو حسان، طبع: كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود، الرياض، بدون.

❁ نحو ثقافة إسلامية أصيلة، د. عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، بدون١٩٩٠م.

❁ نحو منهج أمثل لتفسير القرآن، د. أحمد بن محمد الشرقاوي، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، قسم دراسات القرآن والسنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

❁ نشأة الذرية معجزة علمية، د. محمد دودح، دار جياد، جدة، الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ نشأة الكون وخلق الانسان بين العلم والقرآن، د. سارة بنت عبد المحسن آل سعود، الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

❁ نظرات حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، حمزة سالم صيرفي، (بدون بيانات نشر).

❁ نظرات في التفسير العلمي للقرآن، د. يوسف القرضاوي، ط. مركز بحوث السنة والسيرة، قطر، العدد التاسع ١٤١٧هـ.

❁ نظريات الإعجاز القرآني، د. أحمد رحماني، مكتبة وهبة، القاهرة، الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

❁ النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي في التعامل معها، د. حسن بن محمد الأسمري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الأول ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

❁ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، ط. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون.

❁ نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد معبد، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

❁ نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم، د. أحمد محمد الفاضل، ط. مركز الناقد الثقافي، دمشق، بدون.

❁ نقد الحديث النبوي بالعلم التجريبي، د. ثامر عبدالمهدي حتاملة، (بدون بيانات نشر).

❁ نقد الصحابة والتابعين للتفسير، د. عبدالسلام بن صالح الجار الله، دار التدمرية، الرياض، الثانية ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

❁ نقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن الكريم، د. إبراهيم بن صالح الحميضي، دار ابن الجوزي الدمام، الأولى ١٤٣٥هـ.

❁ نقض النظريات الكونية، محمد بن عبدالله الإمام، دار الآثار، صنعاء، الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

❁ نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد، للإمام عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: منصور بن عبد العزيز السماري، أضواء السلف، الرياض، الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

❁ نماذج من الإعجاز العلمي للقرآن، د. أحمد عبد السلام الكرداني، مؤسسة دار الشعب، مصر، الأولى ١٩٧٥م.

❁ نهاية الأقدام في علم الكلام، عبدالكريم الشهرستاني، ط. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

❁ نهاية البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثانية ١٩٩٣م.

❁ النور المبين رسالة في بيان إعجاز القرآن الكريم، د. بهاء الأمير، مكتبة وهبة، القاهرة، بدون.

❁ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القران وتفسيره، مكي بن أبي طالب، تحقيق: مجموعه من الباحثين، ط. كليه الشريعة بالشارقة، الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

❁ هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم، د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر، تهامة للنشر، جدة، الثانية ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤ م.

❁ الواضح في علوم القرآن، د. مصطفىٰ ديب البغا ومحي الدين مستو، دار الكلم الطيب ودار العلوم الإنسانية، (بدون بيانات).

❁ وجود الله في العلوم الحديثة، د. محمد عز الدين رشاد، دار الفكر العربي، القاهرة، الأولىٰ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

❁ وجوه الإعجاز في آيات النحل، د. رضا فيصل بكر، دار الاعتصام، مصر، بدون.

❁ الوجيز في علوم القرآن العزيز، د. علي بن سليمان العبيد، دار التدمرية، الرياض، الثانية ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

❁ الوحي والعلوم في القرن الواحد والعشرين، تحرير: جمع من الباحثين، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

❁ ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية، د. خالد فائق العبيدي. ط. دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

**ثانياً: الرسائل والبحوث العلمية:**

❁ أثر التدريس بالآيات القرآنية الكونية علىٰ التحصيل الدراسي لتدريس وحدة بمادة العلوم للصف الثاني متوسط، للباحث: محمد بن أحمد الغامدي، بحث لنيل درجة الماجستير من كلية التربية، قسم المناهج وطرق التدريس، بجامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة.

❁ أثر محتوىٰ منهاج الجغرافيا بالآيات القرآنية الكونية وأثره في تنمية المفاهيم الجغرافية، للباحثة: مريم جبر قنوع، بحث لنيل درجة الماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية التربية، غزة ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م.

❁ اختيارات السيوطي وترجيحاته في علوم القرآن، للباحث: علي بن عبد الرحمن النجاشي، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم القرآن وعلومه، الرياض ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ.

❁ أساليب الدعوة في سورة الأنعام، للباحث: عبد الباقي أحمد الصغير، بحث لنيل درجة الدكتوراه في جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

❁ الأسماء الحسنىٰ ومناسبتها للآيات التي ختمت بها في سورة البقرة وآل عمران والنساء، للباحثة: وداد يحيي عبدالجبار، بحث لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرىٰ، كلية الدعوة وأصول الدين، عام ١٤١٣هـ.

❁ الأسماء الحسنىٰ ومناسبتها للآيات التي ختمت بها في سورة النور إلىٰ آخر القرآن، للباحثة: عواطف خياط، بحث لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرىٰ، كلية الدعوة وأصول الدين، عام ١٤١٣هـ.

❁ أصول الإيمان بالغيب وآثاره، للباحثة: فوز بنت عبد اللطيف الكردي، بحث لنيل درجة الدكتوراة في الدراسات الإسلامية، كلية التربية للنبات، جدة ١٤٢٦هـ.

❁ الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية، للباحث: موسىٰ مسلم الحشاش، بحث قدم النيل درجه الماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، عام ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

❁ الإعجاز البياني في ضوء النصوص القرآنية، للباحث: محبوب الله سيف الرحمن، بحث لنيل درجة الدكتوراة، الجامعة القومية للغات الحديثة، اسلام آباد ٢٠٠٨م.

❁ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، للباحثة: عادلة بنت أحمد، بحث لنيل درجة الإجازة في جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا، كلية دراسات القرآن والسنة عام ٢٠٠٤م.

❁ الإعجاز العلمي في تفسير (في ظلال القرآن)، للباحث: مصطفىٰ عمار الششتاوي، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، كلية العلوم الإسلامية ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❁ الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، للباحث عبدالسلام حمدان اللوح، بحث لنيل درجة الماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية أصول الدين، ط. دار آفاق للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٢٣هـ.

❁ الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، للباحث: عبد الله علي أبو السعود، بحث لنيل درجة الماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، الأردن ٢٠٠٥م.

❁ إعلان القرآن للتحدي، للباحث: أحمد عبد الحميد مهدي، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، كلية العلوم الإسلامية.

❁ الأمثال العقدية في القرآن الكريم، للباحث: روان منذر السيد، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية كلية أصول الدين، نابلس بفلسطين عام ٢٠١٤م.

❁ الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضاده من الشرك، للباحث: إبراهيم بن عبدالله الجربوع، بحث لنيل درجة الماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، المدينة المنورة عام ١٤٢٩هـ.

❁ الآيات الكونية دراسة عقدية، للباحث: عبدالمجيد بن محمد الوعلان، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعه الأمام محمد بن سعود، كلية أصول الدين، الرياض ١٤٣٢هـ.

❁ الآيات الكونية في سورة الأنعام بين المفسرين والعلم الحديث جمعاً ودراسة، للباحث: أحمد محمود محمد، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة المدينة العالمية بماليزيا ٢٠١٣م.

❁ التشبيهات القرآنية وأثرها في التفسير من أول سورة (يونس) إلىٰ آخر سورة (العنكبوت)، للباحث: أحمد بن سالم الشهري، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرىٰ، كلية الدعوة وأصول الدين، مكة المكرمة عام ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

❁ التشبيهات القرآنية وأثرها في التفسير من بداية القرآن إلىٰ سورة التوبة، للباحثة: استشهاد أسامة حريري، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرىٰ، كلية الدعوة وأصول الدين، مكة المكرمة عام ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

❁ التفسير العلمي بين القبول والرد، د. عبد السلام حمدان اللوح، الجامعة الإسلامية، غزة ٢٠٠٤م - ٢٠٠٥م.

❁ التفسير العلمي للقرآن الكريم، للباحث: عبد الله بن عبد الله الأهدل، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، الرياض ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

❁ ختم الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنىٰ بين إعجاز المعنىٰ وروعة البيان، للباحث: فاروق برحال، بحث لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر عام ٢٠١١م - ٢٠١٢م.

❁ خلق الكون من العدم في ضوء الدراسات الفلكية، د. رياض عيدروس، جامعة الإيمان باليمن.

❁ دراسات في الإعجاز العددي بين الماضي والحاضر في ضوء الكتاب والسنة، للباحث: مصطفىٰ عمر الكندي، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرىٰ، كلية الدعوة، مكة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

❁ الدعوة إلىٰ الله بالمنهج الحسي في السنة النبوية، للباحث: محمد بن عبد الله العمري، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الدعوة والإعلام، الرياض١٤٢٠هـ - ١٤٢١هـ.

❁ الدعوة إلىٰ الله بالمنهج الحسي في القرآن الكريم، للباحث: سليمان بن ناصر مرزوق، بحث لنيل درجة الدكتوراة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، الرياض ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

❁ الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة، للباحث: محمد بن إبراهيم الزهراني، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، الرياض ١٤٢٣هـ - ١٤٢٤هـ.

❁ ذكر الحياة والموت في شعر طرفة بن العبد، للباحث: علي يوسف مدخلي، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة المدينة العالمية بماليزيا ٢٠١٢م.

❁ الشيخ حمود بن عبدالله التويجري وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف، للباحث: عبدالله بن محمد شيخ خادم، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرىٰ، كلية الدعوة وأصول الدين، مكة المكرمة عام ١٤٢٢هـ.

❁ ضوابط الاستشهاد بالعلم التجريبي في تأييد الوحي، للباحثة: ماجدة حضيري العنزي، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة حائل كلية التربية، حائل ١٤٣٣هـ - ١٤٣٤هـ.

❁ عالم الغيب في القرآن الكريم، للباحث: مروان محمد حافظ، بحث لنيل درجة الماجستير في التفسير، كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

❁ علوم القرآن عند ابن عبد البر، للباحث: محمد بن عبد الله القحطاني، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، الرياض، بدون.

❁ علوم القرآن عند أبي إسحاق الشاطبي، للباحث: عبد الله بن محمد الرفاعي، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم القرآن وعلومه ١٤٢١هـ.

❁ علوم القرآن عند الحافظ ابن حجر من خلال كتاب فتح الباري، للباحث: إبراهيم بن محمد الدومري، بحث نيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، الرياض، ١٤٢١هـ - ١٤٢٢هـ.

❁ علوم القرآن عند محمد الأمين الشنقيطي، للباحثة: عائشة بنت محمد الخثعمي، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم القرآن وعلومه، ، ١٤٢٨هـ.

❁ علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير من نشأتها حتىٰ نهاية القرن الثامن الهجري، للباحث: محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، بحث لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم القرآن وعلومه، ١٤١٦هـ.

❁ قواعد تفسير القرآن الكريم، للباحث: هادي حسين الفائزي، بحث لنيل درجة الماجستير من جامعة الكوفة، كلية الفقه، قسم علوم القرآن الكريم عام ١٤٣١هـ -٢٠١٠م.

❁ الكون والرؤية العلمية في القرآن الكريم والأديان السماوية الأخرىٰ، للباحث: أشرف أحمد عماشة، بحث لنيل شهادة الماجستير، جامعة المنوفية، كلية الآداب، قسم الفلسفة ٢٠٠٣م.

❁ مباحث الإعجاز البلاغي للقرآن في كتب دلائل النبوة حتىٰ نهاية القرن الخامس الهجري، للباحث: منصور بن عمر السحيباني، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، الرياض، ١٤٢٩هـ - ١٤٣٠هـ.

❁ منهج الشيخ الألوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للباحث: عبد الله ربيع جنيد، بحث لنيل درجة الماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، غزة ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

❁ موقف الدعوة الإسلامية من التقدم المادي، للباحث: شوقي جبر الكيلاني، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، المعهد العالي للدعوة، الإسلامية، الرياض ١٤٠٣هـ.

❁ النبوءات المستقبلية في اليهودية والنصرانية والإسلام وأثرها بين أتباعها، للباحث: خالد عوفان الخطيب، بحث لنيل درجة الدكتور، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدعوة وأصول الدين، الأردن ٢٠١٠م - ٢٠١١م.

❁ النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقاتها في المقررات اللغوية التعليمية لأقسام السنه الثانية ثانوي، أم الخير بن الصديق، بحث لنيل درجة الماجستير من جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب عام ٢٠٠٧م.

❁ وجوه دلالة القرآن الكريم علي نبوءة النبي محمد ﷺ، للباحثة: سامية ياسين البدري، بحث لنيل درجة الدكتوراة، جامعة أم القرىٰ، كلية الدعوة وأصول الدين، مكة المكرمة عام ١٤٣٥هـ.

**ثالثاً: المجلات العلمية والدوريات:**

- حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية، القاهرة، العدد (٢٥) ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- مجلة ١٤ أكتوبر، تصدر عن مؤسسة ١٤ أكتوبر للصحافة والطباعة والنشر، عدن، الجمهورية اليمنية، العدد (١٤٨٨٣)، السنة الثانية والأربعون، شعبان ١٤٣١هـ يوليو ٢٠١٤م.
- مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد (٥)، العدد (٢) عام ٢٠٠٨م.
- مجلة الإسلام في آسيا، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد الخاص (الثاني) ٢٠١١م.
- مجلة الإعجاز العلمي، إصدار: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، مكة المكرمة، الأعداد من (١-٤٥).
- مجلة البحث العلمي الإسلامي، العدد (٢) ذو الحجة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العالمية والإفتاء، العدد (٩٨).
- مجلة البرهان لدراسة الإلحاد، العدد (٢).
- مجلة التربية، قطر، العدد (١٠٥)، السنة الثانية والعشرون عام ١٩٩٣م.
- مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، غزة، الأعداد (١، ٢، ٩، ١٦)
- مجلة الجامعة الإسلامية، ماليزيا، العدد (٥٥) و (٥٦) رجب - ذو الحجة ١٤٠٢هـ.
- مجلة الحكمة، تصدر من لندن، الأعداد (١٩،١٥، ٢٦، ٥٠،٤٧).
- مجلة السنة، العدد (١١٧) ربيع الآخر ١٤٢٣هـ يوليو ٢٠٠٢م.
- المجلة العالمية لبحوث القرآن، يصدرها مركز بحوث القرآن بجامعة ملايا، العدد (٤) ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- المجلة العلمية لبحوث القرآن، يصدرها مركز بحوث القرآن بجامعة ملايا ماليزيا.
- مجلة العلوم الأمريكية، مايو - يونيو ٢٠٠٩م.
- مجلة المسلم المعاصر، العدد (٦٠).
- مجلة المسلمون، العدد (٤٠) بتاريخ ٢٦/ ٢/ ١٤٠٦هـ.
- مجلة الوعي الإسلامي، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.
- مجلة آيات، العدد (٧) عام ١٤٢٥هـ.

❁ مجلة تبيان للدراسات القرآنية، العدد (١٢، ١٤).

❁ مجلة تفكر، إصدار معهد إسلام المعرفة، السودان.

❁ مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد (٥)، العدد (٢٠) ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

❁ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، العدد (٤، ١٠).

❁ مجلة جامعة الملك سعود بالرياض، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، مجلد ٢٧ العدد (١)

❁ مجلة جامعة أم القرىٰ لعلوم اللغات وآدابها.

❁ مجلة جامعة دمشق، المجلد الثامن عشر، العدد (١) ٢٠٠٢م.

❁ مجلة دعوة الحق، تصدر عن رابطة العلم الإسلامي، السنة الثانية، العدد (١٣٩).

❁ مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، العدد (١٦٣) عام ١٤١٦هـ.

❁ مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد (٤)، المجلد الثاني عشر عام ١٩٨٢م.

❁ مجلة علوم الشريعة والقانون، الأردن، المجلد (٤٠)، العدد (١) ٢٠١٣م.

❁ مجلة كلية الآداب، جامعة الكوفة، العدد (٩).

❁ مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، الأعداد (٩، ١٣، ١٩،١٧).

❁ مجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، العدد (٣).

❁ مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، قطر، العدد (٩) ١٤١٧هـ.

❁ مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد (١، ٥).

❁ نشرة الحقيقة، من إصدار الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، مكة المكرمة.



**رابعاً: المراجع الأجنبية والمترجمة:**

❁ by Rainer F. Foelix, Published September 26th 1996 by Oxford University Press, USA biology of spiders،

❁ تاريخ أكثر إيجازاً للزمن، ستيفن هوكنج، وليونرد ملوندينوف، دار العين للنشر، (بدون بيانات).

❁ تاريخ موجز للزمن من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء، ستيفن هوكنج، ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي، طبع: الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون.

❁ الطفرات العلمية الزائفة، تشارلز إم وين وآرثر دابليو ويجنز، ترجمة: محمد فتحي خضر، ط. كلمات عربية، مصر، الأولى ٢٠١١م.

❁ الكون في قشرة جوز، ستيفن هوكنج، ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي، ط. عالم المعرفة، الكويت، ذو الحجة ١٤٢٣هـ.



**خامساً: المواقع الإلكترونية:**

❁ شبكة الألوكة www. alukah. net

❁ مدونة د. رفيق المصري drmasri.wordpress.com

❁ موقع www.nooran.org

❁ موقع المهندس عبدالدائم الكحيل www.kaheel7.com

❁ موقع جامعة الإيمان باليمن www.jameataleman.org

❁ موقع جمعية هواة الفلك السورية www.saaa-sy.org

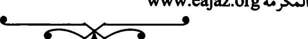
❁ موقع جيولوجيا وادي الرافدين www.geologyofmesopotamia.com

❁ موقع ملتقى أهل التفسير vb. tafsir. Net

❁ موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.quran-m.com

❁ موقع وكالة ناسا www.nasa.gov

❁ موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة www.eajaz.org



# فهرس الموضوعات




بحمد الله تعالى